# أبواب الثلاثى

للدكتور إبراهيم أنيس الخبير بلجنة اللهجات *

يتحدث الصرفيون عن أبواب الفعل الثلاثى فيفترضون إمكان شكل عين كل من الفعل الماضى والمضارع بإحدى الحركات الثلاث : الفتحة أو الضمة أو الكسرة ، ثم يتساقون مع القسمة العقلية فيفترضون لأبواب الثلاثى تسعة وجوه يرفضون منها ثلاثة لأنها لم ترد عن العرب كما يقولون . وتلك الأبواب التى يرفضونها هى :

(١) فعُل يفعَل
(٢) فعُل يفعِل
(٣) فعِل يفعُل

فاذا روى لهم بعض الرواة أفعالا مثل : نعِم ينعُم فضِل يفضُل أخذوا يتلمسون لها الأسباب والمعاذير . وربما كان ابن جنى فى كتابه الخصائص أشهر من عنى بمثل هذه الأفعال ، إذ عقد لها فى كتابه فصلا سماه «تداخل اللغات» أو «تركيب اللغات» فزعم أن قبيلة كانت تقول «نعَم ينعُم» وأخرى تقول «نعِم ينعَم» ثم تداخلت اللهجتان فتكون ذلك الوزن الغريب على العربية وهو «نِعم ينعُم» . على أن ابن جنى لم يحدثنا عن كيف تتداخل اللهجات ولاعن الدوافع التى قد تدفع لمثل هذا التداخل ، ثم قبل هذا وذاك لم يشر ابن جنى إلى السر فى اقتصار مثل هذا التداخل على فعلين أو ثلاثة من كل أفعال اللغة العربية التى تكاد تجاوز ثلاثة آلاف حسب ماورد فى أجزاء القاموس المحيط من الأفعال الثلاثية الصحيحة فقط بله المعتلة ، فافتراض أن لهجة من اللهجات تستعير طريقة النطق بالماضى فقط دون مضارعه أو المضارع فقط دون ماضيه أمر بعيد الاحتمال وذلك لأن الأوزان لاتستعار وإنما الذى يستعار هو الكلمات ، ولعل ابن جنى أراد بتداخل اللغات أنه قد يتصادف أن نجد فى لهجة من اللهجات فعلا أو فعلين لايتبعان طريقة الاشتقاق فى الأفعال الأخرى أمثال نعِم ينعُم ، وحينئذ نعلل مثل هذه الأفعال بأن الماضى أو المضارع غريب على هذه اللهجة وأنه على هذه الصورة مستعار من لهجة أخرى تحت تأثير ظروف خاصة به .

فاذا صح تفسيرنا هذا لكلام ابن جنى كان مثل هذا الوزن من شواذ اللهجات ولاتكون الشواذ باباً من أبواب الفعل فى أى لهجة ، وإنما هى ظواهر نلحظها ونسجلها ثم نحاول البحث عن ظروفها الخاصة .

أما الأبواب الستة التى اعترف بها الصرفيون فلا تكاد تخضع لقاعدة واحدة ولايعقل نسبتها للغة موحدة كاللغة النموذجية الأدبية التى نزل بها القرآن الكريم وجاءت بها الآثار الأدبية الجاهلية . ويظهر أن الرواة قد تلقنوها من لهجات عربية متباينة خضعت

(*) ألقى هذا البحث ونوقش فى الجلسة السادسة للمؤتمر (٩ من يناير ١٩٥٠) ، ثم ووفق على إحالته إلى لجنة اللهجات لدرسه (الجلسة الخامسة عشرة للمؤتمر ٢٩ من يناير ١٩٥٠) .

كل منها لقاعدة خاصة فى اشتقاق المضارع من الماضى أو العكس . ويؤيد هذا مانراه فى اللهجات الحديثة للغة العربية من خضوع كل منها لقاعدة واحدة سليمة قليلة الأبواب ، ومانراه أيضاً فى اللغات السامية شقيقات اللغة العربية من وضوح فى قاعدة اشتقاق المضارع من الماضى .

فى العبرية مثلا نجد أن الماضى فى الكثرة الغالبة من الأفعال العبرية على وزن فعَل وأحياناً على وزن فعِل . ثم يندر أن يكون على وزن فعُل . ونرى أن مضارع الأول هو يفعُل ومضارع الوزنين الآخرين يفعَل . ولانكاد نجد فى كل اللغة العبرية مايشذ عن هذا سوى بضعة أفعال .

وقد لجأ الصرفيون حين لاحظوا الغموض فى قواعد اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى إلى القول بأن الأمر فيها مرجعه أخيراً إلى السماع لا القياس . مع أن الملاحظ فى كل اللغات هو اطراد القواعد وندرة الشواذ . ومن الواجب أن ننزه العربية عن مثل هذا الاضطراب .

والأمر الذى لايتطرق إليه الشك أن الكثرة الغالبة من أفعال الثلاثى جاءتنا فى المعاجم مكتوبة لامنطوقة ، وكل اعتمادنا فى أبوابها على مارواه أصحاب هذه المعاجم . بل إن ماروى منها فى نصوص أدبية لايؤكد لنا باباً من الأبواب ، لأن رواية مثل هذه النصوص لم يكن من التواتر بحيث نجزم معها بأبواب الثلاثى كما افترضها الصرفيون وأصحاب المعاجم . وليس بين النصوص الأدبية مايؤكد لنا طريقة اشتقاق المضارع من الماضى بما لايدع مجالا للشك إلا القرآن الكريم فى قراءته المشهورة الشائعة الآن فى كل الأمصار لأننا تلقيناها عن طريق التلقين والمشافهة . ولأنها تمثل لهجة موحدة منسجمة تلك هى اللغة النموذجية الأدبية . ولهذا نرى قاعدة اشتقاق المضارع من الماضى فيها واضحة جلية .

وحين يعالج المحدثون أمر اشتقاق صيغة من أخرى يبحثونه على أسس ثلاثة معترف بها بين علماء اللغات فى العالم :

(١) المغايرة Polarity وتلك هى الصفة التى فطن إليها ابن جنى وسماها المخالفة بين صيغة الماضى والمضارع حين قال : « وإنما دخلت يفعُل فى باب فعَل يفعِل من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة » . وقول ابن جنى هنا حق تؤيده القوانين الصوتية الحديثة التى تجعل الضمة والكسرة أصواتاً ضيقة close يقابلهما « الفتحة » التى هى الصوت المتسع open . فإذا أردنا أن نخالف بين الماضى والمضارع اخترنا للأول الضمة أو الكسرة واخترنا للمضارع الفتحة ، أو العكس بالعكس .

(٢) وظيفة الفعل فى الكلام تؤثر حركة خاصة فى الماضى على غيرها من الحركات وتلتزمها أفعال اللهجة الواحدة ، وليس ذلك لأمر فى طبيعة هذه الحركة وإنما هو مجرد مصادفة ملتزمة فى اللهجة الواحدة ، وتختلف اللهجات فى إيثار حركة على أخرى . وكل الذى يعنى به اللغوى هو إبراز ماتؤثره اللهجة دون التعرض لبحث سبب إيثار حركة بعينها. وقد كان اللغويون يفرقون بين حركة المتعدى

وحركة اللازم ، ثم انصرفوا عن هذا إلى تسمية حديثة حين قسموا الأفعال من حيث وظيفتها فى الكلام إلى: اختيارى voluntary وإجبارى involuntary فالفعل الاختيارى هو الذى لنا اختيار فى حدوثه ولو كان مما يعده القدماء « لازما » مثل جلس وقعد . أما الفعل الإجبارى فهو الذى لا اختيار لنا فى حدوثه مثل كبر وضعف . وقد لاحظ المحدثون أن كلا من هذين النوعين يختلف عن الآخر فى صيغته . فبينما يؤثر أحدهما حركة من الحركات يؤثر الآخر حركة أخرى ويترتب على هذا اختلافهما فى طريقة اشتقاق المضارع من الماضى أو العكس . والكثرة الغالبة من أفعال اللغات فى العالم تعد من الأفعال الاختيارية .

(٣) الأمر الثالث الذى نلحظه فى اللهجات السامية بصفة عامة أثر الحروف المجاورة فى إيثار الحركات . ويشبه هذا ما أكده الصرفيون من إيثار حروف الحلق للفتحة . وقد أكدت التجارب الحديثة ارتباطاً وثيقاً بين النطق بحروف الحلق والفتحة وذلك لأن الأصوات الحلقية تناسب فى الغالب وضعاً خاصاً للسان يتفق مع مانعرفه من وضعه مع الفتحة ، فلهذه الظاهرة التى استرعت انتباه القدماء مايبرره فى القوانين الصوتية الحديثة . على أن الأمر فيما يظهر غير مقصور على حروف الحلق ، إذ أننا نلحظ فى اللهجة القاهرية ظاهرة الارتباط بين الحروف والحركات فى صيغة استفعل لأن الأفعال التى تنتهى بحروف التفخيم Emphatics أو تكون هذه الحروف فيها قبل الآخر تؤثر عادة الفتحة على عين الكلمة فى حين أن الحروف الأخرى تؤثر الكسرة .

وتلك ظاهرة مطردة فى اللهجة القاهرية لانكاد نرى لها شواذ .. ويكفى لتوضيح هذا أن نقارن بين الأفعال الآتية :

يستلبخ يستعجل يستلخم يستبشر
يستأمن يستمتل يستفظع يستغفل

تلك هى العوامل الثلاثة التى تؤثر فى اختيار الحركات وإيثار بعضها على بعض ، فإذا بحثنا على ضوئها فى الأفعال الثلاثية الصحيحة التى وردت فى القرآن الكريم ، تلك التى استعملت فيه مرة فى الماضى وأخرى فى المضارع نجد أنها لاتكاد تجاوز ١٣٤ فعلا وأنها لاتشتمل على ذلك الباب الذى سماه النحاة «فعِل يفعِل» بكسر عين الفعل فى الماضى والمضارع ، كما نجد أنها أيضاً قد خلت من ذلك الباب المضموم العين فى الماضى والمضارع إلا فى فعلين اثنين هما :

كبُر يكبُر — بصُر يبصُر .

أما باقى الصيغ الثلاثية التى وردت فى القرآن الكريم فهى أحد وجهين لاتخرج عنهما فى الماضى : « فعَل » و « فعِل ». ثم نرى أن الصيغة الأولى هى الأكثر شيوعاً فى الأسلوب القرآنى لأن به حوالى ١٠٧ من الأفعال الماضية الصحيحة التى صيغتها « فعَل » وحوالى ٢٤ فعلا من صيغة « فعِل » .

والقاعدة التى خضعت لها القراءة القرآنية المشهورة فى اشتقاق المضارع من هذه الأفعال هى المغايرة Polarity فصيغة «فعَل» يقابلها فى المضارع « يفعِل » أو « يفعُل » بكسر عين المضارع أو ضمها ، أما صيغة « فعِل » فيقابلها دائماً « يفعَل » بفتح عين المضارع .

تلك هى القاعدة التى يمكن استنباطها من أفعال القرآن الكريم وهى واضحةجليةلاتعقيد فيها ومن الطبيعى أن تكون كذلك .

أما تلك الأفعال التى وردت فى القرآن الكريم مفتوحة العين فى كل من الماضى والمضارع فلامها أو عينها من أحرف الحلق تلك التى تؤثر الفتحة على غيرها من الحركات وقد اطردت هذه القاعدة فى الأفعال القرآنية فيما عدا :

نكح . نزع . رجع . بلغ . قعد . زعم . نفخ .

فهى أفعال لامها أو عينها من حروف الحلق ومع هذا فقد غلبت عليها قاعدة المغايرة ولم تؤثر فى حركة عين المضارع تلك الحروف الحلقية . ومثل هذه الأفعال يجب أن تدرس على انفراد وأن يبحث عن مصدرها أو سر خروجها عن القاعدة العامة . ويظهر أنها تنتمى فى صيغتها للهجة أخرى غير اللهجة القرشية التى أسست لغة القرآن عليها فى معظم الظواهر اللغوية . وليس معنى هذا استعارة الصيغة أو طريقة الاشتقاق وإنما معناه استعارة هذه الأفعال بصيغتها الشائعة فى مصدرها الأصلى ، وربما كان يعبر عن معانى هـذه الأفعال فى اللهجة القرشية بأفعال أخرى مثل :

تزوج . قلع . عاد .....الخ.

أما الفعل الوحيد الذى أثار دهشة المتأخرين من اللغويين فى أفعال القرآن فهو ( قَنَط يقنَط) لأنه ورد فى القرآن مفتوح العين فى الماضى والمضارع وليس فيه حرف من حروف الحلق . ولاشك أن هذا الفعل على هذه الصورة ينتمى للهجة أخرى غير اللهجة القرشية على أن المعاجم قد روت فيه طرقاً أخرى لاشك أن واحدة منها هى التى تنتمى للهجة القرشية .

أما حين ننظر إلى ماورد من أفعال ثلاثية صحيحة فى القاموس المحيط فنراها فى حدود ثلاثة آلاف من الأفعال . وقد صرفنا النظر عن الأفعال المعتلة لأن لها ظروفاً لغوية خاصة وقد مرت بها أطوار باعدت بينها وبين أبواب الفعل الصحيح وصبغتها بصبغتها الخاصة ، وهذه الأفعال المعتلة قديمة بعيدة فى القدم تشترك فى غالب الأحيان مع شقيقات اللغة العربية كالعبرية والسريانية ، ومن التعسف نسبتها إلى باب من أبواب الثلاثى بعد أن بدلت حروفها الأصلية إلى حروف المد وصارت على الصورة التى نألفها الآن . فما يقال من أن خاف أصلها على وزن « خوف » بكسر العين الماضى أمر يحتاج إلى تحقيق . وقد أمكن فى بحث لى تحت عنوان « الأصل الاشتقاقى لحروف العلة » أن أرجع هذه الحروف إلى تلك الأصوات السهلة « النون . اللام . الراء . الميم » التى تسمى فى علم الأصوات Liquids ونشر هذا البحث فى مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٤ . لهذا آثرت هنا أن أكتفى بالأفعال الصحيحة لوضوح حركة العين فى أفعالها بما لايدع مجالا للشك .

فإذا نحن بوبنا أفعال القاموس المحيط ونظرنا إليها فى ضوء ماذكرناه آنفاً من أسس وعوامل وقفنا منها على الملاحظات الآتية :

أولا : جاء فى المحيط مايقرب من ١٨٢٠ من الأفعال التى اختص كل منها بباب واحد من أبواب الثلاثى . ومن بين هذه الأفعال نحو ١٣٧٢ ماضيها مفتوح العين فهى إذن من تلك الأفعال الاختيارية التى تحدثنا عنها . أما المضارع فقد جاء تبعاً لقانون المغايرة مضموم العين أو مكسورها . وتكاد تكون النسبة هنا متعادلة فمثلا :

فعَـل ← يفعِـل ٤٤٨
فعَـل ← يفعُـل ٤١٨

فإذا كانت لام المضارع أوعينه من حروف الحلق وجدنا عين الفعل تؤثر الفتح وهذا هو مايسمى « باب فتح يفتح » الذى يجب أن يعد فرعاً للأفعال الاختيارية فتحت فيه عين المضارع بسبب حروف الحلق أى أن أثر حرف الحلق قد غلب فيها على قانون المغايرة . وقد جاء فى المحيط من هذه الأفعال نحو ٥٠٦ من الأفعال لم يشذ منها سوى ثلاثة أفعال قيل لنا إنها من باب « فتح » دون أن نجد لامها أو عينها من أحرف الحلق . ومثل هذه النسبة الضئيلة تحملنا على إعادة النظر فى مثل هذه الأفعال الثلاثة التى أشهرها ( سَقَف البيت ) . وعلى هذا يمكن أن يقال إن جميع الأفعال التى اختصت بباب فتح جاءت مشتملة على حرف من حروف الحلق فى موضع عين الفعل أولامه. فالقاعدة فى أفعال المحيط مطردة كما هى مطردة فى الأفعال القرآنية .

أما الأفعال الإجبارية فهى فى حدود ٣٩٨ وكلها من باب « فرِح » : فالمغايرة فيها واضحة جلية كما هى واضحة جلية فى الأفعال القرآنية . على أنه مما يسترعى انتباهنا فى هذه الأفعال أن مقتضى قانون المغايرة أن نرى أفعالا ماضيها مضموم العين ومضارعها مفتوح العين أى ( فعُل يفعَل ) . ومثل هذا الباب لم نسمع عنه فى فعل من أفعال اللغة العربية بل أباه الصرفيون . فلو قد قدر أن يروى مثل هذا الباب بين أفعال العربية لقبلناه وفسرناه على أنه مغايرة بين المضارع والماضى لأن فتحة عين المضارع يمكن أن يقابلها الكسر أو الضم فى الماضى . وتشتمل اللهجات العربية الحديثة على هذا الباب فى أفعال مثل ( خلص يخلَص ) . فلعل من اللهجات العربية القديمة ما اشتمل على هذا الباب الذى هو من الناحية الصوتية يناظر باب فرح .

بقى من الأفعال التى جاءت فى المحيط على أنها محددة الأبواب قد اختص كل منها بباب واحد نحو خمسين فعلا قيل لنا إنها من باب كرم، وكثير منها أفعال غريبة نادرة الاستعمال . وأشهر هذه الأفعال :

جرؤ . صعب . زمت . سمج . صرح . غزر . نزر . فحش . سخف . ظرف . عنف . كثف . نظف . ضؤل . جسم . ضخم . فخم . جبن . خشن .

فهذا باب غريب لايخضع لقانون المغايرة ولانكاد نلحظ فيه أثراً لحروف مجاورة ولا نرى له نظيراً فى اللغات السامية الأخرى ولا أظن أن له نظيراً فى اللهجات الحديثة . فمن أين أتى هذا الباب ؟ على أن نسبة شيوعه ضئيلة جداً فليس منه فى القرآن الكريم إلا فعلان

وليس منه فى المحيط من أفعال واضحة المعنى مشهورة إلا نحو عشرين . ولايكون مثل هذا العدد القليل طريقة من طرق اشتقاق الأفعال فى لغة من اللغات . فما ورد من أفعال صحيحة الرواية يمكن أن يعزى إلى أحد أمرين :

(١) إما أن تكون هذه الأفعال فى الأصل مفتوحة فى الماضى ثم لقصد المبالغة فى معناها حولت إلى صيغة أخرى وذلك بضم العين . ويستأنس لهذا الرأى بما يذكره النحاة من إمكان تحويل « فعَل » إلى « فعُل » حين يراد الدلالة على أن معناه صار كالغريزة فى صاحبه أو للتعجب فينسلخ حينئذ عن الحدث .

فليس هذا الباب باباً أصلياً من أبواب الثلاثى وطرق اشتقاقه ، وإنما هو فرع لباب آخر لقصد الزيادة فى معنى الفعل أو تخصيص المعنى بعد أن كان عاماً .

(٢) ويمكن أن تفسر بعض هذه الأفعال على أنها نشأت عن طريق القياس الخاطئ False Analogy وهو ماتقع فيه الأجيال الناشئة ثم يشيع بعد ذلك حين يصبح الصغار كباراً . ففى البيئات البدائية حين ينعزل الجيل الصغير عن الكبار حولهم وحين لا تتاح لهم فرص إصلاح الأخطاء يقيس الأطفال أحياناً قياساً خاطئاً بعض المشتقات وتنشأ فى كلامهم صيغ جديدة لاوجود لها فى كلام الكبار ، ثم يصبح ما كان يعد خطأ ، معترفاً به بين أفراد الجيل الناشئ . وهذه ظاهرة لغوية أكدها لنا المحدثون من علماء اللغات وبرهنوا عليها بما لايدع مجالا للشك . ونحن نلحظ شيئاً من هذا فى أطفالنا حين يجمعون الكلمات جموعاً خاصة بهم كقولهم : قبطيين بدلا من أقباط وقولهم قلمات بدلاً من أقلام ، كما نلحظها فى اشتقاقهم صفات مثل : أحمرة . أخضرة . ومن أطفالنا من يشتقون المضارع أو الماضى اشتقاقاً حاصاً قياساً على أفعال سمعوها ممن حولهم من الكبار ولاعتبارات خاصة تمر بأذهانهم الصغيرة وقد سمعت طفلا قاهرياً يوماً يضم عين الماضى والمضارع فى الفعل ( خلص يخلص ) ولولا وثوق الصلة بين الجيل الناشئ وجيل الكبار فى البيئة المتحضرة وتكرر سماع النطق الصحيح على أذهان الأطفال فيها لنشأ فى كلامهم كثير من أمثلة هذا القياس الخاطئ ولنشأوا عليه ثم أصبح فى كلامهم أمراً معترفاً به . فالطفل قد قاس المضارع ( يخلُص ) على ( يدخل ويخرج ) وغيرهما من أفعال شائعة فى لغته .

فالقياس فى هذه الأفعال إما أن يكون قد حدث فى الماضى فحول باب « نصر » إلى باب كرم ، أو حدث فى المضارع فحول ذلك الباب الذى نسمعه فى اللهجات الحديثة والذى رفضه الصرفيون وهو المضموم عين الماضى والمفتوح عين المضارع إلى مايسمى بباب « كرم » .

وعلى هذا فالقاعدة التى يخضع لها اشتقاق الماضى من المضارع أو العكس كما تبرهن عليها الأفعال الصحيحة الواردة فى « المحيط » التى اختصت كل منها بباب واحد يمكن أن تبسط فى الصورة الآتية :

(١) الماضى المفتوح العين يكون مضارعه مضموم العين أو مكسورها إلا حين تكون

لامه أو عينه من حروف الحلق وحينئذ يجب فتح عين المضارع .

(٢) الماضى المكسور العين لايكون مضارعه إلا مفتوح العين .

ثانياً : الأفعال المشتركة التى روى لكل منها أكثر من باب لا تكاد تزيد على ١٣٠٠ غير أن المعنى يختلف اختلافاً بينا مع كل باب فى الكثرة الغالبة من هذه الأفعال . وليس يكفى للربط بين فعلين مختلفين فى المعنى اختلافاً بعيداً أن يشتركا فى اللفظ ، فربما كان أحدهما قد مر فى أطوار صوتية ترتب عليها أن تصادف الاشتراك فى اللفظ بينه وبين غيره . ومن التعسف حينئذ أن نعد مثل هذا من المشترك اللفظى الذى يشترط فيه وضوح العلاقة بين المعنيين كالانتقال من الحقيقة إلى المجاز أو التطور المعقول المقبول فى المعنى وغير ذلك من عوامل المشترك اللفظى . ولم يفطن أصحاب المعاجم إلى أنه قد تمر الكلمة بتطورات صوتية لسبب من الأسباب فتنشأ لها صورة جديدة فيتصادف أن تشترك فى اللفظ مع كلمة أخرى بعيدة عنها كل البعد فى المعنى . وقد كان حين صنفوا معاجمهم أن جمعوا مثل هذه الكلمات معا دون إشارة إلى الفارق الكبير فى معناها وجاءونا فى المعاجم بكلمات كثيرة تشترك لفظاً وتختلف اختلافاً بينا فى المعنى بحيث لانكاد نشعر بأى ارتباط بين المعنيين : انظر مثلا إلى ماذكره أصحاب المعاجم من أن لكلمة « التغب » معنيين غير ظاهرى العلاقة هما . « الوسخ والدرن ، ثم القحط والجوع » . ونحن نعلم فى موضع آخر من معاجمهم كلمة « السغب » التى تعنى الجوع فقط . أليس من المعقول أن نقول إن كلمة « السغب » قد مرت فى لهجة من اللهجات بتطورات صوتية وذلك بقلب السين إلى تاء كما حدث فى القبائل اليمنية حين قالوا «النات» بدلا من « الناس » ويترتب على هذا أن تنشأ كلمة « التغب » بمعنى الجوع مع « التغب » بمعنى الدرن والوسخ ثم جاء جامعو المعاجم ونسبوا معنيين مختلفين لكلمة « التغب » وعدوها من المشترك اللفظى . ولاشك أن ما حدث فى هذه الكلمة قد تم فى أفعال كثيرة تنحدر فى الأصل من منابع مختلفة ثم تصادف أن كان الاشتراك فى اللفظ ، وإلا كيف نتصور أن مجرد الانتقال بالفعل « أصل » من باب فرح إلى باب كرم غير المعنى من أسن الماء وتغير رائحته إلى أن يصبح المرء ذا حسب ونسب ، أليس الأولى أن نقول أن ( أصل ) بمعنى صار ذا حسب وأصل ترتبط بمادة « الأسل » ، أو أن نقول أن « أصل » بمعنى أسن ترتبط بهذه المادة ثم تغيرت النون إلى اللام والسين إلى الصاد ؟ فالأفعال التى تختلف بينها المعانى مثل هذا الاختلاف البعيد يجب أن تدرس وحدها وأن ينظر إليها على أنها تنحدر من ينابيع متعددة . ومثل الفعل « أصل » ذلك الفعل « خرف » فهو من باب نصر بمعنى جنى الثمر ومن باب كرم بمعنى فسد عقله .

يجب إذن أن ندع جانباً الأفعال التى اختلفت أبوابها فاختلفت معانيها لذلك اختلافاً بينا لايشير إلى أى علاقة أو شبه علاقة .

أما حين نلحظ العلاقة بين المعنيين كما فى الفعل « عرف » من باب ضرب بمعنى المعرفة

ومن باب فرح بمعنى العرف وطيب الرائحة أو كان لفعل « أنف » من باب فرح بمعنى ترفع عن الشئ ، ومن باب نصر بمعنى ضرب أنفه، فالمبرر لاختلاف الباب هو ذلك التغيير الطفيف فى المعنى ومثل هذا يمكن أن يقال فى كل باب « كرم » . فانتقال الفعل من التعدى إلى اللزوم أو من الاختيار إلى الاجبار مبرر كاف فى كل اللهجات لاختلاف الأبواب .

أما الأفعال التى وردت فى المحيط مشتركة فى المعنى مختلفة فى الباب فلا تكاد تعدو ٥٠٠ موزعة حسب النسب الآتية :

(١) من باب نصر وضرب ٥٠٪

(٢) من باب ضرب وفرح ١٢٪

(٣) من باب نصر وفرح ١٤٪

(٤) من باب فرح وكرم ١٢٪

(٥) من باب نصر وكرم ١٠٪

(٦) من باب كرم وضرب ٢٪

وقد لاحظ القدماء كثرة الاشتراك فى باب نصر وضرب وقرروا أنه من الممكن نقل الفعل من أحد البابين إلى الآخر إلا حين يكون هناك سماع ينص على التحديد . وهنا نسأل أنفسنا عن معنى السماع فى كلامهم الحق أنه فى حالة اشتراك الفعل فى هذين البابين يجب أن ننسب كلا منهما إلى بيئة لغوية تخالف الأخرى فلا يعقل أن الرجل فى البيئة الواحدة كان من الاختيار والحرية بحيث ينطق مثل هذه الأفعال على هواه مرة من باب ضرب وأخرى من باب نصر ، كما لايعقل أن أفراداً فى البيئة الواحدة كانوا يؤثرون فى هذه الأفعال باب ضرب وأن آخرين كانوا يؤثرون باب نصر . لأن شرط اللهجة فى البيئة الواحدة الاطراد ولاانسجام بين جميع الأفراد فى كلامهم ونطقهم . ولله در ابن درستويه حين يقول فى شرح الفصيح « لايكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجئ ذلك فى لغتين مختلفتين فأما فى لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين وانما سمعوا العرب تتكلم ذلك على طباعها ومافى نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ماجرت به عاداتها وتعارفها ولم يعرف السامعون العلة فيه والفروق فظنوا أنهما بمعنى واحد وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم . فان كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب فقد أخطئوا عليهم فى تأويلهم مالايجوز فى الحكمة وليس يجئ شئ من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا أو يكون على معنيين مختلفين(١).

فاختلاف البيئة فى رأيه ان لم يتبعه اختلاف فى المعنى يجب أن ينسب إلى لهجتين مختلفتين وليس الاختلاف بين باب نصر وباب ضرب الا اختلافاً فى البيئة . وعلى هذا يمكن حين يشترك الفعل فى بابى ضرب ونصر أن ننسب باب ضرب إلى البيئة الحجازية التى آثرت الكسر فى كثير من التغييرات الصوتية وأن ننسب باب نصر إلى البيئة البدوية التى آثرت الضم (٢) . ولاشك أن الرواة وأصحاب المعاجم كانوا يجمعون من معظم القبائل فى جزيرة

---

(١) نقلا عن المزهر للسيوطى صفحة ٣٨٤

(٢) انظر « اللهجات العربية » صفحة ٧٣

العرب دون تفرقة بين بيئة حضرية أو بدوية و دون نسبة الباب إلى إحدى البيئتين .

على أنه من الممكن أن يقال هنا ان الاختلاف فى البيئة ليس بذى خطر وذلك للصلة الوثيقة بين الضم والكسر من الناحية الصوتية .

فكما نسمع الآن فى اللهجات الحديثة بعض الناس يؤثرون الضم فى ماضى الأفعال :

صغُر . سخُن . طهُق . زهُق .

نرى آخرين من نفس البيئة يؤثرون الكسر فيها . وعلى هذا ربما كانت تلك الأفعال المشتركة فى بابى ضرب ونصر تستعمل فى لهجة واحدة . وقد يستأنس لهذا الرأى بتلك الأفعال القرآنية التى جاءت فى المعاجم على أنها مشتركة فى بابى ضرب ونصر وتلك هى :

عقل . ربط . نفر . قدر . سبق . بطش .

وهذه أفعال جاءت فى القرآن الكريم من باب ضرب وقد ذكرت المعاجم أنها من باب نصر أيضاً .

أما الأفعال التى جاءت فى القرآن من باب نصر وذكرت المعاجم أنها من باب ضرب أيضاً فهى :

حسد . نكث . حشر . درس . فسق . نقص .

فنحن نرى أن لغة القرآن الكريم وهى لهجة موحدة منسجمة لاشك فى هذا ، قد استعملت أفعالا قيل عنها انها مشتركة بين بابى ضرب ونصر فاختارت فى ستة منها باب « ضرب » وفى ستة أخرى باب « نصر » . تلك نسبة متعادلة تثير الدهشة والعجب .

أما الاشتراك فى بابى ضرب وفرح أو الاشتراك فى بابى نصر وفرح فيجب حين يتحد المعنى ألا نعترف بأحد البابين ، مختارين منهما ماتنطبق عليه الأسس التى تحدثنا عنها آنفاً ، فاذا كان الفعل من الأفعال الاختيارية حددنا له باب نصر أو ضرب وضربنا صفحاً بباب فرح الذى نسبته له المعاجم . أما إذا كان من الأفعال الاجبارية حددنا له باب فرح وضربنا صفحاً عن بابى نصر وضرب .

وحين نجد أفعالا تشترك فى بابى فرح وكرم يجدر بنا أن نجعلها للباب الأول وحده .

فاذا كانت الأفعال مشتركة بين باب كرم وبابى نصر وضرب فسرناها على أن معناها من باب كرم قد قصد فيه المبالغة وأن الفعل من بابى نصر وضرب قد حول إلى كرم للرغبة فى جعل المعنى من الصفات الغرزية الثابتة .

تلك هى النتائج التى وصلنا إليها من دراسة أبواب الثلاثى على ضوء ماورد فى قاموس المحيط من الأفعال الثلاثية الصحيحة ويجدر بمجمع اللغة العربية أن يقف من هذه الأبواب موقفاً حاسماً ييسر على طلاب العربية الاهتداء إليها لأن كثيراً من المتعلمين يضلون فى نطق هذه الأبواب ويضطرون للسؤال عنها أو الكشف عنها فى المعاجم وقد رسخ فى أذهانهم أن الأمر كله مرجعه إلى السماع .

# اسم المصدر فى المعاجم

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو المجمع*

يقوم المجمع اليوم بعمل معجمين : المعجم الوسيط ، والمعجم التاريخى الكبير ؛ ليخرج للناس معاجم تمتاز عن المعاجم السابقة بترتيب يجعل الاستفادة منها أيسر ، وبعبارات تعرض المعانى فى أجلى صورة ، علاوة على إيداعها ألفاظاً وضعها المجمع أو أقر وضعها استيفاء لمقتضيات العلم والحضارة .

وهذا الاتجاه الموفق دعانى إلى أن أطرح على بساط المؤتمر الموقر بحثاً فى كلمة ترد فى المعاجم على وجه غير منضبط ، وغير واضح وضوحاً يسارع بمعناها إلى أذهان عامة المطالعين. وهذه الكلمة هى اسم المصدر الذى يشيرون إليه بعد ذكر الفعل أو المصدر أو الوصف بقولهم « اسم المصدر كذا » أو « الاسم منه كذا » أو « الاسم كذا » أو « وكذا الاسم ».

توجد هذه الكلمة فى المعاجم القديمة ككتاب الصحاح والمخصص والجمهرة لابن دريد والنهاية لابن الأثير والقاموس المحيط ولسان العرب والمصباح كما توجد فى المعاجم الحديثة كالبستان وأقرب الموارد ، ولاتخلو منها كتب الأدب كالكامل للمبرد ، والأمالى لأبى على القالى ، بل توجد فى عبارات يعزوها بعض أصحاب المعاجم إلى الأقدمين من علماء العربية كالخليل وسيبويه وأبى عبيدة .

ودخلت هذه الكلمة فى كتب العلوم الأخرى وذاعت فى شروحها وحواشيها حتى انساقت إلى التفسير وشروح الحديث عند مايرد شىء من أفرادها فى القرآن الكريم أو الحديث الشريف ، وجرت على ألسنة الفقهاء عند تعريف بعض الحقائق الشرعية كالطهارة والسرقة والعطية .

ولا أحسب أن فى اللغات الواسعة النطاق لغة تخلو من اسم المصدر ، وأعرف أن فى اللغة الألمانية مصدراً infinitive واسم مصدر Substamtivischer Infinitive

والقصد من كلمتنا هذه يرجع إلى أربعة أهداف .

(أولها) بيان ماهو اسم المصدر فى عرف علماء العربية .

(ثانيها) عرض أمثلة ترون فيها كيف اختلف أصحاب المعاجم فى تمييز اسم المصدر عن المصدر ؛ وساروا فى ذكره على طريقة غير منتظمة .

(ثالثها) أسباب هذا الاختلاف .

(رابعها) البحث عما ينبغى أن نأخذ به

---

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة التاسعة للمؤتمر ( ١٨ من يناير ١٩٥٠ ) ووفق على إحالته إلى لجنة الأصول .

فى المعاجم التى بين أيدينا عندما يقتضى الحال ذكر هذا الصنف من المشتقات .

ما اسم المصدر؟ وما الفرق بينه وبين المصدر؟

حيث جعلنا الهدف الأخير لهذا البحث لفت نظر المجمع إلى رسم الطريقة التى ينبغى أن تسير عليها معاجمنا فى الصيغ التى تسميها المعاجم السابقة اسم مصدر ، رأيت أن أضع على وجه التذكرة أمام المجمع مذاهب علماء العربية فى هذا المصطلح وما قرروه فى الفرق بينه وبين المصدر ، فأقول :

اسم المصدر : كلمة جرى عرف علماء العربية باستعمالها فى نوع خاص من الكلمات المشتقة ، يجرى بحثها فى علمى الصرف والنحو ، ينظر الصرفيون فى بحثها إلى حال بنيتها واشتقاقها ، ويبحثها النحويون من جهة إعرابها وعملها عمل المصدر فى نحو الفاعل والمفعول ، ويتناول كل منهما عند شرح معناها الفرق بينها وبين المصدر .

يقسم بعض النحويين اسم المصدر إلى ثلاثة أقسام : ( أحدها ) الاسم المشتق من المصدر بزيادة ميم فى أوله نحو ضرب مَضرِباً أى ضربا ، وأكرم مُكرماً أى إكراماً . وليس هذا موضع بحثنا ، لأنه من الصيغ المطردة المنضبطة فلا يقع فى اشتقاقه غلط ، ولا فى معناه التباس . على أن كثيراً من النحويين والصرفيين يسمونه مصدراً ميمياً لا اسم مصدر .

( ثانيها ) اسم يدل على مايدل عليه المصدر ويجرى عليه من الأحكام مايجرى على بعض الأعلام من البناء أو المنع من الصرف نحو برة غير مصروف بمعنى المبرة ، وفجارِ مبنياً على الكسر بمعنى الفجور ، ونظيره بداد ومعناه البدْءة أو الميادة وهى التفرق ، وهمام ومعناه الهمة ، وصلاحِ ومعناه المصالحة ، وورد إطلاق اسم المصدر على هذا النوع فى كتاب سيبويه إذ قال : ومما جاء اسماً للمصدر قول الشاعر :

إنا اقتسمنا خطتينا بيننـــا
فحملتِ بُرّة واحتملتْ فَجَارِ

وليس هذا النوع أيضاً موضع بحثنا لأنه يمتاز عن المصادر بما أجرى عليه من أحكام العلم ، وهى ألفاظ محصورة فى المعاجم ليست بكثير .

( ثالثها ) اسم دال على معنى المصدر ولكنه يخالف المصدر فى عدم جريانه على الفعل الذى يجرى عليه المصدر ، نحو الصلح اسم مصدر للمصالحة ، فالمصالحة مصدر لصالح ، والصلح اسم للمصدر أعنى المصالحة ، لأنه لايجرى على فعل صالح .

وهذا النوع هو الذى نريد بحثه فى هذا الحديث ونعنيه باسم المصدر أو هو الذى اختلفت كلمة النحاة فى تعريفه ، وافترقت المعاجم فى إيراده بين المشتقات .

وإليكم بعض النصوص المعبرة عما يراد منه ، الكاشفة عما بينه وبين المصدر من فروق . وستلمحون فى نصوص أولئك الباحثين اختلافاً أدى إليه ما ألفوه من حرية الرأى وإطلاق الفكر فى مجال الاجتهاد ، ولايضر

الاختلاف الضادر عن حرية واجتهاد: مادام وراءه نقد بريء يميز الراجح من الضعيف ، والمخطئ من المصيب .

والنصوص التى سنسوقها فى التعريف باسم المصدر بعضها يبين الفرق بين المصدر واسم المصدر من جهة اللفظ ،وبعضها يبين الفرق بينهما من جهة المعنى .

قال أبو اسحاق الشاطبى فى شرح الخلاصة:

«اسم المصدر يطلق عند النحويين بإطلاقين أحدهما : أن يكون معناه الاسم المشتق من المصدر بزيادة ميم فى أوله كقولك ضرب مضربا وقتل مقتلا ، وأكرم مكرماً (١) . والثانى أن يكون معناه الاسم الدال على معنى المصدر المخالف له بعدم جريانه على فعله ،ومثاله الكلام والسلام والعون والكبر والطاقة والطاعة والعطاء والعسرة والثواب ،فإن هذه الكلمات ونحوها غير جارية على أفعالها : والجارى على سلّم التسليم ،وعلى كلّم التكليم ،وعلى أعان الإعانة وكذلك سائرها (أى والجارى على تكبر التكبر ، وعلى أطاق الإطاقة ، وعلى أطاع الإطاعة ، وعلى أعطى الإعطاء ، وعلى أعسر الإعسار ، وعلى أثاب الإثابة ) ،فالجارى هو المصدر وغير الجارى هو اسم المصدر .»

وقد رأيتموه كيف أتى بهذه الأمثلة من الصيغ التى جاءت حروفها أقل من حروف الفعل وهذا مايصرح به جمهور النحويين : إذ يجعلون الفرق بين المصدر واسم المصدر فى اللفظ أن تكون أحرف اسم المصدر أقل من أحرف الفعل ؛ فإن ساوت أحرف الصيغة أحرف الفعل ؛ أو كانت أزيد منها فذاك هو المصدر ، والظاهر أن أبا اسحاق يريد بجريان المصدر على فعله أن يكون المصدر مشتملاً على أحرف الفعل سواء كانت أحرفه مساوية أو أزيد ، وبعدم الجريان على الفعل أن تكون أحرفه أنقص من أحرف الفعل، فيدخل فى تعريف المصدر المصادر غير القياسية ، وهى المصادر الشاذة الموقوفة على السماع ،فتكون الصيغ التى تدل على الحدث : مصادر قياسية ومصادر سماعية وأسماء مصادر .

وقد ذكر ابن القيم فى كتاب «بدائع الفوائد» هذا الفرق فقال: «إن المصدر هو الجارى على فعله الذى هو قياسه كالإفعال من أفعل ، والتفعيل من فعّل ، والانفعال من انفعل ، والتفعُّل من تفعّل ؛ وأما السلام والكلام فليسا بجاريين على فعليهما ،ولو جريا عليه لقيل تسليم وتكليم .

وإذا كان المصدر ما يجرى على قياس فعله واسم المصدر مالايجرى على قياس فعله بقيت المصادر التى لاتجرى على قياس فعلها ، وهى المصادر السماعية ،خارجة عن التعريفين أى : تعريف المصدر لأنها غير جارية على فعلها ، وعن تعريف اسم المصدر لأنها تجىء مساوية للفعل بأحرفها أو أزيد منها .

والفرق بين المصدر واسم المصدر فى اللغة الألمانية من جهة اللفظ أن المصدر ما كان منتهياً

(١) وهذا هو الذى أشرنا إليه آنفا وقلنا لا نقصد إلى بحثه فى هذه الكلمة .

بحرف en دائماً نحو Kammen المجيء و Gehen الذهاب . وأما اسم المصدر فإنه يأتى فى صيغ مختلفة .

هذا مايقرره علماؤنا من الفرق بين المصدر واسم المصدر من جهة اللفظ ، وأما الفرق بينهما من جهة المعنى فقد افترقوا فى ذلك على ستة مذاهب :

(١) أن اسم المصدر يدل على مايدل عليه المصدر ، أعنى الحدث فهما فى المعنى سواء . وإنما الاختلاف بينهما فى اللفظ فقط ، وهذا مايوافق قول الشاطبى فيما نقلناه عنه فى تعريف اسم المصدر « الاسم الدال على معنى المصدر ، المخالف له بعدم جريانه على فعله » وقال ابن مالك فى التسهيل « اسم المصدر هو مادل على معناه ... » الخ .

(٢) أن معنى اسم المصدر هو لفظ المصدر من حيث دلالته على الحدث ، فتكون دلالة اسم المصدر على الحدث بواسطة دلالته على لفظ المصدر ، فمدلول عطاء لفظ الإعطاء من حيث دلالة الإعطاء على المعنى الصادر من الفاعل وهو المناولة ، وهذا الرأى وإن اختاره بعض كبار النحويين كأبى حيان نراه بعيداً ، ودعوى أن العربى عندما يعبر بلفظ الإعطاء يريد به نفس الفعل ، وإذا عبر بالعطاء يريد منه كلمة الإعطاء ليتوصل منها إلى معناها الذى هو المناولة ، تعسف ينبو عنه الفكر .

(٣) ثالث المذاهب أن معنى المصدر هو الفعل مع ملاحظة تعلقه بالمنسوب إليه ، وأما اسم المصدر فهو موضوع للفعل من حيث هو ، بلا اعتبار تعلقه بالمنسوب إليه وإن كان له تعلق فى الواقع ، قال الرضى : الحدث إن اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمى مصدراً ، وإذا لم يعتبر من هذه الحيثية سمى اسم مصدر ، ويرجع إلى هذا المذهب قول ابن القيم فى كتاب بدائع الفوائد « وأما الفرق المعنوى أى بين المصدر واسم المصدر فهو أن المصدر دال على الحدث وفاعله ، فإذا قلت تكليم وتسليم وتعليم ونحو ذلك دل على الحدث ومن قام به ، فيدل التسليم على السلام والمسلم وكذلك التكليم والتعليم ، وأما اسم المصدر فإنما يدل على الحدث وحده ، فالسلام والكلام لايدل لفظه على مسلم ومكلم بخلاف التكليم والتسليم ، فاسم المصدر جردوه لمجرد الدلالة على الحدث » .

وقريب من هذا ما يقرر فى اللغة الألمانية من أن المصدر الأسمى يلاحظ فيه الحدث مجرداً عن اعتبار تعلقه بفاعل أو مفعول بخلاف المصدر ، ولعدم اعتبار تعلقه بفاعل أو مفعول صرحوا بأنه لا أثر له فى الإعراب فلا يعمل فى فاعل أو مفعول ، وكذلك يقول جماعة من علماء لغتنا إن اسم المصدر لايعمل فى شىء من متعلقات الفعل ، ووقف جماعة على شواهد قليلة فيها إعمال مايسمى مصدراً فأجازوا إعماله .

(٤) ورابع المذاهب ماحكاه أبو البقاء فى كلياته وهو أن المصدر مدلوله الفعل مع ملاحظة تعلقه بالفاعل ، واسم المصدر يدل

على الفعل أيضاً ، ولكن مع ملاحظة الأثر المترتب عليه .

(٥) خامسها أن المصدر اسم عين يستعمل بمعنى المصدر ، فيقال فيه عند استعماله لمعنى المصدر اسم مصدر ، قال الرضى فى شرح الكافية « هو اسم العين يستعمل بمعنى المصدر كقوله :

أكفرا بعد رد الموت عـــنى
وبعد عطائك المائة الرتاعـا

أى إعطائك ، والعطاء فى الأصل اسم لمـا يعطى » .

فاسم الحدث بناء على هذا الرأى لايسمى اسم مصدر إلا إذا ثبت أنه استعمل من قبل اسما لعين .

(٦) وسادس المذاهب ما أشار إليه فارس الشدياق فى كتاب الجاسوس إذ قال « الفرق بين المصدر والاسم أن المصدر يتضمن معنى الفعل ينصب مثله ، والاسم هو الحال التى حصلت من الفعل ، مثال ذلك الغَسل والغُسل تقول قد بالغت فى غسل هذا الثوبَ فتنصب الثوب ، فإن أردت الحال قلت : لست أرى فى هذا الثوب غسلا ، وهذا ماظهر لى » .

وهذا الرأى غير معروف فى كتب النحو صراحة . غير أنى وقفت على عبارة للشهاب الخفاجى فى شرحه للشفاء توافقه حيث ذكر صاحب الشفاء «الثناء والكرامة » فقال الشهاب مفسراً للكرامة : الكرامة اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الإكرام . والحاصل بالمصدر يريدون منه الأثر الذى يترتب على فعل الفاعل أعنى الإيقاع . فمدلول المصدر نفس الإيقاع الذى هو أمر معنوى لايشاهد وهو من مقولة الفعل ، ومدلول اسم المصدر أثره الذى هو هيئة محسوسة وهو بهذا المعنى من مقولة الكيف .

## اختلاف المعاجم فى أسماء المصادر

هل سار اللغويون فى معاجمهم عند إيراد اسم المصدر على قاعدة النحويين وهو أن تكون أحرفه أقل من أحرف الفعل أو أنهم اتخذوا قاعدة أخرى لهذا المصطلح وساروا عليها بانتظام ؟

هم يقولون فيما كانت أحرفه أقل من أحرف الفعل اسم مصدر ، فكثيراً ماتجدهم يذكرون فعلا على وزن أفعل أو فعل أو تفاعل أو نحوها من الأفعال المزيدة ، ويوردون صيغة أقل حروفاً منه على أنها اسم مصدر ، كما قال صاحب المخصص الأداء اسم من قولك أديت الشىء تأدية ، ولكننا نجدهم قد يذكرون الفعل الثلاثى ويسمون مايذكرونه بعدُ اسما وهو مساو لحروفه للفعل ، كما قال صاحب المصباح أثم أثما من باب تعب والإثم بالكسر اسم منه وقال صاحب المخصص : نبزه ينبزه نبزا ، والاسم المنبز . وقال صاحب البستان والصدر محركة الاسم من صدر أى رجع ، وقال صاحب المخصص : عفوت للحق خضعت والاسم العفوة . وقال صاحب الجمهرة غب الطعام يغب غباً والاسم الغب .

بل نجدهم يذكرون الفعل الثلاثى ويصلونه بما يسمونه اسماً وهو أزيد حروفاً من الفعل كما قال صاحب المصباح « أتى الرجل يأتى أتيا : جاء، والإتيان اسم منه » وقال « شت من باب ضرب والاسم الشتات » وقال صاحب القاموس « مرح كفرح ونشط : تبختر والاسم ككتاب أى مراح » وقال « صقله جلاه فهو مصقول وصقيل والاسم ككتاب » وقال : «فطمه فصله عن الرضاع والاسم ككتاب».

وقد يبدو للناظر فى المعاجم أن ليس للغويين قاعدة مضبوطة فى تسمية بعض أسماء المعانى أسماء مصادر ، لوجوه : (أحدها) أنهم قد يترددون أو يختلفون فى الصيغة الواحدة بين كونها مصدراً أو اسم مصدر كما قال صاحب القاموس : عتق العبد يعتق عتقاً ويفتح ، أو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ، وقال الصدق بالكسر والفتح ضد الكذب ؛ أو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ، وقال عاف عيفاً وعيافة وعيافا أو ككتاب مصدر وككتابة اسم،وقال صاحب المحكم : التلقاء اسم مصدر لا مصدر ؛ وقيل : مصدر ولا نظير له .

( ثانيها ) أنهم يختلفون فى الصيغة هل هى اسم مصدر أو هى مصدر فى بعض اللغات كما قال صاحب المصباح شربته شرباً بالفتح والاسم الشرب بالضم.وقيل هما لغتان أى كل منهما مصدر وكل مصدر عائد إلى لغة؛ وورد الحج بالفتح والحج بالكسر ، فقال أبو على الفارسى فى كتاب الحجة : الحج مصدر والحج الاسم،وقال غيره فى المخصص هما لغتان .

( ثالثها ) قد يدرج بعضهم فى أسماء المصادر صيغة يعدها النحويون من الصيغ الجارية على القياس كما عد صاحب المصباح : النواح اسم مصدر لناح مع أن الفعال بضم الفاء من الأوزان القياسية مما يدل على صوت كالصراخ وقد أورده صاحب القاموس فى المصادر ثم قال والاسم النياحة .

( رابعها ) أن يذكر فعلا ثلاثياً وفعلا آخر من المزيد . ويوردون صيغة واحدة على أنها اسم مصدر لهما كما قال صاحب المصباح فى مادة ألف : ألفته إلفاً : أنست به ، والاسم الألفة بالضم ، والألفة أيضاً اسم من الائتلاف

(خامسها) أن يختلف عمل المعجميين فى الصيغة الواحدة فيوردها أحدهم فى جملة المصادر ، ويقول الآخر عنها إنها اسم مصدر كما ساق صاحب القاموس المودة فى مصادر ود وعدها صاحب المصباح اسم مصدر فقال والاسم المودة ؛ وكما اختلفا فى لفظ مُزاحة ساقها صاحب المصباح مساق المصدر ، وعدها صاحب القاموس اسما لمصدر مزح. واختلفا فى لفظ البخل كفلس ؛ ساقه صاحب القاموس مساق المصادر لبخل: وعده صاحب المصباح اسم مصدر .

ونسب فارس الشدياق لصاحب القاموس تخليط المصدر باسم المصدر حيث ذكر القوت بالضم فى مصدر قات مع أن صاحب الصحاح

عده اسما إذ قال : والاسم القوت .

وقد يجدهم الناظر يذكرون للفعل الواحد بالمعنى الواحد مصادر متعددة ، ولا يسمون واحداً منها اسم مصدر ؛ كما ذكر صاحب القاموس لفعل لزم ستة مصادر ولحسر سبعة مصادر ولمكث تسعة مصادر وللتى أحد عشر مصدراً ولتم عشرة مصادر ولم يقل فى واحد منها إنه اسم مصدر .

وأحياناً يذكرون للفعل الواحد مصدراً ويردفونه بصيغ يقولون عنها إنها أسماءمصادر قد يكون من المعقول أن يذكروا للفعل المزيد صيغاً ليست جارية عليه ويسمونها أسماء مصدر ، كما قال صاحب القاموس:أوصاه ووصاه توصية عهد إليه والاسم الوصاة والوصاية والوصية ، ولكن النظر يقف عندما يذكرون فعلا ثلاثياً ومصدره ثم يذكرون صيغاً بمعنى المصدر ويسمونه أسماء مصدر ، كما قال صاحب القاموس «مزح مزحاً» ثم قال «ومزاحة ومزاحاً بضمهما وهما اسمان» .

## أسباب اختلاف المعاجم فى مسألة اسم المصدر :

لعدم اتحاد المعاجم على وجهة واحدةأسباب نعرض على حضراتكم مابدا لنا منها أثناءالبحث عسى أن يكون لعرضها أثر فى تلافى ذلك النقص فيما سيصدره المجمع من المعاجم :

(١) جرى علماء اللغة على أن يجمعوا لهجات القبائل العربية فى لغة واحدة ، فيذكرون للفعل الواحد مصادر متعددة ، وقد يكون للفعل فى لغة قبيلة صيغة مصدر ، وله فى لغة غيرها من القبائل صيغة أخرى ، فهذا صاحب القاموس — مثلا — عدد لكل من فعلى حمّل وكذب مصدرين هما التحميل والتحمال ، والتكذيب والكذّاب ، والواقع أن كل واحد من المصدرين عائد إلى لغة ، قال سيبويه فى الكتاب : «وقال قوم كلمته كلاماً وحملته حمالا» . وقال الكسائى : « أهل اليمن يجعلون مصدر فعّل فعالا . وغيرهم من العرب يجعلونه تفعيلا » . ومن أمثلة هذا أن صاحب القاموس ذكر مصادر فعل طلع فقال طلعت الشمس طلوعاً ومطلعاً ومطلعاً ، وسيبويه يقول فى الكتاب أتيتك مطلع الشمس ، أى عند طلوعها ، وهذه لغة بنى تميم وأما أهل الحجاز فيفتحون (أى اللام) .

ومن قبيل ما كان تعدد مصادره من اختلاف اللغات غزر ككرم غزرا وغزرا أى كثر ، فقد قال الأصمعى كما فى آمالى أبى على القالى إن الغزر لغة أهل البحرين ، والغزر بالفتح اللغة العالية .

ويدلكم على أن تعدد المصادر قد يكون من اختلاف اللغات أن قياس أهل نجد كما قال الرضى فى شرح الشافيــة أن يقولوا فى مصدر ما لم يسمع مصدره من فعل المفتوح العين فُعول متعديا كان أو لازماً ، وقياس الحجازيين فيه فعل متعديا كان أو لازماً .

ونشأ من إيراد المصادر من غير أن تنسب إلى قبائلها أن ألحقوا بعض المصادر باسم المصدر ، وإنما هو مصدر فى لغة من اللغات

كما عد بعضهم شربا بضم الشين اسم مصدر لشرب وإنما هى لغة تميم قال صاحب المزهر : شربت الماء شرباً، وبنو تميم يقولون شربت الماء شُرباً » .

(٢) ومن المصادر الجارية على بغض الأفعال مايوضع موضع مصدر آخر جار على فعله الخاص كوضع تعقيد موضع تعقد، فى قولك فصاحة الكلام : خلوصه من التعقيد . إذ الكلام إنما يوصف بالتعقد لا بالتعقيد ، ولكنك وضعت التعقيد موضع التعقد ، وقد جاء فى الكتاب العزيز « وتبتل إليه تبتيلا » . وضع هنا التبتيل موضع التبتل ، وكثيراً مايقول المتقدمون فى مثل هذا النوع : اسم أقيم مقام مصدر كذا ، وسماه سيبويه فى كتابه مصدراً فقال باب ماجاء المصدر فيه على غير الفعل لأن المعنى واحد ، وذلك قولهم اجتوروا تجاورا وتجاوروا اجتواراً، فإن معنى اجتوروا وتجاوروا واحد ، وأورد فى هذا القبيل آية « وتبتل إليه تبتيلا » وقول القطامى :

وخير الأمر ما استقبلت منـــه
وليس بأن تتبّعــه اتبــاعاً

كما استعمل رؤبة الانطواء موضع التطوى فى قوله « وقد تطويت انطواء الحضب » والحضب الحية. وقد يطلق بعض أهل العربية على هذا النوع كلمة اسم مصدر مع أن له فعلا يجرى عليه .

(٣) وقد يجد اللغوى اسم معنى ولايقف له على فعل من لفظه يجرى عليه، فيسميه اسم مصدر، كما قال ابن الحاجب فى أماليه : « واسم المصدر هو اسم المعنى وليس له فعل يجرى عليه كالقهقرى» . ولكن ثبت عند غيره أن له فعلا يجرى عليه، كما ورد فى القاموس أنهم قالوا قهقر أى رجع إلى خلف . وكما قال ابن درستويه فى شرح الفصيح : ليس واحد من الخطبة والخطبة بمصدر لقولك «خطب المرأة» يخطب ولكنهما اسمان يوضعان موضع المصدر لأن مصدر هذا الفعل غير مستعمل. وقد ثبت عند غيره أن له مصدراً جارياً عليه وهو الخطب، أورده صاحب القاموس وأضاف إليه الخطبة والخطّيبى على أن الثلاثة مصادر لهذا الفعل .

(٤) قد يسمون اللفظ الدال على الحدث اسم مصدر حيث يجدونه وارداً على صيغة غير معروفة فى المصادر ومن هنا أنكر كثير من علماء الصرف أن يكون ماجاء على وزن فعول بالفتح مصدراً وقالوا فيما ورد منه كقبول وولوع اسم مصدر لامصدر، وحكى صاحب اللسان عن ابن جنى أن المجوبة اسم مصدر من أجاب ثم قال « ولاتكون مصدراً لأن المفعلة عند سيبويه ليست من أبنية المصادر » وقال صاحب المحكم : التلقاء اسم مصدر لامصدر وإلا فتحت التاء فسماه اسم مصدر حيث ورد فى وزن غير معروف فى المصادر .

(٥) ثم إن اللغويين قد يصرحون بأن كذا اسم مصدر كما قال صاحب المخصص الجزاء اسم مصدر، وقد يقولون بعد ذكر الفعل والمصدر والاسم كذا ، ويتبعونه بما يدل على أنهم أرادوا اسم المصدر كما قال صاحب المخصص : أنفذت الأمر : قضيته والاسم النفذ،

يقال أمرته بنفذه أى إنفاذه . وتارة يردفونه بما يدل على أنهم أرادوا المشتق من نحو اسم الفاعل أو المفعول كما قال صاحب اللسان فى مادة دفأ : والاسم الدفء بالكسر وهو الشيء الذى يدفئك ، وقال صاحب العين فيما نقله صاحب المخصص وهو يتحدث عن صفد بمعنى أوثق « والاسم الصفاد، والصفاد: حبل يوثق به أو غل . »

وكما قال صاحب المخصص «فاد له مالٌ فيدا ، والاسم الفائدة وهو ما استفدت . » وقال فى فى مادة كنز : « والاسم الكنز وإنما أراد المال المكنوز أى المدفون بدليل قوله: والجمع كنوز» وكثيراً مايقول : والاسم كذا وإنما يريد اسم الفاعل . وقد تدلك الصيغة على أن المراد اسم الفاعل كما قال صاحب النهاية: بئس يبأس بؤسا وبأساً : افتقر ، والاسم بائس . وسيبويه قد يعبر فى الكتاب بالاسم عن اسم الفاعل كما قال بعد ذكر أفعال ومصادرها : والاسم قاتل والاسم خالق والاسم لاحس والاسم لاقم .

وقد يقولون بعد ذكر الفعل والمصدر : «والاسم كذا.» ولايستبين من عبارتهم ماذاأرادوا وهذا قد يختلف فى تفسيره الكاتبون فى اللغة أنفسهم ككلمة « بقيا » قال صاحب القاموس ( والاسم البقيا ) ولم يذكر مايبين المراد منها، وأوردها صاحب المخصص وقال : « البقيا الإبقاء على الشيء .» ولكن صاحب أقرب الموارد أوردها مع البقوى وقال : « أسماء لما بقى » ولم يقع اضطراب لمعاجم اللغة الألمانية فى ذكر اسم المصدر لأن المصادر عندهم كلها منتهية بحرفى en . فما عداها مما يدل على المعنى الذى يدل عليه المصدر هو اسم مصدر نحو der cang الذهاب وdie kemitnisالمعرفة و die siclt النظر

## ما الطريق التى يصح لنـــا أن نتحراها فى صنع معاجمنا ؟

إذا كانت كلمة اسم المصدر من المصطلحات التى نشأت فى الصدر الأول ودخلت فى معاجمنا قديماً وحديثاً بل فى أكثر العلوم العربية وكان لها نظير فى اللغات الراقية لانرى وجهاً للاستغناء عنها وإيرادها أينما وجدت فى قبيل المصادر حتى على المذهب المشهور القائل إن مدلول معنى اسم المصدر هو معنى المصدر ، ويمكننا أن نتحاشى ذلك الاختلال الواقع فى المعاجم بتقرير قاعدة مضبوطة بأن نعتمد الفرق بين المصدر واسم المصدر من جهة اللفظ على ماقاله النحاة واتبعته المعاجم فى أكثر المواد وهو أن اسم المصدر ماكانت أحرفه أنقص من أحرف الفعل ، والمصدر ماكانت أحرفه مساوية لأحرف الفعل أو أزيد منها . ونضم إلى هذا مايفهم من تعريف اسم المصدر من أنه إنما يكون للأفعال المزيد فيها ؛ أى لايكون للأفعال الثلاثية أو المصادر الثلاثية اسم فعل وقد صرح بذلك بدر الدين بن مالك فقال : «اسم المصدر ماكان لغير ثلاثى كالغسل والوضوء.» ونعتمد على أن لافرق بينهما من جهة المعنى أى أن كلا منهما يدل على المعنى الصادر من الفاعل أو القائم به ، وإذا أراد المتكلم أن يدل على معنى الفعل غير ملاحظ تعلقه بفاعل أو مفعول كان الأولى أن يدل عليه باسم المصدر لأنه أخصر ، وله أن يعبر بالمصدر إذ المصدر

نفسه قد يستعمل فى العربية مشاراً به إلى الأحداث كذات قائمة بنفسها، وذلك مايعنونه بقولهم : المصدر بمعنى الثبوت ومايشار به إلى الحدث باعتبار تعلقه بفاعل أو مفعول، وهو مايعنونه بقولهم المصدر بمعنى الحدوث(١) ومن المعروف فى اللسان الألمانى أن المصدر قد يستعمل كالمصدر الاسمى مراداً منه الحدث المجرد ويصلونه باداة التعريف der Komnen المجيء der Sehen الرؤية .

ويسوغ لنا أن نطرح من أسماء المصادر كل اسم معنى له فعل ثلاثى يلاقى الفعل المزيد فى المعنى ونذكره على أنه مصدر للفعل الثلاثى وإذا استعمل مع الفعل المزيد كأنه مصدر له جعلناه من قبيل المضدر الذى وضع موضع مصدر آخر وليس كل مصدر أقيم مقام مصدر آخر يستحق أن يسمى اسم مصدر، فنحو لفظ نبات له فعل ثلاثى هو نبت فاستعماله مع الفعل الذى يلاقيه فى المعنى وهو أنبت لايقتضى دخوله فى قبيل اسم المصدر وإنما هو مصدر أقيم مقام مصدر آخر لخفته أو لاستقامة الفاصلة أو القافية ونحو ذلك من مقتضيات حسن البيان. وممن درج على الفرق بين اسم المصدر وماوضع موضع المصدر صاحب المصباح حين تكلم عن لفظ نبات فى آية ( أنبتكم من الأرض نباتاً ) وقال : قيل : وضع موضع المصدر وقيل : هو اسم مصدر .

أما اسم المعنى الذى لم نجد له فعلا ثلاثياً يلاقى الفعل المزيد فى المعنى نحو عطاء وكلام وسلام فلتسميته اسم مصدر وجه وهو مجيئه على خلاف ماهو معهود فى المصادر من ارتباطها بالأفعال وجريانها عليها بمعنى استيفاء حروفها .

وترك تسمية بعض الألفاظ العربية باسم المصدر الذى هو مصطلح علمى لايمس جوهر اللغة بشيء وإنما هو تصرف فى اصطلاح لم يتفق عليه علماء العربية أنفسهم .

هذا ماظهر لى فى تلافى النقص الذى وقع لمعاجمنا فى مسألة اسم المصدر ، ولينظر المجمع الموقر ماذا يرى .

---

(١) شرح ابن هشام لقصيدة بانت سعاد .

# إعلال الواو والياء في اللغة العربية

د. محمود السمران

## مخرج الواو والياء وصفتاهما :

**( أ ) الواو :**

تبدأ أعضاء النطق فى اتخاذ الوضع المناسب لنطق الضمة ، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع نطق حركة الفتحة ، وعند نطق الواو تنضم الشفتان ، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان ، فالواو إذاً صوت مجهور شفوى حنكى قصى[1] .

أما ابن الجزرى فقد وصف للواو مخرجين ، الأول الجوف وهو للألف والواو الساكنة المضموم ماقبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها . وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين . وتسمى الهوائية والجوفية . قال الخليل : وإنما نسبن إلى الجوف لأنه آخر انقطاع مخرجهن . والمخرج الثانى وهو للواو غير المدية ومخرجها مما بين الشفتين[2] .

ونتفق مع ابن الجزرى فى تحديد مخرج الواو المدية وغير المدية ، إلا أننا نزيد عليه بأن أقصى اللسان يرتفع نحو أقصى الحنك عند نطق الواو فالواو فى رأيى صوت شفوى حنكى قصى .

**( ب ) الياء :**

تبدأ أعضاء النطق فى اتخاذ الوضع المناسب لنطق حركة الكسرة ، ثم تنتقل بسرعة إلى نطق حركة الفتحة . وعند نطق الياء يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب وتكسر الشفتان ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان . فالياء صوت مجهور حنكى وسيط[3] .

أما ابن الجزرى فقد وصف للياء مخرجين ، الأول : الجوف وهو للياء عندما تكون حرف مد أو لين ، والثانى : وهو للياء غير المدية ،

---

( ١ ) د. محمود السمران ، علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربى : ١٩٧ – ١٩٨

( ٢ ) ابن الجزرى ، النشر فى القراءات العشر : ١/١٩٩

( ٣ ) علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربى : ١٩٨

ومخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك[1] .

ونتفق مع ابن الجزرى فى تحديد مخرج الياء المدية وغير المدية ، إلا أننا نزيد عليه أنّ الشفتين تكسران ، وهذا فى الحقيقة يميز الياء المدية فى نحو ( فى ) .

اختلاف الواو والياء عن الحروف الأخرى :

تختلف الواو والياء عن الحروف الأخرى: فهما ليسا رخوين ، لأنه لا يحدث تضييق فى مجرى الفم بشكل يساعد على إنتاج الاحتكاك ، وهما ليسا شديدين ، لأنه لا يحدث التقاء محكم لأعضاء النطق بشكل يساعد على إنتاج الانفجار ، يقول ابن جنى فى تأكيد هذا الخلاف : « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا ، حتى يعرضُ له فى الحلقِ والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع ، أينما عرض له حرفاً ، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها . . . فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً حتى ينفذ ، فيفضى حسيراً إلى مخرج الهمزة ، فينقطع بالضرورة عندها ، إذا لم يجد منقطعاً فيما فوقها .

والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف إلا أن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف للصوت الذى يجرى فى الياء والواو ، والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الألف والواو . والعلة فى ذلك أنك تجد الفم والحلق فى ثلاث أحوال مختلف الأشكال . . . أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر ، وأما الياء فتجد معها الأضراس سُفْلاً وعُلْواً قد اكتنفت جنبتى اللسان وضغطته وتفاجّ[2] الحنك عن ظهر اللسان ، فجرى الصوت متصعّداً هناك . فلأجل تلك الفجوة ما استطال . وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ، ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت »[3] .

**وظيفة الواو والياء :**

١ – تقوم الواو والياء بوظيفة الحروف فتتبع بحركة مثل ولد ، ويترك ، وقد تسكنان نحو حَوْض وبَيْت .

٢ – تقوم الواو والياء بوظيفة الحركات[4] وهذا ما أسماه اللغويون واو المد نحو كتبُوا وياء المد نحو تكتبين ، وللمصطلحين مصطلح خاص هو الضمة الطويلة والكسرة الطويلة .

---

( ١ ) النشر فى القراءات العشر : ١/٢٠٠ .
( ٢ ) تفاج : تباعد .
( ٣ ) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب : ٨–٩ .
( ٤ ) د . كمال بشر ، الأصوات : ٨٤ – ٨٥ .

معنى هذا أن للواو والياء طبيعة انتقالية ، ولهذا يسميان صوتين انزلاقيين . والأمثلة الآتية توضح ذلك :

من المعروف أن المضارع من ( دعا ) هو ( يدعو ) ومن ( رمى ) هو ( يرمى ) . فالواو فى ( يدعو ) والياء فى ( يرمى ) حرفا مد ، وعند نصب هذين الفعلين بالفتحة على آخرهما سنجد أن الواو والياء يقومان بوظيفة الحروف نحو ( لن يَدْعُوَ ) و ( لن يَرْمِيَ ) . ويرجع هذا الانتقال فى الوظيفة إلى أن الواو واقعة بين ضمة وفتحة ، والياء واقعة بين كسرة وفتحة ، فهما إذاً يسهلان الانتقال بين هاتين الحركتين ، وهذا الانتقال يتضح أيضاً عند إسناد الفعلين ( يدعو ويرمى ) إلى ألف الاثنين فيقال : ( يدعوان ويرميان ) وأشار ابن الحاجب إلى ذلك بقوله : إن الواو والياء هنا يصحان نحو لن يغزو ولن يرمى[1] .

التغيير الذى يطرأ على الواو والياء :

يسمى التغيير الذى يطرأ على الواو أو الياء بالإعلال[2] أو بالتطور . من ذلك مثلا تتحول الواو أو الياء إلى فتحة طويلة ( ألف مد) نحو قَوَمَ وقَامَ ، وبَيَنَ وبَانَ ، وتبدل الواو المسبوقة بالكسرة ياء نحو مُعْوِد ومعيد . وتبدل الياء المسبوقة بالضمة واواً نحو طُيُبْيَ وطُوبَىَ . وتبدل الواو والياء همزة إذا وقعتا بعد فتحة طويلة ( ألف مد ) نحو قاوم وقائم ، باين وبائن .

فالإعلال إذاً ضرب من التطور . ومما يدل على ذلك أن هناك صيغاً حافظت على الصيغة الأصلية فى بيئة معينة . فإذا انتقلنا إلى بيئة أخرى وجدنا أن هذه الصيغة تطورت ، فتغيرت عن الصيغة الأصلية . من ذلك مثلا :

١ — روى أبو زيد أن قيس تقول : العَفْيَة وغيرها يقول : عَفَاة[3] .

٢ — قرأ قتادة قوله تعالى : « لمَثُوبَةٌ من عند الله خير » ( البقرة آية ١٠٣ ) بإسكان الثاء وفتح الواو أى « لمَثْوَبَةٌ »[4] . ووصف اللحيانى هذه الصيغة بأنها شاذة ، وأضاف إلى ذلك قوله : « وقال الكلابيون لا نعرف المَثْوَبَة ولكن المَثَابة »[5] .

٣ — حكى الفراء قول الشاعر عياض ابن أم درة الطائى :

حمى لا يحل الدهر إلا بإذننا
ولا نسأل الأقوام عهد المياثق

فى حين رواه أبو زيد بالواو على القياس أى عهد المواثق .

---

( ١ ) شرح الشافية : ١٥٥ .
( ٢ ) شرح المفصل : ١٠/٥٤ .
( ٣ ) د . علم الدين الجندى ، اللهجات فى التراث : ٤٣١ .
( ٤ ) مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . نشره برجشتراسر سنه ١٩٣٤ .
( ٥ ) لسان العرب لابن منظور .

٤ — ذكر ابن جنى عن أبى على قراءة عليه عن أبى العباس عن أبى عثمان الأصمعى . قال : بنو تميم — فيما زعم علماؤنا — يتمون مفعولا من الياء فيقولون : ثوب مخيوط . وبر مكيول . وبسرة مطيوبة (١) .

وأنشد علقمة :

يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم(٢)

قال الشاعر :

قد كان قومك يزعمونك سيداً
وإخـــال أنك سيد معيون(٣)

أما أهل الحجاز فى مثل هذا فيحذفون(٤) .

٥ — جاء فى الخصائص لابن جنى ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ، قال : يقال استصوبت الشئ ولايقال : استصبت الشئ . ومنه استحوذ وأغْيلت المرأة واستنوق الجمل . واستتيست الشاة(٥) .

٦ — جاء فى الكتاب لسيبويه وتبدل ( الواو ) مكان الألف فى الوقف وذلك قول بعضهم : أفْعُوْ(٦) وعزا اللسان صيغة أفْعُوْ إلى تميم وصيغة أفعى إلى أهل الحجاز(٧) .

وبعد فهذه صيغ قديمة لم يلحقها التطور . وليست شاذة كما ذهب اللغويون ، فقد وصف ابن جنى هذه الصيغ بأنها مطردة فى الاستعمال(٨) .

يوصف التطور الذى يطرأ على الأصوات بأنه بطىء . ولا يحدث فى كل الصيغ اللغوية . فقد يحدث فى صيغة ولا يحدث فى صيغة أخرى ، فمثلا الصيغة السامية القديمة ( قَوَمَ ) احتفظت بها الحبشية القديمة ( الجعزية ) فهى فيها ( Qawam )(٩) أما فى العربية فقد تطورت وأصبحت ( قَامَ ) . والصيغة السامية القديمة ( عَوَرَ ) و (صَيِدَ ) ظلت فى العربية دون تطور . ومن هذا القبيل أيضاً أن الواو والياء تُعلاّن فى نحو ( يَقْوُل) و ( يَبْيِنُ) فتحول الأولى إلى ( يَقُوْل ) والثانية إلى ( يَبِيْن ) ، ولكنهما لم يُعلاّ فى صيغة الفعل المضاعف نحو ابْيَضّ واسْوَدّ . وصيغة التعجب نحو (ما أبْيَنَ) و (ما أقْوَمَ) . ومن هذا أيضاً أن الواو والياء المحركتين بالفتحة الطويلة تعلان فى المصدر ، فتقلبان ألفاً ، ثم يستعاض عن أحد الألفين بتاء مربوطة نحو ( استقوام ) و ( استقامة ) ، ولكنهما يسلمان فى صيغ جموع التكسير نحو ( قوت وأقْوات ) و ( صَوْت وأصوات ) .

---

( ١ ) انظر نوادر أبى زيد — ٢٦٤ والخصائص ٣—١٥٧ ، وشرح المفصل ١٢٢/٥

( ٢ ) المقتضب : ١٠١/٢ ، الخصائص : ٢٦١/١ ، العينى : ٥٧٦/٤

( ٣ ) قائله العباس بن مرداس راجع المقتضب : ٢٠١/١ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٨١ ، وشرح التصريح : ٣٩٥/٢

( ٤ ) د . علم الدين الجندى ، اللهجات فى التراث : ٤٣١ و ٤١٥

( ٥ ) الخصائص : ١ / ٩٧—٩٨

( ٦ ) الكتاب : ٢١١/٤ تحقيق عبد السلام هارون

( ٧ ) اللسان ٢٠ / ١٨

( ٨ ) القياس والنحو العربى مجلة كلية اللغة العربية : ٣٠٢/١٠

( ٩ ) ( ترجمتى الخاصة ) Dillmann, Ethiopic Gr. P. 105

ويرتبط حدوث التطور أيضاً بظاهرة أخرى هي ظاهرة الموقعية [1] ، من أمثلة ذلك ما يلي :

١ ــ إذا سبقت الواو أو الياء الساكنتان بفتحة قصيرة فإنهما لا يسقطان إذا وقعا فى وسط الكلمة نحو ، يَوْم ، وبَيْت ، وحَوْقل ، وشَيْطن ، ويسقطان إذا وقعا فى طرف الصيغة نحو ( عَصَوْ وعَصَا ) و( قُرَىْ وقُرَى ).

٢ ــ الواو والياء المتحركتان بالفتحة المسبوقتان بساكن تتحولان إلى فتحة طويلة ( ألف مد ) إذا وقعتا فى الوسط نحو ( يُقَوِم ويُقَام ) ( أقْوَمَ وأقَامَ ) ولكنهما تسلمان إذا وقعتا فى الطرف نحو عَدْوٌ وَحْىٌ وصِيْنٌ .

قوانين التطور اللغوى :

من أهم قوانين التطور اللغوى المشابهة والمخالفة :

**أولا : المشابهة :**

هى عملية تحويل صوت إلى صوت آخر يشابهه أو يكون قريباً من الصوت التالى له أو السابق له ، والمشابهة نوعان : النوع الأول ، وفيه يؤثر الصوت الأول على الصوت الثانى ، فيتحول الصوت الثانى إلى صوت يشبه الصوت الأول وتسمى مشابهة تقدمية .

والنوع الثانى : وفيه يؤثر الصوت الثانى على الصوت الأول فيتحول إلى صوت مشابه له أو قريب منه وتسمى مشابهة رجعية .

**المشابهة التقدمية :**

ويؤدى هذا النوع إلى سقوط الصوت الثانى . والصوت المؤثر قد يكون صامتاً أو حركة . والمتأثر واو أو ياء .

(أ) عندما يكون الصوت المؤثر صامتاً (حرفاً) :

١ ــ تؤثر الياء على الضمة الطويلة ( واو المد ) التالية لها فى صيغة اسم المفعول الأجوف اليائى ، فتتحول إلى كسرة طويلة ( ياء مد ) ثم تسقط الياء ، وتنتقل الكسرة الطويلة ( ياء المد ) إلى الصامت ( الساكن ) قبلها فيتغير التركيب المقطعى للكلمة نحو مَبْيُوع ومَبِيع .

٢ ــ تؤثر الياء الساكنة على الواو التالية لها مباشرة فتتحول إلى ياء ، وتدغم فى الياء السابقة نحو أيْوام وأيَّام ، سَيْورد وسَيِّد .

(ب) عندما يكون الصوت المؤثر حركة :

١ ــ تؤثر الكسرة على الياء الساكنة التالية لها فتتحول إلى ياء مد للكسرة السابقة ،

---

( ١ ) يقصد بالموقعية الموقع الذى يقع فيه الواو أو الياء ، فقد يقعان فى بداية الكلمة أو فى وسط الكلمة أو فى طرف الكلمة ، وقد بنى سيبويه دراسته لإعلال الواو والياء على موقعيهما فى الكلمة ، يقول فى قلب الواو همزة فى نحو وعاء وإعاء : ولكن ناسا كثيرين يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولا ... ( الكتاب : ٤/٣٣١ ) وبنى سائر اللغويين قواعد إعلالهم على أساس الموقعية ، من ذلك مثلا : إذا تطرفت الواو والياء بعدألف زائدة قلبت همزة ( تصريف الأسماء د . عبد الرحمن شاهين : ١٦٧ ) .

ويتحول المقطع المغلق إلى مقطع مفتـوح نحو : ( مَيْقات ومَيِقات ) .

وتؤثر الضمة على الواو الساكنة التالية لها فتتحول إلى واو مد للضمة السابقة ويتحول المقطع المغلق إلى مقطع مفتوح نحو ( مُوْصَدة ومُوصَدة ) .

٢ ــ تؤثر الكسرة على الواو التالية ، فتتحول إلى ياء نحو ( رضِيو ورضِيى ) ، وإن كانت الواو ساكنة تتحول إلى ياء وتصبح الياء كسرة طويلة ( ياء مد ) نحو ( إوْعاد وإيعاد ) و ( عالوْ وعالى وعال ) و ( موْلاد وميلاد ) . وأشار اللغويون القدماء إلى ذلك فقالوا . تبدل الواو ياء لوقوعها ساكنة مفردة إثر كسرة[1] .

**المشابهة الرجعية :**

يؤدى هذا النوع إلى سقوط الصوت الأول ، والصوت المؤثر قد يكون الواو أو الياء أو حركة .

( أ ) عندما يكون الصوت الثانى المؤثر واواً أو ياء ، والمتأثر هو الواو أو الياء :

١ ــ تؤثر الياء على الواو الساكنة السابقة لها مباشرة ، فتتحول إلى ياء نحو ( شَوْى وشَيّ ) و ( كَوْى وكَيّ ) .

(ب) عندما يكون الصوت الثانى المؤثر واواً أو ياء والصوت الأول المتأثر حركة :

تؤثر الياء الساكنة على الضمة السابقة لها مباشرة فتتحول إلى كسرة ، ثم تصبح الياء الساكنة حرف مد للكسرة السابقة مثل : ( بُيْض وبِيض ) .

(ج) عندما يكون الصوت الثانى المؤثر حركة والمتأثر هو الواو أو الياء :

١ ــ تؤثر الكسرة على الياء السابقة لها فينتج كسرة طويلة ، وتنقل هذه الحركة إلى الساكن قبلها نحو : ( يَسِيرُ ويسير ) و ( مُصْيب ومُصيب ) .

٢ ــ تؤثر الكسرة على الواو السابقة لها فتتحول إلى ياء ، ثم تتحول الكسرة والياء ـ كما فى الحالة الأولى ــ إلى كسرة طويلة ، وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو ( مصيوب ومُصْيب ومَصيب ) و (مضيوف ومُضيف ومضِيف ) و ( مقول ومقيل ) .

٣ ــ تؤثر الضمة على الواو السابقة لها فينتج ضمة طوياة وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو ( يَقْوُل ويقُول ) .

٤ ــ تؤثر الفتحة على الواو أو الياء السابقتين فتبدلهما ألفاً نحو (يُقَوْلُ ويُقَالُ ) و ( أبَيَنَ وأبَانَ ) .

---

( ١ ) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٩٥ .

٥ ــ تؤثر الضمة الطويلة ( واو المد ) على الواو السابقة لها فتسقط . وتنتقل الضمة الطويلة ( واو المد ) إلى الساكن قبلها نحو ( مصْوُون ومَصوُن ) .

**ثانيا : المخالفة (١) :**

تتمثل فى نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف ، وتميل الواو أو الياء إلى قلبهما همزة فى اللغة العربية فى الأحوال الآتية :

١ ــ إذا التقت واوان فى أول الكلمة ، تخالف الواو الأولى إلى همزة نحو ( وَوَاق وأواق ) .

٢ ــ الواو المفتوحة أو المكسورة أو المضمومة فى بداية الكلمة تخالف إلى همزة عند أهل تميم نحو ( وِشاح وإشاح ) .

٣ ــ الواو والياء المحركة بالكسرة والمسبوقة بفتحة طويلة فى صيغة اسم الفاعل تخالف إلى همزة نحو ( قاول وقائل ) و ( بايع وبائع ) وكذلك فى المصدر نحو لقاء وبقاء وحياء وذلك عند أهل العالية(٢) .

**ثالثا :** تكون الواو والياء ضعيفتين إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين نحو ( قَوَم وقَام ) و ( بَيَنَ وبان ) ، لذلك يميلان نحو السقوط فى أوزان صرفية معينة وفى موقع معين ، إلا أنهما يسلمان إذا ضُعفا نحو سعودىّ وسوريّ وعراقى ، ويكثر ذلك فى صيغ النسب .

**رابعا : سبب مقطعى :**

إذا وقعت الواو أو الياء فى نهاية مقطع مزدوج تميل إلى السقوط لأن اللغة العربية تميل إلى التخلص من هذا النوع من المقاطع نحو ( لِيسْتْ ولسْتُ ) .

وفيما يلى دراسة مفصلة عن إعلال الواو والياء وفق أسس ثلاثة هى :

١ ــ قوانين التطور .

٢ ــ الصيغ التى يحدث فيها الإعلال .

٣ ــ الموقع الذى يحدث فيه الإعلال .

وسنقسم هذه الدراسة إلى قسمين : القسم الأول ، وهو خاص بالواو أو الياء الساكنتين ، والقسم الثانى خاص بالواو أو الياء المحركتين .

## القسم الأول : الواو والياء الساكنتان :

الواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة قصيرة

تسبق الواو والياء بحركة قصيرة قد تكون فتحة أو كسرة أو ضمة .

### ١ ــ الفتحة

للموقعية والوزن الصرفى أثر فى حدوث الإعلال أو عدم حدوثه .

---

(١) يقصد بالمخالفة إبدال الحرف حرفا يخالف الأول تمام المخالفة كقلب الواو همزة ، فالهمزة تخالف الواو تماما .

(٢) المقصود بأهل العالية هو نجد . قال الأصبهانى نقلا عن ابن الأعرابى نجد وسهان : السافلة والعالية ، فالسافلة ماولى العراق والعالية ماولى الحجاز وتهامة ( اللجهات فى التراث : ٩ )

من حيث الموقعية : أولا فى وسط الكلمة.

من حيث الصيغة الصرفية :

هناك ثلاث حالات هى :

( أ ) سقوط الواو والياء .

(ب) المحافظة على الواو والياء .

(ج ) تحويل الواو ياء .

( أ ) سقوط الواو والياء :

تسقط الواو والياء فى صيغة المضارع على وزن ( يَفْعِلُ ) نحو وَعَدَ فأصل صيغة المضارع ( يَوْعِدُ ) وأصبحت ( يَعِدُ ) وكذلك زاد، أصل صيغة المضارع ( يَزْيِدُ ) وأصبحت ( يَزِيد ) . وسار ، أصل صيغة المضارع ( يَسْيِرُ ) وأصبحت ( يَسِير )[1] .

(ب) المحافظة على الواو والياء :

تحافظ على الواو والياء فى الأوزان الصرفية الآتية :

١ — فَعْل نحو يَوْم وصَوْم وسَوْءة وبَيْت وسَيْر .

٢ — فَعْلَة نحو عَوْرة وبَيْضة .

٣ — مَفْعِل نحو مَوْعِد ومَوْقِع .

٤ — مَفْعُول نحو مَوْثُوق .

٥ — صيغة المضارع ( يَفْعَلُ ) نحو بَيْبَس .

٦ — صيغة استفْعَل نحو استَوْلى .

٧ — صيغة أفْعَل نحو أيْقن وأيْقظ وأوعد.

٨ — صيغة فَعلل نحو حَوْقَل وشَيْطَن .

٩ — صيغة تَفعيل نحو تَوْكيد . وقد تقلب الواو همزة عند بعض العرب فيقولون تَأْكيد[2] .

(ج ) تحويل الواو إلى ياء :

تتحول الواو إلى ياء فى حالتين :

( أ ) إذا تبعت الواو بالياء نحو ( رَوْيان ورَيّان ) .

(ب) إذا وقعت رابعة أو خامسة نحو (أعْطَوتُ وأعطيْتُ) و(زَكّوتُ وزَكّيتُ) و( تَعاطوتُ وتَعاطيتُ ) وعلى هذا النحو تزكّيتُ وتساقيْتَ واستدعيت .

ثانياً : فى طرف الكلمة :

تسقط الواو والياء ، وتنشأ فتحة طويلة ( ألف مد ) فى الأفعال والأسماء ، ومع الأسماء المنونة تقصر الفتحة الطويلة إلى فتحة قصيرة نحو (عَصَوْ وعَصَا الولد ومع التنوين عَصًا ) و ( قُرَىْ وقُرَى ومع التنوين قُرًى وبالمثل ( خُطَوْ وخُطا ) و ( شَتَىْ وشَتًى ) و ( عُفَىْ وعفاة ) و ( أعْمَىْ وأعْمَى ) ، (مُسَمَّوْ ومُسَمًّى). ويرى النحاة أن الواو والياء هنا محركتان على أساس وجود حركة الإعراب ، وبالتالى تكون الواو أو الياء قد تحركتا وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفاً ( أى فتحة طويلة ) ، ولكننا نرى

---

(١) د . إبراهيم هلال فى الوافى الحديث فى التصريف : ١٧٧ — ١٨٧ .

( ٢ ) ابن السكيت ، إصلاح المنطق : ٥٩

أن الإعراب لا يظهر فى الكلمات المفردة البعيدة عن التراكيب ، لهذا نرى أن الكلمات هنا ساكنة الآخر .

**٢ ــ الكسرة**

من حيث الموقع :

أولا : فى وسط الكلمة .

تؤثر الكسرة على الواو التالية لها فتستبدل ياء من باب المماثلة التقدمية ، ثم تتحول الياء إلى حرف مد للكسرة السابقة . أما الياء فتتحول إلى كسرة طويلة ( حرف مد للكسرة السابقة ) .

من حيث الصيغة الصرفية :

تطبق القاعدة السابقة على الصيغ الآتية :

١ ــ فِعْل نحو (طِيْب وطِيب) و (دِيْك ودِياك ) .

٢ ــ فِعْلة نحو ( ثِورَة وثِيرة ) .

٣ ــ فِعْلان نحو ( خِوْلان وخيلان ) و (جِورَان وجِيرَان) و (جِوْعان وجِيعان) .

٤ ــ مِفْعال نحو ( مِوْعَاد وميعَاد ) و(مِوقَات ومِيقات ) و ( مِوْزان وميزان ).

٥ ــ إفعال نحو ( إوْقَاد وإيقاد ) .

٦ ــ اسْتِفعال نحو (استِوثَاق واستِيثاق)[1] و ( استِوْلاء واستيلاء) ، يقول اللغويون : تتحول الواو إلى ياء لوقوعها ساكنة إثر كسرة[2]. وشرح سيبويه انقلاب الواو ياء فقال فى باب ماتقلب فيه الواو ياء: وذلك إذا سكنت وقبلها كسرة : فمن ذلك قولهم الميزان والميعاد ، وإنما كرهوا ذلك كما كرهوا الواو مع الياء فى لَيّة وسَيِّد ونحوهما ، وكما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى إنه ليس فى الكلام أن يكسروا أول حرف ويضموا الثانى نحو فِعُل ، ولا يكون ذلك لازماً فى غير الأول أيضاً ، إلا أن يدركه الإعراب ، نحو قولك : فخذ . وترك الواو فى مِوْزان أثقل ، من قِبل أنه ساكن فليس يحجزه عن الكسر شيء ، ألا ترى أنك إذا قلت وتِدة[3] قوى البيان للحركة ، فإذا أسكنت التاء لم يكن إلا الإدغام ؛ لأنه ليس بينهما حاجز ، فالواو والياء بمنزلة الحروف التى تتدانى فى المخرج ، لكثرة استعمالهم إياها . وأنهما لاتخلو الحروف منهما ومن الألف ، أو بعضهن ، فكان العمل من وجه آخر أخف عليهم ، كما أن رفع اللسان من موضع واحد أخفُّ عليهم فى الإدغام ، وكما أنهم إذا أدْنَوا الحرف من الحرف كان أخفَّ عليهم ، نحو قولهم ازدان واصطبر ، فهذه قصة الواو والياء[4]

---

(١) استوثاق صيغة استفعال من الفعل استوثق والفعل المجرد منه وثق .

(٢) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٦٥

(٣) وتدة مصدر من الفعل وتد .

(٤) الكتاب : ٤ / ٣٣٦ و ٣٣٧ تحقيق عبد السلام هارون .

ثانياً : في طرف الصيغة :

تؤثر الكسرة على الواو التالية فتتحول إلى ياء ثم تصبح ياء مد للكسرة السابقة ، أما الياء فتتحول إلى ياء مد للكسرة السابقة ، وتميل الكسرة الطويلة إلى التقصير مع التنوين نحو (غَازِيْ وغَازِي ومع التنوين غَازٍ) و (مُهْتَدِيْ ومُهْتَدِي ومع التنوين مُهْتَدٍ ). يقول اللغويون استثقلت الضمة أو الكسرة على الواو أو الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان ، الواو أو الياء والتنوين ، فحذفت الواو أو الياء وبقي التنوين[1].

## ٣ ـ الضـمة

سندرس الواو مستقلة عن الياء هنا :

الواو :

من حيث الموقع :

في وسط الكلمة .

تؤثر الضمة على الواو التالية فتتحول إلى حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) ، وذلك عند بعض القبائل العربية نحو ( مُوْصَدَه ومُوصَدة ) ، وتتحول إلى همزة عند بعض آخر من القبائل العربية نحو ( مُؤْصَدة ) .

جاء في إصلاح المنطق : أنشدنا أبو عمرو عن الكسائي :

يحن "إلى أجيال مكة ناقتي
ومن دونها أبواب صنعاء مُؤْصدة[2]

اليـــاء :

هناك حالتان من حالات المماثلة .

الحالة الأولى : وفيها تؤثر الضمة على الياء التالية لها فتتحول إلى واو من باب المماثلة التقدمية ، ثم تصبح الواو حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) .

الحالة الثانية : وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة فتتحول إلى ياء من باب المماثلة الرجعية ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة .

وفيما يلي دراسة مستقلة عن هاتين الحالتين :

الحالة الأولى : وفيها تؤثر الضمة على الياء التالية لها فتتحول إلى واو ، ثم تصبح الواو حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) ويقول اللغويون : تبدل الياء واواً لوقوعها ساكنة بعد ضمة .

من حيث الموقـــع .

أولا : في وسط الكلمة .

من حيث الصيغة .

يحدث هذا الإعلال في الصيغ الآتية :

١ ـ اسم الفاعل مُفعِل نحو (مُيقِن ومُوقِن) و ( مُيْسِر ومُوسِر ) .

٢ ـ فُعلَى عندما تكون اسما نحو ( ضُيُقَى وضُوقَى ) و ( كُيسَى وكُوسَى ) ، و ( طُيبَى وطُوبى[3] )

---

(١) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٨٤ (٢) إصلاح المنطق : ١٥٩ و ١٦٠

(٣) أما إذا كانت صفة فتحدث الحالة الثانية ، وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة فتتحول إلى كسرة ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة فيقال ضيق وكيسى صفتين ( الكتاب : ٤ / ٣٣٨ و ٣٣٩ تحقيق عبد السلام هارون )

وهذا يعني أن الحالة الأولى تحدث في صيغ صرفية معينة ، والحالة الثانية في صيغ صرفية أخرى ، أما ما ذهب إليه جان كانتينو من أنه يجوز أن نغلب الياء واواً أو أن تسلم فهذا غير مقبول في نظرنا ، لهذا نؤيد ما ذهب إليه سيبويه من أن القلب قاصر على الأسماء ، وعدم القلب قاصر على الصفات ( راجع علم الأصوات العربي لجان كانتينو : ١٣٩ والكتاب : ٤ / ٣٣٨ و ٣٣٩

ثانياً : فى طرف الكلمة :

من حيث الصيغة :

١ ــ فى صيغة الفعل الماضى فَعُلَ إذا كانت لامها ياء نحو ( قَضُيَ وقَضُوَ ) .

٢ ــ إذا وقعت الياء قبل تاء التأنيث نحو ( مُرْمُيَة ومُرْمُوَة ) .

٣ ــ إذا وقعت قبل زيادتى فعلان نحو ( رَمُيان ورَمُوَان ) .

٤ ــ إذا كانت الياء لاماً لاسم على وزن فَعْلَى نحو (تَقْيَ وتَقْوَى) ، وذلك للتمييز بين الاسم والصفة . فإن كانت صفة لم تقلب .

الحالة الثانية : وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة . فتتحول الضمة إلى كسرة ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة .

من حيث الموقع :

أولا : وسط الكلمة

من حيث الصيغة : تحدث ذلك فى الصيغ الآتية :

١ ــ صيغة فُعْلَى عندما تكون صفة نحو ( ضُيْقَى وضِيقَ ) و ( كُيْسَى وكِيسَى ) .

٢ ــ صيغة فُعْل جمع أفعل نحو ( هَيَاء وهُيْم وهِيم ) و ( بيضاء وبُيْض وبِيض ) .

ثانياً : طرف الكلمة

من حيث الصيغة :

تحدث ذلك فى صيغة تَفَاعُل نحو ( تَوَانَىْ وتَوَانِي وتوانٍ مع التنوين ) .

الواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة طويلة :

قد تسبق الواو أو اليــاء بحركة الفتحة الطويلة ( ألف المد ) أو الكسرة الطويلة ( ياء المد ) أو الضمة الطويلة ( واو المد )

( أ ) الفتحة الطويلة « ألف المد » :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعَال أو فِعَال .

تثبت الواو أو الياء عند تميم فيقال : حَيْاى وكِيسَاي وبِنَاى وردَاى ، وفِدَاى وعَلاَو وتخالف الواو أو الياء إلى همزة عند أهل العالية ( أهل نجد ) لذلك يقال : عَلاَء وحَيَاء وكِيسَاء وبِنَاء ورداء وفِدَاء ؛ ثم شاع ذلك فى العربية الفصحى .

(ب) الكسرة الطويلة :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعِيل . ( ياء مد ) .

تتحول الواو الساكنة المسبوقة بكسرة طويلة إلى ياء لتناسب الكسرة ، ثم تقصر الكسرة الطويلة لينشأ مقطع قصير ؛ لأن اللغة العربية لا تفضل المقطع الطويل فى طرف الكلمة ، ويؤدى تقصير المقطع الطويل إلى تضعيف الياء ، يقول اللغويون . اجتمعت الواو والياء وسكنت الأولى فقلبت الثانية ياء

---

( ١ ) الكتاب : ٤ / ٣٣٥ ــ ٣٣٩

( ٢ ) ابن عقيل : ٢/ ٥٦١

وأدغمت فى الياء[1] نحو (جَلِيوجَلِيِ وَجَلِيّ) وهى صيغة فعيل من الفعل جلا يجلو ) .

(جـ) الضمة الطويلة :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعُول أوفُعُول .

( أ ) إذا سبقت الواو بضمة طويلة ( واو مد ) : تقصر الضمة الطويلة إلى قصيرة وتضعف الواو نحو (عَدُووْ و عَدُوٌ ) و ( عُلُووْ وعُلُوٌ ) .

(ب) إذا سبقت الياء بضمة طويلة ( واو مد ) : تؤثر الياء عليها ؛ فتتحول الضمة الطويلة ( واو المد ) إلى كسرة طويلة ( ياء مد ) ثم تقصر إلى كسرة قصيرة وتضعّف الياء نحو (مُضْوِى ومُضِيٌّ) و(عُصُوى وعِصِيٌّ ) و ( دلوى ودِلِىّ ) يقول اللغويون : قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وكسر ما قبل الياء المشددة .

**القسم الثانى :**

**الواو أو الياء المتحركتان اذا سبقتا بحرف ساكن :**

١ — تُعَلّ الواو أو الياء بوجه عام إذا وقعت فى وسط الكلمة حسب التفصيلات المقبلة . ولكنهما يسلمان فى الصيغ الآتية :

( أ ) الفعل المضاعف نحو ابْيَضّ واسْوَدّ .

(ب) صيغة أفعل من المعتل الفاء نحو أوْفَى وأيْقَن .

(جـ) صيغة التعجب نحو : ما أبْيَنَ وما أقْوَمَ[2] .

٢ — تحول الواو أو الياء إلى حركة طويلة . وتنقل إلى الساكن قبلها ، وبالتالى سيحدث تغيير فى التركيب المقطعى للكلمة ، فمثلا ( يَهْيَبُ ) تتكون من ثلاثة مقاطع : الأول مغلق ( يَهْ ) . وكل من الثانى والثالث مفتوح ( يَ ؛ بُ ) . وبعد الإعلال ستتحول المقاطع الثلاثة إلى مقاطع مفتوحة هى : ( يـ — ها — ب ) ، وهذا الإعلال خاص بصيغ معينة .

٣ — تسقط الواو أو الياء . ويستعاض عنها بتاء التأنيث المربوطة : ويحدث هذا فى صيغ المصادر نحو إقوام ( وهى الصيغة الأساسية للمصدر الذى على وزن إفعال ) . وإقامة .

وسندرس فيما يلى بالتفصيل أحوال إعلال الواو أو الياء المحركتين والمسبوقتين بحرف ساكن :

قد تكون حركة الواو أو الياء فتحة قصيرة أو كسرة قصيرة أو ضمة قصيرة أو فتحة طويلة أو ضمة طويلة .

---

(١) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ٢٤١

(٢) ابن عقيل : ٢ / ٥٧٢

( ١ ) الواو أو الياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

من حيث الموقع :

أولا : فى وسط الكلمة

من حيث الصيغة :

( أ ) تسقط الياء أو الواو وتنشأ فتحة طويلة ( ألف مد ) فى الصيغ الآتية :

١ ــ صيغة الفعل المضارع ( يُفْعَل ) نحو ( يُقْوَل ويُقَال ) و ( يُسْيَل ويُسَال ) .

٢ ــ صيغة الفعل الماضى ( أفْعَلَ ) نحو ( أقْوَمَ وأقَامَ ) و ( أبْيَنَ وأبَانَ ) و ( أعْوَدَ وأعَادَ ) .

٣ ــ صيغة الفعل الماضى ( استفْعَل ) نحو ( استعْوَذ واستعَاذ ) و ( استشْوَر واستشَار ) واحتفظت قبيلة تميم بالصيغة الأصلية نحو استَحْوَذ واستَتْيَس واستَنْوَق .

٤ ــ صيغتا ( مَفْعَل ومَفْعَلة ) نحو ( مَسْوَق ومَسَاق ) و ( تَمْوَت وتَمَات ) و ( مَنْوَم ومَنَام ) و ( مَطْيَر ومَطَار ) و ( مَكْوَزة ومَكَازة ) .

٥ ــ صيغة ( مُفْعَل ) نحو ( مُقْوَم ومُقَام ) و ( مُعْوَذ ومُعَاذ ) .

٦ ــ صيغة ( مُستَفْعَل ) نحو ( مُسْتَشْوَر ومُسْتَشَار ) و ( مُسْتَعْوَن ومُسْتَعَان ) .

(ب) تمتاز أبنية المصدر بأن ألف المد المنقلبة عن واو أو ياء ــ كما فى الحالة السابقة ــ تسقط ويستعاض عنها بتاء مربوطة فى طرف الصيغة نحو (إقوام وإقام وإقامة) و ( إبيان وإبان وإبانة ) .

(جـ) تقلب الواو ياء فى الصيغ الآتية :

١ ــ الصفات التى على وزن «فُعْلَى» لتمييزها عن الأسماء التى على نفس الوزن ، ويحدث هذا القلب عند أهل تميم نحو (عُلْيَا وعُلْيَا) و (دُنْيَا ودُنْيَا) أما حُزْوَى وقُصْوَى فهما اسمان عند أهل تميم ويستعملهما أهل الحجاز صفتين .

٢ ــ صيغ التصغير التى تقع فيها الواو بعد الياء نحو (جَرْو وجُرَيْو وجُرَيّ) يقول النحاة فى تفسير هذا الإعلال : اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء .

٣ ــ لا يحدث إعلال فى صيغة ( افْعَلّ ) نحو اغْيَمّ[1] .

ثانياً : فى طرف الكلمة :

تسلم الواو والياء نحو عَدْوٌ ورَمْيٌ وصِيْنٌ .

(٢) الواو والياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

١ ــ تؤثر الكسرة على الواو ــ من باب المماثلة الرجعية ــ فتتحول الواو إلى ياء : ثم تصبح حرف مد للكسرة السابقة نحو ( مضوف ومضيف ) و ( مقول ومقيل ) .

---

( ١ ) ابن عقيل : ٢/٥٦٥ ، تصريف الأسماء : ١٦٦ .

٢ — تثبت الياء وتصبح حرف مد للكسرة التالية (كسرة طويلة ) نحو (مُبْيِنٍ ومُبِين ) و ( يَبْيِنِ ويَبِين ) و ( يَسْيِرِ ويَسِير ) .

٣ — إذا وقع قبل الواو ياء ، تدغم فى الياء المنقلبة عن واو مثل (سَيْوِد وسَيِّد وسَيِّد) و ( مَيْوِت ومَيِّت[1] ) .

( ٣ ) الواو المحركة بالضمة القصيرة :

تتحول إلى ضمة طويلة ، وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو ( يَقْوُل ويَقُول) .

وفى صيغ جموع التكسير تخالف الضمة إلى همزة عند بعض القبائل العربية نحو ( أدْوُر وأدْؤُر ) و ( أنْوُر وأنْؤُر ) .

(٤) الواو والياء المحركتان بالفتحة الطويلة ( ألف المد ) :

من حيث الموقع : وسط الكلمة .

من حيث الصيغة :

( أ ) المصدر :

تسقط الواو أو الياء وتنشأ ألف مد ( فتحة طويلة ) فيلتقى ألفا مد ( فتحتان طويلتان ) فتنتقل إحداهما إلى الساكن السابق ، ويستعاض عن الأخرى بتاء مربوطة فى نهاية الصيغة[2] ، وعلّل النحاة هذا الإعلال بقولهم : تحركت عين المصدر بحسب الأصل وفتح ما قبلها بحسب الآن ، فقلبت الواو أو الياء ألفاً ، فالتقى ساكنان ، الألف الجديدة التى هى عين الكلمة وألف المصدر ، فحذفت إحداهما . وعوض عنها تاء ، نحو ( استِعْواذ واستعاذة ) و(استِقْوام واستقامة ) و(إقْوام وإقامة ) و ( إضْيَاف وإضافة ) .

(ب) أبنية جموع التكسير :

لايحدث فيها مثل هذا الإعلال ، وإنما تسلم الواو أو الياء نحو ( صَوْت وأصْوات ) و ( قُوت وأقْوات ) و ( باب وأبواب ) و ( موت وأموات ) .

وإذا سبقت الواوَ ياءٌ ساكنةٌ تقلب الواو ياء وتدغم فى الياء الأولى نحو ( يوم وأيْوام وأيّام )

( ٥ ) الواو والياء المحركتان بالضمة الطويلة ( واو المد ) :

تحافظ تميم على الواو والياء المحركتان بالضمة الطويلة نحو مبيوع ومكيول ومديون ومعيون ومصوون ومقوون قال ابن جنى : بنو تميم — فيما زعم علماؤنا — يتمون مفعولا من الياء فيقولون : ثوب مخيوط وبسرة مطيوبة أما أهل الحجاز فيحذفون الواو وتنتقل حركتها إلى الساكن قبلها نحو ثوب مصون وقول مقول ، وفرس مقود ، ذكر ابن خالويه : ليس فى كلام العرب من ذوات الواو معقول خرج على أصله إلا فى حرفين ،

---

( ١ ) الكتاب لسيبويه : ٣٦٥/٤ تحقيق عبد السلام هارون ، وابن عقيل : ٥٦٦/٢

( ٢ ) هناك خلاف بين البصريين والكوفيين حول أى الألفين تحذف .

( ٣ ) ويعوض عنها بتاء مربوطة فى طرف الصيغة ( راجع شرح المفصل : ٦٠/١٠ ومابعدها )

يقال مسك مدووف وثوب مصووون ، وحكى الكسائى خاتم مصووغ ، وفرس مقوود[1] .

جاء فى اللسان : رجل معود ومَعْوُود، الأخيرة شاذة ، وهى تميمية ، ومسك مَدْوُوف وهى تميمية . قال ابن الأعرابى: ثوب مصون على النقص ومَصْوُون على التمام. الأخيرة نادرة وهى تميمية[2] ، قال اللحيانى قول مقول ومَقْوُول. قال والإتمام لغة أبى الجراح ، ولعله أبو الجراح العقيلى . جاء عن الفراء عن الكسائى أن بنى يربوع وبنى عقيل يقولون حلى مَصْوُوغ ومسك مدو وف وثوب مصوون وفرس مقوود وقول مقوول ، أما البصريون فلا يعرفون ذلك[3] .

وبنو يربوع بطن من حنظلـــة من تميم كما جاء فى نهاية الأرب ، وأما عزوها لعقيل ، فعقيل غير تميم[4] .

ومن الأمثلة العامية فى نجد « أم البيض مَقْوُووقرأدة »[5] قتادة الآية الكريمة : «لَمَثُوبَةٌ من عند الله خير» ( البقرة: ١٢٥) فى حين أن قراءة الجمهور « لَمَثُوبَةٌ » :

هذه إذن صيغة قديمة ولوجارت التطور لأصبحت مثابة كما فى لهجة كلاب . حكى ابن منظور قـــول الـــكلابيين : « لانعرف المَثْوَبة ولكن المَثَابة ) .

أما الياء المحركة بالضمة الطويلة عند أهل الحجاز . فإن الضمة الطويلة ( واو المد ) تسقط وتحافظ على الياء ثم تتحول إلى كسرة طويلة ( ياء مد ) ، وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو مبيوع عند أهل تميم ومبيع عند أهل الحجاز ، وبالمثل يكون مَصْيُوب ومَصِيب ، مكيول ومكيل ، معنى هذا أن اللغة تحافظ على الضمة الطويلة مع الواو إشارة إلى الأصل الواوى ، وتحافظ على الكسرة الطويلة مع الياء إشارة إلى الأصل اليائى . وفسر النحاة هذا الإعلال فقالوا : « إن أصل مبيع هو مبيوع ، ثم نقلت حركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها ، فسكنت الياء ، فالتقى ساكنان الياء والواو ، فحذفت الواو على رأى سيبويه ، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء فصار مبيع » .

## القسم الثالث :
## الواو أو الياء المتحركتان فى أول الكلمة :

### ١ — الواو أو الياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

تقلب الواو أو الياء عند القبائل الشرقية من الجزيرة العربية همزة ، وتثبت عند القبائل العربية نحو وَجَمَ وأجَمَ ونَاة وأناة ، وسادة ، وإسادة ، وتشبه اللهجات الشرقية فى هذا اللغة الأكادية التى تميل إلى تحويل الواو أو الياء فى أول الكلمة همزة فمثلا يَوْم فيها أم "umu"[6]

(١) الخصائص: ١/٣٧٠ ، اللهجات فى التراث : ٤١٦
(٢) اللسان: ١٧/١١٨ ، اللهجات فى التراث : ٤١٧
(٣) أدب الكاتب : ٤٧٧
(٤) ( ترجمتى الخاصة ) Rabin, Ancient West Arabian. P. 160
(٥) اللهجات فى التراث : ٤٣١
(٦) (ترجمتى الخاصة) Rabin, Ancient West Arabian. P. 84

ولكن يبدو أن هذا القلب ليس مطرداً كما وصفه سيبويه[1] غير أن الواو المحركة بالفتحة القصيرة تقلب همزة باطراد إذا تبعت بواو أخرى محركة بفتحة طويلة ( متبوعة بألف مد ) نحو( وواعد وأواعد ) و ( وواصل وأواصل ).

هذا بالنسبة إلى الواو ، أما بالنسبة إلى الياء فإنها كالواو نحو ( يلك وألك ) وتنسب الأخيرة إلى هذيل ، وهذيل من قبائل الجزيرة العربية الشرقية و ( يرقان وأرقان ) و( يَدٌ وأدٌ ) وتشبه اللهجات الغربية فى ذلك اللغات السامية الغربية .

٢ ــ الواو أو الياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

تثبت عند القبائل العربية فى غرب الجزيرة العربية مثل وسواس ، وسّام ، وشاح ، وعاء ، وتقلب همزة عند القبائل فى شرق الجزيرة العربية ، وعزى ذلك إلى قبيلة هذيل ، فتقول فى وشاح إشاح ، وفى وعاء إعاء . جاء فى إصلاح المنطق : وكاف وإكاف ،وِلاف وإلاف ، وسادة وإسادة[2].

يقول سيبويه : « ولكن ناساً من العرب يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولا . كرهوا الكسرة فيها كما استثقل فى يَيجل وسَيِّد وأشباه ذلك »[3] .

٣ ــ الواو أو الياء المحركتان بالضمة القصيرة :

تثبت عند بعض القبائل ، وتستبدل همزة عند بعضها الآخر ، مثل وُجُوه وأجُوه ، حكى الفراء حيَّ الوجوه وحيَّ الأُجوه[4] ، ومثل : وَلِدَ وألِدَ[5] ، يقول سيبويه : « اعلم أن هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها ،وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها وذلك نحو قولهم فى وُلِدَ أُلِدَ . وفى وُجُوه أجُوه ، وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قَوَّل وموُنة ؛ وأما الذين لم يهمزوا فإنهم تركوا الحرف على أصله ، كما يقولون قؤول ، ومع أن هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل ، فأرادوا أن يضعوا مكانها حرفاً أجلد منها ، ولما كانوا يبدلونها وهى مفتوحة فى مثل وَنَاة وأنَاة ، كانوا فى هـذا أجدر أن يبدلوا حيث دخله ما يستثقلون ،فصار الإبدال فيه مطرداً حيث كان البدل يدخل فيما هو أخف منه[6]

أما الياء المضمومة فتثبت نحو يُبُوسة[7] :

---

( ١ ) الكتاب: ٤/٢٢١ تحقيق عبد السلام هارون ( ٢ ) إصلاح المنطق : ٧٥

( ٣ ) الكتاب : ٤/٣٣١ تحقيق عبد السلام هارون . ( ٤ ) إصلاح المنطق : ٦٠

( ٥ ) الكتاب : ٤/٣٣١ تحقيق عبد السلام هارون . ( ٦ ) الكتاب : ٤/٣٣١ تحقيق عبد السلام هارون

( ٧ ) تصريف الأسماء : ١٦٠

٤ – الواو المحركة بالفتحة الطويلة ( المتبوعة بألف مد ) :

تبدل الواو المتبوعة بألف مد فى لهجة كنانة ياء نحو يازع بدلا من وازع ، وتشبه هذه الظاهرة مافى العبرية والأرامية ؛ إذ أن الواو فى أول الكلمة تبدل ياء فيها نحو ولد فإنها تصبح يليد .

**القسم الرابع :**

**الواو والياء بين حركتين فى وسط الكلمة**

تحرك الواو أو الياء بالفتحة القصيرة أو الكسرة القصيرة أو الضمة القصيرة أو بأى حركة طويلة .

( أ ) الواو والياء المحركتان بالفتحة القصيرة:

قد تسبق بفتحة قصيرة : تسقط الواو أو الياء ، وتنشأ فتحة طويلة ( تنقلب ألفاً ) فى الصيغ الآتية :

١ – فَعَلَ فِعْلاً أو فعَل اسماً ، ونرى أن الإعلال يقع فى الاسم والفعل على حد سواء ؛ لأنه لن يؤدى إلى لبس فى الصيغتين ، ذلك أن اللغة تميز بين الفعل والاسم فى الصيغة الواحدة عن طريق الإعراب أو البناء ، فعندما تكون ( فَعَلٌ )اسماً تعرب ، وعندما تكون فعلا تبنى .

وأمثلة وقوعه فى الأفعال : ( قول وقَالَ ) و ( بَيَعَ وباع ) ، (سير وسار) .

ويحدث هذا الإعلال فى طرف الفعل كذلك نحو ( سَوَىَ وسَوَى ) و ( نَدَوَ ونَدَا ) و ( نَجوَ ونَجا ) .

وتبقى الفتحة الطويلة فى المقطع المفتوح وفى المقطع المغلق تقصر الفتحة إلى فتحة قصيرة ولكنها تستبدل بحركة تجانس عين الفعل ، فإن كانت عين الفعل واواً استبدلت الفتحة ضمة نحو ( قُمْتُ ) وإن كانت ياء استبدلت الفتحة كسرة نحو (سِرْتُ) وبالتالى تدل حركة فاء الفعل على أصل العين[1] .

أوضحنا أن الإعلال يحدث فى صيغة (فَعَلَ) أما صيغة ( فَعِلَ ) فإنه لا يحدث وخاصة إذا كان الإعلال سيؤدى إلى خلط الصيغة الناتجة بصيغة (فَعَلَ) نحو (عَوِرَ وعَارَ) و ( صَيِدَ وصاد ) ، فلو حدث الإعلال فى(فَعِلَ) هنا لاختلطت بصيغة ( فَعَلَ ) ، ومن هنا نرى أن الإعلال مرتبط بالصيغة الصرفية ، وعدم حدوث الإعلال فى هذه الأمثلة لا يكون من باب الشواذ ، على أن للخليل رأياً آخر ، فهو يرى أن الذى يسلم هو باب ( فَعِلَ يفعَل )أما باب(فَعَلَ يَفعِل) فإن الواو أو الياء تعتل فيه نحو ( طاح يطيح ) و(تاه يتيه)[2] ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قول سيبويه فى شرح ذلك : « وأما قولهم : ( عَوِرَ يَعْوَرُ)و (حَوِلَ يَحْوَل) و ( صيد يَصْيَدُ ) فإنما جاءوا بهن على الأصل ، لأنه فى معنى ما لا بد له من أن يخرج على الأصل ،

---

(١) (ترجمتى الخاصة) O'leary, Comparalive Grammar of the Semitic Languages P. 119

(٢) الكتاب : ٤/٣٤٤ تحقيق عبد السلام هارون

نحو (اعْوَرَرْتُ) و ( احْوَلَلْتُ ) . . . فلما كنّ فى معنى ما لا بد له من أن يخرج على الأصل لسكون ما قبله تحركن ، فلو لم تكن فى هذا المعنى اعتلت ، ولكنها بنيت على الأصل إذ كان الأمر على هذا »[1] .

أمثلة وقوعه فى الأسماء :

١ – وزن فَعَلٌ نحو (بَوَبٌ وبابٌ) .

٢ – وزن مُفاعَلة نحو (مُناجَوَة ومناجاة) و ( مُنَادَيَة ومُنَادَاة ) .

٣ – وزن فُعلة نحو ( قُضَيَة وقُضَاة ) و ( رُمَيَة ورُماة ) و ( رُعيَة ورُعَاة ) و ( حُدَوَة وحداة ) :

الواو أو الياء إذا سبقتا بكسرة قصيرة :

من حيث الموقع :

فى وسط الكلمة : يحافظ على الواو نحو حَوِجَ وخاصة إذا أدى الإعلال إلى الاختلاط بصيغة ( فَعَل ) .

فى طرف الكلمة : تتحول الواو إلى ياء نحو ( رَضِو ورَضِى ) و (قَوِوَ وقَوِىَ[2]) .

وتتحول الواو إلى ياء إذا وقعت قبل تاء التأنيث نحو شَجِوَة وشَجِية ، وبالمثل باقية وداعية وعادية[3] .

أما الياء فيحافظ عليها نحو لَقِىَ .

الواو أو الياء إذا سبقتا بضمة قصيرة :

تسلم الواو والياء فى الصيغ الآتية :

١ – صيغة فُعَل الدالة على جمع التكسير نحو ( ثوب ) .

٢ – صيغة مُفَعَّل نحو ( مُوقَّد )[4] .

٣ – صيغة المضارع المنصوب نحو ( لن يَغْزُوَ ) و ( لن يَرْمِىَ ) .

٤ – صيغ الأسماء المنصوبة نحو ( رأيت القاضى[5] ) .

الواو أو الياء إذا سبقتا بفتحة طويلة ( ألف مد )

من حيث الموقع :

أولا : فى وسط الكلمة :

يحافظ عليها عند بعض القبائل العربية نحو : بايع وساير وتجاوَز ، وتسقطان ويستعاض عنها بتضعيف الحرف التالى عند بعض آخر من القبائل نحو (تحاوَب وتحابّ[6])

ثانيا : فى طرف الكلمة :

يحتفظ بها عند بنى تميم سواء أكان ذلك فى المصدر أو الجمع نحو لِقايَة وصَلايَة ، أما أهل العالية ( أهل نجد ) فيحولونها

( ١ ) الكتاب : ٤/٣٤٤ تحقيق عبد السلام هارون ( ٢ ) ابن عقيل : ٢/٥٦٦

( ٣ ) تصريف الأسماء : ٢٣٤ ( ٤ ) تصريف الأسماء : ١٨٦

( ٥ ) علم الأصوات العربى : ١٣٨

( ٦ ) تصريف الأسماء : ١٦٤ وعلم الأصوات العربى : ١٣٨ والنحو المقارن ١١٩

إلى همزة نحو مُشاء وبُكاء ودُعاء ووعاء، ولقاءة وعباءة[1] ويقول النحاة إذا تطرفت الواوأو الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة[2] .

(ب) الواو أو الياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

قد تسبقان بفتحة قصيرة أو بضمة قصيرة .

١ — عندما تسبقان بفتحة قصيرة :

تؤثر الفتحة على الواو أو الياء والكسرة فيسقطان وتنشأ فتحة طويلة ، أو كما يقول النحاة ، تحركت الواو أو الياء وفتح ما قبلهما فقلبتا ألفا[3] نحو ( مُختيرَ ومُختار)و ( مُنقود ومُنقاد ) و( خوف وخافَ ) و( نَورٌ ونارٌ ) .

٢ — عندما تسبقان بضمة قصيرة :

تؤثر الكسرة على الواو والضمة السابقة فتنشأ كسرة طويلة أو ياء مد نحو( قُولَ وقيل ) و ( سُير وسير ) .

٣ — عندما تسبقان بفتحة طويلة (ألف مد) :

تتحولان إلى همزة فى الصيغ الآتية :

(أ) اسم الفاعل نحو قاوِم وقائم ، قاول وقائل ، يقول النحاة وقعت الواو عينا لاسم الفاعل فقلبت همزة لوقوعها إثر ألف زائدة :

( ب) صيغة جمع التكسير فعائل نحو ( سَحاوِب وسحائب ) ( عجاوز وعجائز) ويقول النحاة : وقعت الألف وهى حرف زائد بعد ألف الجمع فقلبت همزة ، وإن كانت المدّة أصلية لم تقلب نحو مُصيبة ومَصايب .

( ج ) صيغ المصادر «فَعال وفِعال وإفعال) نحو ( قضاى وقَضاء ) و ( نَماو ونَماء ) و (شَقاى وشَقاء ) و ( إرضاى وإرضاء )

(ج) الواو أو الياء المحركتان بالضمة القصيرة :

قد تسبق الواو أو الياء بفتحة قصيرة أو كسرة قصيرة أو ضمة قصيرة .

(أ) عندما تسبقان بفتحة قصيرة :

تؤثر الفتحة على الواو أو الياء والضمة القصيرة فتحذف الواو أو الياء والضمة وتنشأ فتحة طويلة أو كما يقول النحاة : تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفا نحو ( طول وطال ) و ( يُندَو ويُندَى ) .

( ب) عندما تسبق الياء بكسرة قصيرة :

تسقط الضمة وتتحول الياء إلى حرف مد للكسرة السابقة نحو ( يَرمِىُ ويَرمِي ) ؟

---

(١) اللهجات فى التراث : ٢٦٤

(٢) تصريف الأسماء : ١٦٧ و ١٦٨ و ١٨٨

(٣) تصريف الأسماء : ١٦٤

( ج ) عندما تسبق الواو بالضمة القصيرة تسقط الضمة وتتحول الواو إلى حرف مد للضمة السابقة نحو (يَنْدَو ويَنْدِو) (يَغزُوُ ويَغزُو ) .

( د ) الواو أو الياء المحركتان بحركة طويلة ( بحرف مد أولين ) :

١ — الواو أو الياء المحركتان بفتحة طويلة ( ألف المد ) :

تسبق الواو أو الياء بالفتحة القصيرة أو الكسرة القصيرة .

( ١ ) عندما تسبق الواو أو الياء بالفتحة القصيرة : — يحافظ عليهما مثل: صَوَارِق .

(٢ ) عندما تسبق الواو أو الياء بالكسرة القصيرة : تقلب الواو ياء فى الصيغ الآتية:

( أ ) صيغة المصدر فِعَال من الفعل الثلاثى فَعَلَ عند أهل الحجاز نحو ( قام قياما ) (وصام صياما ) و(حال حيالا)[2] أما إذا كانت فعَال مصدرًا لفعل على وزن فاعل فإنها تثبت ، وذلك للتمييز بين مصدر الفعل المجرد ( فَعَلَ ) ومصدر الفعل المزيد (فَاعَلَ ) ، نحو ( لاوذ لِوَاذاً ) و ( جَاوَرَ جِوارًا[3] ) :

( ب) صيغة جمع التكسير ( فعال ) نحو ( سوْط وسياط ) و ( ثَوْب وثياب ) و( روضة ورياض ) و ( دار وديار ) ، يقول النحاة فى تفسير ذلك : وقعت الواو والياء عينا فى جمع التكسير وبعدها ألف الجمع وقبلها كسرة فقلبت ياء[4] ، وشرح سيبويه أسباب قلب الواو ياء فقال فى باب : « هذا باب تقلب الواو فيه ياء لا لياء قبلها ساكنة ولالسكونها وبعدها ياء، وذلك قولك : حاولت حيالا وإنما قلبوها حيث كانت معتلة فى الفعل فأرادوا أن تعتل إذا كانت قبلها كسرة، وبعدها حرف يشبه الياء ، فلما كان ذلك فيها مع الاعتلال لم يقروها ، وكان العمل من وجه واحد أخف عليهم وجروا على ذلك للاعتلال ، ومثل سوْط وسياط ، وثوب وثياب وروضة ورياض : لما كانت الواو مَيتةً ساكنةً شبهوها بواو يقول لأنها ساكنة مثلها ولأنها حرف الاعتلال[5] » .

ونرى أن سبب القلب يرجع إلى المشابهة التقدمية ، فقد أثرت الكسرة على الواو التالية لها فحولتها إلى ياء ، ومن المعروف — كما قال ابن جنى — أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهى الألف والياء

---

( ١ ) ( ترجمتى الخاصة ) O'leary, Comparative Gr. of the Semitic Languages P. 119.

( ٢ ) تثبت الواو عند أهل تميم فيقولون قوام وصوام وحوال وعوار وبالتالى لايكون ذلك من باب الشذوذ كما ذهب النحاة ( انظر أوضح المسالك : ٤٠٢/٢ )

( ٣ ) تصريف الأسماء : ٣٠١

( ٤ ) الكتاب : ٣٦٠/٤ تحقيق عبد السلام هارون .

( ٥ ) سر صناعة الإعراب : ١٩/١ تحقيق مصطفى السقا وآخرين .

والواو ، أى أن الكسرة بعض من الياء وهذا بالطبع قاصر على وزن صرفى معين ؛ أما الياء فتثبت نحو حياكة .

( ٣ ) عندما تسبق الواو أو الياء بالضمة القصيرة : يحافظ عليها مثل خُوَار ومُوَال .

٢ ــ الواو أو الياء المحركتان بالكسرة الطويلة ( ياء المد ) تسبق الواو أو الياء هنا بالفتحة القصيرة : تسقط الكسرة الطويلة ( ياء المد ) وتستخدم الواو أو الياء فى غلق المقطع ، أى أنها ستسكن نحو (تَنْسَيِين وتَنْسَيْنَ ) و ( تَرْضَوِين وترضون ) .

٣ ــ الواو أو الياء المحركتان بالضمة الطويلة ( واو المد )

( أ ) عندما تسبقان بالفتحة القصيرة :

من حيث الموقع

أولا : فى وسط الكلمة :

تثبت عند بعض القبائل العربية ، وتستبدل همزة عند بعضها الآخر ، نحو ( قَوُول وقَؤُول ) و ( صَوُول وصَؤُول ) ؛ ويفسر النحاة ذلك بقولهم : قلبت الواو الأولى همزة لوقوعها مضمومة ضمة لازمة غير مشددة[1] .

ثانيا : فى طرف الكلمة :

تسقط الضمة الطويلة ( واو المد ) وتستخدم الواو فى غلق المقطع نحو ( غَزَوُوا وغَزَوْا ) .

( ب ) عندما تسبقان بالكسرة :

تسقط الضمة الطويلة ( واو المد ) وتستبدل بالكسرة الضمة نحو ( رضِوُوا ورَضِوْا ورَضُوا ) ومع الياء تستبدل الواو ياء وتصبح ياء مد للكسرة السابقة نحو (رَاضِوُون وراضِوْن وراضين ) .

(جـ) عندما تسبقان بالضمة :

تسقط الضمة الطويلة (واو المد) وتصبح الواو الأولى حرف مد للضمة السابقة نحو :

(يَغْزُوُون ويَغْزُون)(ومع الجزم يَغْزُوا[2]).

الخاتمة :

درست فى هذا البحث تكوين الواو والياء ، ووظيفة كل منهما فى اللغة العربية ، وانتهيت من هذا إلى أن للواو والياء طبيعة انتقالية ، فالواو تسهل الانتقال بين الضمة والفتحة نحو لن يَدْعُوَ ، والياء تسهل الانتقال بين الكسرة والفتحة نحو لن يَرْمِيَ .

بعد ذلك انتقلت إلى شرح معنى الإعلال فأوضحت أنه ضرب من التطور اللغوى . واستدللت على ذلك بوجود صيغتين للكلمة الواحدة ، الأولى لم تُعَلّ فيها الواو أو الياء والثانية اعتلت فيها الواو أو الياء ، وأكدت

---

(١) تصريف الأسماء : ١٨٨

(٢) علم الأصوات العربى : ١٣٨ .

أن الصيغ التى لم تُعَلّ فيها الواو أو الياء ليست شاذة كما ذهب الصرفيون ، بل إنها تمثل الصيغ الأصلية قبل أن ينتابها التطور ، من هنا تتبعت موطن الصيغ الأصلية ، وموطن الصيغ التى انتابها الإعلال ، فمثلا عندما وجدت صيغتين لاسم المفعول من الفعل ( خاط ) وهما مَخْيُوط ومخيط ، أرجعت الأولى إلى تميم وأرجعت الثانية إلى أهل الحجاز ، وهكذا استطعت إرجاع كل الصيغ التى وصفها الصرفيون بالشذوذ إلى مواطنها الأصلية ، ولهذا أرى أن السبب الذى جعل الصرفيين يحكمون على صيغة مثل مخيوط بالشذوذ هو تطبيق نظرية القياس دون مراعاة للهجات العربية القديمة المختلفة .

شرحت بعد ذلك أسباب الإعلال فأثبتُّ أن الإعلال لا يرجع إلى مجرد قوانين مهما قيدت بشروط دقيقة ، بل رأيت أن الإعلال يرجع إلى عدة أسباب مجتمعة هى خصائص المقطع العربى وموقع الواو أو الياء فى الكلمة ونوع الصيغة الصرفية ، ولأوضح أهمية كل هذه العوامل فى حدوث الإعلال تتبعت الواو أو الياء عندما يكونان ساكنين تارة وعندما يكونان محركين تارة أخرى ، وتتبعت تأثير الحركة السابقة على الواو أو الياء عندما يكونان ساكنين أو عندما يكونان محركين . . . وقد انتهيت بذلك إلى سيبويه فى دراسة الإعلال .

---

# المراجع


**أولا : المراجع العربية :**

١ — ابن الجزرى ، النشر فى القراءات العشر دمشق سنة ١٣٤٥ هـ .

٢ — ابن جنى ، الخصائص ، تحقيق عبد الحليم النجار . القاهرة سنة ١٩٥٢

٣ — ابن جنى سر صناعة الإعراب . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . القاهرة سنة ١٩٥٤

٤ — عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتى للبنية العربية . بيروت سنة ١٩٨٠ .

٥ — محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى . الإسكندرية سنة ١٩٦٢

٦ — ابن يعيش ، شرح المفصل .

٧ — سيبويه ، الكتاب تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة .

٨ — كمال بشر ، علم اللغة العام ( الأصوات ) . القاهرة ١٩٧٠ .

٩ — علم الدين الجندى ، اللهجات فى التراث . القاهرة ١٩٦٥ .

١٠ – عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء . القاهرة ١٩٧٥ .

١١ – إبراهيم هلال ، الوافى الحديث فى التصريف . منشورات جامعة بنغازى ليبيا سنة ١٩٧٤ .

١٢ – ابن السكيت ، إصلاح المنطق . القاهرة سنة ١٩٦٥ .

١٣ – ابن عقيل . شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك . تحقيق محى الدين عبد الحميد . سنة ١٩٧٤ .

١٤ – ابن قتيبة ، أدب الكاتب .

١٥ – ابن هشام ، أوضح المسالك . تحقيق محى الدين عبد الحميد ، بيروت سنة ١٩٧٤ .

١٦ – جان كانتينو ، علم الأصوات العربى . منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٦٦

١٧ – كارل بروكلمانه ، فقه اللغات السامية . منشورات جامعة الرياض سنة ١٩٧٧

**ثانيا : المراجع الأجنبية :**

1. Gesenius, Hebrew Grammar. Oxford 1949.
2. Dilmann, Ethiopic Grammar. London 1917.
3. O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages London 1937.
4. Rabin, Ancient West Arabian, London 1960.
5. Von Soden, Akkadischen Grammatik. Roma 1979.
6. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages' WIESBADEN 1969.

**صلاح الدين صالح حسنين**

# ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية
## بين القدماء والمحدثين
(٢)

للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف

### ثالثا : حروف الإعلال والإبدال :

إبدال الحروف بعضها من بعض – بمعناه الواسع – يقع على أنواع مختلفة يمكن أن نصنفها على الوجه الآتى :

١ – الإبدال التصريفى .
٢ – الإبدال اللهجى .
٣ – الإبدال الشاذ .
٤ – إبدال الضرورة الشعرية.

وكل منها فى حاجة إلى شىء من التفصيل على أن الذى يعنينا من هذه الأنواع هو النوع الأول أى البدل التصريفى وها هى هذه الأنواع :

**( ١ ) الابدال التصريفى :**

وهو الذى تبدل الحروف فيه بعضها من بعض لعلة تصريفية ،أى أن البدل فيها يخضع لقوانين صوتية خاصة ، وهذا النوع تنطبق قوانينه على اللغة المشتركة[١] كلها ولذلك يمثل فيها ظاهرة تستحق الدراسة ، وقد حدده الرضى فيما نقله عنه الأشمونى بأنه هو « مالو لم يبدل أوقع فى الخطأ أو مخالفة الأكثر ، فالموقع فى الخطأ كقولك فى : مال : مول ، والموقع فى مخالفة الأكثر كقولك فى سقاءة : سقاية[٢] ».

والحروف التى يقع فيها هذا النوع ثمانية أحرف هى: الهمزة والواو والألف والياء، والدال والطاء والتاء والميم .وقد جمعها ابن مالك فى كتابه تسهيل الفوائد فى قوله «طويت دائما[٣] » ووصف هذه الحروف بأنها ضرورية للتصريف ، أى أنها هى التى تقع

---

(١) « اللغة المشتركة » مصطلح بين دارسى اللغة المحدثين يقصد به اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ، وقيل بها الشعر الجاهلى وهى اللغة التى يفهمها كل عربى من قبيلة قد تتخاطب بلهجة تتفق أو تختلف مع اللهجة الأم أى اللغة المشتركة .

(٢) انظر : شرح الأشمونى ٤–٢٨٣ .

(٣) انظر : تسهيل الفوائد ص ٣٠٠ وقد أشار ابن مالك مرة أخرى إلى هذه الحروف بعبارة زاد فيها الهاء وذلك فى ألفيته الشهيرة إذ يقول : « أحرف الإبدال هدأت موطيا » وذلك لأن الهاء تبدل من التاء فى الوقف ، فإذا وقفت على كلمة مثل : فاطمة ومسلمة ومجتهدة إلى آخره قلبت تاء التأنيث فى الوقف هاء ، ومجال دراسة هذه الحالة هو باب الوقف .

تحت طائلة القواعد الصرفية بمعنى أن يقال مثلا : إذا وقعت تاء الافتعال بعد حرف من حروف الإطباق قلبت طاء مثل اصطبر فهذه قاعدة عامة لاتتخلف فى كل صيغ الافتعال ، وكأن يقال مثلا : إذا وقعت الواو أو الياء عينا لاسم فاعل فعل ثلاثى أعلت فى ماضيه قلبت همزة مثل : قائل وبائع ، فهذه أيضا قاعدة لا تتخلف فى كل اسم فاعل توافر فى ماضيه هذا الشرط ، وهكذا :

ويستطيع المتكلم باللغة أن ينطق بكل ماحدث فيه هذا الضرب من الإبدال أو الإعلال دون أن يقوم فى نفسه سببه أو يعرف عنه ، لأنه ينطق باللغة على عادته وكما سمعها ، والذين استخلصوا هذه القواعد هم الصرفيون ، والغرض من هذه القواعد — كما يقول أبو على الفارسى — إنما هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ويستوى من ليس بفصيح ومن هو فصيح[1] .

وبيان ذلك أن المتكلم بالعربية إذا صاغ اسم الفاعل من قام قال : قائم ، ولكن غير المتكلم بها ممن يحاولون تعلمها لا يجرى ذلك على لسانه دون أن يتعلم أن عين اسم الفاعل إذا كانت واواً — كما فى هذا الفعل — تقلب همزة ، فالقواعد التصريفية الخاصة بهذا النوع من أنواع الإبدال إنما هى لوصف خصائص هذه الظاهرة فتعين المتكلم بالعربية على تفسيرها ، وتعين المتعلمين لها على كيفية النطق وإجادتها .

**( ب ) النوع الثانى هو ما يمكن أن يسمى « الابدال اللهجى » :**

ونقصد به ذلك النوع الذى لا يخضع لقاعدة تصريفية فى اللغة المشتركة ، بل يخضع لمادة نطقية خاصة بأبناء لهجة معينة ويطرد فى هذه اللهجة المعينة دون أن يتمكن من التسرب إلى مستوى اللغة المشتركة بل يظل مقصورا على استعمال هذه اللهجة فحسب :

ومن هذا النوع إبدال الياء المشددة جيما فى الوقف كقول الراجز :

خالى عُوَيْفٌ وأبو عَلِجّ
المطعمان اللحمَ بالعَشِجّ
وبالغداة كتل البرنِجّ
يُقْلَعُ بالوَدّ وبالصَّيْصِجّ[2]

وهذه الظاهرة — وأعنى بها إبدال الياء المشددة جيما — من خصائص لهجة « قضاعة » وتسمى « العجعجة » أو « عجعجة قضاعة » وربما أبدلوا الجيم من الياء فى غير الوقف كقولهم فى « الأيِّل » : الأجِّل ، وقد يبدلون

---

(١) ابن جنى : « المنصف شرح التصريف ١/٢٧٩ .

(٢) أبو علج : أبو على ، العشج ، العشى ، البرنج : البرنى نوع من التمر ، الصيصج : الصيصى ، وهو قرن البقر ، والكتل : جمع كتلة وهى القطعة المجتمعة .

الياء غير المشددة جيما أيضا كقول الراجز :

لاهُمَّ إن كنتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ
فلا يزال شاحِجٌ يأتيكَ بِجْ
أقمرُ نهّاتٌ يُنَزّى وَفْرَتِيجْ[1]

فالياء فى كل من : «حجتى ووفرتى وبى» غير مشددة لأنها ياء المتكلم ومع ذلك أبدلت جيما ؛

ومن هذا النوع من الإبدال اللهجى «العنعنة» فى لهجة قيس وتميم ، وهى إبدال الهمزة المبدوء بها عينا ، فيقولون فى إنك عنّك وفى أسلم : عسلم ، وفى أذّن : عذّن ؛

ومن هذا النوع « الفحفحة» فى لغة هذيل وهى جعل الحاء عينا فى هذه اللهجة ، وقد قرئ قوله تعالى : « حتّى حين »«على لهجتهم «عتى عين » ولعل هذا ضرب من المبالغة فى نطق الحاء ، لأن العين أدخل فى الحلق من الحاء ؛

ومن ذلك أيضا « الكشكشة » فى لهجة تميم وهى إبدال كاف الخطاب للمؤنثة شينا كقولهم فى خطاب المؤنثة المفردة : ما الذى جاء بش ؟ يريدون : بك ، وقراءة بعضهم ( قد جعل رَبُّشِ تحتشِ سَرِيّا[2]) .

ومن ذلك أيضا « الكسكسة » فى لهجة بكر وهم يبدلون كاف الخطاب للمؤنثة سينا كقولهم فى خطاب المؤنثة : أبوس بدلا من : أبوك ، وفى أملك يقولون : أمس ؛

وهذا الضرب من الإبدال اللهجى كثير متعدد وليس هنا مجال دراسته أو عرضه[3] لأن هذا النوع — كما يقول الرضى — «جدير بأن يذكر فى كتب اللغة لا فى كتب التصريف[4]» فليس هذا النوع — إذن — من مباحث الإبدال التصريفى الذى نحن بصدد دراسته ؛

**(ج) والنوع الثالث هو الابدال الشاذ :**

وهذا النوع مثل سابقه من حيث إنه لا يخضع لقاعدة تصريفية خاصة بمعنى أنه لا يمكن معه القول بأنه كلما كان كذا كان كذا ، غير أنه لا يرتبط باستعمال لهجى خاص أى أن كتب اللغة لم تنقله لنا بوصفه استعمالا للهجة قبيلة مخصوصة ، ولذلك فهو لا يطرد فى بابه بل يتوقف فيه على حدود ما ورد ، ولا يمكن القياس عليه أو التوسع فيه ؛

---

(١) الشاحج : البغل ، الأقمر : الأبيض ، النهات : الصياح والنهاق ، ينزى : يحرك ، والوفرة : شعر الرأس إذا بلغ شحمة الأذن .

(٢) الآية ٢٤ من سورة مريم ( فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ) أنظر فقه اللغة للثعالبى ١١٤ ، ١١٥ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٢٣ م ) وشرح الأشمونى ٢٨٢/٤ .

(٣) انظر : سر الصناعة ٢٣٤/١ المزهر للسيوطى ٢٢١/١ ، والصاحبى لابن فارس ص ٢٧/١٩ ولهجات العرب للمرحوم أحمد تيمور للوقوف على عدد من هذه اللهجات .

(٤) انظر هذه العبارة — وقد نقلها الأشمونى من شرح الكافية الرضى — فى الأشمونى ٤—٢٨٢ .

ومن ذلك إبدال اللام من النون فى كلمة أصيلان فى مثل قول النابغة :

وقفت فيها أصيلانا أسائلها
عيّت جوابا وما بالربع من أحد

يقول سيبويه « وقد أبدلوا اللام من النون وذلك قليل جدا ، قالوا : أصيلال وإنما هو أصيلان »(١) .

ومن ذلك إبدال اللام من الضاد فى قول منظور بن سحيّة الأسدى :

لما رأى أن لا دعَهْ ولا شبع
مال إلى أرطاة حقف فالطجع

وأصل « فالطجع » : فاضطجع ، أبدلت الضاد لاما إبدالا شاذا .

من ذلك إبدال الهمزة هاء كقولهم هياك فى إياك ، و« لهنك قائم » فى « لإنك قائم(٢) » ، وهرقت الماء فى : أرقت الماء وهردت الشىء فى أردت الشىء ، وهرحت الدابة فى أرحت الدابة ، يقول سيبويه : « وقد أبدلت ( الهاء ) من الهمزة فى هرقت وهرت وهرحت الفرس تريد أرحت » ويقول أيضا : « ويقال إياك وهياك »(٣) .

( د ) النوع الرابع فهو ابدال الضرورة الشعرية :

وهو الذى يقع فى الشعر من أجل إقامة الوزن أو القافية ، ويلاحظ أن الأمثلة التى ساقها الصرفيون فى هذا المجال يقع فيها الإبدال فى الحرف الأخير من الكلمة بأن يبدل ياء ، وذلك كما فى قول النمر بن تولب اليشكرى :

لها أشاوير من لحم تتمره
من الثعالى ووخزٌ من أرانبها

فقد أبدل من الياء فى كلمة الثعالب ياء ومن الباء فى كلمة أرانبها ياء كذلك .

وقد أبدلت العين من كلمة « الضفادع » ياء فى قول الشاعر :

ومنهل ليس له خوارقُ
ولضفادى جمة نقانق

وقد أبدلت الحروف الأخيرة من الكلمات : الثالث والخامس والسادس ياء فى الشواهد الآتية :

قد مرّ عامان وهذا الثّالى
وأنت بالهجران لا تُبالى

وقول الآخر :

مضت ثلاث سنين منذ حلّ بها
وعام حلّتْ وهذا التابعُ الخامى

---

(١) سيبويه : ٢-٣١٤ .

(٢) فى مثل هذا التركيب تتأخر اللام إلى خبر إن وتسمى اللام المزحلقة ، ولكنهم لم يبالوا بهذا لاختلاف الصورة فى « لهنك قائم » .

(٣) سيبويه ٢-٣١٣ .

وقول الآخر :

إذا ما عُدّ أربعة فسَالٌ

فزوجك خامس وأبوك سادى[1]

واعتبار هذا النوع من إبدال الضرورة الشعرية هو رأى سيبويه وبعض النحاة الذين اتبعوه ، ويفسر سيبويه ذلك بأن الشاعر احتاج فى قوله :

ولضفادى جمة نقانق

إلى حرف يكون ساكنا من أجل إقامة الوزن ولما كانت العين فى كلمة (ولضفادع) لا يصح أن تكون ساكنة ، لأنها ليست فى الوقف ، بل يجب أن تكون هنا مجرورة فقد أبدلها الشاعر ياء ، لأنها حرف يمكن أن يكون ساكنا[2] ، ويقول المبرد : «واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى إسكان حرف مما هو متحرك فلم يصلوا إلى ذلك أبدلوا منه الياء إن كانت قبله كسرة ، لأن الياء إذا كانت كذلك ( أى قبلها الكسرة) لم تحرك فيسلم الإعراب ويصح الوزن[3]»

ويرى بعض النحاة أن هذا النوع ليس من الإبدال للضرورة الشعرية ، بل هو من الترخيم فى غير النداء للضرورة ، ولكنه من « البدل غير المقيس» أى من البدل الشاذ فهم بذلك يدرجون هذا النوع تحت النوع السابق .

ويرى فريق رابع أن هذه الكلمات صيغ مستعملة بجوار الصيغ الأخرى فكل من الثالث والثانى ، والخامس والخامى ، والسادس والسادى كلمة مستعملة جنب الأخرى ، دون أن يكون ثمة بدل ومبدل منه ، ولعل الإبدال كان فى فترة سابقة ، بحيث نسيت ولا يمكن معها أن تعد إحداهما أصلا والأخرى فرعا ، وإلى هذا الرأى ذهب ابن السكيت[4] ، ولذلك عده ابن سيده فى المخصص[5] لغة .

ولعلك قد أدركت بعد عرض هذه الأنواع الأربعة من الإبدال أن النوع الأول منها وهو الإبدال التصريفى هو الذى يندرج تحت طائلة علم الصرف ، ولذلك يجب الرجوع إليه مرة أخرى لنتعرف حروفه التى يقع فيها هذا النوع من الإبدال ونحاول أن ندرس خصائصها .

**أولا : حروف الاعلال :**

بالتعريف الذى سنأخذ به فى الإعلال تكون حروف الإعلال هى : الألف والواو والياء والهمزة .

وللصرفيين العرب نظرة خاصة إلى الهمزة من إبدال الضرورة الشعرية وليس من الترخيم إذ يلحقونها بأحرف العلة الثلاثة ، فهم

---

(١) انظر هذه الشواهد فى المفصل للزمخشرى ٣٦٤ وما بعدها وهمع الهوامع للسيوطى ٢/١٥٧ .
(٢) انظر سيبويه ١/٣٤٤ . (٣) المقتضب للمبرد : ١/٢٤٧ .
(٤) انظر إصلاح المنطق ٣٠١ . (٥) أنظر : الدرر اللوامع ٢/٢١٢ . (٦) سيبويه ٢/١٦٥ .

يقولون إنها أخت لحروف العلة اللاتى هن أمهات البدل والزوائد وكان الخليل بن أحمد يسميها الحروف الهوائية ويقول سيبويه : « فأبدلوا هذه الحروف التى منها الحركات لأنها أخوات ، وهى أمهات البدل والزوائد ، وليس حرف يخلو منها أو من بعضها ، وبعضها حركاتها ، وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف ، وهى إحدى الثلاث ، والواو والياء شبيهة بها أيضا مع شركتهما أقرب الحروف منها[1] ونص سيبويه يجعل هذه الأصوات الأربعة ( الألف والواو والياء والهمزة ) أخوات ولعل هذا مما يسوغ البدل بينها .

والواو والياء والألف تسمى حروف المد واللين ، وهى متقاربة المخرج ، إذ ينطلق فى نطقها الهواء خارجا من الرئتين لايعترضه شىء ولايشكل نطق كل منها إلا حركة الفم ، ويمكن مع التراخى بعض الشىء فى نطق إحداها أن تتحول إلى الأخرى يقول ابن جنى فى وصف مخارج هذه الأحرف الثلاثة : « والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو ، وأوسعها وألينها الألف ، إلا أن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف للصوت الذى يجرى فى الياء والواو ، والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الألف والواو .

والعلة فى ذلك أنك تجد الفم والحلق فى ثلاث الأحوال مختلف الأشكال .

أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر .

وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتى اللسان وضغطته ، وتفاج ( أى تباعد ) الحنك عن ظهر اللسان ، فجرى الصوت متصعدا هناك ، فلأجل تلك الفجوة ما[2] استطال .

وأما الواو فتُضُمّ لها معظم الشفتين وتدعُ بينهما بعضَ الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت .

فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر[3] .

فالأصوات الثلاثة مخرجها واحد وصفاتها متقاربة ، والهمزة أخت لها كما يقرر سيبويه ولهذا السبب ساغ البدل بينها ، وسوف نحاول أن نتناول كل واحد منها على حدة .

---

(١) أنظر العين ٦٤/١ .
(٢) (ما) هنا زائدة ، ويكثر هذا فى أسلوب ابن جنى .
(٣) ابن جنى : سر الصناعة ٩٠٨/١ .

**١ ـ الألف :**

صوت الألف لايكون إلا حرف مد ، ولايقبل الحركة بحال ، لأنه هو نفسه ـ كما يرى علماء اللغة المحدثون والقدماء أيضا ـ فتحة طويلة .

والصرفيون العرب يرون أن الألف حركة طويلة ، وذلك لأنهم يقولون إن الحركات ( الفتحة والكسرة والضمة ) أبعاض حروف المد واللين ، غير أنهم لايعاملونها على أنها كذلك ، وذلك لأن الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية ، وبناء الكثير من كلماتها على أصول ثلاثية قد تكون الألف واحدا منها، وصيرورة هذه الألف فى تقليبات الكلمة إلى واو أو ياء تجعل من الصعب القول بأن حروف المد واللين لا تكون إلا حركات فى حالة كونها ممدودة ، فإذا قلنا مثلا : إن (باع ) مكونة من مقطعين :

ب + فتحة طويلة + ع + فتحة قصيرة

فإن هذا ـ مع صحته صوتيا ـ يصطدم مع التقليبات الأخرى مثل : البَيْع والبَيَّاع والبيُع ، والبائع ، وبيعَ ، وتَبَايع ، وبَايَعَ ، ومُبَايَعة وغيرها من الصيغ المأخوذة من مادة ( البيع ) أو من الجذر الثلاثى ( ب ء ى ع ) .

نحن ـ إذن ـ مضطرون أمام هذه الخاصية الاشتقاقية لما يسمى بالأسرة اللغوية للجذر وتفريعاته فى اللغة العربية أن نقول إن الألف الموجودة فى ( باع ) ليست إلا أصلا من أصول الكلمة وهى منقلبة عن ياء.

ولاتكون الألف نفسها أصلا من أصول الكلمة فإذا وجدت أصلا فى كلمة ما ، فإنها حينئذ تكون منقلبة عن واو أو عن ياء ، فالألف فى نحو: قال ، صام ، قام ، طال ، طاف ، راح ، صال ، جال ، أصلها الواو:

والألف فى نحو: باع ، سال ، مال ، بات ، صار ، جاء أصلها الياء :

والألف فى نحو : دعا ، دنا ، رجا ، سما ، نما أصلها الواو .

والألف فى نحو : سعى ، رعى ، بنى ، هذى أصلها الياء .

وقد انقلبت الواو والياء فى كل هذه الكلمات ألفا ، لأن الواو حرف من حروف المادة المعجمية لكل الكلمات التى يرى الصرفيون أن الألف منقلبة عنها فيها ، وكذلك الياء .

وخلاصة هذا كله أن الألف فى نظر علماء الصرف قد تكون أحد أصول الكلمة غير أنها تكون منقلبة عن ياء أو عن واو ، وقد تكون زائدة فى مثل : قاوم وساوم وبايع وقائم الخ ، ولا يمنعهم هذا من النظر إليها على أنها فتحة طويلة أخذت منها الحركة القصيرة وهى الفتحة لأن الحركات أبعاض حروف المد واللين ،

فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة[1] .

**٢ ، ٣ ـ الواو والياء :**

للواو والياء حالتان :

أولاهما : أنهما قد يكونان حركتين طويلتين كما فى : أدعو وأرجو ونسمو ونشكو ويرمى ويجرى ويهدى والداعى والقاضى فكل من الواو والياء فى هذه الأمثلة عبارة عن حركة طويلة فالواو ضمة طويلة ، والياء كسرة طويلة ، ولا فرق بين الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة إلا كمية الطول ، وكذلك لا فرق بين الضمة القصيرة والضمة الطويلة إلا كمية الطول فحسب .

**ثانيهما :**

هى أن كلا من الواو والياء قد تعامل معاملة الأصوات الصامتة وذلك إذا تحركتا فى مثل وَلد ، ويَكتب فكل من الواو والياء فى المثال المذكور قائم بوظيفة يقوم بها الصوت الصامت فليست كل منهما فى مثل المثال المذكور ( حرف مد ) أو حركة طويلة ومما يؤيد أن الواو والياء فى هاتين الكلمتين ( ولد ـ يكتب ) وأمثالهما تؤديان وظيفة الأصوات الصامتة أنهما ـ كالأصوات الصامتة تماما ـ متبوعتان بحركات ؛ أى أن الواو محركة بالفتحة وكذلك الياء فلا يمكن عدهما هما أنفسهما حركات فى هذا المثال :

فإذا تحركت الواو والياء فى مثل وَلد ، وَعد ، وثب الخ ويَكتب ، يَترك إلخ ، وكذلك إذا وقعتا ساكنتين فى مثل حوْض ثوْب وبيْت وغيْظ فإنهما يكونان من الأصوات الصامتة ، يقول الدكتور كمال بشر : « ومعنى هذا أن الواو والياء فى اللغة العربية من الأصوات الصامتة فى سياقين صوتيين معينين هما :

١ ـ إذا أتبعت الواو والياء بحركة من أى نوع ( أى إذا حركت كل منهما ) :

٢ ـ إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة :

ولكن يجب ألا ننسى أنهما فى هاتين الحالتين لهما شبه نطقى بالحركات كما أن لهما شبها وظيفيا بالأصوات الصامتة ـ من جهة أخرى ـ ولهذا يطلق عليهما العلماء فى هاتين الحالتين « أنصاف الحركات » ويرى الدكتور بشر أنه من الممكن أن يسميا أنصاف صوامت أيضا ولكن المصطلح الأول أولى لشهرته فى الدراسات اللغوية وهو أيضا ماتعارف عليه الدارسون[2] .

---

(١) انظر سر صناعة الإعراب لابن جنى ١/١٩ .

(٢) انظر د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ٨٥ ، ٨٦ .

وسواء أكانت الواو والياء من الصوامت أم من الحركات فقد هيأتهما طبيعتهما الصوتية إلى إمكان التبادل بحيث تتحولان فى سياقات صوتية مختلفة إلى بعضهما أو إلى الألف أو الهمزة وفقا للتناسق الصوتى على ماسنرى فيما بعد.

**٤ ـ الهمزة :**

سبق لنا طرف من آراء النحاة القدماء فى الهمزة ، فبعضهم يرى الهمزة أختا لحروف العلة ، ونود أن نذكرهنا أن الخليل ابن أحمد يرى أن الهمزة حرف علة [1] أو هى شبيهة بحروف العلة ، ولذلك عندما تخفف تصير إلى أحد حروف العلة .

وصوت الهمزة ينتج من انطباق الوترين الصوتيين « الغشائيين » والغضروفين الهرميين فى الحنجرة انطباقا كاملا وشديدا بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقا فيحتبس داخل الحنجرة ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار .

يقول سيبويه عن الواو والياء والألف «وهذه الحروف غير مهموسات وهى حروف لين ومد ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شىء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوى الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره فى موضع الهمزة ، وإذا تفطنت وجدت مثل ذلك ، وذلك قولك ظلموا ورَمَوْا وعمِى وحُبْلَى .

وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا ظلموا ورموا فكتبوا بعد الواو ألفا ؛ وزعم الخليل أن بعضهم يقول رأيت رجَلأ فيهمز وهذه حُبْلأ وتقديرهما رجلعْ وحبلعْ ؛ فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة فأراد أن يجعلها همزة واحدة ، وكان أخف عليهم . وسمعناهم يقولون : هو يضربأ فيهمز كل ألف فى الوقف كما يستخفون فى الإدغام فإذا وصلت لم يكن هذا ،لأن أخذك فى ابتداء صوت آخر يمنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية فى السمع [2] » .

وقال الليث : قال الخليل :

« فى العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية وهى الواو والياء والألف اللينة والهمزة .

فأما الهمزة فسميت حرفا هاويا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ولامن مدارج الحلق ولامن مدارج اللهاة إنما هى هاوية فى الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيرا : الألف اللينة والواو والياء هوائية أى أنها فى الهواء [3] » .

---

(١) أنظر العين ١/٦٤ ، ٦٥ (٢) سيبويه ٢/٢٨٥

(٣) العين ١/٦٤

وهذه النصوص تكشف فهم القدماء للقرابة الصوتية بين هذه الأحرف ولعل هذا ما سهل التبادل بينها وتغيرها ببعضها دون أن يترتب على ذلك تغيير فى معنى الكلمة الواحدة.

وقد اختلف الدارسون المحدثون فى وصف هذا الصوت بالجهر أو بالهمس ، وبعضهم قال عنه إنه صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور[1] .

ومهما يكن من اتفاق هؤلاء أو اختلافهم فإن الذى يعنينا هنا أن هذا الصوت يقع تحت طائلة الإبدال أو الإعلال فيتحول إلى ياء أو ألف أو واو كما تتحول هذه الأحرف إليه فى سياقات صوتية مختلفة لم تنل من هؤلاء المحدثين الاهتمام المناسب .

**ثانيا : حروف الابدال :**

حروف الإبدال — بالمفهوم الذى سنتناوله به — هى : الدال والطاء والتاء والميم ، وقد ينضم إليها فى بعض الحالات الذال والزاى والظاء فى حالة الإدغام فحسب .

ولكننا سنتناول بالتفصيل الحروف المشهورة منها وهى الدال والطاء والتاء وأما الميم فإن لها موقعا خاصا[2] .

**( ١ ) التاء :**

التاء صوت (أو حرف) ينقلب إلى حروف أخرى كالطاء والدال ويكون ذلك فى صيغة الافتعال وما يتفرع منه إذا كانت فاء الافتعال حرفا معينا ، كما أن التاء تبدل منها الواو والياء فى هذه الصيغة أيضا أى صيغة الافتعال ، وما يتفرع منها . فإبدال التاء طاء أو دالا وإبدالها من الواو والياء خاص بصيغ الافتعال وتقلب التاء طاء أو دالا للتناسب الصوتى وتبدل من الواو أو الياء تسهيلا للنطق وتخفيفا فيه .

وقد وصفت التاء بأنها صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس ، أما أنها صوت انفجارى فلأن الهواء يقف وقوفا تاما أثناء النطق بها عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل اللسان فجأة تاركا نقطة الالتقاء فيحدث صوت انفجارى ، وأما أنه صوت مهموس فلأن الأوتار الصوتية لا تتذبذب حال النطق به ، ويلاحظ أن التاء هى النظير المرقق للطاء المستعملة فى الفصحى المعاصرة .

---

( ١ ) انظر : د . تمام حسان مناهج البحث فى اللغة ١٠٣ ود . عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ود . إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ٧٢ ود . كمال بشر : الأصوات ١١٢ ود . عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٤ ، ٢٥ ود . محمود السعران : علم اللغة ص ١٩٥

( ٢ ) تبدل الميم من النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء مثل : من بعد ، وأنبئهم ولهذا رسمت فى المصحف العثمانى ميم صغيرة فوق النون إشارة للقارىء ، ويلاحظ أن الميم جمعت خصائص من الباء الشفوية والنون الأنفية ولذلك صلحت معبرا بينهما ، ويسمى هذا فى فن التجويد القرآنى « الإقلاب » .

**( ٢ ) الطـاء :**

وصف القدماء هذا الصوت بأنه صوت مجهور ، فقد عدها سيبويه من الحروف المجهورة — وهى التى تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بها — ويرى سيبويه أن الفرق بين الطاء والدال هو الإطباق فحسب إذ يقول « ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شئ من موضعها غيرها[1] » ، فلما كانت الدال صوتا مجهورا ، وكانت الطاء مشبهة لها فى غير الإطباق كانت الطاء صوتا مجهورا كذلك .

وقد وصف علماء اللغة المحدثون صوت الطاء بأنه صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس مفخم أو مطبق .

وقد وقف بعض الدارسين أمام وصف القدماء محاولا أن يلتمس له وجها ، وعلل ذلك بأحد ثلاثة أمور :

الأول : أن هؤلاء القدماء ربما أخطأوا فى الملاحظة ولا سيما أنهم لم يستخدموا إلا الملاحظة الذاتية التى لا تستند إلى أجهزة علمية أو غيرها ، فكانت الملاحظة الذاتية هى وسيلتهم الوحيدة .

الثانى : أن الطاء ربما كانت تنطق فى عصرهم بالطريقة التى وصفوها بها ثم حدث تطور فى نطق هذا الصوت حتى صار إلى ما نعرفه اليوم : أى أنه كان فى عصرهم مجهوراً ثم تطور النطق به حتى صار مهموسا .

الثالث : لعلهم كانوا يصفون صوتا يشبه صوت الطاء الذى نسمعه فى بعض لهجات الصعيد وفى نطق بعض السودانيين الآن وهو صوت طاء مشربة بالتهميز glattalization أى أننا نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمز فيها . ويتم نطق هذه الطاء بالطريقة التى تنطق بها طاؤنا الحالية بإضافة عنصر جديدهو إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها ومن ثم لا يمر الهواء خلال الحلق والفم ، وبالتالى يختلف ضغط الهواء فى هاتين المنطقتين وفى خارج جهاز النطق عنه خلف الأوتار الصوتية وفجأة تنفصل الأعضاء المشتركة فى نطقها بعضها عن بعض فيخرج الهواء المضغوط خلف الأوتار بقوة ملتقيا مع الهواء المندفع من الخارج فى الفم فنسمع طاء مهموزة glottalized نتيجة إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها[2] .

والذى أراه أنه ينبغى ألا نغفل هنا ظاهرة الإبدال بين التاء والطاء وتحول التاء — وهى مهموسة — إلى طاء فى صيغة افتعل إذا كانت فاء الافتعال صوتا مطبقاً أو مفخما كالطاء

---

( ١ ) سيبويه ٢/٤٠٦ وانظر سر الصناعة ١/٢٢٣ حيث يقول « اعلم أن الطاء صوت مجهور » وكذلك المقتضب للمبرد ١/١٩٥ حيث عد الأصوات المهموسة ولم يعد بينها الطاء .

( ٢ ) أنظر د . كمال بشر : الأصوات ١٠٣ ، ١٠٤ .

والظاء والصاد والضاد فينبغى إذن أن تكون الطاء مهموسة أيضا ، إذ الحاجة إلى التفخيم فحسب فى مثل اصطبر قلبت التاء طاء ، ولا يحتج هنا بأن هذه من الممكن أن تكون صيغة مستقلة ولا علاقة لها بالتاء ، لأننا نرى أن القوالب الصرفية ثابتة ومطردة وهـذه التغييرات إنما تحدث لمناسبة الأصوات بعضها مع البعض الآخر عند انصبابها فى القوالب الصرفية .

**( ٣ ) الدال :**

الدال صوت أسنانى لثوى انفجارى مجهور ، وهو النظير المجهور للتاء ، وليس بينهما من فرق إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان مع الدال أثناء النطق ولذلك قلبت تاء الافتعال دالا عند وقوعها بعد صوت بين أسنانى مجهور مثل الذال أو لثوى مجهور كالزاى .

ولعلك لاحظت أن هـذه الأصوات الثلاثة (التاء والطاء والدال) أصوات أسنانية لثوية انفجارية فهى متقاربة فى المخرج والصفة والتاء والطاء مهموستان ولا فرق بينهما إلا الإطباق ، والدال مجهورة ، ولذلك قلبت التاء طاء بعد الأصوات المفخمة أى فخمت التاء فصارت طاء ، وقلبت التاء دالا بعد الأصوات المجهورة أى صارت التاء صوتا مجهورا ولا فرق بين التاء والدال إلا فى الجهر فقط .

يقول ابن جنى « فإن فاء افتعل إذا كانت زايا قلبت التاء دالا وذلك نحو : ازدجر ، وازدهى ، وازدار ، وازدان ، وازدلف ، وازدهف ونحو ذلك ، وأصل هذا كله : ازتجر وازتهى وازتار وازتان وازتلف وازتهف لأنه افتعل من الزجر والزهر والزور والزين والزلف والزهف ، ولكن الزاى لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء فى المخرج وأخت الزاى فى الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاى وهى الدال فقالوا ازدجر وازدار[1] » ونص ابن جنى واضح فى بيان أن المناسبة الصوتية هى سبب الإبدال ، وهذا وقوع من الصرفيين القدماء على العلة الصحيحة .

**رابعا : فلسفة الصرفيين فى تناول هـذه الظـاهرة :**

ينبغى أن يكون واضحا أن الصرفيين العرب لم يخلقوا هذه الظاهرة خلقاً ، ولا تكلفوا القول بها ارتجالا ، وذلك لأن مهمة الباحثين ينبغى أن تكون وصفا للظاهرة وتحديدا لها ثم وضعا للقواعد التى تحكمها على ما هى عليه دون تدخل منهم فى مسارها لكنه يمكن القول بأن منهج الصرفيين العرب هو الذى استدعى الوقوف على هذه الظاهرة بالطريقة التى سلكوها معها ، وكان من الممكن

(١) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ١/٢٠٠ .

لو أنهم اتبعوا منهجا آخر ألا يكون ثمة ما يسمى إعلالا أو إبدالا (١).

ومن الحق أن نقرر بادىء ذى بدء أن مسلك الصرفيين العرب كان مسلكا منسجما مع طبيعة اللغة العربية وفهم أسرارها .

وبيان ذلك أن اللغة العربية لغة اشتقاقية كأخواتها الساميات (٢) بمعنى أن الكلمات فيها تلتقى كل مجموعة منها فى أسرة واحدة تنتمى إلى جذر ثلاثى فى أقل صورة ، فكل ثلاثة أحرف تكون مادة لعدد من الكلمات تتفق فى معنى أساسى وتزيد بعض هذه الكلمات معنى إضافيا على هذا المعنى الأصلى تبعا للصيغة التى تكون عليها هذه المادة فمثلا المادة (ف . ه .م) من الممكن أن تُصَبّ فى عدد من « الصيغ » أو القوالب ، مثل فَعِل(فهم) ويَفْعَل(يفهم) و(افْعَلّ)افهم وفَاعِل (فاهم) ومفْعُول(مفهوم) وفَعّال (فهام) وفَعْل(فهم) وأفْعَلّ (أفهم)ويُفْعِل (يفهم)واستَفْعَل(استفهم)وتَفاعَل(تفاهم) إلى آخر ما يمكن أن تصب فيه هذه المادة من القوالب أو الصيغ الصرفية التى تتفق مع بعضها فى المعنى الأساسى الأول وهو الفهم

ولكن كل صيغة منها لها معنى أو دلالة صرفية إضافية نابعة من اختلاف الصيغة أو القالب .

ومن الواضح أن بعض هذه الصيغ أفعال وبعضها الآخر أسماء وعلى عالم الصرف أن يحدد هذه الصيغ ويحصرها ويحدد صفات كل صيغة من هذه الصيغ ويبين صيغ الأفعال وصيغ الأسماء .. إلخ .

ونحن نرى أن علماء الصرف العرب قد قاموا بجهد كبير فى هذا المجال فحددوا صيغ الأفعال وصيغ الأسماء وبينوا الفروق الدقيقة بين كل صيغة وأخرى تحت ما سموه بمعانى حروف الزيادة ، وحروف الزيادة فى الواقع هى اللواصق التى تكسب البنية دلالة إضافية مع المعنى الأصلىّ .

وقد اطردت هذه النظرة واستقامت لهم لأن طبيعة اللغة مواتية لهذا الفهم ، وعلى ذلك صنفت المعاجم العربية بحيث تذكر المادة اللغوية المكونة من ثلاثة أصوات أو حروف على الأقل ويندرج تحت هذه المادة جميع الصيغ الممكنة أو قل جميع القوالب التى يمكن أن تصب فيها هذه المادة الصوتية الثلاثية

---

(١) وكان ذلك يحدث لو أنهم لم ينظروا إلى اللغة على أنها لغة اشتقاقية تنتمى كل مجموعة من الكلمات فيها إلى جذر ثلاثى واحد مثلا .

(٢) يقرر كثير من الدارسين لفصيلة اللغات السامية أنها لغات اشتقاقية ويؤكد أن الأصوات التى يتألف منها أصل ما توجد مرتبة حسب ترتيبها فى هذا الأصل فى جميع الكلمات المشتملة على معناه فالأصوات الثلاثة ( ق. ت. ل ) مثلا التى يتألف منها الأصل الدال على معنى القتل توجد مرتبة بالشكل السابق فى جميع الكلمات المشتملة على هذا المعنى مثل ( قتل ) يقتل ، قاتل ، قتال ، مقتول ، قتيل ، إلخ ( أنظر اللغات السامية لنولدكه ص ١٠ وتاريخ اللغات السامية لولفنون ١٤ وفقه اللغة لعلى عبد الواحد وافى ١٣ ، ١٤ ط ٢ ) .

لتشكل بأشكال مختلفة تتفق فى معنى أساسى ويفترق بعضها عن بعض بفروق دقيقة مضافة إلى المعنى الأساسى عن طريق اختلاف الصيغ أو المقاييس أو الأبنية أو الموازين وإن شئت عن طريق المورفيمات أو اللواحق الصرفية بمعناها الأعم وقد سموا الجذر الأصلى بالمصدر «فالمصدر كالمادة والفعل كالمركب من الصورة والمادة وكذا اسم الفاعل والمفعول والموضع والآلة وجميع ما هو مشتق من المصدر»[1] « كما يقول الرضى » .

وقد كان من الضرورى استجابة لهذا المنهج الذى سلكه الصرفيون العرب أن يوجد ما سمى بالإعلال والإبدال ، وذلك أن الأصول الثلاثية التى يمكن وضعها فى صيغ مختلفة قد يكون بينها حرف علة مثل مادة (ق.و.ل) أو (ب.ى.ع) أو ( د.ع . و) أو (س.ع.ى) إلخ .

فمادة ( القاف والواو واللام ) عند وضعها فى صيغة (فَعَل) ينبغى أن تكون (قَوَل) بواو مفتوحة — وهنا تخضع هذه الصورة (قَوَل) لقوانين صوتية تجعل استخدامها هو (قَالَ) لا ( قَوَلَ) فهنا نجد صيغة هى :

فَعَل = قَوَل ← قَالَ

ولذلك نجد الصرفيين يقولون إن قال أصلها قَوَل ومرادهم بالأصل هنا الصورة المطابقة تماما لبناء الصيغة أو ما يسمى الميزان وهو « البانية التحتية» وكان عليهم أن يصفوا التغيير الذى حدث وهو هنا قلب الواو ألفا وسبب هذا التغيير وهو هنا فى نظرهم تحرك الواو بعد فتح ، وقد فعل الصرفيون كل هذا .

فالمهم عند الصرفيين هو اطراد الأبنية أو النماذج أو القوالب أو « الموازين » ولذلك عندما يزنون كلمة ( قال) وزنا صرفيا نجدهم يقولون : إن وزنها هو (فَعَل) أى أن الصورة التى تنطق بها ( قال) صورة اقتضتها طبيعة الأصوات والاستعمال وما يتطلبه من انسجام فى الأصوات وسهولة فى النطق ، ولكن الصورة الأصلية الصورة المطابقة للميزان ، قياسا على نظائرها من الصحيح مثل (كتب) و(أخذ) مثلا .

وهنا مسألة يمكن أن تثار حول هذه النقطة الأخيرة وهى هل ما يدعيه الصرفيون من أصول لبعض الكلمات التى حدث فيها الإعلال أو الإبدال يعد أصولا تاريخية بمعنى أن كلمة مثل (قال) كانت تستعمل فى فترة من فترات الاستعمال اللغوى بالصورة التى تصورها الصرفيون وهى ( قَوَل) أو أن ذلك محض افتراض من أجل اطراد الموازين والأقيسة الصرفية ؟ .

والحق أن العلماء القدامى أنفسهم لم يغفلوا عن دراسة هذا الجانب ، ولكنها دراسة تناسب ما تيسر لهم من وسائل ؛ فقد رأى ابن جنى أن مثل هذه الأصوات

---

(١) شرح الشافية : ٨٨٢ .

المفترضة ليست أصولا تاريخية وأكد ذلك بوضوح شديد فى أكثر من موضع من كتبه يقول فى كتابه «الخصائص» معنى قولنا: «أنه كان أصله كذا أنه لو جاء مجىء الصحيح ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ، فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر»[1].

ويقول أيضا فى كتابه المنصف: «وينبغى أن يعلم أنه ليس معنى قولنا: أنه كان الأصل فى قام وباع: قَوَم وبَيَع» وفى «أخاف وأقام أخْوَف وأقْوَم» وفى «استعان واستقام: استعْوَنَ واستقْوَم» أننا نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدة من الزمان بقَوَم وبَيَع ونحوهما ثم إنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد.

وإنما نريد بذلك أن هذا لو نطق به على ما يوجبه القياس بالحمل على أمثاله لقيل «قوَل وبيَع واستقْوَم واستعْوَن».

ألا ترى أن استقام بوزن اسْتَخْرَج فقياسه أن يكون استقوم إلا أن الواو قلبت ألفاً لتحركها الآن وانفتاح ما قبلها فى الأصل، أعنى قوم، ويدل على ذلك أيضاً ما يخرج من المعتلات على أصله.

ألا ترى إلى قولهم: استَرْوَح واستَنْوَق الجمل واستَتْيَست الشاة فدل ذلك على أن أصل استقام: استَقْوَم وقال الشاعر:

صددْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدُودَ وقلّما
وصالٌ على طولِ الصدودِ يَدُومُ

فقوله: أطوَلْتِ يدل على أن أصل أخاف: أخْوَف وقد قالوا أطال. وقالوا أحْوَجت زيدا إلى كذا وكذا وأغيلت المرأة. وغير ذلك.

فهذه الأشياء الشاذة إنما خرجت كالتنبيه على أصول ما غُيِّرَ، وأنه لولا ما لحقه من العلل العارضة لكان سبيله أن يجىء على غير تلك الهيئة المستعملة[2].

فابن جنى يعلل وجود بعض الكلمات التى لم يحدث فيها إعلال وكان ينبغى أن يقع فيها الإعلال بناء على ما أسسوه مثل (أطول) فى قول الشاعر:

صددتِ فأطْوَلتِ الصدود وقلما
وصالٌ على طول الصدودِ يدومُ

ومثل (استحوذ) فى قوله: تعالى «استحوذ عليهم الشيطان» وغيرها مما ذكر بأن هذه الكلمات وأمثالها جاءت منبهة على الأصل فوجود «أطول» وهى على وزن (أفعل) تنبيه على أن كلمات مثل: أقام وأقال وغيرهما أصلهما أقْوَم وأقْوَل على وزن (أفعل).

---

(١) ابن جنى: الخصائص ١/٢٥٧ وانظر أيضا صفحات ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١ فى هذا الجزء نفسه.
(٢) المنصف ١/١٩٠، ١٩١.

وقد وقف بعض الدارسين المحدثين من هذه المسألة ـ أى مسألة الأصل ـ الذى يفترضه الصرفيون مواقف مختلفة فمنهم من قال بأن « القول بأن صيغة ما أصل لكلمة أو صيغة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوى الحديث » [1] ولذلك ينبغى الاكتفاء بتسجيل الحقائق الموجودة فى الصيغة بالفعل دون تأويل أو افتراض ، وهذا سلوك الوصفيين من علماء اللغة .

ومنهم من ينتهج منهجا تاريخيا ، ويرى أننا ينبغى أن نتبع تاريخ الصيغ المختلفة لنكشف عما أصابها من تغير وما حدث لها من تطور عبر فترات التاريخ ونجب الاستعانة فى ذلك بمقارنة العربية بأخواتها الساميات وعلى هذا يمكن الاستدلال . بالكلمات التى بقيت لم يحدث فيها إعلال بأنها بقايا تاريخية للاستعمال لم يصبها ما أصاب الكلمات الأخرى مما سماه الصرفيون إعلال ، فهم يستدلون على أن ( قال) أصلها ( قَوَل ) تاريخيا ـ لا صرفيا فحسب ـ بوجودها فى الحبشية مثلا ـ وهى سامية ـ بالصورة الأخيرة .

ومهما يكن من أمر فإن هذه قضية يمكن أن يدرس الإعلال والإبدال فى ضوئها وقد تأتى بنتائج تعين على فهم أسرار اللغة غير أنها محتاجة إلى وثائق يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد .

لكننا يمكننا القول الآن بأن الأساس الذى اعتمد عليه الصرفيون العرب فى دراسة هذه الظاهرة هو مالاحظوه من خصائص اللغة العربية وأهم هذه الخصائص « الاشتقاق فى اللغة » واعتماد كل مجموعة من الكلمات على أصل ثلاثى يتشكل فى عدد من الصيغ تكشف عنه نظم المعاجم العربية ـ وما أكثرها ـ بصورة غاية فى النصوع والبين .

وهذا هو الأساس الأول الذى استند إليه الصرفيون فى النظر إلى ظاهرة الإعلال والإبدال .

أما الأساس الثانى فهو مراعاة الانسجام والتناسق الصوتيين أو ماسموه بالمناسبة الصوتية فى الكلمة ولذلك علللوا حدوث الإعلال بأنه للتخفيف ، وهذا الأساس فى واقع الأمر ليس إلا تعليلا للأساس الأول، ومبلغ علمى أنهم قد أصابوا توفيقا كبيرا فى كثير من هذه التعليلات .

وينبغى أن نسجل هنا بأمانة أن هؤلاء العلماء قد وقف كثير منهم على فهم كثير من أسرار العربية ، وعللوا لهذه الظاهرة تعليلا صحيحا فى كثير من الأحيان، فظاهرة الإعلال عندهم ترجع لأسباب مختلفة هدفها جميعا التخفيف ، فالعربية تستثقل مقاطع خاصة كالواو ساكنة بين الياء المفتوحة والكسرة ولذلك حذفت الواو فى مضارع وَثَبَ وَعَدَ وَثِقَ على سبيل المثال فلم يقل يَوْثِب ولا يَوْعِد ولا يوثق : بل قيل : يَثِب ويَعِد ويثق .

---

( ١ ) د . تمام حسان . مناهج البحث فى اللغة ١٨١ .

ويعبر عن ذلك ابن الحاجب بقوله «وتحذف الواو من نحو يَعِد ويَكِد لوقوعها بين ياء وكسرة أصلية» وهذه طريقة وصفية تعتمد على ملاحظة الظاهرة الصوتية دون تدخل من الباحث ، ولكنه يكتفى بوصفها بالطريقة التى قدمها بها .

ولما كان الإعلال مجاله حروف العلة فقد اهتموا بذكر خصائص حروف العلة وحاولوا تتبعها ، ولهم فى ذلك أحكام يصيب بعضها ويجانب الصواب بعضها الآخر فقد أدركوا التقارب بين الياء والواو ، لكنهم يتهمون بعض أحرف العلة بالثقل دون بعض ، وهذا مالاتوافقهم عليه .

وقد التفتوا إلى ظاهرة التناسب بين الأصوات وصيرورتها من نمط واحد ، على حد تعبير بعضهم ، ولهم فى ذلك نصوص كثيرة دقيقة ، وظاهرة الإعلال والإبدال فى حقيقة أمرها إنما هى للتناسب بين الأصوات فى الكلمة ، والصوت يتأثر بما قبله وما بعده أى بالظروف المحيطة به ، يقول ابن جنى : « ويدلك على أن الشىء إذا جاور الشىء دخل فى كثير من أحكامه لأجل المجاورة قولهم : قِنْية ، وصِبْية . وفلان من عِلْية الناس ، وهو ابن عمى دنْيا ، وصِبْيان . وأصل قِنْية من قنوت ، وصِبْية وصِبْيان من صبوت ، وعِلْية من علوت ، ودِنيا من دنوت . وقياسه : قِنْوة ، وصِبْوة ، وعِلْوة ودِنْوا ولكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها صارت الكسرة كأنها قبل الواو ، ولم يعتمد الساكن حاجزا لضعفه[1] وتغيير أصول الكلمة بما يناسب الصيغة أو البنية يغير ظروف الصوت فيحدث أن تتحول الواو مرة إلى ياء وأخرى إلى ألف أو همزة وعكس ذلك كله واقع ، وهكذا .

وهذا إدراك سليم من الصرفيين ، وفهم صائب لانريد أن نزكيه بما يقوله ريتشاردز :

«إن وقع الصوت لدى النفس لا يتوقف على الصوت نفسه بقدر مايتوقف على ظروفه المحيطة به ؛ أى على مقدار مابينه وبين ماقبله ومابعده من الأصوات من انسجام فإن هذه الأصوات تتآلف وتكون شبكة محبوكة النسيج ، وأن الكلمة التى تستطيع أن تقع موقع الرضا والقبول لدى هذه الأصوات جميعا وتنسجم معها كلها فى وقت واحد هى الكلمة التى تظهر بمظهر الفوز الموسيقى»[2] وقد حاولوا وصف تغير الأصوات حتى تنسجم موسيقاها وبينوا السبب فى ذلك بما يدل على أنهم فهموا الظاهرة على هذا النحو الدقيق ، فمما لاشك فيه أن المتكلم يجد عند نطق همزتين متجاورتين من الثقل مايعييه ، ولذلك تخلصت العربية من التقاء همزتين متجاورتين بقلب الثانية إلى حرف علة يناسب الموقع صوتيا ولذلك يقول المازنى : « إذا التقت الهمزتان فى واحدة فلابد من إبدال الثانية على كل حال»[3] .

---

(١) المنصف شرح التصريف لابن جنى ٢/٢ ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن تأثير الجوار يمتد إلى ظاهرة الإعراب نفسها وهى أغلى ما يحرص عليه النحاة فعرف الجر على الجوار والإتباع وغير ذلك .

(٢) (٣) المنصف ٢/٥٢

وإذا خفى عليهم سبب بعض التغييرات فإنهم كانوا يعللونها بأنها لطرد الباب على وتيرة واحدة حتى يحصل التشاكل ، فنى مضارع (يعد) مثلا قالوا إن الواو حذفت لأنها مستثقلة بين الياء المفتوحة والكسرة فلما وجدوا أنها محذوفة فى : أعد ونَعِد وتَعِد — وهى فيها لم تقع بين ياء مفتوحة وكسرة — قالوا : إن الحذف فى هذه نوع من الاطراد حتى لا يحصل تخالف فى الصيغة الواحدة ، والقرار من حصول التخالف إلى حصول التشاكل سبب عندهم كذلك لوجود إبدال الواو فى صيغة افتعل تاء ، فلولم تقلب فاء الافتعال إذا كانت واوا تاء لصارت مرة واوا إذا قلت فى اتّصل مبنيا للمجهول «اوتصل» وصارت ياء إذا كان مبنيا للمعلوم (ايتصل) وفى المضارع واسم الفاعل والمفعول : يوتصل وموتصل وموصل . وفى الأمر : ايتصل » فلما حصل هذا الداعى إلى مطلق قلبها إلى حرف جَلْد (قوى) لا يتغير فى الأحوال — وللواو بانقلابها تاء عهد قديم — كان انقلابها تاء ههنا أولى ولاسيما وبعدها تاء الافتعال وبانقلابها إليها يحصل التخفيف بالإدغام فيها » [1].

وأما فى الإبدال فقد رأينا تفسير ابن جنى السابق فى إبدال تاء الافتعال دالا بأنه لمناسبة الأصوات بعضها لبعض فى المخرج أو الصفة ، فهى تبدل دالا إذا كان قبلها الزاى ليتناسب الصوت المجهور مع المجهور ، وتبدل طاء إذا كان قبلها صوت مطبق أى مفخم ليتناسب التفخيم مع مثيله وهكذا .

ونستطيع بعد هذا أن نلخص فلسفة الصرفيين العرب فى تفسير ظاهرة الإعلال والإبدال فيما يأتى :

١ — إن تناول الصرفيين لهذه الظاهرة يكشف عن فهمهم الصحيح لخصائص العربية إذ أنها لغة اشتقاقية ، والقول بما قالوا به فى بعض مسائل الإعلال يطرد مع هذه الخاصية التى تشترك فيها العربية مع أخواتها الساميات ، فالقول بأن (قال) أصلها (قَوَل) مثلا إنما هو رد هذه الصورة المنطوقة إلى الجذر الذى تنتمى إليه وهو ( ق.و.ل) وقد أكد ابن جنى هذا المعنى فى النصوص التى نقلناها عنه من أجل اطراد الأقيسة والنماذج وإن كان هذا لا ينفى أن يكون ثمة أصل تاريخى لمثل هذه الصيغ كما يتضح فى الأمثلة التى لم يحدث فيها إعلال مثل : استحوذ وأغيلت المرأة واستنوق الجمل واستتيست الشاة إلخ غير أن هذا الفرض الأخير محتاج إلى دراسة تاريخية مقارنة حتى يُطمأن إلى صحته .

---

(١) شرح الشافية ٢/٨٢ ، ٨٣ .

٢ — إن تلمس الصرفيين لأسباب التغير فى هيئة الكلمات التى حدث فيها الإعلال والإبدال يكشف عن فهم فيه صواب كثير لخصائص الأصوات العربية والتشكيل المقطعى لكلماتها، والأسباب التى قدموها فى هذا السبيل من حيث الخفة والاستثقال والتناسب الصوتى وغير ذلك أسباب صحيحة فى مجملها برغم أنهم لم يكونوا يملكون إلا الملاحظة الذاتية .

ولكن هناك بعض الملاحظات التى يجب الالتفات إليها فى هذا الصدد ويمكن أن نجملها فيما يأتى :

١ — لقد أكثر الصرفيون العرب من افتراض الأمثلة غير المستعملة فى اللغة وفقا للنماذج أو الموازين أو المقاييس التى استخلصوها . وأكثروا مما سموه بمسائل التمرين كأن يقولوا : « صغ من كذا على وزن كذا» من أجل التدريب على مسائل التصريف .

وهذه المسائل — وإن كانت تعين على التمكن من أحكام التصريف لأنها تطبق قواعده على افتراضات ذهنية — أرى أنها تعوق ما يجب على الباحث من قصر اهتمامه بالمستعمل المنطوق من اللغة فضلا عن أنها تزهد كثيراً من الباحثين فى دراسة هذا الجانب بله الشادين فيه ، وتعوق دون الإقبال على هذا الفرع من الدراسة ، ويكفى الرجوع إلى باب «مسائل التمرين » فى أى كتاب من كتب الصرف التى تذكر هذا النوع حتى يمكن التحقق من صدق هذه المقولة[1] ، ولا أود أن أذكر هنا أمثلة لهذا الضرب حتى لا أرعب القارىء ، ويجب أن تخلص كتب التصريف من هذه التدريبات غير المجدية وتنقى منها .

٢ — لقد اعتمد هؤلاء الدارسون القدامى على ملاحظتهم الذاتية وحدها إذ لم يكن متاحا لهم فى عصرهم مثل ما أتيح للدارسى اليوم من الأجهزة العلمية المختلفة والملاحظة الذاتية فى حد ذاتها إحدى الوسائل فى الوصف اللغوى غير أن الباحث يقع لظروف مختلفة فى خطأ فى الملاحظة أو قد تعجز وسائل الملاحظة عن إدراك الظاهرة على النحو الصحيح ، ومعظم هذه الأخطاء تقع فى وصف الأصوات وقد رأينا نموذجا لذلك ماسبق فى صوت ( الطاء ) إذ وصف بأنه صوت مجهور ، ومن ذلك قول الرضى « اعلم أن التاء قريبة من الواو فى المخرج لكون التاء من أصول الثنايا والواو من الشفتين ويجمعها الهمس »[2] ومدلول هذا النص أن الواو مهموسة كالتاء ، والحق أن الواو صوت مجهور[3] .

---

(١) أنظر مثلا شرح الشافية ٢/٢٩٤ وما بعدها .
(٢) المنصف ٣/٩٧ ومابعدها وشرح الشافية ٢/٨٠ ومابعدها .
(٣) انظر فى الجهر والهمس الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢١ على سبيل المثال .

٣ ــ من الملاحظات فى دراسة الإعلال والإبدال كذلك أنهم خلطوا بين اللهجات العربية فى هذه الظاهرة ، وعدوا ماكان خاصا بلهجة من اللهجات مبدأ عاما أو قانونا على اللغة المشتركة والأمثلة على ذلك كثيرة .

وهذا الجانب جزء من نظرة النحاة والصرفيين للغة بوجه عام وكان من الواجب عليهم أن يقعدوا للغة المشتركة أو اللغة الأدبية ، أو كان عليهم أن يحددوا مستوى معينا من المستويات ويضعوا قواعده على حدة حتى لايحدث خلط فى التقعيد كأن يقول الرضى مثلا : « وبعضهم يقلب الواو الواقعة بين الياء المفتوحة والفتحة ألفا لأن فيه ثقلا لكن ليس بحيث يحذف الواو له فيقول فى : يَوْجَل يَاجل وبعضهم يقلبها ياء لأن الياء أخف من الواو ، وبعضهم يستثنع قلب الواو ياء لا لعلة ظاهرة فيكسر ياء المضارع ليكون انقلاب الواو ياء لوقوعها بعد كسرة [1] فكلمة « بعضهم » فى نص الرضى تشير إلى قبيلة من العرب أى مجموعة لغوية معينة بلاشك ، ولا يمكن أن يكون المقصود بكلمة « بعضهم » بعض العلماء لأن العالم ليس من حقه أن يتدخل فى الاستعمال اللغوى كما هو واضح ، وتلاحظ أن الرضى ذكر هذا الكلام بإجمال ولم يحدد أصحاب كل قول وهل هذا داخل فى صلب اللغة المشتركة أو لا وأيها نختار ... إلخ .

٤ ــ مع الدقة الملحوظة فى تناول الصرفيين العرب لهذه الظاهرة نلاحظ أيضا أنهم اضطربوا أمام بعض الظواهر فلم تتفق لهم سبيل واحدة فى التفسير وقد صرح الرضى بهذا حين قال فى مسألة من المسائل: « واضطرب فى هذا المقام كلامهم » والحق أن هذا الاضطراب الذى يشير إليه الرضى كان فى مسألة من مسائل التمرين ، فالمثال مفترض وفيه خلاف واضطراب فكأننا نخلق المشكلة لنختلف فى حلها ، وهذا ماقلنا من قبل إنه يجب التخلص منه .

٥ ــ هناك أيضا تكلف فى محاولة التماس العلة فى كل تغيير يحدث وبعض هذه العلل واه ضعيف ، وبعضها ملفق كأن يقولوا مثلا فى «استقام» : أصلها استقوم ــ وهذا القدر نتفهم وجهة نظرهم فيه ــ ويبينون السبب فى التغيير فيقولون : نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم يحاولون بعد ذلك التماس العلة لقلب الواو ألفا ، فيقولون : تحركت الواو بحسب الأصل ــ لأنها من قوم ــ وانفتح ماقبلها بحسب الآن فقلبت ألفا .

وهذا فى الواقع تلفيق بين حالين لايستريح له العقل لأن الموضوع افتراض من أوله ، ونحن قد نسلم بأن الأصل هو

---

(١) شرح الشافية ٢/٩١ ، ٩٢ .

استقوم لأن القالب أو الميزان أو المقياس هو (استفعل) للصحيح والمعتل فإذا سلمنا بأن حركة الواو انتقلت حقا إلى الحرف الساكن الصحيح قبلها فينبغى أن نقول: إن حرف العلة المناسب للفتحة هو الألف ولذلك قلبت الواو ألفا لهذا السبب ولا داعى إلى التلفيق بين الأسباب مع مراعاة أنها مفترضة من أصلها من أجل اطراد الصيغة ، وتجب الإشارة إلى أن بعض العلماء — كابن هشام — قد تجنب كثيرا من التعقيدات الموروثة وعالج كثيرا من المسائل علاجا فيه سهولة ويسر .

**خامسا : رأى بعض المحدثين فى الاعلال والابدال :**

رأينا أن القول بالإعلال والإبدال جاء نتيجة لفكرة الصرفيين العرب القائلة بأن ثمة أصلا افتراضيا مطابقا للميزان أو مطابقا للقالب الصرفى فصيغة «استقول» تعد أصلا لـ « استقال » وصيغة « أقول » تعد أصلا لـ « أقال » وصيغة « قوم » تعد أصلا لـ « قام » وصيغة « دَعَوَ » تعد أصلا لـ « دعا » وصيغة « ازتجر » تعد أصلا لـ « ازدجر » وهكذا ، ومن هنا ساغ القول عندهم بأن الواو قلبت ألفا ، والياء قلبت ألفا والتاء أبدلت طاء الخ ، وأن هذا نابع من أن الصحيح والمعتل يخضعان معا لمقياس واحد .

أما علماء اللغة المحدثون فإن بعضهم فى الحقيقة لم يتعرضوا تعرضا مباشرا لظاهرة الإعلال والإبدال ولكن يمكن فهم وجهة نظرهم من خلال أقوال متناثرة تعد أسسا لهذه القضية ، فالدكتور إبراهيم أنيس والدكتور تمام حسان مثلا يريان : أن القول بأن صيغة ماأصل لكلمة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوى الحديث [1] ويؤكد الدكتور كمال بشر هذا المبدأ إذ يقول : إن الفكرة التى تتضمن أن هناك أصلا واحدا فقط تفرعت عنه بقية الصيغ مع شئ من التعديل والتغيير فى صورها فكرة لا تعترف بها الدراسات الوصفية الحديثة فى البحوث اللغوية ، ويرى أن لكل صيغة خصائصها ووظائفها المعينة فكل صيغة من أعطى ، يعطى ، عطى ، معطى ، معط كلمة مستقلة وكذلك الحكم فى نحو يقود وقائد وقيادة ، ويقول إن هناك أساسا عاما يجب اتباعه دائما فى الدراسات الوصفية « وهذا الأساس هو الاعتماد دائما على الخصائص والمميزات الموجودة فعلا بالصيغة نفسها بقطع النظر عن إمكانية ردها إلى أصل تشترك فيه مع غيرها أو عدم إمكانية ذلك » [2] .

---

(١) انظر من أسرار اللغة : ٥٥ ومناهج البحث فى اللغة : ١٨١ .

(٢) انظر التعليق ٢٦ من صفحة ٤٩ وما بعدها فى كتاب « دور الكلمة فى اللغة » الذى ترجمه الدكتور كمال بشر وعلق على كثير من قضاياه .

والواقع أن ماذهب إليه الدكتور تمام والدكتور بشر صحيح فى ذاته وقد كان هناك من القدماء من أشار إلى هذه اللفتة، يقول السيوطى: « وزعم قوم من أهل النظر أن الكلم كله أصل وليس منه شىء اشتق من غيره[1] » ولكن السيوطى لم يعين هؤلاء الذين وصفهم بأنهم أهل النظر ، وفى مقابل هذا الرأى يذكر أن كلا من الخليل وسيبويه وأبى عمرو وأبى الخطاب وعيسى بن عمر والأصمعى وابن زيد وأبى عبيدة والجرمى وقطرب والمازنى والمبرد والزجاج والكسائى والفراء والشيبانى وابن الأعرابى وثعلب يذهب إلى أن الكلم بعضه مشتق وبعضه غير مشتق ، ويغلو بعض العلماء فيرى أن الكلم كله مشتق وقد نسب هذا المذهب للزجاج[2]

غير أن انطباق ما يقول به كل من الدكتور تمام والدكتور بشر على لغة اشتقاقية يقوم الاشتقاق فيها بدور كبير كاللغة العربية على وجه الخصوص قد يقابل بكثير من الصعوبات ، وإذا كان ستيفن أولمان وهو يتحدث عن بعض مجموعات الكلمات فى اللغة الإنجليزية

مثل : Lead ، Leader ، Leadership

ومثل : give ، gives ، gave ، given

يقول : « ومهما يكن من أمر فإن هناك صلات ترابطية قوية بين أفراد كل مجموعة من مجموعات هذين النموذجين : صلات تبرر بصورة قوية جواز معاملة كل مسلسلة منها على أنها وحدة عضوية متكاملة » مع أن هـذه الظاهرة غير مطردة فى اللغة الإنجليزية ، إذا كان ستيفن أولمان يقول هذا عن لغة كالإنجليزية ، فهل يحق لنا أن نقول بمثل ما قال به الدكتور تمام والدكتور بشر عن اللغة العربية وهى لغة اشتقاقية .

إننى أرى أن كلا من الدكتور تمام والدكتور بشر قد تأثر باللغة الإنجليزية فى هذا الحكم ، وما قالا به صحيح فى ذاته وهو أكثر انطباقا على لغة غير اشتقاقية وأرى أيضاً أن لكل لغة ظروفها الخاصة التى ينبغى أن تدرس فى ضوئها .

ولقد ذهب الدكتور بشر مذهبا أبعد من هذا إذ أخذ على الصرفيين العرب قولهم بأن كلمة كذا أصلها كذا ، كأن يقولوا إن«قل» أصلها «قول» وحذفت الوا ولالتقاء الساكنين ، يقول الدكتور كمال بشر لقد درج علماء الصرف التقليديون على أن يقولوا مثلا :

قُلْ أصلها قُولْ (*)

التى ساكنان الواو واللام فحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت : قل .

---

(١) الهمع ٦/٢٣١ ( ٣ ) انظر الهمع ٦/٢٣ ، ٢٣١ ( تحقيق الدكتور مكرم ) .
(٢) دور الكلمة فى اللغة ٤٩ ، ٥٠ ( ترجمة د . كمال بشر ) .
(*) يقول الصرفيون إن قل أصلها ( اقول ) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها فحذفت همزة الوصل لأنه لم يعد هناك داع لها فصارت الكلمة ( قول ) فحذفت الواو تخلصا من التقاء الساكنين ، سكون الواو وسكون اللام فى الأمر الساكن الآخر .

وحقيقة الأمر أن قل جاءت على هذه الصورة منذ بداية الأمر ، ولم يكن من المستطاع أن تأتى بالصورة الثانية « قول» فى النطق الفعلى ، لسبب صوتى ظاهر يرتبط بخواص التركيب المقطعى فى العربية الفصحى . لقد ثبت بالدراسة أن التركيب المقطعى :

صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت ( cvvc ) تركيب ممتنع فى هذه اللغة إلا فى حالتين اثنتين هما :

١ ــ فى حالة الوقف .

٢ ــ أن تكون الحركة الطويلة متلوة بمثلين مدغمين من أصل الكلمة مثل شابة ودابة أما ما ذهب إليه هؤلاء الصرفيون فهو عمل افتراضى لا نأخذ به فى الدرس اللغوى الحديث (١) .

مرة أخرى نقول إن ما قاله الدكتور بشر صحيح فى ذاته ، ولكن الصرفيين العرب أو التقليديين كما يسميهم الدكتور بشر قد قرروا هم أنفسهم أن هذه الأصول افتراضية لم تكن مستعملة فى وقت من الأوقات ثم عدل عنها إلى الصيغة المستعملة أو حدث تطور فيها حتى صارت الكلمة إلى ما صارت إليه ، ولكنهم يعنون بالأصل الصورة التى كان ينبغى أن تكون عليها الكلمة لو لم يحدث فيها ما سموه هم إعلالا بالحذف وسماه الدكتور بشر تركيبا مقطعيا ممتنعا ، وهذا الأصل الافتراضى عند هؤلاء الصرفيين أيضاً تركيب مقطعى ممتنع وقد بينوا سبب امتناعه لكنهم لا يغفلون عن طبيعة اللغة الاشتقاقية ويحاولون بكل سبيل أن يربطوا كل كلمة بأصلها الاشتقاقى أو بالجذر الذى تنتمى إليه ، ولم يغفلوا أيضاً عن مهمة الصرف الحقيقية وهى دراسة الصيغ والفروق بين كل صيغة وأخرى والتغييرات التى تصيب بعض حروف الكلمات عندما تصب فى صيغة معينة أو قالب معين ، وحديثهم عما ينبغى أن يكون إنما هو من أجل توضيح ما هو كائن وشرحه وتفسيره .

ولقد أخذ الدكتور بشر على الصرفيين العرب أيضاً معالجتهم لمسائل الإبدال التى تبدل فيها تاء الافتعال ( طاء ) أو ( دالا ) ورأى أن منهجهم فى هذا يتسم بسمتين واضحتين :

أولاهما : إيمانهم بفكرة الأصل بمعنى أن هناك أصلا ثابتا ترجع إليه كل الصيغ المتشابهة بطريق مباشر إن أمكن وإلا فبطريق غير مباشر على الافتراض والتأويل .

ثانيتهما : محاولة حشدهم الأمثلة المتفقة فى شىء آخر تحت نظام واحد ، أو إخضاعهم لها لميزان واحد فابتكر واصطبر

---

(١) د . بشر : الأصوات ١٨٥ ، ١٨٦ . وانظر له أيضا : دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ص ١١٠ .

عندهم كلاهما على وزن افتعل وكلاهما يرجع إلى أصل ثلاثى هو الباء والكاف والراء فى الأول والصاد والباء والراء فى الثانى .

ويرى أن سبيل المعالجة لهذه المسائل هو الوصف على حالتها الراهنةدون إلحاقها إلى أصل واحد باتباع مبدأ تعدد الأنظمة فى البحث اللغوى Polysgatemic Principls لأن مبدأ توحد الأنظمة جر الصرفيين العرب إلى التأويل والتخريج والافتراض والوصف وتعدد الأنظمة لا يتم إلا على أسس صوتية تقتضيها خـواص الصيغ المذكورة[1] .

وإننى أرى أن طريقة الصرفيين لم تخرج عما وصفه الدكتور إبشر بأنه « التفسير العلمى » فما قدموه فى علاج هذه المسائل إنما هو وصف لسلوك الأصوات فى سياقات معينة ، كما أن مبدأ توحد الأنظمة ليس عيبا ، وليس خيرا منه مبدأ تعدد الأنظمة ، وخاصة أن مبدأ توحد الأنظمة يؤدى إلى تيسير سبل الفهم والحصر وإدراك أوجه التشابه والاختلاف ، ولاشك أننى عندما أقول ( افتعل ) أسهل وأوضح من أن أقول ( افطعل ) و ( افدعل ) ، وإذا سألت أحد المبتدئين عن صيغة اصطبر ما ميزانها لقال على الفور : افتعل وكذلك ازدهر وافتكر فهذه الثلاثة من وزن واحد ولكن التناسق الصوتى هو الذى أبقى التاء فى موضع واستبدل بها طاء ودالا فى الموضعين الآخرين .

وإذا كان الدكتور بشر يرى أن هذه الأمور ينبغى أن يتكفل بها علم الأصوات فإننا نرى أن هؤلاء — وليس هذا دفاعا عنهم بل هو تقرير لواقع — لم يقصروا فى هذا الجانب وقد ردوا كل تغيير من تغييرات الإعلال والإبدال إلى سبب صوتى يرجع إلى استحالة فى النطق أو تركيب مقطعى ممتنع وسموا بعض هذا تناسبا صوتيا فى المخرج أو فى الصفة غير أن لهم مصطلحات تختلف بعض الاختلاف عن المصطلحات الحديثة وكما أنهم اعتمدوا على الوسيلة الوحيدة التى يمتلكونها فى ذلك الوقت وهى الملاحظة الذاتية ومع ذلك حققوا نتائج عظيمة .

وهناك بعض الدارسين الذين تعرضوا لدراسة الإعلال والإبدال ، وقد عالجوا هذه الظاهرة على أسس صوتية محضة ، ومن هؤلاءجان كانتينو فى كتابه « دروس فى علم أصوات العربية »[2] وقد عالج بعض مسائل الإعلال فى مواضع متناثرة تحت قوانين صوتية قائمة على الوصف ،

---

(١) انظر دراسات فى علم اللغة ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) ترجمه إلى العربية صالح القرماوى وطبع سنة ١٩٦٦ م ( الجامعة التونسية ) .

ولكنها لم تسلم له فى كثير من الأحيان كقوله « وإذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة قصيرة قلبتا همزة ، نحو : قاول — قائل وبايع — بائع وعجاوز — عجائز وجزاير — جزائر ، وإرضاى [1] — إرضاء ووفاى — وفاء [2] .

ونحن نرى أن وضع القاعدة بهذه الصورة ناقص لأن ثمة واوات أوياءات تقع بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة ولا تقلب همزة وذلك مثل جمع مقود مقاود وجمع معيشة ومعايش دون همزة .

ولكن النحاة القدماء والصرفيين العرب قد وضعوا القاعدة مستقصاة إذ نصوا على شرط قلب الواو والياء همزة فى اسم الفاعل أن تكون الواو أو الياء معلة فى الماضى فاذا لم تعل فى الماضى لم تقلب أى منهما همزة وكذلك شرطوا لقلبها همزة فى الجمع الذى على وزن مفاعل أن تكون الواو أو الياء فى المفرد فإذا كانت كل منهما متحركة أو أصلية لم تبدل منهما الهمزة ، ولذلك حكموا بشذوذ همز « مصائب » وشذوذ همز « معائش » .

وليس معنى أننا ننكر أن يدرس الإعلال والإبدال دراسة صوتية ، بل على العكس من ذلك إننا نرى أن دراسة الظاهرة صوتيا قد تساعد على فهمها وتجليتها غير أننا نرى أنها لكى تدرس دراسة صوتية ينبغى أن تعمق هذه الدراسة حتى لا يحدث تناقض فى القواعد التى يمكن وضعها لإحكام هذه الظاهرة .

ونلاحظ أيضا أن جان كانتينو يلجأ مع هذه الدراسة الصوتية إلى مثل ما لجأ إليه الصرفيون العرب القدماء كأن يقول بأن كذا حمل على كذا أى قيس عليه مثل قوله «إذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وفتحة قصيرة سلمتا نحو : قاول وساير وأما قولهم فى النصب «إرضاء» و «وفاء» فلا يناقض هذه القاعدة كما يظهر لك وإنما ذلك راجع إلى حملهم حالة النصب على حالة الرفع والجر [3] والواقع أنه يتناقض ولن يسلم من هذا التناقض بسبب قوله إنهم حملوا حالة النصب على حالة الرفع والجر . لأن المعول فيه على الوصف الصوتى هو النطق ولا يستقيم مع طريقة الوصف الصوتى القول : بأن كذا حمل على كذا ، وإلا فقد عدنا إلى أسلوب القدماء وطريقتهم فى التناول ، ومعنى هذا أنه ينبغى ألا نلجأ إلى أسلوب آخر إلا إذا كان متكاملا مطردا لا ينقض آخره أوله .

---

(١) الصواب أن تكون ( إرضو ) لأنها من الرضوان والمادة ( ر . ض . و ) .

(٢) انظر صفحة ١٣٩ .

(٣) المرجع المشار إليه ص ١٣٩ .

وإننا لنلاحظ كذلك أن الأمور التى سلمت عن طريق الوصف الصوتى كقول جـان كانتينو « وإذا وقعت الواو بعد كسرة ياء وينتج عن هذه العملية حدوث مجموعة هى « سِيْ » تصير كسرة طويلة أى ( سى ) إذا كان بعدها حرف ، وتبقى على حالها إذا كانت متبوعة بحركة نحو : مِوْلاد ميْلاد ـ ميلاد

| | |
|---|---|
| دِوَار | دِيَار [1] |
| عَالِيوْ | عالى |

أقول إننا نلاحظ أن مثل هذه الأمور التى سلمت عن طريق الوصف الصوتى قد سلمت كذلك للنحاة والصرفيين العرب القدامى من قبل وبهذا الوصف نفسه .

وهناك باحثون آخرون عرضوا لمسائل الإعلال والإبدال منهم هنرى فليش الذى وضع أسسا عامة لهذه الظاهرة هى فى الواقع وصف لمواقع قلب حروف العلة بعضها إلى بعض وهذا الوصف مجمل يمكن أن يتوجه إليه النقد ، ولا نود أن نطيل بذكر ما عرض له [2] كما أن هناك من أرجع ظاهرة الإعلال إلى أصل سامى قديم حيث يقول : «وأحد أنواع تبديل الواو والياء بالهمزة مطرد قديم جدا وهو فى حالة وقوعها بعد فتحة ممدودة مثاله قائم وسائر إلى غيرهما . والدليل على أن ذلك التبديل يرتقى إلى اللغة السامية الأم هو أنا نجده فى الأكادية والآرامية»[3] .

وإذا كان برجستراسر يؤكد أن الإعلال بين الواو والياء وبين الهمزة ظاهرة سامية الأصل لوجودها فى عدة لغات سامية فإن باحثا محدثا ينكر هذه الظاهرة من أساسها ويحكم بتخطى القدماء ومن وافقهم من المحدثين فيقول «إننا ـ من وجهة نظرنا ـ نحكم بخطأ القدماء ومن وافقهم من المحدثين فى كل ما زعموه من دعاوى الإبدال فى هذا الباب لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشترطة لحدوث الإبدال»[4] ثم يجهد نفسه فى محاولة للبحث عن تفسير آخر لهذه الظاهرة ، وقد اقتنع بتفسيرات خاصة منها أن إبدال الواو والياء همزة فى الطرف بعد ألف زائدة مثل كساء وبناء ليس إبدالا وإنما هو إقفال للمقطع المفتوح وتصحيح الكلمة فى الوقف فآثر الناطق إقفال هذا المقطع المفتوح بإحلال الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الإبدال ، بل من أجل تصحيح نهاية

(١) انظر ص ١٣٩ .

(٢) يمكن الرجوع إلى أسس هنرى فليش هذه فى العربية الفصحى ( ترجمة د . عبد الصبور شاهين ) من ٣٥ إلى ٥٠ وكذلك ( القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين حيث شرح كثيرا من هذه الأسس فى مبحث مشكلة الهمزة ، وناقشها صفحة ٥٥ وما بعدها ، واعتمد عليها .

(٣) برجستراسر : التطور النحوى : ٣١

(٤) القراءات القرآنية د . عبد الصبور شاهين ٧٧ ، قد ردد هذه الآراء نفسها فى كتابه « المنهج الصوتى للبنية العربية » ص ١٦٧ وما بعدها حتى صفحة ٢٠٢ .

الكلمة . ولا علاقة صوتية مطلقا بين الهمزة وبين الياء والواو توجب إبدالا (ما)[1] وإذا كان ما يقوله صحيحا فلماذا لم يقفل المقطع فى مثل (الآى) و (الغاى) و (الراى)[2] وكل ما آخره مقطع مفتوح منته بحرف علة ، ثم إذا كان هذا من أجل الوقف — كما يقول — فلماذا لم تعد تلك الكلمات إلى حالتها عند وصلها؟ وبعد هذا كله فإنه يرى أن هذه الهمزة كانت ياء أو واوا لكنه لا يريد أن يسميها إبدالا ، ونحن نقول له : سمها ماشئت مادامت تسميتها (إبدالا) غير مرضية عندك ؛ فنحن نسميها كما سماها الأقدمون — والمحدثون أيضا — حفاظا على المصطلح ووصفا للظاهرة .

وأما بقية مسائل الإبدال بين أحرف العلة والهمزة فإنه يخضعها لتفسير واحد « لأن مشكلتها واحدة هى مشكلة تتابع الحركات على تفاوت فى كميتها من مسألة لأخرى »[3] وليس هذا على سبيل الإبدال ولكنه — هذه المرة — على سبيل التعويض فكل من : قاول تحولت إلى قائل فعوض بالهمزة عن الواو . وعجاوز تحولت إلى عجائز وصحايف إلى صحائف إلخ. كل ذلك على سبيل التعويض حتى لا تتابع الحركات .

ولست أدرى ما الذى جعل العرب « يعوضون » فى هذه المسائل ولا يفعلون ذلك فى نحو : مقاود : مجاور ، ومعاين ومباين وأمثالها وهى فى المنطق مثل عجائز وصحائف؟ إن العربية عندما أعلت تلك وصحت هذه كانت ترمى إلى نوع من الاطراد تنبه له الصرفيون القدماء .

إن هذه الآراء التى تنظر إلى القديم بعين الاحتقار وترى أن الأخذ به ضرب من « الرجعية » لا تلبث أن تقع عند أول خطوة تحاول بها الفكاك من أسر صوابه. لقد درس القدماء اللغة من جوانبها المختلفة . واطردت نظرتهم واستقامت لهم الطريق فلم يقعوا فى مثل مايقع فيه أولئك « المجددون » من خلط واضطراب .

والله ولى التوفيق

**محمد حماسة عبد اللطيف**
مدرس النحو بكلية دار العلوم

---

(١) السابق ص ٨١ . (٢) جمع آية وغاية ورابة . انظر القاموس ٣٧٢٤ ، ٨/٣٣ .
(٣) القراءات القرآنية : ٨٨ .

# ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية
## بين القدماء والمحدثين
### (١)

للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف

**مدخل**

ظاهرة الإعلال والإبدال من أدق الظواهر الصرفية فى العربية ، وأدعاها للتأمل وإنعام النظر . ودراسة الصرفيين العرب لها تكشف عن منهج مطرد وتفكير متسق لا تناقض فيه على وجه الإجمال ، وترد عنهم كثيراً مما هوجموا به[1] . ويحسبهم — من وجهة نظرى — أنهم قدموا تفسيراً يطرد أوله مع آخره لظاهرة دقيقة المسالك عويصة المأتى متشعبة الطريق .

والسبيل إلى فهم هذه الظاهرة — من خلال شرح الصرفيين العرب لها — يفرض أن نتعقب فى بادئ الأمر أنواع التغيير الذى يحدث فى البنية ثم نحدد المصطلحات فى هذا المجال ؛ إذ أن وضوح المصطلح وإدراك الفروق خطوة مهمة فى سبيل فهم مدلوله .

وأرى من الضرورى بعد ذلك تناول « الحروف » التى يقع فيها الإعلال والإبدال ببيـــان أهم خصائصها التى هيأت لها أن تكون مجالا للتبادل فى الكلمة الواحدة مع المحافظة على المعنى وعدم تغييره .

بعد ذلك أحاول ما استطعت إلى ذلك من سبيل أن أكشف عن فلسفة الصرفيين العرب القدماء فى تناولهم لهذه الظاهرة ومعالجتهم لها ، مع مقارنة ذلك —

---

(١) انظر : عبقرى من البصرة للدكتور مجدى المخزومى صفحة ٤٤ حيث يرى أن الصرفيين أخطأوا فى تناول مسائل الاعلال والابدال فى موضوعات دراستهم ؛ لأن موضوع دراستهم هو بلية الكلمة وما يعرض لها من تغير فى زنتها أو زيادة فى أصولها أو اعتلال فى بعض أصولها . ولست أرى وجه الخطأ ما دام يقرر أن هذا موضوع دراستهم والموازنة بها فى دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ص ٤٠ ، ٤٤ .

ما أمكن ـ ببعض ما قاله بعض الدارسين المحدثين فى حيدة مطلقة .

**اولا : انواع التغيير فى الكلمة :**

تتألف الكلمة من عدد من الأصوات ، وتأخذ شكلا أو قالبا يخضع لنظام الصيغ فى اللغة التى تنتمى إليها ، وتؤدى بوضعها الذى تكون عليه معنى جزئيا يتعارف عليه أبناء البيئة اللغوية المعينة ، وهذا المعنى يرتبط ارتباطا شرطيا بصورة الكلمة مسموعة أو مقروءة ، فمجموع الأصوات المؤدية لهذا المعنى رمز صوتى خاص لأداء هذا المعنى .

ويسمى القدماء الأجزاء المكوِّنة للكلمة الواحدة حروفا ، فكل منها فى أى حالة نطقية له حرف . ولكن علماء اللغة المحدثين يفرقون بين الحرف والصوت ، فيعدون الحرف تجريداً لعدد من الأصوات بحيث يمثل أسرة صوتية خاصة ، وأحد أفراد هذه الأسرة الصوتية هو الذى ينضم مع غيره فى بناء الكلمة المفردة ؛ ويطلق كثير من علماء اللغة المحدثين على هذه العائلة الصوتية مصطلح « الفونيم »[1] phonem ، فالنون ـ مثلا ـ اصطلاح شامل يدخل تحته عدد من الأصوات كالذى فى بداية كلمة « نحن »[2] والذى قبل الظاء فى كلمة « مَنْظر » وقبل الشين فى كلمة « منْشار » وقبل القاف فى كلمة « مُنْقلب » وقبل الباء فى كلمة « أنْبئهم » على ما بين هذه « النونات » من اختلاف فى النطق يتأثر بالأصوات المجاورة ، وقد يودى هذا التأثر إلى تحويل الصوت إلى صوت آخر كما فى كلمة « أنبئهم » أو « أنبياء » ، فالصوت ـ إذن ـ هو التحقيق الفعلى للحرف ، وفرق ما بينهما كفرق ما بين اللغة والكلام إذ أن اللغة

---

( ١ ) فى هذا الإطلاق شىء من التسامح ، إذ أن هناك آراء أخرى فى مصطلح « فونيم » تختلف باختلاف الاتجاه ، وقد صور بعض هذا الخلاف الدكتور تمام حسان فى كتابه مناهج البحث فى اللغة ١٢٨ ومابعدها ، وقد ارتضى الدكتور كمال بشر تعريفه بأنه هو الوحدة الصوتية القادرة على التفريق بين معانى الكلمات وهو رأى دانيال جونز ص ٣١ ، ١٥٥ إلى ١٦٣ من كتابه «علم اللغة العام : الأصوات». وقد فصل القول فى نظرية الفونيم الدكتور أحمد مختار عمر فى كتابه «دراسة الصوت اللغوى» وعقد فصلا خاصا عن الفونيم من صفحة ١٣٩ إلى ٢٣٦ ويعد أوفى ما كتب فى العربية عن الفونيم ، وأهميته الكبرى تمكن فى أنه عرض آراء علماء اللغة المحدثين فى متابعة جادة لما أخرجته المطابع الغربية للقارى العربى ، وإن كان يغلب عليه السرد وذلك بسبب محاولته استيفاء الموضوع .

( ٢ ) انظر ، مناهج البحث فى اللغة ، تمام حسان ص ١٢٥

نظام من رموز صوتية مخزونة فى أذهان أفراد الجماعة اللغوية على حين يكون الكلام نشاطا مترجما لهذه الرموز الموجودة بالقوة إلى رموز فعلية حقيقية[1] ، فكل كلمة منطوقة هى مجموعة من الأصوات المترابطة على هيئة مخصوصة ، هذه الهيئة هى بنية الكلمة أو وزنها أو صيغتها ، يقول الرضى « المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئتها التى يمكن أن يشاركها فيها غيرها وهى عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل فى موضعه[2] » .

وإدراك الفروق بين الكلمات إنما يكون – فى الحقيقة – إدراكا للفروق الصوتية لمكونات الكلمة فإذا قارنا بين كلمتين مثل « قَتَل » و « قَاتَل » فسوف نجد أنهما تفترقان بصفة أساسية فى ناحية واحدة هى قصر حركة فتحة القاف أو طولها ، وهذه المقابلة بين الكلمتين هى العامل الذى يفصل بينهما ، ويفرق بين معانيهما ، أما المقابلة بين « بات » و « باد » فهى مقابلة بين الجهر والهمس فى الصوت الأخير فيهما[3] ؛ إذ التاء صوت مهموس ، والدال صوت مجهور مع أن مخرجهما واحد ؛ ولذلك اختلف معنى كل منهما عن الأخرى لأن الأسرة الصوتية « الفونيم » التى ينتمى إليهما صوت التاء فى « بات » غير « الفونيم » الذى ينتمى إليه صوت الدال فى « باد » .

ويرى بعض علماء اللغة المحدثين أن « الفونيم » قابل للتحليل ، ومن هؤلاء ماريو باى Maris pei الذى يرى أن الفونيم يشتمل على مجموعة من « الفونات » « المتشابهة أو التنوعات الصوتية التى يتوقف استعمال كل منها أساساً على موقعه فى الكلمة ، وعلى الأصوات

---

(١) انظر : دور الكلمة فى اللغة : س أولمان ص ٣٠ ( ترجمة د . كمال بشر ) .

(٢) شرح الشافية للرضى ١/٢ .

(٣) الفرق بين المجهور والمهموس هو أن الأصوات المجهورة تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بها ، أما الأصوات المهموسة فهى التى لا تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بها .

المجاورة له »[1] ويتم التحليل من ناحيتين :

١ ـ ناحية انتمائه إلى فونيم معين .

٢ ـ ناحية تحديد البيئة الصوتية التى يقع فيها[2] .

والصوتان إذا كانا ينتميان إلى فونيم واحد فإنه لا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر ، أو بتعبير آخر فإنهما يتخارجان والمقصود بالتخارج ـ كما حدده الدكتور تمام حسان ـ ألّا يقع أحد الصوتين موقع الآخر ، ولهذا التخارج أهمية خاصة فى غاية الخطورة من جهة الدلالة لأن الصوتين إذا انتميا إلى فونيمين مختلفين انتفت عنهما فكرة التخارج ، وصح أن يحل أحدهما محل الآخر ، ليحدث تعديلا فى الدلالة أو فى المعنى المعجمى ، بخلق كلمة جديدة ، فالمعروف مثلا أن فونيم التاء غير فونيم الثاء ، وأننا إذا وضعنا التاء موضع الثاء من كلمة « ثاب » تغيرت الكلمة ، وتغير معناها ، وأصبحت « تاب » فإذا وضعنا فونيم العين بدل التاء أصبحت « عاب » ، فإذا استبدلنا بالعين الخاء أصبحت « خاب » ، فإذا حلت الراء محلها أصبحت « راب » ، والشين « شاب » والغين « غاب » ، وهكذا فحلول أحد الصوتين محل الآخر دليل على أنهما ينتميان لفونيمين مختلفين ، وهذا أحد أوجه الكشف عن القيم الخلافية فى اللغة[3] .

وقد قسم العلماء التغيير الذى يلحق الصيغة أو البنية فى حالة إفرادها إلى قسمين « قسم تتغير فيه الصيغ لا ختلاف المعانى نحو ضَرَب وضَارَب وتَضَارَب واضطراب وكالتصغير والتكسير وبناء الآلات وأسماء المصادر وغير ذلك . . . وقسم تتغير فيه الكلمة لاختلاف المعانى كالنقص والإبدال والقلب والنقل وغير ذلك »[4] ، ولن أتناول هنا ـ بطبيعة الحال ـ أى تغيير يطرأ على الكلمة من

---

(١) أسس علم اللغة ماريو باى ص ٨٨ ( ترجمة د . أحمد مختار عمر ) . والفون Phone مصطلح يقصد به الصوت قبل تصنيفه أى قبل نسبته إلى أسرته التى ينتمى إليها وهى الفونيم ، وبعضهم يسميه صوتا Sound أو جزئيا Segment أو منطوق articud أو صوتا كلاميا Speech Saund .

(٢) دراسة الصوت اللغوى ص ١٥٦ د . أحمد مختار عمر . (٣) مناهج البحث فى اللغة : ١٢٧

(٤) همع الهوامع للسيوطى ٦/٢٢٨ ، ٢٢٩ ( تحقيق د . عبد العال سالم مكرم ) .

أجل أداء معنى جديد كالتغيير الذى يحدث عند النسب أو الإضافة ـ كما يسميه سيبويه ـ « فمن ذلك قولهم فى الطويل الجُمّة : جمّانى ، وفى الطويل اللحية : لحيانى ، وفى الغليظ الرقبة : رقباني »[1] وكذلك التغيير الذى يحدث فى تثنية الأسماء المنقوصة والمقصورة أو جمعها ، إذْ إن هذا التغيير طارىء لإفادة معنى طارىء على دلالة البنية الأصلية هو التثنية أو الجمع ، وكذلك التغيير الذى يحدث فى صيغة الفعل المعتل عند إسناده لبعض الضمائر كحذف عين الأجوف عند إسناده لضمائر الرفع المتحركة مثلا ، فهذا تغيير طارئ لمضامّه الفعل عنصراً آخر ، وهذا تغيير مقطعى ناتج عن التعديل فى المقاطع الصوتية لنطق الكلمة فى حالتها الجديدة ، وله دواعيه وأسبابه .

أما التغيير الذى أقصد إليه فهو التغيير الذى يحدث فى بنية الكلمة المفردة بإحلال صوت محل صوت آخر دون أن يترتب على ذلك معنى جديد يطرأ على المعنى المعجمى الأصلى للكلمة ، ومعنى هذا أن هذه الكلمات التى وقع التبادل أو التغيير فى بعض أصواتها وبقى لها مع هذا المدلول الأصلى بأن يكون هناك لفظان بمعنى واحد ولا فرق بينهما لفظا إلا بحرف فى أحدهما يمكن أن يكون بدلا من الحرف الذى فى الآخر »[2] مثل هذه الكلمات ينبغى النظر إليها فى ضوء قوانين صوتية معينة تحكم هذا التبادل من جانب وفى ضوء ظروف تطورية ـ ما أمكن السبيل إلى ذلك ـ تستدعى هذا التبادل من جانب آخر .

وتنبغى الإشارة هنا إلى أن تاريخ الكلمات فى العربية يكتنفه الغموض ، بحيث لا يمكن تتبع مسار الكلمات بسهولة ، فمحاولة متابعة التطور لكلمة ما أو الكشف عن تاريخها يعتمد فى أكثر الأحيان على الظن والحدس الذى لا تدعمه الوثائق ؛ ومن هنا تقف الكلمات التى وُصِفت بالشذوذ والندرة والضرورة فى بعض الحالات علامات بارزة قد تشير إلى مجرى التطور ولكنها لا تنهض دليلا

---

(١) سيبويه : ٣ ـ ٣٨٠ ( تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ) .
(٢) شرح الشافية للرضى ٣/ ١٩٧ .

عليه ، ولعل تتبعها قد يؤدى إلى تصور تقريبي لتاريخ كلمة ما ، وهنا تكون القوانين الصوتية العامة مساعداً على توجيه الباحث إلى مسرى التطور مع الاعتراف بأن الظروف تختلف من لغة إلى أخرى ، ومع ذلك ينبغى ألا نبالغ فى أهمية الصوتيات ؛ إذ « من النادر أن تستطيع وحدها تفسير كل شىء ، فالكلمات التى تركها الاستعمال لصيغتها كانت تحتوى أحيانا على دواع أخرى لهذا الترك »[1] ؛ فالقانون الصوتى الذى يغير ( اسْتَعْوَذ ) إلى ( استعاذ ) ينطبق أيضاً على ( استحوذ ) ، ولكنه لم يؤثر فيها شيئاً ، فبقيت على أصلها .

والتغييرات التى تطرأ على بنية الكلمة كثيرة متعددة ، وأسبابها مختلفة ، ولكن يمكن القول على سبيل الإجمال بأن أى تغيير من هذا الضرب الذى لا يتعلق به معنى إضافى إلى مدلول الكلمة يكون سببه الباعث عليه والداعى له هو تيسير النطق عن طريق تقليل الجهد العضلى المبذول .

فمن هذه التغييرات التغيير الذى يحدث بسبب المجاورة ، وهذا الضرب يأخذ مسارين أولهما : ما تتغير فيه الصيغة كلها لتلائم الصيغة المجاورة ، ولابد هنا من افتراض أن إحدى الصيغتين أقوى من الأخرى لأنها تؤثر على صيغتها ، والآخر : ما يتغير فيه الصوت الأخير من الكلمة بسبب مجاورته لما يليه فى الكلمة التالية ، وباب الإدغام بأنواعه المختلفة مجال هذا النوع من التغيير ، وكتب القراءات القرآنية حافلة بأمثلة متعددة منه[2] ، وكلا هذين التغييرين فى الكلمة مرهون بمجاورة ما بعدها ، أو ما قبلها .

وأما الضرب الأول فهو ما يُسمّى بالمحاذاة أو الازدواج ، وقد عرف ابن فارس المحاذاة بقوله « هى أن يُجْعل كلام بحذاء كلام فيُؤتى به على وزنه لفظا وإن كانا مختلفين »[3] ثم يذكر أمثلة متعددة ردد كثيراً منها فيما بعد الحريرى عندما قال « وقد نطقت العرب

---

( ١ ) اللغة لفندريس ٢٧٣ ( ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ) .

( ٢ ) أنظر على سبيل المثال السبعة لابن مجاهد ١١٦ ومواضع أخرى ( تحقيق د . شوقى ضيف — دار المعارف ) والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أبى طالب ١ / ١٤٣ إلى ١٦٠ ( تحقيق د.محيى الدين رمضان — دمشق ١٩٧٤ م ) .

( ٣ ) الصاحبى لابن فارس ٣٨٤ ( تحقيق السيد أحمد صقر ) .

بعدة ألفاظ غيرت مبانيها لأجل الازدواج وأعادتها إلى أصولها عند الانفراد ، فقالوا : الغدايا والعشايا ، إذا قرنوا بينهما ، فإن أفردوا الغدايا ردّوها إلى أصولها فقالوا الغدوات ، وقالوا : هَنَأَنى الشيء ومرأنى ، فإن أفردوا مَرأنى قالوا : أمْرأنى . وقالوا : فعلت به ما ساءه وناءه ، فإن أفردوا قالوا : أناءه . وقالوا أيضاً : هو رجْس نجْس ، فإن أفردوا لفظة نَجَس ردوها إلى أصلها فقالوا : نَجَس كما قال سبحانه وتعالى : ( إنما المشركون نَجَس )[1] وكذلك قالوا للشجاع الذى لا يزايل مكانه : أهْيَس ألْيَس ، والأصل فى الأهيس : الأهوس ؛ لاشتقاقه من هاس يهوس ، إذا دق ، فعدلوا به إلى الياء ليوافق لفظه « ألْيَس » . وقد نُقل عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال للنساء المتبرزات فى العيد : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » وقال فى عوذته للحسن والحسين ـ كرم الله وجههما ـ : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة » والأصل فى « مأزورات » : موزورات لاشتقاقها من الوزر ، كما أن الأصل فى « لامّة » : مُلمّة لأنها فاعل من ألَمّت ، إلا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قصد أن يعادل بلفظ « مأزورات » لفظ « مأجورات » ، وأن يوازن بلفظ « لامة » لفظتى « تامة » و « هامة » . ومثله قوله ـ عليه السلام ـ « من حفّنا أو رَفّنا فليقتصد » أى من خدمنا أو أطعمنا ، وكان الأصل : أتحفنا فأتبع حفنا رفنا »[2] فالتغيير الذى تمّ فى أبنية الكلمات التى ساقها الحريرى إنما كان من أجل الموازنة والازدواج ، لأن استعمالاتها مفردة من قرينتها لا يكون على النحو الذى ترد به مقرونة مع ما تستحق من أجله التغيير من أجل الموازنة والازدواج ، وهنا لا يشترط التغيير فى الكلمة الأولى بعينها أو الثانية بعينها ، بل قد يكون التغيير فى الأولى أو الثانية ما دامتا مستعملتين فى سياق واحد ، لإحداث هذا التوافق النغمى فى إيقاع كل منهما ، وقد يقال هنا إن كل كلمة من هذه التى ادعى لها التغيير

---

( ١ ) الآية ٢٨ من سورة التوبة .
( ٢ ) درة الغواص للحريرى ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ( تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ) .

قد تكون قائمة بذاتها تعد مرادفة لمثيلتها ، ولكن قواعد الإشتقاق فى العربية لاتسمح لهذه الكلمة أن ترد على هذا النحو ، ولم يسمح لها بأن ترد على هذه الهيئة المغيَّرة إلا إذا كانت مقرونة بزميلتها الّتى تكون معها هذا التوازن ، ثم إن « العرب تزيد وتحذف حفظاً للتوازن وإيثارا له » كما يقول أبو منصور الثعالبي[1] .

وهناك تغيير يتم فى الكلمة بحذف جزء منها ، وهو كثير متنوع ،وأسبابه مختلفة كذلك ، فمنه ما يتم من أجل كثرة الإستعمال ،ومنه مايكون منأجل إقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه[2] — كما يرى النحاة — ومنه ما يحملون سببه الترخيم فى النداء أو فى غيره أو السرعة فى النطق أو الإقتصاد فى الجهد العضلى[3] .

وثمة تغيير يتم فى الكلمة بزيادة فيها ، سواءٌ أكانت هذه الزيادة بإشباع بعض حركاتها ، ومثال ذلك قراءة الحسن البصرى (سأُوريكم دار الفاسقين[4]) ، ووجه هذه القراءة — كما يقول أبو الفتح ابن جنى — هو أن يكون أراد : « سأُريكم ثم أشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واوا ، فصارت « سأُوريكم » ، ثم يقول فى توجيهها والإستدلال لها : « وقد جاء من هذا الإشباع الذى تنشأُ عنه الحروف شيءٌ صالح نثرا ونظماً ، فمن المنثور قولهم : بينا زيد قائم جاء عمرو ، إنما يريد : بين أوقات زيد قائم جاء فلان ، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً — ومثله قول عنترة[5] :

يَنْبَاعُ من ذفرى غضوبٍ جَسْرةٍ .

---

(١) فقه اللغه وسر العربية ٣١٣ ( تحقيق مصطفى السقا وآخرين ) القاهرة ٩٥٤ ط ٢ وقارن بما فى « الضرورة الشعرية فى النحو العربى » للدكتور : محمد حماسة عبد اللطيف ص ٢٩١ .

(٢) الصاحبى لابن فارس : ٣٨٤ ( تحقيق السيد أحمد صقر ) .

(٣) انظر : فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس : ١٢٤

(٤) الآية : ١٤٥ من سورة الأعراف .

(٥) ، عجز هذا البيت « زيافة مثل الفنيق المكدم » وهو من معلقة عنترة ، وانظر : شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى ٣٣٢ تحقيق عبد السلام هارون وشرح القصائد العشر للتبريزى ص ٣٤٥ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . وشرح المعلقات السبع للزوزنى ١٧٢وشرح القصائد التسع المشهورات لأبى جعفر النحاس ص ٤٩١ تحقيق أحمد خطاب .

أراد : يَنْبَع ، فأشبع فتحة الباء ، فنشأت عنها ألف كما ترى ، على هذا حمله لنا أبو على سنة إحدى وأربعين[1] . وقد قال الأصمعى مع ذلك : يقال : « انبَاعَ الشجاع يَنْبَاعُ انبياعا إذا انخرط ماضيا من الصف » .

وأخبرنا أبو على عن أحمد بن يحيى أنه قال : يقال : جيء من حيث وليسا[2] .

وروى الفراء عن بعضهم أنه سمعه يقول : أكلت لَحْمَا شاة ، وهو يريد لحْمَ شاة ، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفا ، وهو اعتراض بين المضاف والمضاف إليه على ضيق الوقت وقصره بينهما ، ومنه المسموع عنهم فى الصياريف والدراهيم[3] ، وأنشدنا أبو على :

وأنّنى حَيْثُما يَثْنِى الهوَى بَصرِى
مِنْ حَوْثُما سلَكوا أدْنُو فَأَنْظُورُ

يريد : فأنظُر ، فأشبع الضمة فأنشأ عنها واوا ، . . . . . وأنشد غيرهما :

عَيْطَاءُ جمّاءُ العظام عُطْبُول
كأنّ فى أنْيَابِهَا القَرَنْفُول

يريد : القَرَنْفُل ، فإذا جاز هذا ونحوه نظما ونثرا ؛ ساغ أيضاً أن يُتَأَوَّل لقراءة الحسن « سأوريكم » أراد : سأريكم وأشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واوا ، وهو أبو سعيد ، المأثور من فصاحته ومتعالم قوة إعرابه وعربيته ! فهذا مع ما فيه من نظائره أمثل من أن يتلقى بالرد صرفا غير منظور له ولا مَسْعِىٌ فى إقامته . وزاد فى احتمال الواو فى هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ ، فمكن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده ، فألحقت الواو فيه لما ذكرنا[4] وقد آثرت أن أنقل نص ابن جنى على طوله لأن به أمثلة أخرى لما يراد التمثيل له من الزيادة فى الصيغة بالإشباع ، وينبغى أن أشير هنا إلى أن ابن فارس يجعل هذا من سنن العربية ويسميه « البُسْط » ، يقول : « العرب تبسط

---

(١) يقصد بأبى على أبا على الفارسى وكان أستاذ ابن جنى ، والمقصود بسنة احدى وأربعين سنة احدى وأربعين وثلاثمائة من الهجرة .

(٢) أشبع فتحة السين من (ليس) فنشأ عنها فتحة طويلة أى ألف .

(٣) كما فى بيت الفرزدق :
تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة
نفى الدراهم تنقاد الصياريف
(انظر الديوان : ٥٧٠) .

(٤) المحتسب لابن جنى ١/٢٥٨ ، ٢٥٩ (تحقيق على النجدى ناصف وآخرين) .

الاسم والفعل وتزيد فى عدد حروفهما ، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه ، وذلك قول القائل :

وليـــلة خامـــدة خمـــــــــودا
طخياء تغشى الجدى والفُرْقُـــــودا

فزاد فى « الفرْقد » الواو ، وضم الفاء لأنه ليس فى كلامهم « فَعْلُول » ولذلك ضم الفاء .

وقال فى الزيادة فى الفعل :

لو أنَّ عمراً هـــم أن يَرقُـــودَا
أقولُ إذْ خَرَّتْ على الكلكـــــال

ومنـــه :

أراد : الكلكل . وفى بعض الشعر « فأنظور » أراد « فأنظر »[1] وهذه الظاهرة ليست مقصورة على الشعر وحده : لورودها فى قراءة الحسن السابقة ، وورودها فى النثر الذى أشار إليه أبو الفتح ابن جنى فى النص الذى نقلته عنه ، ولكن أكثر ذلك فى الشعر كما أشار ابن فارس . ولعلّ هذه الزيادة الناتجة عن إشباع الحركات على الرغم مما قيل عن بعضه

إنه لغة[2] تخضع لقوة النبر بغرض التركيز على معنى معين ، فيتولد عن الحركة المنبورة حركة طويلة من جنسها . فهو – إذن – من نبر السياق ، أو النبر الدلالى – كما يسميه الدكتور تمام حسان – « وأى مقطع فى المجموعة الكلامية سواء كان فى وسطها أو فى آخرها صالح لأن يقع عليه هذا النوع من النبر »[3] ولعل هذا ما عناه ابن جنى عندما قال فى تفسير قراءة الحسن التى سلفت « وزاد فى احتمال الواو فى هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمكن الصوت فيه وزاد فى إشباعه واعتماده فألحقت الواو فيه » ونحن لا نفهم تمكين الصوت وزيادة الإشباع فيه والاعتماد عليه إلا على أنه هذا النبر الدلالى المرتبط بالسياق ، وابن جنى هو الذى يقول « إن الأصوات تابعة للمعانى فمتى قويت ؛ قويت ، ومتى ضعفت ؛ ضعفت »[4] ، ومهما يكن من أمر فهو من التغيير فى بنية الكلمة شجع عليه وضوح المعنى وعدم اللبس فيه[5] .

---

(١) الصاحبى لابن فارس : ٣٨٠ ( تحقيق السيد أحمد صقر ) .
(٢) انظر اللسان ٢٠/٣١٢ ، ٣٧٩ . (٣) مناهج البحث فى اللغة : ١٦٣ .
(٤) المحتسب ٢ / ٢١٠ . (٥) الضرورة الشعرية فى النحو العربى : ٣٢٣ .

وثمة ضروب من التغيير فى الكلمة المفردة سميت بأسماء مختلفة وعولجت علاجا متباينا وقد ألف كثير من علماء العربية ، منهم ابن السكيت وابن قتيبة وأبو الطيب اللغوى وأبو القاسم الزجاجى[1] ، فى هذا الباب ، وقد حشد ابن قتيبة فى « أدب الكاتب »[2] طائفة متنوعة تحت عنوان « باب المبدل » ، ولكن هذا الإبدال ليس المقصود به الإبدال الصرفى ، بل المقصود به الإبدال فى أعم معانيه ، أى تغيير حرف باخر مع عدم تغيير معنى الكلمة ، ومعظم هذه الأمثلة التى ذكرها ابن قتيبة يرجع سبب الإبدال فيها إلى تقارب صوتى بين الحرف المبدل والمبدل منه سوغه وساعد عليه عدم وضوح السمع أحيانا من الراوى الذى جمع هذه الكلمات ، وقد يكون من أسباب هذا التبادل الصوتى تعدد اللهجات كأن تنطق قبيلة ما الكلمة بطريقة تختلف عن نطق قبيلة أخرى ، ولما كانت الكلمتان بمعنى واحد عند القبيلتين لم يفرق بينهما الراوى اللغوى ، وقد تكون الكلمتان مختلفتى المعنى ، ولكن جامعى اللغة سووا بينهما لعدم إدراك الفروق الدقيقة بين المعنيين ، وقد يكون وراء كثير من هذه الكلمات نطق الأطفال أو من كانوا مصابين بعيوب نطقية مختلفة ، فقد قالوا « مدهته » بمعنى « مدحته » و « الأيم » و « الاين » الحيّة ، ولعل الذى ساعد على ذلك هو المقاربة الصوتية بين الهاء والحاء وهما متّحدتان صفةً ؛ إذ إن كلا منهما صوت احتكاكى مهموس ومتقاربتان فى المخرج إذ تخرج الهاء من تجويف الحنجرة ( فتحة المزمار ) والحاء من الحلق ، ولعلنا نلاحظ أن التهاون قليلا فى نطق الحاء يحولها إلى هاء ، ولذلك قد يبالغ الأجنبى عن العربية استعدادا لنطقها فينطقها خاء ، أو يتكاسل فينطقها هاء ، ولعل هذه المقاربة الصوتية كانت السبب فى قولهم « استعديت عليه » و « استأديت عليه » وسواء أكانت المقاربة فى المخرج

---

(١) انظر كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ، تحقيق عز الدين التنوخى ( دمشق ١٩٦٠ م ) ، والإتباع لأبى الطيب اللغوى أيضا تحقيق عز الدين التنوخى ( دمشق ١٩٦١ ) ، والإبدال والمعاقبة والنظائر لأبى القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجى ، تحقيق عز الدين التنوخى ( دمشق ١٩٦٢ ) والقلب والإبدال لابن السكيت .

(٢) انظر صفحة ٣٧١ ومابعدها .

أم فى الصفة ، فمن المقاربة فى المخرج قولهم « سبَّد رأسه » و « سمَّده » إذا استأصله وقولهم فى القبر : «جدف» و « جدث » و « فناء الدار » وثناؤها و « المغافير » و « المغاثير » و « فروغ» و « ثروغ[1] » ورجل ذو ثروة وفروة وقد أثرى وأفرى ، والدفء والدثء واللثام اللفام ، وحثيث وحفيف ، والثوم والفوم[2] .

وقد أشار أبو الفتح ابن جنى إلى أن بعض هذه التغييرات سببها هو اختلاف لهجة عن أخرى حيث يقول : « وقال بعضهم : يقال : شزب وشسب وشسف بمعنًى ، أى ضمر ، وفصل الأصمعى فقال : الشازب الذى فيه ضمور وإن لم يكن مهزولا ، والشاسب والشاسف الذى قد يبس ، قال : وسمعت أعرابيا يقول: ما قال الحطيئة « أينقا شزبا » إنما قال : « أعثزاً شسبا »[3] .

ويقول أبو الفتح أيضاً فى تفسير بعض هذه التغييرات ناسبا إياها إلى قبيلتها : وكلب تقلب السين مع القاف خاصة زايا ؛ فيقولون فى سقر : زقر ، وفى مس سقر : مس زقر ، وشاة زقعاء فى صقعاء ، ومثله من الصاد : ازدق فى اصدق[4] ، وزدق فى صدق[5] .

وهناك نوع من التغيير يكون الباعث عليه والدافع له محاولة التخلص من التضعيف والفرار من التماثل ، وقد أخذ مسلكين أحدهما الحذف والثانى الإبدال أما الحذف فمن أمثلته : هَيْن – لَيْن – كيْس – مَيْت ، وجميعها بياء ساكنة غير مشددة والأصل فى هذه جميعاً فَيْعِل أى «هيِّن وليِّن وكَيِّس ومَيِّت » فلو لم

---

( ١ ) انظر أيضا سر الصناعة لابن جنى ١ / ١٩١ .

( ٢ ) أنظر : الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى ٨٦ – ٨٩ وقد لاحظت عندما كنت أملى نصا شعريا على الطلاب أن بعض الكلمات المشتملة ضمن حروفها على ثاء يكتبها بعضهم فاء أوالعكس وبخاصة إذا كانت الكلمة غير معروفة بالنسبة لهم وإذا كانوا منهمكين فى الكتابة بحيث لم ينظروا إلى أثناء نطقها ، أو إذا كانوا غير منتبهين جيدا .

( ٣ ) سر الصناعة ١ /٢٠٧ والأعرابى يشير إلى بيت طرفة ماكان ذنب بغيض لا أبا لكم
فى بائس جاء يحدوا أينقا شسبا
( انظر الديوان ١٧ ) .

( ٤ ) تفعل مثل هذا فى العامية إذ تقلب السين والصاد زايا فى الكلمات التى تكون فيها كل منهما ساكنة بعدها صوت مجهور مثل : « مزجد » فى مسجد ، « ازدق » أزدق » فى اصدق .

( ٥ ) سر الصناعة ١/ ٢٠٨

يكن الأصل فيْعلا لما جمعوه بالواو والنون فقالوا : قيلون وكيسون وليّنون وميتون ، لأنه ما كان من فَعْل فالتكسير فيه أكثر ، وما كان من فَيْعل فالواو والنون فيه أكثر . ألا ترى أنهم يقولون : صعْب وصعاب وخَدْل وخدَال ، وفَسْل وفسال ، وقالوا : هَيْن وهيْنُون ، ولَيْن وليْنُون ، لأن أصله فَيْعل ولكنه خُفف وحذف منه »[1] . وأما الإبدال فإنه يكون بأن يبدل أحد المثلين وهو الثانى ياء يقول سيبويه عن الياء « وقد تبدل من مكان الحرف المدغم نحو قيراط ، ألا تراهم قالوا قُرَيْرِيط ، وديَنار ألا تراهم قالوا : دُنَيْنِير »[2] ، ومثل تَظَنَّيْت ، من الظن ، وأصله تَظَنَّنْت وتَقَضّى ، وأصله تقَضَّضَ ، قال العجاج :

تَقَضِّىَ البازى إذا البـــازى كسر

أراد : تَقضَّض ، وقال الله عز وجل ( وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتَصْدِية )[3] قال أبو عبيدة : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق ورفع الأصوات ، وأصله من صددْت أصِدّ ، ومنه قول الله عز وجل : « إذا قومك منه يَصِدُّون »[4] أى يضجون ويعجون ، فجعل إحدى الدالين ياء . و « لبّيك » هو من « ألبّ بالمكان » إذا أقام به . فأبدل من إحدى الباءين ياء . قال ، أبو عبيدة : « دسّاها » من دسست . وتمطّى أصله « تمطط » أى مدّ يده ، ومنه المشية المُطَيْطاء وهى التبختر « أمللْت الكتاب » و « أمليْته » قال الله جل ثناؤه ( فَليُمْللْ وليُّه بالعدل ) . وقال فى موضع آخر ( فهى تملى عليه بكرة وأصيلا )[6] »[7] . ولعل هذا راجع إلى وسلك العربية فى محاولة التخلص من توالى الأمثال فى الكلمة الواحدة ، ولعل كثيراً من أمثلة المضعف قد تكون آتية من هذا النوع من البدل الذى يكون الغرض من ورائه هو التخلص من التضعيف فمثلا « تكمكم » من « تكَمّم » أى لبس الكُمّة وهى القلنسوة ، و « تململ » على فراشة أصله « تملّل » من الملّة وهى الرماد

---

(١) سيبويه ٣/٢ .
(٢) سيبويه ٤/٢٤٩ .
(٣) سورة الانفال آية ٣٥ .
(٤) سورة الزخرف آية ٥٧ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٨٢ .
(٦) سورة الفرقان آية ٥ .
(٧) أدب الكاتب لابن قتيبة ٣٧٦ .

الحار ، و « تكركر » أصله « تكرر » من التكرير ، والغيور « المشفف » أصله المشفف من شفّته الغيرة وشفّه الخرن ، و كُبْكِبوا من كُبِّبُوا وأصله كَبَبْت الرجل على وجهه . وهذا التفسير أشبه بمسلك العربية وأقرب إلى تصرفها من التفسير الذى قدمه ولفنسون إذ يرى أن أمثال هذه الأفعال الرباعية المضعفة يحتمل « أنها كانت فى الأصل مؤلفة من حرفين اثنين ثم انتقلت فى قرون متطاولة حتى صارت أفعالا رباعية »[1] أو هى تطور لأفعال ثلاثية كما يرى هنرى فليش[2] .

وهناك ما يعرف بالقلب المكانى وهو أن ينتقل حرف مكان آخر فى الكلمة مع بقائها – بطبيعة الحال – على معناها الأصلى ، وذلك مثل « أَيْنُق إنما هو أَنْوُق فى الأصل ، فأبدلوا الياء مكان الواو ، وقلبوا » وهناك أمثلة أخرى يسوقها الصرفيون تمثيلا للقلب المكانى ، ويقول سيبويه « أعلم أن كل ما كان فيه قلب لا يرد إلى الأصل ، وذلك لأنه اسم بنى على ذلك »[3] . ومع أن الاسم المقلوب بنى على ذلك فإن الصرفيين ينبهون إلى أنه كان ينبغى أن يكون على ما قرروه له ، يهديهم فى ذلك أمور كثيرة وقواعد مختلفة منها الاشتقاق وتصريف الكلمة على أوجه مختلفة ، أو ورود الكلمة مصححة غير معلة مع وجود أسباب الإعلال فيها ، أو ندرة الاستعمال ، أو ما قد يترتب على عدم القلب من اجتماع همزتين فى آخر الكلمة ، أو أن يترتب على القول بعدم القلب فى الكلمة منعها من الصرف دون مقتض ، والصرفيون يراعون القلب المكانى فى الميزان الصرفى ، يقول ابن هشام – وهم يسمون القلب المكانى التحويل – « وإذا كان فى الموزون تحويل أو حذف أتيت بمثله فى الميزان فتقول فى نَاء : فَلَع لأنه من نَأَى ، وفى الحادى : عالف لأنه من الوحدة »[4] .

وكل أمثلة القلب المكانى يُتوقف فيها على السماع إلا مسألة واحدة وهى صوغ اسم الفاعل من الثلاثى الأجوف المهموز اللام فإن فيها خلافاً بين الخليل وغيره

---

(١) تاريخ اللغات السامية : ولفنسون : ١٦ ، ١٧ .
(٢) أنظر الظربية الفصحى : ١٥٥ : ١٥٦ ( ترجمة د . عبد العبد شاهين ) .
(٣) سيبويه ٣/٣٦٦ .
(٤) أوضح المسالك لابن هشام ٢/٣٧٦ .

من النحويين إذ يرى الخليل قياسية القلب المكانى فى هذه المسألة يقول سيبويه « وأما الخليل فكان يزعم أن قولك جاء وشاء ونحوهما اللام فيهن مقلوبة ، وقال : ألزموا ذلك هذا واطرد فيه ؛ إذ كانوا يقلبون كراهية الهمزة الواحدة وذلك نحو قولهم ( للعجاج ) :

لاث به الأشاءُ والعُبْرِىّ

وقال ( لطريف بن تميم العنبرى ) :

فتعرفونى إننى أنـــا ذاكم
شاكٍ سلاحىَ فى الحوادث مُعْلَمُ

وأكثر العرب يقول : لاث وشاك سلاحه ، فهولاء حذفوا الهمزة ، وهؤلاء كأنهم لم يقلبوا اللام فى جئت حين قالوا ناعِل لأن من شأنهم الحذفَ لا القلب ، ولم يصلوا إلى حذفها كراهية أن تلتقى الألف والياء وهما ساكنتان : فهذا تقوية لمن زعم أن الهمزة فى جاء هى الهمزة التى تبدل من العين . وكلا القولين حسن جميل »[1] .

والذى أراه فى مسألة القلب المكانى أن كل بنية مما ادّعى أن فيه قلبا مكانيا ربما كانت فى بدء أمرها خطأ من بعض الناطقين ، أو محاولة من بعض الشعراء لإقامة الوزن كما فى « رَاء » و « رأَى » و « ناء » و « نأَى » و « ساء » و « سَأَى » ولعل التصحيف والتحريف قد قاما بدور كبير فى هذا المجال فوُجدت بذلك صيغتان للكلمة الواحدة ، ثم استقلت كل منهما عن الأُخرى ، واستغنى بتصاريف إحداهما عن بعض تصاريف الأُخرى فى الاستعمال .

ولقد أشار سيبويه إلى أن الاسم الذى به قلب ـ أى قلب مكانى ـ لا يرد إلى أصله لأنه اسم بنى على ذلك من أول أمره ، وإلى هذا ذهب كثير من أصحاب المعاجم فعالجوا كل صيغة من هذه الصيغ بوصفها بنية مستقلة عن الأُخرى ، وبذلك يصبح جميع هذه الأمثلة التى يقال إن فيها قلبا مكانيا عملا معجميا لا صرفيا كأن يقول ابن قتيبة « ومن المقلوب جذب وجبذ . واضمحل الشىءُ وامْضحل . وأحجمت عن الأمر وأجحمت . وطمس الطريق وطسم : إذا درس . وتَئِتَ اللحم وتَثِئَ :

---

(١) سيبويه ٤/٣٧٧ ، ٣٧٨ وقارن بالمقتضب للمبرد ١/١١٥ ، ١١٦ والمنصف شرح التصريف لابن جنى ٢/٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

إذا أنتن . وأتى الشيء يأْتى – مثل أتى يأْتى – وآن يئين : إذا حان . وبئر عميقة ومعيقة . وقَاع الفحل على الناقة وقعَا عليها يقْعُو : إذا ضربها . وحمُت يومنا ومحُت : إذا اشتد حره . وشفنْت وشنفْتُ أى : نظرت . وصعِق الرجل وصقِع ، وهى الصاعقة والصاقعة . وعُقاب عَقَنْباة وعبنْقَاة وبَعقَنْاةُ : وهى ذات المخالب ، وأشافَ الرجل على الشيء وأشْفى إذا أشرف . واعْتام واعْتَمَى : إذا اختار . واعتاق الأمر فلانا واعتقَاه : إذا حبسه وتَبلْت الشيء وبلتّه : قطعته . ومنه قول الشنفرى :

كأَن لهـا فى الأَرضِ نِسْياً تقصه
على أُمهـا وإن تحدثْك تبْلتِ

أى تقطع »[1] . وليس لهذا النوع من التغيير علاقة قوية بما نحن بصدده ولكنى ذكرته – فحسب – استكمالا لأنواع التغيير فى الكلمة المفردة ، ولأن بعض أمثلته – وهذا هو الأهم – قد يترتب عليها إعلال فى الكلمة مثل « قِسِىّ » جمع قوس ، كما يرى الصرفيون .

وكل أنواع التغيير السالفة لا تعد من التغيير الذى يتناوله علم الصرف العربى بمفهومه المتوارث ، ولكنها تغييرات مبثوثة فى بطون كتب اللغة العامة ، وترد لها إشارات فى أمهات كتب النحو ، غير أنها لا تفرد لها بحثا مستقلا ولا تضعها فى تبويب خاص ، أما التغيير الذى تتناوله كتب الصرف فهو الذى يندرج تحت واحد من المصطلحات التى سأعرض لها فى الفقرة التالية ، ومن بين هذه التغييرات الإعلال والإبدال والمقصود بالإبدال هنا الإبدال التصريفى ، لا الإبدال بمعناه العام فى اللغة .

**ثانيا : مصطلحات التغيير الصرفية :**

لما كان المدلول العام لمصطلحى الإعلال والإبدال داخلا فى مفهوم « التغيير » فى الكلمة الواحدة المفردة ، فإنه ينبغى الوقوف على تحديد أنواع التغيير فى الكلمة المفردة ، وبيان ما يندرج منه تحت ظاهرة الإعلال والإبدال ، وما لا يدخل فى مباحثهما ، وشرح المقصود من كل منها على وجه الدقة .

---

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة ٢٨١ ، ٢٨٢ .

لقد كانت أنواع التغيير التى سبقت الإشارة إليها مما لا يتناوله الصرفيون تحت أبواب الصرف المعهودة ؛ وذلك لأنها ـ كما أشرت ـ لا تخضع لقاعدة مطردة ، أما المصطلحات التى تدل على تغيير فى الكلمة المفردة ، أى تغيير حرف بآخر فى مجال الدراسة الصرفية عند القدماء فهى :

١ ـ الإعلال .

٢ ـ الإبدال .

٣ ـ القلب .

٤ ـ التخفيف .

٥ ـ التعويض .

وينبغى التنبه إلى أن هذا التغيير الذى تعبر عنه هذه المصطلحات ليس خاصا بنوع معين من أقسام الكلمة فى العربية ، أى ليس خاصا بالفعل وحده مثلا أو بالاسم وحده ، بل هو عام فى الأسماء والأفعال جميعاً ، وقانونه فيهما واحد .

ثم إنه قد يشترك مدلول مصطلح مع مدلول مصطلح آخر فى جانب من الجوانب وينفرد كل منهما بجانب آخر ، وقد يكون مدلولا مصطلحين متفقين فى كلمة مّا ، بمعنى أن التغيير الواقع فى الكلمة يصح أن يطلق عليه هذا المصطلح أو ذاك ، كما أنه قد يكون هناك تباين بين مدلولى مصطلحين فى التغيير الحادث..

**١ ـ مصطلح الاعلال :**

يعرف هذا المصطلح بأنه : هو تغيير حرف العلة للتخفيف ، بقلبه أو اسكانه أو حذفه[1] .

إذن ، مجال الإعلال هو حروف العلة ( وهى الألف والواو والياء ) فى الكلمة الواحدة ، ومن هنا جاء اسمه ، فإذا كان فى الكلمة حرف من حروف العلة المذكورة مثل : ( قَوْل ) ثم وجدنا هذه المادة فى صيغة الماضى مثلا ( قَالَ ) فقد حدث فى هذه الكلمة إعلال ؛ إذ تغير حرف العلة ( الواو ) وصار ( ألفا ) وكان هذا الفعل فى الأصل ( قَوَل ) مع ملاحظة أن التغيير قد حدث فى مكان الحرف المغير ، ولم يحدث فى مكان آخر من الكلمة مثل كلمة ( عِدَة ) وهى صيغة من صيغ الأصل الثلاثى ( و . ع . د ) وكان ينبغى ـ بناء على مراعاة ترتيب

---

(١) انظر : حاشية الصبان على الأشمونى ٤ / ٢٨٠ .

الأُصول فى الكلمة ـ أن تكون ( وعْد ) ولكننا نلاحظ أن ثمة حرفا قد حذف وهو ( الواو ) وقد جاء عوضا عنه حرف آخر هو ( التاءُ ) فى آخر الكلمة ، فليس هذا إعلالا ، لأَن حرف العلة لم يأْت فى نفس مكانه حرف علة آخر ، والذى حدث فى كلمة ( عدة ) تعويض ـ كما سيأْتى تعريفه .

وما بين الإعلال والتعويض ـ إذن ـ تباين ، إذ ليس بينهما اتفاق فى شئ ما .

ومن فهم التعريف السابق ندرك أن التغيير فى الأَسماء الستة للإعراب فى مثل : جاء أَخوك ، ورأَيت أَخاك ، ومررت بأَخيك ، وكذلك فى المثنى وجمع المذكر السالم مثل : حضر طالبان ، ورأَيت طالبين ، وحضر المدرسون ورأَيت المدرسين ـ التغيير الذى حدث فى هذه الأَمثلة ليس إعلالا مع أَن فيه حرف علة جاء فى مكان حرف علة آخر ، لأَن هذا التغيير ليس للتخفيف ، وإنما تغيير من أَجل الإعراب .

وقد قسموا الإعلال إلى ثلاثة أَنواع هى :

الإعلال بالقلب ، والإعلال بالتسكين أَو النقل ، والإعلال بالحذف .

**٢ ـ مصطلح الابدال :**

معنى الإبدال فى اللغة هو جعل شئ مكان شئ آخر بحيث يقوم المبدل مقام المبدل منه ويغنى غناءه .

وقد انتقل هذا المدلول اللغوى الواسع إلى مجال الاصطلاح الصرفى ، غير أَنه خصص بتبادل الحروف فى الكلمة الواحدة وصار الإبدال فى مصطلح علماء الصرف هو : جعل حرف فى مكان حرف ، ولا يختص بأَحرف العلة ؛ وما يشبه أَحرف العلة[1] سواء أَكان للإدغام أَم لم يكن ، وسواء أَكان لازما أَم غير لازم ؛ ولابد فيه من أَن يكون الحرف المبدل فى مكان الحرف المبدل منه .

إذن ، جَعْل أَى حرف ـ سواء أَكان حرفا صحيحا أَم حرف علة ـ فى مكان أَى حرف آخر فى الكلمة يعد إبدالا ، ومعنى هذا أَن بعض أَنواع الإعلال وهو ـ كما سبق تعريفه ـ خاص بحروف العلة يعد أَيضاً إبدالا ؛ فمثلا الفعل ( قال ) أَصله ( قول ) ، تحركت الواو وفتح

---

(١) ما يشبه أَحرف العلة هو الهمزة ، على ما سيأتى بيانه .

ما قبلها فقلبت ألفا وهنا نستطيع أن نقول إنه أبدل حرف من حرف آخر ، فهذا يمكن أيضاً أن يسمى إبدالا مع كونه من الإعلال كما رأينا ، فالإعلال والإبدال – إذن – يلتقيان فى بعض الكلمات التى يحدث فيها تغيير من نوع معين وهو الإعلال بالقلب .

لكن تغييراً آخر كما فى كلمة ( اصطبر ) – وهى فعل على وزن (افتعل ) حيث أبدلت التاء طاء لوقوعها بعد حرف من حروف الإطباق ( هو الصاد ) لا يمكن أن يسمى إعلالا لأن الذى حدث هنا هو إبدال حرف صحيح من حرف صحيح آخر فليس هذا من الإعلال فى شىء ولكنه إبدال فقط .

فالإبدال – إذن – قد ينفرد عن الإعلال فى بعض أنواع تبادل الحروف التى تسمى الحروف الصحيحة فى عرف الصرفيين العرب .

وفى كلمة مثل ( يقوم ) – وهى فعل مضارع على وزن ( يفْعُل ) – نلاحظ أن الميزان الصرفى لا يتطابق تماما مع الموزون بحسب الصورة المنطوقة ، لأن الميزان الصرفى وهو « يَفْعُل » أوله حرف متحرك ، يليه حرف ساكن ، يليه حرف متحرك ، وأما الحرف الأخير فلا عبرة بحركته أو عدمها لأن ذلك خاضع للوقف أو الوصل ، والجزم أو غيره ، والفعل المضارع « يَقُومُ » يتتابع فيه حرفان متحركان ، تليهما الواو الممدودة وهى – فى عرف الصرفيين العرب – حرف ساكن فى هذه الحال ، إذ حرف المد يعد ساكنا لديهم ، فإذا أرجعنا هذا الفعل إلى صورته الأصلية وجدناه بهذه الصيغة ( يَقْوُم ) – بإسكان القاف ، وضم الواو – إذن فقد نقلت ضمة الواو إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها وهو القاف – على حد تعبير القدماء – وصارت الواو خالية من الحركة أى سكنت ، وأصبح نطق الفعل ( يَقُوم ) بضم القاف وسكون الواو أى صيرورتها حرف مد ، فهنا تغيير قد حدث بإسكان حرف العلة بعد أن كان متحركا ولم يحدث تبادل بينه وبين حرف آخر ، فهذا الذى حدث من التغيير ليس من الإبدال فى شىء بل هو إعلال فحسب .

فإذا قرأنا فى بعض كتب الصرف أن العلاقة بين الإعلال والإبدال هى علاقة

العموم والخصوص الوجهى – وهى عبارة مستعارة من المنطق – فمعنى هذا أنهما يجتمعان فى شىء كاجتماعهما فى نحو : قال ، باعَ ، صامَ ، قام ، سعى ، دعا ، رعى ، رمى ، إذ حدث فى كل كلمة من هذه الكلمات إعلال وهو استبدال حرف علة بآخر فمثلا كلمة ( باع ) أصلها ( بَيَع ) أعلت الياء وقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها – على ما سيأتى – فهذا إعلال لأن حرف علة جاء مكان حرف علة سواه ؛ وهذا التغيير لنفسه يمكن أن يسمى إبدالا ؛ إذ أبدل حرف من آخر ، وينفرد كل منهما فى شىء آخر كما انفرد الإبدال فى نحو : اصطبر وادّكر وازدحم واضطلع واطّلع وازدجر ، ففى كل كلمة من هذه الكلمات حدث إبدال فحسب ؛ إذ جاء حرف صحيح مكان حرف صحيح آخر كما فى ( ازدحم ) مثلا ، أصلها ( ازتحم ) أبدلنا التاء دالا للأسباب التى ستعرفها فيما بعد ، وكما انفرد الإعلال فى نحو : يقوم ، يقول ، يصوم ، يميل ، يبيع ، لأنه لم يحدث فى هذه الكلمات أن استبدل حرف بحرف وإنما سكن حرف العلة بعد نقل حركته إلى الحرف الساكن الصحيح قبله .

**٣ – مصطلح القلب :**

سلك علماء الصرف فى تفسير « القلب » ثلاث طرائق مختلفة هى :

**(أ) طريقة ابن الحاجب :**

يرى ابن الحاجب أن القلب هو : جعل حرف مكان حرف العلة للتخفيف فهو – عنده – خاص بأن يكون الحرف المقلوب حرف علة ، وأن يكون القلب للتخفيف . وهو من ناحية أخرى عام فى الحرف المقلوب إليه إذ لا يشترط أن يكون الحرف المقلوب إليه حرف علة أو حرفا صحيحا ، فمن القلب قلب الواو والياء تاء إذا وقعتا فاء لـ ( افتعل ) مثل اتّعظ واتّسر ؛ وأصل كل منهما ( أوتعظ ) و ( ايتسر ) قلبت كل من الواو والياء تـاء وأدغمت فى تاء الافتعال .

ومن القلب – على هذا التعريف – قلب الواو همزة مثل : أوَاصِل ( جمع واصلة ) وأصلها : وَوَاصل ، وأُجُوه ، وأصلها : وجوه ( جمع وجه ) وأُقِّتت ، وأصلها وُقِّتَت .

وليس من القلب ـ على هذا التعريف ـ تخفيف الهمزة فى نحو : بير وذيب وراس وفاس ، أو إبدالها ياء فى مثل : خطايا لأن الحرف المقلوب هنا ليس حرف علة ، لأنه فى الأمثلة المذكورة هو الهمزة ، وابن الحاجب يشترط أن يكون الحرف المقلوب حرفا من حروف العلة ليكون مما يندرج تحت مصطلح « القلب ».

وعلى هذه الطريقة تجد أن العلاقة بين القلب والإبدال هى : العموم والخصوص المطلق ـ وهى عبارة مستعارة أيضاً من المنطق ـ أى أن القلب والإبدال يجتمعان فى نحو : قال وباع وكساء ورداء واتصل واتسر ، وينفرد الإبدال فى نحو : ( التظنّى ) لأن الياء مبدلة من نون ( لأن أصلها التظنن ) ، وكذلك ( تقضّى ) لأن الألف مبدلة من ضاد ( وأصلها تقضض ) .

والقلب بهذا المفهوم يتفق مع الإعلال بالقلب وحده ، ولكن الإعلال بالحذف والإسكان لا يتفقان مع « القلب » بهذا المدلول .

**(ب) طريقة الرضى :**

يضم العلامة الرضى الهمزة إلى حروف العلة الثلاثة ( الواو والياء والألف ) ، ولذلك يقول فى تعريف القلب : « ولفظ القلب مختص فى اصطلاحهم بإبدال حروف العلة والهمزة بعضها مكان بعض ، والمشهور فى غير الأربعة لفظ الإبدال ، وكذا يستعمل فى الهمزة أيضاً »[1] .

والقلب على هذا التفسير يشمل تخفيف الهمزة فى نحو : بير ، وسُوتِم ( وأصلها سُؤتِم ) وراس ، ويخرج منه إبدال الواو والياء تاء فى نحو اتعد واتسر .

ويتفق القلب ـ بهذا المفهوم ـ مع الإبدال فى كل ما حدث فيه إبدال حرف علة من آخر أو همزة أو عكسه ـ وينفرد الإبدال فى نحو ( ادّكر ) وكل تغيير فى غير أحرف العلة أو الهمزة ، وذلك لأن ( ادكر ) أصلها : اذ تكر ( افتعل من ذكر ) فأبدلت تاء الافتعال دالا فصار الفعل : اذْ دَكَر ثم أبدلت الذال دالا ، وأدغمت الدال فى الدال فصار إلى الصورة المنطوق بها وهى ( ادَّكَر ) ، فهذا التغيير ليس فى حروف العلة ، وهذا

---

(١) شرح الشافية : ٦٧/٣

الضرب من العلاقة يسمى فى عرف المناطقة العموم والخصوص المطلق، إذ يجتمع الشيئان فى أمر وينفرد أحدهما فى شىء آخر .

ويتفق القلب – بهذا المفهوم أيضاً – مع الإعلال إذا كان إعلالاً بالقلب فى مثل : قَال ورمى ، وينفرد الإعلال إذا كان إعلالا بالحذف مثل : قل وبع أو بالإسكان أو النقل مثل : يقُول ، كما ينفرد القلب إذا كان بتخفيف الهمزة فى نحو بير وراس ، فالعلاقة بينهما – إذن – هى العموم والخصوص الوجهى .

**(ج) طريقة المتأخرين :**

يرى متأخرو الصرفيين ؛ كالزمخشرى وابن مالك وغيرهما أن القلب هو : جعل حروف العلة بعضها مكان بعض[1] .

وتفسير القلب بهذا لا يجعل منه تخفيف الهمزة ولا قلب حرف العلة تاء أو همزة أو غيرها من الحروف الصحيحة ، لأن تخفيف الهمزة وإبدال حرف العلة حرفا صحيحا يدخلان عندهم فى مفهوم الإبدال .

وإذا استعرنا أسلوب المناطقة لوصف العلاقة بين القلب – بهذا المفهوم – والإبدال فإننا نقول إن العلاقة بينهما هى العموم والخصوص المطلق أى أن الكلمات : قال ، باع ، ميراث ، جيّد وهيّن قد حدث فيها ما يمكن أن نسميه قلبا وإبدالا فى نفس الوقت ، لكن الكلمات عَلِجّ والعَشِجّ والبَرْنِجّ والصِيصجّ فى قول الراجز :

خَالِـى عُويـفٌ وأبـو عَلِـجّ
المطعمـان اللحـمَ بالعَشِـجّ
وبالغَـداةِ كتـل البرْنِـجّ
يُقَلِّـع بالوَدِّ وبالصِّيصِـجّ

( وأصل هذه الكلمات : أبو علىّ حيث أبدلت الياءُ المشددة جيما مشددة وكذلك الكلمات الباقية العشىّ والبرنىّ والصّيصِىّ ) ، هذه الكلمات لم يحدث فيها إلا ( إبدال ) فحسب ؛ أى انفرد الإبدال عن القلب – بهذا المفهوم – فى إبدال حرف العلة حرفا صحيحاً .

---

( ١ ) انظر المفصل للزمخشرى ص ٣٧٤ ومابعدها ، وشرح المفصل لابن يعيش ، الجزء العاشر ص ٧ ومابعدها ، وانظر أيضا تسهيل الفوائد لابن مالك ص ٣٠٠ ومابعدها .

**٤ ـ مصطلح التخفيف :**

مصطلح التخفيف خاص بتخفيف الهمزة أى تغييرها بحذفها ألبته من الكلمة أو قلبها إلى حرف من جنس حركتها وحركة ما قبلها ، أو جعلها بين بين أى بين الهمزة والحرف الذى منه حركتها .

وظاهرة تخفيف الهمزة ظاهرة لهجية مردها إلى البداوة والتحضر ، فأهل البادية يؤثرون نطق الهمزة على ما هى عليه أى يحققونها ، وأما أهل الحاضرة فإنهم يميلون إلى التخفف من الهمزة لما فيها من الثقل ويلجأون فى ذلك إلى التخفيف .

يقول ابن يعيش : « اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف فى الحلق ؛ فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع[1] فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة .

والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا لأن الهمزة حرف ، فوجب الإتيان به كغيره من الحروف .

وتخفيفها بالإبدال ، والحذف ، وأن تجعل بين بين .

فالإبدال بأن تزيل نبرتها فتلين ، فحينئذ تصير إلى الألف والواو والياء على حسب حركتها وحركة ما قبلها ....

ولذلك كان أبو العباس[2] يسقطها من حروف المعجم ولا يعدها معها ، ويجعل أولها الباء[3] ، ويقول : الهمزة لا تثبت

---

(١) التهوع : تكلف القيء .

(٢) المقصود به محمد بن يزيد المبرد صاحب كتابى الكامل والمقتضب ( انظر : المقتضب ١ / ١٩٢ ) حيث يقول المبرد : « اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا منها ثمانية وعشرون لها صور »، والمقصود بأنها لها صور أنها لها أشكال كتابية معروفة ، مع أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفا « انظر كتاب سيبويه ٢ / ٤٠٤ ) حيث يقول : فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً : الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء والفاء والياء والجيم والواو » .

(٣) نحن ننطق فى أول حروف المعجم أ ( ألف ) وهى يقصد بها الهمزة ، لأن الألف تذكر مرة أخرى عند ( لا ) ونطقها ( لام ألف ) انظر سر الصناعة لابن جنى ١/٤٦ .

على صورة واحدة ، ولا أعدها مع الحروف التى أشكالها معروفة محفوظة[1] .

وأما الحذف فأن تسقطها من اللفظ ألبته .

وأما جعلها بين بين أى بين الهمزة والحرف الذى منه حركتها ، فإذا كانت مفتوحة تجعلها بين الهمزة والألف ، وإذا كانت مضمومة بين الهمزة والواو ، وإذا كانت مكسورة بين الياء والهمزة »[2] .

ولا يشترك مصطلح التخفيف – إذن – مع المصطلحات الأخرى الدالة على التغيير إلا مع الإبدال عندما يكون تخفيف الهمزة بإبدالها حرف مد مثل : راس وبير ولوم .

ومهما يكن من أمر فإن تخفيف الهمزة له قواعد خاصة به تصف أحكامه ، ويدرسها الصرفيون فى غير بابى الإعلال والإبدال ، وقد اتجه بعض الدارسين المعاصرين إلى دراستها دراسة خاصة[3] .

**٥ ـ مصطلح التعويض :**

التعويض من التغييرات التى تحدث فى الكلمة المفردة ، والمعنى اللغوى للفظ التعويض ؛ هو جعل الشىء خلفا عن غيره . وهذا المعنى اللغوى نفسه هو الذى انتقل إلى مجال الاصطلاح الصرفى ، غير أنه خصص بتعويض الحروف فى الكلمة المفردة .

وللصرفيين فى تفسير التعويض أو تعريفه رأيان : أولهما ما أشار إليه ابن يعيش قائلا : إن العوض أو التعويض هو « أن نقيم حرفا مقام حرف فى غير موضعه نحو تاء عدة وزنة وهمزة ابن واسم[4] ولا يقال فى ذلك بدل إلا تجوزا مع قلته »[5] ، فالشرط المشترط هنا هو أن يكون حرف العوض فى غير مكان

---

( ١ ) اعترض ابن جنى على أبى العباس المبرد فى رأيه هذا بأن جميع الحروف إنما وجب إثباتها بالنظر إلى كونها أصواتا منطوقة ملفوظة ، ولا شك أن النطق موجود قبل الخط ، وانقلاب الهمزة لا ينفى كونها حرفا مستقلا لأن غيرها من حروف الإبدال ، والإعلال ينقلب ولا يخرجها ذلك عن كونها حروفا . ( انظر سر صناعة الاعراب ١ – ٤٨ ) .

( ٢ ) شرح المفصل لابن يعيش ٩/١٠٧ ( بتصرف يسير جدا ) وانظر أيضا شرح الشافية ٢/٣٠ .

( ٣ ) انظر الدراسة التى قام بها الدكتور عبد الصبور شاهين عن الهمزة فى كتابه ( القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ) .

( ٤ ) بناء على أن كلمة اسم مشتقة من السمو ( س . م . و ) .

( ٥ ) شرح المفصل ١٠/٧

الحرف المعوض عنه ، فإذا نظرنا فى كلمة ( زِنة ) نجد أن التاء فيها عوض عن الواو ، لأن هذه الكلمة من مادة ( وزن ) ووزنها الصرفى هو ( علة ) لأن الفاء حذفت وهى الواو ، وقد عوض عنها التاء فى آخر الكلمة ، فلما حذفت فاء الكلمة عوض عنها حرف آخر هو التاء فى آخر الكلمة أى فى غير الموضع الذى كان فيه الحرف المحذوف وكلمة ( ابن ) أصلها ( بنو ) بدليل أنك إذا نسبت إليها قلت : بنوى ، وإذا صغرتها قلت ( بُنَيّ ) وأصلها بُنَيْو فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء فصارت ( بُنَى ) . ومعنى هذا أن الأصل المحذوف يرد عند بعض التصاريف ، فلما حذفت لام الكلمة وهى الواو عوض عنها الهمزة فى أول الكلمة أى فى غير الموضع الذى كان فيه الحرف المحذوف.

وهذا الاتجاه الذى يشترط جعل التعويض فى غير مكان الحرف المعوض منه ضعيف وان اشتهر عند الكثيرين كما يقول بعض الدارسين .

والرأى الآخر هو أن نقيم حرفاً مقام حرف آخر فى الكلمة ، ويجوز أن يكون الحرف المعوض فى غير مكان المعوض منه كالسابق ، ويجوز أن يكون المعوض فى مكان المعوض منه كالهمزة فى كلمة ( اسم ) إذا قيل أنها مأخوذة من مادة ( وسم ) .

والتعويض — على الرأى الأول وهو المشهور — ليس من الإعلال ولا الإبدال فى شىء ، وعلى الرأى الثانى يمكن أن يندرج تحت الإبدال بمعناه الواسع .

* * *

بعد عرض هذه المصطلحات التى تطلق على التغيير الذى يحدث فى الكلمة المفردة نرى أن التخفيف والتعويض كليهما ليسا داخلين فيما نحن بسبيله لأنهما يدرسان فى غير باب الإعلال والإبدال .

---

( ١ ) يلاحظ أنه عند وزن الكلمة التى حدث فيها تعويض وزنا صرفيا يعامل الحرف المعوض به معاملة أحرف الزيادة فيقابل بنظيره فى الميزان، فمثلا كلمة ( عدة ) نجد أن وزنها الصرفى هو ( علة ) فالتاء — وهى عوض عن الواو المحذوفة التى هى فاء الكلمة قوبلت بتاء زائدة ، وحذف ما يقابل الواو فى الميزان وهو الفاء .

ويبقى بعد ذلك ثلاثة مصطلحات هى : الإعلال والقلب والإبدال ، وسوف نسلك مع هذه المصطلحات مسلكا لا يقصد به إلا التخفيف فحسب ومحاولة التيسير من أجل الدراسة ، وأود أن نصطلح على أن كل تبادل أو تغيير يطرأ على أحرف العلة الثلاثة ومعها الهمزة نسميه إعلالا ، فالإعلال – إذن – بناء على ما نريد أن نصطلح عليه فى دراستنا – هو كل تغيير يقع بين أحرف العلة والهمزة على أن تكون الفروق بين هذه المصطلحات واضحة كما ذكرنا من قبل ، كما أنه إذا قلت فى ( قائم ) مثلا : أن أصلها ( قاوم ) قلبت الواو همزة يكون مقصودنا أن هذا ضرب من الإعلال .

وأما مصطلح الإبدال فسوف نخصصه لكل تبادل يقع بين الحروف الصحيحة بعضها مع البعض الاخر أو بين الحروف الصحيحة وحروف العلة ، ومرة أخرى أقول إن هذا ليس إلا ضربا من التنظيم يقصد به التيسير مع معرفتنا بالفروق بين هذه المصطلحات وقد سبق شرحها .

محمد حماسة عبد اللطيف
مدرس النحو بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

# الصوت المجسد ـ تقفية وتأييـــد

للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور عضو المجمع المراسل*

نشر الأستاذ أنستاس الكرملى عضو المجمع اللغوى مقالا فى الصفحة ٢٦٩ من الجزء الرابع من مجلة المجمع اللغوى استيقظ فيها الأنظار إلى مايقع فى بعض أمهات الدواوين اللغوية من كلام مغلق يكد حله أفهام الناظرين وتزل فى مزالقه أقدام الناقلين والمختصرين فربما شوه بعضهم اللغة تشويها شنيعاً ، وربما عمد بعضهم إلى حفظها فأصبح لها مضيعا ، واستظهر لذلك بشاهد واحد ، والظن بضلاعته أنه قصد الاختصار لا أنه الآخر غير واحد .

وإنى وإن شاطرته رأيه مشاطرة تأييد ، ورجعت نداءه المهيب بالتقفية على رأيه السديد فانا أقفى على أثره مباحث على شاهده الوحيد .

فأقول إن ما أخذه على صاحب محيط المحيط فى « الصوت المجسد » مأخذ فطن لبيب ، واعتراضه عليه ممسك بالتلابيب ، فالعلامة البستانى قد جاء بمزيج من اختصار وتفسير وتصحيف لايسلمه عارف ويؤاخذه عليه المطلع المنصف ولقد كفانا الأستاذ الكرملى أمر نقده بما لايزيد عليه من بعده ، وأما «فربتاغ» فقد احتكم حكم المستبد فجعل وصف الصوت المجسد مأخوذاً من المصبوغ بالجساد أو الزعفران تقريباً ، يريد منه ترجيح لفظ « محسنة » فبقى أن نعود إلى تحقيق هذه العبارة الواقعة فى معاجم اللغة المعتبرة .

وقد ذكر الأستاذ الكرملى عن نسختى القاموس لفظى «مجنة ومحسنة» ونقل كلام صاحب تاج العروس فى شرحه لتخطئة النسخة التى بلفظ محسنة فيلزم تخطئة صاحب اللسان أيضاً لأنه اقتصر عليها . وقد رأيت فى نسخة صحيحة من القاموس مصرية الخط نفيسة نسخت سنة ٩٣٨ بخط محمد بن عمر الخفاجى الأزهرى وهو والد شهاب الدين الخفاجى وقد ذكره الشهاب فى ترجمته نفسه فى كتاب «ريحانة الألباب» فقال « ومقام والدى غنى عن المدح والورق بأوكارها لاتعلم الصدح » ثبت فيها مانصه « وصوت مجسد كمعظم مرقوم على نغمات ومِجْنَة » ( بميم وجيم ونون وهاء وشكلها بكسرة تحت الميم وسكون على الجيم وفتحة على النون ) وهى من عدة نسخ بخزانة كتبى وفى نسخة صحيحة أخرى نسخت سنة ٩٩٣ موجودة بخزانتى أيضاً كتب فى آخرها أنها بخط الصالح الفاضل والعالم الكامل منصور الحلبى نسباً الزبيدى مولداً رحمه الله وكتب فى آخرها أنها صححت على أم وأصل صحيح عليه خط المصنف رحمه الله سنة ١٠٠٢ كتبت كلمة « محنة » بدون نقط أصلا وذلك يدل على مثار اختلاف نسخ القاموس فى ذلك اللفظ فالظاهر أنه ثبت فى أصل الفيروزبادى بدون نقط فحاكى الناسخ صورة اللفظ كما وجدها لعدم اهتدائه إلى إعجامه .

---

( * ) عرض هذا البحث على المؤتمر وقرر نشره فى المجلة ( الجلسة الثانية للمؤتمر ٢٩ من يناير سنة ١٩٥٠ )

وإذ قد عزا صاحب تاج العروس تلك الجملة إلى الخليل ولم يكن كتاب العين للخليل موجوداً فبنا أن نرجع إلى الكتب المتابعة لكتاب العين لنتمكن من فهم هذه الجملة التى هى من أمهات الكلمات اللغوية فلما وجدنا الزبيدى قد عدل عن ذكرها فى كتاب مختصر العين . ووجدنا ابن سيده عدل عنها أيضاً فى كتابه «المحكم والمحيط الأعظم» الذى هو كالمختصر لكتاب العين (١) علمنا أن هذه العبارة موضع إشكال فلذا حذفها مختصراه ولكن ابن سيده نفسه أثبت هذه العبارة فى كتاب المخصص فى باب الملاهى والغناء (٢) فقال مانصه « صاحب العين صوت مجسد مرقوم على محنة ونغمات » وضبط مصحح المخصص كلمة محنة بكسر الميم وسكون الحاء وفتح النون .

وهذه العبارة عين عبارة القاموس سوى أن صاحب القاموس قدم لفظ نغمات على لفظ محنة بخلاف كلام الخليل ولاشك أن لصاحب القاموس مقصداً فى هذا التصرف ولعله رأى أن كون الصوت على نغمات هو مقوم بمعنى كونه مجسداً وأن لفظ محنة تكملة للمعنى .

وأما صاحب اللسان فتصرف فيه بتغيير لفظ محنة بلفظ محسنة إن كان ذلك من أصل ابن منظور لامن تصرفات الناسخ وبتعويض لفظ نغمات بلفظ نغم وهو هين .

وعلى هذا فالظاهر أن المجسد مشتق من الجسد وهو الجسم خلافاً لما ظنه «فربتاغ» فمجسد مثل قولهم مجسم بمعنى مضخم فى نوعه تشبيها له فى الغلظة بالجسم أى ضخم حتى صار كالجسم بنـــاء على أن اللحون والنغمات تضاعف الحروف وترددها حتى تكاد الألفاظ أن تصير أجساماً والعبارة جارية على أسلوب تعبير القدماء من أهل العربية كشأن عبارات كتاب سيبويه قد تكون محل توقف أنظار الناظرين كما هو معلوم . ولابد من الاستعانة على فهم المراد منها بتتبع أساس تعبيرهم وماتفيده المفردات اللغوية المناسبة للغرض المسوقة إليه العبارة ومقتضى كتابة العبارة الجارية على طريقة الكتابة فى ذلك العصر .

فبنا أن نتأمل فى المعنى من قوله « مرقوم » فالمرقوم الذى جعل له الرقم والرقم علامة ترقم أى تنقش فقد يكون حروفاً وقد يكون علامة ومنه الرقم فى الثوب وقال تعالى « كتاب مرقوم » فقيل فى وجه وصف الكتاب بالمرقوم . إن المراد كتاب معلم متميز . ولما وصف الصوت بالمرقوم تعين أنه رقم اعتبارى أى صوت مكيف بكيفية تميزه عن غيره وهى كيفية اللحن الخاص . ومعنى كلمة « على » الاستعلاء المجازى لا محالة الذى يؤول إلى معنى الملابسة مثل « على هدى من ربهم » . أى ميز بكيفية خاصة ملابسة لنغمات . وتفسيره المجسد بالمرقوم على نغمات يدل على أن وصفه بالمجسد لأنه صوت محدد بلحن خاص يعينه ويشخصه

---

(١) صاحب المحكم هو على ابن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسى الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٨ وصاحب مختصر العين هو أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى المتوفى سنة ٣٧٩

(٢) صفحة ١١ من الجزء الثالث عشر من المخصص طبع المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر

ويميزه عما سواه وذلك بنغمات مخصوصة يصير بها الصوت مضبوطاً معيناً يشبه الجسد المحدد بالشكل لأن الرقم يكون واضحاً متميزاً فى الطرس أو الثوب .

فاللحون كلها حدود للأصوات تعرف بهـا فيكون الصوت المجسد على هذا هو الصوت الملحن المتغنى به شأن الأصوات المذكورة فى كتاب الأغانى وأن نتأمل فى سبب التردد فى كلمة « محنة أو مجنة » وذلك أنها كلمة مركبة من أربعة حروف الأول منها يتعين لكونه ميما والرابع يتعين لكونه هاء تأنيث والثالث لم يختلفوا فى كونه نوناً .

فأما الحرف الثانى فشكله يحتمل الجيم والحاء المهملة والخاء المعجمة لأن أشكال هذه الحروف الثلاثة فى الرسم العربى متحدة ولا تمايز إلا بأحد أمرين الإعجام إن كانت الكتابة معجمة ، أو دلالة المقام إن كانت الكتابة خالية عن الإعجام ، كما هو غالب حال الكتابة فى عصر الخليل حين كان الكتاب يعدون الإعجام عيباً .

فأما احتمال الخاء معجمة الذى وقع فى محيط المحيط للبستانى فهو خطأ لايستقيم معه المعنى بحال ولم ينقل عن كتاب من الكتب فلنضرب عنه صفحاً .

فبقى احتمالان أن يكون حاء مهملة وهو أصل الإهمال أو جيما وهو مابقى .

فأما الحاء فهو الأصل فى إهمال مثل ذلك الحرف وعلى ذلك الاعتبار جرت طبيعة «المخصص» وغالب نسخ القاموس وهو الموافق لنسخة من القاموس بخط ومقابلة وتحقيق العلامة الأديب اللغوى محمد الورغى التونسى كاتب دولة الأمير على بن حسين بن على سنة ١١٧٧ هـ .

وإما أن يكون الحرف جيما وهو الذى وقع فى النسخة المصرية التى بخط الخفاجى. وقيام كلا الاحتمالين هو الذى حمل ناسخ النسخة الحلبية على ترك الإعجام . ثم ينشأ احتمال أن تكون الكلمة مركبة من خمسة حروف بأن تكون المطة التى بين الحرفين الثانى والثالث سينا لأن كثيراً من الخطوط المشرقية يكتب حرف السين دون أسنان بل يكتفى بمطة طويلة وإن كان ذلك لايلتبس على الممارسين لكيفيات الخطوط وبهذا الاحتمال تصير الكلمة مركبة من خمسة أحرف فيحدث حرف ثالث هو «سين» وهو الذى نشأت عنه كلمة محسنة الواقعة فى نسخ القاموس حسبما ذكره صاحب تاج العروس ولعلها من تصرفات بعض الناسخين للقاموس ، فاذا كان هذا اللفظ هو المثبت فى أصل كتاب « المخصص » فالظن أن بعضا ممن نسخوا القاموس لهم إطلاع على كتاب « لسان العرب » يحسبون أنهم يصلحون عبارة «القاموس» ولايبعد أن يكون وقوع ذلك فى نسخة اللسان من تصرفات الناسخ أيضاً فينبغى أن نشتغل بتفسير لفظ محنة الذى هو المشهور من عبارة الخليل .

والمحنة مايمتحن به المرء من المصائب فصوت ذى المحنة يكون فيه غلظ وبحة ويقال له صوت أجش وهو الذى يخرج من أعلى

الحلق والخياشيم وذلك مما يضخم الصوت فيصير كأنه جسد فيكون المجسد بمعنى المضخم وقريب منه وصف الأصوات بالثقيل تارة وبالخفيف أخرى كما تجده فى كتاب الأغانى ، والثقل والخفة من صفات الأجسام فعلى صحة هذا اللفظ يكون الصوت المجسد من صفات أصوات الحزن فى النياحة ونحوها .

وأما على مافى نسخة القاموس الخفاجية من لفظ « مجنة » بالجيم وبالضبط بكسر الميم وسكون الجيم كما تقدم ، فى صيغة هيئة مشتقة من المجن ، والمجن يرجع إلى معانى اللهو والهول والانخلاع وشأن اسم الهيئة إذا لم يضف إلى مايميز هيئته أن يكون اسما لهيئة الجنس المشتق هو من لفظه أعنى أن يكون اسما للمصدر كقولهم الحيطة بمعنى الاحتياط والحيضة بمعنى الحيض فاذا صحت هذه اللفظة على هذا الوجه كان المعنى واضحاً فان شأن الغناء أن يكون فى مقام المجون والطرب .

فأما لفظ محسنة الواقع فى طبعة « اللسان » وبعض نسخ «القاموس» فلا أراه يستقيم له معنى مع دخوله حرف الاستعلاء عليه ولا أشاطر الأستاذ الكرملى فى توجيهه لأن المعنى المقصود من الصوت المجسد لايختص بالمرأة المغنية بل أكبر الأصوات إتقاناً وإبداعاً هو من صنعة مغنين كالموصلى ومعبد ومخارق وأضرابهم على أنى لا أرى فى الفقرات التى استشهد بها الأستاذ الكرملى لتوجيه لفظ «محسنة» مايقتضى اعتبارهم ذلك اللفظ اعتبار الاسماء الصناعية بل ليس هو إلا من الأوصاف المشتقة المعروفة وحسبك أنه لم يثبت له ذلك المعنى فى شئ من دواوين اللغة فهذا مابدا من النظر فى إقامة هذه الكلمة الخليلية نكله إلى تحقيق رجال المجمع ونشفعه بأطيب تحية .

## مراجعـــة

وقد أتبع الأستاذ الطاهر بن عاشور هذا البحث بالكلمة التالية ، وهى تتضمن مراجعة وردت إليه من الأستاذ إبراهيم مصطفى عضو المجمع وتعليقه عليها :

### مراجعة الأستاذ ابراهيم مصطفى

« وصل إلى اليوم بحثكم الدقيق العميق فى تحقيق « صوت مجسد » ونقلت مما ظفرت به من النسخة الصحيحة النفيسة من نسخ القاموس مانصه « وصوت مجسد كمعظم مرقوم على نغمات ومحنة » وبذلك حققتم وصححتم كلمة « مجسد » — ثم أخذتم فى تحقيق كلمة « محنة » وقلبتموها على وجوهها التى تحتملها قراءاتها

وقد بدأ لى أن أسألكم ألا يمكن أن تقرأ «مِحَنَّة» ومن معانى الحنين — النزوع والصوت والطرب فيكون المعنى ( مرقوم على نغمات وأطراب ) ؟

وقد رأيت أن أكتب إليكم هذا الخاطر وأنتم أقدر على تحقيقه لما بأيديكم من النصوص ومالكم من موالاة النظر فيها . اهـ » .

## التعليق

« الجواب عنها : أن الوجه والمعنى اللذين ذكرتموهما يقتضيان أن تكون الميم التى فى كلمة « محنة » حرفاً زائداً وأن تكون تلك الكلمة مصدراً ميمياً وحينئذ فلا يصح ضبط الميم بالكسر إذ ليس فى المصادر الميمية ماهو بكسر الميم . فيتعين على ذلك التفسير أن تكون

الميم مفتوحة . لكن يعكر على اعتبارها مفتوحة أن الكلمة قد ضبطت فيما ضبطت فيه من كتب اللغة بكسرة تحت الميم . ثم هو يقتضى أن يكون عطف الطرب على محنة عطف مرادف وهو خلاف أصل العطف لأن أصل العطف أن يكون لمغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه وذكر المرادف مع مرادفه من قبيل التوكيد اللفظى الذى لايقترن بواو العطف .

فان التزمنا كسر الميم تبعاً للضبط الواقع فى المعاجم اللغوية اضطرنا ذلك إلى جعل الكلمة بوزن مفعلة بكسر الميم فتتعين لأن تكون من اسماء الآلة مثل مِزَجّة فتفسر حينئذ بآلة الحنين إلى الطرب وهذا المحمل لايلتئم مع عبارة الخليل بن أحمد فى الصوت المجسد التئاماً واضحا لأنه يجعل من مقومات معنى الصوت المجسد أن يكون مرقوماً على آلة طرب وعلى طرب أيضاً لأن واو العطف دالة على الجمع . اللهم إلا أن تجعل الواو للتقسيم بمعنى «أو» وهو استعمال نادر فى كلام المؤلفين وإن كان صحيحاً حتى احتاج من استعمله منهم إلى الاعتذار عن ذلك فى التعليق على كلامه اهـ» .

# القلب المكانى فى اللغة العربية

للدكتور حسين محمد شرف

حفلت اللغة العربية بكثير من الظواهر اللغوية التى ظفرت باهتمام علماء اللغة ورجالها فى القديم والحديث .

ومن هذه الظواهر : المشترك ، والأضداد ، والمترادف ، والإتباع ، والإبدال ، والقلب ، والنحت .

وفيها صنّف متقدمو أهل اللغة كتباً ورسائل كثيرة ، وأفرد لها بعضهم أبواباً فى كتبهم إلى جانب ماجاء منها متناثراً فى بقية الأبواب :

وقد عقد «جلال الدين عبدالرحمن السيوطى» (٩١١هـ) فى كتابه «المزهر فى اللغة» لكل ظاهرة من هذه الظواهر بابا جمع فيه قدراً كبيراً من مادة الظاهرة التى يعالجها الباب ، وحدد المصادر التى نقل عنها، وأشار إلى من ألف فى الظاهرة اللغوية مؤيداً ومعارضاً .

ولقد لجأ العرب إلى ذلك ضروب من التوسع فى اللغة ، والتخفيف ، والاختصار . واختلاف اللغات لايستوجب إهمالها ، ولا يغض من شأنها ، وإنما ينبغى القول بصحتها ، والأخذ بها مع التفاوت فى الأخذ والترجيح .

وأحب أن أضع بين يدى القارئ هنا تصوراً عاماً لموقف ثلاثة من علماء العربية بالنسبة لهذه الظواهر وغيرها :

( أ ) يقول العلامة «أحمد بن فارس» (٣٩٥هـ) :

«اختلاف لغات العرب من وجوه :

ـ أحدها : الاختلاف فى الحركات «كقولنا : «نَستعِين ونِستعِين» بفتح النون وكسرها»

قال «الفراء يحيى بن زياد» (٢٠٧هـ) : هى مفتوحة فى لغة « قريش » ، وأسد وغيرهم يقولونها بكسر النون .

ـ والوجه الآخر : الاختلاف فى الحركة والسكون، مثل قوله : «معَكم ومعْكم» بفتح العين وسكونها .

ـ ووجه آخر ، وهو الاختلاف فى إبدال الحروف .

ـ ومنه الاختلاف فى التقديم والتأخير نحو : «صاعقة وصاقعة»

ـ ومنه الاختلاف فى الإعراب ، نحو : « مازيدٌ قائما ، ومازيدٌ قائمٌ »

— ومن الاختلاف اختلاف : الأضداد ، وذلك قول «حمير» للقائم «ثب» أى اقعد .

وكل هذه «اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها وهى وإن كانت لقوم دون قوم ، فإنها لما انتشرت تعاورها كل»[1].

(ب) ويقول الإمام أبو الفتح «عثمان بن جنى»(٣٩٢هـ) فى باب اللغات وكلها حجة من كتابه «الخصائص» ، مبيناً صحة هذه اللغات والوجوه، وموضحاً بعض وجوه التمايز والتفضيل : «اعلم أن سعة القياس تتيح لهم ذلك ، ولا تحظره عليهم ، ألا ترى أن لغة «التميميين» فى ترك إعمال «ما» يقابلها القياس ولغة الحجازيين فى إعمالها كذلك ؛ لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله ، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها؛ لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتميز إحداهما ، فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنسابها ، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا .

أو لا ترى إلى قول النبى — صلى الله عليه وسلم — نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف» .[2]

هـذا حكم اللغتين إذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين ، فأما أن تقل إحداهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا ، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً[3].

(ج) ويبين الإمام «أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه»(٣٤٧هـ) موقفه من المشترك، والتضاد، والحركات فيقول:

— «وأما قوله فى رعد وبرق فى باب فعلت إنه يقال فيه أيضا أرعد وأبرق فإن لكل واحد من هذين معنى يخصه ولا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجىء ذلك فى لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما يظن كثير من النحويين واللغويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها ، وما فى نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق ، فظنوا أنهما بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم ، فإن كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب فقد أخطؤوا عليهم فى تأويلهم مالا يجوز فى الحكمة ، وليس يجىء شىء من هذا الباب إلا على

---

(١) بتصرف من الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس السلفية ١٩ ومابعدها ١٩١٠ م .
(٢) انظر البخارى بشرح الكرمانى جـ ١٩ ص ١١ المطبعة البهية : ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م .
(٣) الخصائص ٢ — ١٠ دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م

لغتين متباينتين كما بينا ، أو يكون على معنيين مختلفين، أو تشبيه شيء بشيء على ما شرحناه فى كتابنا الذى ألفناه فى افتراق معنى فعل وأفعل ومن هنا يجب أن يتعرف ذلك[1] » .

— ويقول :

«وقد قيل للجارية الممتلئة اللحيمة إذا نهضت : قد ناءت . وللدابة : قد ناء بحمله: أى نهض ، ومنه قول الله — عز وجل —« مَا إنَّ مفاتحه لتنوءُ بالعصبة أولى القوة »[2] .

وقدزعم قوممن اللغويين أن النوء السقوط أيضاً ، وأنه من الأضداد وقد أوضحنا الحجة عليهم فى ذلك فى كتابنا فى إبطال الأضداد وليس هذا موضع ذكره »[3] .

— ويقول :

«اعلم أنه ليست كل كلمة تأتى بحركتين مختلفتين إلا لاختلاف معنييهما ، ولايجوز أن تختلف الحركتان ، والمعنى فيهما واحد؛ لأن كل حركة موضوعة لمعنى ، كما أن كل حرف لمعنى .

وإن كان كثير من اللغويين يتوهمون أن الكلمة قد تفتح وتضم بمعنى واحد لخفاء الفرق بينهما عليهم ، واشتباه المعنيين عندهم وهذا الباب كثير جدا نحو: الجَهد والجُهد بفتح الجيم وضمها والضَّعف والضُّعف بفتح الضاد مشددة وضمها بذلك . . . والجَناح والجُناح ، وما أشبه ذلك[4] » .

ولابن درستويه موقف من ظاهرة القلب سوف أذكره عند دراسة تلك الظاهرة موضوع البحث .

بعد هذا التمهيد الذى وجدته ضروريا بين يدى ظاهرة القلب إحدى الظواهر التى أشار إليها التمهيد ، ومهد لها أجد أن الوقت قد حان لأنتقل إلى دراسة ظاهرة القلب المكانى فى العربية بعامة وفى أفعالها بخاصة وسوف أتناول بعون الله فى هذه الدراسة ما يأتى :

— القلب المكانى : طبيعته والدافع إليه .

— القلب المكانى عند القدامى والمحدثين وجهودهم فيه .

— القلب المكانى بين القياس والسماع .

---

(١) شرح فصيح ثعلب الورقة ٢٠ ب ، ٢١ أ .
(٢) الآية ٧٦ من سورة القصص .
(٣) شرح فصيح ثعلب الورقة ٨٤ — ب .
(٤) المصدر السابق الورقة ١٧٢ — ب

ـ دراسة تحليلية لهذه الظاهرة على ما جمعته من أفعال «أبى عثمان السرقسطى»[1] ونتائج هذه الدراسة .

**( ١ ) القلب المكانى طبيعته والدافع اليه :**

القلب الذى أعنيه فى هذه الدراسة هو القلب المكانى بمعنى تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وهو أحد نوعين من القلب عقد لهما «ابن فارس» فى كتابه «فقه اللغة» بابا جاء فيه :

«ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون فى الكلمة ، ويكون فى القصة .

فأما الكلمة ، فقولهم : «جذب وجبذ» و«بكل ولبك» وهو كثير ، وقد صنفه علماء اللغة .

وليس من هذا ـ فيما أظن .. من كتاب الله ـ جل ثناؤه ـ شىء .

وأما الذى فى غير الكلمات فقولهم :

ـ كما عُصيب العلباء بالعود ..

و : . . . . . كما

* كان الزناء فريضة الرجم[2] *

و :

* وكأن لون أرضه سماؤه[3] *

ـ كأن الصفا أوراكها

إنما أراد كأن أوراكها الصفا .

ويقولون :

.. أدخلت الخاتم فى إصبعى

و : . . . . . .

* تشقى الرماح بالضياطرة الحمر[4] *

و : . . . . . .

* كما بطّنت بالفدن السّياعا[5] *

.. حسرت كفّى عن السربال .

وإنما حسر السربال عن كفه .

ومثله فى كتاب الله جل ثناؤه «خُلق الإنسان من عجل»[6]

ومثله قوله جل ثناؤه :

«يحرّمنا عليه المراضع من قبلُ»[7]

---

( ١ ) أفعال أبى عثمان السرقسطى تهذيب وبسط لأفعال ابن القوطية ، وأفعال ابن القوطية مصدر أفعال ابن القطاع ، وعلى هذا تكون هذه المادة ممثلة لأكثر ما جاء من صور القلب فى كتب الأفعال .

( ٢ ) الشاهد جزء من بيت للنابغة الجعدى ، والبيت بتمامه كما فى شعر الجعدى ٢٣٥ دمشق ١٣٨٤ هـ

كانت فريضة ما أتيت كما كان الزناء فريضة الرجم

( ٣ ) الشاهد لرؤبة كما فى ديوانه ٣ .

( ٤ ) الشاهد عجز بيت لخداش بن زهير وصدره كما فى اللسان ـ سعط :

« وتركن بعلك لاهدة فيما . . »

( ٥ ) الشاهد عجز بيت للقطامى وصدره كما فى الديوان ٤٠ بيروت ١٩٦٠ :

« كما أن جون سمن طينا »

والفدن : القصر . والسياعا : الطين يطين به .

( ٦ ) الآية ٣٧ من سورة الأنبياء .

( ٧ ) الآية ١٢ من سورة القصص .

ومعلوم أن التحريم لا يقع إلا على من يلزمه الأمر والنهى . وإذا كان كذلك فالمعنى وحرمنا على المراضع أن يرضعنه، ووجه تحريم إرضاعه عليهن ألا يقبل إرضاعهن حتى يرد إلى أمه(١) .

وقد آثرت ذكر أكثر ماأورده « ابن فارس » من صور القلب فى القصة ؛ لأن الإشارة إلى مثله قليلة فى كتب اللغة .

ويعرف العلامة المحقق رضى الدين الاسترابادى ( ٦٨٨ هـ ) القلب المكانى فى الكلمة ويقول :

أقول يعنى « ابن الحاجب عثمان بن عمر»( ٦٤٦هـ ) بالقلب تقديم بعض حروف الكلمة على بعض .

– وأكثر ما يتفق القلب فى المعتل والمهموز وقد جاء فى غيرهما قليلا : نحو : «اضمحل واكرهف» فى «اضمحل واكفهر » .

– وأكثر ما يكون بتقديم الآخر على متلوه : كناءٍ فى نأى ينأى وراءٍ فى رأى ولاعٍ وهاعٍ وشواعٍ فى لائع وهائع وشوائع ونحو جاء عند الخليل .

– وقد يقدم متلو الآخر على العين نحو طأمن ، وأصله طمأن(٢) .

– وقد تقدم العين على الفاء كما فى أيس وجاه ،وأنيق ، والآراء . والآبار والآدر .

– وقد تقدم اللام على الفاء كما فى أشياء على الأصح(٣) .

– وقد تؤخر الفاء على اللام كما فى الحادى وأصله الواحد(٤) .

ويرى علماء اللغة القدامى أن القلب بهذا المفهوم قد كثر فى الكلام العربى وعرف ، يقول «ابن جنى»: «ألا ترى أن القلب قد كثر فى كلامهم حتى أن «ابن السكيت يعقوب بن إسحاق ( ٢٤٤هـ ) قد صنف فيه كتاباً وقوى جانب القول بالقلب المكانى عند القدماء عوامل منها :

– ما وجدوه من ألفاظ لم تعل فيها أحرف العلة مع وجود مقتضى الإعلال ، ومن ذلك صحة ياء أيس مع تحركها وانفتاح ما قبلها ، والقياس يقتضى أن يقال فيها : إستُآس ، كما يقال : هبت أهاب ، فعدم الإعلال مع موجبه دليل على أن أيس مقلوب عن يئس ، وأنهم راعوا «فى أيس المقلوب» من كسر الياء كسرة

---

(١) فقه اللغة لابن فارس ١٧٢ – ١٧٣ .
(٢) الرضى يقول فى طأمن يقول أبى عمرو بن العلاء .
(٣) القول بالقلب فى أشياء رأى الخليل . انظر سيبويه ٤ – ٣٨٠ .
(٤) شرح الرضى على الشافية ١ – ٢١ – ٢٢ مطبعة حجازى القاهرة .
(٥) المنصف ٢ – ٩٥ .

عين الأصل يئس ، وكان ذلك دليل القلب ومقويه[1] .

— ما وجدوه من عدم صرف ألفاظ لا مبرر لعدم صرفها أفضل من القول بالقلب ، ومن ذلك «أشياء» إذ جاء غير مصروف فى قول الله — عز وجل — «لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تَسُؤكُمْ .»[2] فأصله عند الخليل وسيبويه «شيئاء» ثم حدث فيه قلب مكانى ، فقدمت اللام على الفاء وصار وزنه «لفعاء» ولهذا لم ينصرف ، ولو كان أصله أشياء على وزن أفعال لانصرف كما ينصرف أحياء وأصحاب وما أشبه ذلك[3] .

— القلب يخلص من ثقل تتحاشاه اللغة وتفر منه .

● ومن ذلك « أشياء » القول بوقوع القلب فيها وقع ؛ ليخفف أصل الكلمة «شيئاء » من ثقل اجتماع همزتين بينهما ألف وهى حاجز غير حصين[4] .

● ومن ذلك «قِسِىّ» مقلوب من قووس ، والقلب يخلص من ثقل واوين وضمتين فى الأصل قووس[5] .

● ومن ذلك جاءٍ وشاءٍ وساءٍ . اسم فاعل من جاء ، وشاء ، وساء ، فى قول «الخليل» ، إذ يقول بتقديم الهمزة التى هى لام الفعل على العين ، والقول بالقلب يخلص من اجتماع همزتين ثقيلتين فى الطرف عند صوغ اسم الفاعل ووزن اسم الفاعل على رأيه فال لحذف العين المؤخرة من قلب .

والقلب المكانى فى الفعل الثلاثى الأجوف مهموز اللام يراه الخليل مطردا مع اسم الفاعل[6] . ويجيزه كل من سيبويه ، والمازنى والمبرد . على ما سيتضح لنا بعد .

**(ب) القلب المكانى فى كتب القدامى والمحدثين :**

سلم أكثر العلماء على وجود ظاهرة القلب المكانى فى الكلمة العربية « الفعل والاسم » ودعاهم إلى القول به ماسبقت الإشارة إليه » والذى بين أيدينا من هذه الظاهرة فى مؤلفات القدامى :

١ — كلمات فى كتب النحو والصرف ، وقف عندها العلماء ، وبينوا ما فيها من القلب أو عدمه معللين لذلك ، ومنها ما جاء فى الكتاب لسيبويه ،

---

(١) انظر المنصف ٢ — ١٠٦ .
(٢) الآية ١٠٢ من سورة المائدة .
(٣) انظر المقتضب ١ — ٢٠ .
(٤) انظر شرح الرضى على الشافية ١ — ٢٩ .
(٥) انظر سيبويه ٤ — ٣٨١ .
(٦) انظر المقتضب ١ — ١١٥ — ١١٦ .

والمقتضب للمبرد ، والخصائص لابن جنى ، وغيرهم .

— يقول سيبويه : (١٨٠ هـ)«ومثل هذا — أى أشياءوغيره — فى القلب طَأمن ، واطْمَأنّ ، فإنما حمل هذه الأشياء على القلب حيث كان معناها معنى ما لا يطرد ذلك فيه ، وكان اللفظ فيه إذا أنت قلبته ذلك اللفظ ، فصار هذا بمنزلة ما يكون فيه الحرف من حروف الزوائد ، ثم يشتق فى معناه ما يذهب فيه الحرف الزائد ، وأما جَذَبْتُ وجَبَذْتُ ، ونحوه ، فليس فيه قلب ، وكل واحد منهما على حِدَته ؛ لأن ذلك يطرد فيهما فى كل معنى ، ويتصرف الفعل فيه ، وليس هذا بمنزلة ما لا يطرد مما إذا قلبتَ حروفه عما تكلموا به وجدت لفظه لفظ ما هو فى معناه من فِعْلٍ أوواحدٍ هو الأصل الذى ينبغى أن يكون ذلك داخلا عليه كدخول الزوائد»[1] .

وهنا يوضح سيبويه سبب القلب بين طأمن ، واطمأن ، وهو أن كل واحد منهما لايصح أن يقوم أصلا بنفسه ، ويقول مخالفا« أبا عمرو بن العلاء»إن طأمن أصل ، واطمأن مقلوب منه ؛ لأن اطمأن مزيد ، والزيادة مدخل للتغيير وتغيير الزيادة يستدعى تغيير القلب على ما سيوضحه ابن جنى فى النص الذى سوف أنقله عنه .

ويبين أن كل من جذب وجبذ أصل قائم بنفسه لصلاحية كل منهما للتصرف التام تقول : جذب يجذب جذبا ، فهو جاذب.

وجبذ يجبذ جبذا ، فهو جابذ .

— ويقول أبو العباس«محمد بن يزيدالمبرد» (٢٨٥هـ) :

« ومن المقلوب قولهم : أينق فى جمع ناقة ، وكان أصل هذهأنوق ،والعلة فيه كالعلة فيما وصفنا[2] » .

يعنى ما ذكره من استثقال الضمة على الواو .

— ويأخذ العلامة «ابن جنى» ما جاء فى كتاب سيبويه وغيره من كتب المتقدمين ، فيعرضه فى عبارة واضحة بعد أن يضع دليلا واضحا يبنى عليه القول بالقلب وعدمه فى كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فيقول :

«اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير ، فأمكن أن يكونا جميعا أصلين

---

(١) الكتاب ٤ — ٣٨١ وسوف يوضح النص المنقول عن ابن جنى الغموض الذى يحيط بعبارة سيبويه .

(٢) المقتضب ١ — ٣٠ .

ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ؛ فهو القياس الذى لايجوز غيره ،وإن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه،ثم رأيت أيهما الأصل ، وأيهما الفرع ، وسنذكر وجوه ذلك .

فما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم : جذب وجبذ ، ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا ، نحو : جذب يجذب جذبا ، فهو جاذب ، والمفعول مجذوب . وجبذ يجبذ جبذا فهو جابذ ، والمفعول مجبوذ .

فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك ؛ لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال من الآخر ، فإذا وقفت الحال بينهما ، ولم يؤثر بالمزية أحدهما وجب أن يتوازيا وأن يمثلا بصفتيهما معا ، وكذلك كل ما هذه سبيله .

فإن قصر أحدهما عن تصرف صاحبه ، ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفا أصلا لصاحبه، وذلك قولهم : أنى الشيء يأنى ، وآن يئين ، فآن مقلوب عن أنى .

والدليل على ذلك وجودك مصدر أنى يأنى وهو الإنى ، ولا نجد لآن مصدرا كذا قال الأصمعى «عبد الملك ابن قريب ٢١٦ هـ ) . . . . . فلما علم من آن المصدر الذى هو أصل للفعل علم أنه مقلوب من أنى يأنى إنى[1] .

ويقول فى موضع آخر :

ومن ذلك — أى من المقلوب — قولهم اطمأن . ذهب سيبويه إلى أنه مقلوب ،وأن أصله من طأمن ،رخالفه «أبو عمرو» فرأى ضد ذلك . وحجة « سيبويه » فيه أن طأمن غير ذى زيادة ، واطمأن ذو زيادة والزيادة إذا لحقت الكلمة لحقها ضرب من الوهن لذلك . . . . وإذا كان فى الزيادة طرف من الإعلال للأصل كان أن يكون القلب مع الزيادة أولى ، وذلك أن الكلمة إذا لحقها ضرب من الضعف أسرع إليها ضعف آخر[2] .

٢ — كلمات جاءت فى مواطنها من معاجم العربية ، وأشار أصحاب هذه المعاجم إلى ما فيها من قلب ، ومن نماذج ذلك :

جاء فى تهذيب اللغة : «قال بعضهم : جعفه وجفعه : إذا صرعه وهذا مقلوب كما قالوا : جذب وجبذ . . .

وقد أهمل «الليث» جفع ، ولم يصح لى فيه شيء »[3].

---

(١) الخصائص ٢ — ٦٩ — ٧٠ .
(٢) الخصائص ٢ — ٧٤ — ٧٥ .
(٣) تهذيب اللغة ١ — ٣٨٥ .

وجاء فيه كذلك :

«وقال «شمر» جهجهت بالسبع ، وهجهجت بمعنى واحد »[1].

وجاء فيه :

« أبو عبيد عن «أبي عمرو» : أنبضت القوس ، وأنضبتها : إذا جذبت وترها ؛ لتصوت .

قلت وهذا من المقلوب »[2].

ونقل صاحب المزهر عن الصحاح :

«وفي الصحاح : اللجز مقلوب اللزج قاله ابن السكيت في كتاب القلب ، والحمشة مقلوب الحشمة ، وهي الغضب وكلام حوشي ووحشي ، والأوباش من الناس الأخلاط مثل الأوشاب وهو مقلوب »[3] .

٣ ــ الأبواب التي عقدها بعض العلماء لهذه الظاهرة وجمعوا فيها ما وقفوا عليه ، ومنها :

ــ الباب الذي عقده « ابن السكيت » في كتاب القلب والإبدال ، وهذا الباب لم أقف عليه ، وقد أشار إليه ، ونقل عنه «ابن جني» في الخصائص ، والمنصف[4]. وأشار إليه كذلك السيوطي في المزهر ، وذكر أن صاحب الصحاح ينقل عنه .[5]

ــ الباب الذي عقده أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ تقريبا) في كتاب الغريب المصنف ، وأشار إليه «السيوطي» في المزهر

وقال أبو عبيد في الغريب المصنف باب المقلوب فما ذكر فيه : أحجمت عن الأمر وأجحمت ، وامضحل الشيء ، واضمحل : إذا ذهب ، وشنفت إلى الشيء ، وشفنت : إذا نظرت إليه [6].

وقد حقق الغريب المصنف الأستاذ الفاضل الدكتور رمضان عبد التواب والأمل كبير في نشر هذا الكتاب .

ــ الباب الذي عقده أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ( ابن دريد ــ ٣٢١هـ) في كتاب الجمهرة بعنوان باب الحروف التي قلبت ، وزعم قوم من النحويين أنها لغات ، ومنه :

«وهذا القول خلاف على أهل اللغة والمعرفة يقال : جبذ وجذب ، وما أطيبه وأيطبه ، وربض ورضب ، وأنبض في القوس وأنضب »[7].

ــ الباب الذي عقده من المحدثين العالم «أحمد فارس الشدياق » في كتابه « الجاسوس على القاموس »وجمع فيه ما أمكنه الوقوف عليه من ألفاظ القلب ، ومنه :

أكر ــ ركا : أي حفر .

ناء ــ نأى ، واستناء ــ استنأى .

شآه ــ شاءه كما في الصحاح .

أيس يئس .

أمق العين ــ مأقها ، وفيه لغات .

---

(١) المصدر السابق ٥ ــ ٣٤٥ . (٢) نفس المصدر ١٢ ــ ٤٧ .

(٣) المزهر ١ ــ ٢٨٥ . (٤) الخصائص ٢ ــ ٨٨ ، والمنصف ٢ ــ ٩٥ .

(٥) المزهر ١ ــ ٢٨٢ . (٦) المزهر ١ ــ ٢٨٤ . (٧) الجمهرة ٣ ــ ٤٣١ .

جأف وجفأ : أصرع ، ومثله جعف وجفع.[1]

**(ج) القلب المكانى قياسى أو سماعى :**

اتفق كل من قال بالقلب المكانى على أن طريقه السماع لا القياس إلا ما قال به «الخليل بن أحمد» من جواز القلب فى اسم الفاعل من الفعل الثلاثى الأجوف المهموز اللام مثل : جاءٍ وشاءٍ وساءٍ ، فقد قال فيه باطراد القلب ، ووزن جاء ــ شاء ــ ساء عنده فالٍ بعد حذف العين التى قدمت عليها اللام .

وكثير من النحويين يقول فى هذه الأفعال بعدم القلب ، ووزن اسم الفاعل عندهم فى جاء ــ شاء ــ ساء ــ فاعٍ .

ووقف كل من سيبويه ، والمازنى والمبرد من الرأيين موقف المجيز المستحسن . وتعليق الثلاثة على الرأيين بعد عرضهما بصور متفاوته :

يقول سيبويه والمازنى : « وكلا القولين حسن جميل »[2] .

ويقول المبرد : وكلا القولين حسن[3] .

وفيما عدا ما قال الخليل باطراده ، لا نجد من قال بغير السماع .

يقول الأزهرى « أبو محمد منصور بن أحمد » (٣٧٠ هـ) :

« والمقلوبات فى كلام العرب كثيرة ، ونحن ننتهى إلى ماثبت لنا عندهم . ولا نحدث فى كلامهم ما لم ينطقوا به ، ولا نقيس على كلمة نادرة جاءت مقلوبة »[4] .

ويقول أبو الفتح عثمان بن جنى :

أما ما طريقه الإقدام من غير صنعة فنحو ما تقدمنا ه آنفا من قولهم :

ما أطيبه وأيطبه ، و «أشياء» فى قول الخليل ، و «قسى» ، وقوله :

* أخــو اليــوم اليمى *

فهذا ونحوه طريقه الاتساع فى اللغة من غير تأت ، ولا صنعة ، ومثله موقوف على السماع ، وليس لنا الإقدام عليه من طريق القياس[5] .

ولايفوتنى قبل أن أنتقل إلى دراسة الظاهرة من وجهة نظر حديثة أن أقف عند رأى الإمام « ابن درستويه » الذى أنكر ظاهرة القلب فى اللغة ، هذا الرأى الجرىء ، فى عصره المبكر ، فابن درستويه لايوافق على القلب ، وإنما يرى أن ماجاء منه لغات ، لقوم متباينين ، ومن الجائز أن يتم تعاورها بعد الذيوع والانتشار إن كتب للكلمة المقلوبة ذيوع ، ويؤلف كتابا فى إبطال القلب يشير إليه فى شرحه على فصيح ثعلب ومما جاء فيه :

« وأما البِطّيخ ففاكهة معروفة ، وهى بكسر الأول وتشديد الثانى على بناء فِعّيل ، وهى عربية محضة ، وفيها لغة أخرى وهى

---

(١) الجاسوس على القاموس ١٧٤ وما بعدها .
(٢) الكتاب ٤ ــ ٣٧٨ ــ المنصف ٢ ــ ٥٣ .
(٣) المقتضب ١ ــ ١١٦ .
(٤) تهذيب اللغة
(٥) الخصائص ٢ ــ ٨٨ .

الطبيخ بتقديم الطـــاء ، وليست عندنا على القلب كما يزعم اللغويون ، وقد بينا الحجة فى ذلك فى إبطال القلب .

وفى الحديث كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يأكل الطّبيخ بالرطب ، كأنه مشتق من الطبخ ، والبطيخ من معنى آخر ، وذلك أنه يقال لمكانه الذى يزرع فيه المبطخة وجمعها المباطخ مثل المقاثى ، والمقثاة»[1].

**( د ) الدراسة التحليلية لظاهرة القلب المكانى فى أفعال العربية :**

مادة الأفعال التى تعرضت لهذه الظاهرة واتخذتها ميدانا لدراستها هى الأفعال التى جمعتها من كتاب أفعال أبى عثمان سعيد ابن محمد المعافرى السرقسطى (حوالى ٤٠٠ هـ).

وبعضها جاء فى كتاب أفعال شيخه أبى بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية ( ٣٦٧ هـ) .

وقد تحريت الدقة التامة فى جمع هذه الصور ، ولم يفتنى منها إلا ماغاب عن الجهد .

وانتهيت إلى جمع اثنتين وأربعين صورة من الصور التى يمكن أن تخضع لدراسة هذه الظاهرة :

وقبل عرض هذه الصور ودراستها ، والخروج بنتيجة الدراسة والتحليل أحب أن أضع بين يدى القارئ خلاصة ما يأتى :

أولا : رأى العلماء القدامى والمحدثين فى ظاهرة القلب المكانى .

ثانيا : التصور العام لهذه الظاهرة عند من يقول بها .

وبالقلب المكانى ، قال كثير من علماء اللغة والنحو على مر العصور قال به الخليل ، وسيبويه ، والمازنى ، والمبرد ، والأزهرى ، وابن دريد ، وابن جنى . وفى الدراسة السابقة ما يشير إلى ذلك ، وضوعف عدد القائلين به على مر العصور حتى ظهرت الدراسات اللغوية الحديثة ، فأوجدت الضوابط التقريبية لذلك .

وقال به مع استغرابه من المحدثين الأستاذ المرحوم أحمد فارس الشدياق الذى جمع منه قدرا صالحا عرضه فى الصفحات ١٧٤ : ١٨١ من كتابه «الجاسوس على القاموس» إلا أنه عده غريبا حين قال :

«وفى الحقيقة فإن اللثغة والقلب والإبدال فى العربية غريب جدا لا يعرف فى غيرها من اللغات»[2] .

وكذلك قال بوجوده أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس (١٣٩٨ هـ) حين أشار إلى الترادف الذى يشهد به الواقع اللغوى ، وشرح العلاقة الصوتية بين المقلوب والمقلوب منه[3] .

---

(١) شرح فصيح ثعلب ١٣٤ — ب .
(٢) الجاسوس على القاموس ١٣٦ الجوائب ١٢٩٩ هـ .
(٣) اللهجات العربية : ١٨٤ — ١٩٢ الطبعة الرابعة .

وإلى جانب هؤلاء العلماء الذين قالوا بالقلب ووجوده فى لغتنا العربية نجد من قال بأنه لغات ، كابن فارس ، ونجد من أبطله كابن درستويه ، وإلى هذا سبقت الإشارة فى البحث . أما عن تصور القائلين بالقلب لهذه الظاهرة فقد قالوا :

— بضرورة اتفاق المعنى بين الأصل والفرع .

— عدم وجود مصدر لكل من الأصل والفرع .

— ترداد استعمال اللفظة المقلوبة اطمئنانا لعدم سبق اللسان .

وقد أكدوا على ضرورة كون المقلوب لا مصدر له ؛ لأن وجود مصدر للمقلوب ومصدر للمقلوب منه يبطل القلب ، ويشير إلى ذلك ما يأتى من نقول :

« وأما جذبت وجبذت ونحوه فليس فيه قلب ، وكل واحد منهما على حدته ؛ لأن ذلك يطرد فى كل معنى ، ويتصرف الفعل فيه » (١) .

« فأما جذب وجبذ ، فأصلان ، لأن كل واحدمنهما متصرف وذو مصدر ، فإذا تصرفا هكذا لم يكن أحدهما بأن يكون أصلا لصاحبه أولى من أن يكون صاحبه أصلا له » (٢) .

« زمج قربته وسقاءه زمجا : إذا ملأهما لغة فى جزمهما .

قال ابن سيده ، وزعم يعقوب أنه مقلوب والمصدر يأبى ذلك » (٣) .

« ابن سيده أما يئس وأيس فالأخيرة مقلوبة ؛ لأنه لا مصدر لأيس » (٤) .

ومع هذا فإن ما أتوا به لم يسلم لهم جميعه ، فقد قالوا بالقلب فى أفعال لها مصادر ، ومن ذلك :

« المحكم : الجذب : المد ، جذب الشىء يجذبه جذبا ، وجبذه على القلب » (٥) .

وقد تبين لنا أن لكل من جذب وجبذ مصدرا قائما بنفسه .

« جخف الرجل يجخف بالكسر جخفا وجخافا وجخيفا : تكبر . . . . ورجل جخاف مثل جفاخ «صاحب فخر وتكبر ، وغلام جخاف كذلك عن يعقوب حكاه فى القلب » (٦) .

والجخف مصدر كما جاء فى نص عبارة اللسان .

---

(١) سيبويه ٤ — ٣٨١ .
(٢) الخصائص ٢ — ٤٣٩ .
(٣) اللسان — زمج .
(٤) اللسان — يئس .
(٥) المحكم ٧ / ٥٦ .
(٦) اللسان — جخف .

صور الظاهرة كما جاءت فى كتاب أفعال السرقسطى الذى هذب وبسط فيه كتاب ابن القوطية :

| م | مادة القلب | الجزء والصفحة |
|---|---|---|
| | **الهمزة** | |
| ١ | أيس من الشىء مثل يئس . | ١ / ١١٤ |
| | **الباء** | |
| ٢ | وبسبس بوله بسبسة ، وسبسبه سبسبة : إذا أرسله . | ٤ /١٣٢ |
| ٣ | الفراء ، يقال : بخبخوا عنكم من الظهيرة ، وخبخبوا : أى أبردوا . | ١ / ٥٠٩ |
| | **الثاء** | |
| ٤ | وثِنت لثته ثَتْناً وشتَناً : تغيرت ريحها .<br>ويقال أيضاً ثَنِتَ بتقديم النون بمعناه . | ٣ / ٦٢٩ |
| ٥ | وقال الآخر : (رؤبة الديوان ١٥٠ ) :<br>* يكاد شفاف الرياح يثرمه *<br>ويروى يرثمه ، يقال هو الأرثم والأثرم ، وقوله شفاف أى أدنى هبوب .<br>يرثمه : يكسره . | ٣ / ٦٢٦ |
| ٦ | وثفوت الشىء ثفوا : كنت معه فى إثره ، كأنه مقلوب عن أثفت الشىء : تبعته . | ٣ / ٦٢٠ |
| | **الجيم** | |
| ٧ | قال أبو عثمان : وجحا بالمكان يجحو مثل حجا كأنه مقلوب : إذا لزمه . | ٢ / ٣١١ |
| ٨ | وجذبت الشىء جذباً ، وجبذته جبذاً : مددته إلى نفسى . . . وجذبت... نفس الإنسان وطباعه وعادته إلى كذا : مثله ، وجذبت الدابة وجبذته : فطمته عن الرضاع . | ٢ / ٢٩٠ |

| م | مادة القلب | الجزء والصفحة |
|---|---|---|
| ٩ | قال أبو عثمان : قال الأصمعى : جفخ وجخف : تكبر ، وبه جفاخ وجخاف أى كبر ... ... ... ... ... ... ... ... | ٢ / ٢٩٦ |
| ١٠ | وجلفت الطين عن الأرض : قشرته ، وجلفت اللحم عن العظم : كشطته وجلفت الشحم عن الجلد : مثله ... ... ... ... ... ... ... ويقال فى جميع ذلك : جنل جفلا . | ٢ / ٢٨٩ |
| ١١ | ويقال : جهجهت بالأسد وهجهجت به مقلوب : إذا صحت ... ... | ٢ / ٣١٦ |
| | **الحاء** | |
| ١٢ | وقال الأصمعى : حججح عن الأمر وجحجح : إذا كف ... ... وقال العجاج ، ( الديوان ٣٨٩ ) : « حتى رأى رائيهم فحجحجا » | ١ / ٤٢٧ |
| | **الخاء** | |
| ١٣ | الفراء : خجخجت ، وجخجخت : إذا لم تبد ما فى نفسك ... ... | ١ / ٥٠٩ |
| | **الذال** | |
| ١٤ | ويقال : اذمقر اللبن مقلوب عن امذقر : إذا انقطع من الحموضة ، فتصير خثارته كالخيوط فى مائه ... ... ... ... ... ... ... | ٣ / ٦١١ |
| | **الراء** | |
| ١٥ | رأيت الشىء رؤية ، ورأيا ، ومرآة ، ... ... ... ... ... ... قال أبو عثمان : ويقال : راء مقلوب بمعنى رأى ، قال قيس ابن الخطيم ( الديوان ٤٧ ) : فليت سويدا راء من فر منهم ... ومن خرّ إذ يحدونهم بالكتائب | ٣ / ٤٩ |
| ١٦ | ويقال : اردعفت الإبل ، وادرعفت : إذا مضت على وجوهها ... | ٣ / ١١٣ |
| | **الزاى** | |
| ١٧ | تقول : زججت القربة مثل جزمتها : إذا ملأتها ... ... ... ... ... ... | ٣ / ٤٦٦ |

| م | مادة القلب | الجزء والصفحة |
|---|---|---|
| | **السين** | |
| ١٨ | سفنت اليد سأفا : تشقق ما حول الأظفار ... ... ... ... ... | ٣ / ٥٥٩ |
| | قال أبو عثمان : وزاد أبوزيد ، وسأفت أيضاً بفتح الهمزة وسفيت أيضاً مقلوب غير مهموز . | |
| ١٩ | وسبسب بوله ، وبسبسه : إذا أرسله ... ... ... ... ... ... ... | ٣ / ٥٧٣ |
| ٢٠ | وسمعت الإبل سمعاً ، وسمعت الإبل سعماً وسعوماً : سارت سيراً شديداً .... ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٣ / ٤٠ |
| | **الشين** | |
| ٢١ | وشآك الشيء أيضاً : أحزنك ... ... ... ... ... ... ... ... | ٢ / ٣٥٥ |
| | قال أبوعثمان : وشاءك أيضاً أحزنك ، وأنشد للحارث بن خالد المخزومى : | |
| | مر الحمول فما شأونك نقرة ولقد أراك تشاء بالأظعان | |
| | فجاء باللغتين . | |
| ٢٢ | وشننت الشيء شنفاً مثل شفنت : نظرت إليه ، وأنشد أبو عثمان للعجاج ( الديوان ٤٩١ ) : | |
| | * أزمان غراء تروق الشنفا * | |
| | تروق الشنفا : تعجب من نظر إليها . | |
| | قال أبو عثمان : وقال أبو زيد : شنف له ، وشنفن له : إذا نظر إليه نظر البغضة . | |
| | **الصاد** | |
| ٢٣ | وصقعت الصاقعة : أصابت مقلوب عن صعقت الصاعقة ... ... ... | ٣ / ٤١٥ |
| | **الضاد** | |
| ٢٤ | وضفع الرجل ضفعاً : سلح ، وفضع أيضاً مقلوب بمعناه ... ... ... | ٢ / ٢٣١ |
| ٢٥ | قال أبو عثمان : يقال اضمحل الباطل اضمحلالا : ذهب ... ... ... | ٢ / ٢٤٣ |
| | وقال يعقوب : اضمحل الشيء وامضحل مقلوب : ذهب . | |

| م | مادة القلب | الجزء والصفحة |
|---|---|---|
| | **الطاء** | |
| ٢٦ | طأمن الرجل ظهره ورأسه ، وطمأن مقلوب ... ... ... ... ... | ٢ / ٢٨٤ |
| ٢٧ | وطخم الرجل طخماً : تكبر ... ... ... ... ... ... ... ... ...<br>وطمخ طمخاً : مثله . | ٢ / ٢٦٩ |
| | **العين** | |
| ٢٨ | قال : وإذا عنت العظم المجبور قيل : أُتعب وأُعتب .<br>قال ذو الرمة ( الديوان ٦٢٩ ) :<br>إذا نال منها نظرة هيض قلبه بها كانهياض المتعب المتهيَّم | ٣ / ٣٥٨ |
| ٢٩ | وعثا عثوًّا ، وعثى عثيَّ : أفسد ، مقلوبين عن عاث ... ... ... ...<br>قال أبو عثمان : وهما أفصح من عاث . | ١ / ٣١٤ |
| ٣٠ | وعادك الشيء : صرفك مقلوب عن عداك ... ... ... ... ... | ١ / ٢٤٢ |
| ٣١ | قال أبو عثمان : وعق الماء فهو عقاق مقلوب من قعاع : إذا اشتدت مرارته ، قال الراجز الجعدى :<br>* يحرك عذب المـاء ما أعقه * | ١ / ٢٠٧ |
| ٣٢ | قال أبو عثمان ، قال ابن الأعرابى ( محمد بن زياد ٢٣١ هـ تقريباً ) :<br>يقال : عفقس الرجل خلقه عفقسة ، وعقفسه عقفسة : إذا أساءه بعدما كان حسن الخلق . | ١/٣١٧ |
| ٣٣ | وقال بعضهم : هذيل تقول : غذ مرتك الشيء وغذر متكه مقلوب :<br>أى بعتكه جزافاً من غير كيل ولا وزن ، قال (أبو جندب) الهذلى ( الديوان ٨٣ ) :<br>فلهف ابنة المجنون ألا أصيبه فأوفيه بالصاع كيلا غذارما | ٢ / ٤٥ |
| | **القاف** | |
| ٣٤ | قال أبو عثمان : وقال أبو بكر : قحا بطنه قحوا : فسد مثل قاخ . | ٢ / ١٢٨ |
| ٣٥ | قال : وقال أبو عبيد قلقلت الشيء ولقلقته مقلوب : إذا حركته ، وتقاقل هو وتاقلق : إذا اضطرب ... ... ... ... ... ... ...<br>ويقال للفرس الجواد السريع يتقلقل ويتلقلق . لغتان . | ٢ / ١٣٤ |

| م | مادة القلب | الجزء والصفحة |
|---|---|---|
| ٣٦ | وشقع الرجل فى الإناء يشقع شقعا : إذا شرب مثل كرع ، ومثله قبع وقمع ومقع . | ٢ /٣٧٨ |
| | **الكاف** | |
| ٣٧ | ويقال كمخه باللجام ، وكخمه مقلوب : إذا ضربه به .<br>وأكمخ بأنفه إذا تكبر ، وأكخم الرجل أيضاً مقلوب : إذا رفع رأسه تكبراً وعظمة .<br>ومنه الكيخم مقلوب كيمخ ، وهو الملك العريض والسلطان العظيم . | ٢ / ١٥٣ |
| | **الميم** | |
| ٣٨ | ومحثت الشيء أمحثه محثاً : دلكته دلكاً شديداً .<br>ويقال أيضاً حثمته أحثمه حثماً بمعناه . | ٤ / ١٨٩ |
| ٣٩ | قال أبو عثمان : يقال امذقر اللبن إذا تقطع من الحموضة حتى ينفصل ، فتصير خثارته كالخيوط فى مائه .<br>ويقال أيضاً اذمقر مقلوب ، وقد يكون ذلك أيضاً فى الدم . | ٤ / ٢١٨ |
| | **النون** | |
| ٤٠ | نأى الشيء نأيا : بعد . . . .<br>قال أبو عثمان : ويقال : ناء بمعنى نأى مقلوب : إذا بعد ،<br>قال طفيل الغنوى ( الديوان ١٨ برواية بانت ) :<br>وكنت إذا ناءت به غربة النـــوى شديد القوى لم تدر ماقول مشغب | ٣ / ٢٣٥ |
| ٤١ | ونخج الرجل المرأة : جامعها .<br>قال أبو عثمان : ونخجها ، ونحجها أيضاً مثله . . . .<br>قال : ونجخ السقاء : وضعه على ركبتيه يمخضه .<br>ويقال أيضاً نخج فى السقاء . | ٣ / ٢١٥ |
| ٤٢ | ونزغ الشيطان بينهم نزغاً : أفسد .<br>قال أبو عثمان : ونزغت أنا بينهم أيضاً .<br>قال أبو الحسن بن كيسان ( محمد بن أحمد بن إبراهيم ٣٢٠ هـ تقريباً ) النزع : الكلام الذى يغرى بين الناس .<br>قال ويقال : نغز بمعنى نزغ ، يقال : أخرجوا النغاز من بينكم والنزاغ أيضاً . | ٣ / ٢٠٢ |

إذا رجعنا إلى الصور السابقة ، والتى سبع فيها القلب المكانى وعددها اثنتان وأربعون[1] وجدنا أن «أبا عثمان» قد ذكر مصدرا لكل من اللفظتين فى سبع منها وهى الصور المميزة بالأرقام : ٢ — ٨ — ١٩ — ٢٠ — ٢٧ — ٣٢ — ٣٨ ووجدنا أن لسان العرب — وقد كثرته فى الدراسة ؛ لأن اللسان كما يقول مؤلفه فى مقدمته يقوم على تهذيب الأزهرى ، ومحكم ابن سيده ، وصحاح الجوهرى ، وأمالى العلامة محمد ابن برى ، وكتاب النهاية لابن الأثير وهى من أمهات الكتب — قد ذكر مصدر الكل من اللفظتين فى ثلاث عشرة صورة وهى المميزة بالأرقام ٥ — ٩ — ١٠ — ١١ — ١٢ — ١٧ — ٢٢ — ٢٤ — ٢٦ — ٢٩ — ٣٣ — ٣٤ — ٣٦ .

أى أن عشرين صورة من صور ماقيل فيها بالقلب تخرج من إطار الظاهرة ؛ لأن كلا من اللفظتين أصل قائم بنفسه ، وليس أحدهما بأولى من الآخر بالأصالة.

ووجدنا أن سبع صور منها من العلماء من قال إنها لغات ، ومنهم من قال بالقلب والصور هى :

١ — (أيس — يئس) جاء فى اللسان — أيس :

« الجوهرى : أيست منه آيس يأسا لغة فى يئست منه أيأس يأسا ومصدرهما واحد .

ابن سيده : أيست من الشىء مقلوب عن يئست ، وليس بلغة فيه » .

٢١ — ( شأى / شاء ) جاء فى اللسان شأى :

«وشآنى الشىء شأرا : أعجبنى ، وقيل : حزننى .

الأصمعى شآنى الأمر مثل شعانى ، وشاءنى مثل شاءنى : إذا حزنك ، وقد جاء «الحارث بن خالد المخزومى» فى بيته :

مر الحمول فما شأونك نقرة
ولقد أراك تشاء بالأظعان

باللغتين جميعا .

٢٣ — ( صعق — صتع ) جاء فى اللسان / صقع :

« ويقال صقعته الصاعقة ، قال الفراء : تميم تقول : صاقعة فى صاعقة . . .

« وصقع الرجل كصعق ، والصاقعة كالصاعقة حكاه يعقوب » .

وجاء فيه صعق كذلك :

صعق صعقا وصعقا : أصابته الصاعقة ، وفيها ثلاث لغات صاعقة ، وصعقة ، وصاقعة » .

٢٥ — ( اضمحل — امضحل ) ، جاء فى اللسان / اضمحل :

« اضمحل الشىء واضمحن على البدل عن يعقوب ، وامضحل على القلب » . .

والدليل على القلب أن المصدر إنما هو على اضمحل دون امضحل وهو الاضمحلال ، ولايقولون امضحلال »

---

(١) فى صورتين من هذه الصور تكرار ، وهذا يدل على أن أبا عثمان جعل كلا منهما أصلا مستقلا .

وجاء فى اللسان / ضحل : « وفى لغة الكلابيين « امضحل» » بتقديم الميم حكاها أبوزيد » .

٣٥ — ( قاقل — لقلق ) جاء فى اللسان — قاقل :

« قلقل الشىء قلقلة وقلقالا أى حركه ، والقلقاة شدة اضطراب الشىء وتحركه ، وهو يقاقل ويلقلق .

أبو عبيد قلقلت الشىء ولقلقته بمعنى واحد ، وقيل إنهما لغتان » .

٣٧ — ( كمخ — كخم ) ذكر صاحب اللسان مصدرا لكل من أكخم وأكمخ وذكر مصدراً للفعل كخم الثلاثى ، فقال :

« والكخم : المنع والدفع ، تقول : كخمته كخما إذا دفعته » .

وعلى هذا ينحصر القلب بين كخم و كمخ ، والمصدر لكخم دون كمخ .وجاء فيه مايشير إلى أن الإكخام ، لغة فى الإكماخ ، ونص عبارتة الإكخام لغة فى الإكماخ .

أى أن عندنا ست صور تضاف إلى ماذكر له مصدران على القول بأنها لغات واذا رجعنا إلى الصورة ٣١ نجد فيها خلافا كذلك بين من يقول بالقلب ومن يقول بأن كلا من الصورتين أصل والصورة :

( عق — قع ) جاء فى اللسان — عق :

وأعقت الأرض الماء : أمرته ، قال الجعدى :

* تحرك بحر الجود ما أعقه *

وأما «ابن الأعرابى» . فقال : أراد ماأقعه من الماء القع . وهو المر أو الملح فقلب .

وأراه لم يعرف ماء عتا ؛ لأنه لو عرفه لحمل الفعل عليه ، ولم يحتج إلى القلب» .

يتبقى لنا من الصور التى أمكن جمعها خمس عشرة صورة ، منها ست صور أفعالها غير ثلاثية وهى :

٣ — « خبخب — بخبخ » لم تورد كتب اللغة التى وقفت عليها مصدرا لأى من الفعلين .

١٣ — « خجخج — جخجخ » ذكر اللسان مصدرا للفعل خجخج .

١٤ — « اذمقر — امذقر » ذكر مصدرا للفعل امذقر .

١٦ — « ادرعف — اردعف » لم تورد كتب اللغة التى وقفت عليها مصدرًا لأى من الفعلين.

٢٨ — « أتعب أعتب » لم تورد كتب اللغة التى وقفت عليها مصدراً لأى من الفعلين.

٣٩ — « مكرر ١٤ » ذكر اللسان مصدرا للفعل امذقر كما تقدم .

وهذه الصور تمثل أفعالا غير ثلاثية ، وإذا قسناها بمقياس كون مصادر الأفعال الزائدة على ثلاثة غير سماعى ، تركت هذه النظرة ظلا من التحفظ أمام هذه الصور .

وعلى هذا يكون مابقى فى أيدينا من الصور التى خلصت لظاهرة القلب تسع صور هى : ٤ — ٦ — ٧ — ١٥ — ١٨ — ٣٠ — ٤٠ ٤١ — ٤٢ .

# نتائج الدراسة

بعد هذه الدراسة المتواضعة أستطيع أن أسجل النتائج التى وصلت بنا إليها الدراسة على الوجه الآتى :

— إذا سلمنا بأن ظاهرة القلب المكانى فى الكلمة ظاهرة يسلم بها الواقع اللغوى ، وأبعدنا احتمالات خطأ عيوب السمع واللسان والتصحيف فإن وجود تسعة أفعال أو أكثر تمثل ظاهرة القلب يصدق فى كتاب الأفعال للسرقسطى الذى يضم مايقرب من خمسة آلاف فعل يعتبر قطرة من بحر .

— هذه الألفاظ التى قيل فيها بالقلب يلتقى فيها الأصل والفرع فى معنى واحد من المعانى الكثيرة التى يعبر عنها الأصل فى استعمالاته اللغوية المختلفة ، ومن ذلك :

« وصقعت الصاقعة أصابت ، مقلوب من صعقت الصاعقة » .

وقد يلتقى الأصل والفرع فى أكثر من معنى إلا أنها محدودة على كل حال ، ومن ذلك :

وجلفت الطين عن الأرض قشرته ، وجلفت اللحم عن العظم كشطته ، وجلفت اللحم عن الجلد مثله ، ويقال فى جميع ذلك جفل جفلا .

— العقل يميل إلى ماقال به « ابن درستويه » من وجود فروق دقيقة بين الأصل والفرع ؛ لأننا إذا رجعنا إلى المادة الواحدة فى كتب اللغة وجدنا أن منها مايشغل الصفحات باستعمالاته المتفاوتة ، وإذا تفاوت معنى اللفظ الواحد من تركيب إلى تركيب ، فإن التفاوت بين الأصل والمقلوب منه من باب أولى .

— المنطق يستبعد على البيئة الواحدة فى زمن واحد استخدام الأصل والفرع للمعنى الواحد وإنما يرجح أن يكون استعمال الأصل فى بيئة والفرع فى بيئة أخرى . أو لبيئة واحدة فى زمنين مختلفين نتيجة تطور لغوى ، ويرجح ذلك ماجاء فى أمالى القالى :

«أتقول مثل حلك الغراب أو حنكه؟ فقال : لا أقول مثل حلكه[1]. والقلب صنو الإبدال ».

ولايتأتى استعمال البيئة الواحدة للأصل والفرع فى وقت واحد إلا إذا قلنا : إن أحد اللفظين لهما والآخر مستعار من لغة أخرى .

— يقول البعض إن أكثره يقع فى المهموز والمعتل ، والواقع الذى تشير إليه الدراسة تجعله قسمة عادلة بين الصحيح والمعتل والمهموز .

---

(١) أمالى القالى ٢ / ٤٤ .

ـ يجب حمل الكلمة على أصلها الأول، ولا يقال بالقلب إذا أمكن القول بأصالة اللفظتين، ولا نقول كذلك بالقلب إلا إذا ثبت ورود الأصل والفرع فى رواية صحيحة، فيكون التسليم به ضرورة من الضرورات[1].

وبعد فهذه دراسة متواضعة لدراسة القلب المكانى إن كنت قد حققت فيها بعض الصواب فمن الله التوفيق والسداد ، وإن كانت الأخرى فالله وحده الكمال والجلال .

**حسين محمد شرف**

(١) الخصائص ٢ / ٨٢ – ٨٨ .

في معاني الأفعال :

# المزيد بالهمز كالمجرد في الأفعال الثلاثية المتعدية

للأستاذ محمد شوقي أمين

١ — المشهور من أحكام التصريف العامة أن هناك معنى لكل حرف من حروف الزيادة في بناء الأفعال ، وأنه إذا زيد حرف أو حرفان أو أكثر كان لكل زيادة من هذه الزيادات معناها الملحوظ ؛ وذلك تفرقة بين المجرد والمزيد .

ذلك ما يسوقه علماء العربية في عامة ما يقولونه وما يعتمدونه أساسا راسخا في دلالة المباني على المعاني ، ولكنهم يجدون في مسموع اللغة من الأفعال المزيدة ما هو في معنى الأفعال المجردة ، دون تفريق .

وإزاء هذا الذي يجدونه لا يملكون إلا أن يشيروا إليه ، فتراهم يقولون إن هذه الصيغة المجردة أو المزيدة بحرف أو أكثر تجيء بمعنى صيغة أخرى من صيغ المزيدات ، ثم يجتزئون بذكر مثال أو أمثلة معدودات ، وربما نصوا على أن ذلك قليل أو نادر .

٢ — والذين يتتبعون أقوال النحاة والصرفيين في أبنية الأفعال المزيدة يختلف حروف الزيادة يستطيعون أن يستخلصوا ظاهرة صرفية واضحة ، هي أن أكثر هذه الأبنية المزيدة قد تأتي كالمجرد بلا مغايرة له في معناه ، فما من مؤلف في تصريف الأفعال — قديم أو محدث — إلا نبه إلى ذلك صريحا في غير مواربة ولا لبس ؛ ومن أبرز ذلك في تآليفه «النارابي» في «ديوان الأدب» فهو إذ يرشد في بيان معاني الأبنية إلى تلاقي المجرد والمزيد على معنى مشترك فيأتي المجرد بمعنى المزيد سواء .

وهاك من ذلك القبيل نماذج مقتبسة من جملة من التصانيف الأصول ، تتناثر في تضاعيف الصحائف والأبواب ، نقدمها فيما يلي على سبيل التمثيل لا الحصر .

أولا — بناء «فعّل» المجرد تشاركه في معناه الصيغ الآتية :

(ا) أفعل ، مثل : بهجت فلانا وأبهجته .

(ب) فعّل المضعّف ، مثل : ماز الأمر وميّزه

(ج) فاعل ، مثل جاز البلد وجاوزه .

(د) افتعل ، مثل قنى الشيء واقتناه .

(هـ) انفعل ، مثل : عدل عنه وانعدل .

(و) استفعل مثل : يئس منه واستيئس .

ثانيا — بناء «أفعل» يشركه فى معناه بناءان هما :

(ا) فعّل المضعّف ، مثل : أسمى الشيء وسماه .

(ب) فاعل ، مثل : عافاه الله وأعفاه .

ثالثا بناء «تفعل» يأتى بمعناه البناءان الآتيان :

(ا) تفاعل ، مثل : تجوز فى الأمر وتجاوز .

(ب) استفعل ، مثل : تكبّر فلان واستكبر .

رابعا — بناء «فعّل» المضعف ، له بمعناه بناءان كذلك : —

(ا) فاعل ، مثل ضعّف الشيء وضاعفه .

(ب) تفعّل المضعف ، مثل : ولّى فلان وتولّى .

فإذا رجعنا إلى كتب فقه اللغة وما هو منها بسبيل ، ألفينا ثمة أبوابا تعقد لبيان ما يتحد فيه المعنى مع اختلاف البناء ، وفى هذه الأبواب تسرد الأمثلة من فصيح العربية بقدر يغزر أو يندر فى هذا الكتاب أو ذاك .

٣ - وهنا يتبادر إلى الخاطر هذا السؤال :

فيم الزيادة إذن إن لم تكن لمزيد معنى ، أفادته زيادة المبنى ؟

ولم يغب هذا السؤال عن بال النحوى الألمعى «الرضى» فقال فى التعقيب على ماأوردته «شافية ابن الحاجب» من مجئ أفعله بمعنى فعله ، نحو : قلته البيع وأقلته : « وكل زيادة لمعنى وإن لم يكن إلا التأكيد » والحق أن اصطياد «الرضى» فائدة «التأكيد» لتسويغ الزيادة ، إنما هو محاولة مقترضة لجعل قاعدة أن الزيادة لابد أن تكون لمعنى قاعدة مطردة لاتتخلف .

ويقف فى وجه هذه المحاولة أن اللغة حين تذكر الأفعال المزيدة بمعنى الأفعال المجردة ، لاتضيف فى الأكثر منها جديداً يفرق بين المجرد والمزيد ، وإن يكن الفارق هو محض التوكيد.

وقد اختلف علماء التصريف فى تسمية الهمزة الزائدة فى أفعله بمعنى فعله وتعليلها. وإن لم يختلفوا فى ورودها . وقد ذكر « المالقى » فى كتابه « رصف المبانى » ص ٥٠ أن هذه الهمزة تسمى همزة النقل . وقال : «إنها لاتفيد شيئا سوى النقل ، سواء كان الفعل متعديا أو غير متعد . وليس لها معنى إلا مجرد النقل خاصة »

٤ — على أن اللغويين الذين يعنون بتسجيل ماتناقله الرواة من تنسيب الكلم العربى إلى اللهجات العربية المتعددة ، يرجعون أنساب بعض هذه الأفعال المزيدة إلى قبيلة أو قبائل مسماة أو غير مسماه . ويقولون إنها تناظر صيغها المجردة بمعناها فى لهجة أو لهجات أخرى لقبيلة أو قبائل غير تلك .

وفى هذا التنطير القائم على التنسيب، اللهجوى[1] مايضعف من جدّية المحاولة التى عبر عنها «الرضى» بأنها التوكيد نيجيز بها دخول الحرف الزائد على الفعل المجرد بمعناه ، مادام اللغويون يطبقون على أن الزيادة لغير مزيد معنى مأنوسة فى غير لهجة من لهجات العرب .

ومع ذلك فان هذا التنسيب اللغوى الذى رصده بعض اللغويين بالنص على فروق اللهجات غير مطرد فى قبيلة بعينها: أو موقوف على لهجة برأسها. فربما نسبوا إلى إحدى القبائل مزيداً بمعنى المجرد فى قبيلة أخرى . ونسبوا إلى جانب هذا مجرداً فى القبيلة الأولى بمعنى المزيد فى القبيلة الأخرى .

٥ ــ وفى هذا المقام نريد أن نخص بالبحث بنية « فعل وأفعل » ، وأول ما ننوه به أن هاتين البنيتين لقيت كلتاهما فضل عناية من النحاة وأصحاب اللغة ، إذ لاحظوا كثرة ورودهما بمعنى واحد؛ فنبهوا إلى ذلك بمثل قولهم : « ويجىء أفعلته بمعنى فعلته». وفى مؤلفات فقهاء اللغة ، أبواب أوفصول معينة ينص فيها على مجئ البنيتين باتفاق المعنى وأذكر من هذه المؤلفات «أدب الكاتب» لابن قتيبة ؛ و«سر العربية» للثعالبى و«المخصص» لابن سيده ؛ و«المزهر» للسيوطى. و«الأفعال» للسرقسطى. وهو أغزرها مادة وأرضحها تفصيلا.

وإن صيغة أفعل بمعنى فعل، من أظهر مايظهر فيه تنازع رواة اللغة وأثباتها حول تعاقب المجرد والمزيد ، تارة يقولون هذه اللفظة المزيدة موافقة لأختها المجردة ، كما فى ملكت العجين وأملكته وطورا يقولون هذه لغة دون نسبة كما فى أردفه بمعنى ردفه. وحينا يعزون اللغة إلى ذويها كما فى أرجفته فى لغة هذيل بمعنى رجفته وأعصفت الريح فى لغة بنى أسد بمعنى عصفت : ويذكرون أن بنى عامر يقولون : ذهبه فهو ذهيب ونيته فهو منيوت وبرزه فهو مبروز ، وبينهم من يذكر تفرقه خفيفة بين أفعل وفعل ، فى أقبسه وقبسه ، فيقول : أقبست الرجل علما وقبسته نارا ، ويتصدى له الكسائى » فيقول: أقبسته ناراً وعلما سواء، ويجوز طرح الألف منهما . وربما أنكر بعضهم مجئ أفعل بمعنى فعل فى بعض ألفاظ ، كما فى إنكار « الأصمعى » لأبرق وأرعد بمعنى برق ورعد ، فردوا عليه محتجين بشعر «الكميت» .وفى اللغويين من لاحظ أن العرب تقول : أحزننى هذا الشئ ، فإذا صاروا إلى المستقبل قالوا: يحزننى بفتح الياء، ويحمل هذا على أنه كان فى الأصل أحزنه يحزنه ، وحزنه يحزنه بمعنى واحد ، كما قالوا : سلكه وأسلكه ، وسحته ، وأسحته بمعنى واحد ، فأخذوا من هذه الصدر ومن هذه الغابر وأماتوا الأخريين. وما استظهره ذلك اللغوى يؤيده إثبات «الجوهرى» لأحزنه

---

(١) نسبة الى علم اللهجات ، اى نسبة الى الجمع ، باعتبار أن (اللهجات) قد اكتسبت العلمية بأنها اسم لصنف من العلوم. فيقال : لهجوى ، كما يقالى فى النسب إلى هندات وصعبات : هندوى وصعبوى .

وحدته بمعنى واحد ، وإن لم يقل إن أحد الفعلين فى ماضيه أومضارعه مسلوب الحياة.

وفى الدراسة التى نشرها الأستاذ الدكتور « أحمد علم الدين الجندى » فى الجزء الثانى والثلاثين من مجلة « مجمع اللغة العربية » لصيغتى « فعل وأفعل »— جملة من النصوص الوثقى حول جملة من الأفعال ، يؤخذ منها أن اللهجات العربية تتعاور الصيغتين ، بيد أن لهجة « تميم » يغلب استعمالها لصيغة «أفعله» بمعنى « فعله » ، وأن غيرها من لهجات الحجاز ونجد وهذيل وقيس وعقيل وجرم يرد فى استعمالاتها ذلك أيضا ، على حين أن لهجة «تميم» تستعمل كذلك صيغة «فعله» بمعنى «أفعله» فتقول فى أهلكه هلكه ، وفى أجبره جبره على الأمر ، وفى أخلى على اللبن واللحم خلا ، يضاف إلى ذلك أن هناك أفعالا هى: سحت وفتن ولات وجنب وسرى وحزن، وردت (هى؛ وغيرها )[1] فى قراءات القرآن ، مداولة بين فعل وأفعل بمعنى واحد ، لا خلاف فى ذلك بين لغوى ومفسر .

٦ — ويجمل بنا أن نقف مع «ابن درستويه» وقفة قصيرة ، فقد جاهر بمخاصمته لاتفاق أفعل وفعل فى المعنى ، وأظهرنا على أنه ألف كتاباً فى افتراق معنى فعل وأفعل ، وله فى كتابه «شرح الفصيح» مقولة ينادى بها ويصر عليها ، وهى قائمة على أساس أنه لا يؤمن فى فلسفته اللغوية بالمشترك لفظا أو المشترك معنى ، فهو ينكر تعدد المعانى مع وحدة اللفظ ، كما ينكر اختلاف أبنية اللفظ مع وحدة المعنى: ومما أفاض فيه يتجلى أنه يتأول ما يرد من أفعل وفعل بأنه إما لتباين اللهجات ، وإما لعلة وفروق : وإما لتشبيه فِعْل بفِعْل ، وإما لحذف واختصار .

وإذا كان لهذا الوجه من النظر مُدرَك يمكن قبوله ، والاطمئنان إليه . فى تعليل بعض الأفعال المسموعة عن العرب ، فإن ذلك لايقدم ولايؤخر فى واقع اللغة المروى الحاصل فى اليد من الألفاظ التى يرد فيها أفعله بمعنى فعله سماعا عن العرب الخلص . وشتان ما بين النظر والعمل ، وما بين المنطق والواقع، وما ينبغى لنا أن نرسم للغة شريعة من قواعد وضوابط منبثقة من فكر وتدبر ، وتأصيل وتفصيل ، ثم نحكم بها على المأثور من فصيح الكلام . لنعدل به عن وجهه ، ونصرفه إلى غير مدلوله ، فإنما تخضع القواعد والضوابط للوارد المسموع ، فتجرى عليه . وتلتزم به ، كما نقله رواة اللغة وحفظتها ؛ بدلالالته التى تعبر عن حرية العربى الفصيح فى الوضع ، وتصرفه فى الصوغ ، بلاسلطان عليه ، ولا نكير .

ولو أننا عمدنا إلى اللغة فنفينا منها مالا يطابق القواعد والضوابط التى ننتزعها من أفكار مجردة ، وتصورات عقلية ، لأكرهنا اللغة إكراها على غير ماهى جارية عليه بالفطرة والدربة ، والمرونة والطلاقة .

---

(١) قرئ (يمده) فى سورة لقمان مجرداً ومزيداً ، كما فى «النسفى» .

أفيجوز لنا أن نؤلف معجمنا العربي على أساس رفض المشترك لفظا والمشترك معنى ، على نحو ما ينادى به «ابن درستويه» ؟ إذن لجاز لنا أن نحذف من مواد اللغة وتفريعات مدلولاتها ما يعيا به الإحصاء ، وإذن لأفقدنا متن اللغة مانفهم به النص العربي المأثور ، من منظوم ومنثور .

ومقطع الحق فى هذا ما عبر عنه «ابن فارس فى فقه اللغة كما فى « المزهر » ص٣٦٩ بقوله : «إن العرب تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، وتسمى لشيء الواحد بالأسماء المختلفة» وأزيد : أن الأفعال فى هذا كالأسماء .

٧ — ولقد أورد أعلام النحو والصرف مما جاء فيه فعلته وأفعلته باتفاق المعنى أمثلة لا تجاوز أصابع اليد ، للتمثيل ، وسرد له فقهاء اللغة فى مختلف كتبهم عشرات الأمثلة للتعريف . وكنت فيما سلف من الأقضية أعنى بجمع ما يقع لى من هذا القبيل فيما أطالع من المراجع اللغوية المعتمدة كالجمهرة والصحاح والتهذيب واللسان والتاج وغيرها من الأصول . ومن حصيلة ذلك كله توافر لى عدد جم من الأفعال يبلغ نحو ستين فوق المائتين : ثلاثة أرباعه أفعال ثلاثية مجردة متعدية بنفسها ، لها ما يناظرها فى معناها ، مما دخلت عليه الهمزة مزيدة دون معنى مزيد ، والربع الباقى أفعال ثلاثية مجردة أيضا تعدت بحرف الجر وإنها نظائر بمعناها مع الهمز . وعمدتى فى بيان المعنى المشترك ما نص عليه معجم أو تواردت فى النص عليه معجمات . مناد ذلك كله عند جمعة اللغة ومدونيها أن هذه الأفعال مزيدها كمجردها ، دون تفرقة فى معنى ، أو زيادة فى دلالة ، ودون توقف فى جواز استعمال المزيد كالمجرد ، سواء بسواء :

٨ — وغنى عن القول أن مأثور اللغة كله حجة للاستعمال إن صح ، ومدرجة للقياس إن كثر ، والمقصود بالصحة النقل عن العرب الذين تنوقل عنهم الكلام ، والمراد بالكثرة ما يطمأن به إلى سنة العربية فى البناء والصوغ ؛ وليس بقادح فى ذلك أن يكون المسموع عن العرب متعدد المصادر من مختلف اللهجات المروية عن قبائل اعتمد علماء اللغة عروبتها فى جمع مواد اللغة . وحسبنا فيما نحن بصدده من صيغة أفعله بمعنى فعلة أنها واردة فى لهجات شتى ، وأنها لا صقة لصوقا ظاهرا بلهجة «تميم» التى قال فيها «ابن حزم» فى «جمهرة أنساب العرب» : «إنها قاعدة من أكبر قواعد العرب» .

وطوعا لما أسلفنا : يسعنا القول بأن من سنن العربية استعمال أفعلت الشيء بمعنى فعلته ، وللقائل بانقياس ذلك الاحتجاج بهذا العدد الوافر الزاخر مما تحتويه خزائن اللغة ، ومنه تلك الحصيلة التى أوفت على المائتين عدداً ، ونحن موردوها من بعد مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مفصلة بحسب التعدى بالنفس أو بالحرف :

٩ — ورب سائل قائل :

ما الحاجة إلى هذا الذى تجهد فيه جهدا ، وتضنج له جدّا ؟

والجواب عن ذلك أن القول بقياسية أفعله بمعنى فعله ، فيه غناء من عدة نواح :

الأولى : تحقيق السنة العربية فى مجىء أفعله بمعنى فعله ، وإضافة ذلك إلى قواعد التصريف المقررة ، فما هو بالشاذ ، ولا بالنادر ، ولا بالقليل .

الثانية : تطويع هذه الصيغة الفعلية لحاجة الاستعمال ، برفع الحجر الذى تفرضه فيها المقررات التعليمية العامة وإجازة القياس عليها ، لاستخدامها حين يراد التخصص فى مصطلح ، أو التصرف فى تعبير ، إلى غير ذلك من وجوه التنويع أو التيسير .

الثالثة : أن الأفعال المزيدة بصورتها المهموزة متعدية إلى مفعولاتها ، أسرع فى إفادة التعدية من الأفعال المجردة متعدية بنفسها أو بحرف الجر ، وكذلك الشأن فى مصادر المجرد ومصادر المزيد .

الرابعة : أن الأفعال الثلاثية المجردة يصعب الحكم فيها على حركة عين الماضى والمضارع ، بخلاف المزيدة ، فإن الضبط فيها لا يحتاج إلى توقيف فى مُضِىّ أو استقبال ، إذ هو موحّد مقيس .

الخامسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة أغلبها لاقياس فيه ، على عكس المزيدة ، فمصادرها مما ينقاس . ومما لا يحتاج إلى سماع أولى وأيسر مما يحتاج إلى السماع .

السادسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة قد توافق الأسماء المأخوذة منها فى صيغتها ، فيشتبه التعبير ويلتبس ، ومثاله «العذر» فهو اسم بمعنى حجة الاعتذار ووجهه ، وبهذا المعنى اشتهر حتى اختص به: والعذر كذلك مصدر لمعنى الحدث وهو رفع اللوم . تقول : عذره عذرا أى قبل اعتذاره : فالعذر إذن هو قبول العذر . ولا يكاد هذا المعنى يسفر باستعمال لفظ العذر . كما يسفر إذا جئ بالبناء المزيد . فيقال : أعذره إعذاراً أى قبل عذره . وذلك مثبت فى مسموع اللغة .

السابعة : أن اسم المرة من مصدر الثلاثى المجرد لا يستبقى فى الغالب صورة المصدر ، بل يقصره على صورة موجزة ربما كان فيها تنكير لصورته الأصيلة . فاسم المرة من الفراغ فرغة ، ومن الإتيان أتية ، ولا كذلك المزيد ، فإن اسم المرة لا يتحيف صورة مصدره ، بل يستبقيه على أصله ، بزيادة تاء فى آخره . وفى الإبقاء على الأصل إيضاح ، وفى تغيير الصيغة إغماض ، والجنوح إلى الوضوح غرض منشود .

الثامنة : أن من الشائع فى اللغة المعاصرة قول الكتاب هذا عمل مشين أو مريع أو مريك ( بضم الميمات ) وذلك العمل يضيره ، بضم الياء ، وقد أضير الرجل بضم الهمزة ، وإشهار البيع ، وهذه الاستعمالات إنما تجاز على أن أفعالها المزيدة فى معنى أفعالها المجردة .

١٠ — والآن نسوق الأمثلة الفصاح من الأفعال الثلاثية المجردة التى وردت متعدية بنفسها أو بالحرف ، كما وردت مزيدة بالهمز ، مع اتفاق المعنى . وهى قسمان :

القسم الأول : المجرد والمزيد بالهمزة ، مما يتعدى بنفسه .

القسم الآخر : المجرد والمزيد بالهمزة ، مما يتعدى بالحرف :

## أولا — من المتعدى بنفسه

ألف المكان وآلفه
أمر ماله وآمره
أجر الغلام وآجره
أدبه وآدبه
أدمه وآدمه
أثمه وآثمه
أويته وآويته
بر الله حجه وأبره
بشرت الرجل وأبشرته
بدأ الخلق وأبدأه
بت البيع وأبته
بدع الشئ وأبدعه
بلق الباب فتحه وأبلقه
بهج فلانا وأبهجه
باع الشئ وأباعه
برزه وأبرزه
برم الحبل وأبرمه
بهره الأمر وأبهره
تبله الحب وأتبله
ثقفه وأثقفه
جنبه وأجنبه
جبره وأجبره
جفأه وأجفأه
جهده وأجهده
جمعوه وأجمعوه
جاحه وأجاحه
جلوته وأجليته

جننته وأجننته
جهرته وأجهرته
جملت الشحم وأجملته
حزنه وأحزنه
حقه وأحقه
حكيت العقدة شددتها وأحكيتها
حبه وأحبه
حرقه وأحرقه
حشمه وأحشمه
حرقه وأحرقه
حرمه وأحرمه
حكمته وأحكمته
حشته وأحوشته
حترت الحبل وأحترته
حدره وأحدره
حمده وأحمده
حتأ الثوب وأحتأه
جاذ الأمور وأجوذها
خمر الشيء وأخمره
خبا الخبا وأخباه
خسرته وأخسرته
خصه وأخصه
دلع لسانه وأدلعه
دمجه وأدمجه
ذروت الحب وأذريته
ذهبه وأذهبه

ردح البيت وأزدحه
رجعه وأرجعه
رملت الحصير وأرملته
روى الزرع وأرواه
رحض الثوب وأرحضه
ردفته وأردفته
رعى الماشية وأرعاها
رهن الشئ وأرهنه
رقن الشعر وأرقنه
رتج الباب وأرتجه
رسنته وأرسنته
ركسته وأركسته
رابه الشئ وأرابه
زجاه وأزحاه
زلت الشى وأزلته
زاق رأسه وأزلقه
زننت خبرا وأزننت
زفقها وأزفقها
زكمته وأزكمته
زعق القطر وأزعقه
سنفت الناقة وأسنفها
سعده الله وأسعده
سفقت الباب وأسفقته
سفقت النسيج وأسفقته
سحته الله وأسحته
سار الدابة وأسارها
سعرنى شرا وأسعرنى

| | | |
|---|---|---|
| سعر النار وأسعرها | عذر الرجل وأعذره | قمسته فى الماء وأقمسته |
| سلكه وأسلكه | عار عينه وأعارهاوأعورها | قمعته وأقمعته |
| سقاه وأسقاه | علمته وأعلمته | كفأت الإناء وأكفأته |
| سقته وأسقته | عرش الكرم وأعرشه | كننت الدرة وأكننتها |
| شجنه الأمر وأشجنه | عسرت الرجل وأعسرته | لحدت القبر وألحدته |
| شجاه الأمر وأشجاه | عفصت القارورة وأعفصتها | لحقته وألحقته |
| شرج العبية وأشرجها | عقبه وأعقبه | لحيت القوم وألحيتهم |
| شرع الشئ وأشرعه | عقم الله رحمها وأعقمه | لغز اليربوع أجحاره |
| شرته فى الأمر وأشركه | عل إبله وأعلها | وألغزها |
| شظ الوعاء وأشظه | عمر داره وأعمرها | لحته وألحته |
| شعل النار وأشعلها | علفه وأعلفه | لاته حقه وألاته |
| شغلته واشغلته | عننت اللجام وأعننته | لاق الدواة وألاقها |
| شكل الكتاب وأشكله | عاقه وأعاقه | محضه الود وأمحضه |
| شنق الناقة وأشنقها | عصد العصيدة وأعصدها | مد الدواة وأمدها |
| شنق الغربةوأشنقها | عضبه وأعضبه | مدر الحوض وأمدره |
| شار العسل وأشاره | عنكت الباب وأعنكته | مرأنى الطعام وأمرأنى |
| شاقه وأشاقه | عاضه وأعاضه | مرج البحرين وأمرجهما |
| صددته وأصددته | عذقت الكبش وأعذقته | مضه الحزن وأمضه |
| صر أذنه وأصرها | عفوت الشعر وأعفيته | مطرتنا السماء وأمطرتنا |
| صفحت الرجل رددته | غمد السيف وأغمده | ملح القدر وأملحها |
| وأصفحته | غمض عينه وأغمضها | ملك العجين وأملكه |
| صعقته وأصعقته | فتنه الأمر وأفتنه | مهر المرأة وأمهرها |
| صليته فى النار وأصليته | غواه وأغواه | مارأهله وأمارهم |
| صرت إلى رأسه وأصرته | فرزت الشئ وأفرزته | نجزت الحاجة وأنجزتها |
| ضره وأضره | فرشته فراشى وأفرشته | نجوت الجلدعن اللحم وأنجيته |
| طلح البعير هزله وأطلحه | قذ السهم وأقذه | نزفت البئر وأنزفتها |
| طلق يده بالخير وأطلقها | قبسته وأقبسته | نشر الشئ وأنشره |
| ظلفت أثرى وأظلفته | قدعته وأقدعته | نشل الشئ وأنشله |
| طل دم القتيل وأطله | قرى الضيف وأقراه | نصف الشئ وأنصفه |
| طمر الشئ وأطمره | قطبث الشراب وأقطبثه | نضر وجهه وأنضره |
| طاعه وأطاعه | قطرت الماء وأقطرته | نظر غريمه وأنظره |
| عددت وأعددت | قلته البيع وأقلته | نعشه الله وأنعشه |

نقد الدراهم وأنقدها
نقص الشئ وأنقصه
نقع الشئ وأنقعه
نكر القوم وأنكرهم
نهكهم عقوبة وأنهكهم
نويت النوى وأنويته
هجأه (سكّنه) وأهجأه
هدره وأهدره
هديت العروس وأهديتها
هلكت الشئ وأهلكته
هلت التراب وأهلته
هرقته الماء وأهرقته
هزل الناقة وأهزلها
وجرت الدواء وأوجرته
وخفت الخطمى وأوخفته
وعيت العلم وأوعيته
وقفه وأوقفه
وكأ القربة وأوكأها
وهنه الله وأوهنه
يقن الأمر وأيقنه

## ثانيا — من المتعدى بالحروف

برق لى وأبرق
بل من مرضه وأبل
ثويت عنده وأثويت
جزت عنه وأجزت
جدفى الأمر وأجد
جلبوا عليه وأجلبوا
جلا عن الموضع وأجلى
جهش فى البكاء وأجهش
جال فى ظهر دابته وأجال
حدت على زوجها وأحدت
حدق به وأحدق
حل من إحرامه وأحل
حاك فيه القول وأحاك
حال فى متن فرسه وأحال
خطل فى كلامه وأخطل
خفق بجناحيه وأخفق
خلد بالمكان وأخلد
خلد إلى الأرض وأخلد
خلف الله عليه وأخلف
خلا على اللبن واللحم وأخلى
دبر عنه وأدبر
ذعن له وأذعن
ربعت عليه الحمى وأربعت
رعد له وأرعد
رفل فى مشيه وأرفل
ركح إليه لحأ وأركح
رمى على الخمسين وأرمى
زحف فى المشى وأزحف
زرى عليه وأزرى
سقط فى يده وأسقط
سرى بعبده وأسرى
سمح له بحاجة وأسمح
سند فى الجبل وأسند
سؤت به ظنا وأسأت
صغوت إلى الرجل وأصغيت
طف لك الشى وأطف
طلع على القوم وأطلع
طاف به وأطاف
عصفت به وأعصفت
عاذ بالله وأعاذ
غبت عنه الحمى وأغبت
غمى عليه وأغمى
غربت بالشئ وأغربت
فسح له وأفسح
قبل على الرجل وأقبل
قرأ عليه السلام وأقرأه السلام
قمص عنه وأقمص
لحد فى الدين وألحد
لحق به وألحق
لغط به وألغط
لمع بيده وألمع
لهج به وألهج
لاذ به وألاذ
لوى برأسه وألوى
مطت عنه وأمطت
مسك بالشىء وأمسك
نصع بالحق وأنصع
هوى إليه وأهوى
نعم الله بك عينا وأنعم
وحى إليه وأوحى
وعز إليه وأوعز
وضع فى ماله وأوضع
وفى بالعهد وأوفى
وقعت بالقوم القتال وأوقعت
وكس فى ماله وأوكس
وما إليه وأومأ
يسر له فى الأمر وأيسر

**محمد شوقي امين**
عضو المجمع

# دراسات فى النظام الصوتى الصرفى

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

---

**مقدمة :**

تنبه نفر من علماء العربية القدامى فردوا كثيراً من المواد اللغوية إلى أصولها المعنوية المشتركة ، والتى اشتقت منها تلك المواد ، وكان من هؤلاء ابن فارس ( ت ٣٩٥هـ ) فى كتابه ( مقاييس اللغة[1] ) حيث يقول فى مقدمته : « وقد ألف الناس فى جوامع اللغة ما ألفوا ، ولم يعربوا فى شىء من ذلك عن قياس من تلك المقاييس ، ولا أصل من الأصول ، والذى أومأنا إليه باب من العلم جليل ، وله خطر عظيم ، وقد صدرنا كل فصل بأصله الذى يتفرع منه مسائله .. » .

على أن العربى كان يحسّ من دخيلة نفسه وقوة طبعه ، ولطف حسّه ، أن الاشتقاق قانون نفسى مطرد لا يتغير ، لا يحيدعنه ، ولا ينفر منه .

وورد فى كتاب الترقيص عن أبى حاتم « قال : سألت الأصمعى : لم سُمّيت مِنًى مِنى ؟ قال : لا أدرى ، فلقيت أبا عبيدة فسألته فقال : لم أكن مع آدم حين علمه الله الأسماء فأسأله عن اشتقاق الأسماء ، فأتيت أبا زيد فسألته فقال : سميت مِنىً لما يُمْنَى فيها من الدماء[2] » .

وبشفافية الحسّ العربى رفض أعرابى اشتقاق ( مُسْحَب ) اسم مفعول من ( سَحب ) الثلاثى المتعدى بدلا من ( مَسْحوب ) الذى هو الأصل والقياس ، وذلك حين ارتاب أبو عمر الجرمى فى فصاحة أعرابى ، فأراد امتحانه ، وألقى عليه بيتاً هو .

كم رأينا من ( مُسْحَب ) مُسْلحبٍّ  صـــاد لحمَ النُّسور والعِقبانِ

---

(١) تطلق المقاييس ، ويراد بها الاشتقاق الأكبر .

(٢) المزهر ١ / ٣٥٣ .

فأفكر الأعرابى فيه ، ثم قال : رُدَّ علىّ ذكر ( المسحوب ) حتى قالها مرات ، فعلمت أن فصاحته باقية .

لكن جاءت بعد ذلك ( مدرسة الاشتقاقيين ) حيث خرجت بالاشتقاق عن حدّه وطبعه ، وزادوا فيه تشويشاً وتهويماً ، فقالوا : إن ( الرَّحْل ) مشتق من الرحيل ، و ( الخروف ) منسوب إلى موعده فى الخريف ، و ( الغراب ) . من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر ، و ( الفرسَ ) من الافتراس ، و (الحمار ) من لونه الأحمر ، و ( الخيل ) مشتق من الخيلاء[1] . وغاب عنهم أن المعانى الحسية أسبق فى الوجود ، وأنها أصل الاشتقاق والمعنوى فرع للحسّى . ( فالجميل والجمال ) أصلهما من ( الجمل ) عند العرب ، وكانوا يرونه أجمل الحيوانات ، كما اعتبروا أى شبه بين الإنسان والحيوان فى الصبر والاحتمال هو ( جمال )أيضاً ، والله تعالى يقول : « فصبر جميل » .

و ( البطـلان ) التى منها الباطـل ضد الحق أصلها من كلمة ( الباطل ) بمعنى إبليس ، وقد ورد هذا المعنى الأصلى فى قول الله تعالى :« وما يُبْدِئُ الباطلُ وما يُعِيدُ[2] »

**( أ ) الأصل الاشتقاقى :**

يرى بعض العلماء أن الأصل هو الثنائى فرمى : أصلها الثنائى ( رَمْ ) حرك حرفه الثانى بفتحة مشبعة علامتها ألف ، فلامه ليست حرفاً ، بل إطالة أو إشباع الفتحة السابقة . والمثال ( وثب ) أصله الثنائى ( ثبِ ) زيدت فيه الواو تتويجاً . والأجوف ( قام ) أصله ( قَمْ ) أشبعت حركة حرفه الأول . أما المضاعف فهو مركب من حرفين مثل : لعْ لعْ ، مرْ مرْ ، فهو عبارة عن ثنائيين مكررين . ومن العلماء الذين يرون ثنائية الأصل ابن فارس والشدياق وجرجى زيدان والكرملى والدومنكى ، ولهم حجج كثيرة منها :

أن أصول الكلمات السامية كانت

---

(١) انظر فى ذلك قصة طريفة لأبى عمرو بن العلاء فى : المزهر ١ / ٣٥٣ (ط دار إحياء الكتب العربية )

(٢) سورة سبأ ، آية ٤٩ ، وفى الكشاف للزمخشرى (٣ – ٤٦٧) طبعة الاستقامة ١٩٥٣ م « الباطل إبليس لعنه الله والمعنى : ما ينشىء خلقا ولا يعيده وقال الزجاج : أى شىء ينشىء إبليس ويعيده ؟ فجعله للاستفهام » .

مؤلفة من حرفين اثنين ، ثم زيد فيما بعد على كل أصل منها حرف ثالث ، وقالوا : بأن الثنائيات صورة بعيدة مغرقة فى القدم ، ودليل ذلك التدرج الطبيعى ، والانتقال من هذه المرحلة إلى ما استقرت عليه الكلمات من ثلاثية الأصوات .

ويرى معسكر آخر أن أصل اللغة يرجع إلى الثلاثى ، وأنه لم يتطور عن غيره ، ولهم أدلتهم أيضاً ، على أنه يجب أن نشير إلى أن النظرية الثنائية مازالت فرضاً واحتمالا ، وأنها لم ترق إلى مجال القواعد الثابتة ، كما أنه اعترض على النظرية الثلاثية بأنها تنفى أصالة ماعدا الثلاثى ، وهم مع ذلك يلجئون فى إثبات نظريتهم إلى التأويل .

وعلى مذهب القائلين بأصالة الثنائى وتنميته لما فوقه إلى الثلاثى عن طريق تضعيف الحرف الثانى أو إضافة حرف علة إلى أول المادة الثنائية أو فى وسطها أو فى آخرها ، يرون أن اللغة وجدت فى أثناء تطورها فى المضعف ثقلا فراحت تبدل من أحد الضعفين حرفا من حروف العلة : انظرما يلى :

كعّ تطورت إلى كاع .

ضرّ يضرّ ضرّا تطورت ضار يضير ضيْرا

ذم تطورت إلى ذام .

طبّ ، غمّ تطورت إلى طاب ، غام .

مدّ تطورت إلى ماد .

صرّ ( الصوت ) تطورت إلى صار .

حفّ تطورت إلى حاف .

غبّ تطورت إلى غاب .

طمّ يطمّ طموما تطورت إلى طما يطموطموا

هَمّ تطورت إلى همى .

محى تطورت إلى محا .

حمّ ( الحديد ) تطورت إلى حمى

شجب تطورت إلى شجا ( أحزن ) .

هذا وقد يبدل أحد الضعفين نوناً مثل :

احرجّم تطورت إلى احرنجم .

اظّلم تطورت إلى انظلم [1] .

وأبدلت نوناً ، لأن النون حرف موسيقى محبب فى اللغة ، ولهذا يرى بعض الباحثين [2]

---

( ١ ) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ - . مصطفى جواد .
( ٢ ) المرجع السابق .

أن وزن ( افَّعَل ) هو الأصل ثم تطور إلى ( انفعل ) فهى صورة جديدة للمطاوعة وهى فرع عن ( افَّعل وافتعل ) .

فالتضعيف هو الوسيلة الأولى لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية إلى الثلاثية ، فالمضعف تولد منه على طريق الإبدال : الأجوف ثم الناقص وكأنه نوع من القطعة[1] ( الترخيم ) ثم المثال ثم السالم ، فالسالم جاء آخرا ؛ لأن زيادة حرف على المضعف أليق بحكمة الواضع فى التفنن فى نقصه ، إذ لو جعلت السالم أصلا لزم عنه العدول من الكمال إلى النقصان . والدليل على أصالة المضعف قراءة أبى حيوة ( وعزنى فى الخطاب ) (٢٣ سورة : ص) قال ابن جنى فى المحتسب ( ٢ / ٢٣٢ دار إحياء الكتب العربية تحقيق الأستاذ النجدى والدكتور عبد الفتاح شلبى ) أصله :عَزَّنى غير أنه خفف الكلمة بحذف الزاى الثانية أو الأولى كما حكاه ابن الأعرابى من قولهم ، ظَنْت ذاك : أى ظننت ، هذا ويمكن لظاهرة المخالفة أن تفسر الصلة بين المضعف وبين الأجوف والناقص[2]

الجبّ تطورت إلى الجوْب ( القطع

دسّس تطورت إلى دسّى ( وقد خاب من دساها ) .

تسرر تطورت إلى تسرّى .

( وليملل الذى عليه الحق ) تطور إلى ( فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ) .

فهذه صور للتطور ورسوم للارتقاء .

على أن حدود التطور لم تقتصر على الأفعال واشتقاقها بعضها من بعض ، بل نرى من ( الأفعال ) ما تطور إلى ( حرف) خالص انظر مثلا :

البدوىُّ عَلَى الجبَلَ - فهى فعل ومع كثرة الاستعمال والتداول أصبحنا نقول[3] : البدوىُّ على الجبلِ فهى نفسها حرف جر ، والعلاقة بين المثالين واضحة مدلولا واستعمالا

كما كان الأصل الاشتقاقى محل خلاف بين البصريين والكوفيين ، فيرى البصريون

---

( ١ ) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ للأستاذ حامد عبد القادر ، ونشر بمجلة المجمع ج ١١ .

( ٢ ) حروف تشبه الحركات . د. إبراهيم أنيس ، ونشرت بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١٦ .

( ٣ ) البحوث والمحاضرات دورة ٣٣ مجمع اللغة العربية : من دلائل القدم فى العربية د. عبد الستار الجوارى.

أن المصدر هو الأصل والفعل فرع عليه ، والكوفيون على العكس يرون أن الفعل هو الأصل والمصدر فرع عليه .

وحجة البصريين منها : أن الفعل يدل على الحدث والزمان ، فلو كان المصدر مشتقاً من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث ، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول ، فلما لم يكن المصدر كذلك علم أنه ليس مشتقا منه .

كما استدلوا على أن المصدر هو الأصل بتسميته مصدرًا ، والمصدر هو الموضع الذى يصدر عنه ، ... فلما سمى مصدرًا دل على أن الفعل قد صدر عنه ، وكذلك احتجوا بأن قالوا : بأن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للقيد ، فكذلك المصدر أصل للفعل .

كما احتج الكوفيون بأدلة منها : أن المصدر يصيح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، ألا ترى أنك تقول : قاوم قياماً ـ فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقول : قام قياماً ـ فيعتل لاعتلاله ، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه. كما تمسكوا بأن المصدر يذكر تأكيدا للفعل ، ولاشك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد ، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع[1] ... وهناك من الأدلة للفريقين غير هذا ، وأرجح رأى الكوفيين فى هذا النزاع مسترشدًا بما يلى :

١ ـ مايراه نفر من المستشرقين من أن أغلب الكلمات يرجع اشتقاقه إلى أصل ذى ثلاثة أحرف ( لبعضها أصل ذوحرفين ) وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره حرف أو أكثر ، فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة .

٢ ـ أن العقلية الفعلية قد ساد على اللغات السامية ؛ لأن لأغلب الكلمات فى هذه اللغات مظهرا فعلياً . ففى الساميات الفعل هو كل[2] شىء ، أما من ذهب

---

(١) الإنصاف لابن الأنبارى : مسألة ٢٨ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ ولفنسون .

إلى أن أصل المشتقات هو المصدر – فهو مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو : المصدر – فعلماؤنا متأثرون ومقلدون .

وليس النزاع الذى ذكرنا طرفاً منه وحده فحسب ، بل وقع خلاف فى دوائر البصرة نفسها حيث قال جمهورهم : إن المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه أصل للمشتقات بالواسطة ، إذ المشتقات متعلقات بالأفعال ، ومتى ثبتت فرعية المتعلق ، ثبتت فرعية المتعلق به ، وقال جماعة منهم السيرافى : المصدر أصل للفعل ، ولكنه ليس أصلا للمشتقات ، بل الفعل هو الأصل للمشتقات ، إذ لا يلزم من كون الفعل متفرعاً عن المصدر ، أن تكون متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر ، بل ينقل السيوطى عن طائفة من المتأخرين اللغويين بأن : كل الكلم مشتق ، كما نقل عن طائفة من أهل النظر أن : الكلم كله أصل !! وإذا كنا قد رجحنا رأى الكوفيين فلا زال الطريق شائكاً ، فأى الأفعال هى الأصل ؟ يذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن اسم الفاعل هو الأصل ، وبعضهم يذهب إلى أن صيغة الأمر هى أصل اشتقاق الأفعال . أما نحاة العرب فبعضهم يرى أن الفعل الماضى هو الأصل ، وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل ، وآخرون يرون أن فعل المستقبل ، إلى آخر هذه الآراء . كما يرى بعضهم أن بدايات الفعل فى العربية إنما هى تطور من استخدام بعض صور اسم الفعل[1] ، أو أن الفعل إنما تطور عن كلمات استخدمت وقصد بها الاسم والفعل معاً ، ثم أخذ مدلول الفعل فيها يتحدد ، ويستقل بإضافة فكرة الزمن ، ويرى نفر من العلماء أن ننظر إلى ( الجذر[2] ) وهذا يحل مشكلة الأصل الاشتقاقى ، فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها فى شىء معين ، والقدر المشترك بين الكلمات المترابطة . وأصح ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة ، فأنت إذا

---

(١) الفعل زمانه وأبنيته ١٢١ د. السامرائى .

(٢) مناهج البحث فى اللغة ١٨٢ د. تمام حسان .

نظرت إلى : ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب ، رأيت أنها تشترك فى ( ض ر ب ) وتتفرع منها ، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التى تتفرع منها الكلمات . فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول إلخ صور من صور التعبير الشكلى للمادة التى لا يصدق عليها وصف بالفعلية أو الاسمية .

وفى كتب العربية نجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعانى ، فلقد اشتقوا من أسماء العدد وهى أسماء معان جامدة ، ففى المخصص[1] : كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم . كما اشتقوا من أسماء الأزمة ففى اللسان[2] : وأخرف القوم – دخلوا فى الخريف . كما اشتقوا من أسماء الذوات : يديته : ضربت يده ، فهوميدى ، ويُدِىَ : شكا يده[3] ، ومن العجيب أن العرب قد اشتقت من الحرف ، ففى الخصائص[4] : سألتك حاجة فلوْليْتَ لى : أى قلت لى ( لولا ) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من ( لو + لا ) . ومعنى ذلك أن ( الأصل ) فى اللغة متعدد ، إذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف .

وفى المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة ، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها ، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها ، كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبرًا ، كما روى عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر . والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضاً فى الوجود ، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها ، فقد تعيش اللغة زمنا وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده – حسب حاجة اللغة واستعمالاتها فى حضارتها وبداوتها .

**ملحوظتان :**

١ – إذا ترددت الكلمة بين أصلين فى الاشتقاق فالتمس ما يرجح أحدهما ، وله وجوه :

( ا ) كون أحد الأصلين أشرف .

---

(١) ١٧ / ١٢٩ .
(٢) ١٠ / ٤٠٩ .
(٣) اللسان ٢٠ / ٣٠٣ .
(٤) ص ١ / ٤٣٦ .

(ب) كونه أخص فيرجع على الأعم .

(جـ) كونه أسهل وأحسن تصرفاً .

(د) كونه أليق .

٢ ـ قد يعرض للفرع المشتق مع الأصل المشتق منه تغييرات منها :

(ا) زيادة حركة كعَلِمَ من العلْم .

(ب) زيادة مادة : كطالب وطلب .

(جـ) زيادة حركة وحرف كضارب من الضرب .

(د) نقصان حركة كفرْس من الفرس .

( راجع القائمة فى المزهر للسيوطى [1] ).

**رسائل وقضايا حول الأصل الاشتقاقى :**

هناك كلمات شائكة الدلالة ؛ لأن وجهات النظر تختلف فيها ، وأيسر شىء لدى اللغويين الاشتقاقيين أن يربطوا بين مواد لغوية زعموا أنها اشتقت منهـا ، وما ذلك إلَّا لأنهم فتنوا بالعربية حتى سمت على كل لغات البشر . وأما اللغات الأُخرى غير العربية « فإن القول بأن لها أى فضل يعتبر قولًا منبوذًا عنـد أهل الملل [2] »

ومن هذه الصيغ التى ردوها إلى العربية التى اشتقت منها :

(ا) « جَنَّات عَدْن [3] » فاشتقت من : عَدَنت الإبل بمكان كذا وكذا ، إذا ألفته ولزمته ، ومنل قيل لمعدن الذهب والفضة : معدن ، لأن جوهر الذهب والفضة يثبت فيه لكن الواقع أن (عدن) ورد ذكرها فى سفر التكوين [4] « وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقًا » فهى علم على مكان [5] وعن جويبر فى تفسيره المعرّب أنها بالرومية ، وقيل : بالسريانية وفسرت بالكروم والأعناب . [6] فكيف إذن تشتق ( عدن ) عند علماء العربية من ( عَدَن ) بالمكان ، إذا أقام وخلد به !

---

(١) ص ١ – ٣٤٩ .

(٢) كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى ١ / ١١ .

(٣) سورة مريم : ٦١ ، وطه : ٧٦ .

(٤) الإصحاح الثانى : الآية ٨ – ٩ .

(٥) كتاب الزينة ٢ / ٢٠١ .

(٦) المتوكلى للسيوطى ٨ ، ٩ ( ط دمشق ١٣٤٨ هـ ) .

بل يذهبون أكثر من ذلك حيث يقولون : يَعدِن ويَعدُن : لغتان !! فالكلمة ليست عربية حتى يمكن ردها إلى أصل عربى .

(ب) من المعروف فى الدراسات اللغوية المقارنة أن السين فى العبرية والآرامية تقابلها الشين فى العربية ، وقد وردت ( سكِّين ) فى العبرية ، و ( سكِّينًا ) فى الآرامية ، والكلمة ( سكِّين ) دخيلة فى العربية ، انتقلت إليهـا من الآرامية بسينها ، ولو كانت الكلمة أصيلة فى العربية لقيل : ( شكين ) بالشين[1]

وعلى الرغم من أن الكلمة دخيلة إلَّا أن ابن جنى يشتق منها حيث يقول : « وكذلك سكين إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به[2] » .

ومن ذلك قول ابن جنى فى ( المِسْك ) بأنه فِعْل من « أمسكت الشىء ، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسّة عليه ، ولا يعدل بها صاحبُها عنه[3] فابن جنى يشتق منه على الرغم من كونه فارسيًا .

وإذا كان ( الإريس ) بمعنى الأكار ليست عربية فلاعبرة بالفعل ( أَرَسَ ) بمعنى : صار أكارا ، لأنه مشتق من الاسم المعرّب[4] .

ومن ذلك صيغة ( ميناء ) فقد خلطت المعاجم فى أصلها واشتقاقها ومدها وقصرها فبعضها ذكرها فى مادة ( مون ) أو ( مين ) لأن الميناء هو مرفؤ السفن حيث تموّن فيه .

واللسان يذكرها فى (وَنى) حيث يقول : وهو مفعال من الوَنَى ، وهو الضعف ، والفتور ، وكأن السفن تنى فيه ، أى تفتر عن سيرها ، والميناءُ يمد ويقصر كذلك . ويرى نفر من الباحثين أن كلمة ( مينه ) فى المصرية القديمة هى المرسى للسفن ، ورسمها الرمزى عندهم : مركب أو سفينة .

والحفريات والآثار تؤكد أن مصر أول أمة استخدمت الملاحة والنقل النهرى وإقامة المراسى على الشواطئ ، وما زالت حيث كانت تحمل السفن من مرساها

---

(١) نصوص فى فقه اللغة العربية ١ / ١٨٣ ، دكتور يعقوب بكر – هامش .
(٢) الخصائص ٣ / ٢٦٧ .
(٣) الخصائص ٢ / ١١٨ .
(٤) دراسات مقارنة فى المعجم العربى ٨٦ وما بعدها ، للدكتور يعقوب بكر (بيروت) .

الفول الذى تنتجه أرض الصعيد ، ومثلها كلمة ( المنيا ) فى الصعيد تحمل اسم : منية الفولى ، منيا القمح ، على بحر مويس ، أو بحر موسى فى الشرقية ، وكانت المرسى التى تحمل منه السفن ـ محصول القمح فى الدولة القديمة فى : بوبسطه وصا الحجر[1] . فالكلمة ليست عربية ، ومن التعسف أن تردها المعاجم فى الاشتقاق إلى أصل عربى

(ج) وهناك صيغ كثيرة وقع فيها خلاف كبير حول الأصل الذى اشتقت منه ، لاسيما فى الألفاظ المعرّبة :

١ ـ فالمئزاب ، ومعناه بالفارسية : بُل الماء ، رأى يرى أنه من أصل فارسى ، ورأى يرى أنه من أصل عربى ، ومن دعاة العربيـة ابن فارس ، ومن دعاة الأصل الفارسى الأصمعى

٢ ـ إبليس ، أصله يونانى معرّب ، وبعضهم يرى أن الأصل عربى .

٣ ـ جهنّم ، عبرية الأصل ؛ وقيل : أصلها عربى[2]

٤ ـ خِوان ، فارسى ، وحكى عن ثعلب أنه قال وقد سئل : أيجوز أن يقال : إن الخوان سمى بذلك لأنا نتخوّن ما عليه ، أى نتنقّص ؟ فقال : مايَبْعد ذاك[3] .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى قول أبى بكر محمد السرى السراج فى رسالة الاشتقاق[4] ، فى ( باب ما يجب على الناظر أن يتوقاه ويحترس منه ) قوله : « ومما ينبغى أن يحذره ( الناظر ) غاية الحذر أن يشتق من لغة العرب لشىء قد أخذ من لغة العجم ، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » ، ويقول ابن جنى فى المحتسب[5] : « وإذا جاز للعرب أن تخلّط فى العربى وهو من لغتها فكيف يكون ـ ليت شعرى ـ فيما ليس من لغتها ؟! » .

---

(١) صحيفة الأخبار القاهرية ( ٣٠ مايو ١٩٧٣م ) .
(٢) المعرب للجواليقى ١٠٧ (تحقيق الشيخ أحمد شاكر ـ دار الكتب المصرية ) .
(٣) نفسه ١٢٩ .
(٤) ص ٣١ (ط . دمشق ) .
(٥) ص ١ / ٨٠ .

والحقيقة أن دراسة ( الأُصـول ) تحتاج إلى معرفـة دلالات المـادة فى الساميات وتطورها ، والعرب لم يكونوا على معرفة كاملة لبعض اللغات السامية ، ولهـذا اسـتعانوا بالاشـتقاق لالتماس التخريجات لتلك الألفاظ ، وفسّروها كما لو كانت عربية محضة كما سبق .

( د ) وهناك صيغ كان الأجدر بها أن تظل بمنأى عن فرع الاشتقاق ، من ذلك :

- قولهم فى الإتباع : شَيْطان لَيْطان ، وخَراب يَباب ، وحَسَن بَسَن ، ، وجائع نائع[1] . والغرض من هذا الإتباع تأكيد الكلمة الأولى عن طريق المجانسة الصوتية ، مع مخالفة فى بعض الحروف ، وقد سئل بعضهم عن ذلك فقال : هو شىء نَتِدُّ به كلامنا ، أى نقوّى به كلامنا . ولكن نفرًا من اللغويين حاول جاهدًا أن يأتى ( بأصل ) للكلمة الثانيـة ، ويوضح اشتقاقها ، فليطان - من لاط بقلبى ياوط أى لصق ، كما حاولوا أن يجدوا أصلًا ومعنى لكلمة ( بَسَن ) وهو من : بَسَّ السويق[2] .

ومما يؤكد أن الكلمة الثانية لا معنى ولا اشتقاق لها ما جاء فى الجمهرة[3] « قال أبو بكر : سألت أبا حاتم عن ( بَسَن ) فقال : لا أدرى ما هو » وأبو حاتم بقوله : « لا أدرى » تخلص من التعسف ، وأمن العثار الذى تردى فيه آخرون حين أرادوا المخارج فوقعوا وأوقعوا فى المحارج .

٢ - بل حاول كثير من اللغويين أن يرجعوا أسماء الأشخاص والقبائل إلى أصول لمجرد الاشتراك فى الأصوات ، ومن هؤلاء ابن دريد فى كتابه ( الاشتقاق ) وإليك نماذج التقطناها من هذا الكتاب :

( ا ) عَكّ - من قولهم : عَكَّ يومنا ، إذا اشتد حره[4] .

---

( ١ ) المنصف لابن جنى ٢ / ٣٢٥ ( ط . إحياء التراث ) .
( ٢ ) الكافى فى اللغة ٥٥ ، طاهر الجزائرى ( ط . كردستان ) القاهرة ١٣٢٦ هـ ) .
( ٣ ) ص ٣ / ٤٢٩ .
( ٤ ) الاشتقاق ٢٨٧ ( ط . وستنفلد ) .

(ب) هُجَيْم – من قولهم : هجمت البيت ، إذا هدمته[1] .

(ج) هُذَيل – يقال : هَوْذَل الرجل ببوله ، إذا اضطرب بوله فقد هوذل[2]

ثم نراه يتخبط فى الاشتقاق ، ويكثر من الزعم كما فى حديثه عن ( حمير )[3] مع أن لغة حمير مخالفة للغة مضر وربيعة ولا شك أن كثيرًا من علمائنا حاولوا وتكلفوا وتسكعوا فى بُنيّات الطرق ، ذات اليمين وذات الشمال حتى ربما قالوا قولًا فى لفظ ،ثم قالوا خلافه فى نظيره[4]

**(ب) الأصل التاريخى ( ٥ ) :**

أشرت فى أول الكلام إلى الأُصول المتخيلة تلك التى أخذ بها علماؤنا الصرفيون ثم سمرنا شوطًا طويلًا مع الأُصول والفروع فى كثير من أبواب الصرف والعربية ، والحديث الآن عن نوع جـديد وهو ( الأَصل التاريخى ) والهدف منه أن نقتفى آثار الصيغة فى أطوار حياتها ، وما أصابها عبر التاريخ ، وأرى أن البحث فى مثل هذا أجدى من حديث علماء الصرف فى الأُصول التى تخيلوها فى باب الإعلال وسأكتفى بمثل يسيرة :

١ – ذكر أبو الطيب اللغوى فى كتابه الإبدال أنه يقال : ولد فى الدّفْءِ . . وطيئ تقول : فى الدَّثَيْ – إذا ولد فى الشتاء وقبل الصيف . وأرجح أن الصيغة بالثاء أصل ، ففى اللغات العربية الجنوبية القديمة :دثأ – معناها الربيع أو محصولات الربيع ، وهو معنى ( دثْأ ) و ( ديش ) فى الأكدية بمعنى العشب الكثيف . وفى العبرية ( دِشأ ) بمعنى العشب الغض وفى أرامية العهد القديم والأرامية اليهودية ( دِثْا ) والثاء فى العربية تكون شينًا فى الأكدية والعبرية ، وتاء فى الأرامية[6]

---

(١) الاشتقاق ١٠٨ ، وانظر : مادة عكل وتميم ومهرة بن حيدان وعذره وكندة .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الاشتقاق ٣٠٦ .
(٤) انظر : المزهر ١ / ٣٥٣ ، ٣٥٤ حيث زعموا أن الثوب إنما سمى ثوبا لأنه ثاب ، أى رجع لباسا بعد أن كان غزلا .
(٥) انظر حديثا قيما فى : دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ١١٣ فما بعدها دكتور كمال بشر ط دار المعارف بالقاهرة .
(٦) نصوص فى فقه اللغة العربية ٢ / ٢٩٤ ط بيروت . د . يعقوب بكر .

٢ – يقول السيرافى فى شرحه على الكتاب[1] « كامة ست فى العدد أصلها سدس ودعاهم إلى ذلك كثرة استعمالهم إيَّاه فى كلامهم ، ولأن السين مضاعفة وليس بينهما حاجز قوى ، والحاجز أيضًا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينًا فتلتقى السينات ، ولم تكن السين تدغم فى الدال لما ذكرت لك فأبدلوا من السين أشبه الحروف بها من موضع لئلا يصيروا إلى أثقل ممَّا فروا منه إذا أدغموا ، وذلك الحرف التاء كأنه قال : سِدْتُ – ثم أدغموا الدال فى التاء[2] .

أما النظرة الحديثة فترى أن الأصل : سدث – كما هى فى اللغات اليمنية القديمة والأجريتية شبهت الدال بالثاء بالانقلاب إلى الهمس بدل الجهر ، وشبعت الثاءُ بالدال بالانقلاب إلى الشدة بدل الرخاوة فصار الحرفان تاءين وأُدغمت التاءُ فى التاء ، فالدال شديدة مجهورة والثاءُ مهموسة رخوة ، والتاءُ شديدة مهموسة فقلبت الدال تاءً لتتشابه مع الثاء فى الهمس ، وقلبت الثاءُ تاءً لتتشابه مع الدال فى الشدة .. والسين النهائية فى سادس كانت ثاء ... وقد قلبت سينًا لتتشابه مع السين الأُولى ، وكلاهما – مهموس رخو .

٣ – ورد عن أبى عبيدة عن يونس : أن أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبى عليه الصلاة والسلام ، والبرية ، والذرية[3] . وزاد ابن سيده كلمة أُخرى وهى : الخابية[4] فالعرب تركت الهمز فيها إلَّا أهل مكة ، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ، ولابد قبل الحكم عليها من تحليلها : فالبرية : معناها الخلق وهى من برأ الله الخلق ، فأصلها على ذلك الهمز ، وقد تأخذ من البرى – وهى

---

(١) ٦ / ٥٩٣ مخطوط بمكتبة تيمور رقم ٥٢٨ نحو .
(٢) انظر الكتاب ٢ / ٤٢٨ ط أولى .
(٣) إصلاح المنطق ١٥٩ .
(٤) المخصص س ١٧ / ١٥٣ ، س ١٤ / ٨ .

التراب ، فأصلها غير الهمز والياء أصلية[1] .

والنبي : أصله من النبأ وقد جمع على : نبئاء فأصله الهمز ، وينقل ابن سيده عن سيبويه قوله : وليس أحد من العرب إلّا وهو يقول : تنبأ مسيلمة . ولكن كيف يتفق هذا ( أى أن الأصل فيه الهمز ) مع ما روى من أن رجلًا قال للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) : يا نبئ الله - بالهمز ، فقال له : لا تنبر باسمى : أى لا تهمز[2] ، وقد يكون الرسول إنما كره ( النبئ ) بالهمز ، لأنه توهم أنه من : نبأ من أرض إلى أرض ، والمعنى : يا من خرج من مكة إلى المدينة على غير وجه التكريم . على أن شبهات حامت حول هذا الحديث[3] ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع من ينشده :

يا خاتم النبئاء إنّك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا

ولم يعترض على هذا . وفى شرح المفصل[4] : أن التخفيف لازم لكثرة الاستعمال بحيث صار الأصل ( الهمز ) مهجورا . وبعضهم يرى أنه من النباوة ، أى الرفعة ، فلا يكون على هذا أصله الهمز ولا تخفيف فيه ، ومن الذى أصله الهمز ( الذرية ) إذا أخذت من ذرأ الله الخلق ، فإن أخذت من الذرّ والياء للنسب ، فلا تكون الهمزة فيها أصلية[5] .

٤ - ترعة : الباب بالسريانية ، ثغر : أى فمّ ، واشتقاقه من : ثَغره يثْغَره بمعنى شقّه . وهما من أصل واحد فالثاء فى العربية تقابل التاء فى الآرامية والشين فى العبرية ، فالمادة العربية ( ث غ ر ) تقابل العبرية ( شَ عَ رَ ) ، أى باب والآرامية ( ت ع ر ) ومدلول المادة فى الساميات : الباب أو الفتحة أو الشق . وفى اللسان : ( ترع ) « إن منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة » حديث شريف . والترعة : الباب . والصيغة الآرامية تحولت بالقلب

---

(١) اللسان ١ / ٢٢ .
(٢) اللسان ٧ / ٤٠ .
(٣) الإتقان للسيوطى ١ / ١٠٠ ط حجازى .
(٤) انظر ٩ / ١٠٩ .
(٥) انظر المخصص ١٤ / ٨ ، اللسان ١ / ٣١ .

المكانى إلى ( ت ر ع ) ، وألحقت بهـا الفتحة الطويلة للتعريف فصـارت ( ت ر ع ا ) ، وفى العربية حسبنا أن الفتحة الأخيرة التى على العين هاء تأنيث وعاملناها على ذلك ، مع أنها فى الأصل علامة التعريف[1] .

٥ ـ ركْبة ـ نراها فى الأكدية birke ، وفى العبرية בְּרֵכָה bérek ، وفى الآرامية burkā ، وفى الحبشية[2] berk لكن العربية آثرت الصيغة المقلوبة ( ركبة ) وهى الفرع ، وأعرضت عن الأصل ( بركة ) بدليل قولنا فى العربية ( برك الجمل )[3] . ويلاحظ أن معرفة الأصل والفرع لا يكفى فيها فحص ( المادة ) وحدها كما تقدم من الأمثلة ، بل لابد من ملاحظة ( الدلالة ) وتتبعها على مدى التاريخ الطويل إذ المعنى عنصر أساسى عبر عنه الإنسان بهذه الألفاظ والأصوات .

فالاعتماد على المعنى فى معرفة الأصل والفرع ـ من الأهمية بمكان لا يقل ، إن لم يزد ، عن الاعتماد فى الاقتصار على معرفة الألفاظ والأصوات وحـدهما فى ذلك ، فالمعنى إذا كان عامًا مبهما كان ذلك دليلًا على أن اللفظ ضارب فى القدم سابق .

أما أنواع التخصص فى المـادة والتأنق فيها فى خيال الإنسان لمعنى لاحق ، وطور متأخر ، خذ مثلًا كلمة ( اللبن ) فتخيل الإنسان لها يجب أن يكون أقدم من تخيل الفروق بين أنواع اللبن ، من : السملج[4] ( الحلو الدسم ) والسامط ( ذهبت عنه حلاوة الحليب ولم يتغير طعمه ) والقوهة ( تغير قليلًا وفيه حلاوة ) والمحل ( إذا أخذ شيئًا من طعم ) والخامط ( إذا أخذ شيئًا من رائحة ) والهجيمسة ( يحقن فى السقاء الجـديد ويشرب قبل أن يحمض ) ومن ذلك أيضًا كلمة الخاثر ـ فهو أقدم من تخيل الفروق بين أنواع الخاثر من العكلظ أو العثلط ( خثر جدًّا أو تكبد ) والملهاج ( لم تتم خثورته ) ، والمبحثر ( تحبب وانقطع ) والهـ ادر

---

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج ٨٧ د . محمود حجازى المكتبة الثقافية القاهرة .

(٢) التطور النحوى ص ٢٢ برجشتراسر .

(٣) يقول الأب أنستاس الكرملى : وقالوا : الركبة وكان الحق أن يقال : البركة ؛ لأنهم اشتقوا عنها : برك ولم يقولوا : ركب . نشوء اللغة العربية ١٠٦ ط العصرية بمصر .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٢٢ من مقال للدكتور محمد كامل حسين .

( خثر أعلاه وأسفله دقيق ) والإدل ( تكبد ولم ينقطع ) والمذقر ( الماء ناحية واللبن ناحية ) والمطثر ( علا زبده وخثوره ) والهجيمة ( الخاثر من لبن الشاة ) والروب ( الخاثر لم ينزع زبده ) والمظلوم ( ما يشرب قبل الروب ) .

فكل هذه المعانى من تحصيص وتحديد وحضارة نشأت فى طور متأخر عن معنى ( اللبن ) وهو المعنى العام ، ولعل بعض المتخصصين والمتفننين فى صناعة الألبان كان يخفى عليه بعض هذه الأنواع للبن ، فقد حكى ابن خالويه عن نحوى بغيض كان يتكلم بالإغراب إلى بائع اللبن يريد لبنًا غليظًا فقال : يا لبّان ، أعندك لبن عثلط عبلط عجلط[1] ؟ فقال له اللبّان : تنصرف أو تصفع ؟ أو ربما بعضنا ممن نشأ فى المدن لا يعرف معنى كلمة (شرش ) وهى نوع من اللبن أيضًا

وبهذا كله يكون فهمنا أكثر اتساقًا مع الواقع اللغوى ، واعتمادًا على التحليل العلمى ورعاية لظروف التطور التاريخى ، والساميات أخوات العربية

٦ – إن كثيرًا من الظواهر اللغـوية تسربت من الساميات إلى العربيـة ، ونعرض هنا ظاهرة واحدة تتصل بالأصل التاريخى لضمير المتكلم :

١ – فى كتاب تاريخ صنعاء لإسحاق ابن جرير الصنعانى[2] أن أم وهب بن منبه قالت لابنها : رَأَيْتُ بنحلم كولْدكُ ابنًا من طيب[3] .

٢ – وفى الجزء الثانى من الإكليل :

إنى سمعة ( أو شمعة ) بنت ذى مراثد كُنْتُ إذا وحمك[4]

٣ – روى الأصمعى ، قال الفرزدق :

---

( ١ ) العثلط أو العكلط : ما خثر من اللبن أو تكبد

( ٢ ) لوحة ١٦٧

( ٣ ) الطيب : الذهب بالحميرية والمعنى : قالت : رأيت فى الحلم كأنى ولدت ولدا من طيب .
Rabin Ancient West Aralian p, 48.

( ٤ ) والمعنى : كنت إذا اشتهيت .

رأيت أعرابيًّا بمكة ومعه عجوز وغلامان وهو يقول :

( أَنَّكَ وَهَبْكَ زائدًا ومزيدًا )[1]

والعجوز تقول : إذا شِئْتَ إذا شِئْتَ !

٤ – وروى أبو زيد : سمعت أعرابيًّا يقول لآخر : سُؤْكَ بك ظنًّا[2]

٥ – وروى ابن قتيبة[3] : أن سحيمًا عبد بنى الحسحاس الشاعر العربى المخضرم كان إذا أنشد شعرًا جيدًا يقول أحسنتك[4] والله

٦ – يقول ابن جنى : وأنشدنا أبو على .

يابن الزبير طالما عَصَيْكا

وطالما عَنَّيْتَنا إلَيْكا ،

* لنضربَنْ بسيفنا قَفَيْكا[5] *

وفى نوادر أبى زيد[6] أن الأبيات لرجل من حمير وفى إبدال أبى الطيب[7] :

(وطالما دَعَوْكَنا إلَنْكَا)

أى دعوتنا

**وتحليل هذه الشواهد :**

( ١ ) أن بعض اللغات السامية كانت تستخدم الكاف ضميرًا متصلًا للمتكلم المرفوع ، وقد بقى ذلك الاستعمال وعاش فى اللغات : الأكادية والحبشية والحميرية كما تصورها الكتب العربية وفى بعض لهجات جنوب بلاد العرب الحديثة ، كالمهرية والشحارية والسقطرية والبوتاحادية والحرسوسية ، وكذلك فى قضاء حراز غرب صنعاء ، وقضاء الطويلة شمال غرب صنعاء كما أن بعض الجماعات السامية الأخرى استخدمت الكاف ضميرًا متصلًا للمخاطب المرفوع قياسًا على كاف المتكلم ثم فرقت بينهما بالحركات فضمّت كاف المتكلم فى الفعل الماضى ، وفتحت كاف المخاطب .

---

( ١ ) والمعنى : أنت وهبت زائدا ومزيدا ، وإذا شئت ، إذا شئت إبدال أبى الطيب ١ / ١٤١ .
( ٢ ) والمعنى : سوّت .
( ٣ ) الشعر والشعراء ٢٤١ .
( ٤ ) يعنى : أحسنت ( سر الصناعة ١ / ٢٨١ ) .
( ٥ ) خزانة الأدب ٤ / ٤٢٨ ( تحقيق عبد السلام هارون ) .
( ٦ ) ص ١٠٥ .
( ٧ ) ص ١ / ١٤١ ( تحقيق عز الدين التنوخى – دمشق ) .

وبعض الجماعات السامية رأت أن هذه الكاف التى كانت تستخدم للمتكلم المرفوع تلتبس بكاف المخاطب فاستغنوا عنها ، واستخدموا التاء كضمير متصل مرفوع للمتكلم ، وحركوها بالضم للتفرقة بين المتكلم والمخاطب . أما العربية - فجانست بين المتكلم والمخاطب فاستخدمت التاء للمتكلم والمخاطب مضمومة للمتكلم ، ومفتوحة للمخاطب[1] .

(ب) ويعلل ابن جنى لذلك فيقول : أبدل الكاف من التاء لأنها أختها فى الهمس[2] ، ويقول الأخفش : إن شئت قلت : أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها فى الهمس ، وإن شئت قلت : أوقع الكاف موقعها وإن كان فى أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية . وقال ابن هشام : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنما الكاف بدل من التاء بدلا تصريفيا[3] .

(ج) يرى بعض علمائنا المحدثين أن تعليل علماء العربية القدامى لوقوع الإبدال بين التاء والكاف غير صحيح ؛ إذ الكاف من أقصى اللسان ، والتاء من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ولا نعرف فى الساميات التبادل بينهما[4] .

( د ) أن الكاف هى الأصل فى تاريخ الجماعات السامية القديمة للمتكلم ، والمخاطب ، والدليل على ذلك أنه لو كانت التاء هى الأصل لافترضنا أنها قلبت كافا فى بعض اللغات السامية بغير علة مفهومة أما إذا كانت الكاف هى الأصل فهمنا سبب إبدالها تاء بسهولة وهو : أن التاء موجودة فى المخاطب فأدخلوها على المتكلم أيضا قياسا على المخاطب ، ويؤكد ذلك أن الكاف لا تزال على حالها فى بعض

---

(١) ضمير المتكلم المرفوع . د . خليل نامى - فصلة من مجلة كلية الآداب م ١٩ ج ١ .

(٢) سر الصناعة ٢٨١ .

(٣) الخزانة ٤ / ٤٢٩ .

(٤) دراسات فى اللغة العربية ٨٦ د . خليل نامى ( دار المعارف ) ولكنى أرى جواز التبادل بين التاء والكاف لاتحادهما فى الصفة وهى : الشدة والإصمات والانفتاح والهمس والاستفال ، وإن اختلفا مخرجا ، أما القول بالتبادل بينهما هنا بين الضميرين التاء والكاف فلا أراه لما سبق تعليله .

اللغات السامية[1] ، وأن الضمير الأصلى فى أقدم اللغات السامية هو ( كو ) ، وليس ( تو ) .

أما علماء العربية القدامى فيرون أن ( التاء ) هى الأصل ، وأنها قلبت كافًا ، وعذرهم فى ذلك أن الدراسات المقارنة لم تظهر فى زمنهم ، بدليل أنهم كانوا يصفون هذه الظواهر بقولهم : هى لكنة أجنبية !

٧ــ ومن الأصول اللغوية التاريخية التى التى لم يخالف علماء العربية التوفيق فيها أنهم عندما وجدوا صيغًا مختلفة عن الفصحى من مثل : ( هوىّ ) بدلًا من هـ واىَ ، و ( قفىّ ) بدلًا من قفاىَ ، و ( عَصَىّ ) بدلًا من عصاىَ ، و ( فتَىّ ) بدلًا من فتاىَ ، و ( بُشرىّ ) بدلًا من بُشراىَ ، و ( مَحيّ ) بدلًا من محياىَ ، و ( هدىّ ) بدلًا من هداىَ فى لهجة هذيل عللوا ذلك بقولهم : إن الألف انقلبت إلى الياء فى لهجة هذيل .

وقد وردت للهجة شواهد شعرية كثيرة[2] وأيّدتها قراءات قرآنية[3] ، ولهذا يصفون هذه الظاهرة بالجواز مرة ، وبالحسن مرة أخرى[4] .

ومفاد كلام النحاة أن الألف هى الأصل القديم فى الكلمات السابقة ، وأن الياء تطورت عنها ، ولا نوافق النحاة على رأيهم لما يأتى :

١ــ أن العكس هو الصحيح ، والياء هى الأصل التاريخى ، لوجودها فى كثير من الكلمات قبل أن تتطور تلك الياء إلى الألف ، ومما يؤيد ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تقول : هذه أفعوْ ، وبعضها يقول : هذه أفعىْ ، وآخرون ينطقونها : أفعأ بالهمز[5] . ويؤكد ذلك ما روى عن

---

(١) الفلسفة اللغوية : جرجى زيدان ١١٨ هامش ( دار الهلال ) .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٧٣ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١ / ٥ فما بعدها ( والبحر المحيط ١ / ١٦٩ ، وحاشية الأمير على المغنى ٢ / ٩٧٠ ، وجمهز ابن دريد ٣ / ٤٨٨ ، والمحتسب لابن جنى ١ / ٤١٧ ، مخطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير .

(٣) انظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٥ ، ٦٢ ، والبحر ٤ / ٢٦٢ ، ٥ / ٢٩٠ .

(٤) شرح التسهيل لابن مالك ٤٦ ط مكة ، وحاشية الصبان على الأشمونى ٢ / ١٨٥ ( ط الميمنية ) .

(٥) الكتاب ٢ / ٢٨٧ ( بولاق ) وشرح السيرافى على سيبويه ٥ ــ ٤٤٠ ( مخطوط بالتيمورية رقم ٥٢٨ نحو وشرح الحماسة للمرزوقى ٨٢٩٢ ، والهمع ٢ / ٢٠٦ ، وشرح التصريح ٢ / ٣٣٩ ،

ابن عبَّاس رضى الله عنهما حين قيل له : إنى قتلت حيَّة وأنا محرم ، فقال : هل نهشت إليك ؟ قلت : لا ، قال : لا بأْس بقتل الأَفعوْ ، ولا برمىْ الحدوْ[1] .

وهذا هو الطور الأَول من أَطوار النطق والأَصل التاريخى له ، ثم تطور فى الفصحى إلى الألف فصار : أَفعَى ، عصَا ، قفَا ، فتَى . ومعنى هذا أن الفصحى تخلصت من صوت اللين المركب Diphthong وهو au ( أَوْ ) و (ai) ( أَىْ ) إلى الفتح ( a ) .

٢ ـ أن الصمويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأَفعال مثل ( بكَى ونجَى ، وأَتَى ورعَى وبَنَى ) ألفًا ، وإنما كانوا ينطقونها ياء فيقولون : بكْى ورعْى ، وأَتى[2] . وهذا يؤكد أَصالة الياء[3] ؛ عكس ما رآه النحاة حين قالوا بأَصالة الألف .

**(ج) فى تاريخ الصيغ :**

أولا : إن اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات ، فهى تتطور وتتغير بفعل الزمن على ألسنة المتكلمين بها ، وحسبنا أن نثبت ذلك من خلال ما سمّى بصيغة ( الافتعال ) فهى تتأثر بالأَصوات المجاورة لها ، لتيسير عملية النطق ، والدليل على ذلك :

(أ) أن بعض العرب يقول : قد

---

(١) الفائق فى غريب الحديث ١ / ١١٩ جار الله الزمخشرى (دار إحياء الكتب العربية ط . أولى) .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ – ٢٥ د . جواد على .

(٣) والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم فى الحبشية الجعزية وهى لغة سامية ففيها : صحو تلو رمى فى: صحا وتلا ورمى وهذا هو الطور الأول أما الطور الثانى: فسكون هذه الحركة للتخفيف فى مثل : أفعى وقد تنبه إلى ذلك ابن جنى ( فى الخصائص ٢ / ٤٧١ فما بعدها ) هذا ومن الرجز الذى يصور الطور الثانى ما ورد فى ( المحتسب ١/٦٨ بالتيمورية ) من قول الراجز :

* إن لطى نسوة عند الغضى *
* يمنعهن الله ممن قد طغى *
* بالمشرفيات وطعن بالقنى *

وهذا الطور كان يشيع فى قبائل عربية قديمة ( انظر : كتابنا اللهجات العربية فى التراث ٢–٤٩٨ ط تونس ، ومقالين أحدهما للدكتور رمضان عبد التواب ، والثانى لى فى الدورة ٤٦ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة اللهجات والطور الثالث : تطور الحركة المركبة السابقة إلى حركة الإمالة أما الطور الأخير من تطور الأسماء المقصورة ، والأفعال الناقصة والجوفاء فهو التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص فى العربية الفصحى .

اتغر ، وبعضهم يقول : قد اثغر ـ بالثاء[1] ، ولتكسير هـذا التطور نرى أن الأصل : اثتغر ـ اجتمعت والتاء وهما مهموسان ولا يجمع بين عاميتين متناقضتين ، إذ النطق بالثاء يقتضى الصفير ، وبالتاء يقتضى الانفجار ، فانتقل مخرج الثاء إلى التاء ، وبهذا اتحد الصوتان فى الشدة والمخرج والهمس ، فتم الإدغام ، وصارت ( اتغر ) بالتاء ، وذلك أيسر لأن فيها اقتصادًا فى الجهد العضلى . ويشبه ما سبق ما جاء عنهم من : أثثر واثثر[2] .

(ب) ما روى عنهم من قولهم : عليك بأبوال الظباء فاصّعطّها ، فإنها شفاء للطحل[3] » . وقد اجتمع فى الصيغة صوتان مهموسان : الصاد والتاء ، فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء فصارت « اصطعط » ثم زاد تأثر الطاء بالصاد فصارت « اصعطط

وهى أيسر ؛ لعمل اللسان فيها من وجه واحد ، فأوجد صيغة أيسر ، ومما يلاحظ أن بعض هذه الصيغ يمثل فترة زمنية أقدم من الصور الأخرى من ذلك :

صيغتان من صيغ الأفعال وردتا بصورتين مختلفتين وهما « اتفعل واتفاعل ، إلى جانب : اتفعّل واتفاعل . والصيغة الأولى هى القدمى ، وورد منها فى النصوص القديمة والتراث والقرآن الكريم الكثير من مثل قوله تعالى : « وما يتذكر إلا من ينيب » « ثم دنا فتدلى » فمن تصدّق به فهو كفارة له » « قالوا تقاسموا بالله » كما ورد من الصيغة الثانية وهى الأحدث قوله تعالى : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت » ، « بل ادّارك علمهم فى الآخرة » ، « اثّاقلتم إلى الأرض » بل إن الصيغتين القدمى والمتطورة نجدهما فى نص قرآنى واحد فى قوله تعالى : « ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ / ٢١٥ دار الكتب .

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩٠ لابن جنى .

(٣) معانى القرآن ١ / ٢١٦ دار الكتب .

وذلك يؤكد أن التطور فى الصيغ لا يظهر فجأة ، ولا يقضى على القديم بين عشية وضحاها[1]

ومثل هذا التطور نلمحه فيما يروى من قراءات قرآنية : « وادّكر بعد أمة[2] ، وقراءة الحسن بالذال[3] . وما ؛ تدّخرون فى بيوتكم[4] » ، وقراءة أخرى « بالذال »[5] وما رواه الكسائى عن بعض العرب : « الطريق ياتَسق ويأتَسع[6] ، وما روى عن الشافعى فى الرسالة[7] : وأخرى موتفقة ، وقوله وتختلف سننه وتاتفق[8] ، وقوله ايتفق المقايسون فى أكثره[9] . وهذه الصيغ السابقة فى الفصحى نراها على الترتيب :

يتْسق ويتّسع ، متفّقة ، تتّفق ، اتّفق . وهى متطورة عن الصيغ القديمة السابقة ، وعلل بعض الباحثين[10] الصيغة التى أبدلت فيها الواو والياء ـ تاء بقوله : لأنهم لو أقروها لتلاعبت بها حركات ما قبلها فكانت تكون بعد الكسرة ياء وبعد الفتحة ألفا ، وبعد الضمة واوا ، فلما رأوا مصيرها إلى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها ـ أبدلوا منها حرفا يلزم وجها واحدا ـ وهو التاء كما يلاحظ فى قانون التطور إنْ أثر الصوت الأول فى الثانى فالتأثر ( مقبل ) وإن حدث العكس فالتأثر ( مدبر ) ، كما قد يكون التأثر ( كليا ) أو ( جزئيا ).وقد يسميه بعضهم ( تقدميا ) أو ( رجعيا )

---

(١) التطور اللغوى : للدكتور رمضان عبد التواب، مقال له فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٣٣ .
(٢) يوسف ٤٥ .
(٣) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٥ .
(٤) آل عمران ٤٩ .
(٥) تفسير الطبرى ٦ / ٤٣٦ تحقيق محمود شاكر .
(٦) سر الصناعة ١ / ١٦٥ .
(٧) ٢١١ .
(٨) الرسالة ٣١ ط أولى تحقيق الشيخ أحمد شاكر .
(٩) المرجع السابق ٤٧٩ .
(١٠) الحاشية على القاموس ٥٣٥ ط الحوائب ١٢٩٩ .

وما سبق يؤكد لنا مسار الصيغ وتطورها بين الأَجداد والأَحفاد ، ويقوى منافذها ومسالكها بين السالفين والخالفين .

ثانيا ؛ ما جاء فى كلمة ( الأُم ) وسأتجه فيها إلى القرآن الكريم وقراءاته :

(أ) فى قوله تعالى : ١ ـ وإنه فى أمّ الكتاب [1] » .

فى قوله تعالى ٢ ـ حتى يبعث فى أمها رسولا [2] .

« ٣ ـ فلأُمه السدس [3] »

« ٤ ـ « فلأُمه الثلث [4] » .

« ٥ ـ ( من بطون أمهاتكم [5] ».

« ٦ ـ فى بطون أمهاتكم [6] » .

فى قوله تعالى ٧ ـ « فى بطون أمهاتكم [7] » .

« ٨ ـ « أو بيوت أمهاتكم [8] »

(ب) ومنه فى الأَثر قول من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ( أوصى امرأً بإمه [9] . فقرأ الأَخوان [10] ، وحمزة الكسائى [11] بكسر همزة ( إم ) وصلا ، كما كسر الهمزة والميم همزة فيما إذا أضيف إلى جمع ، وذلك فى آيات النحل والزمر والنجم والنور ، وكسر الكسائى الهمزة وحدها ، وذلك فى الوصل أيضاً [12] والسبب فى كسر الهمزة يرجع إلى ظاهرة المماثلة حيث وجدت الهمزة فى الآيات السابقة مسبوقة بكسرة أو ياء ، والياء من جنس الكسر ، فلو لم تكسر لصعب الانتقال من كسر

---

(١) الزخرف آية ٤ .
(٢) القصص آية ٥٩ .
(٣) النساء آية ١١ .
(٤) النساء آية ١١ .
(٥) النحل آية ٧٨ .
(٦) الزمر آية ٦ .
(٧) النجم آية ٣٢ .
(٨) النور آية ٦١ .
(٩) معانى القرآن للفراء : ١ / ٥ ـ ٦ دار الكتب .
(١٠) البحر ٣ / ١٨٤ .
(١١) إرشاد المريد على إبراز المعانى ٢٨٥ .
(١٢) النشر ٢ / ٢٤٨ .

وشبهه إلى ضم ، وهـذا معنى قول الفراء : « فاستثقل ضمة قبلها ياء ساكنة أو كسرة[1] » .

واشتراطهم حالة الوصل لكسر الهمزة يؤكد ظاهرة المماثلة عند هؤلاء القراء ، بدليل إن وقفت على حرف الجر ، ضممت الهمزة بلا خلاف ، إذ لم يبق قبلها ما يقتضى كسرها .

وقد نقل أبو جعفر النحاس حكاية عن سيبويه أن كسر الهمزة مما سبق لغة كثير من هوازن وهذيل[2] ، وقد أكد هذا العزو ـ أبو حيان إلا أنه عزا الرواية إلى الكسائى والفراء[3] ومن الثابت المقـرر أن هوازن مالت إلى عدم الانسجام[4] فى الضمائر ،فما بالها هنا مالت إليه ؟

وتخلصا من هذا التناقض أعرض اقتراحين :

أولهما : أن هوازن كانت فى الأصل حلفا ضم جملة قبائل مختلفة[5] مفرقة على وجه الجزيرة العربية ، ومادام الأمر كذلك فليس من العسير أن تختلف قبائلها المتناثرة فى هـذه الظاهرة . يؤكد هذا حكاية سيبويه فيما سبق وأنها « لغة كثير من هوازن » فيفهم من قيد الكثرة أن قلة منهم كانت تتخالف لهجتهم مع ما عليه الكثرة .

ثانيهما : أن الكسائى سمع شيخاً من هوازن يقول : عليهُ مال ، وكان يقول : عليهم وفيهم وبهم « يضم الضمير[6] ويفهم منه ضمنا أن لهجة الأبناء فى هذه القبيلة كانت تجنح إلى المماثلة فى حين أن لهجة الأشياخ ـ الذين يؤثرون المحافظة ـ كانت تفر منها ، وإلا فما معنى التخصيص بسماعه من ( شيخ ) ؟ وهـذا يوضح لنـا مسار اللغـة

---

(١) معانى القرآن للفراء : ١ / ٥ ـ ٦ .
(٢) إبراز المعانى ٢٨٦ .
(٣) البحر ٣ / ١٨٥ .
(٤) اللسان ٢ / ٣٦٨ .
(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٣٢١ .
(٦) اللسان ٢ / ٣٦٨ .

ومناخها بين الأَجداد والأَحفاد ، والسالفين والخالفين فى الظاهرة الواحدة .

**(د) الأصل ومدى صلته بظاهرة الشذوذ :**

على أن هذا الأَصل التاريخى يمكن أَن يتعرف عليه من خلال ما سماه علماءُ العربيــة ( بالشاذ ) تارة أَو ( الضرورة ) تارة أُخرى .

وقد جمعت قدرا صالحا من ( الشذوذ الصرفى ، ومن الضرائر فيه ، لنرى فيهما الأَصل الحقيقى لسير الصيغ ؛ كما نرى من خلال الصيغة معلة تارة أَو مصححة أُخرى أَو مضطربة أَحيانا . نرى ونلمس التدرج اللغوى صاعدا على سلم الارتقاء ، أَو منحدرا متجمدا — يمثل بقايا مرحلة سالفة .

ولعل كثرة الشذوذ ، وتردد هذه الكلمة فى أَبواب الصرف وغيره يرجع سببها إلى أَن علماءنا القدامى كانوا يعتقدون أَن العربيــة خلقت ففهموا أَن كل تطور ينالها إنما ينشأ عن ضعف أَو انحراف أَو شذوذ — وليس كذلك ، إنما يمثل هذا الشذوذ مرحلة من مراحل حياة الصيغــة ، لم تتطــور تطــورا كاملا ، بل بقيت متجمدة فى إحدى مراحلها فوسمت بالشذوذ عندهم ، ولكن هذا الشذوذ منبهة على أَصلها ودليل على أَولية حالها ، وهو يشير إلى بقايا من تاريخ الكلمة لا يصح أَن نهمله أَو نظلمه بالحيف والجور لأَنه يمثل بيئة لغوية ، وهذا المنهج الذى اتبعناه يخالف منهج الأَقدمين الذين يرون أَنه : لا ينبغى أَن يلتفت إلى شواذ الأَشياء ( عبث الوليد للبحترى )

ومثل ذلك ما جاء فى الاقتراح ، للسيوطى ص ٢٩ ط الثانية : « إن الشــاذ ونحوه يطرح طرحا ولا يهتم بتأْويله » . والحقيقة التى عومل بها الشاذ أَنه إذا كانت الشواهد عليه كثيرة وافرة — دخل فى اللغة الفصحى ، وإن كانت الشواهد عليه قليلة بقى شاذا دون أَن يفتح له المشرعون مكانا فى كتب الصرف وغيره ، وأَياما كان فالشاذ أَقدم عهدا ، وأَثبت نسبا من الصيغ الجارية على القواعد الصحيحة التى وضعها العلماء . والذى يهمنا فى هذه الدراسة ، وذلك المنهج الجديد أَن نربط هــذه بين الشواذ بحيث

تتواكب وتتواخى فى سلم ارتقائى واضح مترابط ، إذ الثابت أن التطور حقيقة فى اللغات يميت صيغا وينشئ أخرى غيرها ، ثم تبقى بقايا لما أميت ، ومن النص الآتى يتضح هـذا : كلمة ( مطلع ) وردت بالكسر والفتح ـ والقياس الفتح ( شرح السيرافى ، ٥ ـ ٢٧٩ ) أما قياس الكسر فهو أن يكون المضارع تطلع ـ بكسر اللام » وكان الكسائى يقول : هذه لغة ماتت فى كثير من لغات العرب ، يعنى ذهب من يقول : تطلع بكسر اللام ، وبقى مطلع ـ بكسرها فى الزمان والمكان على ذلك القياس ( البحر ٦ ـ ١٦١ ) وصيغة الكسر مع أنها خارجة على قياسهم لكنها لهجة معترف بها فى تميم وقرأت بها القـــراءة فى ( حتى مطلع الفجر ) بالكسر .

وسأعرض أمثلة لما يسمى بالشاذ فى باب ( الإعلال[٣] ) وقوة دلالته على الأصل ، وعلى أولية الكلمة .

| | | |
|---|---|---|
| أولا : نوع أعل | وقياسه التصحيح | |
| مصائب | قياسه مصاوب | ( لأن المد فى المفرد أصلى فلا يعل فى الجمع بالقلب همزة ) . |
| معائش | وقياسه معايش | ( لأن المفرد معيشة فالمد أصلى ) . |
| ناقة عليان | قياسه علوان | ( لأن الواو فى كل قلبت ياء ولم تقع بعد كسر ) . |
| وصبية وصبيان | وقياسه صبوة | |
| من العلو والصبوة | قياسه صبوان | |
| ثِيرة جمع ثور | وقيسه ثِوَرة | ( لعدم الألف بعد الواو فى الجمع ) |

| | | |
|---|---|---|
| طيال[1] جياد | وقياسه طوال وجواد | ( لأن الواو أعلت فى الجمع مع أنها فى المفرد ( طويل ) ليست معلة ولا شبيهة بل متحركة |
| قرأ بعضهم : « للريّا تعبرون » بالتشديد | وقياسه للرؤيا | ( بقلب الواو ياء مع أنها عارضة غير أصيلة ) |
| أنا الليث معدّيا | وقياسه معدوّا | ( لأن الماضى على فَعَل – بفتح العين فالواجب تصحيح الواو ) |
| فما أرق النيّام إلّا كلامها | وقياسه النوام | ( لأن الجمع على فعال والواو لاتقلب ياء فيه فتصح فيه الواو ) . |
| اجلياذ | وقياسه اجلوّاذ | ( لتشديد الواو ) . |
| ديوان | وقياسه دوّان | ( لتشديد الواو ) وجمع ديوان – دواوين وديواوين ( إبدال أبى الطيب ٤٧٤/٢ ) ولعل هذا الجمع الأخير تجمد فى دور التهذيب . |
| داران هامان | وقياسه دوران/ هيمان | ( لأنْ فى آخر الاسم زيادة خاصة |
| جالان سالان | وقياسه جولان/ سيلان | بالأسماء لكن أعلت شذوذًا ) . |
| صيار وصيان[2] | وقياسه صوار وصوان | ( لأن الواو وإن وقعت بين كسرة وألف لكنها ليست عين جمع بل هى عين مفرد) |

---

( ١ ) تبين لى أن القاءة ذلة وأن أعزاء الرجا طيالها
( المفصل : ٣٨١ )

كما وردت رواية أخرى ( طوالها ) ابن يعيش ١٠ / ٨٩ محقق .

( ٢ ) صيار : القطيع من الإبل والشاء .
صيان : ما يصان فيه الثياب .

ثانياً : نوع ( صحيح ) وقياسه ( الإعلال )

ثوب مَصْوون وقياسه مصون

ثوب مَخْيوط وقياسه مخيط

( والتصحيح جائز عند تميم

شاذ عند غيرهم )

خَوَنَة وقياسه خان لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها شروط الإعلال .

جمع ( خائن )

حَرَكة لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها شروط الإعلال

جمع ( حائك )

مَرْيَم وقياسه مرام استحقت الإعلال بالنقل لاستكمالها الشروط لكنها لم تعل .

جمع حاجة ( حِوَج ) وقياسه حيَج استوفت شروط الإعلال ولم تعل .

مِقْودة وقياسه مَقَادة[1]

مِكوزة وقياسه مَكازة

مدْيَن وقياسه مدان

مَوظَب

مَوْرَق } وقياسه كسر العين مثل : الموضع والموعد .

موهَب

سقاية وقياسه سقاءة لأن الياء تطرفت حكماً بعد ألف زائدة والتاء غير لازمة ، ولم تقلب همزة ، والقياس سقاءة .

---

( ١ ) ومن أمثال العرب (إن الفكاهة مقودة إلى الأذى) .
المنصف لابن جنى ١ / ٢٩٥ .

| | | |
|---|---|---|
| حَيِيَ . عَيِيَ | وقياسه حَايَ عايَ | يقتضى قلبها ألفاً . لأنه مضعف يائى فيه الياء الأُولى متحركة مفتوح ماقبلها . كما يقتضى قلبها ألفاً فى مضارعه . لأن كل أجوف من باب ( فعل ) بكسر العين قلبت عينة فى الماضى ألفاً تقلب عينه فى المضارع ألفاً مثل ( خاف يخاف ) فيقال ( يَحَايُ يَعَايُ ) ولكن لم يحدث ذلك . |
| المنائى[1] جمع منية | وقياسه المنايا | ( الهمزة عارضة فالمفرد منية واللام معتلة فيجب قلبها ياء لاسيفائها شرط الإعلال ) . |
| سمع من العرب خطائى | وقياسه خطايا | |
| قراءة بعضهم ( إئلافهم ) | وقياسه قلب الثانية ياء | ( لأن الثانية ساكنة بعد كسر ) . |
| قراءة بعضهم ( أئمة ) | وقياسه أءمة | ( قلب الهمزة الثانية المكسورة ياء ) |
| سواسوة | وقياسه سواسية | ( الواو تطرفت بعد كسرة فتقلب ياء ) |
| نوارا : مصدر نارت الظبية إذا نفرت | وقياسه نيار | |
| شوارا : شار الداية يشورها (بمعنى راضها ) | وقياسه شيار | ( استكملت شروط الإعلال ولم تعل بأن وقعت الواو عينا لمصدر وقبلها كسرة وبعدها ألف ) . |

---

(١) قال عبيدة بن الحارث فى يوم بدر :

فما برجت أقدامنا فى مكاننا ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا .

| | | |
|---|---|---|
| القصوى | وقياسه القصيا | ( لأن الوار وقعت لاماً لفعل بالضم وصفاً) |
| الحلوى | وقياسه الحليا | ( لأن الواو وقعت لاماً لفعل بالضم وصفاً) |
| يوم أيْوَم | وقياسه أيمّ | ( حيث اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء |
| عوى الكلب عَوْية | وقياسه عيّة | ( لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء والقياس عيّة بقلب الواو ياء وإدغامها فى الياء). |
| | | وسمع عَوَّة بـ ( قلبت فيه الياء واوا ثم أدغمت الواو فى الواو عكس القاعدة ) |
| رجاء بن حَيْوة | وقياسه حيَّة | ( لاجتماع الواو والياء والأول منهما ساكن قال السيرافى ٤٢٧/٦ ( نسختى ) أظهروا الواو لأنه لا يتصرف تصرفاً نعلم به أن أصله واو ) . |
| ضَيْوَن[1] | وقياسه صيّن | ( لأن الواو والياء إذا اجتمعتا والأول منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء ) . |
| راعة بعضهم « راضية مرضوَّة وقياسه مرضية | | لأن الواو وقعت لاماً لاسم المفعول الذى ماضيه على فعل ـ بالكسر . |
| استحْوذ ـ أعول ـ<br>أغيلت المرأة ـ استروح<br>صددت فأطولت | وقياسه استحاذ<br>وقياسه أغال ـ استراح<br>وقياسه أطال | اجتمع فيها شروط الإعلال بالنقل فالساكن الذى قبل حرف العلة صحيح ولم تكن الكلمة فعل تعجب . ولا مضعفة اللام ولا كانت اللام حرف العلة ولم تعل . |

---

( ١ ) ضيون : السور الذكر .

إعوالا ـ استحواذًا ـ إغيالا

شذ : الرّوح[1] وقياسه

الغَيَب[2] الإعلال

الخَوَل[3]

القَوَد

حيث استكملت شروط الإعلال .

وشذ ( أرى عينى مالم ترأياه ) جاء على الأصل المرفوض .

وشذ ( فإنه أهل لأنْ يؤكرما ) وقياسه : يكرما حذف الهمزة للاستثقال .

وشذ ( حذف الفاء فى مثل يدع / يسع / يَطأ / يدر ) وقياسه : يوسع ويوطأ وعدم حذفها لأن المضارع مفتوح العين .

الفك والإدغام :

شذ : لححت عينه ( بفك الإدغام )

ألل السقاء ( تغيرت رائحته )

ضبب البلد ( كثر ضبابه )

دبب الإنسان ( نبت شعره فى جبينه )

صكك الفرس ( اصطكت عرقوباه )

قطط الشعر ( اشتدت جعودته )

كلها جاءت بإظهار التضعيف لبيان الأصل .

تَهْلَلٌ والشذوذ فيه إظهار التضعيف ، ولا يكون ذلك إلا مدغماً .

مَحْبَب والشذوذ فيه إظهار التضعيف ، ولا يكون ذلك إلا مدغماً .

---

(١) الروح : الطيور المتفرقة عند الرواح .

(٢) الغيب : اسم جمع للغائبين .

(٣) الخول : الخدم .

**١ ـ التثنية فى المقصود والممدود :**

جملة ما شذ من المقصور ثلاثة أشياء :

١ ـ قولهم : مذروان والقياس بالياء

٢ ـ قولهم ؛ خوزلان : وقاس عليه الكوفيون .

٣ ـ قولهم : رضيان وقاس عليه الكسائى .

والذى شذ من الممدود خمسة أشياء .

١ ـ قولهم : حمراءان والكوفيون أجازوه كما حكى ابن النحاس .

٢ ـ قولهم : حمرايان وحكى أنه لغة فزارة .

٣ ـ قولهم ؛ قاصعان بحذف الهمزة والألف . وقاس عليه الكوفيون .

٤ ـ قولهم : كسابان وقاس عليه الكسائى ونقله أبو زيد عن لغة فزارة.

٥ ـ قولهم : قراوان بقلب الألف الأصيلة واوا .

**٢ ـ شواذ التعجب والتفضيل :**

تبنى صيغتا التعجب والتفضيل من : فعل ثلاثى مجرد تام مثبت متصرف قابل للكثرة ـ غير مبنى للمفعول ولا معبر عن فعله بأفعل فعلاء

ومن الشـــاذ : ما أأتاه[*] للمعروف وما أعطاه للدراهم .

وما أعوره ، وما أحمره[**]

ـ و أحنك[1] البعيرين . وأقمن[2] به . وما أعســاه[3] وأعس به ، وما أقدر الله أن يدنى على شحط : لعدم قبول صفات الله الكثرة ، هو أزهى[4] من ديك ، وأشغل من ذات النحيين[5] ( التصـــريح والهمع والأشمونى فى هذه الأبواب )

---

(*) ليس مجردا .

(**) معبر عن فاعله بأفعل فعلاء .

(١) اسم عين .

(٢) من وصف لا فعل له .

(٣) فعل جامد .

(٤) مبنى للمجهول .

(٥) مبنى للمجهول (شغل) .

**٣ ـ شواذ النسب :**

ما يحذف لياء النسب ياء فعيلة بشرط صحة العين وانتفاء تضعيفها : كحنيفة وصحيفة ـ تحذف منه تاء التأنيث أولا ثم تحذف الياء ثانيا ثم تقلب الكسرة فتحة : حنفي، وصحفي « التصريح ٢ / ٣٣٠ » .

وشذ قولهم فى سليمة : سليمى وفى عميرة ـ كلب ـ عميرى وفى السليقة سليقى ، قال الشاعر

ولست بنحوى يلوك لسانه
ولكن سَلِيقى أقول فأُعرب

فهذه الكلمات جاءت شاذة للتنبيه على الأصل المرفوض والقياس : سلقى مثل حنفى ولكنه جاء على خلاف القياس ( الأشمونى ٤ / ١٨٦ ، والتصريح ٢ / ٣٣٠ ) .

**( تعليق ونقد ) :**

١ ـ قد يجئ فى الباب الحرف ، والحرفان على أصولهما ، وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدل على أصل الباب ( انظر : « استحوذ عليهم الشيطان » المجادلة ١٩ ) وأغْيلت المرأة ( إذا أرضعت ولدها وهى حامل ) وكذلك ، لححت عينه ( لصقت )

٢ ـ المراد بالشذوذ ردّ إلى الأصل المرفوض ( شواهد المغنى ١٧٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٢ ) وتفسير الشذوذ أن التصحيح هو الأصل والإعلال طارئ متأخر وتهذيب جاء فى اللغة ، أحالته الموسيقى اللفظية عن النطق السابق إلى الحاضر على نسق معين ، ولهذا يمثل الإعلال نهاية العمل المتكامل ، إذ العربية فى تاريخها الطويل كانت خاضعة لسنة الارتقاء وهى بين النقص الزيادة والتهذيب والتشذيب ، والهدف من الإعلال فى النهاية التخفيف ، ففيه النقل والقلب والحذف وسبيل ذلك التيسير .

٣ ـ ومما يؤكد أن مرحلة ما بين التصحيح ( وهو الأصل ) والإعلال (وهو الفرع) كانت للتنقيح والتهذيب ونصفية الصيغ ، أن الصيغ المصححة مثل : أعول ، وأغيل وأجود قد سمعت معلة على القياس إلا استحوذ ، واستروح المريح ، واغيلت المرأة

( أرضعت على الحبل ) وإنما لم تعل هذه الأفعال بالنقل دلالة على أن الإعلال فى مثلها غير أصل .

٤ ـ أن علماء العربية كانوا يظنون أن الإنسان هو الذى يقوم بعملية التصحيح والإعلال فى اللغة ، فكثيرا ما تسمعهم يقولون « المنائى ـ بإبقاء الهمزة مع عروضها فى الجمع ، وكان القياس ( المنايا ) وأصله (المنبائى) بهمزة عارضة ثم تفتح الهمزة مع القياس فتنقلب الياء ألفاً فتصير ( المناءا ) ثم تقلب الهمزة ياء فتصير ( المنايا ) ولكنهم بعد عروض الهمزة كفوا أيديهم وعاملوها معاملة الهمزات الأصلية . وهذا غير صحيح ، لأن اللغة ظاهرة من ظواهر المجتمع لا تأثير للفرد عليها

٥ ـ ويرى نفر من الباحثين وجها حسنا فى نفيه الشذوذ ـ عما يسمى بالشذوذ فى العربية . فيقول معلقا على الشذوذ فى اسم الآلة : المُسعط والمُنخل والمُدهن . . والحق أن هذه لألفاظ لم يذهب بها مذهب الفعل ، ولكنها كما قال سيبويه جاءت لتجعل أسماء لهذه الأوعية ، فالمكحلة ليست لكل ما يكون فيه الكحل ، ولكنها اختصت بالآلة المخصوصة ، ولهذا جاز تغييرها عما جاء عليه قياس اسم الآلة .

كما نفى الشذوذ أيضاً حين قالوا بشذوذ ( يدع ويذر ) لأن القياس حذف الواو من المثال إذا كان فى المضارع على ( يفعل ) بكسر العين ، والنافى للشذوذ يرى أن أصل الفعل ـ يفعل ـ بكسر العين ، إذ القياس المخالفة بين الماضى والمضارع إلا أنها فتحت من أجل حرف الحلق .

كما نفى الشذوذ فى قولهم : أموى بالفتح فى أمية ـ بالضم ، وبَدوى : بالتحريك فى البدو . فأموى ـ جاءوا به على الأصل الأصيل ، إذ أمية تصغير ( أمَة ) بفتح الهمزة ، وبَدَوى قياسه بَدْوى ـ بالسكون ـ وإنما فتح للازدواج مع نظيره ( الحضرى ) .

٦ ـ شأن الأعلام مثل ( مريم . مدين وزكاء بن حيوة . . . . ) المحافظة على صورتها الأصلية ولهذا لم يدخلها الإعلال ( أى التهذيب والتنقيح ) كما دخل غيرها

٧ – أن الصيغ الصرفية لم تخضع للقوانين ولم تخف من الحدود وإقامة السدود بدليل ما سبق من صيغ صححت والقياس فيها الإعلال ، وصيغ أخرى أعلت والقياس فيها التصحيح وصيغ يجب فيها حذف الهمزة فى التصريف فلم تحذف ، وصيغ جاءت بإظهار لتضعيف ، وقياسها الإدغام إلى آخر الشواهد والأمثلة السابقة .

٨ – ويرجع الشذوذ إلى أسباب ، كثيرة منها :

التوهم : ومن ذلك قول الشاعر

ولقـد رأيتك بالقوادم مرة
وعلىّ مِنْ سدف العشىّ رَياح

فالقياس رواح – لأنه من راح يروح لكنه لما كثر قلب هذه الواو فى تصريف هذه الكلمة – ياء – نحو : ريح ورياح – ومريح ومستريح ، وكانت الياء أيضاً عليهم أخف تدرجوا من ذلك إلى أن قلبوها فى ( رَياح ) مع زوال الكسرة التى توجب القلب وكأنهم توهموا أن الياء أصل فى ذلك .

ومن هذا ما يحكى عن عمارة بن عقيل من أنه قال فى جمع ريح – أرياح حتى نبه عليه فعاد إلى – أرواح. وكأن عمارة توهم فى أرياح – أصالة الياء . ومثل هذا التدرج من أرواح إلى أرياح – نمط من حياة اللغة وتطورها . ولهذا يقول السهيلى : إن ريحا وأرياحا – لغة لبنى أسد . وقال الخفاجى فى شرح بانت سعاد لابن هشام : من العرب من يقول : أرياح ، كراهة الاشتباه بجمع روح . ومثل هذا قولهم فى جمع عيد – أعياد – والواجب : أعواد . وإنما قالوا ذلك لتوهم أصالة الياء فى عيد ، ودفع الالتباس بجمع عود لو قيل : أعواد .

ومن هذا الضرب أيضا قولهم : ديمة وديم . وأصلها من الدوام ، وقالوا أيضا : دوّمت السماء – على الأصل ، وديمت – على توهم أصالة الياء ، وأنها ليست منقلبة عن واو ، وقد تجاوز هذا فقالوا : دامت السماء تديم – فمرد هذا إلى التوهم وهو مسئول عن خلق صيغ جديدة فى الحقل اللغوى .

وقد يرجع الشذوذ إلى الإتباع ، والمزاوجة فمن ذلك قولهم . هنأنى الطعام ومرأنى ، فإذا أفردوا قالوا : أمرأنى ، وفى الحديث : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » . ومأزورات من الوزر وهو الذنب فأصله : موزورات . ومن ذلك قولهم : جاء فلان بالضِّيح والريح ، وأصله : بالضحّ أى بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح ، فقيل ، الضيح للازدواج مع الريح ( الاقتضاب ٢١٩ ) كما قد يكون سببه الضرورات الشعرية .

ونظرية الإتباع أو المماثلة أو التوافق الحركى قد لحظها القدماء من الصرفيين وعبروا عنها بالمناسبة فى مثل قولهم :

١ ـ مقام : أصلها مقوم ـ نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ألفاً لمناسبة الفتحة .

٢ ـ يستجيب : أصلها يستجوب ( بكسر الواو ) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ياءً لمناسبة الحركة المنقولة .

٣ ـ المستقيم : أصلها المستقوم . ( بكسر الواو ) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة .

ولكن الصرفيين كان فى إمكانهم أن يستغلوا هذا العامل لحل مشكلات باب ( الإعلال ) إذ إن فهم عامل المماثلة يسهل عملية الإعـلال ويختصرها ، ويفسرها تفسيرا لا يخرج باللغة عن طبيعتها ،ولا يوقعنا فى متاهات وافتراضات للكلمة مثلا :

١ ـ سيّد وميْت : أصلهما : سَيْود وميوت . اجتمعت الواو والياء والياء ساكنة فقلبت الواو ياءً ثم أدغمت الياء فى الياء ـ للمماثلة .

٢ ـ آمنت : أصلها أأمنت . توالت همزتان وسكنت الثانية فقلبت مدة من جنس حركة الأولى للمماثلة .

٣ ـ حياض : أصلها : حِواض ، وقعت الواو عينا لجمع صحيح اللام بعد كسرة وبعدها ألف الجمع فقلبت ياءً لمشاكلة الكسرة أو للمناسبة

٤ ـ ميزان : أصله موزان ، وقعت الواو ساكنة بعد كسرة فقلبت ياء لمناسبة الكسرة

٥ ـ يوقن : أصله : يُيْقن وقعت الياء الساكنة بعد ضمة فقلبت واوا لمشاكلة الضمة قبلها .

٦ ـ سيق : أصله سُوِق . قلبت الواو ياء ثم قلبت ضمة السين كسرة لمماثلة الياء ..

يستطيع الإنسان أن يأتى على أكثر باب الإعلال ، ويفسره هذا التفسير المادى اليسير بل يستطيع الباحث بشىء من التفحص أن يرجع كثيرا من الظواهر اللغوية إلى هذا العامل . وبهذا يمكن أن نستغنى عن كثير من قواعد الصرفيين فى باب الإعلال ونختصرها .

**احمد علم الدين الجندى**
الأستاذ بكلية دار العلوم والخبير بالمجمع

# الوصف وفعله

للأستاذ
محمد على النجار
عضو المجمع

لا تنكر الصلة بين الوصف وفعـــله . والوصف قد يدل على الذى قام به حدث فعله أو وقع منه ، وهذا هو اسم الفاعل ، ويلتحق به الصفة المشبهة باسم الفاعل . وقد يدل على الذى وقع عليه حدث فعله ، وهذا هو اسم المفعول . وقد يدل على زيادة الحدث ، وهو اسم التفضيل . وهذا لا يعنينى فى البحث .

وقد اشتهر أن الوصف يهدى إلى فعله . وبنى على هذا أن الوصف إذا ورد فى العربية ساغ لنا أن نضع فعله المناسب له ونعتـده فى العربية .

وأساس هذا الأصل قول ابن جنى - تبعا لأستاذه أبى على الفارسى - : « إذا صحت الصفة فالفعل فى الكف » .

وابن جنى عـرض لهـذا البحث فى ثلاثة مواطن فى الخصائص فى الجزء الأول .

الموطن الأول فى « باب فى تعارض السماع والقياس » ، وفيه يقول فى ص ١٢١ :

«قال لى أبو على بالشأم : إذا صحت الصفة فالفعل فى الكف » .

والموطن الثانى فى « باب فى أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» . وفيه يقول فى ص ٣٥٧ : « إن المعرب قد تتصرف فيـه العرب كما تتصرف فيما وضعته . وأورد من هذا أنها تشتق من الأسماء الأعجمية ؛ كما اشتق رؤبة سختيتا من السخت فى قوله :

هل ينجينى حلف سختيت

أو قضة أو ذهب كبريت(١)

فسختيت اشتـق من السخت ، وهى كلمة فارسية بمعنى قوى . وأورد أيضا الاشتقاق من الدرهم - وهو فى الأصل أعجمى (٢) - فحكى

---

(١) ذهب كبريت ، أى : ذهب أحمر .

(٢) نقله العرب عن الفارسية . ولا يزال الدرهم فى النقد اليونانى . وهو عندهم دراخمى DRACHME

عن ابن الأعـــرابى أنه يقـال : درهمت الخبازى(١) أى صارت مستديرة كالدراهم . ويقول ابن جنى : « فاشتق من الدرهم ـ وهو اسم أعجمى ـ وحكى أبو زيد : رجل مدرهم . قال : ولم يقولوا منـه : دُرْهم ؛ إلا أنه إذا جـاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل فى الكف » .

والموطن الثالث فى « باب(٢) فى امتناع العرب من الكلام بما يجوز فى القياس » . فقد أورد فيما يجوز فى القياس ولم يرد به الاستعمال : « رجل مدرهمّ ، وهو يقول : « وعما يجوز فى القياس ، وإن لم يرد به استعمال ، الأفعال التى وردت مصادرها ورفضت هى ؛ نحو قولهم : فاظ الميت يفيظ فيظا وفوظا ، ولم يستعملوا من فوْظ فعلا ؛ وكذلك الأين للإعياء ، لم يستعملوا منه فعلا(٣) . قال أبو زيد : وقالوا : رجل مدرهم ولم يقولوا : دُرْهِـم . وحـدثنا أبو على ـ أظنه عن ابن الأعرابى ـ أنهم يقولون : درهمت الخبازى ، فهذا غير الأول .

وقالوا : رجل مفئود ، ولم يصرفوا فعله ، ومفعول الصفـة إنما يأتى على الفعـل ؛ نحو مضروب من ضُرب ، ومقتول من قُتل » .

ورجل مدرهَـم أى كثير الدراهم . ومفئود أى جبان ضعيف كأنه لا فؤاد له . وقد ورد فأده أى أصاب فؤاده ، فيـكون إطلاق المفئود على الجبان على التشبيه بمن أصيب فؤاده .

وقد يكون ابن جنى لم يصح عنده هذا الفعل ، ويريد بقوله : « فهذا غير الأول » أن « درهمت الخبازى » فيه الفعل مبنى للفاعل ، و « مدرهَم » من المبنى للمفعول . فمدرهم ليس من دَرهَم اللازم الوارد ، وإنما يكون من دُرْهِم الذى لم يسمع .

ويعنينى فى هـــذا البحث أن أبين أن الوصف قد يرد فى اللغة ، ولا يسوغ مع هذا استعمال الفعل . فإذا رأينا فى المعاجم أو فيما صح فى العربية وصفا فلا ينبغى أن نبادر إلى أخذ الفعل منه واستعمـاله ، ومن الخـير أن نتثبت ونحتاط فى الأمر ، فلعل بعض الموانع يقوم فى وجه الفعل .

١ ـــ فقد يكون الوصف غير جار عـلى فعله . ويعبر عنه النحويون بأن يأتى على وجه النسب . وأكثر ما يكـون ذلك فى اسم الفاعل ويقل أن يأتى فى اسم المفعول . وذلك أن الوصف إذا خرج مخرج النسب فقياسه (٤)

---

(١) هى من النبات . ومن لغاتها الخبيز . وهى معروفة فى مصر بهذا الاسم الأخير .
(٢) ص ٣٩١ وما بعدها .
(٣) أثبت أصحاب المعاجم للفوظ والأين فعليهما .
(٤) الاقتضاب ١٦٠ . وانظر الخصائص ١ / ١٥٢

أن يجيء المفعول منه على صيغة لفظ الفاعل، ألا تراهم قالوا : عيشة راضية ومعناه : مرضية ، وماء دافق ومعناه مدفوق .

وإنما لزم أن يجيء المفعول من هذا الباب على صيغة لفظ الفاعل لأن الفعل ينسب إليه كنسبته إلى الفاعل ، فيقال : رجل ذو رضا وعيشة ذات رضا ، ورجل ذودفق وماء ذودفق.

فلما تساويا فى نسبة الفعل إلى كل واحد منهما على صورة واحدة وجب أن تكون صيغة اسميهما واحدة . ونظير تساوى الفاعل والمفعول فى الاسم المصوغ لهما ـ لتساويهما فى الفعل المسند إليهما ـ تساويهما فى الإعراب حين تساويا فى إسناد الحديث إليهما . فقالوا : ضُرِب زيد فرفعوه وهو مفعول حين حدثوا عنه كما يتحدث عن الفاعل . وكذلك مات زيد وضُرِب الضرب ، والضرب لا يُضْرَب . وعلى هذا المجرى كلام العرب :

قال علقمة :

فظل الأكف يختلفن بحانذ
إلى جؤجؤ مثل المداك المخضب(١)

يريد : اللحم المحنوذ .

وقال آخر :

لقد عيل الأيتام طعنة ناشره
أناشر لازالت يمينك آشره(٢)

أى مأشورة .

ومن أمثلة ما جاء للنسب على صيغة فاعل : لابن وتامر: أى ذولبن وذو تمر . وتائج أى ذو تاج ، ولا يستعمل من هذه الأوصاف فِعل ، فلا يقال : لَبَنَ ولا تَمَرَ ولا تَاجَ .

ومما جاء على فاعل للنسب ومعناه المفعول : فاقد(٣) فى معنى مفقود ، والساحل ، وإنما هو مسحول لأن الماء سحله أى قشره ، ودابة حاسر أى حسرها السير .

ومما ورد على مفعول للنسب قولهم : مكان مأنوس . وفى اللسان : « إنما هو على النسب . لأنهم لم يقولوا : أَنَسْتَ المكان ولا أَنِسْتُه . فلما لم نجد له فعلا وكان النسب يسوغ فى هذا حملناه عليه . قال جرير :

حى الهدملة من ذات المواعيس
فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس (٤)

---

(١) قبله : فقلنا ألا قد كان صيد لقانص فجوا علينا فضل برد مطنب

والجؤجؤ : الصدر . والمداك : الصخرة يسحق عليها الطيب . يقول : إنه ظفر بصيد ، فأمر الغلمان أن ينصبوا خباء يستظلون به ، وشووا الصيد فاختلفت أكفهم إليه ظافرة بالحنيذ منه الواصل إلى صدر المصيد ، وجعل الصدر بما عليه من الودك كالمداك إذا خضب بالطيب .

(٢) ناشرة من بنى تغلب قتل همام بن مرة فى يوم واردات . وانظر التعليق على الخصائص ١/١٥٢

(٣) المخصص ١٥/٧٠ و ١٦/١٢٨

(٤) الهدملة وذات المواعيس والحنو : مواضع .

ومن هذا حجاب مستور، ورجل مرطوب ، ومكان مهول ، وجارية مغنوجة .

ذكر أبو حيان فى البحر [1] أن هذه الأوصاف جاءت على النسب فى بعض الأوجه ، وهو يقول : « والظاهر إقرار ( مستورا ) على موضوعه من كونه اسم مفعول أى مستورا عن أعين الكفار فلا يرونه ، أو مستورا به الرسول عن رؤيتهم ، أو نسب الستر إليه لما كان مستورا به . قاله المبرد ، ويئول معناه إلى أنه ذو ستر ، كما جاء فى صيغة لابن وتامر أى ذو لبن وذو تمر . وقالوا : رجل مرطوب أى ذو رطوبة ، ولا يقال : رَطبته . ومكان مهول أى ذو هول وجارية مغنوجة ، ولا يقال : هُلت المكان ولا غَنجْت الجارية . وقد أنكر بعض اللغويين أن يقال : أمر مهول ، وإنما يقال : هائل .

ومن ورود الصفة المشبهة على معنى النسب نَهِر أى يعمل بالنهار ، قال الراجز .

لست بليلى ولكنى نهرْ
لا أدلج الليل ولكن أبتكرْ [2]

ومن هذا دنف عند سيبويه ، وفى المخصص ٦٦/٥ : « سيبويه : أدنف ولا يقال : دنِف ، وإن كانوا قد قالوا : دنف يذهب به إلى النسب» . وقد أثبت غير سيبويه دنِف : أى مرض فعلا .

٢ — وقد يرد اسم المفعول مع الفعل اللازم ، ولا يرد فعله المتعدى . ولا يسوغ لنا حينئذ صوغ المتعدى ، استغناء باللازم ، وقد نص ابن جنى وغيره على أنه إذا طرح فعل للاستغناء عنه بآخر لا يجوز استعمال ما هجرته العرب ، فإن ما اطرحته العرب يجب اطراحه .

وعقد ابن جنى فى الخصائص بابا [3] فى الاستغناء بالشىء عن الشىء ، صدره بقوله : « قال سيبويه : واعلم أن العرب قد تستغنى بالشىء عن الشىء ، حتى يصير المستغنى عنه مسقطا من كلامهم البتة » .

وأكثر ما يكون هذا الضرب فيما دل على داء أو عيب .

وقد جاء فى اللغة من هذا قدر صالح . فمنه : مأدور ومضعوف ومحرور ومأبوت ، وأرض مرشوشة .

فمأدور فعله الوارد أدِر الرجل أى انتفخت خصيته . والوصف الجارى على الفعل

(١) ج ٦ ص ٤٢
(٢) انظر كتاب سيبويه ٢/٩١
(٣) ج ١ ص ٢٦٦

آدر . ويقال : رجل مضعوف إذا كان فى عقله ضعف ، ولم يأت منه فعـــل متعد . ويقـال : رجل محرور أى حرّان .

وفى اللسـان : « والحـرير المحرور الذى تداخلته حرارة القيظ وغيره ، وفعله لازم ، يقال : حـرِرت تحـرّ . ولا يقال : رجـل مأبوت أى محرور وإنما يقال : أبت اليوم ، كسمع ونصر وضرب ، أى اشتد حره ، وقد انفـرد القاموس بذكر مأبوت ولم يرد فى اللسان : وأرض مرشـوشة : أصابها رش وهو أول المطر .

ولايقال: بعير معجوف أى أعجف هزيل غير سمين ، وإنما يقال : عجف ؛ كفرح وكـرم . ويقال : بعـــير مغيوم ، أى به الغيم ، وهو داء يصيب الإبل ، كالقُلاب وهو وجع القلب . ولا يقال: يوم مغيوم أى فيه غيم . ومما ورد فيه قول علقمة الفحـل فى قصيدة مفضليته يصف الظليم :

حتى تذكر بيضات وهيجه

يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم

يذكر أن الظليم ـ وهو ذكر النعام ـ كان يرعى ، فلما أرذّت السماء تذكر بيضاته . وكان تركها فى الأدحىّ ، وخشى أن يضرها المطر ، فهيجه ذلك إلى الرواح ليدرك بيضاته ، ووصف يوم الرذاذ بأنه مغيوم ، وإنما يقال : غامت السماء وغيمت ، ولم يأت منه المتعدى .

وهنا يعن للباحث أن يسأل :

ما بـال العرب صاغت اسـم المفعول مع الفعـل اللازم ؟

ويبدو لى فى الجواب أن العرب يذهبون فى نحو مضعوف إلى أنه مصاب بالضعف مرمى به ، فهذا فيه معنى غير ما فى معنى ضعيف ؛ كما قالوا فى قول النابغة يصف ناقة :

مقذوفة بدخيس النحض بازلها

له صريف صريف القعو بالمسد

إن المعنى أنها مرمية باللحم . وفى اللسان (قذف) : « ويقال : قُـذِفت الناقة باللحم قذفا ، ولُـدِست به لَدْسا ، كأنها رُميت به رميا فأكثرت منه » .

فأدرر : مصـاب بالأدرة ، ومحرور : مصاب بالحرة ، وهكذا .

وقد أشار اللغويون إلى هذا المعنى . فيقول ابن سيده فى المحكم (ج ر د) ، ونقله صاحب اللسان : « فأما ما حكاه أبو عبيد من قولهم أرض مجرودة من الجراد فالوجه عندى أن يكون : مفعولة من جردها الجراد ، كما تقدم . والآخر أن يعنى بها كثرة الجراد ؛ كما قالوا :

أرض موحوشة : كثيرة الوحش فيكون على صيغة مفعول من غير فعل إلا بحسب التوهم كأنه جردت الأرض ، أى حدث فيها الجراد أو كأنها رميت بذلك» . ومن هذا كان الأصل فى الباب للعيوب والأدواء .

وقد يحمل ضد العيب على العيب فيصاغ اسم المفعول مع الفعل اللازم ، ومن هذا ـ عندى ـ مكان مأنوس ، جاء على مكان موحوش وأرض موحوشة إذ كان ضده . وحمل الضد على الضد مألوف فى العربية . ومنه قولهم : عدوة بالتأنيث حملا على ضده صديقة ، ولولا هذا لما ساغ التأنيث ، كما لا يقال فى صبور : صبورة . ومما جاء من هذا الباب قول الشاعر :

إذا رضيت على بنو قشير
لعمر الله أعجبنى رضاها

فقد عدى رضى بـ «على» حملا على ضده سخط ، والمألوف أن يعدى بـ «عن» ، كما فى قوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

ومن باب مأنوس قولهم : رجل ملبوب ، أى موصوف باللبابة والعقل ، جاء على صيغة ضده : مضعوف ، وفعله لبيت وليبت أى من باب كرم وفرح .

ومما جاء على أصل الباب ـ وهو العيوب وما جرى مجراها ـ قول الفقهاء للعبد : مرقوق أى مصاب بالرق ، وإنما يقال : رق العبد ، ولا يقال : رقه مالكه . وفى شفاء الغليل : « استعمله الفقهاء . وقالوا : لم يسمع عن أئمة اللغة رقه حتى يشتق منه مرقوق . وردّ بأن الأزهرى حكى عن ابن السكيت أنه جاء عبد مرقوق ، وهو ثقة » .

ويكثر هذا الضرب فى الثلاثى ، ويقل فى غيره : أن يرد اسم المفعول مع الفعل اللازم .

ومما جاء من غير الثلاثى قولهم : ألفجَ الرجلُ أى أفلس . جاء الوصف على ملفج بكسر الفاء على الأصل . وجاء أيضا ملفج بفتح الفاء . وفى الحديث : أطعموا ملفجيكم أى فقراءكم . فالملفج جاء على صيغة اسم المفعول ، ومعناه : المصاب بالإلفاج .

ومنه قولهم : أسهب الرجل أى أكثر الكلام . يجىء الوصف منه على مسهب بكسر الهاء على الأصل . وجاء أيضا مسهب بفتح الهاء .

وفى اللسان : « قال ابن برى : قال أبو على البغدادى : رجل مسهب ـ بالفتح ـ إذا أكثر الكلام فى الخطأ . فإن كان ذلك فى صواب فهو مسهب بالكسر لا غير » .

وكأن رأى أبى على القالى هو الذى اعتمد عليه الأعلم الشنتمرى فى جوابه على سؤال سلطان الأندلس المعتمد بن عباد فى الفرق بين الصيغتين .

وانظر نفح الطيب ( الباب السابع ج ٢ ص٣٨٣ من الطبعة الأزهرية ) وكتاب « ليس فى كلام العرب » ص ١٣ بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار .

ومن هذا قولهم : أجرأشّت الإبل إذا سمنت وامتلأت بطونها . ويقال : إبل مجرأشّة على صيغة المفعول . وكأن مأتى هذا أن رجلا سمنت إبله فقال سمنها داء فصاغ الفعـــل على هـذا .

وقد عد من هذا الباب أحصَن الرجل فهو محصن . وهذا عند التحقيق ليس مـــنه ، فإنه يقال : أحصن الرجل ـ لازما ـ أى تزوج أو عفّ ، والوصف محصِن بكسر الصاد . ويقال أيضا : أحصن الرجل نفسه فهو محصن . وهكذا يقال فى المرأة . والأصل فى هذا : الحصن أى العفة والتصون ، والحـاء فى الحصن مثلثة . وأذكر بذكر الحصن ـ وهو النزاهة عن الريبة ـ محاورة (١) بين بنت وأمها .

فقد قصت البنت على أمها ـ بتبجح ـ بتصونها أنها لقيت شابا فخشت فى وجهه التراب كيلا يطمع فيها . فقالت لها أمها المجربة الحكيمة : كان الخير لك ألا تعرضى له وأن تتجنبيه البتة . وهذا معنى ما جرى بينهما . فأما لفظه فقد قالت البنت :

«يا أمتى أبصرنى راكب
يسـير فى مسحـنفر لاحب
مازلت أحثو التراب فى وجهه
عمدا وأحمى حوزة الغائب !»

فقالت أمها :

« الحصن أدنى ـ لو تأيته ـ
من حثوك التّرب على الراكب!»

تأيته : قصدته . والمسحنفر : الواسع . واللاحب : الطريق الواضح .

٣ ـ وقد يأتى اسم المفعول من اللازم حملا على ما هو فى معناه أو ضده من المتعدى .

وقد حمل بعضهم على هذا معكوفا فى قوله تعـالى فى سورة الفتح : « هم الذين كفروا وصـدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله » . معكوفا : أى محبوسا ،

وينكر بعضهم ورود عكفه أى حبسه ، فيجعل صوغ معكوف من اللازم لأنه فى معنى محبوس. ويرى بعضهم ورود عكفه ، فلا يحتاج إلى هذا التأويل . ومن هذا قولهم : رجل مفروح من فرح اللازم حملا على ضـده : محزون ، وقـــولهم : رجل مبخوت ومجدود حملا على ضدهما : محروم .

٤ ـ وقد يأتى اسم المفعول من الفعـل اللازم على حذف الصلة ، ويعرف هذا عندهم بالحذف والإيصال . ومن هذا الضرب قولهم : أمر مشترك أى مشترك فيه . وفى المصباح : « وطريق مشترك بالفتح ، والأصل مشترك فيه . ومنه الأجير المشـترك ، وهو الذى لا يخص

(١) انظر اللسان فى ( أيا ) .

أحدا بعمله ، بل يعمل الكل من يقصده بالعمل؛ كالخياط فى مقاعد الأسواق » . ومنه ـ عند ابن جنى (١) ـ المبروز فى قول لبيد :

فكأن معروف الديار بقادم
فبراق غول فالرجام وشوم
أو مذهب جدد على ألواحه
الناطق المبروز والمختوم

قادم وبراق غول والرجام : مواضع . والوشوم جمع الوشم ، والمذهب : اللوح المطلى بالذهب ، وجدد جمع جدة وهى الطريقة ، والمبروز : المظهر المشهود ، والمختوم : الغامض . يريد بالمبروز الخط الواضح والمختوم الخفى منه . شبه المعروف من آثار الديار بالوشوم أو باللوح الذى فيه كتابة ، بعضها واضح وبعضها خفى . ويقول ابن جنى : « أى المبروز به ، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير فاستتر فى اسم المفعول » .

وجعل ابن جنى من هذا الباب موثوقا فى قول بشر بن أبى خازم :

لئن شبت الحرب العوان التى أرى
وقد طال إبعاد بها وترهب
لتحتملنْ بالليل منكم ظعينة
إلى غير موثوق من العز تهرب

ويقول ابن جنى : « أى موثوق به ، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير فاستتر فى اسم المفعول » .

٥ ـ وقد وردت فى اللغة ألفاظ على صيغة اسم المفعول ـ على غير الوجه فيها ـ عرض لها العلماء . فمن هذا قولهم فى المثل : كل مُجْرٍ فى الخلاء مُسَرٌّ . قال ابن سيده ، كما فى اللسان ( سرر ) : « هكذا حكاه أفتار بن لَقيط ، إنما جاء على توهم أسر ؛ كما أنشد الآخر فى عكسه :

وبلد يغضى على النعوت
يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد : المثبت ، فتوهم ثَبَتَه ، كما أراد الآخر : المسرور ، فتوهم أسرّه » .

وقد نسب ابن سيده حكاية المثل إلى أفار لأن المعروف فيه : كل مجر فى الخلاء يُسر ، وهذا واضح لا شىء فيه .

وقوله فى البيت « كإغضاء الروى » : ضبط فى اللسان بضم راء الروى . والظاهر أنه الروا بكسر الراء مقصور الرواء ، وهو الحبل يشد به الرحل .

ويريد بالبلد صحراء مبهمة .

وقوله : يغضى على النعوت أى لا ينفع السائر فيه أن ينعت له ويوصف طرق السير فيه ، فهو يغضى ولا يستجيب لذلك .

---

(١) انظر الخصائص ١/١٩٣

ومن هذا محصول الشيء للحاصل منه . وفى شفاء الغليل ( حرف الميم ) : « محصول بمعنى غلة ليس مولدا ، كما توهم . قال ابن يعيش : مفعول يكون اسما ؛ كمعقول بمعنى العقل ومحصول بمعنى الحاصل ، وهو البقية . إنتهى . قلت : أو مفعول للنسبة » .

ويقول الزمخشرى فى أساس البلاغة : « وهذا محصول كلامه ومحصول مراده . وفيه وجهان : أحدهما أن يكون مصدرا ؛ كالمعقول والمجلود ، وضع موضع الفاعل ؛ كما وضع صوم وفطر موضع صائم ومفطر ، والثانى أن يقال : حصّله بمعنى حصّله من قول العباس بن مرداس :

يا جسر إن الحق بعد حصله
له فضول يهتدى بفضله
يبينه الجاهل بعد جهله » .

هذا كلام الزمخشرى . والظاهر أن « حصّله » فى الشعر بمعنى حصوله ، مصدر حصل اللازم ، وهذا كالسكت والسكوت لسكت اللازم .

وفى مستدرك مادة ( س ق ط ) من التاج : « وفى الحديث : مر بتمرة مسقوطة . قيل : أراد : ساقطة ، وقيل : على النسب أى ذات سقوط . ويمكن أن يكون من الإسقاط ، مثل أحمّه الله فهو محموم » .

وفى شفاء الغليل : « مسقوطة بمعنى ساقطة ليس بخطأ .

وفى البخارى : مر بتمرة مسقوطة ، قال الشراح : القياس ساقطة ، لكنه قد يجعل اللازم متعديا بتأويل . وقد يقال : سقط جاء متعديا بدليل « سُقط فى أيديهم » وكأنه يريد بالتأويل التضمين ، فيضمّن سقط معنى رمى أو ألقى . ولا دليل فى قوله تعالى « سُقط فى أيديهم » على التعدى ؛ فإن الفعل مسند إلى الصلة ، ويستوى فى هذا اللازم والمتعدى .

وفى مقاييس اللغة لابن فارس : « الفاء والكاف واللام كلمة واحدة . وهى الأفكل : الرعدة . ويقولون : لا يبنى منه فعل » .

وفى شرح القاموس : « وقال ابن فارس : ويقولون : لا يبنى منه فعل ، وليس كذلك لأنهم قالوا : (مفكول) ، وتراه استدل على بناء الفعل منه بمجىء اسم المفعول ، فكأنه يرى أن مجيئه مؤذن بمجىء الفعل على ما اشتهر . وقد يكون مفكول أتى كما جاء مضعوف ومحرور أى مصاب بالأفكل ، فلا يسوّغ لنا ذلك بناء الفعل ، كما تقدم ، فلا يصلح كلام الزبيدى ردا على ابن فارس إلا إذا عنى بعدم ورود الفعل ما يشمل عدم ورود ما تصرف منه » ؟

# بحث فى علم الاشتقاق

لعبد الله افندى أمين

---

عرف كثير من العلماء : المتقدمين والمتأخرين علم الاشتقاق، و بينوا أقسامه ، واختلفوا فى تعريفه، وفى بيان أقسامه بعض الاختلاف ، وألف بعضهم فيه كتبا لم يبق منها إلا رسائل قليلة صغيرة ، ضاقت بمباحثه العويصة ذَرْعا ، وقصرت عنه بوعا ، وعُنِيتُ بدراسته منـذ أكثر من عشر سنين ، أيام كنت عضوا فى أحد المجـامع اللغوية المصرية ، ونشرت فيـه حينئذ كلمات فى صحيفة المعلمين فى سنتى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ ولا أزال معنيا به للآن ، وجمعت مباحثه فى كتاب واحد . وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت فى جمعها ولو بعض التوفيق . أما التعريف والأقسام والمباحث التى ارتضيتها فاليك بيانها بايجاز :

التعريف : الاشتقاق : أخذ كلمة من كلمة أو أكثر ، مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه فى اللفظ والمعنى .

الأقسام : أقسام علم الاشتقاق التى يشملها هـذا التعريف أربعة أقسام : صغير ، وكبير ، وكُبّار ، وكُبّار .

فالاشتقاق الصغير : هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير فى الصيغة ، مع تشابه بينهما فى المعنى، واتفاق فى الأحرف الأصلية وفى ترتيبها، مثل ضرب ، و يضرب، واضرب، وضارب، ومضروب، وضروب، وضرّاب، ومضرب، من الضرب .

والاشتقاق الكبير ، هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير فى ترتيب بعض أحرفهما ، مع تشابه بينهما فى المعنى : واتفاق فى الأحرف ، مثل : لكم ، وكلم ، وملك ، وكمل ، ويسمى قلبا .

والاشتقاق الكُبّار : هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير فى بعض أحرفهما مع تشابه بينهما فى المعنى ، واتفاق فى الاحرف الثابتة، وفى مخارج الأحرف المغيرة أو صفاتها ، أو فيهما معا، مثل : القرد والقصد، والهرب والترب ، وعنوان الكتاب وعلوانه ، ويسمى إبدالا .

والاشتقاق الكُبّار: هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر، مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه فى اللفظ والمعنى معا، مثل : "عبشمى" من "عبد شمس" و"حولق" من " لاحول ولاقوة إلا بالله " ، ويسمى نحتا .

وهذه الأقسام الأربعة ليست سواء فى السهولة والصعوبة ، وإنما هى على وَفْق ترتيبها هنا ، أولها أسهلها ، ورابعها أصعبها ، فهى أسهل وسهل ، وصعب وأصعب ؛ ولذلك وصفت بالصغير والكبير والأكبر أوالكبار والكبّار لأن الصغير أقل من الكبير ، والكبير أقل من الكُبار ، والكُبار أقل من الكُبّار .

وهناك قسم مقدم على هذه الأقسام فى الترتيب، وهو "أصل المشتقات"، فتكون أقسام هذا العلم خمسة ، وتحت كل قسم منها مباحث .

وسأوجز الكلام فى هذا المقال على هذا القسم ، وهو " أصل المشتقات " ، فأقول :

## القسم الأول

## فى أصل المشتقات ، وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول — فى أن أصل المشتقات المصدر ، كما قال البصريون ، لا الفعل ، كما قال الكوفيون . وإذ كان الإمام الجليل : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبى سعيد الأنبارى النحوى ، رضى الله عنه ، قد ساق فى المسألة الثامنة والعشرين ، فى الصفحة الثانية بعد المائة ، من كتابه المسمى " الإنصاف، فى مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين " المطبوع

فى ليدن سنة ١٩١٣م، آراء البصريين والكوفيين فى أصل المشتقات، وموازن بينها، ولم يدع فيما جاء به مقالا لقائل، فإنى اكتفيت فى هذا المبحث بما كتب، ونقلته عنه وعوّلت عليه . وإنى لأرجو ممن يعنيهم الأمر الرجوع اليه .

المبحث الثانى — فى أن العرب اشتقت من أسماء المعانى، من غير المصادر، كما اشتقت من أسماء المعانى المصدرية، فاشتقوا من أسماء العدد، وهى أسماء معان جامدة اشتقاقا صريحا مطردا ؛ ففى لسان العرب "ويقال وَحّده وأحّده، كما يقال ثنّاه وثلّثه ل[1] — ٤ — ٤٦٢ — ٥ — ابن سيده : وحِد ووَحُد وَحادَة وحِدة ووَحْدا وتوحّد بقى وحده يطرد إلى العشرة عن الشيبانى — ل — ٤ — ٤٦٢ — ١٣". وفيه "وثنّيته تثنية أى جعلته اثنين ل — ١٨ — ١٢٤ — ٤ من تحت . وإذا فعل الرجل أمرا ثم ضم إليه أمرا آخر، قيل ثنى بالأمر الثانى يثنى تثنية — ل ١٨ — ١٢٥ — ٣". وفى المخصص لابن سيده "ويقال ثَلَثْت القوم أثلثهم ثَلْثا بكسر اللام : إذا كنت لهم ثالثا . أبو عبيد : كانوا ثلاثة فربعتهم، أى صرت رابعهم، وكانوا أربعة فخمستهم إلى العشرة، وكذلك إذا أخذت الثلث من أموالهم قلت ثلثتهم ثلثا . وفى الربع ربعتهم إلى العشر مثله . فاذا جئت إلى يفعل قلت فى العدد يثلث ويخمس إلى العشرة، وفى الأموال يثلث ويخمس إلى العشر، إلا ثلاثة أحرف فإنها بالفتح فى الحدين جميعا : يربع ويسبع ويتسع م[2] — ١٧ — ١٢٩ — ١ " . وفى اللسان "وعشرنت الشىء جعلته عشرين، نادر للفرق الذى بينه وبين عشرت — ل — ٦ — ٢٤٦ — ٣" . وفى المخصص "كانوا تسعة وعشرين فثلثتهم : أى صرت لهم تمام ثلاثين، وكانوا تسعة وثلاثين فربعتهم، مثل لفظ الثلاثة والأربعة . وكذلك جميع العقود إلى المائة، فاذا بلغت المائة قلت كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم، مثال أفعلتهم . وكانوا تسعمائة وتسعة وتسعين فألفتهم ممدودة، وكذلك إذا صاروا هم كذلك قلت

---

(١) اللام : رمز لمعجم لسان العرب، والعدد الأول لرقم الجزء، والعدد الثانى لرقم الصفحة، والعدد الثالث لرقم السطر .

(٢) الميم : رمز للمخصص .

قد أمأوا، وآلفو ، مثال أفعلوا : أى صاروا مائة وألفا م — ١٧ — ١٢٩ — ١١".
ففى هذه النصوص إما نص صريح باطراد الاشتقاق من أسماء العدد ؛ و إما ضوابط للاشتقاق ، لا تكون إلا فى الشيء المطرد .

واشتقوا من أسماء الأزمنة ، وهى أسماء معان جامدة ، اشتقاقا صريحا ، يكاد يكون مطردا ، إذ قلما تجد اسم زمان لم تشتق العرب منه أفعالا ، ففى اللسان "وأخرف القوم دخلوا فى الخريف ، وإذا مطر القوم فى الخريف قيل قد خُرفوا ل — ١٠ — ٤٠٩ — ٨ من تحت" ، وفيه " وشتوت بموضع كذا وتشتيت أقمت به الشتاء ، وهذا الذى يشتينى أى يكفينى لشتائى ل — ١٩ — ١٤٩ — ٧" . وفيه " وأربع القوم : دخلوا فى الربيع ، وقيل أربعوا صاروا إلى الريف والماء ، وتربع القوم الموضع وبه وارتبعوه أقاموا فيه زمن الربيع — ل — ٩ — ٤٦٠ — ٦ من تحت" ، وفيه "وأصاف القوم دخلوا فى الصيف، وصافوا بمكان كذا أقاموا فيه صيفهم وصفت بمكان كذا وكذا وصفته وتصيفته وصيفته — ل — ١١ — ١٠٣ — ٥ من تحت " ، وفيه " وأبجروا دخلوا فى الفجر ، كما تقول أصبحنا من الصبح ل — ٦ — ٣٥١ — ٢ " ، وفيه " وأشرق القوم دخلوا فى وقت الشروق ، كما تقول أبجروا وأصبحوا وأظهروا — ل — ١٢ — ٤١ — ٧ من تحت " ، وفيه " وأظهرنا دخلنا فى وقت الظهر كأصبحنا وأمسينا فى الصباح والمساء ل — ٦ — ٢٠٠ — ٧ من تحت " ، وفيه " وأعصرنا دخلنا فى العصر ل — ٦ — ٢٥٢ — ٥ من تحت " ، وفيه " وآصلنا دخلنا فى الأصيل ل — ١٣ — ١٧ — ٣ " ، وفيه " وفى الحديث أنه عليه السلام كان فى سفر فاعتشى فى أول الليل أى سار وقت العشاء ، كما يقال استحر وابتكر ل — ١٩ — ٢٨٩ — ١٦ " ، وفيه " وساوعه مساوعة وسواعا استأجره الساعة أو عامله بها — ل — ١٠ — ٣٤ — ٢ " . وفيه : " وأيلوا دخلوا فى الليل ، ولايلته ملايلة وليالا استأجرته لليلة عن اللحيانى ، وعامله ملايلة من الليل ، كما تقول مياومة من اليوم — ل — ١٤ — ١٣٠ — ٨" . وهكذا إذا تتبعت جميع أسماء الأزمنة ، فقلما تجد منها اسما لم تشتق منه العرب أفعالا .

المبحث الثالث — فى أن العرب اشتقوا من أسماء الذوات كما اشتقوا من اسماء المعانى من المصادر ومن غيرها، فمن أسماء الذوات التى اشتقوا منها اشتقاقا صريحا أعضاء الجسم الظاهرة والباطنة، والاشتقاق منها مطرد، ففى لسان العرب "وأَذَنه آذنا فهو مأذون أصاب أذنه على مايطرد فى الأعضاء ، وأَذَّنه كأذنه ، أى ضرب أذنه ل — ١٦ — ١٤٩ — ٩ "، وفيه " ابن سيده : يدينه ضربت يده ، فهو ميدى ويُدِىَ : شكا يده على ما يطرد فى هذا النحو — ل — ٢٠ — ٣٠٣ — ١٦" ، وحسبنا هذان النصان دليلين على الاطراد، فتقول فى الرئة مثلا كما جاء فى اللسان : " ورأيته أصبت رئته ، وُرئى رأيا أشكى رئته غيره ، وأرأى الرجل إذا اشتكى رئته — ل ١٩ — ١٥ — ٣ من تحت "، وفى العين كما جاء فيه " والعين أن تصيب الإنسان بعين، وعان الرجل يعينه عينا فهو عائن، والمصاب معين على النقص ، ومعيون على التمام أصابه بالعين — ل — ١٧ — ١٧٦ — ٣ " ، وهكذا فى جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة للانسان والحيوان .

وأما فى غير الأعضاء من أسماء الذوات ، فالاشتقاق منها كثير كثرة يصدق عليه فيها أنه مطرد ، وقد نقلت عن كتب اللغة مئات الأسماء التى اشتقت العرب منها اشتقاقا صريحا ، وأكتفى فى هذا المقال بمُثُل قليلة، لضيق المقام، منها "وأبوت وأبيت صرت أبا ، وأبوته إباوة صرت له أبا — ل — ١٨ — ٨ — ٥ " و"المأبور من أبرته العقرب أى لسعته بابرتها — ل — ٥ — ٥٩ — ٧ من تحت" و"وتأبط الشىء وضعه تحت إبطه ، وتأبط سيفا أو شيئا أخذه تحت إبطه — ل ٩ — ١٢١ — ٦ من تحت "و"وأبّل الرجل بتشديد الباء وأَبَل : كثرت إبله ل — ١٣ — ٢ — ٢ من تحت " ، " والتأرض التثاقل إلى الأرض — ل ٨ — ٣٨١ — ١" و"ويقال أَتَّبتها تأتيبا فأتتبت هى أى ألبستها الإتب فلبسته ل — ١ — ٢٠٠ — ٢" و"ويقال آدمت الجلد بشرت أدمته — ل — ١٤ — ٢٧٦ — ١ " و" وجمع الإزار أُزُر، وأزرت فلانا إذا ألبسته إزارا ، فتأزّر تأزرا ل — ٥ — ٧٤ — ١١" و" وأَسِد الرجل استأسد صار كالأسد فى جراءته وأخلاقه — ل — ٤ — ٣٨ — ١٤ " و" وأَمَّتْ تَؤُمّ أمومة صارت أما

ل — ١٤ — ٢٩٥ — ٥" و "وآنثت المـرأة وهى مؤنث ولدت الإناث ل — ٢ — ٤١٧ — ٢ من تحت" و "واسـتأهل الرجل إذا ائتدم بالإهالة والمسـتأهل الذى يأخذ الإهالة أو يأكلها — ل — ١٣ — ٣٣ — ١٢ " . هذا ما يتسع له هذا الموجز، وفى الكتاب ما تضيق به المطولات .

المبحث الرابع — فى أن العرب اشتقوا من أسم الصوت، كما اشتقوا من اسم المعنى المصدرى، ومن اسم المعنى من غير المصادر، ومن اسم الذات؛ ففى الخصائص لابن جنى "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير ، المـاء وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبى، ونحو ذلك، ثم وُلِّدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندى وجه "صالح" ومذهب متقبل — الخصائص — ١ — ٤٤ — ١٨ " .

هـذا رأى بعض العلماء المتقدّمين فى أصل اللغات ، وهو رأى أئمة علماء اللغات فى العصر الحاضر من العرب والعجم ، أما أصول هـذه الأصوات فى اللغة العربية فثنائية ، خالية من اللين ، مثل طق ودق ، أو فيهـا لين لا يخرجها عن ثنائيتها ، مثل غاق وشيب . وقد تفرعت من هـذه الأصول الأفعال والأسمـاء الثلاثية فما فوقها بالزيادة ، غير أن علمـاء العربية المتقدّمين لم يُعْنوا برد أكثر الكلمات إلى أصولها ، فضاع أكثر هذه الأصول، وردها إليها الآن ممكن وإن كان فيه عسر ومشقة، وإليك بعض الأمثلة :

من الألفاظ التى تحكى بها الأصوات لفظ "صل" وهو حكاية صوت شىء يابس إذا حرك، وقد اشتق العرب منه الفعل الثلاثى (صلّ) للدلالة على هذا الصوت، فإن تكرر قالوا صلصل ففى اللسان " الليث : يقال صلّ اللجام إذا توهمت فى صوته

حكاية صوت (صل) فان توهمت ترجيعا قلت صلصل اللجام ، وكذلك كل يابس يصلصل ، وصلصلة اللجام صوته إذا ضوعف ، وحمار صلصل وصلاصل وصلصال ومصلصل : مصوّت ، قال الأعشى :

عنتريس تغذو إذا مسها الصو ت كغدو المصلصل الجوّال

وفرس صلصال حادّ الصوت دقيقه — ل ١٣ — ٤٠٥ — ٩".

وفيه " والصلصلة صفاء صوت الرعد ، وقد صلصل وتصلصل الحلى أى صوت . وفى صفة الوحى كأنه صلصلة على صفوان الصلصلة صوت الحديد إذا حرك ، يقال : صل الحديد وصلصل ، والصلصلة أشدّ من الصليل — ل — ١٣ — ٤٠٥ — ١٥".

ولما كان الصليل والصلصلة صوت الشىء الجاف اليابس إذا حرك ، وكان هذا الجاف اليابس مصدر هذا الصوت ، سمى الطين اليابس صلصالا لذلك ؛ وصلصال صفة من صلصل ، ففى اللسان "والصلصال من الطين ما لم يجعل خزفا ، سمى به لتصلصله ، وكل ما جف من طين أو خزف فقد صل صليلا ، وطين صلال ومصلال : أى يصوت ، كما يصوّت الخزف الجديد — ل — ١٣ — ٤٠٥ — ٨ من تحت" — وفيه "أبو اسحاق : الصلصال الطين اليابس الذى يصل من يبسه أى يصوّت . وفى التنزيل العزيز (من صلصال كالفخار) قال هو صلصال ما لم تصبه النار ، فإذا مسته النار فهو حينئذ فخار — ل — ١٣ — ٤٠٥ — ١ من تحت" .

وإذ كان للقطع صوت يحدث من انشقاق جسم ، سمى السيف القاطع صِلّا ، ففى اللسان "الأصلال السيوف القاطعة ، والواحد صل — ل ١٣ — ٤٠٦ — ١٠ من تحت" . وكذلك اشتق العرب اسم الحية من صوتها ، وهو صَل ، فسموها صِلا ، ففى اللسان "والصِل ، الحية التى تقتل إذا نهشت من ساعتها — ل — ١٣ — ٤٠٨ — ١٥".

(*)

وإذ كان الصـــل صوت الشيء اليابس إذا حرك ، وكانت العرب قد سمت بعض مباعث هذا الصوت بأسماء مشتقة منه ، وكانت هذه المباعث من الأشياء اليابسة الشديدة الجافة ، فقد اشتقوا من "صل" الصمل بمعنى اليبس والشدة . ففى اللسان "الصمل اليبس والشـــدة — ل — ١٣ — ٤٠٩ — ٨" واشتقوا من الصمل الصُّمُلُّ : للشديد الخلق من أشياء كثيرة ، وصرّفوا منه أفعالا ، ففى اللسان "والصُّمُلُّ الشديد الخَلْق من الناس والإبل والجبال ، والأنثى صُمَلَّةٌ . وقد صَمَل يَصمُل صمولا إذا صلب واشتد واكتنز ، يوصف به الجمل والجبل والرجل وقال رؤبة : عن صامل عاسٍ إذا ما اصلخما : يصف الجبل. والصُّمُلُّ ، الشديد الخلق العظيم ، واصمألَّ الشيء بالهمز اصمئلالا أى اشـــتد . وفى الحـــديث أنت رجل صمل بالضم والتشديد أى شديد الخلق ، واصمألّ النبات إذا التف ، وصَمَل الشجر ، إذا عطش نخشن ويبس — ل — ١٣ — ٤٠٩ — ٨" وفى معنى الشدة الصندل للشديد الخلق ، ففى اللسان "التهذيب : الصندل من الحمر الشـــديد الخلق الضخم الرأس — ل — ١٣ — ٤١٠ — ٩" وفى معنى الشدة اشتق صال يصول إذا سطا . ففى اللسان "صال على قرنه صولا وصيالا وصؤولا وصولانا وصالا ومصالة سطا — ١٣ — ٤١١ — ٦ — والمصاولة المواثبة ، وكذلك الصيال والصـــيالة ، والفحلان يتصاولان أى يتواثبان : الليث : صال الجمل يصول صيالا وصوالا ، وهو جمل صؤول ، وهو الذى يأكل راعيه ، ويواثب الناس فيأكلهم — ل ١٣ — ٤١١ — ١١" .

ومن حكاية الصوت "صل" اشتق الصَّحَل لُبحّة فى الصوت وليـــدة حدته . ففى اللسان "والصَّحَل : حدة الصوت مع بحح — ل ١٣ — ٤٠١ — ١٥ — صحل الرجل بالكسر ، وصحل صوته يصحل صحلا ، فهو أصحل وصحل ، بح ، ويقال فى صوته صحـــل أى بحوحه . وفى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وصفته أم معبد : وفى صوته صحل ، هو بالتحريك كالبُحة ، وألا يكون حادا . وحديث رقيقـــة فإذا أنابهـــا تف يصرخ بصوت صحل ، وحديث ابن عمر أنه كان رفع صوته بالتلبية حتى يصحل أى يبح — ل — ١٣ — ٤٠١ — ٩" .

ومن حكاية الصوت " صل " اشتق الصهيل لصوت الخيل، ففى اللسان "ابن سيده : الصهيل من أصوات الخيل صهل الفرس يصهل ويصهل صهيلا وفرس صهال كثير الصهيل . وفى حديث أم معبد "فى صوته صهل " : حدة وصلابة ، من صهيل الخيل وهو صوتها — ل — ١٣ — ٤١٠ — ٥ من تحت" وهذه الرواية تؤيد أن فى الصحل حدة وشدة .

*
* *

ومن الألفاظ التى تحكى بها الأصوات لفظ " قب " ففى اللسان " وقب قب حكاية وقع السيف — ل ٢ — ١٥٣ — ٣ من تحت " واشتق من قب هذا فعل ثلاثى للدلالة عليه ، فان تكرر هذا الصوت قالوا قبقب . وقد وردت هذه الأفعال للدلالة على أصوات مختلفة، ففى اللسان "قب القوم يَقبون قبا صخبوا فى خصومة أوتمار ، وقبّ الأسد والفحل يقبّ قبا وقبيبا إذا سمعت قعقعة أنيابه ، وقب ناب الفحل والأسد قبا وقبيبا كذلك : يضيفونه إلى الناب — ل ٢ — ١٥٠ — ٧ من تحت" واشتق منه فعل رباعى فيه معنى التكرار والترجيع ، ففى اللسان " وقبقب الأسد والفحل قبقبة : إذا هدر ، والقبقاب الجمل الهدار ، ورجل قبقاب وقباقب كثير الكلام أخطأ أو أصاب ، وقيل كثير الكلام مخلّطه ، وأنشد ثعلب : " أوسكت القوم فأنت قبقاب". وقبقب الأسد صرّف نابيه — ل — ٢ — ١٥٣ — ٥ — والقبقبة والقبيب صوت جوف الفرس ، والقبقبة والقبقاب صوت أنياب الفحل وهديره ، وقيل هو ترجيع الهدير — ل — ٢ — ١٥٣ — ٤ ".

ولما كان قب حكاية لصوت السيف إذا وقع وقطع ، استعمل قب فى معنى قطع ؛ ففى اللسان " وقبه يقبه قبا واقتبه قطعه ، وهو افتعل ل — ٢ — ١٥١ — ٤ — وخص بعضهم به قطع اليد ، يقال اقتبّ فلان يد فلان اقتبابا إذا قطعها ، وهو افتعال . وقيل الاقتباب ، كل قطع لا يدع شيئا — ل — ٢ — ١٥١ — ٧ ".

واشتق من قب قصب بمعنى قطع ، ففى اللسان " وقصب الشىء يقصبه قصبا واقتصبه قطعه والقاصب والقصّاب الجزار وحرفته القصابة ، فإما أن يكون من القطع ، وإما أن يكون من أنه يأخذ الشاة بقصبتها أى بساقها ل — ٢ — ١٦٨ — ٣ من تحت " ومنه اشتق قضب بمعنى قطع كذلك ، ففى اللسان " القضب القطع ، قضبه يقضبه قضبا واقتضبه وقضبه فانقضب وتقضب انقطع ل — ٢ — ١٧١ — ١٧"

واشتق منه قرصب بمعنى قطع ، ففى اللسان "قرصب الشىء قطعه ، والضاد أعلى ل — ٢ — ١٦٣ — ١٣ " وفيه " القرضبة شدة القطع قرضب الشىء ولهذمه قطعه ، وبه سمى اللصوص لهاذمة وقراضبة ، من لهذمته وقرضبته ، إذا قطعته . وسيف قرضوب وقرضاب ومقرضب قطاع . وفى الصحاح القرضوب والقرضاب السيف القاطع يقطع العظام ل — ٢ — ١٦٣ — ١٣ " .

ومن الألفاظ التى تحكى بها الأصوات لفظ "صخ" حكاية لصوت حادث من ضرب صخرة بصخرة ، وقد اشتق العرب من هذا الصوت الفعل الثلاثى صخ للدلالة على حدوثه ، ولم يرد من هذه المادة فعل رباعى يدل على التكرار والترجيع . فى اللسان " الصخ الضرب بالحديد على الحديد ، والعصا الصلبة على شىء مصمت . وصخ الصخرة وصخيخها صوتها إذا ضربتها بحجر أو غيره . وكل صوت من وقع صخرة على صخرة ونحوه صخ وصخيخ ، وقد صخت تصخ ل — ٤ — ٢ — ٣ " .

واشتقاق الصاخّة ، وهى الصيحة ، من هذا ، ففى اللسان " وقال أبو اسحاق الصاخّة هى الصيحة تكون فيها القيامة تُصخ الأسماع أى تُصمها فلا تسمع إلا ما تدعى به للإحياء ، وتقول صخ الصوت الأذن يصخها صخا ، وفى نسخة من التهذيب أصخ إصخاخا ل — ٤ — ٢ — ٧ " .

ومن حكاية الصوت "صخ" اشتق أصاخ بمعنى استمع وانصت ، ففى اللسان "أصاخ له يصيخ إصاخة استمع وأنصت لصوت . قال أبو دواد :

ويصيخ أحيانا كما اسـ  تمع المضلّ لصوت ناشد

وفى حديث ساعة الجمعة "ما من دابة إلا وهى مصيخة" أى مستمعة منصتة ل — ٤ — ٤ — ١ من تحت".

والصخر نفسه وهو مبعث هذا الصوت "صخ" مشتق منه بإلحام الراء فيه ، ففى اللسان "الصخرة الحجر العظيم الصلب ل — ٦ — ١١٥ — ٨" وقد اشتقوا من الصخر أفعالا ومشتقات ، ففى اللسان "ومكان صخر ومُصخر كثير الصخر ل — ٦ — ١١٥ — ١٢"، ويدل على أن الصخرة من "صخ" ما جاء فى اللسان وهو "والصاخر : صوت الحديد بعضه على بعض —ل—٦— ١١٥ —١٣".

واشتقوا من "صخ" الصراخ ، وهو التصويت ، ففى اللسان "الصرخة : الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة ، وقيل الصراخ الصوت الشديد ما كان ، صرخ يصرخ صراخا — ل — ٤ — ٢ — ٢ من تحت — الصارخ المستغيث ، والمصرخ المغيث، والمستصرخ المستغيث أيضا . وروى شمر عن أبى حاتم أنه قال "الاستصراخ الاستغاثة والاستصراخ الاغاثة" — ل —٤—٣ — ٣".

ومن "صخ" اشتق الصخب ، وهو الصياح والجلبة ، ففى اللسان "والصخب الصياح والجلبة وشدة الصوت واختلاطه ، وفى حديث كعب فى التوراة "محمد عبدى ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الأسواق" ، وفى رواية "ولاصخاب" . الصخب والسخب الضجة واختلاط الأصوات للخصام — ل — ٢ — ٩ — ٦ من تحت".

ومنه اشتق الصخد ، وهو من الأصوات : ففى اللسان "الصخد ، صوت الهام والصرد ، وقد صخد الهام والصرد يصخد صخدا وصخيدا ، صوّت ، وأنشد:
وصاح من الافراط هام صواخد" ل — ٤ — ٢٣١ — ١٣ " .

ومنه اشتق صماخ الأذن ، لأنه جزء من أداة السمع، التى تسمع الصوت المحكى بـ " صخ " ، وكذلك صملاخها ، ففى اللسان " الصماخ من الأذن الخرق الباطن الذى يفضى إلى الرأس ، تميمية ، والصماخ ، لغة فيه ، ويقال إن الصماخ هو الأذن نفسها — ل — ٤ — ٤ — ٣ — وصمخه يصمخه صمخا : أصاب صماخه ، وصمخت فلانا إذا عقرت صماخ أذنه بعود أو غيره — ل — ٤ — ٤ — ٨ " وفيه " الصملاخ والصملوخ وسخ صماخ الأذن ، وما يخرج من قشورها ، والجمع الصماليخ — ل — ٤ — ٤ — ١١ من تحت " .

* * *

فانظر كيف زادت العرب كل صوت من هذه الأصوات حرفا وأكثر ، وصرفت منه بهذه الزيادات صيغا من أفعال وأسماء مختلفة الأوزان ، مختلفة المعانى .

* * *

البحث الخامس — فى أن العرب اشتقت من الحرف، كما اشتقت من الاسم. وهذا ما يقضى بالعجب العجاب . لقد اشتقوا أفعالا من بعض الحروف ، ومن الأفعال يمكن اشتقاق جميع المشتقات ، ففى الخصائص لابن جنى ما يأتى :

"فان قلت : فهلا كان "نعم ، وبجل" مشتقين من النعمة والنعيم ، والبجال والبجيل ، ونحو ذلك ، دون أن يكون كل ذلك مشتقا منهما ، قيل : الحروف يشتق منها ولا تشتق هى أبدا . وذلك أنها لما جمدت فلم تتصرف ، شابهت بذلك أصول الكلام الأول ، التى لا تكون مشتقة من شىء ؛ لأنه ليس قبلها ما تكون فرعا له ، ومشتقة منه ، يؤكد ذلك عندك قولهم : سألتك حاجة فاوليت لى أى قلت لى "لولا" فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو) و (لا) — الخصائص — ١ — ٤٣٦ — ٣ " .

وفى اللسان "سوف : كلمة معناها التنفيس والتأخير ، قال سيبويه : سوف كلمة تنفيس ، فيما لم يكن بعد ، ألا ترى أنك تقول سوفته : إذا قلت له مرة بعد مرة سوف أفعل ، ولا يفصل بينها وبين أفعل ؛ لأنها بمنزلة السين فى سيفعل . ابن سيده . وأما قوله تعالى "ولسوف يعطيك ربك فترضى" اللام داخلة فيه على الفعل ، لا على الحروف . وقال ابن جنى : هو حرف ، واشتقوا منه فعلا فقالوا "سوفت الرجل تسويفا" قال ، وهذا كما ترى مأخوذ من الحرف ، أنشد سيبويه لابن مقبل :

لو ساوفتنا بسوف من تجنبها  سوف العيوف لراح الركب قد قنعوا

انتصب سوف العيوف على المصدر المحذوف — ل — ١١ — ٦٥ — ١١ — والتسويف التأخير من قولك سوف أفعل — ل — ١١ — ٦٥ — ٥ من تحت" .

وفيه "وعنعنة تميم" ابدالهم العين من الهمزة ، كقولهم "عن" يريدون "أن" وأنشد يعقوب :

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل  لآخرة لا بد عن ستصيرها

( — ل — ١٧ — ١٦٨ — ١٢ ) ٩

الجيزة فى غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ هـ الموافق ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٤

عبد الله أمين

# من قضايا جمع التكسير

للدكتور محمد ابو الفتوح شريف

بين يدى البحث :

يتفق اللغويون على أن جمع التكسير : هو الجمع العام الذى يدل على أكثر من اثنين أو اثنتين في العقلاء وغيرهم ، بتغيير ظاهر فى صيغة المفرد ، وقد يكون التغيير فى اللفظ مثل : رجل ورجال ، أو فى التقدير — على حد تعبير الصرفيين الذين مثلوا له بقولهم : فُلك وهِجان حيث اشترك الجمع هنا مع المفرد وزناً وصيغة ، فتطلق الفلك والهجان على المفرد والجمع ، لذا وجد الصرفيون أنفسهم أمام موقف صعب وضعوا أنفسهم فيه بالتعريف الذى اتفقوا عليه ، فاضطروا فى مثل تلك الأمثلة إلى القول بالتغيير المقدر . وأكتفى بالقول : إن العرب قد أطلقت بعض الألفاظ على المفرد والجمع دون تغيير ظاهر أو مقدر مثل : فلك وهِجان ودِلاص وكناز[1] .

ولعل الذى دفع الصرفيين إلى هـذا الافتراض هو رأى سيبويه[2] الذى اعتبر إمكان تثنية فُلْك على فُلكان[3] ، ويدل على أنها وأشباهها مثل : هذا هجان وهذان هجانان[4] كلمات مفردة ولا بد أن تحدث تغيير فى جمعها ، ولو كان التغيير متخيلا .

وقد رد فريق من العلماء على هذا الافتراض بأن هذه الكلمات ليست جموعاً ، وإنما تعتبر أسماء جموع وهى : كل اسم دل على أكثر من اثنين وليس له مفرد من لفظه أو معناه ، إذ يعتبر رأيهم هذا قريباً من المنهج الوصفى الذى ينأى عن التأويل والتقدير .

نعود إلى قضية التغيير الذى يحدث بين المفرد وجمع التكسير ، لنعرض أنواعه ، فنجد الصرفيين قد عدّوها سبعة ، يقرهم البحث فيها على ستة تغييرات ، ويرفض السابع لمجانبته المنهج الوصفى ، وهذه التغييرات التى عرضوها للتغيير الظاهر هى :

الأول : تغيير بالشكل فقط مثل : أُسْد جمعاً لأسد ، ووُثُن جمعاً لوثَن[5] :

---

(١) والهجان : كرام الإبل ، تقال للناقة والإبل ، ومنها كناز : كثيرة اللحم الصلبة ، ودلاص : ملساء لينة براقة . ويراجع كتاب سيبويه ٣/٦٣٩

(٢) الكتاب ٣/٥٧٧

(٣) التصريح ٢/٣٠٠

(٤) شرح الشافية ٢/١٣٥

(٥) الكتاب ٣/٥٧١ .

الثانى : تغيير بالزيادة فقط مثل : صِنوان وقنوان[1] جمعاً لصنو وقنو ؛ كقول القرآن : « وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان[2] » .

الثالث : تغيير بالنقص فقط مثل : تهُم وآى[3] جمعاً لتهمة وآية .

الرابع : تغيير بالشكل والزيادة مثل : رجال وأولاد جمعاً لرجل وولد ؛ وعليهما قوله تعالى : « من المؤمنين رجال[4] » ، وقوله جل شأنه : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق[5] » .

الخامس : تغيير بالشكل والنقص مثل : مدن وصُبُر جمعاً لمدينة وصبور .

السادس : تغيير بالشكل والزيادة والنقص مثل : مرضى وغربان جمعاً لمريض وغراب ، وعليه قول القرآن : « وإن كنتم مرضى أو على سفر »[6] .

السابع : وهو القسم الذى يجانب المنهج الوصفى ويرفضه البحث ، لأنه القسم الذى أوردوه تتمة للقسمة العقلية ، لكنهم قالوا: ليس له مثال — وهو : التغيير بالنقص والزيادة دون الشكل ، وسبب رفض البحث له أنه لا يوجد له مثال واحد فى الاستعمال اللغوى لذلك نعتبر تغييرات جمع التكسير التى تحدث عند تحويل المفرد إلى جمع ستة تغييرات فقط ، وليست سبعة .

* * *

**أولا : قضية القلة والكثرة فى جمع التكسير :**

اتفق الصرفيون على أن جموع التكسير قسمان : جموع قلة وجموع كثرة، والمدلول اللفظى لجموع القلة بطريق الحقيقة من ثلاثة إلى عشرة[7] ، وجموع الكثرة بطريق الحقيقة : ما جاوز العشرة إلى ما لا نهاية ، وقد اتفقوا[8] أيضاً على أن كلا منهما يستعمل مكان الآخر — مجازاً — إن كان للمفرد جمعا قلة وكثرة ، أما إذا لم يكن له إلا جمع قلة

---

(١) الصنو : إذا خرجت نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحد منها صنو ، والقنو : عذق النخلة الذى يجمع الشماريخ .

(٢) سورة الرعد / .

(٣) يمكن إدخال هذا القسم تحت : اسم الجنس الجمعى الذى يمتاز واحده عن جمعه بالتاء .

(٤) سورة الأحزاب / ٢٣

(٥) سورة الأنعام / ١٥١ (٦) سورة النساء / ٤٣

(٧) تستعمل الصيغ التى أسموها بأبنية القلة مع العدد أحيانا ، فإذا أفرد استوت الدلالة من حيث الكثرة والقلة . ويتضح هذا مع العدد إذ نقول : ثلاثة أشهر ، ونقول مع غيره : شهور ، جاء فى القرآن الكريم « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » سورة التوبة / ٣٦ كما نلاحظ أن صيغة « أفعل » حين ترد نكرة وغير مضافة يغلب أن تأتى مع العدد — وهو أقل من عشرة، وقد جاء ذلك فى موضعين من القرآن الكريم هما قوله تعالى من سورة التوبة: «أربعة أشهر » وقوله من سورة لقمان : « سبعة أبحر » فدلالة القلة قد اكتسبت من حيث العدد لا من حيث الصيغة .

(٨) الهمع ٢ / ١٧٤ والفيصل فى ألوان الجموع ص ٣٠

فقط ، أو جمع كثرة فقط فلا تجوز ؛ لأنه من قبيل المشترك .

وقد فرق الصرفيون[1] بينهما بأن جمع القلة : من الثلاثة إلى العشرة ، وجمع الكثرة من الثلاثة إلى ما لا يتناهى ، فالفرق بينهما من جهة النهاية لا من جهة المبدأ ، وعلى هذا الرأى تكون النيابة من جانب القلة عن الكثرة لا العكس .

واعتبر الصرفيون كذلك أن جموع القلة تكون فى نكرات الجموع ، أما معارفها فصالحة للقلة والكثرة باعتبار الجنس ، أو الاستغراق ، فما جاء معرفاً بالإضافة ويدل على الكثرة . ووزنه على بناء القلة « أفعال » قول القرآن : « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[2] » وقوله : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم »[3] وقوله : « ولا تسأل عن أصحاب الجحيم »[4] ، وعليه قول حسان بن ثابت :

لنا الجفنات الغر[5] يلمعن فى الضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة[6] دما

فكلمة أسياف — يراد بها الكثرة هنا .

وإذا نظرنا إلى القلة والكثرة[7] فى جموع التكسير نظرة واقعية بعيدة عن افتراضات الصرفيين ، وجدنا أن هذه القضية يمكن هدمها من أساسها ، فجموع التكسير نوع واحد لا نوعان ، وهذا هو الأقرب — فى رأيى — للمنطق وواقع الاستعمال ، حيث لم يتقيد المستعمل العربى الأول للغة العربية قديماً بما تخيله الصرفيون ، بدليل اعتراف علمائهم بأن بعض أبنية القلة قد استغنى بها عن بناء الكثرة ، فلا يوجد لأبنية مثل : أرجُل وأفئدة وأعناق ، وأوزانها على : أفعُل وأفعِلة وأفعال — قالوا : لا يوجد لها أوزان كثرة ، فاستعملوها للقلة والكثرة . وبدليل تقريرهم كذلك أن بعض أبنية الكثرة تغنى عن أبنية

---

(١) التصريح ٢/ ٣٠٠ والهمع ٢ / ١٧٤

(٢) سورة البقرة / الآية : ٨١

(٣) سورة البقرة / الآية : ٥٤

(٤) سورة البقرة / الآية : ١١٩

(٥) الجفنات الغر : القصاع المتلألئة .

(٦) النجدة : هى الشجاعة والقوة . والبيت بقصيدة من ديوان حسان بن ثابت ص ٢٩٦ وتراجع حاشية المقتضب ٢/ ١٨٦

(٧) جميع أبنية جموع التكسير تعتمد على السماع ، ولا مجال للقياس الدقيق فيها — من وجهة النظر اللغوية الحديثة ، وقد اعتبر الصرفيون أبنية القلة أربعة ، وأبنية الكثرة ثلاثة أو أربعة وعشرين بناء ، فما اعتبروه جموع قلة : أفعل كأنهر ، وأفعال كأصحاب ، وأفعلة كأقمصة ، وفعلة كصبية ، ومما اعتبروه جموع كثرة : فعول كعقول ، وفعائل كصحائف ، وفعال كرجال ، وفواعل كشواعر . إلى آخر تلك الأبنية التى سيتعرض لها البحث بإيجاز عند الحديث عن قصية الأبنية فى جموع التكسير .

القلة ، فلا يوجد لأبنية مثل : قلوب ورجال وأوزانها على : فعول وفعال — قالوا : لا يوجد لها أوزان قلة ، فاستعملوها للقلة والكثرة معاً .

أى أن النوعين — القلة والكثرة — باعتراف الصرفيين يتناوبان الدلالة وفقاً لظروف الاستعمال ، فالفارق الذى وضعوه من حيث الدلالة ليس دقيقاً من هذه الناحية .

ومن ناحية أخرى نجد القرآن الكريم — وهو أعلى وأرفع نماذج الكلام العربى — الفصيح قد استخدم بعض أوزان القلة — التى زعمها الصرفيون فى الدلالة على الكثرة ، كما استخدم بعض أوزان الكثرة التى زعموها كذلك فى الدلالة على القلة ، مما يؤكد انهيار هذه النظرية من أساسها . فمن الأولى قول القرآن : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام »[1] وقوله كذلك : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم »[2] وقوله : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة »[3]

فالكلمات : أقلام وأمواتاً وأضعافاً ، ووزن كل منها : أفعال — وهو من الأبنية التى اعتبرها الصرفيون أبنية قلة ، ودلالة كل منها فى الآيات الكريمة واضحة على الكثرة أيما وضوح ، كما أن لكلي من كلمتى : أقلام وأموات جمعا آخر على أحد أبنية الكثرة المزعومة وهما : قِلام على وزن : فعال ، وموتى على وزن : فُعلى ، ومع ذلك فقد آثر القرآن الكريم البناء الأول « أفعال » على كل من : فِعال وفعلى .

ومن الناحية الثانية — أى استخدام القرآن الكريم لبعض أوزان الكثرة التى زعموها — فى الدلالة على القلة ؛ أقول : من تلك الناحية قول القرآن : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »[4] حيث نلحظ أن لفظة ( ثلاثة ) الدالة على القلة قد اقترنت بجمع الكثرة ( قروء ) مع وجود جمع آخر مستعمل للقلة من هذا اللفظ وهو : أقراء .

أيمكن بعد هذه الأدلة الواقعية — من الاستعمال اللغوى والقرآنى — أن نوافق الافتراض الصرفى الذى قسم جموع التكسير إلى قلة وكثرة ؟

* * *

**ثانيا : قضية الأبنية فى جموع التكسير : ( غير منتهى الجموع ) :**

وقد عدها الصرفيون سبعة أو ثمانية وعشرين بناء[5] جميعها سماعى — كما

---

( ١ ) سورة لقمان — الآية : ٢٧ ( ٢ ) سورة البقرة — الآية : ٢٨

( ٣ ) سورة البقرة — الآية : ٢٤٥ ( ٤ ) سورة البقرة — الآية : ٢٢٨

( ٥ ) هناك أوزان وأبنية أخرى توصلت إليها من استقراء ألفاظ الجموع فى القرآن الكريم، ومن بحثى فى المضا صرفية سوى تلك ال! بنية الثمانية والعشرين التى سردها الصرفيون ، سيعرضها البحث فى حينها .

أسلفت — وحفظها وإدراكها ووضع ضوابط محددة لها أمر تكفل به علماء الصرف[1] فى مطولاتهم ، واستيعاب هذه الضوابط أمر ليس بالسهل ، وإنما مدار الأمر على كثرة الاستعمال والمران اللغوى ، والاعتماد على المراجع اللغوية هو الذى يساعد فى التعرف على تلك الأبنية .

ويعتبر علماء الصرف الصيغ التى سيسردها البحث بعد قليل صيغاً مقيسة ، ويقصد بالمقيس فى هذا المجال : ما تكسّر عليه مفردات لها سمات محددة يجب أن تتوافر فيه .

ومع التسليم بأهمية تلك القواعد ، إلا أن هناك أسماء كثيرة توافرت فيها الصفات التى تؤهلها لأن تكسر على بناء خاص ، ولكنها لم ترد مكسرة عليه ، إما للاعتماد على أنها مقيسة ، وإما للاكتفاء بتكسيرها على غيره من الأبنية[2] وليس معنى عدم تكسيرها عليه فى كتب اللغة أن ذلك ضعيف : وبخاصة أن هذه الكتب لم تنص على تحريمه ومثال ذلك جمعهم كلمة حبش على : حُبشان وأحابش ، وكلمة قدْر على : قدور ، وهما مما ينقاس جمعهما على ( أفعال ) لأن كلا منهما ثلاثى بوزن ( فعل ) لم يطرد فيه ( أفعل ) فيقال : أحباش ، وأقدار . . . وغير هذا كثير مما حدا بالبحث إلى الحكم بسماعية جموع التكسير — كما ألمحت منذ قليل ، بالرغم من الضوابط التى يحاول الصرفيون وضعها لأغلب تلك الجموع .

وسوف يعرض البحث هنا أوزان جموع التكسير بإيجاز دون التعرض لتفاصيل ما يصاغ على كل بناء منها ، فقد تكفلت بهذا الأمر المراجع التى أشرت إليها سابقاً ، ولا أرى جدوى من تكريرها هنا وإنما سأذكر كل وزن مع بعض النماذج القرآنية التى وردت عليه ، ثم أقعد له تقعيداً يوافق المنهج الوصفى الاستقرائى .

البناء الأول — أفعلة[3] ( بكسر العين ) :

وعلى هذا البناء قول القرآن فى جمع جنين على أجنّة : « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم »[4] وجمع هلال على أهلّة كقوله : « يسألونك

---

(١) يمكن مراجعة تلك التفاصيل فى المراجع الآتية :
كتاب سيبويه ٣ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٩١ ، ٥٦٧ ، ٦٥٠ ، ٤ / ٤٨ ، ٢٥٠ — ٢٥٨ ، ٣٥٨ — ٣٩٢ ، ٤١٥ والمنصف / ٢ : ١٧٤ — ١٨٣ وشرح الشافية ٢ / ٨٩ — ٢٠٩ والتصريح ٢ / ٣٠٠ — ٣١٧ وشرح المفصل ٥/٩—٨٦ والمقتضب فى مواضع متفرقة من حـ١ ، حـ٢
والأشمونى ٢ / ٣٤٣ — ٣٧٩ وشذا العرف / ١٠٢ — ١١٣ والمفصل فى ألوان المجموع ٣٣—٦٩ وفى تصريف الأسماء / ٢٨٢ — ٣١٩

(٢) يراجع المفصل / ١٠١

(٣) ورد هذا البناء أربع عشرة مرة فى القرآن الكريم من واقع الاستقراء بقطع النظر عن تكرار بعض الألفاظ مثل أفئدة وغيرها

(٤) سورة النجم الآية : ٣٢

عن الأهلة »[1] ، ولسان على ألسنة كقوله : «وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب»[2] وفؤاد على أفئدة كقوله : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم »[3] ، وسلاح على أسلحة كقوله : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم »[4] ، وذليل على أذلة كقوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة »[5] ، ومتاع على أمتعة كقوله : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم »[6] ، وعزيز على أعزة كقوله : « . . أعزة على الكافرين »[7] ، وكنان على أكنة كقوله : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه »[8] ، وإله على آلهة كقوله : « قالو يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة »[9] ، وإمام على أئمة كقوله : « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار »[10] ، وشحيح على أشحة كقوله : « أشحة عليكم »[11] ، وجناح على أجنحة كقوله : « جاعل الملائكة رسلا أولى — أجنحة »[12] ، وسوار على أسورة كقوله : « فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب »[13] .

ونلاحظ[14] أن هـذا الجمع ورد فى الاستعمال القرآنى جمعاً للمفردات التى على وزن : فعيل — مضعف العين ، وفِعال وفُعّال وفَعّال .

البناء الثانى — أفعل[15] (بضم العين) :

وعلى هذا البناء قول القرآن الكريم فى جمع نفس على أنفس : « ونقص من الأموال والأنفس والثمرات »[16] ، وجمع شهر على أشهر كقوله : « الحج أشهر معلومات »[17] ويد على أيد كقوله : « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم »[18] ، ورجل على أرجل كقوله : «

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٩ (٢) سورة آل عمران الآية : ٧٨
(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٧ (٤،٦) سورة النساء الآية ١٠٢
(٥) سورة آل عمران الآية : ١٢٣
(٧) سورة المائدة الآية : ٥٤
(٨) سورة الأنعام الآية ٢٥ ولسان العرب (كنن) : والكن أو الكنة أو الكنان : وقاء كل شيء وستره ، والكن : البيت أيضا ، والجمع أكنان وأكنة .
(٩) سورة الأعراف الآية : ١٣٨ (١٠) سورة القصص الآية : ٤١
(١١) سورة الأحزاب الآية : ١٩ (١٢) سورة فاطر الآية : ١
(١٣) سورة الزخرف الآية : ٥٣
(١٤) يراجع الكتاب ٣/٦٠١ — ٦٠٤، ٦٠٧، ٦٣٤، والهمع ٢/ ١٧٥ والتصريح ٢/٣٠٣ والأشمونى ٢/٣٥٠
(١٥) ورد هذا البناء سبع مرات فى القرآن الكريم من واقع الاستقراء — بقطع النظر عن تكرار بعض الألفاظ مثل : أنفس وغيرها .
(١٦) سورة الزمر الآية : ٤٢ (١٧) سورة التوبة الآية : ٢
(١٨) سورة النساء الآية : ٤٣

« وامسحوا برءوسكم وأرجلكم »[1] ، وعين على أعين كقوله : « فلما ألقوا سحروا أعين الناس »[2] ، ونعمة على أنعم كقوله : « فكفرت بأنعم الله »[3] ، وبحر على أبحر كقوله : « والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر »[4] .

ونلاحظ[5] أن هذا الجمع ورد فى الاستعمال القرآنى جمعاً للمفردات التى على وزن فَعْل — صحيح اللام أو محذوفها، وفِعْل ، وفِعَل ، وفَعَل :

البناء الثالث — أفعال :

ويعتبر هذا الوزن أكثر أوزان جموع التكسير استعمالا فى القرآن الكريم[6] . وعلى هذا البناء قول القرآن فى جمع ميت على أموات : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم »[7] ، وبصر على أبصار كقوله : « إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »[8] . وابن على أبناء كقوله : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم[9] » ، وسبب على أسباب كقوله : « وتقطعت بهم الأسباب »[10] ، وند على أنداد كقوله : « ومن الناس من يتخذمن دون الله أنداداً[11] » ، وخدن على أخدان كقوله : « ولامتخذات أخدان[12] » ، ودبر على أدبار كقوله : « ومن الليل فسبحه وأدبار السجود»[13] وزلم على أزلام كقوله: « وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق »[14] ، ويقظ على أيقاظ كقوله : « وتحسبهم أيقاظاوهم رقود»[15] ، وعنب على أعناب كقوله : « وجعلنا فيهاجنات من نخيل وأعناب»[16] ، ولوح على ألواح كقوله : « وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه»[17] ، وصنم على أصنام كقوله: «واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام[18] ، وسبط على أسباط كقوله : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمما»[19] ، ومثل على أمثال

---

(١) سورة المائدة الآية : ٦ (٢) سورة الأعراف الآية : ١٦
(٣) سورة النحل الآية : ١١٢ (٤) سورة لقمان الآية : ٢٧
(٥) يراجع الكتاب ٣ / ٥٦٧ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ — ٥٧٨ ، ٥٨١ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٩١ ، ٥٩٤ ، ٥٩٧ ، ٥٩٩ ، ٦٠٥ — ٦٠٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ والمع ٢/ ١٧٥ والتصريح— ٢/ ٣٠١ والأشمونى ٢/ ٣٤٦
(٦) وصل عدد مرات استعمال القرآن لصيغة أفعال : مائة واحدى عشرة مرة دون تكرار فى مختلف سور القرآن الكريم — من واقع الاستقراء الدقيق، بصرف النظر عن تكرار بعض الجموع ، فهناك بعض الكلمات التى استخدمت أكثر من عشر مرات مثل : أموال وأولاد . وغيرهما ، وقد أحصيت كلا منها بواحدة ، ولم أحص التكرار .
(٧) سورة البقرة الآية : ٢٨
(٨) سورة آل عمران الآية: ١٣ (٩) سورة البقرة الآية: ١٤٦ (١٠) سورة البقرة الآية: ١٦٦
(١١) سورة البقرة الآية: ١٦٥ (١٢) سورة النساء الآية: ٢٥. (١٣) سورة ق الآية: ٤٠
(١٤) سورة المائدة الآية: ٣ (١٥) سورة الكهف الآية: ١٨ (١٦) سورة يس الآية : ٤
(١٧) سورة الأعراف الآية: ١٥٠ (١٨) سورة إبراهيم الآية: ٣٥ (١٩) سورة الأعراف الآية: ١٦٠

كقوله :« ويضرب الله الأمثال للناس[1] » ، ونسب على أنساب كقوله : « فلا أنساب بينهم يومئذ[2] » ، ووزر على أوزار كقوله: « حتى تضع الحرب أوزارهـــا »[3] ، وأذن على آذان كقوله : «وآذان يسمعون بها[4]» وإلى على آلاء كقوله : « فاذكروا آلاء الله[5]» وبر على أبرار فى قوله : « إن الأبرار لفى نعيم[6]»، وقدم على أقدام كقوله « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام[7] » ،وهوى على أهواء كقوله : « ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون »[8] » ، ونُصْب على أنصاب كقوله : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس[9] » ، ورحم على أرحام كقوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »[10] ، وضغث على أضغاث كقوله : « بل قالوا أضغاث أحلام »[11] ، وفِنن على أفنان كقوله : « ذواتا أفنان»[12]، ومِعىً على أمعاء كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»[13] ،وتِرب على أتراب كقول القرآن أيضاً » : وعندهم قاصرات الطرف أتراب[14]» . وغير ذلك كثير مما يضيق البحث عن ذكر جميع نماذجه الكريمة .

ونلاحظ أن هذا الجمع[15] قد ورد فى الاستعمال القرآني جمعاً للمفردات التى على أوزان : فَعَل، وفِعل ـــ مضعف العين ومعتلها ، وفِعْل ، وفُعُل ، وفَعِل ، وفِعْل، وفِعَل ـــ صحيح اللام ومنقوصها، وفَعْل .. وغيرها :

البناء الرابع ـــ فعلة (بكسر فسكون) :

وهو وزن سماعى غير مطرد ، وقليل فى الاستعمال اللغوى مما حدا بابن السراج[16] إلى القول بأنه من أسماء الجمع ، وليس من أوزان التكسير ، وعلى هذا البناء جمع القرآن الكريم أخ على إخوة فى قوله : « وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم[17]» وفتى على فتية كقوله : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »[18] ، وقاع على قيعة

---

(١) سورة إبراهيم الآية : ٢٥ (٢) سورة المؤمنون الآية : ١٠١ (٣) سورة محمد الآية : ٤
(٤) سورة الحج الآية : ٤٦ (٥) سورة الأعراف الآية : ٦٩ (٦) سورة الانفطار الآية : ١٣
(٧) سورة الأنفال الآية : ١١ (٨) سورة الجاثية الآية : ١٨ (٩) سورة المائدة الآية : ١٠
(١٠) سورة النساء الآية : ١ (١١) سورة الأنبياء الآية : ٥ (١٢) سورة الرحمن الآية : ٤٨
(١٣) البخارى بحاشية السندى ـــ كتاب الأشربة باب ١٢ بطرق كثيرة وصحيح مسلم كتاب الأشربة ( باب المؤمن يأكل ) .
(١٤) سورة ص الآية : ٥٢
(١٥) يراجع الكتاب ٣ / ٥٦٨ ، ٥٧٠ـ ٥٧٧ ، ٥٨٥ ـ ٥٩٣ ، ٥٩٧، ٦٠٧، ٦٠٨ ، ١٢٨ ـ ٦٣١ ، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٤٣والممع ٢ / ١٧٤ والتصريح ٢/٣٠٢ والأشمونى ٢/٣٤٨
(١٦) التصريح ٢ / ٣٠٤ والممع ٢ / ١٧٥ والأشمونى ٢ / ٣٤٤
(١٧) سورة يوسف الآية : ٥٨ (١٨) سورة الكهف الآية : ١٣

كقوله : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة »[1] .

ولم يرد فى القرآن الكريم سوى هذه النماذج الثلاثة .

ونلاحظ أن هذا البناء[2] قد جاء جمعاً فى الاستعمال القرآنى لوزن واحد وهو : فَعْل ـ محذوف اللام ، أو منقوصها ، أو من الأجوف.

البناء الخامس ـ فُعْل[3] ( بضم فسكون ) :

وعلى هذا البناء قول القرآن الكريم فى جمع شحيح على شُحّ : « وأحضرت الأنفس الشح »[4] وأصم وأبكم وأعمى على : صم وبكم وعمى كقوله : « صم بكم عمى فهم لايرجعون »[5] ، وألد على لُدّ كقوله : « وتنذر به قوماً لدا »[6] ، وأزرق على زُرْق كقوله : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا »[7] وبدنة على بُدْن كقوله : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله »[8] ، وأغلب على غُلْب كقوله « وحدائق غلبا »[9] وساق على سوق كقوله : « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق »[10] إلى آخر تلك النماذج .

ونلاحظ أن هذا البناء[11] قد جاء فى الاستعمال القرآنى جمعاً لأوزان : فعيل ـ من المضعف ، وأفعل وفعلاء ، وفعلة ، وفَعْل ( من الأجوف ) .

البناء السادس ـ فعل[12] ( بضمتين ) :

وعلى هذا البناء تأتى أوزان مطردة ، كما يأتى عليها غير ذلك ؛ وعليه قول القرآن فى جمع رسول على رسل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل »[13] ، وسقف على سقف كقوله : « سقفاً من فضة »[14] وصحيفة على صحف كقوله : « أو لم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى »[15] ، وفراش على فرش كقوله : « متكئين على فرش بطائنها من إستبرق »[16] ، وخمار على خُمُر كقوله : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن »[17] ، وعَرُوب على عرب كقوله : « عرباً أترابا »[18] إلى آخر تلك النماذج .

---

( ١ ) سورة النور الآية : ٣٩ ( ٢ ) يراجع الكتاب ٣/٥٠٦ والهمع ٢/١٧٥ والتصريح ٢/٣٠٤

( ٣ ) ورد هذا البناء ست عشرة مرة فى القرآن الكريم من خلال الاستقراء بقطع النظر عن تكرار بعض الألفاظ .

( ٤ ) سورة النساء الآية : ١٢٨

( ٥ ) سورة البقرة الآية : ١٨ ( ٦ ) سورة مريم الآية : ٩٧ ( ٧ ) سورة طه الآية : ١٠٢

( ٨ ) سورة الحج الآية : ٣٦ ( ٩ ) سورة يس الآية : ٣٠ ( ١٠ ) سورة ص الآية : ٣٣

( ١١ ) يراجع الكتاب ٣ / ٥٧١ ، ٥٧٧ ، ٥٩١ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٤٤ ، ٦٤٩ والهمع ٢ / ١٧٥ والتصريح ٢ / ٣٠٤ والأشمونى ٢ / ٣٥١

( ١٢ ) ورد هذا البناء ست عشرة مرة فى القرآن الكريم من خلال الاستقراء بقطع النظر عن تكرار بعض الألفاظ

( ١٣ ) سورة آل عمران الآية : ١٤٤ ( ١٤ ) سورة الزخرف الآية : ٣٣ ( ١٥ ) سورة طه الآية : ١٣٣

( ١٦ ) سورة الرحمن الآية : ٥٤ ( ١٧ ) سورة النور الآية : ٣١

( ١٨ ) سورة الواقعة الآية : ٣٧ ولسان العرب ( عرب ) وعرب جمع عروب : وهى المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها .

ونلاحظ أن هذا البناء[1] جاء فى الاستعمال القرآنى جمعاً لوزن: فعول وفَعْل وفعيلة وفِعال وفَعول وفِعْلة وفعيل وفَعَلة .

البناء السابع — فعل (بضم ففتح) :

وعلى هذا البناء جمع أُخرى على أُخَر فى قول القرآن : « فعدة من أيام أُخر[3] » ، وجمع سنّة على سنن فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن[4] » ، وقرية على قرى فى قوله : « ولو أن أهل القرى آمنوا[5] » ، وظلة على ظلل كقوله : « وإذا غشيهم موج كالظلل[6] » ، وزمرة على زمَر كقوله : «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا[7]»، وصورة على صوَر كقوله : « وصوركم فأحسن صوركم[8] » وكبرى على كُبَر كقوله : « إنها لإحدى الكبر[9] » ، وجُدة على جدَد كقوله : « ومن الجبال جدد بيض »[10] . . إلى آخر تلك النماذج .

ونلاحظ أن هذا البناء[11] قد ورد فى الاستعمال القرآنى جمعاً لوزن: فُعْل وفُعْلة وفَعَلة

البناء الثامن — فعل[12] (بكسر ففتح) :

وعلى هذا البناء جمع شيعة على شيع فى قول القرآن الكريم : « ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين[13] »، وقطعة على قطع فى قوله: « وفى الأرض قطع متجاورات[14]» ، وكسفة على كسف فى قوله : « أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا»[15] ، وبيعة على بيع فى فى قوله: «لهدمت صوامع وبيع وصلوات[16]» وعصمة على عصم فى قوله : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر[17]» .

ونلاحظ أن هذا الجمع[18] لم يطرد فى الاستعمال القرآنى إلا فى جمع فِعلة على فِعَل .

---

(١) يراجع الكتاب ٣ /٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦١٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٥٠ — ٦٣٧ ، ٦٣٩ ، ٦٤٨ والهمع ١٧٥/٢ والتصريح ٣٠٥/٢ والأشمونى ٢ /٣٥٢ .

(٢) ورد هذا البناء خمس عشرة مرة فى القرآن الكريم من خلال الاستقراء — بقطع النظر عن تكرار بعض الألفاظ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٤ . (٤) سورة آل عمران الآية ١٣٧

(٥) سورة الأعراف الآية ٩٦ (٦) سورة لقمان الآية ٣٢ .

(٧) سورة الزمر الآية ٧٣ (٨) سورة غافر الآية ٦٤ (٩) سورة المدثر الآية ٣٥

(١٠) سورة فاطر الآية ٢٧ واللسان (جدد) وجدة كل شيء : طريقته وعلامته ، ومعناها فى الآية : طرائق تخالف لون الجبل . (١١) يراجع سيبويه ٦٠٨/٣ والأشمونى ٣٥٤/٢ والفيصل ص ٥٠

(١٢) من خلال الاستقراء القرآنى ، وجدت هذا البناء لم يرد أكثر من خمس مرات — إذا صرفنا النظر عن تكرار كلمة مثل شيع وكسف فى أكثر من موضع . (١٣) سورة الحجر الآية ١٠

(١٤) سورة الرعد الآية ٤ (١٥) سورة الإسراء الآية ٩٢ (١٦) سورة الحج الآية ٤٠

(١٧) سورة الممتحنة الآية ١٠

(١٨) يراجع الكتاب ٥٨١/٣ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ والهمع ١٧٦/٢ والتصريح ٣٠٦/٢ والأشمونى ٢ / ٣٥٥

البناء التاسع – فُعَلة (بضم ففتح) :

وقد لاحظت من خلال استقرائى لألفاظ الجموع فى القرآن الكريم أن هذا البناء لم يستخدم فيه مطلقاً ويرى الصرفيون[1] أنه يطرد فى جمع كل وصف عاقل على وزن ( فاعل ) معتل اللام مثل : قاضٍ وقضاة ، وراع ورعاة ، وأقول : إن ماجاء على وزن ( فُعَلة ) فى القرآن الكريم – وهو صحيح اللام إنما جاء صيغة مبالغة ، ولم يرد جمع تكسير ، وذلك كقول القرآن الكريم فى غير موضع من سورة الهمزة : « ويل لكل همزة لمزة[2] » ، وقوله : « وما أدراك ما الحطمة[3] » : فالكلمات : همزة ولمزة وحطمة[4] – وجميعها على وزن فُعَلة هى صيغ للمبالغة ، وليست من جموع التكسير كما ألمحت .

البناء العاشر – فَعَالة[5] ( بفتحتين ) :

وعلى هذا البناء جمع ساحر على سحرة فى قول القرآن : « فألقى السحرة ساجدين[6] » وسافر وبار على بِسفرة وبررة فى قوله : « بأيدى سفرة كرام بررة[7] » ، ووارث على ورثة فى قوله : « واجعلنى من ورثة جنة النعيم[8] » ، وخازن على خزنة فى قوله : « وقال لهم خزنتها »[9] وكافر وفاجر على كفرة وفجرة فى قوله : « أولئك هم الكفرة الفجرة[10] » ، وحفيد على حفدة فى قوله : « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة[11] ».

ونلاحظ أن هذا الجمع لم يطرد فى الاستعمال القرآنى إلا فى جمع وصف مذكر عاقل صحيح اللام – وبهذا أقر الصرفيون[12] ، ويقصد بالوصف فى تلك النماذج صيغة فاعل ، وجاءت فى سبعة مواضع ، وصيغة فعيل وجاءت فى موضع واحد .

ويجيز المنهج الوصفى الاستقرائى جميع الصيغ الواردة دون تمييز لإحداها مادامت كلها واردة عن الفصحاء .

البناء الحادى عشر – فَعْلى ( بفتح فسكون ) :

وقد ورد هذا البناء ثلاث مرات فى القرآن الكريم ، بصرف النظر عن تكرار لفظتى موتى ومرضى[13].

---

(١) يراجع سيبوية ٢/٢٠٦ ، ٣/٦٣١ والمقتضب ٢/٢١٨ والأشمونى ٢/٣٥٧

(٢) سورة الهمزة الآية ١ (٣) سورة الهمزة الآية ٥

(٤) همزة لمزة : طعان عياب للناس ، الحطمة : جهنم – لحطمها مايلقى فيها .

(٥) ورد هذا البناء ثمانى مرات فى القرآن الكريم – استقراء بقطع النظر عن تكرار بعض الألفاظ .

(٦) سورة الشعراء الآية ٤٦ (٧) سورة عبس الآيات ١٥ ، ١٦ (٨) سورة الشعراء الآية ٨٥

(٩) سورة الزمر الآية ٧١ (١٠) سورة عبس الآية ٤٢ (١١) سورة النحل الآية ٧٢

(١٢) يراجع الكتاب ٢/٢٠٦ ، ٣/٦٣١ والمقتضب ٢/٢١٨ والأشمونى ٢/٣٥٧

(١٣) تكررت لفظة ( موتى ) سبع عشرة مرة ، ولفظة ( مرضى ) خمس مرات .

وعلى هذا البناء جمع ميت على موتى كقول القرآن : « وإذ تخرج الموتى بإذنى »[1] ، ومريض على مرضى كقوله : « وإن كنتم مرضى أو على سفر »[2] ، وصريع على صرعى كقوله: « فترى القوم فيها صرعى[3] »

ونلاحظ — كما قرر الصرفيون[4] — أن هذا البناء يطرد فى وصف يدل على هلاك أو توجع أو تشتت .

وأقول : يشترط أن يكون هذا الوصف على وزن فعيل مثل : مريض وصريع ، أو فيعِل مثل : ميت ، كما نلاحظ أن « فَعْلى » يعتبر تطوراً صوتياً للوزن «فَعَل» حيث طالت حركة اللام فصارت ألفاً مقصورة.

البناء الثانى عشر — فِعَلة[5] ( بكسر ففتح ) :

وقد لاحظت أن هذا البناء قد ورد مرة واحدة فى القرآن الكريم — من خلال الاستقراء بصرف النظر عن تكرار هذا الجمع ثلاث مرات فى ثلاث سور من القرآن ، وعلى هذا البناء جاء الجمع الوحيد لكلمة قرد على قِرَدة فى قوله : « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين »[6]

البناء الثالث عشر — فُعَّل[7] ( بالضم وفتح العين المشددة ) :

وعلى هذا البناء جمع غاز على غُزَّى كقوله : « وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى[8] » ، وساجد على سُجد فى قوله : « وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا[9] » ، وخاشع على خشع فى قوله : « خُشَّعا أبصارهم »[10] ، وكانس على كنس ، وخانس على خنس فى قوله : « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس »[11] .. إلى آخر تلك النماذج .

ونلاحظ اطراد هذا الوزن[12] فى وصف صحيح اللام على فاعل أو فاعلة . وأقول : يقصد بالوصف هنا : اسم الفاعل ( فاعل ) أو صيغة المبالغة ( فعّال ) .

البناء الرابع عشر — فُعَّال ( بضم الأول وتشديد الثانى مفتوحاً مع المد ) :

وقد لاحظت ورود هذا البناء ثلاث مرات فى القرآن الكريم — من خلال الاستقراء بصرف النظر عن تكرار لفظتين منها فى أكثر

---

( ١ ) سورة المائدة الآية ١١٠ (٢) سورة النساء الآية ٤٣ (٣ ) سورة الحاقة الآية ٧

( ٤ ) يراجع الكتاب ٣/٦٤٧ ، ٦٤٩ ، والأشمونى ٢/٣٥٧

( ٥ ) يراجع الكتاب ٣/٥٦٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٥ . ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨٨ ، ٥٩٢ ، ٦٢٨ والأشمونى ٢/٣٥٨

( ٦ ) سورة البقرة الآية ٦٥ ( ٧ ) ورد هذا البناء ثمانى مرات فى القرآن الكريم — استقراء بغض النظر عما تكرر فى أكثر من موضع

( ٨ ) سورة آل عمران الآية ١٥٦

( ٩ ) سورة النساء الآية ١٥٤ ( ١٠ ) سورة القمر الآية ٧

( ١١ ) سورة التكوير الآية ١٥ ، ١٦ ويقال : كنس الظبى ، أى دخل فى كناسه ليستترفيه ، والخناس : من صفات الشيطان لأنه يخنس وينقبض إذا سمع ذكر الله تعالى ، والخنس : الكواكب كلها لأنها تخنس فى المغيب ، أو لأنها تختفى نهارا ، كما تكنس الظباء فى بيوتها .

( ١٢ ) يراجع الكتاب ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٤/٣٦٢ والأشمونى ٢/٣٥٨

من موضع . وعليه جاء جمع كافر على كفار في قول القرآن : « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم »[1] ، وفاجر على فجار في قوله : « إن الفجار لفي جحيم[2] »، وزارع على زراع في قوله : « يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار »[3].

ونلاحظ اطراد هذا الوزن[4] كسابقه في وصف على وزن ( فاعل ) . كما نلاحظ أن وزن «فُعّال» يعتبر تطوراً صوتياً للوزن « فُعَّل » حيث طالت حركة العين فصارت ألفاً .

البناء الخامس عشر — فِعّال ( بكسر ففتح ) :

ويرد هذا البناء في أكثر من أربعة عشر وزناً[5] للمفرد ، نذكر أشهر أمثلتها التي وردت في القرآن الكريم[6] ؛ كجمع كريم على كرام في قوله : « كرام بررة[7] »

ورجل على رجال في قوله : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »[8] ، وثقيل على ثقال في قوله : « سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت»[9] ، وجبل على جبال كقوله : « وتنحتون الجبال بيوتا »[10] وبغل على بغال كقوله : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة »[11] ، وسمينة على سمان وعجفاء على عجاف في قوله : « وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف»[12] ، ودم على دماء في قوله : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها »[13] ، وأمة على إماء في قوله : « والصالحين من عبادكم وإمائكم »[14] ، وقائم على قيام في قوله: « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً»[15] ونعجة على نعاج في قوله : « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه »[16] ، وجواد على جياد في قوله : « إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد»[17] ، وعُشراء على عشار في قوله : « وإذا العشار عطلت »[18] ، وراع

---

(١) سورة التوبة الآية ٧٣ (٢) سورة الانفطار الآية ١٤ (٣) سورة الفتح الآية ٢٩

(٤) يراجع الكتاب ٣/٦٣١ ، ٦٤٨ ، ٤/٤٨ والمقتضب ١/٢٦٦ والأشموني ٢/٣٥٩ .

(٥) يراجع الكتاب ٢ / ١٨٥ ، ٣ / ٥٦٧ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ — ٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٩١ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٠٥ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٤ ، ٦٢٦ — ٦٢٨ ، ٦٣٢ ، ٦٣٤ — ٦٣٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٥ — ٦٤٧ ، ٦٤٩ والمقتضب ١ / ٢٦٩ ، ٢ / ٢١١ والأشموني ٢/٣٥٩

(٦) ورد هذا البناء ثمانيا وثلاثين مرة — من خلال الاستقراء القرآني بصرف النظر عما تكرر من تلك الصيغ في أكثر من موضع

(٧) سورة عبس الآية ١٦

(٨) سورة النساء الآية ١ (٩) سورة الأعراف الآية ٥٧ (١٠) سورة الأعراف الآية ٧٤

(١١) سورة النحل الآية ٨ (١٢) سورة يوسف الآية ٤٣ (١٣) سورة الحج الآية ٣٧

(١٤) سورة النور الآية ٣٢ (١٥) سورة الفرقان الآية ٦٤ (١٦) سورة ص الآية ٢٤

(١٧) سورة ص الآية ٣١ . وما قيل افتراضيا عن الإعلال بالقلب الذي أصابه ( جياد ) مرفوض وصفيا لأن العربي الأول نطقها هكذا دون تغيير أو تبديل .

(١٨) سورة التكوير — ٤

على رعاء فى قوله : « حتى يصدر الرعاء[1] »، وآمّ على إمام فى قوله : « واجعلنا للمتقين إماماً »[2] . . إلى آخر تلك النماذج .

ونلاحظ أن هذا البناء ليس مما يطرد ولا ينقاس ؛ لأن المفرد فيه على أكثر من أربعة عشر وزناً — كما ألمحت منذ قليل ، فهو يأتى مثلا — ومن خلال النماذج القرآنية التى استشهدت بها — جمعاً لصيغ : فعيل وفَعَل وفَعَل وفَعْل وفِعيلة وفَعْلاء وفَعَل ( محذوف اللام) وفاعل وفَعَلة وفعال وفُعَلاء وفاعل (معتل اللام ) وفاعل ( مضعف العين واللام ) . أى أن هذا البناء — استقراء وليس قياساً — يأتى من الجامد والمشتق ، من الصفة وغيرها ، من الصحيح اللام ومعتلها ومن أوزان مختلفة ومتنوعة .

كما نلاحظ أن صيغة « فِعال » هذه تعتبر تطوراً صوتياً لصيغة فِعَل حيث طالت حركة العين وأشبعت حتى صارت ألفاً .

البناء السادس عشر — فُعول[3] ( بضمتين ) :

وعلى هذا البناء جمع وجه على وجوه كقول القرآن : « يوم تبيض وجوه)[4] ، وحِجر على حجور كقوله : « وربائبكم اللاتى فى حجوركم»[5] ، وبرج على بروج فى قوله : « والسماء ذات البروج »[6] ، وملك على ملوك فى قوله : « إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً »[7] ، وجرح على جروح فى قوله : « والجروح قصاص»[8] ، وذكَر على ذكور فى قوله : « وقالوا مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا »[9] ، وشاهد على شهود فى قوله : « ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا»[10] ، وباك على بُكىّ فى قوله « خروا سجداً وبكياً »[11] ، وجذع على جذوع فى قوله : « ولأصلبنكم فى جذوع النخل»[12] ، وغداة على غُدوّ فى قوله : « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو[13] والآصال»[14] وجُند أوجندى على جنود فى قوله : « وأنزل جنوداً لم تروها[15] » ... إلى آخر تلك النماذج الكريمة .

---

( ١ ) سورة القصص / ٢٣

( ٢ ) سورة الفرقان / ٧٤

( ٣ ) يعتبر هذا الوزن ثانى أبنية جموع التكسير استعمالا فى القرآن الكريم بعد وزن «أفعال » حيث بلغ عدد « ألفاظه » اثنين وخمسين — من خلال الاستقراء فى آياته وسوره بصرف النظر عن بعض الجموع التى استعملت أكثر من مرة فى أكثر من موضع

( ٤ ) سورة آل عمران الآية ١٠٦

( ٥ ) سورة النساء الآية ٢٣

( ٦ ) سورة البروج الآية ١

( ٧ ) سورة المائدة الآية ٢٠

( ٨ ) سورة المائدة الآية ٤٥

( ٩ ) سورة الأنعام الآية ١٣٩

( ١٠ ) سورة يونس الآية ٦١

( ١١ ) سورة مريم الآية ٥٨

( ١٢ ) سورة طه الآية ٧١

(١٣) تفسير البحر المحيط ٤٥٢/٤ : إن كان الغدو جمعا لغداة فهو مقابل بالجمع وهو : بالآصال ، وإن كان مصدر الغداء ، فيكون على حذف تقديره : بأوقات الغدو ، والظاهر اقتصار الأمر بالذكر على هذين الوقتين .

( ١٤ ) سورة الأعراف الآية ٢٠٥

( ١٥ ) سورة التوبة الآية ٢٦

ونلاحظ أن هذا البناء يطرد – من وجهة نظر الصرفيين[1] – على أكثر من وزن فى المفرد مثل: فَعْل – يائى العين أو صحيحها، أو مضعف العين واللام، وفِعْل ، وفُعْل، وفَعِل ، وفَعَل ، وفاعل – صحيح اللام أو معتلها .

كما نلاحظ أن بناء فُعول يعتبر تطوراً صوتياً لبناء «فُعُل» حيث طالت ضمة العين فصارت واواً :

البناء السابع عشر – فِعْلان[2] (بكسر فسكون ):

وعلى هذا البناء قول القرآن الكريم فى جمع وِلْد على ولدان : « والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان[3] » وحوت على حيتان[4] فى قوله : « إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم[5] » وغلام على غلمان فى قوله : « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون[6] » ، وصِنو على صنوان فى قوله : « وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان[7] » ، وأخ على إخوان فى قوله : « قل إن كان آباؤكم وإخوانكم وأزواجكم[8] ». وقوله : « لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن[9]» .

ونلاحظ أن هذا البناء مع قلة نماذجه فى القرآن الكريم ؛ إلا أنه يطرد عند الصرفيين فى ثلاثة أوزان هى: فعلل وفُعَل وفُعْل ، كما يستخدم فى غيرها بلا اطراد مثل وزنى فَعل كولد ، وفَعل – معتل اللام كأخ :

وأقول : إن المنهج الوصفى المعتمد على الاستقرار يسوى بين جميع الأوزان ،ويوافق عليها جميعاً .

البناء الثامن عشر فُعْلان ( بضم فسكون ) :

ويعتبر هذا الوزن من أندر الأبنية استعمالا فى القرآن الكريم ، حيث لم يرد – استقراء – إلا فى لفظى جمع ؛ورد الأول منهما مرتين فى القرآن عند جمع ذَكَر على ذُكران: « أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً[10]»، وورد الثانى ثلاث مرات عند جمع راهب على رهبان فى قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وأنهم لا يستكبرون[11]».

---

(١) يراجع الكتاب ٢ / ١٨٦ ، ٥٠٦،٣ ، ٥٧٠ – ٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢، ٥٨٨ – ٥٩٠ ، ٥٩٧،٦٠٦ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٤ / ٣٨٤ – ٣٨٥ والمقتضب ٢٧٠/١ والأشمونى ٣٦١/٢

(٢) لم يرد هذا البناء – من خلال استقرائنا لجموع التكسير فى القرآن الكريم فى أكثر من خمسة جموع بصرف النظر عن تكرار بعضها فى أماكن متفرقة . ويراجع الكتاب ٣ / ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٨٧ ، ٥٩٠ ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٧ ، ٦٠١ ، ٦٠٣ – ٦٠٥ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦١٤ ، ٦٢٨ ، ٦٣٥ ، ٦٤٣ والأشمونى ٣٦٣/٢

(٣) سورة النساء الآية ٧٥

(٤) ماقيل افتراضيا عن الاعلال الذى أصاب حيتان وأن أصلها كان حوتان – مرفوض للعلة المذكورة فى مواضع سابقة ومشابهة من البحث ،

(٥) سورة الأعراف الآية١٦٣

(٦) سورة الطور الآية٢٤

(٧) سورة الرعد الآية٤

(٨) سورة التوبة الآية٢٤

(٩) سورة الأحزاب الآية ٥٠

(١٠) سورة الشورى الآية٥٠

(١١) سورة المائدة الآية٨٢

وقد اشترط الصرفيون[1] فى هذا الوزن أن يكون صحيح العين ، وليست عينه أولامه من جنس واحد واعتبروا جمع ( فَعَّل ) على ( فُعلان ) مما يكثر فى هذا الباب وأن ( فاعل ) يعتبر قليلا ، وأقول ــ استقراء إن هذا البناء يجوز فى جمع أوزان : فَعَّل و فَعَل أوفَعيل أوفاعل دون اعتبار فيها للقليل أو الكثير .

البناء التاسع عشر ــ فُعَلاء[2] ( بضم ففتح ) :

وعلى هذا البناء جمع سفيه على سفهاء كقول القرآن الكريم : « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء[3] » وشفيع على شفعاء فى قوله : «ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله[4] » ، وعليم أو عالم على علماء فى قوله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء[5] » . . إلى آخر تلك النماذج :

ونلاحظ أن هذا البناء[6] يطرد فى وصف مذكر عاقل على وزن فعيل بمعنى فاعل ــ غير مضعف ولا معتل اللام ولا واوى العين ، ويقرر الصرفيون أن ماورد خلاف ذلك يعتبر شاذاً مثل : خايفة وخلفاء ، جبان وجبناء . وأقول : إن من يحكم بواقع الاستقراء اللغوى يؤكد أن هذا البناء يجوز أن تجمع عليه أية صيغة سمعت عن فصحاء العرب ؛ بدليل استخدام القرآن لشهداء[7] وهى جمع شهيد ، ودلالتها على اسم المفعول وليست على اسم الفاعل كما اشترط الصرفيون ، وبدليل جمع عاقل بزنة فاعل على عقلاء وسَمْح ــ وهى مخالفة للوزن ــ على سُمحاء .

كما نلاحظ أن هذا البناء ــ فُعَلاء ــ يعتبر تطوراً صوتياً للبناء « فُعَل » حيث طالت حركة اللام حتى صارت ألفاً ممدودة .

البناء العشرون ــ أفعِلاء[8] ( بفتح فسكون فكسر ) :

وعلى هــذا البناء قول القرآن فى جمــع نبىّ على أنبيــاء فى قوله : « اذكروا نعمة الله عليــكُم إذ جعل

---

( ١ ) يراجع الكتاب ٣/٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٩٢ ، ٦٠٤ ، ٦١٤ ، ٦٢٨ ، ٦٣٢ ، ٦٤٤ ك والأشمونى ٢ / ٣٦٤

( ٢ ) ورد هذا البناء إحدى عشرة مرة من خلال الاستقراء فى القرآن الكريم ، بصرف النظر عن تكرار بعض الألفاظ فى أكثر من موضع .

( ٣ ) سورة البقرة الآية ١٣

( ٤ ) سورة يونس الآية ١٨

( ٥ ) سورة فاطر الآية ٢٨

( ٦ ) يراجع الكتاب ٣ / ٦٣٢ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٤ / ٢٥٨ ، ٣٩ والمقتضب ٢ / ٢١٧ والأشمونى ٢/٣٦٥

( ٧ ) « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » سورة النساء الآية ٦٩

( ٨ ) ورد هذا البناء ست مرات من خلال الاستقراء القرآنى بغض النظر عما تكرر من ألفاظ تلك المجموع

فيكم أنبياء[1]» ، وولىّ على أولياء فى قوله: « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه[2] » ، وغنىّ على أغنياء فى قوله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء[3] » ودَعِىّ على أدعياء فى قوله : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم[4] » .

ونلاحظ أن هذا البناء[5] يطرد فى جمع وصف مذكر عاقل كسابقه ، لكن بوزن فعيل بشرط أن يكون مضعفاً أو معتل اللام . ويحكم الصرفيون بشذوذ ما ورد خلاف ذلك مثل : صديق وأصدقاء ، وبرىء وأبرياء؛ لعدم اعتلال اللام أو تضعيفها :

وأقول : إن واقع الاستقراء فى اللغة يؤكد جواز الصيغة ما دامت مسموعة عن فصحاء العرب . كما نلاحظ أن هذا البناء يعتبر تطوراً صوتياً للبناء « أفعلة » حيث حذفت لاحقة التاء ، وطالت حركة اللام حتى صارت ألفاً بدليل أن كلمة مثل : نصيب تجمع على كلا الوزنين — أنصبة ، وأنصباء .

**ثالثا : صيغ منتهى الجموع :**

البناء الحادى والعشرون — فواعل[6] :

وعلى هذا البناء جمع صاعقة على صواعق كقول القرآن : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت[7] » ؛ وصومعة على صوامع كقوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع[8] » ، وموضع على مواضع فى قوله : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه[9] » ، وغاشية على غواش فى قوله: « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش[10] »؛ وقاعد على قواعد فى قوله : « والقواعد من النساء[11] » ، وناصية على نواص فى قوله : « فيؤخذ بالنواصى والأقدام[12] » ، وكاعب على كواعب فى قوله : « كواعب أترابا[13] »

ونلاحظ أن هذا البناء[14] يطرد فى جمع اسم أو صفة على ( فاعلة ) ، وفى الأسماء التى على : فوعل أو فوعلة أو فاعل أو فاعلاء أو فاعل .

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٠ (٢) سورة آل عمران الآية ١٧٥
(٣) سورة آل عمران الآية ١٨١ (٤) سورة الأحزاب الآية ٤
(٥) يراجع الكتاب٣/٦٠٤ ، ٦٣٤٤، ٦٤٣ والأشمونى ٢/٣٦٦
(٦) ورد هـذا البناء إحدى وعشرين مرة — من خلال الاستقراء القرآنى بصرف النظر عما تكرر من ألفاظ هذه البنية
(٧) سورة البقرة الآية ١٩
(٨) سورة الحج الآية ٤٠ (٩) سورة النساء الآية ٤٦ (١٠) سورة الأعراف الآية ٤١
(١١) سورة النور الآية ٦٠ (١٢) سورة الرحمن الآية٤١ (١٣) سورة النبأ الآية ٣٣
(١٤) يراجع الكتاب ٣/٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٣٢ ٦٣٣ ، ٤/٣٧٧ ، ٣٩١ والمقتضب ٢/٢١٦ ، ٢١٧ والأشمونى ٢ / ٣٦٧

ويحكم الصرفيون بشذوذ ما ورد خلافاً لذلك كجمعهم فارس على فوارس ، وناكس على نواكس مثلا ؛ لأنه على وزن فاعل لمذكر عاقل .

وأقول : إن منطق الاستقراء اللغوى يجيز أن يجمع صيغة فاعل على فواعل سواء — أكانت صفة لمذكر عاقل أو غير عاقل كصاهل وصواهل ، فضلا عن الصيغ الأخرى التى أقرها الصرفيون آنفاً وذلك لأن الصرفيين أنفسهم أوردوا نماذج فصيحة حول جمع فاعل العاقل المذكر على ( فواعل ) كقول الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار[1]

وكقول المتنخل اليشكرى :

وعلى الجياد المضمرا
ت فوارس مثل الصقور[2]

وقول مودود العنبرى :

وكنا حسبناهم فوارس كهمس
حيوا بعد ما ماتوا من الدهر أعصرا[3]

البناء الثانى والعشرون — فعائل[4] :

وعلى هذا البناء جمع حليلة على حلائل كقول القرآن : « وحلائل أبنائكم[5] » ، ومدينة على مدائن كقوله : « فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين[6] » ، وأريكة على أرائك كقوله : « متكئين فيها على الأرائك[7] » وحديقة على حدائق كقوله : « حدائق ذات بهجة[8] » ، وربيبة على ربائب كقوله : « وربائبكم اللاتى فى حجوركم[9] » ،

ونلاحظ أن هـذا البناء[10] يطرد فى جمع الاسم الرباعى المؤنث الذى ثالثه مد مثل ما ذكرت من آيات كريمة ويحكم الصرفيون بشذوذ ما عدا ذلك مما نقص شرطاً كجمع ذبيحة ووديعة وضرة على : ذبائح وودائع وضرائر ، والشرط الناقص : أن الاسم الذى على وزن ( فعيلة ) لا يجب أن يكون بمعنى ( مفعولة ) والشرط الناقص من ( ضرة ) أن ثالثه ليس مدًّا — من وجهة نظر الفرض الصرفى .

كما أقر الصرفيون أن مثل : قضية وبريئة وهراوة تجمع على وزن ( فعائل ) : قضايا

---

( ١ ) المقتضب ٢/٢١٧ وشرح أبيات الكتاب للسيرافى ٢/٣٦٧. والنواكس : الذين ينظرون إلى الأرض من الخوف والذلة

( ٢ ) أورده الفيصل / ٧٧

( ٣ ) هـذا البيت من شواهد الكتاب ولكن ليس شاهدا على جمع فاعل وفواعل ، وإنما على شىء آخر ، ولكنى أتيت به لأدل على استخدام اللفظ ( فوارس ) مع أن الصرفيين قد حكموا بشذوذه . يراجع شرح أبيات الكتاب السيرافى ٢/٤٣٤ وكهمس : أحد شجعان الخوارج .

— استقراء — بصرف النظر عما تكرر من ألفاظ

( ٤ ) ورد هذا البناء سبع عشرة مرة فى القرآن

( ٥ ) سورة النساء / ٢٣

( ٦ ) سورة الشعراء آية ٥٣ ( ٧ ) سورة الكهف آية ٣١ ( ٨ ) سورة النمل آية ٦٠

( ٩ ) سورة النساء آية ٢٣ ( ١٠ ) يراجع الكتاب ٣/٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٩ ، ٤/٣٧٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ والمقتضب ١ / ٢٧٧ والأشمونى ٢/٣٦٨

وبرايا وهراوى فكلفوا أنفسهم والدارسين بعدهم شططاً .

وأقول : إن المنهج الوصفى الاستقرائى يجيز الصيغ الواردة جميعاً فى وزن ( فعائل ) سواء أكانت مستوفية للشروط أم غير مستوفية كما يرفض هذا المنهج أن ننسب كلمات مثل : قضايا وبرايا وهراوى إلى وزن ( فعائل ) بل نلحقها بوزن ( فعالى ) الذى سيتناوله البحث بعد قليل .

البناء الثالث والعشرون — فَعَالِى ( بفتح الفاء وكسر لام الكلمة المنقوصة ) :

ويعتبر هذا البناء أيضاً من أندر الأبنية استعمالا فى القرآن الكريم ، حيث لم يرد من خلال الاستقراء إلا فى ثلاثة ألفاظ جموع ؛ تكررت أولاها أربع مرات ، وذكرت كل من الثانية والثالثة مرة واحدة ؛ فالأولى جمع ليلة على ليال فى قول القرآن : « سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين[1] » والثانية جمع ترقوة على تراقٍ فى قوله : « كلا إذا بلغت التراقى[2] » ، والثالثة جمع صيصة على صياص فى قوله : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم[3] ».

ونلاحظ — كما أكد الصرفيون[4] — اطراد هذا البناء فى أشياء أشهرها : فُعْلوة كترقوة ، كما يطرد فى جمع فَعْلاء ، وفُعلى مثل : صحراء وحبلى وجمعهما : صحارٍ وحبال[5] وكذلك فَعلى وفِعَلى وفَعلاة وفِعلاة وفِعْلية ، ويحفظ فى غيرها كجمع أهل وليل على الأهالى والليالى . وأقول : إن الاستقراء الوصفى يجيز جميع الصيغ المسموعة عن العرب دون اهتمام بالمطرد أو المسموع أو النادر ، فالعبرة بما ورد من نماذج فصيحة علينا اتباعها .

البناء الرابع والعشرون — فَعَالى[6] (بفتح الفاء وفتح لام الكلمة المقصورة ) :

وعلى هذا البناء[7] جمع يتيم على يتامى كقول القرآن : « وآتوا اليتامى أموالهم[8] » ، وحَوِيّة على حَوَايا كقوله : « إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم[9] »

---

( ١ ) سورة سبأ آية ١٨ ( ٢ ) سورة القيامة آية ٢٦ ويقصد بالتراقى : أعالى الصدر وهى كناية عن قرب مفارقة الروح للجسد ( ٣ ) سورة الأحزاب آية ٢٦ ، والصيصة : الحصن ، ومن سياصيهم : من حصونهم / تاج العروس — مادة ( صيص ) .

( ٤ ) يراجع الكتاب ٣/٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ والمقتضب ٢/٢٣٠ ، ٢٣١ والأشمونى ٢/٣٧٠ والفيصل / ٨٢ ومابعدها . ( ٥ ) الأصل فيهما : صحارى وحبالى ، وأعلت كل منهما إعلال قاض

( ٦ ) لم يرد هذا البناء فى غير خمسة جموع بالقرآن الكريم استقراء — دون نظر إلى تكرار بعض ألفاظه .

( ٧ ) وعلى نفس الوزن جمعوا حبلى وصحراء على : حبالى وصحارى ، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

وبالفعالى والفعالى جمعا  صحراء والعذراء والمقيس اتبعا

( ٨ ) سورة النساء آية : ٢

( ٩ ) سورة الأنعام آية ١٤٦ والحوايا : المباعر أو المصارين والأمعاء ، وما اختلط بعظم : إليه الضأن .

وأيّم على أيامى فى قوله: «وأنكحوا الأيامى منكم[1] » ونصرانى على نصارى فى قوله : « لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء[2] » .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن جموع بعض الكلمات مثل : خطيئة وقضية وبلية وبريئة وهراوة — وهى : خطايا وقضايا وبلايا وبرايا وهراوى ؛ ومثال الأولى قول القرآن: « إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا[3] » .

أقول : يجدر بنا أن نوافق الخليل ، والكوفيين[4] فى رأيهم الذى يدعم المنهج الوصفى الاستقرائى من أن هذه الجموع : صيغت على وزن «فَعَالى» الذى نحن بصدده الآن ، وعليه تتعدل القاعدة الخاصة بجمع المعتل الآخر الذى بوزن ( فَعِيلة وفَعَالة ) ونقول بجمعها على وزن ( فَعَالى ) :

وفى هذا تيسير أى تيسير ، لأننا بذلك نستغنى عن التقديرات والافتعالات التى أوردها مخالفوهم من البصريين[5] الذين اعتبروا مثل هذه الكلمات على وزن ( فعائل ) قياساً على الصحيح مثل : صحيفة وصحائف وكبيرة وكبائر ، فتأولوا ما تأولوا من أن كلمة ( خطايا ) مثلا قد مرت بمراحل — افترضوها — هى : خطايىء ثم خطائى ، ثم خطائى ، ثم خطاءاً ، ثم خطايا — بوزن فعائل[6] .

ونلاحظ أن هذا البناء يطرد — من وجهة نظر الصرفيين[7] — فى أشياء أشهرها : جمع فَعلان وفَعلاء وفِعْلَى، وفَعْلَى (اسما أو صفة) وفُعَلى . ويحفظ فى مثل : يتيم على يتامى ، وحوية على حوايا ، وقضية على قضايا ، ومطية على مطايا .

وأقول : إن جميع الأوزان السابقة — من واقع المنهج الاستقرائى — يجوز جمعها على « فعالى » فى: فعلان وفِعلى وفَعلى وفُعلى وفعيل وفعالة ، وفعيلة ( من معتل اللام أو مضعفها ) .

البناء الخامس والعشرون — فُعالى[8] ( بضم الفاء وفتح لام الكلمة المقصورة ) :

ويعتبر هذا الوزن من الأبنية النادرة فى القرآن الكريم ، حيث لم يرد فى غير أربعة

---

( ١ ) سورة النور الآية ٣٢ والأيامى : من لازوج لها ، ومن لا زوجة له .

( ٢ ) سورة المائدة الآية ٥١ ( ٣ ) سورة الشعراء الآية / ٥١ . ( ٤ ) يراجع الإنصاف للأنبارى مسألة ١١٦ ج٢ ص ٤٢٨ ( ٥ ) يراجع الكتاب ٣/٦٣٧ والمقتضب ١/٢٧٩

( ٦ ) يمكن الرجوع إلى تفاصيل تلك القضية بكتابى : نظرة وصفية فى تصريف الأفعال الطبعة الثانية ص١٠٣، ١٠٤

( ٧ ) يراجع الكتاب ٣/٦٤٥ والمقتضب ١/٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢/٢٣٠ والهمع ٢/١٧٩ والتصريح ٢/٣١٤ والفيصل ص٨٢

( ٨ ) أغفل ابن مالك هذا البناء، ولذا لم يتعرض له شراحه كالأشمونى وصاحب التصريح وإن كان الأول قد علق عليه عقب عرضه لوزن ( فعالى ) بقوله ٢/٣٧١ : واعلم أن فعالى ، بضم العين فى جمع نحو سكران وسكرى راجح على فعالى بفتحها ، وفى غير يتيم من نحو قديم وأسير مستغنى عنه به ، وفى غير ذلك مستغنى عنه . وقد ذكره السيوطى فى الهمع عند حديثه عن البناء العشرين من أبنية الكثرة ٢/١٧٩ ويراجع الكتاب ٣/٦٤٥ ، ٦٥٠

جموع من الكتاب العزيز – من واقع الاستقراء – وهى جمع أسير على أسارى فى قول القرآن : « وإن يأتوكم أُسارى – تُفادوهم[1] » ، وجمع سكران على سُكارى فى قوله : « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد[2] » ، وكسلان على كسالى فى قوله : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس[3] » ، وفريد أو منفرد على فرادى فى قوله : « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم[4] » .

ونلاحظ أن هذا البناء – من خلال المنهج الاستقرائى ، وبغض النظر عن إغفال ابن مالك وبعض الصرفيين له ، أقول : نلاحظ أنه يأتى جمعاً لكل وصف على : فعلان ، ويأتى كذلك جمعاً للمفرد الذى بوزن فعيل مثل : قديم وأسير وفريد .

البناء السادس والعشرون – فَعالِىّ ( بفتح الفاء والعين وكسر اللام وتشديد الياء ) :

وقد لاحظت من خلال الاستقراء الدقيق لألفاظ الجموع فى القرآن الكريم أن هذا البناء لم يستعمل فيه مطلقاً .

ونلاحظ اطراد هذا البناء – من وجهة نظر الصرفيين[5] – فى الثلاثى ساكن العين وآخره ياء مشددة غير ياء النسب ؛ مثل : كرسى وكراسى ، وقُمرى – لنوع من الحمام – وقماوىّ وإنسىّ وأناسى ، وجاء على غير القاعدة – على حد قولهم : إنسان وأناسى[6] .

وأقول : إن الاستقراء الوصفى يجيز الصيغ المسموعة عن العرب فى هذا البناء وغيره ، دون اهتمام بالمطرد أو الشاذ أو النادر ، فالعبرة بما ورد من نماذج فصيحة أجازها العرب .

البناء السابع والعشرون – فعالل[7] ( بفتح الفاء وكسر اللام الأولى ) :

وعلى هذا البناء قول القرآن الكريم : جمع ضفدع على ضفادع فى قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع[8] » وملك على ملائكة فى قوله : « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين[9] » ، ودرهم على دراهم فى قوله : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة[10] » وسلسلة على سلاسل فى قوله : « إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل

---

( ١ ) سورة البقرة الآية ٨٥ ( ٢ ) سورة الحج الآية ٢ ، ٣ وقد وردت نفس الكلمة ( سكارى ) فى الآية ٤٣ من سورة النساء ( ٣ ) سورة النساء الآية ١٤٢ ( ٤ ) سورة الأنعام الآية ٩٤

( ٥ ) يراجع التصريح ٢/٣١٤ والأشمونى ٢/٣٧١ والهمع ٢/١٧٩ والفيصل ص٨٧ .

( ٦ ) يراجع سيبويه ٣/٦٢١

( ٧ ) ورد هذا البناء ثمانى مرات فى القرآن الكريم – استقراء – بصرف النظر عن تكرار بعض الجموع فى مواضع مختلفة ( ٨ ) سورة الأعراف الآية ١٣٣

( ٩ ) سورة آل عمران الآية ١٢٥ ( ١٠ ) سورة يوسف الآية ٢٠

يسحبون[1] » ، ومنجرة على حناجر فى قوله : «إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين[2]».

ونلاحظ أن الصرفيين[3] يقررون ، ولا يخالفهم المنهج الوصفى فيما قرروا — أن هذا البناء يطرد فى جمع مجرد الرباعى أو الخماسى ومزيدهما مثل : جعفر وجعافر ، برثن وبراثن ، سفرجل وسفارج ، فرزدق وفرازق أو فرازد . فنرى الرباعى قد جمع دون حذف أحد أصوله ، أما الخماسى فقد جمع بحذف الرابع أو الخامس ، وحذف الخامس أولى أما مزيد الرباعى[4] والخماسى فتحذف حروف الزيادة من الرباعى والحرف الخامس الأصلى مع الزيادة من الخماسى .

* * *

**رابعا : قضية شبه فعالل وفعاليل :**

وهو آخر الأبنية التى ارتآها الصرفيون لجموع التكسير ، ويبدو أنهم استكثروا الأوزان فوضعوا أكثر من عشرة أبنية مختلفة تحت تقسيم واحد وسموه بشبه فعالل ، وعرفوه بقولهم : « وهو ما ماثله عددا وهيئة ، وإن خالفه زنة كمفاعل وفياعل ، ويطرد فى مزيد الثلاثى غير ما تقدم[5] » :

وقد عبر ابن مالك عن هذا البناء وماشابهه بقوله :

وبفعـالل وشـبهه انطقا
فى جمع ما فوق الثلاثة ارتقى

وقـال الأشمونى فى شرحـه : وأما شبهـه فيجمع عليـه كل ثلاثى مزيد إلا ما أخرجه ابن مالك بقوله : ( من غير ما مضى ) .. وشمل قوله ما فوق الثلاثة : الرباعى وما زاد عليه ، أما الرباعى فإن كان مجردا جمع على فعالل . وإن كان بزيادة جُمع على شبه فعالل سواء أكانت زيادة للإلحاق أم لغيره [6] » ولم يظفر شبـه فعالل بعناية أكثر من هذا من جانب الصرفيين الأوائل .

وأقول : إن المنهج الوصفى الاستقرائى يرفض التعميم ، ويميل إلى استقرار الأمثلة من كلام العرب وتقعيد القواعد المفصلة المناسبة ، وإذا كنا قد اتجهنا مع الصرفيين فى تقسيمات جموع التكسير التى وصلت — بعد أن ألغى البحث الفروق بين القلة والكثرة

---

(١) سورة غافر الآية ٧١ (٢) سورة غافر الآية ١٨

(٣) يراجع الكتاب ٣/٦٢٠ والمقتضب ٢/٢٢٦ ، ٢٢٨ والهمع ٢/١٨٠ — ١٨١ والتصريح ٢/ ٣١٥ والأشمونى ٢/٢٧٣

(٤) إذا كان الحرف الزائد حرف لين ( ألف أو واو أو ياء ساكنة مسبوقة بحركة تماثلها ) وجاء رابعا قبل الآخر ، فإنه يبقى إن كان ياء ، ويقلب ياء إن كان ألفاً أو واواً مثل : قناديل وقناديل ، عصفور وعصافير مصباح ومصابيح .

(٥) الأشمونى ٢ / ٢٧٣ (٦) التصريح ٢/٣١٦

إلى ثمانية وعشرين بناء ، فما أحرانا أن نقعد تفصيلا لما أطلقوا عليه « شبه فعالل » لأنها — فى رأيى — أبنية مستقلة ذات قواعد ثابتة وإن كان يجمع كل تلك الأوزان : أن مفرداتها غير ثلاثية إلا ما تقدم — على حد تعبير ابن مالك الوارد سلفاً .

وسيتناول بحثى هذا البناء من خلال أربعة عشر وزناً — من واقع الاستقراء الدقيق للجموع فى القرآن الكريم ، وفى كلام العرب ، وسنعالجها بنفس الأسلوب الذى عالجنا به أبنية التكسير السابقة .

١ — مَفَـــاعِل[١] :

وعليه جاء جمع مضجع على مضاجع كقول القرآن : « واهجروهن فى المضاجع[٢] » ، ومعيشة على معايش فى قوله : « وجعلنا لكم فيها معايش[٣] » ، ومشرق ومغرب على مشارق ومغارب فى قوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب[٤] » ، ومرفق على مرافق فى قوله : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق[٥] » ، ومفتاح على مفاتح كقوله : « وعنده مفاتح الغيب[٦] » ، ومنفعة على منافع كقوله : « ليشهدوا منافع لهم[٧] » ، ومسجد على مساجد فى قوله : « وأن المساجد لله[٨] » ، ومصنع على مصانع فى قوله : « وتتخذون مصانع لعلكم تخالدون[٩] » . . إلى آخر تلك النماذج الكريمة .

ونلاحظ أن هـذا الجمع — استقراء — يرد للمفردات التى بوزن : مفعَل أو مفعِل أو مُفعِل أو مِفعل أو مَفعلة أو مِفعال[١٠] . ويرد قليلا من وزن : مُفْعُل كمدهن[١١] ومداهن ، ومنخل ومناخل .

٢ — مفاعيل[١٢] :

وعليه جاء جمع مسكين على مساكين فى قول القرآن : « فكفارته إطعام عشرة مساكين[١٣] » ، وميزان على موازين فى قوله : « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون[١٤] »

---

(١) ورد هذا الجمع أربعا وعشرين مرة — من واقع الاستقراء — فى القرآن الكريم بصرف النظر عن مرات تكرار بعض الجموع .
ويراجع الكتاب ج ٣/٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٤٠٧، ٦٤٠ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ج٤/٢٥٠، ٤١٥ والأشمونى ٢/٣٧٣

(٢) سورة النساء الآية ٣٤ (٣) سورة الأعراف الآية ١٠ (٤) سورة المعارج الآية ٤٠
(٥) سورة المائدة الآية ٦ (٦) سورة الأنعام الآية ٥٩ (٧) سورة الحج الآية ٢٨
(٨) سورة الجن الآية ١٨ (٩) سورة الشعراء الآية ١٢٩

(١٠) لم تخرج النماذج القرآنية الأربعة والعشرون عن هذه الأوزان الستة فى مفرداتها وأمثلتها على الترتيب : مضجع ومشرق ومرضع ومرفق ومعيشة ومفتاح (١١) المدهن : قارورة الدهن

(١٢) ورد هـذا الجمع ست مرات فى القرآن الكريم استقراء — بصرف النظر عن تكرار بعض ألفاظه .
ويراجع الكتاب ٣/٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٦٤٠ ، ٦٤٢ ، ٤/٢٥٠ ، ٤١٥ والمقتضب ٢ / ٢٨٥ ، ٣/٣٦٢

(١٣) سورة المائدة الآية ٨٩ (١٤) سورة الأعراف الآية ٨ .

ومحراب على محاريب فى قوله : « يعملون له ما يشاء من محاريب[1] » ، ومصباح على مصابيح فى قوله : «وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً[2] » ، ومعذار على معاذير فى قوله : « ولو ألقى معاذيره[3] »، ومقلد على مقاليد فى قوله : «له مقاليد السماوات والأرض »[4].

ونلاحظ أن هذا الجمع — استقراء — يرد للمفردات التى بوزن : مفعيل أو مفعال أو مِفْعَل، كما يأتى قليلا من وزنى : مُفعل كموسر ومياسير ، ومَفعولة كمرجوحة، ومراجيح ، ومفعول[5] كملعون وملاعين . كما نلاحظ أن جمع « مفاعيل » يعتبر تطوراً صوتياً للجمع السابق « مفاعل » حيث أشبعت كسرة العين وطالت فصارت ياء .

٣ — فياعل[6] :

وهو من الأوزان التى لم يرد عليها ألفاظ جموع فى القرآن الكريم . وهو يأتى — استقراء — جمعاً لفيْعل فى قولنا: فيلق[7] وفيالق ، وأيطل[8] وأياطل ، وهيكل وهياكل ، ونيزك ونيازك[9] :

فنلاحظ أنه يأتى جمعاً لوزن « فيعل » باستمرار .

٤ — فياعيل[10] :

وهو من الأوزان النادرة الاستعمال فى القرآن الكريم ؛ حيث ورد مرة واحدة ، بغض النظر عن مرات تكراره ، وهو كلمة شيطان[11] وجمعها شياطين فى قول القرآن: « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين[12]» .

ويأتى أحياناً جمعاً لفيعول كقولنا : حيزوم[13] وحيازيم :

فنلاحظ أن هذا الوزن يأتى جمعا لفيعال .

وفيعول . ويعتبر هذا البناء (فياعيل) تطوراً صوتياً للجمع السابق ( فياعل )حيث أشبعت كسرة العين ، وطالت ، فصارت ياء .

---

( ١ ) سورة سبأ الآية ١٣ ( ٢ ) سورة فصلت الآية١٢ .

( ٣ ) سورة القيامة الآية ١٥ والمعاذير : الحجج يعتذر بها — واحد معذار ( تاج العروس / عذر ) .

( ٤ ) سورة الزمر الآية ٦٣ والمقلد : عصا فى رأسها اعوجاج يقلد الكلأ كما يقلد القت إذا جعل حبالا أى يفتل ، والجمع : المقاليد ( لسان العرب / قلد ) .

( ٥ ) ستفرد هذه القضية بعلاج خاص بعد الانتهاء من استعراض أبنية جموع التكسير جميعها

( ٦ ) يراجع الكتاب٤/٣٧٩، ٣٩٢ والتصريح٢/٣١٧والأشمونى٢/٣٧٣والهمع ٢/١٨٠ والفيصل ص ١٧٨

( ٧ ) الفيلق : الجيش . ( ٨ ) الأيطل : الخاصرة . ( ٩ ) النيزك : الرمح القصير .

( ١٠ ) يراجع الكتاب ٤/٣٥٢ والمقتضب ١ / ٢٦٤ ، والفيصل ص ١٧٩

( ١١ ) تعتبر هذه الكلمة تابعة للوزن ( فيعال ) إن اعتبرنا الأصل المعجمى لها ( شطن ) بوزن فعل ، فتكون شيطان بوزن : فيعال

( ١٢ ) سورة الإسراء الآية ٢٧ ( ١٣ ) الحيزوم : صدر السفينة .

٥ ــ فياعلة[1] :

وهو من الأبنية التى لم تستعمل فى القرآن الكريم . ومنها قولنا فى جمع الصيقل[2] صياقلة ، والصيرفىّ : صيارفة ، والبيطار[3] : بياطرة ، والصيدلانىّ : صيادلة .

فنلاحظ أن هذا البناء يأتى جمعاً لفيْعل وفَيْعلىّ وفيعال وفيعلانىّ .

٦ ــ فعاليل[4] :

وعلى هذا البناء جمع جلباب على جلابيب فى قول القرآن : «يدنين عليهن من جلابيبهن[5]» وخنزير على خنازير فى قوله : « وجعل منهم القردة والخنازير[6] » ، وقرطاس على قراطيس فى قوله : « تجعلونه قراطيس تبدونها[7] » ، وسربال على سرابيل فى قوله : « سرابيل تقيكم الحر[8] » ، وغربيب على غرابيب فى قوله : « وغرابيب سود[9] » .

فنلاحظ أن هذا البناء يأتى جمعاً لفِعلال وفِعليل ، كما يأتى جمعاً لفُعلول وفُعلال وفِعْلَوْل ، وقد أوردنا أمثلة قرآنية للوزنين الأولين ، أما الأوزان الثلاثة الأخيرة فأمثلتها على الترتيب : عصفور وعصافير ، برهان وبراهين ، برذَوْن[10] وبراذين :

ويعتبر هذا الوزن تطوراً صوتياً للوزن ( فعالل ) حيث طالت وأشبعت كسرة اللام الأولى فصارت ياء :

٧ ــ فعالة :

وهو من الأبنية التى لم تستعمل فى القرآن الكريم ، ومنها قولنا فى جمع البطريق[11] : بطارقة ، والجهبذ[12] : جهابذة ، والسهلب[13] : لاهبة ، والدهقان[14] : دهاقنة .

فنلاحظ أن هذا البناء[15] يأتى جمعاً لفِعْليل وفَعْلَل وفِعلال .

٨ ــ فعاعيل[16] :

فنلاحظ أن هذا البناء يأتى جمعاً لفِعلال وفِعليل ، كما يأتى جمعاً لفُعلول وفُعلال

وهو كذلك من الأبنية التى لم تستخدم فى القرآن الكريم . ومنها قولنا فى جمع الخفاش

---

(١) يراجع الهمع ١٨٠/٢ والفيصل ص ١٧٩ (٢) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها

(٣) البيطار : من يعالج الدواب

(٤) ورد ذكر هذا البناء خمس مرات من واقع الاستقراء القرآنى ، بغض النظر عن تكرار بعض ألفاظه . ويراجع الكتاب ٦٢٣/٣ والمقتضب ٢٢٩/٢ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤ والأشمونى ٣٧٥/٢

(٥) سورة الأحزاب الآية ٥٩ (٦) سورة المائدة الآية ٦٠

(٧) سورة الأنعام الآية ٩١ (٨) سورة النحل الآية ٨١

(٩) سورة فاطر الآية ٢٧ ولسان العرب ( غرب ) ويقال : أسود غربيب وغرابيب : شديد السواد ، وجمعه غرابيب .

(١٠) البرذون : الدابة .

(١١) البطريق : القائد من قواد الروم . (١٢) الجهبذ : النقاد الخبير بما يعمل

(١٣) السلهب : الطويل من الرجال ، ويراجع فى هذه البقية كل من المقتضب ٢٢٦/٢ والهمع ١٨٠/٢ والفيصل ص ١٧٥

(١٤) الدهقان : رئيس الإقليم وزعيم فلاحى العجم

(١٥) يراجع كتاب سيبويه ٦٢٠/٣ (١٦) يراجع الكتاب ٣٧٨/٤ والفيصل ص ١٧٦

خفافيش ، والدكان : دكاكين ، والسلّم : سلالم[1] .

فنلاحظ أن هذا البناء يأتى جمعاً لصيغتى : فُعّال وفُعَّل .

٩ ــ فعالين[2] :

وهو من الأبنية النادرة فى القرآن الكريم ، حيث ورد منه لفظ واحد ؛ وهو كلمة شيطان[3] وجمعه : شياطين فى قول القرآن : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين[4] » .

ونلاحظ أن هذا البناء يأتى جمعاً لأوزان : فَعْلان وفُعْلان وفِعْلان وفَعَلان ، ونماذجها على الترتيب : شيطان وشياطين ــ كما أسلفنا ــ وبستان وبساتين ، وسِرحان[5] وسراحين ، وكروان وكراوين .

١٠ ــ أفاعل[6] :

وعلى هذا البناء جمع أنملة ( بتثليث الهمزة والميم ) على أنامل فى قول القرآن : « وإذ خلوا عضوا عليكم الأنامل[7] » ، والأرْذل ( أو الرُّذال والرذيل[8] ) على أراذل فى قوله : «وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا[9]» وإسورة على أساور فى قوله : « وحُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً[10]» ، وإصبع على أصابع فى قوله : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم[11] » .

ونلاحظ أن هذا البناء[12] يأتى جمعاً ــ لأوزان : إفعلة وأفعل وإفعل ، وأفعول وفُعلة ، والوزنان الأخيران قليلا الاستعمال[13].

١١ ــ أفاعيل[14] :

وعلى هذا البناء جمع أمنية على أمانى فى قول القرآن : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب[15] » ، وأسطورة على أساطير

---

( ١ ) يستخدم هذا الجمع فى لهجات صعيد مصر ، وهو جمع فصيح ، وورد للوزن نفسه جمع آخر على وزن ( فعاعل ) وهو قولهم : سلالم ، وصيغة ( فعاعل ) نادرة الاستعمال فى اللغة .

( ٢ ) يراجع المقتضب ٢/٢٦٤ والهمع ٢/١٨٠

( ٣ ) وتعتبر هذه الكلمة مثالا للوزن المذكور إن اعتبرنا أصلها المعجم ( شيط ) فيكون شيطان بوزن : فعلان

( ٤ ) سورة الملك الآية ٥ ( ٥ ) السرحان : الذئب أو الأسد .

( ٦ ) ورد هذا البناء أربع مرات فى القرآن الكريم استقراء بغض النظر عن تكرار بعض ألفاظه .

( ٧ ) سورة آل عمران الآية ١١٩

( ٨ ) تاج العروس ( رذل ) : وهو الدون من الناس أو الخسيس ، والردىء من كل شىء .

( ٩ ) سورة هود الآية ٢٧ ( ١٠ ) سورة الإنسان الآية٢١ ( ١١ ) سورة البقرة الآية١٩

( ١٢ ) يراجع الكتاب٣ / ٦١٨ ، ٤٠٧ والمقتضب ٢ / ٢١٤ ، ٢٢٦

( ١٣ ) مثلوا لهما بقولهم : الأمعوز ــ لسرب الظباء وجمعها أماعز والكحلة ــ لبقلة وجمعها : أكاحل

( ١٤ ) ورد هذا البناء خمس مرات فى القرآن الكريم من خلال الاستقراء بصرف النظر عن تكرار بعض الألفاظ

( ١٥ ) سورة النساء الآية١٢٣

فى قوله : « إن هذا إلا أساطير الأولين[1] »، وإبريق على أباريق فى قوله : « بأكواب وأباريق[2] » ، وأحدوثة ( أو حديث ) على أحاديث فى قوله : « ويعلمك من تأويل الأحاديث[3] » ، وقول وأقوال وجمع الجمع : أقاويل فى قوله : « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل[4] » .

ونلاحظ أن هذا البناء[5] يأتى جمعاً لأوزان : أفعولة وإفعيل ، وأفعال جمعاً ، وفَعيل وفَعول قليلا ــ ومثال الأخيرين : حديث وأحاديث ، وعروض وأعاريض .

ويعتبر هذا البناء تطوراً صوتياً للوزن ــ السابق ( أفاعل ) حيث أشبعت كسرة العين وطالت ، فصارت ياء .

١٢ ــ تفاعيل[6] :

وهو من الأوزان النادرة فى القرآن الكريم حيث لم يرد عليه إلا جمع واحد من واقع الاستقراء الدقيق ، وهو جمع تمثال على تماثيل[7] فى قوله : « ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون[8] » .

ونلاحظ أن هذا البناء يرد جمعاً لأوزان تفعال ــ بفتح التاء أو كسرها ، وتَفْعيل ؛ ومثالها : تصريف وتصاريف .

١٣ ــ يفاعيل :

ويعتبر هذا الوزن جديداً ، حيث لم أعثر على مَنْ عالجه فى مراجع الصرف التى وقعت عليها عين البحث ضمن بناء « شبه فعالل » أو غيره ، سوى إلماحه سريعة من سيبويه[9].

وقد عثرت عليه فى أثناء استقرائى لألفاظ الجموع فى القرآن الكريم مرة واحدة ، وهو جمع ينبوع على ينابيع فى قوله : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض[10] » ، ومنها ماجاء فى الكتاب يربوع ويرابيع ، ويعقوب ويعاقيب .

---

( ١ ) سورة الأنعام الآية ٢٥ ( ٢ ) سورة الواقعة الآية ١٨

( ٣ ) سورة يوسف الآية٧ ولسان العرب ( حدث ) : ونقل عن الفراء أن واحد الأحاديث : أحدوثة بمعنى أعجوبة ، ثم جعلوه جمعا للحديث ، وقال ابن برى : لا يكون واحد أحاديث الرسول إلا حديثا .

( ٤ ) سورة الحاقة الآية ٤٤

( ٥ ) يراجع الكتاب ٤٠٧/٣ والهمع ١٨٠/٢ والأشمونى ٣٧٨/٢ والفيصل ص ١٨٦ .

( ٦ ) يراجع الكتاب ٢٥٢/٤ والهمع ١٨٠/٢ والأشمونى ٣٧٦/٢ واللسان ( مثل ) والفيصل ص ١٨٨

( ٧ ) تكررت هذه الكلمة مرتين فى موضعين من الكتاب العزيز ، ويراجع لسان العرب مثل : ويقال مثلت إذا صورت تمثالا ، والتمثال : الاسم منه ، والتمثال : اسم للشىء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله وجمعه تماثيل ، وأصله من مثلت الشىء ، واسم ذلك الممثال : تمثال ، وأما التمثال بالفتح فهو مصدر مثلت تمثيلا وتمثالا . ويراجع الصحاح ( مثل ) والتمثال : الصورة ، والجمع : التماثيل .

( ٨ ) سورة الأنبياء الآية٥٢ ( ٩ ) يراجع الكتاب ٢٥٢/٤

( ١٠ ) سورة الزمر الآية٢١ ويراجع تاج العروس / نبع : وينبوع على يفعول، والجمع ينابيع على يفاعيل .

فنلاحظ أن هذا البناء الجديد نادر الاستعمال ، وهو يصاغ جمعاً لوزن يفعول — بضم أوله .

١٤ — فواعيل :

ويعتبر هذا الوزن — هو الآخر — وزناً جديداً ، حيث لم أعثر على من أشار إليه فى بناء « شبه فعالل » أو فى غيره .

وقد عثرت عليه فى أثناء استقرائى لألفاظ الجموع فى القرآن الكريم مرة واحدة ، وهو جمع قارورة على قوارير فى قول القرآن : « قال إنه صرح ممرد من قوارير » [1] .

ونلاحظ أيضاً أن هذا البناء الجديد نادر الاستعمال ، وهو يصاغ جمعاً لوزن فاعولة مضعف العين واللام ، أو غير مضعف كناقوس ونواقيس ، وطاووس وطواويس [2] وأورد الكتاب : خواتيم [3] .

* * *

**خامسا : أوزان جديدة لم يهتم بها الصرفيون:**

وهى مجموعة من الأوزان التى كشف عنها الاستقراء الذى قمت به لألفاظ الجموع فى القرآن الكريم وكثير من مصادر اللغة ، وهى أوزان لم يشر إليها الصرفيون ، وهم يحصرون أبنية جموع التكسير بقلتها وكثرتها ، ولا هى تشبه « فعالل » ، فهى أبنية جديدة ، وجموع حقيقية ، قال الصرفيون عن بعضها : اسم جمع ، وسيناقشهم البحث فى ذلك ، وأغفلوا بعضها الآخر ، وهى أبنية تسعة يعالجها البحث فيما يأتى . .

البناء الأول — فعل ( بفتحتين ) :

وهو وزن لم يرد ضمن أبنية جموع التكسير التى حصرها الصرفيون ، ولكن البحث أثبته من استقراء ألفاظ الجموع فى القرآن الكريم — كما ألمحت — ومن أشهر المراجع الصرفية [4] .

وعليه جمع عمود على عمد كما فى قول القرآن [5] : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » [6] ، وحارس على حرس فى

---

( ١ ) سورة النمل الآية ٤٤ وقد تكررت هذه اللفظة مرتين أخريين فى آيتين متواليتين من سورة الإنسان ويراجع تاج العروس ( قرر ) : وقد استشهد فى هذا الموضع بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لأنجشة : « رويدك رفقا بالقوارير » يشبههن بها لضعف عزائمهن ، والقوارير : الزجاج يسرع إليها الكسر ، ولا تقبل الجبر .

( ٢ ) يراجع المقتضب ٢٦٤/١

( ٣ ) يراجع الكتاب ٢٥١/٤ وهناك عند سيبويه أوزان أخرى ليست معروفة فى الاستعمال ، ولكننى أذكرها فى حاشية البحث إتماما للفائدة وهى : فعاول وفناعل وتفاعل وفعاويل .. وغيرها

( ٤ ) يراجع الكتاب ٦٢٥/٣ وشرح الشافية ٢٠٤/٤ والمقتضب ٢١١/٢ ، ٢١٨ والأشمونى ٣٧٢/٢ والفيصل ص ٢٥٣ وابن خالويه عالم اللغة ( مخطوط للباحث ) ص ٢١٤ ، وكتاب إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص ١٨٧

( ٥ ) ورد هذا الوزن خمس مرات من خلال استقراء الجموع فى القرآن الكريم بصرف النظر عن تكرار بعض ألفاظه .

( ٦ ) سورة الرعد الآية ٢

قوله : « فوجدناها ملئت حرساً شديداً[1] » وتابع على تبع فى قوله : « كنا لكم تبعاً[2] »، وقصة على قصص فى قوله : « نحن نقص عليك أحسن القصص[3] »، وحمأة على حمأ فى قوله : « من حمأ مسنون[4] » .

ونلاحظ أن هذا البناء ورد — من خلال الاستقراء القرآنى — جمعاً لصيغ : فعول وفاعل وفِعْله وفَعَلة . كما جاء من غير ذلك جمعاً لفعيل وفعال ، وأمثلتها كما حددها اللغويون[5] : أفيق[6] وأفق ، إهاب وأهب .

ولنناقش الصرفيين فى اعتبارهم أمثال هذه الكلمات الواردة تحت هذا البناء ( فَعَل ) وغيره مما سيذكر من أبنية ضمن أسماء الجموع وليست من جموع التكسير . فنورد تعريف الصرفيين[7] لاسم الجمع حيث قالوا « اسم الجمع ما كان موضوعاً لمجموع الآحاد الأ علیها دلالة الواحد على جملة أجزاء مسماه سواء كان له واحد من لفظه مستعمل كراكب وركب ، أو لم يكن له واحد من لفظه كقوم جمعاً لرجل ، وخيل جمعاً لفرس » .

وتصورهم لهذه الدلالة سببه — فيما أرى — إمكان الإشارة إلى الجمع بلفظ الواحد فنقول هذا ركب ، وهذه خيل .

ولكن — هل تحقق هذا الشرط فيما نحن بصدده ؟ وهل يمكن أن نقول : هذا حرس وهذا تبع ؟ وما المانع أن تكون مثل هذه الجموع — شأنها شأن جموع التكسير الأخرى — موضوعة للآحاد المجتمعة دالة عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف ؟ فكلمة حرس تدل — مثلا — على حارس وحارس وحارس ، ويمكننا أن نقول : هؤلاء حَرَس الملك كما نقول : هؤلاء حُرّاسه .

البناء الثانى — فعيل[8] ( بفتح فكسر ) :

وهو كذلك من الأبنية الجديدة التى كشفها البحث من خلال استقراء ألفاظ الجموع فى القرآن الكريم ، وعليه جمع عبد على عبيد فى قول القرآن : « وأن الله ليس بظلام للعبيد[9] » ، وحمار على حمير فى قوله : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة[10] » ونخلة على نخيل فى قوله : « ومن ثمرات النخيل والأعناب[11] » .

---

( ١ ) سورة الجن الآية ٨ ( ٢ ) سورة غافر الآية ٤٧

( ٣ ) سورة يوسف الآية٣ ( ٤ ) سورة الحجر الآية ٢٦

( ٥ ) يراجع لسان العرب ، والمصادر السابقة المذكورة فى الحاشية رقم (٤) من الصفحة السابقة فى التحشية على البناء ( فعل ) الذى نحن بصدده .

( ٦ ) اللسان / أفق : الأفيق — الجلد الذى لم يدبغ ( عن ثعلب ) .

( ٧ ) الأشمونى ٢—٣٧٩ والفيصل ص ١١١

( ٨ ) ورد هذا البناء ثلاث مرات فقط فى القرآن الكريم بصرف النظر عن تكرار بعض ألفاظه .

( ٩ ) سورة آل عمران الآية ١٨٢ ( ١٠ ) سورة النحل الآية ٨

(١١) سورة النحل الآية ٦٧

ونلاحظ أن هذا البناء ورد من خلال الاستقراء القرآنى جمعاً لصيغ : فَعْل وفِعَال ، وفَعْلة . كما جاء من غير ذلك جمعاً لفاعل كتمثيل سيبويه[1] : عازب وعزيب وغازٍ وغَزِىٌّ ، وعلى نفس الوزن جاء : حاجٌّ وحجيج .

البناء الثالث — فعال[2] ( بضم ففتح ) :

وهو كذلك من الأبنية الجديدة التى كشفها البحث من خلال استقراء ألفاظ الجموع فى القرآن الكريم وعليه جمع جذيذ على جُذاذ فى قول القرآن : « فجعلهم جذاذا إلا كبيراً لهم[3] » . ولم يرد هذا الجمع فى فى القرآن الكريم[4] إلا مرة واحدة وعلى تلك اللفظة ( جذاذ ) .

ونلاحظ أن هذا البناء قد ورد من خلال الاستقراء القرآنى — جمعاً لصيغة : فَعِيل ، كما جاء من غير ذلك جمعاً لصيغة فِعْل كقولهم : ظِئْر وظؤار[5] وخفيف وخُفاف ، وسريع وسراع[6] :

ونلاحظ أيضاً أن هذا البناء ( فُعال ) يعتبر تطوراً صوتياً للبناء (فُعَل ) وهو من أبنية

---

( ١ ) يراجع الكتاب ٣ / ٦٢٦ واستشهد بقول امرىء القيس :

سريت بهم حتى تكل غزيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

ويقول محقق الكتاب : فهو اسم جمع لناز لأن فعيلا ليس مما يكسر عليه الواحد إلا شذوذا ، والمنهج الوصفى شأن الكوفيين — يعترف بجميع الظواهر اللغوية ، مادام الفصحاء قد أجازوها فى كلامهم ، ولا يرفض النادر . ويراجع الكتاب كذلك ٣ /٥٦٧ ، ٥٧٦ ، ٦٢٨ وشرح الشافية ٤/٢٠٦ ، ٩٢ وينقل الاستراباذى رأى سيبويه من الصفحات، المشار إليها هنا بقوله : « وحمير ( فعيل ) عند سيبويه من صيغة الجمع لكنه كان القياس أن يكون جمع فعل ككليب ومعيز وضئين ، وقال غير سيبويه : إنه ليس من أبنية الجموع فهو اسم جمع كركب » وأقول : إننى أتفق فى رأيى مع رأى إمام النحاة الذى اعتبر هذه الصيغة ( فعيل ) من جموع التكسير .

( ٢ ) يراجع الكتاب ٣/٦٠٩ ، ٦١٤ ، ٦٤٧ وشرح الشافية ٤ /٢٠٦ ويذكر الاستراباذى أن وزن ( فعال ) عند سيبويه من أبنية الجموع خلافا لغيره ،لكن قياسه عنده أن يكون جمع فعل كظؤار فى ظئر (وهى التى تعطف على ولد غيرها من الناس وغيرهم ) وفعل كرخال فى رخل ( وهو الأنثى من أولاد الضأن ) قال : وتؤام فى توأم شاذ ، وعند غيره هو اسم جمع .ا.هـ.وأكرر ما قلته فى الحاشية السابقة أننى أوافق رأى سيبويه الذى اعتبر ( فعال) كذلك من صيغ جموع التكسير .

( ٣ ) سورة الأنبياء الآية ٥٨ ويراجع تاج العروس/جذذ : جذذت الشىء جذاذا : قطعته قطعا ،وجعلهم جذاذا : أى حطاما ، وقيل : هو جمع جذيذ — وهو من الجمع العزيز مثل : خفيف وخفاف .

( ٤ ) ورد على الوزن نفسه جمع ذبابة على ذباب فى سورة الحج — ٧٣ « لن يخلقوا ذبابا » ولم أثبتها شاهدا لأنه ينطبق عليها قاعدة اسم الجنس الجمعى ، وإن كان ابن خالويه يعتبرها جمعا مسموعا للمفرد : ذب بوزن ( فعل ) ويراجع ابن خالويه عالم اللغة ص ٢١٨

( ٥ ) يراجع الأشمونى ٢/ ٣٧٢

( ٦ ) يراجع المقتضب ٢/٢٠٨ ولسان العرب / سرع :ونقل عن ابن برى استشهاده بقول عمرو بن معد يكرب

حتى تروه كاشفا قناعه تعدو به سلهبة سراعه

ويتفق الشطر الثانى من الشاهد مع ما رواه المبرد فى المقتضب ، وراد : ثوب رقيق ورقاق ، وعلق بقوله : وهذا أكثر من أن يحصى . وأقول : ألا يجدر بنا بعد قول المبرد وغيره اعتبار هذه البنية ( فعال ) من أبنية جموع التكسير ؟

التكسير المعروفة كغُرفة وغُرَف ومُدية ومُدى حيث أشبعت فتحة العين فصارت ألفاً .

وقال الأشمونى فى منهج السالك[1] عن هذا الوزن ( فُعال ) وسابقه ( فعيل ) :

« وأما فَعيل وفُعال — بضم الفاء ؛ نحو عبيد جمع عبد ، وظؤار جمع ظئر ففيها خلاف ، ذكر بعضهم أنها اسم جمع ، على الصحيح — من وجهة نظر الأشمونى ، وقال فى التسهيل يقصد ابن مالك ؛ وأنا معه فى رأيه : الأصح أنهما مثالا تكسير لا اسما جمع ، وقد أيدت ذلك فى الحواشى السابقة من كلام إمام النحاة سيبويه الذى اعتبرهما من جموع التكسير كما أسلفت .

البناء الرابع — فِعالة[2] ( بكسر ففتح ) :

وهو بناء جديد يصدق — من خلال الاستقراء القرآنى — على كلمتين اثنتين وردتا جمعاً لكلمتى : جمل على جِمالة فى قول القرآن : « كأنه جِمالت صفر[3] » وحجر على حجارة فى قوله : « قل كونوا حجارة أو حديداً[4] » .

ونلاحظ أن هذا البناء يأتى جمعاً لوزن واحد هو : فَعَل — من خلال مثالى القرآن الكريم .

كما نلاحظ أنه يأتى كذلك — فى غير القرآن جمعاً لوزن فاعل قليلا مثل : صاحب وصِحابة

ونلاحظ أخيراً أن وزن (فِعالة ) يعتبر تطوراً صوتياً للوزن (فِعَالَةُ) وهو من أبنية جموع التكسير المعروفة مثل : قرد وقِردة ، حيث أشبعت فتحه العين وطالت حتى صارت ألفا فى (فِعالة ) .

البناء الخامس — فعالة ( بفتحتين ) :

وهو بناء جديد ، لم نعثر على نموذج له فى ألفاظ القرآن الكريم ، ولكنه وارد فى اللغة الفصيحة — ضمن ما اعتبره الصرفيون من أسماء الجموع ، وهو جمعهم لصاحب على صَحابة[5] ، وقد اشتهر بهذا الاسم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم — رضوان الله عليهم . أى أن فاعل قد تجمع على : فَعالة .

وأرى أن هذا البناء ( فَعالة ) يعتبر تطوراً صوتياً للبناء (فَعَلة ) وهو من أبنية جموع التكسير المعروفة مثل : ساحر وسحرة ؛ حيث أشبعت فتحة العين ؛ وطالت ؛ حتى صارت ألفا فى (فَعالة ) .

البناء السادس — فَعَّالة (بفتح الأول وتشديد الثانى مفتوحاً مع المد ) :

وهو بناء جديد ، يصدق — من خلال الاستقراء القرآنى — على كلمة واحدة وردت

---

( ١ ) منهج السالك ٢/٣٧٢ ويراجع التسهيل ص ٢٧٤

( ٢ ) يراجع الكتاب ٣/٥٦٨ ، ٥٧١

( ٣ ) سورة المرسلات الآية ٣٣

( ٤ ) سورة الإسراء . الآية ٥٠

( ٥ ) يراجع الفيصل ص ٢٥٣

جمعاً للفظة سائر على سيارة بمعنى : مسافرين في قول القرآن : « يلتقطه بعض السيارة »[1].

أى أن وزن اسم الفاعل ( من الثلاثى ) وهو وزن فاعل[2] يجمع أحياناً على: فَعَّالة .

البناء السابع ــ فواعل :

وهو يصدق من خلال الاستقراء القرآنى على كلمة واحدة وردت جمعاً لكلمة جنّ على جانّ في قول القرآن: « وخلق الجانّ من مارج من نار[3] » . وهو فيما يتضح بناء نادر[4] .

ونلاحظ أن هذا البناء[5] قد يأتى جمعاً ــ على ندرة ــ للأوزان: فِعْل وفَعَل أو فَعَلة ، وإن كان الأخيران ومثالاهما : جَمَل وجامل ، بقرة وباقر ــ لا يستعملان إلا قليلا .

البناء الثامن ــ فَعْل ( بفتح فسكون ) :

وهو بناء جديد يصدق ــ من خلال الاستقراء القرآنى ــ على أربع كلمات وردت كل منها مرة واحدة فجاءت كلمة راكب مجموعة على رَكْب في قول القرآن: « والركب أسفل منكم[6] » وكلمة ضائن على ضأن وماعز على مَعْز في قوله : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين[7] » .وكلمة وافد على وفْد في قوله : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفْدا[8] » :

فنلاحظ أن ( فاعل ) يجمع كذلك على ( فَعْل ) . وهناك حديث شريف جاء فيه جمع شارخ بمعنى شاب على شَرْخ أى فاعل على فَعْل ــ وذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

---

( ١ ) سورة يوسف الآية ١٠ وقد ورد هذا الجمع ثلاث مرات في القرآن الكريم من سورتى المائدة ويوسف .

( ٢ ) من خلال الاستقراء القرآنى ، وتتبع جموع التكسير في كثير من المصادر اللغوية والصرفية وأقوال الفصحاء وجدنا أن الاسم الموزون على ( فاعل ) من أكثر الأسماء جنوحا ، حيث ورد له كثير من الجموع المقيسة والنادرة تصل إلى أربعة وعشرين بناء أو تزيد من الأبنية التى سبق أن عرضها البحث للجموع المعروفة ولشبه فعالل والجموع الجديدة التى اعتبر جمهور الصرفيين بعضا منها أسماء جموع .

( ٣ ) سورة الرحمن الآية ١٥

( ٤ ) قال بعض اللغويين : إن الجان اسم جمع للجن كالجامل والباقر ،وإن كنت أرى أن الجان والباقر جموع تكسير على وزن فاعل للكلمات: جن وجمل وبقرة ، وفق المنهج الذى ارتضيناه من قبل.ويراجع تاج العروس والمحكم ( جنن )

( ٥ ) يخالف هذا الرأى رأى إمام البصريين سيبويه الذى يقول في الكتاب ٣/٦٢٥ عند تعليقه على مثالى الجامل والباقر أن فاعلا لا يكسر عليه شيء ، وذلك لأن اتجاه القياس البصرى يخالف المنهج الذى ارتضيناه، حيث يمكن تقعيد القاعدة ولو لمثال واحد ، مادام الفصحاء قد أقروه ، أو ورد به الاستعمال في القرآن الكريم .

( ٦ ) سورة الأنفال الآية ٤٣

( ٧ ) سورة الأنعام الآية ١٤٣

( ٨ ) سورة مريم الآية ٨٥ ويراجع « كلمات القرآن » ص ٢٢٢ وفدا : ركبانا أوردا فدين استرفادا .

« اقتلوا شيوخ المشركين ، واستحيوا شرخهم[1] » . أى شبابهم .

البناء التاسع ــ فُعُولة :

وهو بناء جديد ذكره سيبويه[2] ، ولم يرد ضمن الاستعمال القرآنى ، ومما مثلوا له به هو جمعهم كلمة عمّ على عمومة ، وبَعْل على بعولة ، وعير على عيورة ، وخيط على خيوطه .

أى أن ( فَعْل ) يجمع أحياناً على (فُعولة) .

* * *

**سادسا : قضية مفعول ومفاعيل :**

منع علماء الصرف تكسير اسمى الفاعل والمفعول إذا كان كل منهما مبدوءا بميم زائدة ، وقالوا : إن قياسها التصحيح ، بيد أن بعضهم ذكر أمثلة صحيحة لجمع ( مفعول ) على ( مفاعيل ) مسموعة عمن يحتج بكلامهم ، ويعتبر سيبويه من المانعين للذلك على الرغم مما ساقه فى الكتاب[3] من جموع تخالف رأيه مثل : ملعون وملاعين ، مشئوم ومشائيم ، مسلوخة ومسالیخ ، مكسور ومكاسير[4] .

كما أورد نماذج لاسم الفاعل الذى على وزن ( مفعل ) كمطفل ومطافيل ، وجاء فى المعاجم : مومر ومياسير ، ومنكر ومناكير .

لذا فإننى أرى رأى مَنْ خالف سيبويه وابن هشام أنه لا داعى لمنع القياس على هذه الجموع المتعددة ، وخاصة بعد كشف نظائر أخرى كثيرة لها ، نذكر منها : مجنون ومجانين ــ فيما أنشده الكسائى :

إنْ هو مستوليا على أحد
إلا على أضعف المجانين[5]

ومرجوع ( وهو الوشم المجدد ) ومراجيع فى قول زهير :

ودار لها بالرقمتين كأنها
مراجيع وشم فى نواشر معصم[6]

---

( ١ ) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ( شرخ ) ٣/٩٦ ، والترمذى بشرح تحفة الأحوذى ( السير ) باب ٢٨ ج ٥/٢٠٧ واللفظ موافق لما فى الترمذى ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ومسند أحمد بن حنبل ٥/١٢ واللفظ موافق لما فى مسنده ، وفى ص ٢٠ من ابن حنبل ورد برواية أخرى هى : واستبقوا شرخهم .

( ٢ ) يراجع الكتاب ٣ / ٥٦٨ ، ٥٩٠

( ٣ ) يراجع الكتاب ٣ / ٦٤١ والفيصل ص ٩٤

( ٤ ) يراجع شرح المفصل ٥ / ٦٨ ومنكر : فاعل من أنكر فهو منكر ، والجمع : مناكير ــ وهى عنده من شواذ الجمع .

( ٥ ) البيت من شواهد النحو المشهورة على إعمال إن النافية ، عمل ليس ــ تهذيب التوضيح ١ / ٧٣

( ٦ ) شرح ديوان زهير من ويروى مراجع وشم ، وقوله مراجع وشم : شبه فيه آثار الديار بوشم ترجمه أى ردده حتى يثبت فى كفها ، والنواشر : عصب الذراع .

ومشبوب (وهو حسن الوجه) ومشابيب — فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابه لوائل بن حجر : « إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب»[1]. ويقال كذلك: ناقة ملقوحة ونوق ملاقيح ، ومطمورة ومطامير[2] .

ولنا أن نقول قياساً على ما سبق : موضوع ومواضيع ، مشروع ومشاريع ، مشهور ومشاهير ، مفهوم ومفاهيم ، مسحوق ومساحيق .

ولعل هذا القياس لتلك الصيغ يناسب المنهج الوصفى الذى يقبل الصيغ المستعملة الموافقة للأصول اللغوية المتعارف عليها .

وتكون صيغة (مفعول[3]) عندئذ مفيدة لأمر من اثنين :

الأول: فى أسماء المصطلحات كمرجوع ( للوشم المجدد ) ومراجيع ، ومفعول ( للمصطلح النحوى ) ومفاعيل ، وأسماء ذوات أو هيئات كمحلول ومحاليل ، محصول محاصيل ، مندوحة ( للأرض الواسعة ) ومناديح — وعليها قول الشاعر[4]:

إلا أن جيرانى العشية رائحٌ
دعتهمُ دواعٍ للهوى ومنادحُ

الثانى : كلمات بوزن ( مفعول ) وتدل على النسب مثل : منكود بمعنى ذى نكد ومناكيد — فى قول المتنبى فى هجاء كافور .

لا تشتر العبد إلا والعصا معه
إن العبيد لأنجاس مناكيد[5]

ومشئوم بمعنى : ذى شوم ومشائيم كما فى قول الأخوص الرياحى هاجيا :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعبا إلا بشؤم غرابها[6]

---

( ١ ) القيل : من ملوك اليمن فى الجاهلية دون الملك الأعظم ، والجمع : أقوال وأقيال . والعباهلة الأقيال المقرون على ملكهم ، والأرواع : جمع أروع ، وهو من يعجبك بحسنه أو بشجاعته .
وقد ورد الحديث الشريف بلسان العرب ( شبب ) ، وقال اللسان ورجل مشبوب : جميل حسن الوجه كأنه أوقد — قال ذو الرمة :

إذ الأروع المشبوب أضحى كأنه على الرحل مما منه السير أحمق

والمشابيب هنا — كما شرحها اللسان : السادة الرءوس الزهر الألوان الحسان المناظر .
( ٢ ) المطامير : الحفر تحت الأرض يخبأ فيها الطعام .
( ٣ ) مجلة العربى ( صفحة فى اللغة ) العدد ٢٢٥ ص ١١٩ — محمد خليفة التونسى .
( ٤ ) الهمع ١٨٢/٢ والدرر اللوامع ٢٢٨/٢
( ٥ ) ديوان المتنبى ص ٥٠٧ والمناكيد : جمع منكود وهو قليل الخير يعنى : لايصلح إلا على الضرب والإهانة ، والبيت من قصيدة ( لاتشتر العبد ) قالها فى هجاء كافور عند خروجه من مصر .
( ٦ ) شرح أبيات سيبويه ١ / ٧٤
وكتاب سيبويه ٢٩/٣ ، ٤٦/٥ ، وقد نسبه الأستاذ عبد السلام هارون « محقق الكتاب » وصانع فهارسه فى حاشية التحقيق إلى الفرزدق كذلك .

ومشغول بمعنى ذى شغل كقول مروان ابن أبى حفصة مادحا المأمون :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا
بالدين ، والناس بالدنيا مشاغيل

* * *

**سابعا : قضية العلاج الصوتى لجموع التكسير**

يقرر علماء اللغة أن الصرف أشد التصاقا من النحو بالأصوات اللغوية ونظرياتها ونظمها . ويعجب بعضهم[1] أن يتجاهل المهتمون بالصرف العربى علم الأصوات اللغوية اكتفاء بالمحفوظ والمشهور من الصيغ والقواعد التقليدية . . وقد وجد من الأقدمين من اهتم بدراسة الأصوات وفى مقدمتهم سيبويه والفارسى وابن جنى ، ولكنهم درسوه منفصلا عن دراسة النظام الصرفى .

وإنى أعترف هنا بأمرين : الأول : هو صدق الرأى السابق وأهميته ، والآخر : هو أننى لست من فرسان هذه الحلبة . ومع ذلك فإننى لا أريد أن يخرج بحثى دون إلمامة صوتية تنطلق من حيث انتهى الباحثون ، وستكون محاولتى فى بدايتها شأن من يتعلم فنا جديدا يحاول الدخول إلى ميدانه ، راجيا من الله سبحانه ألا يحرمنى أجر الاجتهاد إن كنت من غير المصيبين :

وقد عالج الدكتور عبدالصبور شاهين[2] جموع التكسير بأن قسم الأبنية التقليدية السبعة والعشرين إلى سبع مجموعات بحسب كمية أصواتها ؛ لتبين علاقة مادة الكلمة بما يختلف عليها من حركات :

وقد نهجت نهجه : وارتضيت تقسيمه ، ولكننى قمت بتقسيم الأبنية الخمسين التى توصل البحث إليها على تلك المجموعات السبع ، وفقا لنفس المعايير التى قررها الباحث فى كتابه وهذه المجموعات هى :

المجموعة الأولى :

وتجمع صوامت المادة مع تغير حركاتها ، وتضم أحد عشر وزنا هى :

| | | |
|---|---|---|
| فُعْل | فَعَل | فُعُل |
| فُعول | فِعَل | فِعال |
| فُعال | فعيل | فاعل |
| فَعَل | فَعْل | |

المجموعة الثانية :

وتجمع صوامت المادة مع تضعيف العين مع زيادة لاحقة ( التاء ) فى الوزن الثالث وتضم ثلاثة أوزان :

فُعَّل فُعّال فَعّالة .

المجموعة الثالثة :

وتشمل تغير حركات المادة مع زياده لاحقة ( التاء ) ؛ وتضم سبعة أوزان :

فِعْلة فِعَلة فَعَلة فُعَلة
فِعالة فَعالة فعولة .

---

(١) المنهج الصوتى للبنية العربية ص ٩

(٢) المصدر السابق ص ١٣٣ – ١٤٢

المجموعة الرابعة :

وتشمل تغيير حركات المادة مع زيادة سابقة ( الهمزة ) فى وزنين ، وإضافة لاحقة ( التاء ) فى الوزن الثالث ، وتضم ثلاثة أوزان :

أفعُل ، أفعال ، أفعالة ،

المجموعة الخامسة :

وتشمل تغيير حركات المادة مع إلحاقات ؛ وتضم ثلاثة أوزان :

فَعْلَى ، فَعْلاء ، أفعلاء .

المجموعة السادسة :

وتشمل التغيير فى حركات المادة مع زيادة ألف ونون لاحقة ، وتضم وزنين :

فُعلان ، فِعلان .

المجموعة السابعة :

وتشمل صيغ منتهى الجموع ، وتضم واحداً وعشرين وزنا :

فعالل ، فعاليل ، فعائل ، فواعل

فَعالِى ، فَعالَى ، فُعَالَى ، فعالِىّ .

تفاعيل ، أفاعل ، أفاعيل ، مفاعيل

مفاعل ، فعالين ، فواعيل ، يفاعيل

فياعيل ، فياعل ، فياعلة ، فعاللة

فعاعيل .

ونلاحظ أننا اتفقنا مع تقسيمات الدكتور شاهين وأبنيته فى المجموعات الرابعة والخامسة والسادسة وأضفنا خمسة أوزان على أوزان مجموعته الأولى، ووزنا واحدا على أوزان مجموعته الثانية ، وثلاثة أوزان على مجموعته الثالثة ، وأربعة عشر وزنا على أوزان مجموعته السابعة وهى الخاصة بصيغ منتهى الجموع .

كما يجدر بى أن أشير إلى أننى كنت فى بعض الأبنية التي رأيت فيها تطوراً صوتيا عن بناء آخر ، أقول : كنت ألمح إليها فى آخر علاجى لأى بناء منها .

## اخيرا ـ خاتمة البحث

وبعد ـ فهذا بحثى فى موضوع : « من قضايا جمع التكسير » ، ظفت فيه بكثير من القضايا التى أهمت الباحثين من اللغويين ومازالت تهمهم حتى يومنا هذا فى موضوع «جمع التكسير» ؛ فبعد التقديم ، عرضت بعض التعريفات وكان لى فيها رأى معين ، ثم انتقلت إلى قضية جموع القلة والكثرة فحسمتها بالدليل ، ووصلت إلى إلغاء الفروق بين النوعين ، ثم انتقلت إلى قضية الأبنية وعرضتها فى أربعة مواضيع ، حرص البحث فى خلالها أن يعتمد فى تقعيد القواعد على الاستقراء لا الاطراد ،

الموضوع الأول : الأبنية التى اتفق عليها الصرفيون : وعرضت فيها سبعة وعشرين بناء مركزا فيها على الشواهد القرآنية التى استقرأها البحث بدقة فى القرآن الكريم .

الموضوع الثانى : قضية شبه فعالل : وعرضت فيها أربعة عشر وزنا مستقلا ، منها وزنان جديدان لم تتعرض لهما كتب الصرف من قبل ، ومعظمها دعمه البحث بالشواهد القرآنية .

الموضوع الثالث : الأوزان الحديدة : وعرضت فيها تسعة أبنية جديدة ، معظمها دعمه البحث بالشواهد القرآنية ، وتعتبر هذه الأوزان إضافة جديدة على أبنية جموع التكسير .

الموضوع الرابع : قضية مفعول ومفاعيل : وعرضت فيها رأى سيبويه وبعض الصرفيين الذين منعوها ، وقد أجزتها مع من أجازها من خلال استقراء كثير من الشواهد الفصيحة.

وقد كشف البحث عن كثير من الأمور الجديدة التى أقدمها للقارئ الكريم آملا أن يجد فيها طايته من البحث عن الجديد المفيد . ومن ذلك :

أولا ـ تعديل التعريف الخاص بجمع التكسير ليوافق المنهج الوصفى ـ الذى كان عمدة البحث ـ ورفض التغيير السابع الذى ارتآه الصرفيون بين المفرد وجمع التكسير.

ثانيا ـ حسم قضية القلة والكثرة وإلغاء الفرق بين النوعين ، واعتبار جموع التكسير نوعا واحداً .

ثالثا ـ استقراء ألفاظ الجموع فى القرآن الكريم استقراء دقيقا وصلت من خلاله إلى أن القرآن قد استخدم اثنين وأربعين بناء ، وكان وزن « أفعال » أكثر الأبنية استعمالا فى القرآن الكريم حيث استخدم مائة وإحدى عشرة مرة ، ثم تلاه وزن «فَعول» الذي استخدم اثنتين وخمسين مرة ثم وزن «فِعال» فى ثمان وثلاثين مرة ، ووزن «مفاعل» فى أربع وعشرين مرة ، ووزنا «فواعل» و«فُعُل» فى إحدى وعشرين مرة ،

ووزن «فعائل» فى سبع عشرة مرة ، ووزن فُعَّل» فى ست عشرة مرة،ووزن«فُعَّل»فى خمس عشرة مرة، ووزن «أفْعِله» فى أربع عشرة مرة ، ووزن « فُعَلاء»؛ فى إحدى عشرة مرة،وأوزان « فَعَلة وفُعَّل وفعالل فى ثمانى مرات ، ووزن « أفعل » فى سبع مرات ، ووزنا « أفعلاء ومفاعيل » فى ست مرات ،وأوزان: فِعَل وفعلان وأفاعيل وفعاليل وفَعالى وفَعَّل—فى خمس مرات لكل منها وأوزان : فُعالىَ وأفاعل وفَعْل—فى أربع مرات لكل منها ، ووزنا: فُعْلان وفعّالة فى مرتين لكل وزن ، وكان أندر الأوزان ورودا وآخرها ترتيبا الأوزان التسعة الآتية : فِعالة وتفاعيل وفعالين وفواعيل وفياعيل ويفاعيل وفُعال وفاعل وفعّالة — حيث ورد كل بناء منها مرة واحدة فقط فى الاستعمال القرآنى الكريم .

أما الأوزان:فُعَلَة وفَعالىَ ، وفَعالة وفَعول ، وفياعل،وفياعلة،وفعالة،وفعاليل فلم تحظ بالاستعمال القرآنى مطلقاً .

رابعا —إضافة وزن (فُعالىَ) الذى أغفلته بعض المطولات الصرفية .

خامسا — إعادة تقعيد بعض القواعد حول بعض الأبنية المتعارف عليها عندالصرفيين مثل صيغ :

فَعْلىَ ، وفُعَّل ، وفُعْلان ، وفُعَلاء، وفواعل وفعائل ، وفعالىَ .

سادسا — رفض الرأى البصرى ، ودعم الرأى الكوفى فى وزن (فَعالىَ) الذى اعتبرنا منه : خطايا وقضايا وهراوَى .

سابعا — علاج جديد لوزن « شبه فعالل» ، وكشف بناءين جديدين مدعومين بنماذج من القرآن الكريم وهما : يفاعيل وفواعيل — بعد عرض مستقل لاثنى عشر بناء اتفق عليها الصرفيون فى أماكن متناثرة من مطولاتهم .

ثامنا — إضافة تسعة أبنية جديدة كان معظم الصرفيين يعتبرأغلبهامن أسماءالجموع ؛ تلك الأبنية هى:فَعَل وفَعيل وفُعال وفِعالة وفَعالة وفعّالة وفاعل وفَعْل وفُعولة ، وعلاجها ، وصياغة قواعدها .

تاسعا : العلاج الصوتى لجميع الأبنية الخمسين فى جموع التكسير ، وتقسيمها فى مجموعات سبع .

تلك نتائج البحث أضعها بين يدى كل باحث محب للغة القرآن الكريم ، ليرى فيها الجديد دائما وآمل إن لم أكن قد أصبت الهدف ، أن أكون قد دنوت ، ولا شك أن العمل العلمى قلما يخلو من المآخذ . فطوبى لمن أهدى إلىّ عيوبى .

والحمد لله فى الأولى والآخرة .

* * *

## من مراجع البحث


١ ــ أصول النحو العربى، للدكتور محمد عيد (عالم الكتب . القاهرة ــ ١٩٧٨م) .

٢ ــ إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ( بغداد ــ ١٩٦٧م ) .

٣ ــ الإنصاف فى مسائل الخلاف، لأبى البركات الأنبارى بتحقيق الشيخ محيي الدين. (التجارية الكبرى بمصر ــ ١٩٥٥م) .

٤ ــ البخارى بحاشية السندى ( الحلبى . القاهرة ــ بلا تاريخ ) .

٥ ــ تاج العروس للزبيدى ( دار مكتبة الحياة ــ بيروت ــ بلا تاريخ ) :

٦ ــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك بتحقيق محمد كامل بركات ( دار الكاتب العربى . القاهرة ــ ١٩٦٧م ) .

٧ ــ تفسير البحر المحيط لأبى حيان ( دار الفكر : بيروت ــ ١٣٩٨هـ ) :

٨ ــ حاشية الصبان على الأشمونى (دار إحياء الكتب العربية بمصر ــ بلا تاريخ ) :

٩ ــ دراسات فى علم الصرف، للدكتور عبد الله درويش ( مكتبة الشباب بالقاهرة ط . ١٩٦٢ م ) .

١٠ ــ ديوان حسان بن ثابت ( تونس ــ ١٢٨١هـ ) .

١١ ــ ديوان المتنبي ( دار بيروت للطباعة والنشر ــ ١٩٧٠م ) .

١٢ ــ ابن خالويه عالم اللغة ــ والنحو والصرف والقراءات للباحث ( مخطوط تحت الطبع ) .

١٣ ــ شذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوى ( الحلبى . القاهرة ــ ط . ١٩٧٦م ) :

١٤ ــ شرح أبيات سيبويه للسيرافى ، بتحقيق الدكتور محمد على سلطانى . ( مجمع اللغة العربية . دمشق ــ ١٩٧٦م ) .

١٥ ــ شرح تحفة الأحوذى على الترمذى (المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ــ ١٩٦٤ م)

١٦ ــ شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى وحاشية الشيخ يس ( الحلبى . القاهرة ــ ١٣٤٤ هـ ) .

١٧ ــ شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ( الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ــ ١٩٦٤ م ) .

١٨ ــ شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذى بتحقيق الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين ( التزام محمد توفيق الكتبى بمصر ١٣٥٦ هـ ــ تصوير بيروت ) .

١٩ ــ شرح المفصل لابن يعيش ( عالم الكتب بيروت ) ومكتبة المتنبي ــ القاهرة بلا تاريخ .

٢٠ ــ الصحاح للجوهرى بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ( دار العلم للملايين . بيروت ــ ١٩٧٩م ) .

٢١ ــ صحيح مسلم بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ( الحلبى . القاهرة ــ ١٩٥٥م )

٢٢ ــ فى تصريف الأسماء للدكتور عبد الرحمن شاهين ( مكتبة الشباب بالقاهرة ــ طبعة ١٩٧٧م ) .

٢٣ ــ الفيصل فى ألوان الجموع للأستاذ عباس أبو السعود ( دار المعارف بمصر ــ ١٩٧١م ) .

٢٤ ــ القاموس المحيط للفيروزابادى ( بولاق . القاهرة ــ بلا تاريخ ) .

٢٥ ــ الكتاب لسيبويه ( بولاق . القاهرة ١٣١٦ هـ ) .

٢٦ ــ الكتاب لسيبويه . نسخة أخرى بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون ( هيئة الكتاب ، القاهرة ــ ١٩٦٦ ــ ١٩٧٧ م ) .

٢٧ ــ كلمات القرآن ــ تفسير وبيان للأستاذ حسنين محمد مخلوف ( الحلبى بالقاهرة ــ ١٣٨٧ هـ ) .

٢٨ ــ لسان العرب لابن منظور ( الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر عن نسخة بولاق ــ بلا تاريخ .

٢٩ ــ مجلة العربى العدد ٢٢٥ ــ صفحة فى اللغة ( الكويت ــ أغسطس ١٩٧٧م ) .

٣٠ ــ مسند أحمد بن حنبل ( دار الفكر . بيروت ــ بلا تاريخ ) .

٣١ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ( دار الشعب بالقاهرة ــ ١٩٧٨م ) .

٣٢ ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف لبعض المستشرقين والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ( ليدن ــ ١٩٥٥ ، ١٩٧٠م )

٣٣ ــ المقتضب للمبرد بتحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة .
( المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ بالقاهرة ــ ١٣٨٨ هـ ) .

٣٤ ــ منهج السالك للأشمونى ( صبيح بالقاهرة ــ بلا تاريخ ) .

٣٥ ــ المنهج الصوتى للبنية العربية للدكتور عبد الصبور شاهين . ( مؤسسة الرسالة . بيروت ــ ١٩٨٠ م ) .

٣٦ ــ نظرة وصفية فى تصريف الأفعال للباحث ( مكتبة الشباب بالقاهرة ــ ط / ١٩٧٩م ) .

٣٧ ــ همع الهوامع للسيوطى ( تصوير بيروت . دار المعرفة ــ بلا تاريخ ) .

**محمد ابو الفتوح شريف**
استاذ اللغويات بجامعة المنصورة

# جموع التكسير والعرف اللغوى

للدكتور محمود محمد الطناحى

الأبنيــة التى تدل على الكثــرة فى المفرد ستة : جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، وجمع التكسير ، واسم الجمع ، واسم الجنس الجمعى ، واسم الجنس الإفرادى (١) .

والشأن فى جمعى المذكر والمونث السالمين قريب ، لأن علامة الجمع فيهما معروفة : الواو والنون رفعا ، والياء والنون نصبا وجرا ، والألف والتاء .

وكذلك أسماء الجموع ، وأسماء الجنس معروفة محصورة .

أما جمع التكسير (٢) . فبحر لاساحل له ، لأن منه القياسى ومنه السماعى ، والقياسى تكفلت ببيانه كتب الصرف ومعاجم اللغة ، أما السماعى فهو موكول إلى الاستعمال .

ولاضابط له ولا حاصر .

وقد ذكروا لجمع التكسير قسمين :

---

(١) اسم الجمع : مالا واحد له من لفظه ، نحو : قوم ونساء ونسوة ، وفئة – بمعنى جماعة – ونفر ورهط وملأ . واسم الجنس الجمعى : مايدل على أكثر من اثنين ويفرق بينه وبين واحده بالتاء ، كبقرة وبقر ، وشجرة وشجر ، وتمرة وتمر ، وكلمة وكلم ، وقد تكون التفرقة بالياء ، نحو : زنج وزنجى ، وروم وروُمى ، وترك وتركى . واسم الجنس الإفرادى : هو ما يصدق على الكثير والقليل واللفظ واحد ، مثل : ماء وذهب وخل وزيت .

(٢) يأتى الحديث عن جمع التكسير عند الأقدمين فى أثناء الحديث عن الجموع كلها . انظر مثلا كتاب سيبويه ٣ / ٣٩٥ ، ولعل أقدم من عرف جمع التكسير تعريفا يميزه عن قسيميه جمع المذكر وجمع المؤنث السالمين هو أبو الفتح بن جنى ، فقد قال فى تعريفه : "هو كل جمع تغير فيه نظم الواحد وبناؤه ، ويكون لمن يعقل ولما لا يعقل ، وإعرابه جار على آخره، كما يجرى على الواحد الصحيح ، تقول : هذه دور وقصور ، ورأيت دورا وقصورا ، ومررت بدور وقصور " اللمع ص ١٠٧ ، وانظر أبنيته فى ص ٢٤٦ .

ولعل أبا بكر بن السراج هو أول من علل لتسمية هذا الجمع ، فقال : "هذا الجمع يسمى مكسرا ، لأن بناء الواحد فيه قد غير عما كان عليه ، فكأنه قد كسر ، لأن كسر كل شئ تغيير عما كان عليه " الأصول ٢ / ٤٢٩ ، وتبعه أبو على الفارسى ، فقال : " هذا الضرب من الجمع يسمى جمعا مكسرا ، على التشبيه بتكسير الآنية ونحوها ، لأن تكسيرها إنما هو إزالة التئام الأجزاء التى كان لها قبل ، فلما أزيل النظم وفك النضد فى هذا الجمع أيضا عما كان عليه واحده سموه تكسيرا " التكملة ص ١٤٧

جموع القلة ، وهى ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وجموع الكثرة ، وهى ما فوق ذلك ، وحصروا أبنية القسمين ، وتكلموا عليها ، ثم ذكروا أنه يجوز أن يستعمل كل منهما مكان الآخر .

وقضايا جمع التكسير متشعبة ، ومَنادِحُها واسعة ، وقد اخترت من هذه القضايا قضية واحدة ،هى قضية «العرف اللغوى» عالجت فيها جملة من هذه الجموع يظهر فيها ذلك العرف واضحا فارقا بين الدلالات التى يستعمل لها الجمع ، فإذا كانوا قد قالوا : إن «الشَّعر» هذا الذى ينبت فى الجسم مما ليس بصوف ولا وبر يجمع فى القلة على «أشعار» ، وفى الكثرة على «شعور» فهل استعمل الجمعان استعمالا واحدا ، أم أن الدلالة غلبت أحدهما فى موضع ، وصرفت الثانى إلى موضع آخر ؟

وكذلك «البيت» يجمع فى القلة على «أبيات» وفى الكثرة على «بيوت» فهل استعمل الجمعان استعمالا واحدا فى جمع «البيت» الذى يسكن فيه ، و «البيت» من الشعر ، ذلك الموزون المقفى ؟

والسهم : معناه النصيب والحظ ، وهو أيضا : واحد النبل الذى يرمى به ، ويجمع السهم بمعنييه هذين على : أسهم وسهام ، لكن العرف اللغوى – وبخاصة فى أيامنا هذه – قصر الجمع «الأسهم» على «السهم» الذى هو النصيب والحظ ، وخاصَّة فى مجال البنوك والشركات والجمعيات ، فيقال : أسهم المساهمين على حين صرف الجمع «السهام» إلى النبل الذى يرمى به ، وإن كان هذا قد جاء فى الشعر القديم كثيرا ، ومنه ما أنشده سيبويه :

ولقد علمت لتأتين منيتى
إن المنايا لا تطيش سهامها (١)

وقال المتنبى :

أيا راميا يصمى فؤاد مرامه
تربى عداه ريشها لسهامه (٢)

---

(١) الكتاب ٣ / ١١٠ ، وعجز البيت فى معلقة لبيد ، ديوانه ص ٣٠٨

(٢) ديوانه ٤ / ٣ ، والخزانة ٩ / ١٢٦

وقد جاء هذا الجمع «السهام» فى «السهم» الذى هو النصيب والحظ ، فى الشعر كثيرا .

ومنه قول مروان بن أبى حفصة من قصيدته الشهيرة فى مدح المهدى العباسى :

أنّى يكون وليس ذاك بكائن
لبنى البنات وراثة الأعمام
ألغى سهامَهم الكتاب فحاولوا
أن يشرعوا فيها بغير سهام (١)

والشاهد الذى يطّلع على الشئ ويعاينه يجمع علي أشهاد وشهود ، وقد جاء الجمعان فى القرآن الكريم مجيئا مستويا (٢) ، لكن عرفنا اللغوى الآن لا يستعمل إلا الشهود ، وبخاصة فى القضايا والمنازعات .

ولا يجرى العرف اللغوى بين جموع التكسير فقط ، بل يجرى بينها وبين جمع المذكر السالم أيضا ، فالعامل يجمع جمع تكسير على «عمال» ، ويجمع جمع مذكر سالما على «عاملين» ولا فرق فى اللغة بين هذا وذاك ، لكن العرف اللغوى الآن – وبخاصة فى ديارنا المصرية – يطلق «العمال» على الحرفيين وأصحاب الصناعات اليدوية ، ويجعل «العاملين» مرادفة للموظفين ، فهو جمع يبدو أكثر احتراما ، وهذا ما يعرف بانحطاط الدلالة ، فإن الألفاظ كالبشر ، تشقى وتسعد ، وتعلو وتبهط (٣) .

---

(١) شعر مروان بن أبى حفصه ص ١٠٤ ، والكامل ص ٦٢٠

(٢) راجع سورة يونس ٦١ ، والمدثر ١٣ ، سورة هود ١٨ ، وغافر ٥١

(٣) و «العامل» نفسه مما جرى عليه العرف اللغوى ، فإنه فى اللغة : كل من يعمل ، وفى عرفنا اللغوى الآن غلب علي الحرفى والصانع ومن يعمل بيديه ، وكان يطلق قديما على ما يسمى الآن «المحافظ» فيقال : إن أباموسى الأشعرى كان عامل عمر بن الخطاب على البصرة ، وإن الحجاج بن يوسف الثقفى كان عاملا لعبد الملك بن مروان علي العراق فالعمال قديما هم الولاة والمحافظون ، وكتاب تقى الدين السبكى «فصل المقال فى هدايا العمال» يريد به ما يقدم للولاة من الهدايا والرُّشى ، وقد نشر مختصره فى فتاوى السبكى ١ / ٢١٣ وينبغى التنبه إلى أن «العامل» لا يزال مستعملا بهذه الدلالة القديمة الرفيعة فى المغرب واليمن ، فيقال : عامل فاس ، وعامل زَبيد ، وهذا سمعته وعاينته فى إقامتى بالبلدين .

وليس من اليسير تتبع دواعى العرف اللغوى ، ورصد أسبابه التى تؤثر جمعا علي جمع ، أو تقصر جمعا على دلالة ، وجمعا آخر على دلالة أخرى ، غاية ما يمكن قوله أنه الاستسهال ، أو الاستحسان ، استسهال بنية دون بنية ، واستحسان وزن دون وزن ، ثم متابعة اللاحق للسابق ، مما يمكن أن يسمى : الكسل اللغوى . وفى كلام بعض اللغويين القدامى ما يؤكد ذلك ، قال الليث بن نصر : «الأحجار : جمع الحجر ، والحجارة : جمع الحجر أيضا ، على غير قياس، ولكن يجوز الاستحسان فى العربية ، كما أنه يجوز فى الفقه ، وترك القياس له ، كما قال :

لا نا قصى حَسَبٍ ولا
أيد إذا مُدَّتْ قِصارَهْ

ومثله المِهارة والبِكارة ، لجمع المُهْر والبَكر [1] » .

فهذا معيار من معايير العرف اللغوى : «الاستحسان» وهو غاية يترك القياس من أجلها ، وعلى سبيل المثال فإن «قرية» تجمع فى القياس على «قِراء» بكسر القاف لأن ماكان بوزن فَعْلَة ، بفتح الفاء من المعتل ، فجمعه ممدود ، مثل رَكوة ورِكاء ، وظبية وظِباء ، ولكنهم تركوا هذا القياس ، وجمعوها استحسانا على «قُرى» [2] . وترك القياس والاحتكام إلى السماع كثير شائع جدا فى أبنية جموع التكسير ، فما أكثر ما استعمل جمع القلة مكان جمع الكثرة ، مثل «البيت» الذى يجمع فى القلة على «أبيات» ويجمع فى الكثرة على «بيوت» ، ومعلوم أن جمع القلة من الثلاثة إلى العشرة – كما سبق – لكن «الأبيات» جاءت دالة على الكثرة الكاثرة ، وذلك فى عنوانات هذه الكتب : شرح أبيات سيبويه لابن السيرافى ، وشرح أبيات إصلاح المنطق، له أيضا ،

(١) العين ٣ / ٧٣ ، ٧٤ ، حكاه الأزهرى فى التهذيب ٤ / ١٣٠ ، وابن منظور فى اللسان (حجر) . والبيت الشاهد للأعشى فى ديوانه ص ١٥٧ . وموضع الشاهد أن «القصيرة» من النساء تجمع على «قِصارة» . والكلام عليه وشاهده فى اللسان (قصر) .

(٢) انظر الكتاب ٣ / ٥٩٣ ، والتكملة لأبى على الفارسى ص ١٥٦ ، وأمالى ابن الشجرى ٢ / ٤٧٣ ، والممتع ص ٥٠٠، والمصباح المنير (قرى) . لكن «قُرى» وإن كانت شاذة فى جمع « قرية» فقد قِيسَ عليها ، جاء فى اللسان (رحب) : " والرَّحْبة : ما اتسع من الأرض ، وجمعها رُحَبٌ ، مثل قرية وقُرى " .

وشرح أبيات مغنى اللبيب ، لعبد القادر بن عمر البغدادى ، ومعلوم أن الشواهد الشعرية فى هذه الكتب تعد بالمئِين (١) .

ولعل أشهر شاهد على استعمال جمع القلة للكثرة هو قول حسان بن ثابت، فى ذلك البيت الذى تداولته كتب الأدب واللغة والنحو :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقول النابغة له : " قلَّلْتَ جفانك وسيوفك " ، حيث وضع « الجَفَنات » موضع « الجِفان » – لأن جمع المؤنث السالم يُعدّ جمعَ قلة – ووضع «الأسياف» موضع « السيوف » (٢) .

ويحلو لبعض الباحثين أن يشكك فى هذه الرواية ، على أساس أن مصطلح «جمع القلة والكثرة» لم يكن معروفاً أيام النابغة وحسّان ، وأنه لم يُسمع إلاّ فى كتاب سيبويه فى أواخر القرن الثانى . ولنا أن نقول : إن النابغة – على ما جاءت به الرواية – لم يستعمل كلمة «جَمْع » أما التفطُّن للقلة والكثرة فى أبنية الكلام فقد يكون من السَّلائق اللغوية القديمة الثابتة عند العرب ، وهى كثيرة معروفة ، قبل أن تستقر علوم اللغة والنحو والصرف ، وتتحدد طرائقها ومصطلحاتها .

وقد يكون المعيار فى العرف اللغوىّ راجعاً إلى رغبتهم فى تثبيت الفروق اللغوية فى الدلالات ، كالتفرقة فى جمع «العبد» بين عباد الله ، والعبيد المملوكين (٣) .

وقد يكون الأمر فى العُرف اللغوىّ مجّرد الاستعمال وتصرّف العرب فى

---

(١) انظر مقالتى فى الجزء الثانى والسبعين من مجلة المجمع ص ١١٥

(٢) ديوان حسان ص ٣٥ ، والخصائص ٢ / ٢٠٦ ، والمصون ص ٣ ، والموشح ص ٨٣ ، والخزانة ٨ / ١٠٦ . ومن شواهد جمع « السيف » جمع قلّة ، وسياقه للكثرة قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ديوانه ص ٤٦

(٣) سيأتى الحديث عنه مفصلاً إن شاء الله .

كلامها ، يكثر استعمالها لشيء ، ويقل استعمالها لشيء آخر ، مع تساويهما في الصحة والجواز : وجدت في حاشية مخطوطة قديمة من «أمالي ابن الشجري» منسوخة سنة ٥٨١ ، تعليقاً على قول ابن الشجري : " والعباد مختص بالله تعالى ، يقولون : نحن عباد الله ، لا يكادون يضيفونه إلى الناس " ، وتقول الحاشية : " قد يكثر الشيء في كلامهم وغيره مثله في الجواز . لكن يقلّ استعمالهم له ، فأمّا « العباد » فقد جاء في قوله تعالى : « والصالحين من عبادكم وإمائكم » ، وهذا قاطعٌ لمن خالفه " (١) .

☆ ☆ ☆

على أن من مساوىء هذا العرف اللغويّ أنه يُميت بعضَ الجموع حين يهجرها الناس في استعمالهم ، وقد يتمادى هذا الهجران ويتصل حتى ليُظن أن هذا الجمع خطأ ، وعلى سبيل المثال : تقول اللغة : « رجلٌ قارىء ، من قومٍ قرَّاء وقَرَأَة – بوزن فَعَلَة – وقارئين » فنحن أمام ثلاثة جموع لقارىء القرآن ، اثنان جمع تكسير والثالث جمع مذكر سالم ، ولم يبق من هذه الثلاثة في عرفنا اللغوى الآن إلاَّ اثنان : القرّاء والمقرءون (٢) ، أما الثالث وهو قَرَأَة – بالتحريك – مثل كامل وكَمَلَة ، وساحر وسَحَرَة ، وكاتب وكَتَبَة ، وهو مطّرد منقاس فيما جاء على فاعل ، وصفا لمذكر عاقل ، بشرط أن يكون صحيح اللام : فقد هجره الناس هجراً طويلاً ، حتى إنهم إذا وجدوه في كلامٍ مأثور ظنوه خطأ ، وحرَّفوه إلى : قُرَّاء ، وترى التنبيه على هذا كثيراً فيما نشره شيخنا محمود محمد شاكر ، من تفسير الإمام أبي جعفر الطبري ، فقد وجد كثيراً في طبعة بولاق من ذلك التفسير : « قُرَّاء »، مكان « قَرَأَة » ، الثابتة في مخطوطة الكتاب .

---

(١) أمالي ابن الشجري ١ / ٩٩ وسيأتي تفصيل ذلك .

(٢) ولعل مما أغرى الناس بالوقوف عند هذين الجمعين وهجر الثالث مجيئَهما في عنوانين لكتابين شهيرين : أولهما : طبقات القراء لابن الجزري ، وثانيهما : منجد المقرئين ، له أيضاً .

ومن العلماء الذين أشاروا صراحةً إلى العرف اللغوى فى جموع التكسير : سراج الدين أبو حفص عمر بن عبد الرحمن القزوينى المفسِّر المتوفى سنة ٧٤٥ ، وقد ذكر ذلك فى كتابه المسمّى «الكشف عن مشكلات الكشاف » للزمخشرى ، وحكاه عنه شمس الدين أحمد بن سليمان الرومى ، المعروف بابن كمال باشا ، المتوفى سنة ٩٤٠ ، قال فى أثناء حديثه عن الأعراب والعَرَب : « ولا يرد النقض على قوله ؛ لأنه لو كان جمعاً للعرب لكان مدلوله فى الجمعية كمدلوله فى حالة الإفراد كالفُضُولىّ ، فإنها جمع الفضل ، وقد اختلف مدلولها ، قال المطرزى فى المغرب : " الفضل : الزيادة، وقد غلب جمعه على ما لا خير فيه ، حتى قيل :

فضولٌ بلا فضل وسِنٌّ بلا سنىً
وطُولٌ بلا طَوْلٍ وعَرْضٌ بلا عِرْضِ

ثم قيل لمن يشتغل بمالا يعنيه : «فُضُولى» ؛ لأن ذلك الاختلاف من جملة العرف الطارىء ، على ما أفصح عنه صاحب « الكشف » حيث قال فى شرح قول صاحب « الكشاف » : « وهذا فضولٌ من القول » : هو جمع « فضل » غلَب على ما لا خير فيه ، عكس الواحد ، وهو عرفٌ طارىء » (١) .

☆ ☆ ☆

وهنا بحثٌ ، لا بأس علىَّ فى الاستطراد إليه إن شاء الله ؛ لأنه يكشف وهماً ويُزيل لَبْساً يقع فيه كثيرٌ من الناس فى زماننا هذا :

لقد ثبت أن « الفضل » الذى هو بمعنى الزيادة والخير يُجمَع على «فُضُول» ليس غير ، قال عبيد بن العرندس الكلابىّ :

حبِّر ثناء بنى عمرٍو فإنهم
أولو فضولٍ وأنفالٍ وأخطارٍ (٢)

---

(١) رسالة فى نسبة الجمع . لابن كمال باشا . تحقيق الدكتور محمود فجال . مجلة عالم الكتب ، المجلد ١٣ – العدد ٦ – الرياض ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م . وقول المطرزى فى كتابه : المغرب فى ترتيب المعرب . مادة « فضل » ٢ / ٩٨ – حيدر آباد الدكن = الهند ١٣٢٨ هـ .

(٢) الحيوان ٢ / ٨٩ ، ٣ / ٩٤ ، والكامل ص ١٠٧ ، وروى الجاحظ أيضاً فى الحيوان ٥ / ١٩٤ : « وقدم عبد الملك – وكان يحب الشعر – فبعثتُ إلى الرواة ، فما أتت علَىَّ سنةٌ حتى رويتُ الشاهد والمثلَ وفُضُولاً بعد ذلك » أى زيادات .

وقال جرير :

لكم فَرْعٌ تَفرَّعَ كلَّ فَرْعٍ
وفضلٌ لا تُعادلُه الفُضولُ (١)

لكنا نسمع ونقرأ فى كلام الناس الآن – خاصتَّهم وعامتَّهم – قولهم : له علىَّ أفضال كثيرة ، ولن أنسى أفضاله ، ونحو هذا ، فيجمعون « الفضل » على «أفضال » ، بل إن بعضهم يضبط ما جاء منه فى الشعر القديم كذلك بفتح الهمزة ، يقيناً منهم بأنه جمعٌ لفضل ، وهذا خطأ ، ولا أصل له ؛ لأمرين :

الأول : أنه غير مسموع ولا مروىّ ، فى كلام العرب وأشعارها .

والثانى : أن جَمْع « فعل » على «أفعال » خارج عن القياس ، والأمثلة التى جاءت منه مسموعة ومحصورة ، مثل حَبْر وأحبار ، وزَنْد وأزناد ، وفرخ وأفراخ ، إلى آخر ما ذكروه (٢) – ولم يَعُدُّوا من أمثلته « فضلاً و أفضالاً » وذكر ابن الشجرى أن القياس فى جمع «فَعْل » : « فُعُول » نحو فنّ وفنون ، وصكّ وصُكُوك ، وعلى ذلك يكون قياس جمع «فضل» على « فُضُول » كما ذكَرت كتب اللغة .

ولقد امتدّ هذا الوهم إلى ضبط الشعر فى دواوين الشعراء وكتب الأدب ، فرأينا من يضبط « الأفضال » فى القوافى وفى أثناء الشعر بفتح الهمزة ، تَوهُّماً أنه جمع « فضل » كما سبق .

وحقُّ ما جاء من ذلك البناء أن يكون بكسر الهمزة « الإفضال » – وهو الإحسان – على المصدرية من الفعل الرباعى . قال فى اللسان : « وأفضل الرجلُ على فلان وَتفضّل بمعنى : إذا أناله من فضله وأحسن إليه » .

فحيثما وجدتَ هذا البناء فى شعر أو

---

(١) ديوانه ص ٧١٨ ، وانظر الديوان أيضاً ، صفحات ٢١٩ ، ٢٩٢ ، ٥٣٥ .

(٢) انظر هذه الأمثلة فى الكتاب ٣ / ٥٦٨ ، والمقتضب ٢ / ١٩٥ ، والأصول ٢ / ٤٣٦ ، والخصائص ٣ / ٥٩ ، وأمالى ابن الشجرى ٢ / ٧٦ ، والتنبيهات على أغاليط الرواة ص ٩٧ ، والتبصرة ص ٦٤٢ ، وشرح المفصل ٥ / ١٦ ، وانظر قصة طريفة حول هذا الجمع بين أبى حيان التوحيدى والصاحب بن عباد ، فى مثالب الوزيرين ص ١٥٠ ، وحكاها ياقوت فى معجم الأدباء ١٥ / ٢٦ « ترجمة أبى حيان » . وانظر الفيصل فى ألوان الجموع ص ٣٦ – ٣٩ .

نثر ، فاقرأه واضبطه بكسر الهمزة ليس غير ، ولا تَغْتَرَّ بما تجده فى مثل شعر الرضىّ :

قد كنتُ آمل أن آراك فأَجْتَنِى
فَضْلاً إذا غيرى جنى أفضالا (١)

فقد ضبطه ناشر الديوان بفتح الهمزة ، ظناً منه أن الشاعر وضع مفرداً بإزاء جمع ؛ لأن مثل ذلك جاء فى شعر البحترى ، وتنبه له محققه الأستاذ حسن كامل الصيرفى ، رحمه الله ، فضبطه بالكسر ، على الصواب ، وذلك قول البحترى :

هِبْرِزِىٌّ يرى وإن فاضَ غُرّاً
لا متداحى فَضْلاً على إفضالِهِ (٢)

وقوله أيضاً :

فضلٌ وإفضالٌ وما أخذ المدَى
بعد المدَى كالفاضل المتفضِّلِ (٣)

ومن عجبٍ أن هذا الوهم جاز على بعض كبار المحققين ، فقد ضبطه أستاذنا العلاَّمة السيد أحمد صقر ، بالفتح ، فى قول البحترى :

لو لم أُعوِّضْه شكراً عن تطوُّله
إذ لم أُقابِلْه أفْضالاً بأفضالِ (٤)

وقد كان هذا فى الطبعة الأولى من «الموازنة» للآمدى ، لكنه أصلحه فى الطبعة الثانية بالكسر ، على الصواب «إفضالاً بإفضال» ، لكنه كان ينبغى عليه التنبيه على هذا الإصلاح ، حتى يكون

---

(١) ديوان الشريف الرضى ٢ / ٢٠٨ .

(٢) ديوان البحترى ص ١٨٤٣ ، وانظر « الإفضال » أيضاً فى الديوان ، صفحات ١٦٣٦ ، ١٧٢١ ، ١٨٠٩ ، ١٨١٢ ، ١٨٢٧ .

(٣) ديوانه ص ١٧٤٩ .

(٤) الموازنة ١ / ٣٢١ ، والطبعتان متفقتان فى الترقيم ، والظاهر أن هذا الإصلاح فى الطبعة الثانية من الموازنة إنما جاء نتيجة وأثراً لنشرة الأستاذ الصيرفى لديوان البحترى ، فقد ذكر رحمه الله فى حاشية الديوان ص ١٧٢٠ أن هذه القصيدة التى منها هذا البيت لم يسبق نشرها ، ثم كانت نشرة الأستاذ السيد أحمد صقر للموازنة – فى طبعتها الأولى – سابقة على طبع ذلك الجزء من ديوان البحترى ، وآية ذلك أن الأستاذ صقر لم يذكر موضع شعر البحترى من ديوانه ، فى الطبعة الأولى من الموازنة ، فلما كانت الطبعة الثانية منها ، ذكر فى الحاشية موضع الشعر من الديوان من طبعة الصيرفى ، رحمهما الله جميعاً ، فقد كانا من أئمة تحقيق النصوص وقد تعلمت منهما كثيراً .

القارىء المبتدىء على بيِّنة من وجه الخطأ الذى كان ، ومأخذ الصواب الذى ثبت .

ثم يتـــمكّن هذا الوهم عند بعض ناشرى الشعر ، فيضبط به ، ويشرح عليه أيضاً : جاء فى شعر الأعشى ، يمدح إياس بن قبيصة الطائى :

أبرَّ يميناً إذا أقْسَمُوا
وأفضلَ إن عُدَّ أفضالها

هكذا « أفضالها » بفتح الهمزة خطأ، فى الطبعتين الأوربية والمصرّية (١)، وثَبت هذا الضبطَ الخاطىءَ ناشرُ الطبعة المصرية ، فقال فى شرحه للبيت : « وإنك لأبرّهم باليمين ، وأفضلهم إذا عُدَّت الأفضال » وكأنه رحمه الله لم يتنبه لقول الأعشى : « إن عُدّ إفضالها » فلم يُلحق الفعلَ علامة التأنيث .

وقد أفادنى شيخى محمود محمد شاكر – حفظه الله – أنه فى نسخة عتيقة مخطوطة من شعر الأعشى فى مكتبته ، مضبوط « إفضالها » بكسر الهمزة .

هذا وقد قضيت وقتاً ليس بالقصير فى تتبّع هذا البناء فى بعض مالدىّ من دواوين الشعراء ، فوجدته مضبوطاً بالفتح فى بعضها ، على توهُّم أنه جمع « فضل » ، ومن ذلك : ما جاء فى شعر الفرزدق المطبوع :

بل الجُودُ والأفضال منه عليهم
كغيث ربيعٍ كدَّر الغيثَ وابلُهْ (٢)

والصواب الكسر « الإفضال » ، وهو بمعنى الإحسان كما سبق ، ويؤكِّده أن «الفضل » قد سبق جَمْعُه على حقِّ جَمْعه فى قول الفرزدق :

متى تلْقَ إبراهيم تعرفْ فُضُولَه
بنُورٍ على خَدَّيْه أنْجَح سائلُه (٣)

وجاء مهملاً فى قوله :

لا يُنعمون فيَسْتَثِيبوا نعمةً
لهم ولا يُجْزَوْن بالافضال (٤)

فينبغى ضبطه بالكسر .

وجاء فى شعره على الصواب ، فيما

---

(١) طبعة رودلف جاير ص ١١٨ ، وطبعة د. محمد محمد حسين ص ١٦٥ .
(٢) ديوانه ص ٦٤٨ .
(٣) وانظر « الفضول » أيضاً فى ديوانه صفحات ٦٧١ ، ٦٧٤ ، ٦٧٨ .
(٤) ديوانه ص ٧٢٨ .

حكاه ابن قتيبة ، قال : « ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب فى الحبس ، فقال :

أصبح فى قيدك السَّماحةُ والـ
ـجُودُ وحَمْلُ الدِّيات والإفضالُ

فقال له : « أتمدحنى وأنا على هذه الحال ؟ » « قال : أصبَحْتُك رخيصاً فأسلَفْتُك » (١) .

وجاء خطأً أيضاً بالفتح فى شعر ابن الرومى ، وذلك قوله :

وشُكْرُ تفضيل الرجال الأفضالْ (٢)

وكذلك جاء فى شعر ابن قلاقس ، وهو قوله :

لبسوا بالأثير حُلَّة فَضْلٍ
طرَّزَتْها يداه بالأفضالِ (٣)

وفى شعر أبى حيان النحوىّ ، وهو قوله :

وتُبْتُ لله أرجو منه مغفرةً
ورحمةً تُوسِعُ المسكين أفضالا (٤)

وفيما أنشده الثعالبى :

الحمد لله ليس لى مالُ
ولا لخَلْقٍ علىَّ أفْضالُ
الخان بيتى ومِشجبى بدنى
وخازنى والوكيلُ بَقَّالُ (٥)

وضبطناه نحن أيضاً خطأً فى قول فتح الدين القليوبى :

---

(١) الشعر والشعراء ص ٤٨٠ ، والعقد الفريد ١ / ٣٠٣ ، وشروح سقط الزند ص ٧٦٠ ، وهذا البيت مما أخلّ به ديوان الفرزدق المطبوع .

(٢) ديوانه ص ١٩٦١ ، ولكنْ جاء فيه « الإفضال » بالكسر على الصواب ، فى الصفحات : ١٩١٤ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣٣ ، ١٩٦٢ ، ١٩٩٥ ، ٢٠٢٨ ، ٢٠٥٨ .

(٣) ديوانه ص ٤٩٥ .

(٤) ديوانه ص ٣٦١ – وأرجو أن يسمح لى القارىء الكريم بذكر هذه الفائدة : جاء فى أثناء قصيدة أبى حيان هذه ، فى الديوان ، ذلك البيت : فالحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى اكتسيتُ من الطاعات سربالا
وهذا البيت مقحم لاشك ، فإنه بيت قديم ، وقد تنازعه شعراء ثلاثة : لبيد ، والنابغة الجعدى ، وفَرْوة – أو قردة – بن نفاثة ، انظر ديوان لبيد ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، وديوان النابغة ص ١٠١ ، والإصابة ٥ / ٤٣٠ « ترجمة قردة بن نفاثة » .

(٥) التمثيل والمحاضرة ص ٢٠٠ .

يا أيها المولى الوزيرُ الذى
أفضاله أوجب تَفضيلَهْ (١)

وفى شعرنا الحديث ، وهو قول أحمد شوقى ، من قصيدته فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، يخاطب الخليفة العثمانى محمد رشاد الخامس :

يجدون دولتك التى سَعِدُوا بها
من رحمة المولى ومن أَفْضالِه (٢)

فهذا كلُّه لا يكون إلاّ بكسر الهمزة «الإفضال» على المصدريّة ، كما سبق .

وهذا أوان الشروع فى الحديث عن «العرف اللغوى» فى جموع التكسير .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩ / ١٢٦ ، وتأمل قوله « أوجب » فلو كان الضمير فيه عائداً على « الأفضال » لكان الفعل « أوجبت » .

(٢) ديوانه ( الشوقيات ) ١ / ١٦٩ .

## الأبيات والبيوت

البيت : المَسْكن ، معروف ، وجمعُه أبيات ، وهو قليل ، وبُيوت ، وهو الأشْهَر ، وجمع الجمع : أباييتُ ، وهو جمع تكسير ، كثل أقوال وأقاويل ، وبُيوتاتٌ ، وأبياواتٌ ، وهذا نادر (١) .

والبيتُ من الشِّعر سُمِّى بذلك ؛ لأنه يضم الكلامَ ، كما يضمُّ البيت أهلَه ، ولذلك سَمَّوْا مُقَطَّعاته أسباباً وأوتاداً ، على التشبيه لها بأسباب البيوت وأوتادها(٢) .

وقال الفيومى : " وبيت الشِّعر : ما يشتمل على أجزاء معلومة وتُسمَّى أجزاءَ التفعيل ، سُمِّى بذلك على الاستعارة بضمّ الأجزاء بعضها إلى بعض على نوع خاص ، كما تضم أجزاء البيت فى عمارته على نوع خاص " (٣) .

وبيت الشَّعْر هذا يُجمع على أبيات وبيوت ، قال ابن دُريد : " وأبيات الشعر وبُيوته معروفة " (٤) . وقال الزمخشرى : " وقلت أبياتاً من الشِّعر وبُيوتاً " (٥) .

وجاء فى اللسان ، بعد الكلام على بيت الشّعر : « والجمع أبيات ، وحكى سيبويه : بويه فى جمعه : بُيُوت ، فتبعه ابنُ جنى ، فقال حين أنشد بيتى العجَّاج :

يا دار سلمي يا اَسلمى ثم اَسلمِى
فخِنْدِفُ هامةُ هذا العالَمِ

جاء بالتأسيس ، ولم يجىء بها فى شىء من البيوت » (٦) .

وهذا الذى حكاه صاحب اللسان عن سيبويه ، جاء فى قوله تعليقاً على شواهد نَصْب « أحقاً » ، قال : " فكلُّ هذه البُيوت سمعناها من أهل الثقة هكذا " (٧) .

ولئن كان البيت الذى يُسْكَن فيه والبيت من الشِّعر يُجمعان كلاهما على

---

(١) تاج العروس « بيت »
(٢) اللسان « بيت »
(٣) المصباح المنير « بيت »
(٤) الجمهرة ، ص١٠١٦
(٥) أساس البلاغة « بيت »
(٦) اللسان « بيت »
(٧) الكتاب ٣ / ١٣٧ ( باب من أبواب « أنَّ » تكون « أنَّ » فيه مبنية على ما قبلها ) وحكاه عنه البغدادى فى الخزانة ١٠ / ٢٧٧ ، وشرح أبيات المغنى ١ / ٣٤٧

بيوت وأبيات ؛ فإن العرف اللغوىّ يجعل « البيوت » أكثر ما تُستعمل جمعاً للبيت الذى يُسكن فيه ، وعلى ذلك جاء القرآن الكريم ، ويجعل « الأبيات » أكثر ما تستعمل جمعاً لبيت الشِّعر ، يقول أبو البقاء الكَفَوِى : " والبيت يُجمع على أبيات وبيوت ، لكن البيوت بالمسكن أخصّ ، والأبيات بالشِّعر " (١) .

ومع استقرار هذا العرف وتتابع الناس عليه ، فقد استُعمل هذا الجمع مكانَ ذاك ، وقد سبق استعمالُ سيبويه للبيوت جمعاً لبيت الشّعر ، ومن ذلك قولُ الشاعر :

وبعضُ بيوت الشِّعر حكمٌ وبعضُها
خَلًى لفَّه فى ظُلمة الليل حاطِبُهْ (٢)

ثم جاء ذلك مستفيضاً فى كلام أهل العلم . قال محمد بن سلاَّم الجُمحى ، فى سياقة المفاضلة بين جرير والفرزدق :

" وسألتُ الأُسَيِّدىَّ – أخابنى سلامة – عنهما ، فقال : بيوت الشعر أربعة : فخرٌ، ومديحٌ ونسيبٌ وهجاء ، وفى كلِّها غُلِّبَ جرير ... " (٣) .

وحكى الفراء : " وقال بعض العرب : قلتُ أبياتاً جاد أبياتاً " ثم قال : " فوحَّدَ فِعل البيوت " (٤) .

وقال الجاحظ : " وفى بيوت الشعر الأمثالُ والأوابِدُ ، ومنها الشَّواهد ومنها الشَّوارد " (٥) .

وقال أيضاً فى تقدمته لقصيدتين من شعر بشر بن المعتمر : " وإذا قَسَمْنا ما عندنا فى هذه الأصناف على بيوت هذين الشِّعرين وقع ذكرها مصنَّفاً ، فيصير حينئذ أنَقَ فى الأسماع ، وأشَدَّ فى الحفظ " (٦) .

وحكى أبو العباس ثعلب ، قال : "قال عبد الملك بن مروان للأخطل : أىُّ الناس

---

(١) الكليات ١ / ٤١٣ ، ٤١٤

(٢) شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩٦ ، والخَلَى : الحشيش ، يقال : اختليتُ الحشيش : أى قطعتُه .

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، وحواشيه ، وانظر ديوان المعانى ١ / ٣١ ، وثمرات الأوراق ص ٧٧

(٤) معانى القرآن ١ / ٢٦٨

(٥) البيان والتبيين ٢ / ٩

(٦) الحيوان ٦ / ٢٨٤

أشعر ؟ قال : العبدُ العَجْلانىّ ، قال : بم ذاك ؟ قال : وجدتُه قائماً فى بطحاء الشّعر ،والشعراء على الحَرْفين . قال : أعرف ذاك له كَرْهاً . يعنى ابن مقبل . فقال ابن مقبل : إنى لأرسل البيوتَ عُوجاً فتأتى الرواة بها قد أقامتْها " (١) .

ويقول أبو على المرزوقى ، تعليقاً على بعض روايات أبى تمام لشعر تأبَّط شراً من الحماسة : " على أنى قد نظرتُ فوجدتُ أبا تمام قد غيَّر كثيراً من ألفاظ البيوت التى اشتمل عليها هذا الكتاب ، ولعله لو أنشر اللهُ الشعراءَ الذين قالوها لتتبعوه وسلَّموا له " (٢) .

ويقول أيضاً فى مقدمة كتابه : شرح مشكلات ديوان أبى تمام : " ثم سألتَ أن أتتبع مشاهير كلماته ، فألتقط مِن فِقَرِها ما يفتقر إلى تبيين ، ومن بُيُوتها ما يُحْوِجُ إلى تفسير " (٣) .

ويقول أبو الوليد هشام بن أحمد الوَقَّشِىّ ، تعليقاً على بيت فى كامل المبرد: " ووقع البيت فى كتاب سيبويه لعمرو بن معد يكرب ، وقال : « وذا نشب » بالشين المعجمة ، وعليه شرح فى بيوت الكتاب لابن النحاس " (٤) .

وكتاب ابن النحاس فى شرح شواهد سيبويه مشهور ومطبوع باسم "شرح أبيات سيبويه" ، وإن كان فى نسبة هذا المطبوع إليه خلاف (٥) .

وقال الوَقَّشِىّ أيضاً تعليقاً على بيتين أوردهما المبرّد لذى الرمّة : " بين هذين البيتين بيوتٌ كثيرة " (٦) .

وحكى الحافظ ابن كثير من عجائب الحَفَظَة ، قال: " لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دُعيت إلى بستان العلاَّمة كمال الدين بن الشَّرِيشى شيخ الشافعية ، وحضر جماعة من الأعيان ،

---

(١) مجالس ثعلب ص ٤١٣

(٢) شرح الحماسة ١/ ٨٣ ، ٨٤

(٣) شرح مشكلات ديوان أبى تمام ص ٣

(٤) طُرَر الوَقَّشى والبطليوسى على كامل المبرد ص ٣٧

(٥) انظر فى ذلك مقالتين للمرحوم الدكتور محمد خير حلوانى بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٥٣ ج ٢ ، ص ٤١١ ، ج ٣ ، ص ٦٤١ .

(٦) طرر الوقَّشى ، ص ٦٥٥

منهم الشيخ العلاَّمة شمس الدين بن الموصلى الشافعى ، والشيخ الإمام العلاَّمة صلاح الدين الصفدى وكيل بيت المال ، والشيخ الإمام العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى ، من ذريّة الشيخ أبى إسحاق الفيروز ابادى ، من أئمة اللغويين ، والخطيب الإمام العلاَّمة صدر الدين بن العزّ الحنفى أحد البلغاء الفضلاء ، والشيخ الإمام العلامة نور الدين على بن الصارم ، أحد القراء المحدِّثين البلغاء ، وأحضروا نيِّفاً وأربعين مجلداً من كتاب المنتهى فى اللغة للتميمى البرمكى (١) ، وقف الناصرية ، وحضر ولد الشيخ كمال الدين بن الشَّريشى ، وهو العلامة بدر الدين محمد ، واجتمعنا كلنا عليه ، وأخذ كلٌّ منا مجلداً بيده من تلك المجلدات ، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها ، فينثر كلاً منها ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد ، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ، ولا يشذّ عنه منها إلاَّ القليل الشاذّ " (٢) .

وذكر الأشمونى فى « باب الصفة المشبهة » أنه صنع جدولاً لصور الصفة المشبهة وقال بعض الطلبة شارحاً هذا الجدول : " وقد جعل فى رأس أبيات النوعين خمس بيوت ... " (٣) .

وفى عصرنا الحديث استعمل هذا الجمع شيخنا أبو فِهْر محمود محمد

---

(١) هو محمد بن تميم - أبو المعالى البرمكى ، من أهل مصر ، لم يعرف له تاريخ مولد أو وفاة لكنه ذكر فى مقدمة كتابه : أنه صنفه سنة ٣٩٧ ، وقد بنى كتابه هذا على كتاب الصحاح للجوهرى . معجم الأدباء ١٨ / ٣٤ ، ٣٥ ، وإنباه الرواه ٤ / ١٧٨

(٢) البداية والنهاية ١٤ / ٣١٠ « حوادث سنة ٧٦٣ » ، وفيه « كمال الدين بن الشريشى » كما رأيت فى أوّل النقل ، والذى فى كتب التراجم : « جمال الدين » واسمه محمد بن أحمد بن محمد . راجع الدرر الكامنة ٣ / ٤٤١ ، والدارس فى أخبار المدارس ١ / ١١٧ ، وشذرات الذهب ٦ / ٢٦٣ ، أما ابنه هذا بدر الدين محمد ، فقد وصف بكثرة الحفظ ، قال ابن العماد الحنبلى : " وكان يستحضر الفائق للزمخشرى والصحاح والجمهرة والنهاية وغريب أبى عبيد ، والمنتهى فى اللغة للبرمكى ، وهو أكثر من ثلاثين مجلداً ، وقد عقد له مجلس بحضرة أعيان علماء دمشق ، وامتحن فى هذه الكتب فى شعبان سنة ثلاث وستين – وسبعمائة – " شذرات الذهب ٦ / ٢١٨

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشمونى على الألفية ٢ / ١٥

شاكر ، فقال عن أبى الطيب المتنبى : "واجتماع الذكاء والحسِّ المُرْهف هما آلة كلِّ شاعر ، وقد ظفر المتنبى من كليهما بنصيب الأسد الهصور ، ولذلك كان شعرُه أروعَ شعر فى العربية وكثيرٍ غيرها ، وكان محبباً إلى أهل عصره ، متداولاً سائراً بينهم ، لأنه كان يأخذ بنفسه المرهفة من شعور الناس وآلامهم وأحداثهم ، ويبنى بما يأخذ بيوت شعره ، وروائع بلاغاته " (١) .

ولعل شيخنا أبا فِهْر قد آثر هذا الجمع « البيوت » فى ذلك السياق ، لمشاكلة « يبنى » ولو كان مكان هذا الفعل « يقول » أو « ينظم » مثلاً ، لقال : « أبيات شعره » .

ثم سمعت ذات يوم وأنا بمدينة الرياض حاضرة المملكة العربية السعودية، عام ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤م ، من خلال الراديو ، بدويا من أهل «الدوادمى» يتحدث عن الشعر النبطى ونظمه فيه ، يقول : «كنت فى بداية الأمر أقول خمس بيوت» .

هذا ، ولحمزة بن الحسن الأصفهانى المتوفى نحو سنة ٣٥١ هـ كتاب يسمى «الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر» ومنه نسخة خطية ببرلين برقم (١١٢٥) .

فهذا ما كان من أمر «البيت من الشعر» وجَمْعِه على «بيوت» على غير العرف اللغوى .

أما «البيت » الذى يُسْكَن فيه ، فقد تَقَدم أن جَمْعَه الأكثر والأشهر «البيوت» وقد يُجمع على «الأبيات» وهو قليل :

ومن ذلك ما أخرجه أحمد وابن ماجة، من حديث سعيد بن سعد بن عبادة ، قال : «كان بين أبياتنا رجل مُخْدَجٌ ضعيف ، فلم يُرَعْ أهلُ الدار إلاّ وهو على أمةٍ من إماء الدار يَخْبُث بها» الحديث (٣) .

---

(١) المتنبى ص ١٩١

(٢) انظر مقدمة تحقيق الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ، للدكتور عبد المجيد قطامش دار المعارف بمصر ١٩٧٢م .

(٣) مسند أحمد ٢٢٢/٥ ، وسنن ابن ماجة (باب الكبير والمريض يجب عليه الحد ،من كتاب الحدود) ص ٨٥٩ . والمخدج : الناقص الخلق . والخداج : النقصان . النهاية ١٢/٢/ ١٣

ومنه ما أخرجه أحمدُ أيضا ، من حديث أبى الدَّرداء : «ويحك يا معدان ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ما من خمسة أهل أبيات لا يؤذن فيهم بالصلاة وتقام فيهم الصلوات إلا استحوذ عليهم الشيطان ، وإن الذئب يأخذ الشاذة ... » الحديث (١) .

وأخرج أحمدُ أيضاً من حديث المقداد بن الأسود ، يقول : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : " ما تقولون فى الزِّنا ؟ . قالوا : حرَّمه الله ورسوله ، فهو حرامٌ إلى يوم القيامة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنْ يزنى الرجل بعشر نسوة أيسَرُ عليه من أن يزنى بامرأة جاره ، قال : فقال : ما تقولون فى السَّرقة ؟ . قالوا : حرَّمها اللهُ ورسولُه ، فهى حرامٌ ، قال : لأنْ يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره " » (٢)

.

ومن ذلك أيضا ما جاء فى حديث نزول جُرْهُم على هاجَرَ أم إسماعيل عليه السلام ، عندما تفجرت لها زمزم : قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فألفى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الإنس ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام – أى إسماعيل – وتعلم العربية منهم ..» الحديث (٣) .

وجاء فى خبر سرية أبى بكر الصديق إلى نجد ، فى شعبان سنة سبع: قال سلمة بن الأكوع : «أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا أبا بكر رضى الله عنه ، فغزونا ناسا من المشركين – من هوازن – فبيَّتناهم نقتلهم، وكان شعارنا تلك الليلة : أَمِتْ أَمِتْ . قال : فقتلتُ بيدى تلك الليلة سبعة أهل أبيات من المشركين »(٤).

---

(١) مسند أحمد ٤٤٦/٦

(٢) مسند أحمد ٨/٦

(٣) صحيح البخارى (باب يزفّون : النسلان فى المشى . من كتاب الأنبياء ١٧٤/٤ ، وانظر فتح البارى ٣٩٧/٦

(٤) سنن أبى داود (باب فى البيات . من كتاب الجهاد) ص ٩٤٧ ، ومسند أحمد ٤٦/٤ ، ومغازى الواقدى ص ٧٢٢ ، وطبقات ابن سعد ٣٠٥/٤ .

وقال الصالحى الشامى ، فى الحديث عن «المدينة النبوية » : «والمدينة : من مدن بالمكان :أقام به ، أو من دان : إذا أطاع ، إذ يطاع السلطان بالمدينة لسُكْناه بها ، وهى أبيات كثيرة تجاوز حد القرى ولم تبلغ حد الأمصار (١) » .

ومن حديث الشعر : قال الفرزدق يخاطب ناقته، ويمدح الوليد بن عبد الملك :

إذا عَثَرتْ بى قلت عالَكِ وانتهى
إلى باب أبياتِ الوليد كَلالُها(٢)

وقال جرير يمدح يزيد بن عبد الملك :

ضَخْم الدَّسيعةِ والأبياتِ ، غُرَّتُه
كالبَدْر ليلةَ كاد الشَّهرُ ينتصفُ(٣)

وقال سليمان بن قَتَّة العدوى التيمى:

مررتُ على أبيات آل محمدٍ
فلم أرَ أمثالَها يوم حلَّتِ (٤)

وقال فقيد ثقيف :

ألا رِفْقاً ألا رِفْقاً قليلاً ما أكونَنَّهْ
ألِمَّا بى على الأبيا تِ بالخِيف أزُرْهُنَّهْ
غزالاً ما رأيت اليو مَ فى وَفْد بنى كُنَّهْ
غَضيضَ الطَّرفِ مربوباً وفى مَنْطِقِه غُنَّهْ(٥)

وفى عصرنا الحديث قال أحمد شوقى

ألَمَّ على أبيات ليلى بِىَ الهوى
وما غيرَ أشواقى دليلُ ولا ركبُ(٦)

---

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ٣ / ٤٢٣ .

(٢) ديوانه ص ٧٠٩ ، وقوله : «عالك» دعاء للناقة إذا عثرت ، أن تنتعش وترتفع . يقال : لعالك ، وعالك .

(٣) ديوانه ص ١٧٥ ، والدسيعة : الجفنة ، وهى القصعة يوضع فيها الطعام ، وقيل : الدسيعة : مائدة الرجل .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقى ص ٩٦١ . وسليمان بن قَتَّة ، التيمى بالولاء ، مقرئ شاعر ، عرض ختمة على ابن عباس، وسمع من معاوية وعمرو بن العاص ، وقرأ عليه عاصم الجحدرى . طبقات القراء ٣١٤/١ ، وسير أعلام النبلاء ٥٩٦/٤، وهو صاحب البيت الشهير : فإنَّ الأُلَى بالطَّفِّ من آل هاشم تأسَّوْا فسنُّوا للكرام التأسيا
الأغانى ١٢٩/١٩ ، وأمالى ابن الشجرى ١٩٩/١

(٥) شرح الحماسة التبريزى ٨١/٢ ، وتهذيب إصلاح المنطق له ص ٧١١ ، ولهذا الشعر قصة طريفة تدل على فطنة الطبيب العربى الحارث بن كلدة ، ذكرها التبريزى فى كتابيه المذكورين .

(٦) رواية مجنون ليلى ص ٢١

## الألسُن والألسنة

اللسان : جارحة الكلام وأداة النطق، وهو مذكر ، لأنه العضو ، وربما أنث ، وبخاصة إذا أريد به اللغة أو الرسالة أو المقالة أو القصيدة من الشعر ،

قال المرقش الأكبر :

أتتْنى لسان بنى عامرٍ
فجلَّتْ أحاديثُها عن بَصَرْ(١)

أراد القصيدة والرسالة . وقال أعشى باهلة :

إنى أتتنى لسانٌ لا أُسَرُّبها
مِن عَلْوَ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ(٢)

أراد الرسالة والمقالة .

وقال قساس الكندى :

ألا أبلغ لديك أبا هُنىٍّ
ألا تَنْهى لسانك عن رَداها

وقال الآخر :

لسانُ السُّوءِ تُهْديها إلينا
وحِنْتَ وما حسبْتُكَ أن تَحينا

وربما ذُكِّر ، وهو بهذه المعانى المجازية ، قال الحطيئة :

ندمتُ على لسان فات منِّى
فليت بأنَّه فى جَوفِ عِكْمِ

قال السكرى : أراد باللسان الشعر، يريد : وددت أن الشعر الذى قلت فيهم كان مخبوءا فى جُوالِق» (٣).

وقال أهل اللغة : ومن أنَّث اللسان جمعه على «ألْسُن» مثل ذِراع وأذْرُع ، ومن ذكَّره جمعه على «ألسِنة» مثل حمارٍ وأحمرة(٤).

ونأتى إلى العرف اللغوى فى هذين الجمعين «الألسن والألسنة» فنقول :

---

(١) المفضليات ص ٢٣٥ ، وجاء العجز فى المخصص ١٢/١٧ ، واللسان : أحاديثها بعد قول نكر

(٢) هكذا الرواية فى كتب المذكر والمؤنث والمعاجم الآتية ، وجاءت فى شعره المنشور فى الصبح المنير ص ٢٦٦ :
إنى أتانى لسان لا أسريه من علو لا كذب منه ولا سخر

(٣) ديوان الحطيئة ص ١٩٧

(٤) راجع المذكر والمؤنث للمبرد ص ١١٤ ، ولابن الأنبارى ص ٢٩٦ ، ولا بن جنى ص ٩٠ ، ولابن التسترى ص١٠١ ، ومختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ص ٣٢٩ ، والبلغة للأنبارى ص ٨١ ، والمخصص ١٢/١٧ ، وخلق الإنسان لأبى محمد الحسن بن أحمد ص ٢٦٤ ، واللسان والمصباح (لسن) ، وانظر حواشى المحققين .

إن «الألسنة» استعملت غالبا فى جمع «لسان» الذى هو بمعنى اللغة [1]، ومن ذلك قوله تعالى : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) [2] ، قال أبو جعفر الطبرى فى تفسير الآية الكريمة : «يقول : واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها [3] » . وقال القرطبى : «اللسان فى الفم ، وفيه اختلاف اللغات من العربية والعجمية والتركية والرومية » [4] . وقال أبو حيان: «واختلاف ألسنتكم : أى لغاتكم [5] ».

وقال شهاب الدين الآلوسى : «أى لغاتكم ، بأن علَّم سبحانه كل صنف لغته، أو ألهمه جل وعلا وضعها ، وأقدره عليها، فصار بعضٌ يتكلم بالعربية ، وبعض بالفارسية ، وبعض بالرومية ، إلى غير ذلك مما الله تعالى أعلم بكميته » [6] .

وقال المرتضى الزبيدى : «اللسان: اللغة ، وتؤنث حينئذ لا غير ، ومنه قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)[7] . أى بلغة قومه والجمع : ألسنة، ومنه قوله تعالى : (واختلاف ألسنتكم ) أى لغاتكم [8] » .

وقد استشهد علماء أصول الفقه بالآية الكريمة على أن اللغة توقيفية . قال الفخر الرازى ، بعد أن تلا الآية الكريمة : «ولا يجوز أن يكون المراد منه اختلاف تأليفات الألسنة وتركيباتها ، لأن ذلك فى غير الألسن أبلغ وأجمل ، فلا يكون تخصيص الألسن بالذكر مرادا ، فبقى أن يكون المراد اختلاف اللغات [9] .

فهذا قول الفخر الرازى فى كتابه : المحصول ، لكنه قرر فى تفسيره أن

---

(١) وإذا صح هذا فيكون فيه مخالفة لقول أهل اللغة ، فإنهم قالوا : إنه يجمع على «ألسنة» إذا كان مذكرا ، لكنهم قالوا أيضا :إنه إذا أريد به اللغة كان مؤنثا .

(٢) سورة الروم ٢٢

(٣) تفسير الطبرى ٢٢/٢١

(٤) تفسير القرطبى ١٨/١٤

(٥) البحر المحيط ١٦٧/٧

(٦) روح المعانى ٣١/٢١

(٧) سورة إبراهيم ٤

(٨) تاج العروس (لسن) . وانظر كتاب الشعر لأبى على ص ٢٤١ ، ونبهت هناك على وهم لأبى على رحمه الله .

(٩) المحصول فى علم أصول الفقه ٢٥١/١ ، وتأمل مر اوحته فى استعمال «الألسنة والألسن» .

المراد اختلاف الأصوات أو مخارج الحروف ، لا اللغات (١) .

وقال شمس الدين الأصفهانى : «قوله تعالى : ـ(واختلاف ألسنتكم)ـ يدل على أن اللغات توقيفية ، وذلك لأنه لا يجوز أن يكون المراد بالألسنة مفهومها الحقيقى ، لآن الاختلاف فى غير الألسن أبلغ وأجمل ، إذ الاختلاف فى أجرامها لا يبلغ إلى حد يستغرب ، فإذن المراد اللغات ، تسمية للشئ باسم سببه ، وإذا كانت اللغات مخلوقة كانت توقيفية (٢) » .

وقال ابن النجار الحنبلى : «وقوله تعالى : (واختلاف ألسنتكم) وحمله على اللغة أبلغ من الجارحة ، وحمله على اختلاف اللغات أولى من حمله على الإقدار عليها (٣) » .

وقال الجلال السيوطى عقب تلاوة الآية الكريمة : «والألسنة اللُّحمانية غير مرادة ، لعدم اختلافها ، ولأن بدائع الصنع فى غيرها أكثر ، فالمراد هى اللغات (٤) » .

وقد جمع الزمخشرى بين التفسيرين: اللغات والنغمات ، فقال : «الألسنة : اللغات أو أجناس النطق وأشكاله (٥)، خالف عز وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين ، فى همس واحد ، ولا جهارة ولاخِدَّة ولا رخاوة ، ولافصاحة ولا لُكْنَة ، ولانظم ولا أسلوب ، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله (٦)» .

وإلى مثل ذلك ذهب الراغب الأصفهانى ، فقال : «فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات ، وإلى

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٦٧/٦ ، وانظر الموضع السابق من روح المعانى .

(٢) بيان المختصر – شرح مختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه ٢٨٣/١ ، وتأمل استعماله «الألسن» بعد «الألسنة» فإن ذلك ناطق بأنه يريد بالألسن جمع اللسان : العضو

(٣) شرح الكوكب المنير فى أصول الفقه ١ / ٢٨٦

(٤) المزهر ١٧/١ ، ١٨

(٥) فى الكشاف : «وأشغاله» وصححته من الموضع السابق من البحر المحيط .

(٦) الكشاف ٣ /٢١٨

اختلاف النغمات ، فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع ، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر[1]» .

وجاءت «الألسنة» أيضا فى الحديث مرادا بها اللغات :

أخرج أحمد بسنده إلى سهل بن سعد الأنصارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم لا يدركنى زمان ولا تدركوا زمانا لا يتبع فيه العليم ، ولا يستحيى فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم ، وألسنتهم ألسنة العرب[2] » .

وجاء فى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «إن الله يعلم الألسنة كلها[3] » ، قال الحافظ ابن حجر : «المراد اللغات[4] » .

وكذلك جاءت «الألسنة» أيضا فى كلام الشافعى – ولغته حجة – مرادا بها اللغات ، وذلك قوله : «ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غير نبى[5] » .

وفى كلامٍ لابن جنى ، قال : «وكذلك أيضا لوفشا فى أهل الوبر ماشاع فى لغة أهل المدر ، من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها [6] » .

وقد جاءت «الألسنة» فى كلام أبي بكر الباقلاّنى فى كتابه إعجاز القرآن أربع مرّات ، أُريد بها فى ثلاث منها اللغة بلاشك :

المرة الأولى فى قوله : « ... ولمعنى آخر ، وهو أن ذلك اللسان لا يتأتى فيه

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٤٠

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٤٠/٥

(٣) صحيح البخارى (باب إذا قالوا : صبانا ولم يحسنوا أسلمنا ، من كتاب الجزية والموادعة ) ١٢٢/٤

(٤) فتح البارى ٢٧٤/٦ ، ٢٧٥

(٥) الرسالة ص ٤٢ ، وانظر أيضا ص ٤٥ ، ٤٦

(٦) الخصائص ٥/٢

من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى إلى حد الإعجاز ، ولكنه يتقارب ، وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا فى سائر الألسنة ... » .

والثانية : فى قوله : « ويبين ذلك أن كثيراً من المسلمين قد عرفوا تلك الألسنة، وهم من أهل البراعة فيها ، وفى العربية ... ويبين هذا أن الشعر لا يتأتى فى تلك الألسنة ، على ما قد اتفق فى العربية » .

والثالثة : فى قوله : « ولضيق ما سوى كلام العرب ، أو لخروجه عن الاعتدال ، يتكرر فى بعض الألسنة الحرفُ الواحد والكلمات المختلفة كثيراً ، كنحو تكرر الطاء والسين فى لسان يونان وكنحو الحروف الكثيرة التى هى اسمٌ لشىء واحد فى لسان الترك » .

والمرة الرابعة جاءت مراداً بها جمع اللسان ، العضو ، وذلك قوله : « ولو كان ذلك مما يجوز اتفاقه من الطبائع ، ولم ينفك العالَم من قوم يتفق ذلك منهم ويعرض على ألسنتهم وتجيش به خواطرهم ... » (١) .

وجاءت « الألسن » فى كلامه مراداً به جمع العضو ، وذلك قوله : « ويزعمون أن فى الكتاب – يعنى كتاب مانِى – الحِكَم، وهى حكم منقولة ، متداولة على الألسن » .

وقوله : « مَن توَّهم أن الشِّعر يلحظ شأوه بان ضلاله ، ووضح جهله ، إذ الشِّعْرُ سمت قد تناولته الألسُن ، وتداولته القلوب ... » (٢) .

فهذا ما كان من أمر «الألسنة» التى جاءت – في الغالب – جمعا للسان بمعنى اللغة ، وإن كانت قد جاءت فى القرآن الكريم أيضا جمعا للسان الذى هو العضو ، فى تسعة مواضع من الكتاب العزيز(٣) .

وكذلك جاءت فى الحديث ، وهو

---

(١) إعجاز القرآن . صفحات ٣١ ، ٣٢ – مرتين فى سياق واحد – ١١٨ ، ٦٢ .
(٢) ص ٣٢ ، ٣٠٢ .
(٣) انظرها فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ورحم الله مولفة رحمة واسعة سابغة .

حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، وفى آخره : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وهل يكبُّ الناسَ فى النار على وجوهم ، أو على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم [1] » . وفى أحاديث أخرى[2] .

ومن ذلك أيضا قول الفرزدق :

لم يبق منهم غيرُ ألسنة
وأعيُظُمٍ وحواصلٍ حُمُرِ[3]

وكذلك جاءت فى مقدمة مفتاح العلوم للسكاكى ، وذلك قوله : «أحق كلام أن تلهج به الألسنة ..... » .

وجاءت كذلك فى عنوان كتاب لإسماعيل بن محمد العجلونى المتوفى سنة ١١٦٢هـ ، وهو : «كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ .

أما «الألسن» فأكثر ما تجئ جمعا للسان الذى هو العضو أو الجارحة ،

ومن ذلك قول جرير :

إذا مِتُّ فانْعَيْنِى لمولىً تظَاهَرَتْ
عليه من الأعداء أيدٍ وألسُنُ [4]

وقول الإمام الشافعى :

إذا رُمْتَ أن تحيا سليماً من الرَّدَى
ودينُكَ موفورٌ وعِرْضُك صَيِّنُ
فلا ينطقِنْ منك اللسان بسَوْأةٍ
فكُلُّكَ سوءاتٌ وللناسِ ألسُنُ[5]

وقول اسحاق بن خلف البهرانى ، المعروف بابن الطبيب :

النحو يبسط من لسان الألْكَنِ
والمرء تكرمه إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبتَ من العلوم أجلَّها
فأجلُّها منها مُقِيمُ الألسُنِ[6]

---

(١) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى (باب ما جاء فى حرمة الصلاة . من كتاب الإيمان ) ٨٦/١٠ وسنن ابن ماجة (باب كف اللسان فى الفتنة . من كتاب الفتن ) ص ١٣١٥ ، ومسند أحمد ٢٣١/٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧

(٢) ترى الإشارة إليها فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ١١٧/٦

(٣) ديوانه ص ٣٢٦ (٤) ديوانه ص ٥٧١ (٥) ديوانه ص ٨٤

(٦) الكامل ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، وبهجة المجالس ٦٦/١ ، ومعجم الأدباء ٨٥/١ ، وتنبيه الألباب على فضائل الإعراب ص٩٧، واسحاق بن خلف هذا : من شعراء المعتصم ، توفى فى حدود سنة ٢٣٠ ، وترجمته طريفة ، فاطلبها فى فوات الوفيات ١٦/١ ، ١٧ والكامل ص ٥٣٠ ، وحواشى تنبيه الألباب .

وقول العجاج :

أو تَلْحَجَ الألسُنُ فينا مَلْحَجَا (١)

وقول شاعر من بنى تميم :

أما رأيتَ الألسُنَ السِّلاطا(٢)

وقول الأسلع بن قصاف الطُّهَوِى :

بأيدٍ يُفَرِّجْنَ المَضيقَ وألسُنٍ

سِلاطٍ وجَمْعٍ ذى زُهاءٍ عَرَمْرَمِ(٣)

وقول المتنبى :

حسم الصلح ما اشتهته الأعادى

وأذاعتْه ألسُنُ الحُسَّادِ(٤)

وقوله :

الحبُّ مامَنع الكلامَ الألسنا

وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعْلَنا(٥)

وقال أعرابى يذم قومه : «ألسُنٌ عامرةٌ من الوَعْد ، وقلوبٌ خَرِبة من العزم »(٦) .

وجاء فى أمثال المولَّدين : «غشُّ القلوب يظهر فى فَلَتات الألسُن وصفحات الوجوه »(٧) .

ومن ذلك ما ذكره الطبرى فى حوادث سنة ٣٠ ، قال : «جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود ، فقالوا : «الوليد يعكف على الخمر ، وأذاعوا ذلك حتى طُرِح على ألسُنِ الناس » (٨) ومن ذلك أيضا قول جلال الدين السيوطى فى مفتتح كتابه المزهر : «الحمد لله ، خالق الألسن واللغات » ، فالألسن هاهنا : جمع «اللسان» الذى هو الجارحة والعضو لعطف «اللغات» ، عليها ، والعطف فى

---

(١) ديوانه ص ٣٦٥ ، والموضع السابق من خلق الإنسان ، واللحج : الميل . المعنى : أو تقول الألسن فينا الكذب فتميل عن الحسن إلى القبيح .

(٢) البيان والتبيين ١/١٧٧

(٣) البيان والتبيين ١/١٧٧ ، والحيوان ٥/٤٤٥ ، وانظر الخلاف فى نسبته فى الكامل وحواشيه ص ٢٢٦

(٤) ديوانه ٢ / ٣١

(٥) ديوانه ٤ / ١٩٥

(٦) إعجاز القرآن للباقلانى ص ٩٧

(٧) مجمع الأمثال ٢/٦٧

(٨) تاريخ الطبرى ٤/٢٧٤ (ذكر السبب فى عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة )

أصل وضعه يقتضي المغايرة ، إلا أن يكون من باب عطف الشئ على نظيره، على حد قول الحطيئة :

وهندٌ أتى مِن دُونها النَّأىُ والبُعْدُ(١)

فيكون المراد بالألسن هنا : اللغات أيضا ، ويكون قد استعمل «الألسن» مكان « الألسنة » .

وقد جاءت «الألسن» في مقدمات كتب كثيرة ، أذكر منها كتاب البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكانى ، وكتاب التبيان في علم البيان له أيضا .

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن «الألسن» لم تأت فى القرآن الكريم ، وإنما أتي فيه «الألسنة» فقط ، مرادا بها اللغات في موضع واحد ، ومرادا بها جمع «اللسان» العضو والجارحة فى سائر المواضع ، كما سبق .

ويبقى تنبيه آخر : وهو أن الخيار فى جمع اللسان على ألسنة وعلى ألسن ، مشروط بعدم الإضافة إلى ضمير من ضمائر الجمع ، فإذا وجد ذلك الضمير تعيَّنت «الألسنة» ليس غير ، فنحن نقول : ألسنتنا وألسنتكم وألسنتكن وألسنتهم وألسنتهن ، ولا نقول : ألسننا وألسنكم وألسنكن وألسنهم وألسنهن . وهذا لم يُنص عليه ، ولكنه معروف بالتتبع والاستقراء .

☆ ☆ ☆

وبعد : فإذا صح أن «الألسنة» تعنى غالبا : اللغات ، وأن «الألسُن» تستعمل غالبا فى جمع اللسان ، الذى هو العضو والجارحة ، كان الأولى بكلية الألسن ، أن تكون : «كلية الألسنة» ، ولا تستثقلنَّ هذه التسمية لأن الإلف والعادة آنسا بالتسمية الأولى ، ليس غير .

---

(١) ديوانه ص ٦٤ ، وانظر مبحث « عطف الشيء علي نظيره » في معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨٥/٢ ، والصناعتين ص ١٠٨ ، والموشح ص ١٤١ ، والصاحبى ص ١١٥ ، وأمالى ابن الشجرى ٢٣٤/٢ ، ٢٥٣/٣ ، وشرح المفصل ١٠/١ ، ثم انظر اللسان « نأى » .

الوقف فى اللغة : الكف والحبس ، وفى اصطلاح الفقهاء : حبس مال يمكن الانتفاع به ، مع بقاء عينه ، بقطع التصرف فى رقبته على مَصرِف مباح موجود .

وقيل : حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنفعتها ، أو صرف منفعتها على من أحب .

وقيل : إعطاء منفعة شئ مدة وجوده، لازما بقاؤه فى ملك معطيه ولو تقديراً .

وقيل : تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به ، مع بقاء عينه ، بقطع تصرف الواقف وغيره فى رقبته ، أى المال .

وقيل : أن يحبس عينا من أعيان ماله ، فيقطع تصرفه عنها ، ويجعل منافعها لوجه من وجوه الخير ، تقربا إلى الله تعالى [1].

والوقف فى اصطلاح القرَّاء : عبارة عن قطع الصوت عند آخر الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنيَّة استئناف القراءة ، إما بما يلى الحرف الموقوف عليه ، أو بما قبله ، لا بنيَّة الإعراض ، ولا يأتى فى وسط كلمة ، ولا فيما اتصل رسما ، ولابد من التنفس معه [2] .

والوقف فى اصطلاح الفقهاء وفى اصطلاح القراء يُجمع على «أوقاف ووقوف» ، لكن العرف اللغوى غلَّب «الأوقاف» على الوقف الفقهى ، الذى هو حبس المال ، على حين صرف «الوقوف» إلى وقف القراء ، وإن كان أحدهما قد استعمل مكان الآخر ، توسعة وإباحة .

---

(١) الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع – فى فقه الشافعية – ٨١/٢ ، وشرح فتح القدير – فى فقه الحنفية – ٢٠٠/٦ والخرشى علي مختصر خليل – فى فقه المالكية – ٧٨/٧ ، وكشاف القناع عن متن الإقناع – فى فقه الحنابلة –٢٤٠/٤ ، والتعريفات للسيد الشريف الجرجانىْ ص ٢٥٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١٩٤/٢

(٢) النشر فى القراءات العشر ٢٢٤/١ ، ولطائف الإشارات ٢٤٨/١ ، وإتحاف فضلاء ، البشر ٣١٣/١ ، ونهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ١٥٦ .

وعلى هذا جاءت تعريفات بعض الفقهاء واللغويين : ففى شرح فتح القدير: «وقف وأوقاف ، كوقت وأوقات» ، وقال الفيومى : «ووقفت الدار وقفا : حبستها فى سبيل الله ، وشئ موقوف ووقف أيضا ، تسمية بالمصدر ، والجمع أوقاف، مثل ثوب وأثواب[1] » .

وعنون به ابن فارس ، فقال : « مسألة : ما يفضل من أوقاف المساجد والرباطات [2] » .

وقد ترجم البخارى لباب ( أوقاف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . من كتاب الحرث والمزارعة )[3] . وقال ابن القوطية : «وأوقاف المسلمين : أحباسهم ، جمع وقف[4] » .

وقد امتد هذا العرف إلى أيامنا هذه ، فيقولون : وزارة الأوقاف ، ومديرية الأوقاف ، ونحو ذلك .

ومع شيوع هذا الجمع وكثرته فيما رأيتُ من كتب الفقه والعربية ، فقد وجدتُ الجمع الآخر « الوقوف » فى الوقف الفقهى ، وذلك فى كلام تاج الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، قال فى أثناء ترجمة الوزير الكبير نظام الملك : "بنى المدارس ووقف الوقوف " . وحكى أيضاً عن نظام الملك قوله يخاطب السلطان ملك شاه : " أنا آخذ المال ، وأعطيه لهؤلاء الغلمان الذين جعلتهم لك ، وأصرفه أيضاً فى الصدقات والوقوف والصِّلات التى معظم ذكرها لك ... "[5] .

أمَّا « وقْف القرآن » فالكثير الشائع فى جَمْعه « وقوف » . وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : "الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف" [6] ، وليست هذه ضرورة سَجْع وتَقْفِية ؛ فقد شاع استعمال « وقوف القرآن » شيوعاً ظاهراً . وهو عنوانٌ

---

(١) المصباح المنير (وقف) .

(٢) حلية الفقهاء ، ص ٢١٩ ، ولم يعرض ابن فارس لأىٍّ من الجمعين فى كتابيه : المقاييس والمجمل .

(٣) صحيح البخارى ٣ / ١٣٩

(٤) الأفعال ، ص ١٥٧ ، وانظر أيضاً الأفعال لابن القطاع ٣ / ٢٩٣

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٣١٩ ، ٣٢٦

(٦) النشر ١ / ٢٢٥ . وانظر أيضاً ص ٢٠٥

لبابٍ في كتب الأداء والقراءات وعلوم القرآن ، فيقال : باب الوقف والابتداء ، والوقوف والابتداء [1] . ويقول المرتضى الزَّبيدى : " ووقَف القارىءَ على الكلمة وُقوفاً ، ووقَّفه توقيفاً : علَّمه مواضع الوقوف " [2] .

ويقول أبو بكر بن الأنباريّ ، وهو من أوائل من صنَّفوافى علم الوقف والابتداء: «فى فاتحة الكتاب أربعة وقوف تامة» [3].

وتُسمَّى بعض كتب هذا الفن باسم : «الوقوف » كما ترى فى ترجمة « أحمد ابن كامل بن خلف بن شجرة » صاحب ابن جرير الطبرى [4] . وتقرأ فى كتب الفنّ هذه العبارة كثيراً : « وقوف السَّجاوَنْديّ » [5] .

ومع شيوع هذا الجمع وغلبته ، فقد جاء أيضاً على قِلَّة : « الأوقاف » ، وذلك ما ذكره علم الدين السَّخاوى ، فى قوله : « وفى آية الكرسى عشرة أوقاف » ، وقوله : « وفى قوله عز وجل : " ثم أنزل عليكم من بعد الغَمّ أمنةً نُعاساً " فى آل عمران عشرة أوقاف » .

وقوله : « وفى سورة الامتحان – الممتحنة – أيضاً آية فيها من الأوقاف هذه العِدَّة » [6] .

ويقول ابن الجزرى : « والكلام هنا على معرفة ما يوقف عليه ويبتدأ به ، وقد ألَّف الأئمة فيها كتباً قديماً وحديثاً ، ومختصراً ومطَّولاً ، أتيت على ما وقفت عليه من ذلك ، واستقصيته فى كتاب

---

(١) المرجع السابق ١ / ٢٢٤ ، وانظر البرهان فى علوم القرآن ١ / ٣٥٩ ، والإتقان ١ / ٢٣٠

(٢) تاج العروس « وقف » ، والتكملة للزَّبيدى أيضاً ٥ / ١٦٩ ، والعبارة فيها : « وقَف القارىءَ على الكلمة وقوفاً : علَّمه مواضع الوقوف ، كوقَّفَه توقيفاً » ، وهذه العبارة أبيَن وأصرحُ فى الدلالة على أن الفعل السابق متعدٍّ ، والدليل على ذلك أن كلمة « القارىء » ضُبطت فى الطبعة الكويتية من التاج ٤٧٥/٢٤ ، بالرفع ، على توهم أن الفعل « وقف » لازم، وفى هذا شاهد على أنه « لا يُغْنى كتابٌ عن كتاب » فإن بعضهم يقول : إن التكملة للزبيدى ليست سوى « مستدرك التاج » .

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ١ / ٤٧٨

(٤) إنباه الرواه ١ / ٩٨ « الحاشية »

(٥) هو محمد بن طيفور ، من علماء القراءات والنحو فى القرن السادس . إنباه الرواة ٣ / ١٥٣ ، وطبقات القراء٢/١٥٧

(٦) جمال القراء وكمال الإقراء ، ص ٥٦٨ ، ٥٦٩

«الاهتدا إلى معرفة الوقف والابتدا» ، وذكرت في أوله مقدمتين جمعت بهما أنواعاً من الفوائد ، ثم استوعبت أوقاف القرآن سورةً سورةً » .

وقال أيضاً : « من الأوقاف ما يتأكدُ استحبابه لبيان المعنى المقصود » .

وقال فى موضع ثالث : « فلْيُعْلَم أن مراد السجاوندى بقوله « لا » أى لا يوقف عليه على أن يُبتدأ بما بعده ، كغيره من الأوقاف » (١) .

---

(١) النشر فى القراءات العشر ١ / ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤

## الأيادى والأيدى

**اليد** : الجارحة ، مؤنثة ، ولامها محذوفة ، وهى ياء ، بدليل : يديان ، فى التثنية ، والأصل : يَدْى ، قيل : بفتح الدال ، وقيل : بسكونها .

وتُطلق « اليد » مجازاً على الإحسان والنعمة ، وما يتخذه الرجل عند الرجل من الفضل والعون والمعروف .

قال ابن الشجرى : « يجوز أن تكون اليدُ التى هى النعمة مأخوذةً من التى هى الجارحة ؛ لأن النعمة تُسْدَى باليد ، ويجوز أن تكون الجارحةُ مأخوذةً من النعمة ؛ لأن اليدَ نعمةٌ من نعم الله على العبد » (١) .

وتُجمع اليد على الأيدى والأيادى ، وإن كان بعضهم يرى أن « الأيادى » جمع الأيدى ، فتكون جَمْعَ الجمع ، كقولهم : كَلْب وأكْلُب وأكالب ، وسيأتى البحث فى هذا .

لكنهم قالوا : إن « الأيدى » أكثر ما تُستعمل فى « اليد » العضو والجارحة ، وعلى ذلك جاء القرآن الكريم ، و «الأيادى » أكثر ما تُستعمل فى جمع « اليد » التى هى النعمة ، لا العضو . والشواهد على ذلك كثيرة ، منها قول أبى تمام :

فإذا هُلْهِلَ النَّوالُ أتَتْنا
ذاتُ نِيرَيْن مُطْبقاتُ الأيادى

قال التِّبريزى : « ومطبقات الأيادى : التى قد أطبق بعضها على بعض . والأيادى : النِّعَم » (٢) .

وقال أيضاً :

وغيرى يأكل المعروفَ سُحْتاً
وتَشْحُبُ عنده بِيضُ الأيادى

قال التبريزى : « يقول : بيض الأيادى عندى محفوظة ، لا أغيرها ، ولا يشحب لونها » (٣) .

وقال البحترى :

شفيع المسلمين إليك فيما
تُنيل من الصنائع والأيادى (٤)

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ / ٢٣١
(٢) ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ١ / ٣٦٦
(٣) الديوان نفسه ١ / ٣٧٧
(٤) ديوانه ص ٥٢٥

وقال أيضاً :

وكم لك من يدٍ بيضاء عندى
لها فضلٌ كفضلك والأيادى (١)

وقال ابن الرومى :

ما على الأحرار من رِقٍّ إذا
نقدوا شُكْرَهم مولى أيادى (٢)

وقال أيضاً :

ولا عَدِم المؤمِّلُ منه مَطْلاً
تتمُّ به الصنائع والأيادى (٣)

وقال المتنبى :

لـه أيـادٍ إلى ســابـقــةٌ
أعُدُّ منها ولا أُعَدِّدُها (٤)

وقال أيضاً :

أأرضى أن أعيش ولا أكافى
على ما للأمير من الأيادى (٥)

وقال الحسين بن الحجاج – من شعراء اليتيمة – وقيل : محمد بن إبراهيم الأسدى :

قلتُ ثقَّلْتُ إذ أتيتُ مراراً
قال ثقَّلْتَ كاهلى بالأيادى (٦)

وقال شاعر :

له علىَّ أيادٍ لستُ أكفرها
وإنما الكفر ألا تُشْكَرَ النِّعمُ (٧)

ولعل أشهر شاهد عند النحاة على «الأيادى» بمعنى النِّعَم ، هو قول ابن مالك فى الألفية :

والخبر الجزء المتمّ الفائدهْ
كاللهُ بَرٌّ والأيادى شاهدهْ

قال المكّودى : « والأيادى : النِّعَم ، وهو جمع أيدٍ ، وأيد جمع يدٍ ، فهو جمع الجمع » (٨) .

---

(١) ديوانه ص ٧٢٦
(٢) ديوانه ص ٧٢٧
(٣) ديوانه ص ٧٤٨
(٤) ديوانه ١ / ٣٠٤
(٥) ديوانه ١ / ٣٥٧
(٦) وهذا البيت من شواهد القول بالموجب – من علم البديع – ويسمى أسلوب الحكيم . راجع بديع القرآن ص ٣١٥ ، وتحرير التحبير ص ٥٩٩ ، وشروح التلخيص ٤ / ٤٠٩ ، ومعاهد التنصيص ٣ / ١٨٠ ، وشرح الكافية البديعية فى علوم البلاغة ص ٩٦ ،ونهاية الأرب ٧ / ١٧١
والحسين بن الحجاج هذا من شعراء اليتيمة ، كما ذكرت ، وقد أورد له الثعالبى فى اليتيمة جملة صالحة من شعره ، ولكن لم يرد فيها هذا البيت ، وترجمته فى اليتيمة ٣ / ٣١ – ١٠٤
(٧) اللسان « يدى » .
( ٨) شرح المكودى على الألفية ١ / ١٧٤

وجـــاء فى أمـــثـــال المولَّدين : « إن الأيادى قروض » (١) .

وكأن هذه الدلالة للأيادى قد استقرت عند بعض اللغويين ، فـجـاء بهـا شـرحـاً للفواضل والإحسـان . قـال ابن دُريد : «والفـواضـل : الأيادى الجـمـيلة » (٢)، وعبارة صاحب القاموس : « والفواضل : الأيادى الجسيمة أو الجميلة » (٣) .

ومع شـيـوع « الأيادى » جـمـعـاً لليد التى بمعنى النعمة والإحسان ، فقد جاء هذا الجمع أيضاً لليد ، التى هى العضو والجارحة ، وكان الجمع المعروف فيها : «الأيدى » كما سبق ، وقد ذكر ذلك أبو الفـتـح بن جنى فى ( باب الاسـتـغناء بالشىء عن الشىء ) . من الخـصـائص قال : « وكذلك اليد التى هى العضو قالوا فيها " أيدٍ ، ألبتَّةَ ، فأما أيادٍ فتكسير أيدٍ لا تكسير يدٍ ، وعلى أنَّ « أياد » أكثر ما تستعمل فى النِّعم ، لا فى الأعْضاء ، وقد جاءت أيضاً فيها » (٤) ، واستشهد ابن جنى لذلك بشـواهد كثيـرة ، منهـا قـولُ عدى بن زيد العِبادى :

ساعها ما تأمَّلَتْ فى أياديـ
نا وإشناقُها إلى الأعناقِ

وقد جرت هذه القضية فى مجلس أبى عمرو بن العلاء مع أبى الخطاب الأخفش الكبـيـر ، جـاء فى مـجـالس العلمـاء للزجاجى : « قال أبو العباس – المبرّد –: قـال أبو عـبـيدة : كنا عند أبى عـمـرو بن العـلاء ، فـسـأله سـائل عن جـمع يدٍ من الإنسـان ، فـقـال : أيدٍ ، وأنكر أن تكون أيادى إلاَّ فـى النِّعم ، فلمـا قـمنا قـال لى أبو الخطاب الأخفش : أما إنها فى علمه، غـيـر أنهـا لم تحـضُره ، ثم أنشـد أبو الخطاب الأخـفش بيت عـدىّ بن زيد العِبادى :

أنكَرَتْ ما تَبَيَّنَتْ فى أياديـ
نا وإشناقُها إلى الأعناقِ

ويروى : « سـاعها مـا بنا تَبَيَّنَ فى الأيدى » . قـال أبو عـمـرو : يعنى بنتـه هنداً ، باتت عنده مع أمـهـا فى السّجن وهى جُويرية صغيرة ، فقالت : يا أبتاه ،

---

(١) مجمع الأمثال ١ / ٨٩ ، والمستقصى ١ / ٣٠٣

(٢) الجمهرة ، ص ٩٠٧

(٣) القاموس « فضل »

(٤) الخصائص ١ / ٢٦٧

أىّ شىء هذا فى يدك ؟ – تعنى الغُلَّ – وبكتْ منه ، نفى ذلك يقول : « ساعها ما بنا تبيَّنَ » (١) .

ومن شواهد ذلك أيضاً ما أنشده أبو زيد لرجل من عبد شمسٍ ، جاهلىّ ، اسمه نُفَيع – وقال أبو حاتم : نَقِيع – :

أمَّا واحداً فكفاك مِثلى
فَمَن ليدٍ تُطاوِحُها الأيادى (٢)

ومن ذلك قولُ الشاعر :

طِوالُ الأيادى والحَوادِى كأنها
سَماحِيجُ قُبٌّ طار عنها نُسالُها (٣)

وقول القُحَيْف العُقَيلى :

ومن أعجب الدنيا إلىَّ زُجاجةٌ
تَظَلُّ أيادى المُنْتَشين بها فُتْلا (٤)

وقول القائل :

ومُسْتامةٍ تُسْتامُ وهْىَ رَخيصةٌ
تُباعُ بساحات الأيادى وتُمْسَحُ (٥)

وقال العجاج :

وخَطَرتْ فيه الأيادى وخَطَرْ
رائٌ إذا أورده الطَّعنُ صَدَرْ

وهذه رواية ابن جنى (٦) ، أما الرواية فى ديوان العجّاج (٧) فهى :

وخَطَرتْ أيدى الكُماةِ وخَطَرْ

---

(١) مجالس العلماء ، ص ١٦٢ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنبارى ، ص ٢٧٦ ، والمخصص ٢ / ٢ ، ١٢ / ٢٣٧ ، وأمالى ابن الشجرى ٢ / ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وشرح المفصل ٥ / ٧٤ ، ونزهة الألباء ص ٤٤ ، والخزانة ٧ / ٤٨١ .

(٢) النوادر ص ٢٥٥ ، واللسان « طوح » وروايته « واحدٌ » قال أبو زيد : ونصب « واحداً » على كفاك ، كما تقول : أمَّا درهماً فأعطاك زيدٌ . ويقال : طاوحه : راماه ، وطاح الشىء : ذهب .

(٣) أمالى القالى ١ / ١٥١ ، والسمط ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، والشاعر يصف خيلاً ، شبهها فى طولها وارتفاعها بإبل سماحيج ، أى طوال ، طارعنها نسالُها : أى ريشها ، لسِمَنِها ، والحوادى : الأرجل التى تتلو الأيدى وتحدوها .

(٤) سمط اللآلى ص ٤٠٦ ، و« فُتْلاً » من الفَتْل ، بالتحريك ، وهو تباعد ما بين المِرْفقين عن جَنْبى البعير ، ويقال : قومٌ فُتْل الأيدى .

(٥) الخصائص ١ / ٢٦٨ ، والمقتضب لابن جنى ص ٦٨ ، وينسب لذى الرمة ، ملحق ديوانه ص ١٨٥٦ و« مُسْتامة » من السَّوْم الذى هو السير السريع ، يعنى أرضاً تسوم فيها الإبل ، و« تباع » أى تمدُّ فيها الإبل أبواعها وأيديها ، والبُوع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما .
و« تُمْسَح » من المسح ، وهو القطع ، من قوله تعالى " فطفق مَسْحاً بالسُّوق والأعناق " « سورة ص ٣٣ ، وهذا البيت من أبيات المعانى ، وهى الأبيات التى يخالف ظاهرها باطنها ، وهو لون من الألغاز والتعمية .

(٦) الخصائص ١ / ٢٦٨

(٧) ديوان العجاج ص ٣٨

وكذلك جاءت فى الكتاب والمقتضب والمنصف [1] . وأخشى أن تكون هذه الرواية مغيرة ؛ لإثبات أن « اليد » العضو تُجمَع على « أيدٍ » ليس غير .

وقال جَنْدَل بن المثنى الطهَوِىُّ :

كأنه بالصَّحْصحان الأنْجَلِ
قُطْنٌ سُخامٌ بأيادى غُزَّلِ [2]

ورواه ابن فارس :

قُطْنٌ سُخامِىٌّ بأيْدى غُزَّلِ [3]

وأخشى أيضاً أن تكون هذه الرواية مغيَّرة ؛ للعلة التى ذكرتُها فى الشاهد السابق .

وقال الفرزدق – وجمع بين الجمعين لليد التى هى العضو – :

ألا أيها الناهى عن الوِرْد ناقتى
وراكبَها سَدِّدْ يمينك للرُّشْدِ

فأىّ أيادى الورد فيه التى التقتْ
تخاف علينا أن تُحلَّق بالوردِ
أَلَفُّ ابن ليلى أم يدٌ عامريةٌ
أم الفاضلاتُ الناس أيدى بنى سعدِ [4]

ومن استعمال « الأيادى » جمعاً لليد العضو ، هذه الرواية الثانية فى المثل : «ذهبوا أيدى سبا» و«ذهبوا أيادى سبا» قال ذو الرُّمة :

أمن أجل دارٍ طيَّر البَيْنُ أهلَها
أيادى سبا بعدى وطال احتيالُها [5]

وقال كثير :

أيادى سبا يا عزَّ ما كنتُ بعدكم
فلم يَحْلَ للعينين بعدك منظرُ [6]

وقال الفرزدق :

مِن ابنى نِزَارٍ واليمانين بعدهم
أيادى سبا والعقل للمُتَفهِّمِ [7]

---

(١) الكتاب ٣ / ٥٩٦ ، والمقتضب ١ / ١٥٣ ، والمنصف ٣ / ٧ ، جاءوا به شاهداً على جمع راية على رايٍ .
(٢) إصلاح المنطق ص ٣٨١ ، والألفاظ لابن السكيت ص ٦٧١ ، ونسبها الزمخشرى فى الأساس « سخم » لأبى النجم ، وليسافى ديوانه المطبوع بالرياض ، وانظر كتاب الشعر ص ٣٣٤ ، والخصائص ١ / ٢٦٩ ، وأمالى ابن الشجرى ٢٣٢/٢ ، والسُّخام بضم السين ، وهو هنا اللين الناعم . والصحصحان : ما استوى من الأرض ، والأنجل : الواسع ، والاراجز يصف سراباً .
(٣) مقاييس اللغة ٣ / ١٤٥
(٥) ديوانه ص ٥٠١
(٧) ديوانه ص ٧٥٥
(٤) ديوانه ١ / ١٧١ ، والورد : هو الورد بن الأشهب الحنفى
(٦) ديوانه ص ٣٢٨ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٥ / ١٥٩ – ١٦١

وحكى صاحب اللسان ، عن ابن برى تعليقاً على بيت ذى الرُّمة السابق ، قال : « قولهم : أيادى سبا : يُراد به نِعَمُهم ، واليد : النعمة ؛ لأن نعمهم وأموالهم تفرقت بتفرقهم . وقيل : اليد هنا كناية عن الفِرْقة ، يقال : أتانى يد من الناس ، وعينٌ من الناس ، فمعناه : تفرقوا تفرُّق جماعات سبأ . وقيل : إن أهل سبأ كانت يدُهم واحدة ، فلما فرقهم الله صارت يدهم أيادى ، قال : وقيل : اليد هنا الطريق ، يقال : أخذ فلانٌ يدَ بَحْر : أى طريق بحر ؛ لأن أهل سبأ لما مزقهم الله أخذوا طرقاً شتى » انتهى كلام ابن برى [1] .

قلت : وتفسير « الأيادى » فى هذا المثل بالنعم بعيد ؛ لأن ذلك إنما يأتى فى سياق التمدُّح والمِنَّة ، ولا تمدُّح ولا مِنَّةَ فى هذا القول ، كما أن تفسير «الأيادى» هنا بالفرقة والعين من الناس بعيد ، وكذلك تفسيرها بالطريق بعيد أيضاً ؛ لأن ذلك كلَّه غير شائع فى كلام العرب ، ولم يأت له ابن برى بشاهد واحد منثور أو منظوم ، فلم يبق إلا أن تكون «الأيادى» فى هذا المثل مراداً بها جمع اليد التى هى العُضو والجارحة ، ويكون ذلك من باب المجاز ، بإطلاق الجزء وإرادة الكل ، على حد قوله تعالى : " فكُّ رقبة " [2] والمراد العبد كله ، فيكون المراد بأيادى سبا : أفراد هذه القبيلة الذين تفرقوا ، كما جاء فى شرح المثل [3] .

---

(١) اللسان « يدى » .

(٢) سورة البلد ١٣

(٣) قال الزمخشرى : « وأصله أن سبأ بن يشجب لما أُنْذِروا بسيل العرِم خرجوا من اليمن متفرقين فى البلاد ، فقيل لكل جماعة تفرقوا : ذهبوا أيدى سبا ، والمراد بالأيدى الأنفس ، وهو فى موضع النصب على الحال ، وإن كان معرفة ؛ لأنه فى تأويل شىء منكَّر ، وهو قولنا : متفرقين وشاردين ، أو على حذف المضاف الذى هو « مثل » كأنه قيل : ذهبوا مثل أيدى سبا ، كما قال : لا هَيْثَمَ الليلة للمَطِىِّ

« أراد : لا مثل هيثم ، لأن « لا » لا تعمل فى معرفة . أمالى بن الشجرى ١ / ٣٦٥ » ، وقيل : الأيدى جمع يد ، وهى الطريق ، فعلى هذا ينتصب موضع « أيدى » على الظرف ، والمعنى : ذهبوا فى طرقهم ، وسلكوا مسالكهم المستقصى ٢ / ٨٨ – ٩٠ ، وقوله فى المثل « أيادى » يضبط ويقرأ بسكون الياء ، وكان القياس أن ينصب – على الحال – لكنهم آثروا فيه الخفة بالسكون لاغير . قاله الزمخشرى ، وانظر الكتاب ٣ / ٣٠٤ ، والمخصص ١٢ / ١٣٢ ، والروض الأنف ١/١٥ ، والمقتضب ٤ / ٢٥ ، ٢٦ ، وما فيه من فوائد وتنبيهات وإحالات ، ورحم الله محققه رحمة واسعة .

ومع هذه الشواهد الكثيرة على استعمال « الأيادى » التى هى النعم ، فى معنى « الأيدى » الأعضاء ؛ فإن صنيع بعض اللغويين يُشْعر بأن هذا ليس هو الأصل ؛ فحين شرح أبو على القالى ذلك الشاهد السابق :

طوال الأيادى والحوادى كأنها ... البيت

قال : « الحوادى : الأرجل التى تحدو الأيدى وتتلوها » [1] فاستعمل فى الشرح « الأيدى » ، ولم يستعمل « الأيادى » الثابتة فى الشاهد .

وإذا كانت « الأيادى » النعم قد استعملت فى معنى « الأيدى » الأعضاء ، فهل جاء العكس ، فاستُعملت « الأيدى » التى هى الأعضاء ، فى معنى « الأيادى» التى هى النعم ؟

لم أجد هذا إلا فى شاهدين اثنين ، أولهما لبشر بن أبى خازم ، يمدح أوس ابن حارثة :

فإن تجعل النعماء منك تِمامةً [2]
ونُعماك نُعمى لا تزال تفيضُ
تكن لك فى قومى يدٌ يشكرونها
وأيدى الندى فى الصالحين قُروضُ [3]

والثانى للفرزدق ، وهو قوله :

لنا فيكمُ أيدٍ وأسباب نعمةٍ
إذا الفتنة العشواء شُبَّ احتدامُها [4]

وتبقى كلمة :

ذكر سيبويه وابن جنى [5] ، ومن جاء بعدهما من اللغويين والنحاة أن «الأيادى» إنما هى جمع الأيدى ، فتكون من باب جمع الجمع . وقال ابن يعيش : « وإنما يجمعون الجمع إذا أرادوا المبالغة فى التكثير والإيذان بالضروب المختلفة من ذلك النوع ، على تشبيه لفظ الجمع بالواحد ، وقد جاء ذلك فى جمع القلة ، وفى جمع الكثرة ، وهو فى جمع القلة أسهل ؛ لدلالته على القلة ، فإذا أريد الكثير جمعوه ثانياً ، فأما مجيئه فى

---

(١) أمالى القالى ١ / ١٥١

(٢) تمام الشىء وتِمامته – بكسر التاء – وتتمتُه : ما تم به

(٣) ديوانه ص ١٠٧ ، واللسان « يدى » ونسبه الزمخشرى فى المستقصى ١ / ٢٠٣ ، لأوس بن حجر ، وليس فى ديوانه المطبوع .

(٤) ديوانه ص ٧٩٣

(٥) الكتاب ٣ / ٦١٨ ، ٦١٩ ، والخصائص ١ / ٢٦٧

جمع القلة « أفعل وأفعلة وأفعال » فمن ذلك قولهم : أيد وأياد ... » [1] . وكذلك قال الرضى : « وقد سُمع – أى جمع الجمع – فى أفعل وأفعال وأفعلة كثيراً ، كالأيدى والأيادى ... » [2] .

لكن بعض اللغويين والنحاة المتقدمين لم يذكروا أن « الأيادى » جمع «الأيدى» وإنما ذكروها جمعاً للمفرد « يد » فتكون هى و « الأيدى » سواء ، باتفاق الدلالة أو اختلافها ، فأبو الخطاب الأخفش الكبير– وهو أقدم من تكلم على جمع «اليد » كما سبق ، لم يشر إلى جمع الجمع هذا ، وكذلك صاحب العين – وهو فى طبقة الخليل – قال : « وجمع يد الإنسان والأشباح : أيد ، وجماع يد النعمة أيادٍ ويَدِىٌّ » [3] ، وقال ابن فارس : « وجمع ناسٌ يد الإنسان على الأيادى » [4] . وقال كُراع : « وجمع اليد من الإحسان : أيادٍ ويدى » [5] .

فهذه النصوص الثلاثة – مع رأى الأخفش الكبير – صريحة فى أن «الأيادى » جمع للمفرد « اليد » وليست جمعاً للجمع « الأيدى » . وهذا ما أميل إليه ؛ لأن جمع الجمع ليس أصلاً ولا قياساً ، فسيبويه وإن كان قد ذكر جمع الجمع ، ومثل له فيما مَثَّل بأيد وأياد ، فإنه قال : « واعلم أنه ليس كلُّ جمع يجمع ، كما أنه ليس كل مصدر يجمع ... » [6] .

وقال ابن يعيش : « اعلم أن « جمع الجمع » ليس بقياس ، فلا يُجمع كل جمع، وإنما يوقف عندما جمعوه من ذلك، ولا يُتجاوز إلى غيره ،وذلك لأن الغرض من الجمع الدلالة على الكثرة ، وذلك يحصل بلفظ الجمع ، فلم يكن بنا حاجة إلى جمعٍ ثان » [7] .

---

(١) شرح المفصل ٥ / ٧٤
(٢) شرح الشافية ٢ / ٢٠٩
(٣) العين ٨ / ١٠٢
(٤) المقاييس ٦/ ١٥١
(٥) المنجد ص ٤٧
(٦) الكتاب ، الموضع السابق .
(٧) شرح المفصل ٥ / ٧٤

وقال الرضى : « اعلم أن جمع الجمع ليس بقياسٍ مطـرد ، كمـا قـال سيبـويه وغـيـره ، سـواء كسـرَّته أو صـحـحتـه ، كأكالب وبيوتات ، بل يقال فيما قالوا ولا يُتجاوز (١) .

وذكر أبو حيان أيضاً أن جمع الجمع مسموع ، وقد حُظر القياس عليه ، وأشار إلى أن ذلك مـذهب سـيبـويه ، وأن المبـرد والرمّانى ذهبا إلى قياس ذلك (٢) .

(١) شرح الشافية ٢ / ٢٠٨

(٢) تذكرة النحاة ص ٣٧٣ ، وارتشاف الضرب ٢١٨/١ ، وانظر الهمع ١٨٣/٢

## الشعور والأشعار

**الشعر** : نِبْتَةُ الجسم مما ليس بصوف ولا وبر ، للإنسان وغيره .

وهو اسم جنس ، مذكر ، الواحدة : شعرة ، قال صاحب المصباح : وإنما جُمع الشعر تشبيهاً لاسم الجنس بالمفرد، كما قيل : إبلٌ وآبالٌ .

ويُضبط « الشعر » بسكون العين وفتحها ، فإذا كان بالسكون جُمِع على شعور ، مثل فلس وفلوس ، وإذا كان بالفتح جُمع على أشعار ، مثل سبب وأسباب (١) .

وذكر ابن فارس أن « أشعار » جمع الجمع (٢) . والجمع الأول « شعور » هو الشائع الدائر على الألسن ، نثراً ونظماً وشواهده كثيرة مستفيضة ، أما الجمع الثانى « أشعار » فهو قليل الورود ، نادر الاستعمال ، ولم أجده مستفيضاً فيما قرأته من شعر أو نثر ، ولعل الذى صدَّ الناسَ عنه غلبته على جمع « شِعر » هذا الكلام الموزون المقفى المقصود ، على أنه قد جاء فى القرآن الكريم مرة واحدة ، وذلك قوله تعالى : " والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين " (٣) .

وقال أبو إسحاق الزجاج " الأوبار للإبل ، والأصواف للضأن ، والأشعار للمعز(٤) .

وجاء هذا الجمع أيضاً فى الحديث مجيئاً صالحاً :

أخرج مسلم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : « كان أهل الكتاب يَسْدُلُون أشعارهم ، وكان المشركون يَفْرُقون رءوسهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يُؤمر به ، فسدل

---

(١) إصلاح المنطق ص ٩٧ ، ١٧٢ ، وأدب الكاتب ص ٥٢٧ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ٢٦٢ ، والمخصص١/٦٢، وخلق الإنسان لأبى محمد الحسن بن أحمد ص ١٦٣ ، واللسان والمصباح « شعر » .

(٢) مقاييس اللغة ٣ / ١٩٣ – وانظر لجمع الجمع : المبحث السابق .

(٣) سورة النحل ٨٠

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٣ / ٢١٥

رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم ناصيته ثم فرق بعدُ » (١)

وأخـرج أحـمـد من حـديث أبى أُسَيْد السَّاعدىّ ، وأبى حُمـيد الساعدى ، أن النبى صلى الله عليـه وسلم قـال : « إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعارُكم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قـريب ، فـأنا أولاكم به ، وإذا سـمـعـتم الحـديث عنى تنكره قلوبكم ، وتنفـر منه أشـعـاركم وأبشـاركم ، وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » (٢) .

وأخرج أحمد أيضـاً ، فى حديث وفد عـبـد القـيس ، أن النبى صلى الله عليـه وسلم أقـبل على الأنصـار ، فـقـال : « يا مـعـشـر الأنصـار ، أكرمـوا إخـوانكم ؛ فإنهم أشباهكم فى الإسلام ، أشبه شيئاً بكم ، أشعاراً وأبشاراً .. »الحديث(٣).

وأخـرج التـرمـذى وابن مـاجـة ، من حديث عائشة رضى الله عنها ، أن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قـال : « مـا عمل آدمى يوم النَّحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، إنهـا لتـأتى يوم القيـامـة بقُرُونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدَّم ليقع من الله بمكان قـــبل أن يقـع من الأرض ، فطيبوا بها نفساً » (٤) .

فـــهـــذه الآية الكريمة ،وتلك الآثار المُسْنَدَة الصحيحة ، هى كلُّ ما عرفته من شواهد لجمع « شَعْر » على « أشـعار» ، وليس يخفى أن مجىء هذا الجمع فى تلك الأحـاديث ، دليل على أن اللغـة : أبنيـة ودلالة ينبـغى أن تُلتَمس من الحـديث والآثار .

---

(١) صحيح مسلم « باب فى سدل النبى صلى الله عليه وسلم شعره وفرقه ، من كتاب الفضائل » ص ١٨١٩ ، وانظر أيضاً فتح البارى « باب الفرق من كتاب اللباس » ١٠ / ٣٦١ ، وسنن أبى داود « باب ما جاء فى الفرق من كتاب الترجل » ٤ / ٨٢ ، وسنن ابن ماجة « باب اتخاذ الجُمة والذوائب . من كتاب اللباس » ص ١١٩٩ .
والمراد بسدل الشعر هنا : إرساله على الجبين ، واتخاذه كالقُصة ، يقال : سدل شعره وثوبه : إذا أرسله ولم يضم جوانبه . وأما الفرق : فهو فرق الشعر بعضه من بعضه . شرح النووى على صحيح مسلم ١٥ / ٩٠ .

(٢) مسند أحمد ٣ / ٤٩٧ ، ٥ / ٤٢٥ ، وانظر مجمع الزوائد « باب معرفة أهل الحديث بصحيحه وضعيفه . من كتاب العلم » ١ / ١٥٤ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٦ « تفسير سورة الأعراف » ، ٤ / ٢٧٥ « تفسير سورة هود » ، والأبشار : جمع البَشَرة ، وهى ظاهر الجلد .

(٣) مسند أحمد ٣ / ٤٣٢ ، ٤ / ٢٠٦ .

(٤) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى « باب ما جاء فى فضل الأضحية . من كتاب الأضاحى » ٦ / ٢٨٨ ، وسنن ابن ماجة « باب ثواب الأضحية . من كتاب الأضاحى » ص ١٠٤٥ .

## العبيد والعباد

يُعَرِّف بعض اللغويين « العبد » بأنه المملوك ، أو خِلافُ الحُرّ [1] ، لكنَّ صاحب العين يقول : « العبد : الإنسان ؛ حُراً أو رقيقاً ، هو عبد الله » ، ويزيد ابن سيده فيقول : « يُذهَب بذلك إلى أنه مَربوب لباريه عز وجل » [2] .

والعبد فى أصل وضعه صفة ، قالوا : رجلٌ عبدٌ ، ولكنه استعمل استعمال الأسماء . ذكره سيبويه [3] .

قال الفيومى : « واستعمل له جموع كثيرة ، والأشهر منها : أعْبُد وعَبيد وعِباد » [4] .

ومن شواهد الجمع « أعبد » ما أخرجه البخارى والنسائى وأحمد ، من حديث حُويطب بن عبد العُزَّى « أن عبد الله بن السَّعدى أخبره أنه قدم على عُمر فى خلافته ، فقال له عمر : ألم أُحدَّث أنك تلى من أعمال الناس أعمالاً ، فإذا أعطيت العِمالة كرهتها ؟ فقلت : بلى ، فقال عمر : ما تريد إلى ذلك ؟ قلت : إن لى أفراساً و أعبُداً وأنا بخير ، وأريد أن تكون عُمالتى صدقة على المسلمين . قال عمر : لا تفعل ، فإنى كنت أردت الذى أردت ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعطينى العطاء ، فأقول : أعطه أفقر إليه منى ، حتى أعطانى مرة مالاً فقلت : أعطه أفقر إليه منى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « خُذه فتموله وتصدق به ، فما جاءك من هذا المال – وأنت غير مشرف ولا سائل – فخذه ، وإلا فلا تتبعه نفسك » [5] .

---

(١) انظر مقاييس اللغة ٤ / ٢٠٥ ، والصحاح والمصباح « عبد » . (٢) العين ٢ / ٤٨ ، والمحكم ٢ / ١٩ .

(٣) الكتاب « باب تكسير الصفة للجمع » ٣ / ٦٢٦ – ٦٢٨ ، والمحكم ، الموضع السابق .

(٣) المصباح « عبد » ، وذكر ابن الشجرى أن « العبيد » اسم للجمع ، وليس بتكسير عند سيبويه . أمالى ابن الشجرى ١/١٠٠ ، قلت : بل ذكره سيبويه فى التكسير ، ولكنه وصفه بالقلة . الكتاب ٣ / ٥٦٧ ، ٥٧٦ ، ٦٢٨ ، ٢ / ٩٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٤٤٠ . وانظر شرح الشافية ٩٢/٢

(٥) فتح البارى « باب رزق الحاكم والعاملين عليها . من كتاب الأحكام » ١٣ / ١٥٠ ، وسنن النسائى « باب من آتاه الله عز وجل مالاً من غير مسألة . من كتاب الزكاة » ٥ / ١٠٣ ، ومسند أحمد ١ / ١٧ ، ٤٠ .

ومن ذلك مـــا أخـــرجـــه أبو داود والترمذى، من حديث عمران بن حُصين ، وأحـمـدُ ، من حـديث أبى زيد عـمـرو بن أخطب الأنصارى : « أن رجلاً أعتق ستة أعبُد عند موته ، ولم يكن له مالٌ غيرهم ، فـبلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليـه وسلم ، فقال له قولاً شديداً ، ثم دعاهم فجزَّأهم ثلاثة أجزاء ، فأقرع بينهم ، فأعتق اثنين وأرَقَّ أربعة » (١) .

وأخرج ابن ماجة ، من حديث خباب ، قـال : «جاء الأقـرع بن حـابس التـمـيـمى وعُيَيْنة بن حـــصن الفَزارى ، فـــوجـــدوا (هكذا الرواية ، وهو صحيح ) رسول الله صلى الله عليـه وسلم مع صـهـيب وبلال وعـمـار وخـبـاب ، قـاعـدا فى نـاس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما ، رأوهم حول النبى صلى الله صلى الله عليه وسلم حـقـروهـم ، فـأتَوه فـخَلَوا به وقـالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العربُ فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيى أن ترانا العرب مع هذه الأعبد. الحديث » (٢) .

ومن شواهد الجمع «أعبُد» فى الشعر قول هميان بن قُحافة السعدى :

تلقى من الأعبد لوما عاذِجا (٣) .

وقـول أبى العـلاء المعـرى – وهـو من شعره العالى :

ويقول دارى مَن يقول وأعبُدى
مَهْ فالعبيدُ لربِّنا والدار
يا إنَس كم يَرِدُ الحياة معاشرٌ
ويكون من تلف لهم إصدارُ (٤)

---

(١) سنن أبى داود (باب فيمن أعتق عبيداً له لم يبلغهم الثلث . من كتـاب العـتق) ٤ / ٢٨ ، وعارضـة الأحوذي بشـرح صـحيح الترمذى (باب من أعتق مماليكه عند موته وليس له غيرهم .من كتاب الأحكام) ٦ / ٩٨ ، ومسند أحمد ٥ / ٣٤١

(٢) سنن ابن ماجة (باب مجالسـة الفقراء . من كتاب الزهد) ص ١٣٨٢ ، وتفسير الطبرى ٣٧٦/١١ (تفسير سورة الأنعام ٥٢) وابن كثير ٢٥٥/٣ ، والدر المنثور ١٣/٣

(٣) الجيم ٢٦٨/٢ ، واللسان (عذج) ، والعذج : الشتم . قال فى اللسان : أى تلقي هذه الإبل من الأعبد زجرا كالشتم . وهـميان بن قحـافـة : راجـز محسـن ، من الدولة الأموية . وجيميته هذه فى وصف الإبل شهيرة . انظر المؤتلف والمختلف ص ٣٠٤

(٤) شرح اللزوميات ٩٩/٢ ، وقوله : « يا إنْسَ » أراد : يا إنسان ، فرخَّم .

قلت : وقد شاع من هذه الثلاثة الجموع اثنان فقط ، هما العبيد والعباد ، ثم غلَّب العرف والاستعمال «العباد» خاصا بالله تعالي ، ومضافا إليه ، ويشترك فيه كل الخلق ، وجعل «العبيد» للمملوكين الأرقّاء . قال صاحب العين : «إن العامة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله : والعبيد المملوكين (١) » .

وقال ابن الشجرى : «والعباد مختص بالله تعالى ، يقولون : نحن عباد الله ، لايكادون يضيفونه إلى الناس ، وقد جاء ذلك فيما أنشده سيبويه من قول القائل (٢) :

أتُو عدنى بقومك يا ابن جَحْلٍ
أشاباتٍ يُخَالُون العِبادا
بما جَمَّعْتَ من حَضَنٍ وعمروٍ
وما حضنٌ وعمرو والجِيادا

قال ابن جنى : «وقلما يأتى «عباد» مضافا إلى غير الله ، ثم أنشد الشاهد السابق ، وقال عقبه : «يريد عبيدا لبنى آدم ، ولا يجوز أن يكون فى المعنى : عباد الله ، لأن هذا مالا يُسَبُّ به أحد، والناس كلهم عباد الله تعالى » (٣) .

ويخالف الأسود الغُنْدَجانِىُّ ابن جنى وابنَ الشجرى ، ومن قبلهما ابن السيرافى ، فى أن «العباد» هنا عباد الله، وأنه فى تأويل العبيد ، ويرى أن هذا خطأ ، وأن الصواب أن الشاعر عنى بالعباد قوما كانوا يجتمعون على باب النعمان خَوَلاً من كل قبيلة ، شبه هؤلاء بأولئك ، أى أنهم أخلاط (٤) .

ومن استعمال «العباد» مضافا إلى الخلق قوله عز وجل : ( وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم)(٥).

---

(١) العين ٤٨/٢ ، وصرح ابن فارس فى المقاييس ٢٠٥/٤ بنسبة هذا الكلام إلى الخليل ، وهذا مما يقوى نسبة كتاب العين إلى الخليل ، والخلاف فى ذلك معروف .

(٢) هو شقيق بن جَزْء الباهلى ، جاهلى . أمالى ابن الشجرى ٩٩/١ ، ١٠٠ ، والحماسة البصرية ٣٣٠/١ ، والكتاب ٣٠٤ ، وشرح أبياته لابن السيرافى ١٩٧/١ . والأشابات : الأخلاط . هذا وقد جاء فى حاشية مخطوطة من أمالى ابن الشجرى ، تعليق على مجئ «العباد» مضافا للخلق ، هذا نصه : قد يكثر الشئ فى كلامهم وغيره مثله فى الجواز ، لكن يقل استعمالهم له ، فأما «العباد» فقد جاء فى قوله تعالى : (والصالحين من عبادكم وإمائكم ) وهذا قاطع لمن يخالفه» .

(٣) المحتسب ٢١٥/١ ، وانظر أيضا ١٤/٢ (٤) فرحة الأديب ص ٤٨ (٥) سورة النور ٣٢

قال أهل التفسير : إن المراد بالعباد هنا : العبيد المملوكون الأرقَّاء . قال الأخفش : «يريد : من عبيدكم ، كماتقول: هم عباد الله ، وعبيد الله » [1] .

وقرأ الحسن ومجاهد : (من عبيدكم)[2] . وعلق أبو حيان على هذه القراءة فقال : «وأكثر استعماله فى المماليك» [3] .

وإذا كان «العباد» قد شاع وكثر استعماله مضافا إلى الله عز وجل ، وجاء «العبيد» مصروفا إلى المملوكين الأرقَّاء[4] فقد جاء أيضا مضافا إلى المولى عز وجل، وخاصا به ، وذلك قوله تعالى : (ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) [5] ، أى ليس بظلام لعبيده سبحانه وتعالى .

ومن ذلك قراءة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والحسن : (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبيدا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) [6] ، والقراءة المتواترة : (عبادا لنا) .

---

(١) معانى القرآن ص ٤٥٦ ، ومعانى القرآن للفراء ٢٥١/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٠٤

(٢) شواذ القراءات لابن خالويه ص ١٠٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٩٦/٢ ، وتفسير القرطبى ٢٤٠/١٢ ، وتفسير الآلوسى ١٤٨/١٨

(٣) البحر المحيط ٤٥١/٦

(٤) من أظرف ما جاء فيه «العبيد» مضافا إلى الخلق قول الشاعر :

أرى ماءً وبى عطشٌ شديدٌ ... ولكن لا سبيلَ إلى الوُرودِ
أما يكفيكِ أنكِ تملكينى ... وأن الخَلْقَ كلَّهُم عبيدى
وأنكِ لو قطعتِ يدى ورِجلى ... لَقلتُ مِن الهوى أحْسنتِ زِيدِي

وهذه الأبيات الثلاثة فى ديوان ابن الرومى ص ٨٠٤ ، نقلا عن كتاب الموشى أو الظرف والظرفاء ، لأبى الطيب الوشاء. ويلاحظ أن العبارة فى الموشى ص ٦٦ : «وأنشدنى أبو الحسن بن الرومى» .

والبيتان الثانى والثالث فى تاريخ بغداد ٢/١٤ ، ونسبهما الخطيب البغدادى إلى هارون الرشيد .

(٥) سورة الأنفال ٥١ ، وغير ذلك من الكتاب العزيز .

(٦) سورة الإسراء ، وانظر المحتسب ١٤/٢ ، وشواذ القراءات ص ٧٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٩٣/٢ ، وتفسير الآلوسى ١٧/١٥ ، وجعل مكان «على» : زيد بن على .

وقال ابن جنى تعليقا على قراءة علىٍّ والحسن هذه : «أكثر اللغة أن تستعمل «العبيد» للناس ، و«العباد» لله ، قال تعالى : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) [1] ، وقال تعالى : (يا عباد فاتقون ) [2] ، وهو كثير ، وقال : (وما ربك بظلام للعبيد ) [3] ».

ومن ذلك أيضا ماروواه أحمد ، من حديث أبر هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحاسدوا ولاتنافسوا ولاتباغضوا ولا تدابروا وكونوا عبيد الله إخوانا » [4] .

والرواية المحفوظة : «وكونوا عباد الله » [5] .

(١) سورة الحجر ٤٢

(٢) سورة الزمر ١٦

(٣) سورة فصلت ٤٦ ، وراجع الموضع السابق من المحتسب .

(٤) مسند أحمد ٣١٢/٢

(٥) وهى الرواية المعروفة فى دواوين السنة . انظر مثلاً : فتح البارى ( باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، من كتاب الأدب ) ٤٨١/١٠ ، وصحيح مسلم ( باب تحريم الظن والتجسس ، من كتاب البر والصلة والآداب ) ص ١٩٨٥ ، ومسند أحمد ٤٦٥/٢ ، ٤٧٠ ، ٤٨٢ ، ٤٩٢ .

## العيون والأعين

العين : عين الإنسان وكل ذى بصر ، وهى حاسة الإبصار ، مؤنثة .قال أبو الفرج بن الجوزى : «العين من الأسماء المشتركة ، والأصل فيها : العين الباصرة، ثم هىَ بالوضع العرفى منقولة إلى مواضع ....[1] ، ثم ذكر معانى العين ، فيما يُسمى المشترك اللفظى .

وقد نظم بهاء الدين السبكى ، صاحب كتاب «عروس الأفراح» قصيدة فى مدح أخيه جمال الدين الحسين ، كل بيت منها ينتهى بلفظ «عين» ذكر فيها خمسة وثلاثين معنى للعين ، وقد أوردها أخوهما تاج الدين السبكى ، فى طبقات الشافعية الكبرى ، ومطلع القصيدة:

هنيئا قد أقرَّ الله عينى
فلا رَمَتِ العِدَى أهلِى بعَيْنِ

وآخرها :

ولولا ذا لَطابَ لها خِتامٌ
بذكر مليكها القاضى الحسينِ [2]

وللعين الباصرة – أو عين الحيوان كما يقول بعض اللغويين – ثلاثة جموع : أعيان وأعُين وعيون ،فالأول قليل الوجود، نادر الاستعمال ، وأنشدوا عليه:

إمَّا تَرَىَ شَمَطاً فىَ الرأس لاحَ به
مِن بعدِ أسودَ داجى اللونِ فَيْنانِ

---

(١) نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر ص ٤٤٣

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٤١٦/٩ ، وأشار إلى هذه القصيدة المرتضى الزبيدى فى تاج العروس (عين) .
وأنبه هنا إلى أنه قد حدث فى طبعتنا الأولى من الطبقات (طبعة الحلبى) خلط بين آخر هذه القصيدة وأبيات على وزنها لصفى الدين الحلى ، وقد أصلحنا ذلك فى طبعتنا الثانية (طبعة دار هجر) . وانظر الكلام على «العين» معنى وإفرادا وجمعا ، وتذكيرا وتأنيثا ، وحقيقة ومجازا ، فى اصلاح المنطق ص ٥٦ ، وتهذيبه للتبريزى ص ١٥٥ ، والمنجد لكراع ص ٣٢ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ١٩٢ – ١٩٦ ، ٢٧١ ، والزاهر له ٥٢/٢ ، وديوان الأدب ٣٠٧/٣ ، والتكملة لأبى على الفارسى ص ١٣٣ ، ومقاييس اللغة ١٩٩/٤ ، والمجمل ص ٦٤٠، والمخصص ١٨٥/١٦ ، وأمالى ابن الشجرى ١/ ٤٢٣، وما اتفق لفظه واختلف معناه ، له ص ٢٦٢ ، وخلق الإنسان لأبى محمد الحسن بن أحمد ص١٩٤ ، والمثلث لابن السيد البطليوسى ٢٧٣/٢ ، ومفردات الراغب ص ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، وإكمال الإعلام بتثليث الكلام ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، وتهذيب الأسماء واللغات ج٢ ، ق٢ ، ص ٥٣ ، والمصباح المنير (عين ) ، وبصائر ذوى التمييز ٤/٤–٧ ، والمزهر ٣٧٢/١ – ٣٧٥ ، والكليات ٢٥٧/٣ ، ٢٥٨

فقد أَرُوع قلوبَ الغانِياتِ به
حتى يَمِلْنَ بأجْيادٍ وأعيانِ (١)

وقد يدلك على قلَّة هذا الجمع قول أبى زيد عقب إنشاد هذا الشعر : «جمع عيناً على أعيان» .

وأنشد سيبويه :

ولكننى أغدو علىَّ مُفاضَةٌ
دِلاصٌ كأَعيانِ الجَرادِ المُنَظَّمِ (٢)

وأنشد ابن فارس :

فقد قَرَّ أعيانِ الشَّوامتِ أنَّهُمْ (٣)

والجمعان الآخران :هما أعُين وعُيون، قال ابن الأنبارى : « كما يقال : بحرٌ وأبحُر ، وبحُور(٤) » وقال ابن التَّسْتَرِى : «وجمعها الأقلُّ : ثلاث أعين ، والكثيرة : العيون »(٥) .

وهذان الجمعان هما المعروفان الدائران على الألسُن ، ولاحاجة بنا إلى ذكر شواهدهما فى كلام العرب وأشعارها(٦) .

ولكن ، هل استعمل الجمعان على قدمٍ سواء؟

(١) قائلهما رومى بن شريك الضبى ، جاهلى أدرك الإسلام ، على ماذكر أبو زيد فى النوادر ص ١٩٢ ، وانظر المقتصب ١٩٩/٢ ، والمسائل البصريات ص ٥٧٦ ، والمنصف ٥١/٣ ، والموضع المذكور من المذكر والمؤنث ، والمقاييس والمخصص.

(٢) الكتاب ٥٨٩/٣ ، والمقتضب ١٣٢/١ ، ١٩٩/٢ ، والمنصف ٢١/٣ ، ٥١ ، والمخصص ١٨٥/١٦ ، ونسبه فى اللسان (عين) ليزيد بن عبد المدان ، وهو أحد أشراف اليمن ، الذين قدموا مع خالد بن الوليد، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الإصابة ٦٦٨/٦

(٣) الموضع السابق من المقاييس ، ولم يكمل الشاهد ، ولم أعرفه .

(٤) الموضع السابق من المذكر والمؤنث ، وانظر قياس الجمع «أفعُل وفُعول» فى الكتاب ٥٨٨/٣ ، وشرح الشافية ٩٠/٢.

(٥) المذكر والمؤنث ص ٩٤

(٦) ممن جمع بينهما الفرزدق ، وذلك قوله فى ديوانه ص ٦٩٧

ترى أعين الهلكى إليه كأنها　　عيون الصوارى حُوِّماً بالمناهلِ

وكذلك الإمام الشافعى فى ديوانه ص ٨٥ :

سهرت أعين ونامت عيونُ　　فى أمورٍ تكون أو لا تكونُ
فادْرأ الهَمَّ ما استطعتَ عن النفـ　　ـسِ فحِمْلانك الهُمومَ جُنُونُ
إنَّ ربًا كفاك بالأمس ما كا　　ن سيكفيك فى غَدٍ ما يكونُ

إن الناظر فى كلام العرب يرى غلبةً للجمع «عيون» على «أعين» قديما وحديثا، ثم تقرأ كتب الطب القديم فلا تجد إلا أمراض العيون وعلاج العيون[1] ، وفرَّقوا بين الحكيم والطبيب ، فقالوا : «الحكيم عبارة عن الناظر فى العيون لافى الأبدان، لأن هذا هو الطبيب عندهم[2] » وتقرأ كثيرا فى عنوانات الكتب : «العيون» مثل : عيون الأخبار لابن فتيبة ، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، وعيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس ، وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبى ، والنكت والعيون فى تفسير القرآن للماوردى ، والعيون الغامزة على خبايا الرامزة ، فى العروض للدماميني ، وعيون الحكمة للفخر الرازى ، وعيون المسائل لأكثر من مؤلف ، وغير ذلك كثير[3] . وإن كنا نرى فى العنوانات أيضا «الأعين» مثل نزهة الأعين النواظر لابن الجوزى ، وقد نقلت منه قريبا ، ولكن هذا قليل .

وجاء فى كُنى الرجال كثيرا : «أبو العيون[4] »

فإذا جئنا إلى القرآن الكريم وجدنا شيئا يستحق التأمل : لقد ورد الجمعان «العيون والأعين» فى الكتاب العزيز ، لكن «العيون» لم تأت فيه إلا جمعا لعين الماء أو النهر أو الينبوع ، وقد جاء ذلك فى عشرة مواضع من الكتاب الحكيم ، أولها قوله تعالى : (إن المتقين فى جنات وعيون)[5] .

---

(١) انظر على سبيل المثال : المنصورى فى الطب للرازى ص ٩٨ ، وقد امتد هذا إلى زماننا ، فنحن لا نقول إلا طب العيون وأمراض العيون .

(٢) برنامج الوادى آشى ص ٧٤ (ترجمة زين الدين أبى الصبر أيوب بن نعمة المقدسى)

(٣) راجع كشف الظنون ص ١١٨٣ – ١١٨٨ ، ومفتاح السعادة – الكشافات ص ٤١، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة– فهرس أسماء الكتب ص ٩٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى – الفهارس العامة ص ٥١٨

(٤) من أشهر من عرف بذلك فى ديارنا المصرية الشيخ محمود أبو العيون ، السكرتير العام للأزهر الشريف ، وكان من فضلاء العصر ، وله مواقف فى محاربة الفسوق والبِغاء ، توفى سنة ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .

(٥) سورة الحجر ٤٥ ، وبقية المواضع فى الشعراء ٥٧ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ، ويس ٣٤ ، والدخان ٢٥ ، ٥٢ ، والذاريات ١٥ ، والقمر ١٢ ، والمرسلات ٤١ ، ورحم الله الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى واضع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، فلولاه لكنا فى أمرٍ مَرِيج ، فقد قل الحفَّاظ ، مع كثرة المتشابه فى القرآن الكريم .

أما العين الباصرة فلم تُجمع فى القرآن على «عيون» ، وإنما جمعت على «أعُين» ليس غير ، فى قوله تعالى : (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم [1] ) وفى واحد وعشرين موضعا بعد ذلك الموضع : منها سبعة مواضع غير مضافة إلى الضمير[2] ، وموضعان بضمير جمع المخاطبين (أعينكم)[3] ، وأربعة مواضع بضمير العظمة (أعيننا)[4] ، وسبعة مواضع بضمير الغائبين (أعينهم)[5] ، وموضع واحد بضمير الغائبات (أعينهن)[6] .

قلت : ولم أجد - فيما قع لى من كتب الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم- من نَبَّه على هذه التفرقة بين الأعين والعيون» فى الكتاب الحكيم ، ولعلها وقعت لغيرى من أهل العلم فينبهنى عليها مشكورا مأجورا إن شاء الله .

أما الحديث الشريف فقد جُمعت فيه العين الباصرة على «أعين وعيون» وإن كان جاء فيه الجمع على «أعُين» أكثر[7].

على أنى قد رأيت الجمعين فى روايتين لحديث واحد ، هو حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه الذى رواه البخارى وأبو داود وابن ماجة وأحمد ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذُلْف الأنوف ، كأن وجوهَهم

---

(١) سورة الأعراف ١١٦

(٢) سورة الأعراف ١٧٩ ، ١٩٥ ، والأنبياء ٦١ ، والفرقان ٧٤ ، والسجدة ١٧ ، وغافر ١٩ ، والزخرف ٧١

(٣) سورة الانفال ٤٤ ، وهود ٣١

(٤) سورة هود ٣٧ ، والمؤمنون ٢٧ ، والطور ٤٨ ، والقمر ١٤

(٥) سورة المائدة ٨٣ ، والأنفال ٤٤ ، والتوبة ٩٢ ، والكهف ١٠١ ، والأحزاب ١٩ ، ويس ٦٦ ، والقمر ٣٧

(٦) سورة الأحزاب ٥١

(٧) ليس هذا من باب الإحصاء أو شبه الإحصاء ، ولكنه من خلال النظر فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ٤/٤٥٥ ، ٤٥٦ ، وهذا المعجم على ما بذل فيه من جهد عظيم مشكور لايمثل ألفاظ الحديث كله ، لأنه قائم على ألفاظ الكتب الستة مع الموطأ ومسند أحمد وسنن الدارمى ، وليست هذه هى دواوين السنة فقط ، كما هو معلوم .

المَجانُّ المُطْرَقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر[1] » .

وجاء هذا الحديث مرة أخرى عند أحمد ، برواية «صغار العيون » [2].

وقد قلت قريبا : إن الناظر فى كلام العرب يرى غلبة للجمع «عيون» على «أعين» وقد بنيت كلامى هذا على قراءاتى ومطالعاتى فى كتب العربية ، ولما كنت أعلم يقينا أن قراءاتى مهما كثرت وامتد زمانها لا تصلح أن تكون معياراً يحتكم إليه ، ولا مقياسا يقاس به ، فقد لجأت إلى ميزان يمكن أن يطمأن إليه ، وحكم تُرْضَى حكومته ، وهو النظر فى شعر شاعرين كبيرين ، يأتى شعرهما فى مكان عالٍ من الاحتجاج النحوى واللغوى، وهما الفرزدق وجرير ، وقد قرأت شعرهما بيتا بيتا ، وخرجت بهذه الإحصائية التى أرجو ألا يكون قد سقط علىَّ منها شئ [3] .

استعمل الفرزدق «العيون» إحدى وعشرين مرة[4] ، على حين استعمل «الأعين» سبع مرات[5] .

واستعمل جرير «العيون» إحدى وعشرين مرة[6] ، وهو اتفاق عجيب ، فقد

---

(١) فتح البارى (باب قتال الترك . من كتاب الجهاد) ١٠٤/٦ ، و(باب علامات النبوة فى الإسلام . من كتاب المناقب) ٦٠٤/٦ ، وسنن أبى داود (باب فى قتال الترك . من كتاب الملاحم ) ١١٢/٤ ، وسنن ابن ماجة (باب الترك . من كتاب الفتن) ص ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ومسند أحمد ٣١٩/٢ ، ٤٧٥ ، ٤٩٣ ، وانظره أيضا فى حديث أبى سعيد الخدرى ٣١/٣، وفى حديث أبى بريدة الأسلمى ٣٤٨/٥.وقوله : «ذلف الأنوف» هو جمع أذلف ، كأحمر وحمر ، والذلف – بالتحريك – قصر الأنف وانبطاحه . والمجان ، بفتح الجيم: جمع المجن ، بكسرها ، وهو الترس . والمطرقة : التى ألبست العقب شيئا فوق شئ ، ومنه طارق النعل : أى صيرها طاقا فوق طاق . النهاية ٣٠٨/١ ، ١٦٥/٢ ، ١٢٢/٣

(٢) مسند أحمد ٥٣٠/٢ (مسند أبى هريرة) ، وأيضا ٤٥/٥ (حديث أبى بكرة نفيع بن الحارث) وص ٢٧١ (حديث امرأة، وهى خالة عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ) ، وانظر الكامل للمبرد ص ٧٥٨

(٣) بل إنى رجعت إلى شعر الشاعرين فى سائر الجموع التى تراها فى هذا البحث . .

(٤) ديوانه ، جمع وشرح عبد الله إسماعيل الصاوى– القاهرة ١٣٥٤هـ = ١٩٣٦م = صفحات ٥ ، ١٩(مرتين) ، ٧٤ ، ١٦٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٩٩ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٥١٦ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤١ ، ٥٦٦ ، ٦٧٢ ، ٦٩٧ ، ٨١٩ ، ٨٢١

(٥) ديوانه صفحات ٥٢ ، ٢٢٥ ، ٣٢٤ ، ٤٥٠ ، ٦٩٧ ، ٧٣١ ، ٧٣٤

(٦) ديوانه بشرح محمد بن حبيب ، وتحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه . دار المعارف بمصر ١٩٦٩م – صفحات ١٤٦ ، ١٦٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٤ ، ٣٤٨ (مرتين) ، ٣٩٣ ، ٤١٣ ، ٥٥٥ ، ٥٦٢ ، ٥٧٣ ، ٦٤٠ ، ٦٤٩ ٦٧٤ ، ٦٨٦ ، ٧٤٩ ، ٨٣٥ ، ٩٩١ ، ٩٩٦ ، ١٠٠٩ ، ١٠٣٧

جاء هذا فى شعر الفرزدق أيضا ، كما مرَّ بك قريبا . على حين استعمل «الأعين» تسع مرات[1] :

ومما يستطرف ذكره هنا أن عمارة ابن عقيل بن بلال بن جرير ، حين شرح بيتا لجده ، فيه ذكر «أعين» شرحها بالعيون ، فقال فى بيت جده ، على ما ذكر ابن حبيب :

يا أَعْيُنَ الهام إنى قد وَسَمْتُكُمُ
فوق الأُنوف عُلُوباً غير أغفالِ

قال ابن حبيب : زعم عمارة أنه ليس فى بنى قيس بن حنظلة أكحل ، إنماهم شُهْل العيون [2] » .

وهذا مما يُستأنس به على خفة «العيون» وإيثارها فى الاستعمال على الأعين[3]»

وبعد :

فهذه جملة من جموع التكسير ، اخترتها لتكون دليلا على سلطان العرف اللغوى على أقلام الكاتبين وألسن المتحدثين .

وقد أقمت هذا البحث على النصوص والشواهد ، وجمعت هذه النصوص وتلك الشواهد من كتب العربية المختلفة ، ثم دواوين الشعراء ، وكلام أهل العلم ، ولم أقف عند المعاجم وكتب النحو والصرف فقط ، فما تذكره المعاجم وكتب النحو والصرف إنما هو تأسيس وتوجيه ، بشواهد محدودة محصورة مكرورة [4] ، وعلى الباحث أن يُمسك بهذا الخيط الذى مَدَّهُ له الأوائل ، ويذهب يلتمس شواهده ، وأمثلته من كتب العربية المختلفة ، لأن العربية كتاب واحد ، ولقد كان من آفات بعض البحوث ، ومن جهات النقص فيها ، أنها تقف عند مراجع الفن الذى تدور

---

(١) ديوانه صفحات ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ٢١٢ ، ٢٦٥ ، ٥٣٨ ، ٦٠٣ ، ٦٥٥ ، ٨٠٠

(٢) ديوانه ص ٥٣٨

(٣) وهذا يذكرنا بشرح أبى على القالى للأيادى بالأيدى ، وهو مما يستأنس به على أن استعمال «الأيادى» جمعا لليد ، العضو ، ليس هو الأصل . وانظره فى موضعه السابق .

(٤) كشواهد العروض مثلا تراها هى هى : فى الكافى للتبريزى والعيون الغامزة للدماميني وحاشية الدمنهورى ، وفيما ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد ، وابن رشيق فى العمدة ، ونشوان الحميرى فى الحور العين .

عليه البحوث وحده ، دون النظر فى الفنون الأخرى ، وقد كتبت فى ذلك كثيرا ، وضربت مثالا بعلم النحو ، وقلت إن مسائل هذا العلم ليست توجد فى كتب النحو فقط ، ففى كتب التفسير والقراءات نحو كثير ، وفى كتب الفقة وأصوله نحو كثير ، بل إنك واجد فى بعض كتب السير والتاريخ والتراجم والأدب والمعارف العامة ، والطرائف والمحاضرات ، من مسائل النحو وقضاياه مالا تكاد تجد بعضه فى كتب النحو المتداولة(١) :

ومن أهم ما يوجه إليه هذا البحث : الاتجاه إلى الحديث الشريف ، واستخراج اللغة منه ، لأنه مصدر من مصادر العربية الكبرى : تراكيب ومفردات وجموعا (٢) ، وإذا كانوا قد اختلفوا فى الاستشهاد بالحديث على قضايا النحو ، فإنهم لم يختلفوا فى الاستشهاد به على قضايا اللغة ، يقول الأستاذ طه الراوى عن الاستشهاد بالحديث : «فأصبح ربع اللغة به خصيبا ، بقدر ما صار ربع النحو منه جديبا»(٣) .

وفى هذا البحث أيضا محاولة للحصر والاستقصاء فى دواوين بعض الشعراء (٤)، وفى رأيى أن دواوين الشعراء – وبخاصة شعراء الاستشهاد – لازالت كنزا مخفيا ، حافلا بالظواهر النحوية والصرفية واللغوية ، وبعض هذه الظواهر شواهده محدودة جدا فى كتب النحو والصرف ، وبعضها لا شاهد عليه ألبتة إلا ما جاء فى شعر هؤلاء الشعراء، وعندى من ذلك أمثلة ذوات عدد ، لعلى أفرد لها بحثا .

ولم يكن عدلا أن نطلب ممن قَعَّدوا القواعد وأصَّلوا الأصول ، أن يجمعوا لنا كل الشواهد والمُثُل على ما قعدوه وأصلوه، فذلك شئ فوق الطاقة ومن وراء

---

(١) انظر كتابى : الموجز فى مراجع التراجم والبلدان و المصنفات وتعريفات العلوم ص ٣٦

(٢) راجع الحديث عن «الشعور والأشعار» .

(٣) الحديث النبوى الشريف وأثره فى الدراسات اللغوية والنحوية . للدكتور محمد ضارى حمادى ص ٣٣٥ ، وانظر مقدمتى لكتاب الشعر لأبى على الفارسى ص ٧٠ – ٧٢

(٤) راجع «العيون والأعين »

القدرة ، وإنما هو أمر موكول إلينا وملقى على عـواتقنا : أن نرفع البناء ونكمل الطريق ، بأن نكثـــر النظر ، ونديم المفاتشة لهذا الموروث الضخم ، فنجمع الشبيه إلى الشبيه ، ونَقْرِنَ النظير بالنظير، ثم نُبرز ما أُهمل أو ما تجاوزته العين ، وبذلك يظل بحر المعرفة زخارا فياضا ، كالبحر الذى يمده من بعده سبعة أبحر ، وقد عول هذا البحث أيضا، فيما جمعه من شواهد على شعر العصريين ، مثل أحمد شوقى ، وكلام أهل العلم من المتقدمين ، كالشافعى – ولغته حجة – والجاحظ وابن جنى والمرزوقى ، وأبى بكر الباقلانى وأبى الوليد الوقَّشى ، ومن المتأخرين مثل تاج الدين السبكى ، والحافظ السيوطى ، والصالحى الشامى، ومن العصريين مثل أبى فهر محمود محمد شاكر ، فكلام هؤلاء الناس ، على اختلاف أزمانهم وأجيالهم ، ينبغى أن يقوم مقام الشاهد والمثال ، لأنه نازِعٌ بالثقة فى أصحابه ، إذ كانوا أهل عربية وفصاحة ، وماكتب أحدهم شيئا إلا وقد قرأ عليه مالا يحصى من المعارف والعلوم ، وقدروى عن إمام الحرمين الجوينى أنه قال : «ما تكلمت فى علم الكلام كلمة حتى حفظت من كلام القاضى أبى بكر وحده اثنى عشر ألف ورقة [1] » فهذا أثر القاضى أبى بكر وحده فى محفوظ إمام الحرمين، فكيف يكون أثر العلماء الآخرين ؟

وهذا مما يفسر كلام الزمخشرى فى تجويزه الاستشهاد بشعر أبى تمام – مع تأخره – قال : «وهو وإن كان مُحْدَثاً لايستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك ، لوثوقهم بروايته وإتقانه»[2] ،

وبذلك تتسع دائرة الاستشهاد والاحتجاج ، وهى من مقاصد مجمعنا الموقر ، فى عمله الشامل : المعجم الكبير.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٥/١٨٥ ، وأبو بكر فى هذا النص هو محمد بن الطيب الباقلانى . وهو من كبار المتكلمين الأشاعرة ، وصاحب «إعجاز القرآن» توفى سنة ٤٠٣ ، وقد نقلت من كلامه شيئا فى «الألسنة والألسن» .

(٢) الكشاف ١/ ٢٢٠ ، فى تفسير قوله تعالى : ـ( وإذا أظلم عليهم قاموا)ـ سورة البقرة ٢٠

ويؤكد هذا البحث أن الاستعمال غير القاعدة ، فإذا كانت القاعدة فى جموع التكسير تعمم ، فإن الاستعمال يخصص، وإذا كانت القاعدة تطلق فإن الاستعمال يقيد تبعا لتوجه الدلالة ومقاصدها .

ومن نتائج هذا البحث أيضا تأكيد ظاهرة الاستغناء فى الأبنية ، أو تبادل الوظائف ، وهو باب كان يعتاده ابن جنى كثيرا فى «الخصائص» ، فجمع القلة يقوم مقام جمع الكثرة ، والعكس .

ويكشف البحث عن بعض خصائص الاستعمال القرآنى ، فى إيثار بعض الجموع لدلالة معينة ، وقَصْر بعضها على دلالة أخرى ، وفى عدم استعماله لجموع بعينها ، وهذه إضافة جديدة ، إن شاء الله ، لعلم الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم ، ويلفت البحث النظر إلى ظاهرة خطيرة ، وهى ظاهرة التحريف الناتجة عن هجر بعض الجموع ، نتيجة لغلبة العرف فى الاستعمال .

وقد صحَّح البحث خطأ شائعا فى عصرنا هذا ، وهو جمع «فضل» على «أفضال» وأثبت أن هذه البنية يجب أن تكون بكسر الهمزة «إفضال» على المصدرية ، وأن جمع «فضل» هو «فضول» لاغير .

ويدعو البحث – عند تأليف المعاجم اللغوية الحديثة – إلى تخصيص الدلالة ، بالنص على أن هذا الجمع يغلب استعماله فى معنى كذا ، وذلك الجمع يغلب فى معنى كذا ، وستكون أمثال هذه البحوث رافدا من روافد «المعجم الكبير» الذى يضطلع به مجمعنا الموقر ، فى تتبع المستعمل والمهمل من الجموع ، وكذلك ما يستعمل منها بقلة ، وما يستعمل بكثرة ، وما يخصص منها لدلالة بعينها ، وما يقصر على دلالة أخرى ، وأهم ما يرجوه البحث أن يكون قد وجه النظر إلى التماس الظواهر اللغوية من كتب العربية على اختلاف فروعها ، فإن العربية كتاب واحد ، مع أمنيّة صادقة أن يكون هذا البحث مُغْرِياً ببحوث أخرى فى هذا المجال أغزرَ مادة وأكثرَ جمعا .

**د . محمود محمد الطناحى**

**الخبير بالمجمع**

# خواص صوتية تمتاز بها اللغة العربية

للدكتور كمال بشر

لكل لغة سماتها ومميزاتها الخاصة بها ، ويستوى فى ذلك أن تكون هذه الخواص صوتية أو صرفية أو نحوية أو أسلوبية أو على مستوى الألفاظ ودلالاتها . ومن البديهى أن تكون هذه السمات هى جملة الفروق بين لغة وأخرى، وأن تكون الأساس الذى ينبنى عليه تحديد اللغات والحكم على هويَّة كل واحدة منها ، وإعطاؤها اسما خاصا بها تنفرد به وينبىء عنها فى كل الحالات .

وليست العربية بدعا فى ذلك ، فلها ملامحها وظواهرها التى مازتها من غيرها اللغات ، وجعلتها لغة ذات ضوابط وحدود معينة أهلتها للتسمية المعروفة بها منذ أزمان بعيدة ، وهى اللغة العربية . وسمات عربيتنا هذه كثيرة كثرة فائقة ، هى – فى الحق – جملة القواعد والقوانين الضابطة لها ولاستعمالاتها ، ولسنا بقادرين – فى هذا المقام ونحوه – على أن نأتى بهذه القواعد والقوانين كلها أو جلّها . ومن ثم سوف نكتفى هنا بإيراد أمثلة قليلة لشئ من هذه السمات والخواص التى تنفرد أو تكاد تنفرد بها العربية ، إما لأنهاخاصة بها ومقصورة عليها ، وإما لأنها تشيع أو توظف فيها توظيفا يجرى على وفق نظم ثابتة مطردة، تجعل هذا الشيوع وذاك التوظيف ملمحا مميزا للغة العربية . أضف إلى ذلك أن الأمثلة التى سقناها هنا محصورة فى الجانب الصوتى المميز للغتنا .

فأول ذلك أن اللغة العربية استخدمت جهاز النطق عند الإنسان خير استخدام وأعدله . فقد جاءت أصوات هذه اللغة موزعة على مدارج النطق توزيعا واسعا شاملا لكل نقاطه ومواضعه . فمن بداية هذا الجهاز – ونعنى بذلك الحنجرة – جاءت الهمزة والهاء ، ومن نهايته – وتتمثل فى الشفتين – جاءت الباء والميم .

ومن بين هاتين المدرجتين خرجت بقية الأصوات العربية مندرجة فى شبه سلسلة متصلة الحلقات ، بحيث لا يقع ازدحام فى منطقة أو مناطق ، ولا يحدث إهمال لبعضها . فهناك بعد الحنجرة ، يقع الحلق ومنه العين والحاء ، ثم اللهاة ومنها القاف ثم أقصى الحنك ومنه الغين والخاء والكاف والواو ، ثم وسطه ومنه اليـاء . وهكذا من نقطة إلى أخرى تخرج أصوات معينة ، دون تجاوز لمبدأ التدرج المنتظم الخالى من ظاهرة التجمع عند منطقة وترك أخرى دون استغلال .

نحن لا ننكر أن جهاز النطق عند الإنسان لا يختلف فى جملته أو تفصيله من أمة إلى أخرى ، أو من فرد إلى آخر، مالم يكن به عيب خلقى عند هذا أو ذاك ، إنما الفرق بين الأمم فى هذا المجال يرجع إلى طريق توظيف هذا الجهاز واستغلاله . وأسلوب هذا التوظيف وطريق هذا الاستغلال يؤديان حتما إلى فروق صوتية مميزة ، تختلف فى القلة والكثرة والصفة بحسب الأحوال . على أن التفاوت بين اللغات فى استغلال جهاز النطق لا يعنى أن لغة ما أفضل من أخرى ، إذ إن مسألة الأفضلية هذه مسألة نسبية ، إذ ربما يتدخل فيها الذوق الشخصى والنظر غير العلمى أحيانا . ولكن مما لا شك فيه أن نتائج الاختلاف فى توظيف هذا الجهاز فى النطق يؤدى – بالضرورة – إلى حصيلة من الملامح الصوتية التى تمتاز بها اللغات بعضها من بعض ، وهذا ما قصدنا إلى إثباته فى هذا المجال .

ويرتبط بهذا التوظيف لجهاز النطق فى العربية أمور أخرى تضاف إلى جملة الخواص الصوتية للغة العربية .

من ذلك مثلا أن جملة كبيرة من أصوات هذه اللغة يقع بعضها من بعض موقع التقابل أو التناظر . فهناك نلمح أن بعض الأصوات تصدر عن مخرج نطقى واحد ، ولكنها – على الرغم من اشتراكها فى هذه الدائرة – تختلف فيما بينها بسمة أو بأخرى يجعل كل واحد منها صوتا مستقلا ، له دور فى تركيب

المقطع أو الكلمة وفى دلالة هذه الكلمة ووظيفتها .

فالهمزة والهاء منطقتهما النطقية واحدة ، ولكن يختص كل واحد من الصوتين بملمح ينفرد به ، يؤهله للاستقلال والكيان الخاص ، فالهمزة وقفة انفجارية ، أو صوت شديد فى اصطلاحهم فى القديم ، والهاء احتكاكى أو رخو ، ومن ثم سار كل صوت فى طريقه يؤدى دوره فى اللغة ، فلدينا مثلا «آب» و «هاب» . افترقت الكلمتان وصار لكل منهما معنى مستقل بسبب وجود الهمزة فى الكلمة الأولى والهاء فى الثانية.

وهناك أيضا العين والحاء وهما جميعا من منطقة الحلق ، ويتفقان أيضا فى كيفية مرور الهواء عند النطق بهما ، ولكن العين صوت تتذبذب الأوتار الصوتية عند نطقه ، والحاء لا تحدث معه ذبذبة من أى نوع ، فكان الأول مجهورا والثانى مهموسا . وهذه السمة فرقت بينهما ورشحت كلا منهما للاستقلال ، بدليل أننا نقول : «عَوَر» و «حَوَر» بمعنيين مختلفين تماما ، وذلك – كما هو واضح – إنما يرجع إلى وجود العين فى الأولى والحاء فى الثانية . ومثل هذا الذى نقول ينطبق بتمامة على الذال و الثاء : فهما مما بين الأسنان واحتكاكيان ، ولكن الذال مجهور والثاء مهموس ، ومن ثم كان الفرق فى نحو : «ذاب» و «ثاب» بمعنيين مستقلين .

وهذا مثال آخر يشرح صفة التقابل هذه بين أصوات العربية : التاء والطاء مثلا صوتان يتفقان فى المخرج وفى صفته الوقف والانفجار والهمس ، ولكن عملية فسيولوجية معينة تحدث عند النطق بالطاء فتجعلها صوتا مفخما ، وهذا التفخيم له دور ووظيفة ، إذ هو الملمح الوحيد الذى يميز الطاء من التاء ، ويمنح هذه الطاء كيانا خاصا تستطيع أن تؤدى وظيفة لغوية تختلف عن تلك التى للتاء : قارن « طاب » و « ناب » : كلمتان مستقلتان بمعنيين مختلفين ، بسبب وجود الطاء المفخمة فى الكلمة الأولى والتاء المرققة فى الثانية .

ربما يوجد مايشبه هذا التناظر أو التقابل فى أصوات بعض اللغات كما يتمثل ذلك فى الصوتين الأولين من الكلمتين : box و pox فى اللغة الإنجليزية ولكن من المهم أن ندرك أن هذا التقابل لا يجرى على سنن مطرد فى تكوين الكلمات وبنيتها ، فهو إن وجد يكون ذلك فى كلمتين أو كلمات معدودات دون أن يتخذ مسارا أو اتجاها مستقرا يؤهله لأن يكون قاعدة أو ما يشبه أن يكون كذلك .

وخاصة أخرى ترتبط بأسلوب توزيع الأصوات على مدارج النطق فى العربية : تتمثل هذه الخاصة فى نظام هذا التوزيع، بحيث تجئ الأصوات المؤلفة للكلمة منسجمة متناسقة خالية من الثقل: ليس بينها تنافر يؤذى السمع أو عدم انسجام يفقدها حلاوة النغم وحسن التلقى والقبول .

ولقد أدرك علماء العربية هذه الخاصة فى لغتهم ، استطاعوا بفكرهم الثاقب ونظرهم الدقيق أن يضعوا مايشبه أن يكون قواعد صوتية لما ينبغى أن يكون عليه تأليف الكلمة من أصوات ، أخذا بنظام توزيع أصوات لغتهم على مدارج النطق ونظام التناسق والانسجام بين هذه الأصوات ..

لقد قرروا أن العربية تتجنب جمع الزاى مع الظاء والسين والضاد والذال ، وجمع الجيم مع القاف والظاء والطاء والعين والصاد ، وجمع الحاء مع الهاء ووقوع الهاء قبل العين ، والحاء قبل الهاء ، إلى آخر ما قرروا فى هذا الباب على ما هو معروف للدارسين .

وقد أشار ابن جنى إلى شئ من هذا فى خصائصه ، فيقول : « أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب فى بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال . وبقيته ملحقة به ومقفاة على أثره . فمن ذلك مارفض استعماله لتقارب حروفه نحو : سص وصس وطت وتط وصش وشص ، لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه . وكذلك قج وجق وكق وقك وكج وجك . وكذلك حروف الحلق هى من الائتلاف

أبعد لتقارب مخارجها من معظم الحروف ، أعنى حروف الفم . وإن جُمع بين اثنين منها يقدم الأقوى على الأضعف نحو أهل وأحد وأخ وعهد ، وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما » .

وهناك بالعربية أصوات تقل أو يندر وجودها فى كثير من اللغات المعروفة لنا فى الشرق والغرب على سواء . من ذلك مثلا الهمزة المعروفة لنا فى التراث بهمزة القطع ، [1] ، كما فى الصوت الأول من نحو « أحمد » و « أعرف » و « أعلام » مثلا ، فهذه الهمزة ليس لها وجود فى كثير من اللغات الأوربية وغيرها وهى إن وجدت فى بعض صور الكلام وأساليبه ، كما فى لهجة « لندن » مثلاً ، ليست تعدل أو تتساوى مع الصوت العربى فى كل وجوهه وخصائصه : إن الموجود فى لهجة « لندن » هذه ليس همزا حقيقا ، إنما هو نوع من « التهميز » أو هو منح النطق سمة من سمات الهمزة ، وليست له قيمة الهمزة العربية من حيث كونه عنصرا فى تكوين الكلمة ودلالتها ، إن هذا الصوت «اللندنى» لا يعدو أن يكون ظاهرة نطقية بحتة ، وليس وحدة صوتية مميزة ، ذات وظيفة فى التفريق بين المعانى أو تحديد القيم الصرفية والنحوية للكلمة . وعلى العكس من ذلك كله تتمتع همزتنا باستقلال وكيان صوتى ودلالى معا .

وهناك فى العربية كذلك صوت القاف الذى يندر أن تجد له نظيرا فيما نعرف من لغات ، باستثناء الساميات التى تعد العربية واحدة منها ، كما هو معروف . وإذا اضطرمن تخلو لغته منها إلى نطقها حولها إلى صوت الكاف أو ما أشبه ، حتى إنك لتسمع هذا النطق الخاطئ ذاته فى نطق غير المثقفين من العرب أنفسهم عندما يحاولون استخدام كلمة فصيحة بعينها فى كلامهم اللهجى العادى .

---

(١) الهمزة ( اسمها الأصلى الألف ) لها وجود فى اللغات السامية كالعبرية والآرامية والسوريانية . وهى فى العبرية تنطق محققة ( وقفة حنجرية – كالعربية ) إذا وقعت بعد سكون تام ( كما فى ياصْاه : بمعنى خرجت ) أو بعد شدة أو فى أول الكلام . ولكنها تنطق مسهلة أو مدا للحركة السابقة عليها ( كما فى نحو تَواقَر toumar ) بمعنى تقول أو تأمر فأصلها همزة لأنها من (أقر) . فلها وجود فى هذه اللغة ، ولكن توزيعها فى الكلام مختلف .

أما العين فهو صوت لا وجود له فى اللغات الأوربية ، وإذا حاول واحد من أصحاب هذه اللغات استخدامه انتقل إلى استخدام الهمزة بدلا منه . ومن الطريف أن نعلم آن بعض الدارسين من الغرب يرى أنه من الأنسب أن تسمى العربية «لغة العين» بدلا من قولنا «لغة الضاد» وهم فى ذلك واهمون ، لأن العين – وإن لم يوجد فى اللغات الأوربية – صوت معروف مقرر فى اللغات السامية .

ويأتى صوت «الضاد» على قمة السمات الصوتية التى تنفرد بها اللغة العربية . وذلك أن هذا الصوت – بوصفه وحدة صوتية ذات قيمة ووظيفة فى تركيب الكلمة ودلالتها – ليس له وجود على الإطلاق فى أية لغة معروفة لنا على وجه الأرض [1] . نعم ، ربما نسمع صوتا يشبهه أو يماثله فى بعض الكلمات فى لغات معينة ، كما فى نحو bud و mud فى اللغة الإنجليزية . ولكن هذا الذى نسمعه فى مثل هذه الكلمات الإنجليزية ليس ضادا أوقل : ليست له قيمة الضاد العربية . إن الذى نسمعه فى هاتين الكلمتين ، إنما هو صوت ( d ) الدال ، ولكنه نطق مفخما فأشبه ضادنا فى النطق ، ولكن شتان بين الصوتين فى القيمة والوظيفة . فضادنا صوت مميز للمعانى ، كما يظهر ذلك مثلا عندما نقارن بين «دل» و «ضل» فها هنا كلمتان مستقلتان ولكل منهما معنى مختلف ، وذلك بسبب وجود الدال فى الأولى والضاد فى الثانية . وليس كذلك الأمر بحال فى هذا الصوت المسموع فى اللغة الإنجليزية فى مثل ماذكرنا من أمثلة .

هذا شئ من الخواص الصوتية التى تمتاز بها العربية من غيرها من اللغات ، وهى أمثلة تتعلق بما يعرف فى الدرس الصوتى الحديث بالأصوات الصامتة أو الساكنة ( Consonants ) ونزيد القول إيضاحا الآن بذكر شئ من سمات

(١) نعنى بالعربية هنا العربية الشمالية والعربية الجنوبية معاً . وإذا كان هناك أثر لهذه الضاد فى اللغة الحبشية ، فإنما هو من قبيل التأثير والتأثر أو الاقتراض اللغوى ، كما فى مثل ( ḍaḥay ، بمعنى الشمس والضحى ) ، والمثال نفسه دليل هذا الاقتراض .

الحركات فى هذه اللغة ، وبإشارة عاجلة أخرى إلى بعض الظواهر الصوتية ذات القيمة المميزة للغتنا .

الحركات فى اللغة العربية قليلة العدد نسبيا ، فهى ثلاث حركات أساسية هى الفتحة والكسرة والضمة ، وكل منها قد تكون قصيرة أو طويلة فهى ست بهذا الوصف ، أى إن أخذت الطول والقصر فى الحسبان .

هذه الحركات القليلة العدد ظاهرة بارزة ، تستحق النظر والتأمل إذا قيست بما يناظرها فى اللغات الأخرى ، ففى اللغة الإنجليزية مثلا اثنتان وعشرون حركة ، وعلى الرغم من هذا الفارق الكبير بين اللغتين فى هذا المجال ، نجد الحركات فى العربية تقوم بوظائفها ودورها فى تشكيل الكلام وبنائه على وجه لا يقل أهمية عن نظيراتها فى اللغة الإنجليزية ، بل تفوقها وتمتاز عنها فى بعض الوجوه .

نحن لا ننكر أن هذه الحركات الست قد تتعدد صورها وأمثلتها فى النطق الفعلى للكلام ، بسبب ما يجاورها من الأصوات الصامتة ، فالفتحة مثلا قد تكون مرققة أو مفخمة أو بين بين ، كما فى نحو : دل – ضل – قل ، بهذا الترتيب ، وذلك بسبب وجود الدال فى الكلمة الأولى والضاد ( المفخمة ) فى الثانية والقاف ( التى بين الترقيق والتفخيم) فى الثالثة ، ولكن هذه السمات الثلاث التى لحقت الفتحة فى هذه الأمثلة ذات قيمة نطقية فقط ، وليست ذات قيمة فى الدلالة أى فى التفريق بين المعانى . والفرق فى المعانى بين هذه الكلمات الثلاث إنما سببه الدال والضاد والقاف ، وليس ترقيق الفتحة أو تفخيمها أو نطقها بين الحالتين . ومن ثم يقع الخطأ فى المعنى والنطق أو اللبس فيهما إذا حدث خطأ فى نطق هذه الأصوات الثلاثة (الدال والضاد والقاف) أى بالإتيان بها على وجه مخالف لطبيعتها النطقية المقررة من ترقيق أو تفخيم أو «وسطية» .

ومعنى ذلك – كما قررنا – أن الحركات فى العربية بوصفها وحدات

مميزة للمعانى والقيم الدلالية فى اللغة العربية ست فقط ، وإن تعددت صورها النطقية الفعلية فى السياقات المختلفة . وعد هذه الحركات ستا فقط هو المأخوذ به فى النظر العلمى فى النظام الصوتى للغة العربية ، وهو المبدأ المتبع ( باتفاق ) عند محاولة وضع القواعد أو الضوابط الصوتية الوظيفية المميزة لهذه اللغة .

وقلة الحركات فى لغة ما حسنة من حسنات هذه اللغة فى النطق والأداء الفعلى للكلام . ذلك أن الحركات – فى عمومها – أصعب من الأصوات الأخرى وأكثرها تعرضا للتغيّر والتبدل . ومن الطبيعى أنه كلما زاد عدد الحركات كانت صعوبة النطق أقوى احتمالا وظاهرة التغير والتحول أكثر وقوعا . زد على ذلك أن كثرة الحركات تقود حتما إلى تداخلها والخلط بينها من حين إلى آخر ، الأمر الذى ينتج عنه – لا محالة – خطأ فى النطق أو خلط فيه ، يؤدى إلى الخطأ فى المعنى أو اللبس فيه ، واحتمال الوقوع فى الخطأ فى نطق هذه الحركات الكثيرة واضح كل الوضوح عندما يحاول أجنبى استخدام تلك اللغة الكثيرة حركاتها كما يبدو ذلك لنا عندما ينطق العربى اللغة الإنجليزية ، حيث يقع فى أخطاء نطقية واضحة ، كما يخلط بينها خلطا غير مقبول .

ولعل هذا الذى قررنا من القلة العددية للحركات العربية وما يتبع ذلك من ضعف احتمال تعرض هذه الحركات للتغيّر والتبدل ، يفسر لنا ذلك السر الفريد الذى تختص به عربيتنا الفصحى فى ماضيها وحاضرها . ذلك أن هذه الحركات مازالت هى هى ثابتة مستقرة بعددها وصفاتها لم يصبها تغير يذكر فى تاريخها الطويل ، وهذا بدوره ضمن بقاء اللغة العربية وساعدها على الاحتفاظ بخواصها الصوتية الأساسية على مر الزمن ، حتى إنك لا تجد فروقا صوتية ذات شأن بين حالها فى الماضى والحاضر . أما الفروق التى تلحقها فى اللهجات العربية الحديثة فى مجال الحركات فهى فروق فردية فى أساسها

ترجع إلى البيئة الجغرافية والثقافية ، وهى مع ذلك فروق يسيرة فى طبيعتها يمكن ردها كلها أو جلها إلى حركات اللغة الأم بصورة أو بأخرى ، كما يمكن حصرها وضبطها بشئ من النظر والتأمل .

وعلى الرغم من هذه القلة النسبية فى عدد حركات العربية ، فإن لهذه الحركات دورا خطيرا فى المادة اللغوية على كل المستويات . فهى – بالإضافة إلى دورها الصوتى المتمثل فى كونها لَبِنات أساسية فى البناء الصوتى للغة – تؤدى وظائف ذات أهمية فائقة على المستوى الصرفى والمعجمى والدلالى والنحوى جميعا . نستطيع أن نتبين هذا الدور وقيمته بذكر أمثلة قليلة توضح ما نقول .

من المعروف أن الكلمات العربية مادتها الأساسية تلك الأصوات المعروفة بالأصوات الصامتة أو الساكنة ، كالباء والتاء والثاء .... إلخ ، ولكن هذا الأصل يلحقه تعديل وتحويل أو تحوير وتغيير بوساطة الحركات ، فينتج لنا عن هذا الأصل مجموعة من الأوزان أو الصيغ الصرفية لكل منها قيمة معجمية دلالية مختلفة . فالأصل المتمثل فى «ع ر ض » مثلا ، يمكن أن تأتى منه بطريق التغيير فى الحركات بالكلمات التالية : عَرْض «بفتح العين وسكون الراء» ومعناه ضد الطول أو هو مصدر عرض يعرض ، وعِرْض « بكسر العين » ومعناه الحسب والشرف ، وعُرْض « بضم العين » ومعناه الجانب كما فى قولنا : ألقى به عُرْض الحائط ، أو معناه «الوسط» كما فى نحو: «فى عُرْض البحر أى فى وسطه » وهكذا نرى أن الوزن الصرفى مختلف وكذلك الحال بالنسبة للدلالة المعجمية .

وأكثر من هذا ، ليس من النادر أن نجد التبادل بين الحركات يؤدى إلى تفريق صرفى وظيفى ، كأن تنتمى صيغة ما إلى جنس صرفى معين ، وبتغيير إحدى حركات هذه الصيغة نصل إلى جنس صرفى آخر . قارن : إعلام «بكسر الهمزة » بقولنا : أعلام «بفتح الهمزة»

فالصيغة الأولى مصدر الفعل «أعلم» والثانية جمع «علم» وهذا النوع من الأمثلة كثير الورود فى العربية ، نحو إنباء وأنباء ، وإحكام وأحكام .... إلخ .

أما وظائف الحركات على المستوى النحوى فهى ذات خطر وشأن . ويكفى أن ندرك أن الإعراب فى جملته يقوم على الحركات ، فهى علاماته الأصلية فى كل الحالات وهى كذلك دالته فى الإعراب «النائب» فى معظم الحالات ، كما أن الاختلاف فى حركات الإعراب دليل الاختلاف فى الوظيفة النحوية للكلمة ، فالفتحة ، كما هو معروف ، علامة النصب ، فى حين أن الضمة علامة الرفع، والكسرة علامة الجر .

وليس هذا فقط ، فللحركات فى العربية دور فى التفريق بين الأجناس الصرفية كما فى حال المثنى وعلامته الألف وجمع المذكر السالم وعلامته الواو، كما هو مقرر معروف . وهذه الألف إن هى إلا فتحة طويلة ، كما أن الواو لا تعدو أن تكون ضمة طويلة ، وهما فى الوقت ذاته علامتا حالة إعرابية ، هى الرفع فيهما .

ولعله من الطريف أن نذكر فى هذا المقام أن «سلب الحركة » ( المسمى عندهم بالسكون ) هو الآخر ذو وظيفة صرفية نحوية ذات قيمة معينة فى النظام الإعرابى للغة العربية . فالسكون أو عدم الحركة دليل الجزم فى بعض صور المضارع كما أنه علامة البناء فى صيغ منوعة تنتمى إلى أجناس صرفية مختلفة ، كما يظهر ذلك مثلا فى بعض الأسماء والأفعال ( فعل الأمر ) والحروف على ما هو معروف لنا جميعا . وأكبر الظن أن هذه الوظيفة الإعرابية للسكون « وهو عدم الحركة » كانت السبب الذى دعا بعض النحاة إلى الحكم على السكون بأنه حركة وأنه رابع الحركات فيها ، وربما كان لهم العذر فى هذا الحكم ، حيث رأوه يؤدى وظائف إعرابية تقارن فى الأهمية بوظائف الحركات الحقيقية فى هذا الشأن . والحق أن السكون هو عدم الحركة أو هو لاشئ (صفر) من

الناحيـة النطقيـة ، ومن ثم لايدخل فى عداد الحركات من هذه الناحية ، إذ لا يشترك مع الحركات ( أو أى صوت فى اللغة ) فى أية خاصة من خواصها النطقية . ولكن هذا العدم أو اللاشئ له دور وظيفى فى اللغة يظهر بصفة خاصة فى الإعـــراب ، وعلى هذا يمكن لنا ، تجاوزا ، عدَّ عنصرا من عناصر النظام الإعـرابى فى اللغـة العـربيـة أوقل هو «حركة – وظيفيا – وهو عدم الحركة أو اللاشئ نطقا» .

ومادمنا فى مجال ذكر شئ من الخواص الصوتية للغتنا ، جاز لنا أن نشير إلى تلك الخاصة المميزة ، المعروفة «بالتنوين» فالتنوين من الناحية الصوتية نون ساكنة ، ولكنها تختلف عن بقية النونات فى العـربيـة من حيث الموقع والتوزيع فى بناء الكلمة . إن موقعه الصوتى محدد وثابت ، حيث لا يقع إلا في آخر نوع أو نمط معين من الكلمات .

أما من الناحية الصرفية والنحوية فللتنوين جملة مهمة من الوظائف . من ذلك مثلا أنه دليل «التنكير أو الإبهام فى النكرات » . كما فى « رجل » ، ودليل «الشيوع» فى بعض الأعلام ، مثل «محمد» ، ولهذا يجب حذف هذا التنوين عند الإضافة ، والإضافة من شأنها إزالة هذا التنكير وذلك الإبهام . كما أن من شأنها تعيين العلم وتحديده ، فينتفى الشيوع أو شبهته . فليس من الغريب إذن حذف هذا التنوين عند وصف العلم المنون بكلمة «ابن» كما فى نحو «محمد ابن عبد الله» حيث قام الوصف بدور التخصيص أو التعيين ، ومن ثم لاحاجة إلى التنوين .

وما قلناه هنا عن التنوين ينطبق بتمامه على النون فى المثنى وجمع المذكر السالم ، فهذه النون فى رأينا – ورأى غالبية النحاة – هى التنوين ، غير أنه كتب هنا بالنون لاستحالة استخدام رمز التنوين المعروف فى هذا الموقع . وهذه النون كما هو معروف واجب حذفها عند الإضافة ، لأنها رفعت الإبهام والشيوع المفهومين بالتنوين ( أى النون ) قبل

الإضافة . أما أن هذه النون فى المثنى والجمع تبقى ولا تحذف عند اتصالهما باللألف واللام ( الرجلان – المسلمون ) فتلك قضية أخرى . ذلك أن الألف واللام هنا للتعريف أى تأهيل الكلمة لأن تقع موقعا نحويا معينا كالابتداء مثلا ، وليست هذه الأداة للتعيين أو التخصيص والتحديد ، إذ مازالت فكرة التعميم والشيوع قائمة بالمثنى والجمع بسبب التعدد . والتعدد يناقض التحديد أو التعيين كما هو واضح ، ومن ثم ثبتت النون . وحذف التنوين فى المفرد المعرف باللام لا يتناقض مع ماقلنا ، لأن هذا الحذف فى هذه الحالة هو الأصل أولا ، ولأن «مفردية» الكلمة ساعدت على إزالة الإبهام أو الشيوع ثانيا ، فلا حاجة إذن إلى التنوين . (١)

وتحريك التنوين (أى النون ) فى المثنى والجمع ، على العكس منه فى المفرد إنما كان لسبب صوتى ظاهر ، ذلك أنه وقع فى موقع يوجب تحريكه ، منعا لالتقاء الساكنين . ومع ذلك قد يأتى ساكنا كما فى حالة الوقف ، وهى قاعدة مقررة منصوص عليها فى النظام الصوتى والنحوى ، على ما هو معروف لدى أهل النظر .

ولا ننسى فى هذا المجال أن نشير إلى أن التنوين أيضا هو علامة صرف الكلمة نحويا ، وحذفه دليل منع الكلمة من الصرف والممنوع من الصرف باب كبير متشعب الجوانب ، تتبنى قواعده على ضوابط عدة ، من بينها وجود ظاهرة التنوين أو عدم وجودها ، على ما هو معلوم لنا جميعا . أما وجود النون ( أى التنوين ) فى المثنى والجمع المذكر الذى لا ينون مفرده «أى الممنوع من الصرف» كإبراهيمين مثلا ، فذلك لأن تنوين مالا ينصرف مقدر ، فقامت النون ( أى التنوين ) مقامه فى الجمع والمثنى .

---

(١) يفسر بعضهم ثبوت النون فى المثنى والجمع مع وجود أداة التعريف بتفسير آخر ، هو أن النون هنا عوض عن الإعراب بالحركات فى المفرد ، ومن ثَم بقيت . أما النون فى الأفعال الخمسة ، نحو يكتبان – يكتبون إلخ . ففيها شبهة تحتاج إلى بحث مستقل ، ربما أتينا عليه فى فرصة أخرى إن شاء الله .

ويمكن لنا بعد ذلك أن نشير إلى أمثلة أخرى من تلك الظواهر الصوتية التى تمتاز بها اللغة العربية إذا قورنت بكثير من اللغات المعروفة لنا ، والتى لا يدركها كثير من المثقفين العرب ، ولا يعيرها التفاتا ذا بال بعض الدارسين المتخصصين . هذه الظواهر قد تختص بصوت أو مجموعة معينة من الأصوات .

فأول ذلك ما يعرف بالتاء المربوطة . هذه التاء اتفق على رسمها بالرمز [ة] أى بصورة «هاء» فوقها نقطتان . هذا الرمز يتحقق فى النطق الفعلى للغة بصورتين أساسيتين مختلفتين فى الصفات والسمات وفقا للسياق الذى تقع فيه . فهى تنطق تاء خالصة فى وصل الكلام ، ولكنها هاء صرفة فى الوقف ، تقول فى الفصحى : فاطمة بنت أخى ( بتاء متلوة بضمة ) ولكن هذه فاطمة (بهاء ساكنة) وثم يمكن عدّ نطقها تاء دليلا على وصل الكلام ، كما أن تحقيقها هاء علامة من علامات الفصل أو الوقف .

ومعنى هذا إذن أن نطق (التاء المربوطة) تاء فى الوصل يؤهلها لأن تكون مثلا أو صورة من صور تلك الوحدة الصوتية المعروفة بالتاء [ت] ، على حين يرشحها تحقيقها هاء فى حالة الفصل لأن تنتمى إلى الوحدة الصوتية الأخرى المرسومة بالهاء [ o ، بدون نقط ] وهى فى الحالة الأولى كذلك لها ما للتاء من صفات ، كما أنها فى الفصل والوقف تنتظم ما للهاء من سمات .

لهذا لم يكن غريبا ولا شاذا عدم تخصيص رمز لها قائم بذاته فى الألفباء التقليدية ، تلك الألفباء التى تعنى فى الأساس برموز الوحدات الصوتية التى من شأنها أن تفرق بين المعانى للكلمات (فارن : باب × ناب ) ، ولا تهتم بالإشارة إلى الاحتمالات النطقية للوحدة الصوتية المعينة ، كنطقى الدال مثلا فى عدت وعدنا ، فهى تاء أو أشبه بها فى الكلمة الأولى ، ولكنها دال خالصة في الثانية ، ومع ذلك فالدال وحدة صوتية واحدة .

وعدم ذكر رمز خاص للتاء المربوطة فى ألفباء الوحدات الصوتية لا يعنى

إهمالها أوعدم الاعتداد بها في النظام الصوتى للغة العربية ، لأنها – كما يتضح من المناقشة – تنضم إلى التاء [ت] حينا وإلى الهاء [هـ] حينا آخر ، ومن ثم لم يكن هناك مسوغ علمى للنص على رمز خاص بها فى هذه الألفباء ، ومع ذلك ، فقد أدرك علماء العربية بثاقب نظرهم أن التاء المربوطة – على الرغم من دخولها فى باب التاء مرة وفى باب الهاء مرة أخرى – تختلف عن هاتين الوحدتين ( التاء والهاء ) فى جملة من الصفات الصوتية والصرفية والنحوية . ومن ثم أتوا برمز لها يدخل فى عداد الرموز الثانوية للألفباء العربية ، كرمز الهمزة [ء] ورمز التشديد [ ّ ] ورمز السكون [ ْ ] وهذا الرمز هو رمز [ة] الذى أصبح جزءا لا يتجزأ من قواعد الكتابة الإملائية للغتنا ، والخطأ فيه خطأ إملائى صريح .

وإنه لمن الذكاء والعمق حقا أن كتبوها بهذا الرمز بالذات [ة] إذ هو فى الأساس صورة الهاء ( وهذه حالتها فى بعض المواقع الصوتية ) وتوجوها بنقطتين إشارة إلى قيمة التاء ، كما هو الحال فى بعض مواقعها ، ووضع نقطتين بالذات ( أى لا نقطة أو ثلاث ) دليل واضح على هذه القيمة الصوتية الثانية .

فهذا الرمز الثانوى أو الإضافى [ة] للتاء المربوطة حقق لها نوعا من الكيان الذى تستحقه ، ونبه غير العارفين إلى خواصها التى تمتاز بها فى النظام اللغوى للعربية . فهى صوتيا – مثلا – تختلف عن كل من التاء والهاء فى الموقعية وفى تحديد نطق معين لا يتخلف فى كل من سياقيها المعروفين : الوصل والوقف ، إنها لا تكون إلا فى آخر الكلمة، وفى كلمات ذات طبيعة صرفية معينة ، وهى تاء فقط فى الوصل وهاء فى الوقف .

أما من الناحية الصرفية والنحوية فالتاء المربوطة دليل التأنيث فى أجناس خاصة من الكلم ووجودها (مع علل أخرى) يمنع الصرف فى أجناس أخرى، إلى غير ذلك من الخواص الصرفية والنحوية ، كما يتمثل فى عدم جواز جمع

ما اشتمل عليها جمع المذكر السالم ، على ما هو مقرر .

ونأتى بعد ذلك إلى ظاهرة صوتية مهمة تتعلق بمجموعة معينة من أصوات العربية ، وهى ظاهرة التفخيم . والتفخيم – فى أبسط عبارة – أثر سمعى تدركه الأذن نتيجة لعملية فسيولوجية معقدة ، تتعاون فى تشكيلها مجموعة من العوامل أظهرها وأقربها إدراكا :

- تقعير اللسان ، بمعنى انخفاض وسطه نسبيا عند النطق بالصوت المفخم، ويتبع ذلك حتما ارتفاع الجزء الخلفى من اللسان نحو الحنك الأعلي .
- حدوث شئ من التوتر فى أعضاء النطق وبخاصة في أوردة الرقبة ، ويتصل بذلك أو ينتج عنه تعديل فى تجويف الفم والنطق بشدة أو قوة نسبية .

والأصوات المفخمة فى العربية على ضربين رئيسيين : أصوات مفخمة تفخيما كليا ، وأصوات تفخيمها بين بين. أما أصوات النوع الأول فهى الصاد والضاد والطاء والظاء وهى المسماه فى القديم ( أصوات الإطباق ) وهذه الأصوات الأربعة – فى رأى الجميع بلا استثناء – مفخمة فى كل موقع تقع فيه فى اللغة العربية ، وذلك بقطع النظر عما يسبقها أو يلحقها من الأصوات . وهى النظير المفخم للسين والدال والتاء والذال. ومن ثم كان تفخيمها ذا قيمة دلالية ، له دور فى التفريق بين المعانى ، بالإضافة إلى قيمته الصوتية .

ومن ثم كان الخطأ فى نطق هذه الأصوات بترقيقها خطأ من ناحيتين : خطأ صوتى وهو أمر معيب غير مقبول للخروج بالصوت المفخم عن طبيعته وسماته ، وخطأ دلالى يؤدى إلى اللبس فى المعنى وغموضه . ونستطيع أن ندرك ذلك من الأمثلة الآتية :

صاد × ساد × ضل × دل ، طاب × تاب ، ظل × ذل

حيث نلحظ اختلافا فى المعنى بين

كل كلمتين متقابلتين ، والسبب فى ذلك واضح ، هو وجود صوت مفخم فى إحداهما ونظيره المرقق فى الثانية . ومعنى هذا – بعبارة اللغويين – أن الصوت المفخم ليس صورة نطقية سياقية للصوت المرقق ، وإنما هو نظيره ، وله قيمته الخاصة به صوتيا ودلاليا . ومعني ذلك أيضا أن نطق هذه الأصوات المفخمة مرققة يؤدى إلى الخلط واللبس بين الكلم فى اللغة العربية ، إذ حينئذ تصير الصاد سينا والضاد دالا والطاء تاءً والظاء ذالا . وبهذا يضيع التفريق بين المعانى كما تضيع القيمة الصوتية المميزة لهذا الصوت أو ذاك .

وأصوات الضرب الثانى من أصوات التفخيم هى القاف والخاء والغين ، وتفخيمها تفخيم ( بين بين ) . و( البيْنيّة ) هذه تظهر فى سمتين متلازمتين ، هما أن تفخيمها أقل درجة من تفخيم أصوات النوع الأول ، وأن هذا التفخيم « الضعيف » نسبيا إنما يظهر عندما يتلو هذه الأصوات ضم أو فتح ( قصير أو طويل ) ولكنه يختفى أو يكاد عند كسرها ، إذ هى – حينئذ – إلى الترقيق أقرب .

والخطأ فى نطق هذه الأصوات الثلاثة من حيث التفخيم أو الترقيق خطأ صوتى محض ، لا يؤثر على المعنى ولا يؤدى إلى اللبس فيه ، لانعدام نظائر مرققة لها فى العربية ، على العكس من أصوات الإطباق الأربعة السابقة ( ص ض ط ظ) . وعلى الرغم من ذلك فهذا الخطأ – بالإضافة إلى عده خطأ صوتيا فى نطق اللغة – دليل على « تفاهة » المتكلم وسطحية ثقافته اللغوية ، إذ هو عند ترقيقها فى مواضع التفخيم يأتى بأصوات غير مألوفة للأذن العربية على الإطلاق ، بخلاف أصوات الإطباق الأربعة ، فقد يلجأ المتكلم إلى ترقيقها فى مواقف اجتماعية أو درامية معينة ، ويكون نطقه مقبولا فى هذه المواقف بالذات ، لأنه يرمى إلى إحداث تأثير خاص أو تصوير سلوك لغوى معين بقصد التندر أو الفكاهة أو السخرية .

والملاحظ على كل حال أن النساء أكثر ميلا إلى ترقيق أصوات التفخيم بنوعيها، وهو أمر مازلنا نحكم عليه بالخطأ فى إطار اللغة الفصحى .

وهذه الأصوات الثلاثة ، مضمومةً إلى أصوات الإطباق السابقة ، تسمى جميعا بأصوات الاستعلاء فى التراث العربى ، وهى تسمية صحيحة دقيقة ، إذ عند النطق بها جميعا فى حال التفخيم تعلو مؤخرة اللسان نحو الجزء الخلفى من الحنك الأعلى .

أما بقية أصوات العربية فهى ( باستثناء اللام والراء ) مرققة بطبيعتها وإن كان يلحقها شئ من التفخيم بالمجاورة ، أى بوقوعها فى سياق صوت مفخم سابق أو لاحق وينطبق هذا الذى نقول على الحركات جميعا ، فهى بنفسها لا توصف بتفخيم أو ترقيق وإنما يكون هذا أوذاك بحسب سياقها الصوتى . لاحظ الأمثلة الآتية :

تاب × طاب  و بت × بط

حيث جاءت الفتحة الطويلة (الألف) والباء مرققتين فى الكلمة الأولى ، ولكنهما مفخمتان فى الثانية وكذلك جاءت الباء وفتحتها مرققتين فى الكلمة الثالثة على حين أصابهما التفخيم فى الرابعة ، وإنما كان هذا أو ذاك بسبب طبيعة الأصوات المجاورة من حيث التفخيم والترقيق .

أما اللام والراء فلهما حالات خاصة تستدعى نظرا مستقلا ، لاختلاف أحوالهما من هذ الناحية عن كل ماسبق ذكره .

اللام صوت مرقق بطبيعته ولكنه ينفرد بأحكام خاصة من حيث الترقيق والتفخيم فى لفظ الجلالة (الله ) وحده ، فهو فى هذا اللفظ يفخم إذا سبق بضم أو فتح ولكنه يرقق إذا جاء بعد كسر تقول : (دَعَوْا الله ) و ( بارك الله فيك ) بالتفخيم ولكن : ( بسم الله الرحمن الرحيم ) و ( أفى الله شك ؟ ) بالتوفيق وإلى هذه الأحكام أشار واحد منهم بقوله :

وفخم اللام من اسم الله
عن فتح أو ضم كعبد الله (١)

والراء في اللغة العربية الفصحى صوت ينفرد بمجموعة من السمات النطقية التى تخفى على كثير من المثقفين وبعض المتخصصين ، حيث يأتون بها على وجه غير صحيح من حيث التفخيم والترقيق ، وذلك لأسباب نجمل منها مايلى :

* التأثر بما يجرى فى اللهجات العامية من خلط فى نطق هذا الصوت واختلاف واضح فى أدائه من لهجة إلى أخرى ، بحسب البيئة أو الثقافة أو هما معا . فهناك قوم يرققون هذا الصوت حيث يجب التفخيم ، وآخرون يفخمون حيث لا مسوغ له ، وفرقة ثالثة يلتبس عليها الأمر ، فتخلط بين الحالين ، وربما يأتى الواحد منهم بصورتين مختلفتين للراء فى الكلمة الواحدة أو السياق الصوتى الواحد .

* المروىّ لنا أنه كان هناك اختلاف بين القبائل العربية فى القديم فى نطق هذا الصوت من حيث التفخيم والترقيق .

* روى خلاف واضح بين القراء أنفسهم فى نطق الراء فى مواقع معينة ، كما يظهر ذلك فى قراءة «ورش» و«حفص» .

* صعوبة استيعاب القوانين والضوابط التى حددها أهل الثقة للإتيان بهذا الصوت مفخما أو مرققا ، كما يتضح مما يلى :

جرى معظم الثقات على ذكر ضوابط الترقيق فى الراء بشئ من التفصيل ، دون النص على تفريعات أحوال التفخيم وإمكاناته السياقية المتعددة . وربما كان ذلك منهم لشيوع ظاهرة التفخيم

(١) كلمة (عبد) هنا تقرأ بفتح الدال ليتحقق التفخيم فى لام لفظ الجلالة وهى مخالفة نحوية جائزة فى مثل هذه الحالة ، إذ قصد بها التمثيل والتوضيح .

فى الراء وكثرة ورودها كثرة يصعب معها وضع ضوابط تفصيلية لها ، حتى إن بعضهم يقرر أن الراء من طبيعتها التفخيم ، ومعناه أن الترقيق نوع من الاستثناء .

المروى عن هؤلاء الثقات أن الراء يصيبهاالترقيق فى حالتين رئيسيتين هما :

* إذا جاءت مكسورة «أى متلوة بكسر» بقطع النظر عن طبيعة الصوت السابق أو اللاحق لها ، كما فى قوله تعالى : "والفجر وليالٍ عشر" و " فى الرقاب "ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " وكذلك في نحو "بشرى" بالإمالة إذ حركة الإمالة تدخل فى إطار الكسرة ، أو هى أقرب إليها من الفتح على ما هو معروف .

* إذا وقعت ساكنة بعد كسر . وذلك بشرطين : أولهما : أن تكون الكسرة أصلية ، لا عارضة ككسرة همزة الوصل أو الكسرة التى يؤتى بها للتخلص من التقاء الساكنين . ثانيهما: ألا يقع بعدها صوت استعلاء ( ص ض ط ظ خ غ ق ) ويتحقق هذان الشرطان فى نحو« فرعون » و« مرية » . .

فإن كانت الكسرة عارضة فخمت الراء نحو «اركعوا» «إن ارتبتم» وكذلك تفخم الراء الساكنة المسبوقة بكسرة إذا وليها صوت استعلاء ، مثل «فرقة – قرطاس – مرصاد» .

ويلحق بهذه الحالة الثانية الراء الساكنة الواقعة بعد إمالة أو ياء ساكنة ، حيث يصيبها الترقيق أيضاً ، كما فى نحو« نار » بالإمالة « خبير – خير » وواضح أن الترقيق هنا واقع فى حدوده الصوتية ، إذ الإمالة نوع من الكسر أو هى قريبة منه ، والياء فى « خبير » إن هى إلا كسرة طويلة « وسموها ياء ساكنة وفقاً لاصطلاحهم » . والياء الساكنة فى « خير » فيها شبهه الكسرة لأنها فى هذا الموقع تتسم بشىء من صفات الكسر ، وتقرب منه فى المخرج .

وفى هذا المقام أيضاً نصوا على ترقيق الراء الساكنة إذا وقعت بعد كسرة وفصل بينهما بساكن ، كما فى نحو «قِدْر» و« كِبْر » بكسر القاف والكاف وسكون الراء فيهما . وهذا الأمر واضح كذلك ، يمكن فهمه وتفسيره ، حيث إن الراء الساكنة ، ما زالت مسبوقة بكسرة أصلية والفصل بالساكن كلا فصل ، فلا يحجب تأثير الكسرة السابقة وعملها أو دورها فى الترقيق .

والملاحظ على أية حال أن الراء فى كل هذه الصور الفرعية الملحقة بالحالة الثانية من حالات ترقيقها ذات وضع خاص : إنها فى هذه الصور كلها لا تكون إلا فى آخر الكلمة وفى حالة الوقف بالذات ، إذ لا يمكن وقوعها ساكنة فى هذا السياق الصوتى الذى وقعت فيه إلا منطوقة موقوفاً عليها .

وتفسير ذلك أن التركيب المقطعى فى اللغة العربية يمنع وقوع أى صوت ساكن « خال من الحركة » بعد حركة طويلة كما فى « نار » بالإمالة و« خبير » بباء المد أو الكسرة الطويلة ، إلا فى الوقف [1] . وكذلك يمنع التركيب المقطعى للغتنا توالى ساكنين ، أى اجتماع صوتين صامتين «خاليين من التحريك » فى أى موقع من مواقع الكلمة إلا فى آخرها . ومن الطبيعى أن ذلك لا يتحقق إلا فى حال الوقف كما فى « خَيْر » و « قِدْر » و«كِبْر»، وهى الأمثلة المذكورة سابقاً . ولعل عبارتهم المشهورة : " لا يجوز التقاء الساكنين " تفسر كل ما قلنا ، أما جواز هذا الالتقاء فى الوقف ، فذلك لتحقيق وظيفة نحوية مهمة ، هى « الوقف » وهو باب فى قواعد اللغة معروف ، وخاصة من خواص الأداء النحوى والصوتى فى العربية .

ومن الواضح أن النص على ترقيق الراء ، يعنى – ضمنا – وقوع التفخيم فى غير هذا المنصوص عليه ، أو بعبارة أخرى ، تفخم الراء إذا وقعت مضمومة أو مفتوحة مطلقاً وكذلك إذا وقعت ساكنة

---

(١) وهناك حالة ثانية يجوز فيها وقوع الصوت الساكن بعد حركة طويلة « حرف مد » وهذا إذا كان هذا الصوت الساكن مدغما فى مثله ، كما فى مثل « الضالين » حيث وقعت اللام الأولى ساكنة بعد حرف مد وهى مدغمة فى اللام الثانية .

باستثناء السياقات الصوتية المذكورة فى الحالة الثانية من حالات الترقيق وصورها الفرعية الملحقة بها .

وإلى هذا كله أشار بعضهم بصورة مجملة بقوله :

ورقّق الراء إذا ما كسرت
كذاك بعد الكسر حيث سكنت
ما لم تكن من قبل حرف استعلا
أو كانت الكسرة ليست أصلاً

وإلى هنا يكفى أن نقرر أن ما أتينا به فى هذه العجالة أشبه بحسوة طائر من بحر العربية الزاخر بالسمات والصفات الصوتية التى تمنحها نوعا من التفرد وضرباً من الخصوصية ، وأن ما ذكرناه هنا مجردُ دلائل يسترشد بها الدارسون والراغبون فى الوقوف على شىء من أسرار لغتهم العربية .

**كمال بشر**

**عضو المجمع**

# صيغ الاسم الثلاثى المجرّد

للأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس المقيد بالمجمع

عرض أستاذنا السيد فريد أبو حديد على مؤتمر المجمع فى العام الماضى ملخصا للبحث الذى اشتركنا فى القيام به للجنة اللهجات وهو « بحث جموع التكسير للاسم الثلاثى » .

وقد بدا لنا ـ بعد هذا ـ أن نستكمل البحث بالرجوع إلى صيغ المفرد للاسم الثلاثى المجرد واستقرائها فى القرآن الكريم والقاموس المحيط للفيروزبادى ، رجاء الاهتداء بها فيما نحن بصدده من بحث طرق تكسيرها .

## رأى النحاة فى صيغ الاسم الثلاثى :

لجأ النحاة كعادتهم إلى القسمة العقلية وتصوروا للاسم الثلاثى المجرد اثنتى عشرة صيغة . رفضوا منها صيغتين فقط هما :

١ ـ « فعل » بضم فكسر مثل دئل اسم لدويبة . وذلك لأن هذا الوزن فى رأيهم قد قصد تخصيصه بالفعل المبنى للمجهول . ولكن يروى عن الليث أن « الوُعِل » لغة فى « الوَعِل » كما روى عنه كلمة « الرُئِم » .

٢ ـ « فعل » بكسر فضم . واعتبروا قراءة بعضهم « والسماء ذات الحِبُك » ـ على شذوذها ـ من تداخل اللغتين فى جزأى الكلمة .

ولكن من النحاة من أنكر فكرة تداخل اللغات هنا قائلا إن « حبك » بضمتين جمع حباك ، فى حين أن « حبك » بكسرتين مفرد ، ويبعد تركيب الاسم من مفرد وجمع .

ومنهم من اعتبر كسرة الحاء فى مثل هذه القراءة إتباعا لكسرة التاء فى « ذات » .

وهم فى كلتا الصيغتين المرفوضتين يعزون عدم ورود هذا فى صيغ الاسم الثلاثى لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم أو العكس . بل يقررون أن الانتقال من الكسر إلى الضم أثقل من الانتقال من الضم إلى الكسر .

أما فيما يتعلق بالصيغ العشر الأخرى فلا نكاد نلمح فى كلام النحاة ما يشم منه أن بعضها أكثر شيوعا فى اللغة من البعض الآخر ، إلا فى تلك الإشارة العابرة لسيبويه حين يشير إلى أن مثل « كتِف » أقل من مثل « فرَس » بكثير وأن مثل « عِنَب » أقل من « كتف » . ثم نراه يسوّى بين وزن « عضد » و « أُتُن » فى نسبة الشيوع ، ويعتبر وزن « صرد » بضم ففتح قليلا جدا ، ووزن « إبل » نادرا جدا ، بل يقرر أنه لم يرد

غير « إبل » فى كل اللغة . ولكن المتأخرين من النحاة يسوقون من هذا الوزن كلمات أخرى مثل « بلز » أى ضخم و « حبر » لصفرة الأسنان و « إبط » و « إطل » .. الخ

على أن سيبويه نفسه لم يعقد لصيغ الاسم الثلاثى بابا مستقلا ، بل اكتفى بالإشارة إليها حين عرض لجمعها جمع تكسير .

ولا نكاد نرى الصرفيين يتحدثون عن أصالة الصيغة إلا حين يكون للكلمة أكثر من نطق . فيقولون إن مثل « فَخِذ » هى الصورة الأصلية ثم تطورت إلى فَخْذ أو فِخْذ أو فِخِذ . ويعتبرون الصورة الأخيرة خاصة بالاسم الحلقى العين . أما مثل « كتف » فلا يجوز فيها سوى كَتْف وكِتْف .

وهم يلتمسون فى تفسير هذا التطور عللا لا تخلو من التكلف والتعسف . ويظهر أنهم تصوروا أن الأصل فى كل هذه الكلمات تحرك العين فيها . وقد بنوا هذه الأصالة فى بعض الكلمات على شهرة الوزن وشيوعه . فكلمة « فخذ » بفتح فكسر أشهر منها بفتح فسكون أو كسر فسكون ومع هذا فحين تصادفهم كلمات مثل « عسر » و « يسر » و « قفل » ويرونها بالسكون أكثر شيوعا وشهرة منها بضم العين ، يقولون إن عدم شهرة الصيغة الأصلية هنا وهى « عسر » و « يسر » لا سبب له سوى زيادة الثقل فى توالى الضمتين ، فدعا هذا إلى قلة استعمالها مع كونها أصلا .

ثم نرى فكرتهم فى الأصالة والفرعية تزداد اضطرابا حين يؤكد لنا الأخفش أن كل « فعل » بضم فسكون يجوز ضم عينه إلا ما كان صفة أو معتل العين . وحين يؤكد لنا عيسى بن عمر أن كل فعل « بضمتين » يجوز تخفيفه بالإسكان . وحين يقول لنا البصريون إن « الشَعْر » و « الشَعَر » لغتان مستقلتان . ويقول الكوفيون إن الأصل فيهما « فعل » بفتح فسكون وإن مثل هذه الصيغة يجوز فتح عينها إذا كانت العين من حروف الحلق ؛ وجعلوا هذا قياسيا .

وينسب النحاة كل هذه الفروع إلى تميم فيقولون : « وجميع هذه التفريعات لتميم . وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون » .

وهكذا نرى النحاة يتخذون من شهرة الصيغة دليلا على أصالتها ، ويجعلون تحرك العين فى الكلمة هو الأصل ؛ ثم لا يستقيم لهم هذا حين يطبقونه على مثل « فَخِذ » و « عُسْر » . كأنراهم يقتصرون فى فكرة الأصالة أو الفرعية على تلك الكلمات التى ورد لها أكثر من وجه .

## نسبة شيوع الصيغ :

ونحن أمام هذا الاضطراب والغموض اتجهنا إلى إعادة الاستقراء ، فرجعنا إلى القرآن الكريم واستقرأنا ما ورد فيه من الأسماء الثلاثية

فرأينا أن نسبة شيوعها تختلف اختلافا بينا . فأكثرها شيوعا هى « فعل » بفتح فسكون، إذ ورد منها فى القرآن نحو ٢٣٠ كلمة . ثم صيغة « فعل » بفتحتين ، فقد ورد لها نحو ٩٧ كلمة . ثم «فعل» بكسر فسكون وعدد كلماتها القرآنية نحو ٥٩ . ثم « فعل » بضم فسكون وكلماتها نحو ٣٧ . ثم «فعل» بضمتين وكلماتها نحو ١٧ كلمة .

أما باقى الصيغ فنادرة جدا تكاد تنحصر فى الكلمات الآتية :

رجل . عضد . سبع . ملك . كذب . لعب . عنب . إبل .

وهكذا نرى أن النسب المئوية لهذه الصيغ القرآنية هى :

فَعْل ٥١٪ فِعْل ٢٢٪ فُعْل ١٣٪ فَعَل ٩٪

ولم يبق لكل الأوزان الأخرى سوى نسبة ٥ ٪

وهذه نسب قريبة جدا من تلك التى وصلنا إليها باستقراء القاموس المحيط مستعينين ببعض طلبة الليسانس فى كلية دار العلوم . فقد جمعوا لنا من هذا المعجم نحو أربعة آلاف كلمة موزعة على حسب النسب الآتية :

فَعْل ٤٨ ٪ فَعَل ٢١ ٪ فِعْل ١٣ ٪ فُعْل ١١ ٪

ثم لا نكاد نرى الأوزان الستة الأخرى مجتمعة ما يجاوز نسبة ٧ ٪

## نشأة الاسم الثلاثى فى اللغات السامية :

نشأة الاسم الثلاثى وصيغه فى اللغات السامية ، يعتورها بعض الغموض . على أنه بمقارنة بعض هذه اللغات يمكننا أن نفترض لها فرضا معقولا مقبولا تؤيده الكلمات الثلاثية المشتركة بين بعض هذه اللغات السامية ، كما يؤيده سلوك هذه الكلمات فى تراكيب كل لغة واشتقاقها . وقد اكتفينا هنا بمقارنة العربية والعبرية والسريانية . وجمعنا نحو ٩٠ كلمة ثلاثية مشتركة فى اللفظ والمعنى بين العربية والعبرية . وبين هذه الكلمات التسعين نحو ٣١ كلمة لها نظائر فى لفظها ومعناها فى اللغة السريانية أيضا .

وقد اتضح لنا من عقد هذه المقارنة أن اللغة السامية الأولى قد تميز فيها أربع صيغ للاسم الثلاثى هى :

« فعل » بفتح فسكون ، «فعل» بفتحتين ، « فعل » بكسر فسكون ، « فعل » بضم فسكون .

وقد ورثت معظم اللغات السامية التى نعرفها هذه الظاهرة واحتفظت بها زمنا ما ، ثم تطورت فى بعضها على صور أخرى ؛ ولكنها ظلت ملتزمة إلى حد كبير فى العربية والعبرية . أما السريانية التى تعد من أحدث اللغات السامية

فقد استقر فيها الاسم الثلاثى على صورتين فقط فيهما العين ساكنة . وفى إحداهما فتحت فاء الكلمة وهى الكثيرة الشيوع ، وفى الأخرى كسرت فاؤها مثل :

نَفْس ، كَلْب ، رَجُل

ويكاد يجمع المستشرقون على اعتبار الصيغة العربية بمثابة الأصل ، منها يبدأون مقارنتهم ويفسرون الصيغ التى ترد فى الساميات الأخرى على أساسها . فهم مثلا يرجحون أن الصيغة الأصلية « فعل » بفتح فسكون ، قد حركت عينها أولا بحركة تشبه الكسرة أو الفتحة الممالة وهى التى تسمى فى العبرية بـ « السيجول » وذلك بسبب التخلص من التقاء الساكنين . ثم تأثرت حركة فاء الكلمة بحركة عينها وأصبحت مثلها مشكلة بالسيجول تبعا لظاهرة الانسجام بين حركات الكلمة الواحدة Vowel-harmony ، تلك الظاهرة التى شاعت فى تطور الصيغ والأوزان فى معظم اللغات السامية . وهكذا نشأت تلك الكلمات السيجولية فى اللغة العبرية مثل :

אֶרֶץ . כֶּלֶב

والدليل على أن أصل هذه الكلمات هو وزن « فَعْل » أننا نجد الكثرة الغالبة منها تعود إلى أصلها فى بعض حالات الإضافة مثل :

כַּלְבִּי כֶּלֶב

أما وزن « فعل » بضم فسكون و « فعل » بكسر فسكون فيظهر أنهما نوع واحد أو طائفة واحدة . وذلك للعلاقة الصوتية بين الضم والكسر . وقد دلت روايات اللهجات العربية القديمة على أن هاتين الحركتين قد تعتوران المكان الواحد من الكلمة مثل :

الرجز ، رُشاح . سخريا . منذ . مشط .

فاللهجات السامية بوجه عام لا تكاد تفصل بين هذه الكلمات ، بل تعاملها معاملة واحدة وتتخذ منها طائفة واحدة ذات سلوك واحد فى كثير من الظواهر اللغوية . ولهذا وردت لنا بعض الكلمات المتناظرة بين العربية والعبرية على هذا النحو :

חֹלֶם . חֹמֶץ

وقد تركت لنا هذه الظاهرة أثرها الواضح فى مجىء أفعال كثيرة من بابى : ضرب ونصر ، فى اللغة العربية ، بل وفى كلمات اللهجات الحديثة مثل :

ثُقل = ثِقل . حِضن = حُضن .

عِقد = عُقد . فُجل = فِجل

وكنطق العامة فى اللهجات : زُهُق . زِهِق . صُغُر . صِغير .

وأخيرا هناك طائفة مستقلة من الأسماء الثلاثية تميزت وحدها منذ القدم وظهر استقلالها حين تضاف إلى الضمائر فى اللغة العبرية كما ظهر

استقلالها فى جمعها جمع تكسير فى اللغتين العربية والحبشية وتلك الطائفة هى « فعل » بفتحتين .

فيقال فى العبرية זַנָב ذنبه . ويقال فى العربية « أذناب » وفى الحبشية « أزناب » .

ولم يشذ من تلك الكلمات التسعين المتناظرة بين العربية والعبرية سوى بضع كلمات يمكن تفسيرها . وأكتفى هنا منها بذكر كلمة רֶגֶל التى تناظر فى العربية « رِجْل » والتى وردت فى النصوص العبرية القديمة مضافة إلى الضمائر اى רַגְלִי ، רַגְלוֹ فقد كنا نتوقع أن تكون الكلمة العربية بفتح الراء .

ويظهر أن الأصل فيها هو هذا الضبط أى « رَجِل » . ومن هذا الأصل اشتقت كلمة « رِجْل » التى اختصت بها اللغة العربية دون سواها من الساميات الأخرى . فالكلمة القديمة « إنسان وإنس » قد تخصص معناها فى العبرية وأصبحت تعنى « الرجُل » فى صورة אִישׁ ولكن العربية فيما يظهر قد ربطت بين معنى الرجولة وبين القدرة على المشى على رجلين واقتبست عن طريق المجاز كلمة « الرَجِل » لتفيد معنى « الرجُل » فى وقت كانت فيه الصيغة الأصلية على وزن « فعل » بفتح فسكون أى « رَجْل » ثم كانت المخالفة بين الصيغتين خشية اللبس بين المعنيين . وخير دليل على أن الصيغة الأصلية كانت بفتح فسكون هو ما نراه فى معاجمنا من أن كلمة « الرجُل » يجوز أن ينطق بها « الرجِل » وأن « الرجِل » هو الراجل أيضا ومؤنثه « رجلة » . أما كيف ضمت الجيم فهذا أمر آخر سنعرض له فيما بعد .

## الأسماء الثلاثية فى اللهجات الحديثة :

وقد رأينا قبل ترجيح رأى فى شأن هذه الأسماء الثلاثية أن نتتبع أشهرها فى اللهجات العربية الحديثة . فعرضنا على نحو ألف من الناطقين بها ( معظمهم من المصريين ) مجموعة من أشهر الكلمات المشتركة فيها جميعا ( نحو ١١٠ كلمة ) . وعنينا فى هذا الاستفتاء بنواحى القطر المصرى . فاتضحت لنا ظواهر تستحق النظر والدراسة ، منها :

١ — أن الأسماء الثلاثية التى على وزن « فعل » بفتحتين لا تكاد تختلف فى نطق الأمم العربية جميعا فيما عدا مراكش التى يكتفى فيها بتحريك عين الكلمة فى كثير من الأحيان فيقولون مثلا : قَمَر .

ويدل هذا على أن هذه الطائفة من الأسماء قد روعى استقلالها وتميزها فى العصور القديمة . وظلت متميزة حتى الآن فى لهجات الناس .

٢ — أما تلك الكلمات الثلاثية التى سكنت عينها فهى التى اختلفت فيها اللهجات الحديثة فبعض اللهجات تميل إلى تحريك العين فى حالة الوقف مثل بُرُج تِبِن بَطِن وَقُبِر وَبَحَر .

والبعض الآخر تبقى على سكونها .

وقد تبين لنا من الاستقراء أن لهجات القطر المصرى بوجه عام تميل إلى تسكين عين الكلمة . غير أنه فى مديرية الشرقية : جهة أبى حماد ونواحى إنشاص وحدود الزقازيق ، قد نجد ظاهرة تحريك العين فيقولون مثلا : بَطِن . تِبِن . رُبُع .. الخ . وفى أسيوط نلحظ فى بعض جهاتها أثر تحريك العين ثم يزيد أثر تحريك عين الكلمة كلما تعمقنا فى الوجه القبلى حتى نرى جهات مثل كيمان المطاعنة فى إسنا ، والكرنك فى نجع حمادى يلتزمون هذا التحريك .

وإذا كان لنا أن نحكم على الأمم العربية الأخرى بهذا الاستقراء - على ما به من نقص - نلحظ أن العراق أميل بوجه عام إلى الإسكان ، وكذلك لبنان وسوريا وطرابلس الغرب واليمن . وأوضح البلاد فى تحريك العين شرق الأردن وفلسطين والسودان ونجد .

وعلى كل حال يتبين لنا من كثرة اللهجات التى تحرك عين الكلمة وانتشارها فى جهات متباعدة أن ظاهرة تحريك العين ظاهرة قديمة ورثتها اللهجات الحديثة عن قبائل عربية قديمة اشتهرت بها والتزمتها فى نطقها . بل نستطيع ونحن مطمئنون أن نرجح أن تلك الكلمات التى وردت فى معاجمنا محركة العين - وقيل لنا إنه يجوز فيها إسكان العين - ليست فى الحقيقة إلا نتيجة هذه الظاهرة فى عصور ما قبل الإسلام ، ثم إشتهر نطقها بالتحريك وغلب على الأصل الساكن مثل :

كَبِد . نخذ . سَبُع . ملك .

والدافع الأساسى لظاهرة التحريك هو محاولة التخلص من التقاء الساكنين عند الوقف . أما الذى قد يعين الحركة فيجعلها الضمة أو الكسرة أو الفتحة فهو أحد عاملين :

١ ) طبيعة الحرف المراد تحريكه .

٢ ) انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات .

وفى معظم الحالات التى أصل الكلمة فيها سكون العين نلحظ أن اللغة العربية المشتركة قد أبقت على التسكين حتى فى حالات الوقف . ويكفى أن نستمع لبعض آيات من سورة الطارق وسورة الفجر وسورة القدر ، لندرك أن نظام الفواصل القرآنية قد حتم تسكين العين فى مثل هذه الكلمات :

« والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذى حجر » .

ولا نعرف أن القرآن قد ترك هذا التسكين مع جوازه إلا فى بضع كلمات قديمة يبدو أنها تطورت قبل استقرار اللغة المشتركة فى جزيرة

العرب مثـــل :

رجل . سبع ، عضد . ملك . إبل . لعب . كذب .

أما تلك الكلمات السبع عشرة التى وردت فى القرآن الكريم بضمتين مع جواز تسكين عينها فهى :

أفئدة . أكل . حلم . ثلث . دبر . ربع . زبر . سدس . شغل . عنق . هزؤ . أذن . نسك . ظفر . عمر . قدس . نصب .

وأغلب الظن أن نطق هذه الكلمات بضمتين نطق طارئ على البيئة الحجازية : البيئـــة الأصلية للغـــة العربية المشتركة . فالأصل فيها جميعا أن تكون بضم فسكون . وبقى هـــذا الأصل مسموعا فى البيئة الحجازية ، ورواه عنها علماء اللغة . فمن نصوصهم قولهم : « إن توالى الثقيلين أى الضمتين أو الكسرتين سبب فى تخفيف مثل « عنق » و « إبل » بتسكين الحرف الثانى فيهما . والتخفيف فى مثل الكلمة الأولى أكثر ، وهو حجازى » .

ولكن هـــذا الأصـــل قد تطور فى بيئة أخرى من البيئات البدوية التى تتبع العين الفاء فى حركتها . ولعل القدماء حين قالوا إن كل هذه التفريعات لتميم قد رمزوا باسم تميم إلى القبائل البدوية التى نعرف أن التطور اللغوى فيهـــا بوجه عام أسرع وأكثر . ولذا لاندهش حين نرى قبائل البدو حتى الآن تميل إلى تحريك الساكن من الكلمات الثلاثية فتقول : بَطِن تَبِن . بُرُج . بَحَر . ولقد ظهر لنا من دراسة كثير من النصوص القديمة التى نسبت إلى تميم أنهـا تمثل القبائل البدوية بوجه عام لا قبيلة تميم وحدها ، ولا سيما حين يقال هذه لتميم وتلك للحجاز .

وعلى هـذا تكون اللغة المشتركة قد قبلت هذا النطق البدوى الأصـل فى تلك الكلمات السبع عشرة بالذات . وإلا فكيف نعلل ورود نحو ٥٩ كلمة على وزن « فعل » بكسر فسكون فى القرآن الكريم ، ونحو ٢٣٠ كلمة على وزن « فعل » بفتح فسكون ، وقد كان من الممكن أن يرد معظم هذه الكلمات محرك العين ؟

نخلص من كل ما تقدم إلى أن اللهجات العربية القديمة قد انحدرت إليها الأسماء الثلاثية على صور ثلاث :

١ ) فعل بفتح فسكون .

٢ ) فعل بفتحتين .

٣ ) فعل بضم أو كسر فسكون .

وبقيت على صورها القديمة فى البيئة الحجازية ـ مهد اللغة العربية المشتركة ـ فى غالب الأحوال . ولكنهـا بدأت تتطور فى بعض اللهجات الأخرى بتحريك العين فى عصور سبقت تكون اللغة المشتركة أو استقرارها .

ونتصور حينئذ أن تكون الصيغ الفرعية على الوجه الآتى :

١ ) فُعْل بضم فسكون يمكن أن تتطور إلى « فُعُل » بضمتين .

٢ ) فِعْل بكسر فسكون يمكن أن تتطور إلى « فِعِل » بكسرتين .

٣ ) فَعْل بفتح فسكون يمكن أن تتطور إلى « فَعِل » بفتح فكسر أو « فَعُل » بفتح فضم أو « فَعَل » بفتحتين .

وعلى هذا لا يصح أن تعد الأوزان التى على مثل « عِنَب وصُرَد » من صيغ الاسم الثلاثى ؛ فإذا ثبتت فيها كلمة أو كلمات بحثناها بحثا مستقلا واعتبرناها من غرائب اللغة .

ومن المرجح أن جميع الكلمات العربية التى اشتهرت على صيغة من تلك الصيغ الفرعية قد تكونت صورتها الجديدة فى بيئة بدوية ، ربما قبل استقرار اللغة المشتركة ؛ ثم شاع أمرها على هذه الصورة الجديدة واقتحمت حصون اللغة المشتركة.

أما لماذا اقتصرت هذه الشهرة على تلك الكلمات بالذات فأمر مرجعه إلى الظروف الخاصة بتداول كل كلمة ، تلك الظروف التى نجهلها جهلا تاما .

فكل ما كان مثل ( عُنُق وإبِل وفَخِذ وعَضُد ) فرعى الصيغة . أما صيغة « فَعَل » بفتحتين فقد اختلطت فيها الصورة الأصلية بالصورة الفرعية . ومن اليسير هنا التعرف على الأصالة والفرعية حين نستعين بشهرة النطق وكثرة الاستعمال ، متذكرين أن وزن ( فَعْل ) بفتح فسكون يمكن أن يصير فى بعض الأحيان (فَعَل) بفتحتين وليس العكس . أى لا يصح أن نتصور كلمة مثل « جَمَل » يمكن أن تتطور إلى (جَمْل) ؛ لأن الأسماء التى من هذا النوع أى بفتحتين قد كونت طائفة مميزة منذ القدم فى معظم اللغات السامية ، ولا تزال متميزة فى لهجاتنا الحديثة .

وأخيرا إذا كان لنا أن نتخذ من اللهجات الحديثة ما نستدل به على حال اللهجات القديمة فإنه من الممكن أن نرجح الرأى القائل بأن أصحاب المعاجم قد أسرفوا فى الوجوه التى ذكروها لبعض الأسماء الثلاثية ، مثل كلمة « المشط » التى رووا لها ستة وجوه . ويبدو هذا الإسراف واضحا حين نذكر ما رووه عن كلمة « أصبع » من أنها كانت تنطق على عشر صور . فللفروق بين اللهجات حدود ونظام معقول . ومع كل فنحن نحمد الله أن ما روى من هذا النوع نادر فى لغتنا العربية ؛ بل إن ما روى من الأسماء الثلاثية مخالفا للأوزان الأربعة الأصلية : فَعْل . فَعَل وفِعْل وفُعْل لا يكاد يجاوز فى كل اللغة نسبة ٧ ٪ .

# المنهج الوظيفي لظاهرة التثنية

للدكتور عبد الرحمن محمد إسماعيل

**تمهيـــد**

مما لا شك فيه أن التثنية ظاهرة سامية حفلت بها الساميات كافة بيد أن أداءها فى العربية يغاير ـ تماما ـ طرق أدائها فى غيرها من الساميات . ومرد ذلك أن العربية أوسع منها طرقا ، وأشمل منهجا ، من هنا جاءت التثنية فيها واضحة المعالم ، محددة الأهداف ، إذ أقسامها بينة . ودلالاتها بادية وقضاياها ظاهرة مجلاة .

وربما وجد القارىء فى هذه الدراسة ما يصحح بطلان بعض مزاعم القوم من أنه لا بد لكل مفـــرد مثنى أو العكس ، ضرورة أن يكون لكل أصـــل فـــرع أو العكس ، بل ربما يتوهم بعض الدارسين أن التثنية لا تتجاوز فى الأداء العربى طريقا أو إعرابا واحدا ، أو دلالة واحدة وهذا الزعم ، أو ذاك التوهم قد قصدت هذه الدراسة إلى دفعه ، وتفصيل القول فيه ، حيث المثنى يوظف كثيرا فى حقيقته تارة ، وقد يوظف فى غيرها أخرى وذلك حين يتقارض مع أصـــله ( أعنى المفرد ) أو مع فرعه ( أعنى الجمع ) وهذا ضرب من التوسع أو المجاز فى الاستعمال الذى لا يكاد يقف عليه إلا الخاصة من علماء هذه اللغة ، ولا يحيط به علما إلا من دقق النظر ورجّع البصر كرتين فى عوالى أساليب العرب

وفى لآمل صيرورة هذه الدراســـة مضمارا فسيحا لنماء لغة الدارسين من طلاب العربية ، ومفتاحا جديدا لطرق أبواب النحو العربى على نحو توظيفى يحل كثيرا من مشكلات مسالك التعبير فى العربية ، ويوجه بيانه وجهة صحيحة سليمة ، حيث كتب النحو ـ وحدها ـ قاصرة عن إبراز كل جوانب هذه الظاهرة ولن تكون بارزة . جد البروز إلا أن تتعاون معها كتب اللغة والأدب والأعاريب والتفاسير ، كما سلكت فى منهجى هذا .

إن هذه الدراسة لم تخل من اجتهاد مبنى على أصول هذه اللغة ووجوهها الفصيحة ، وحسبى فيه أن الاجتهاد باب مفتوح فى وجه أهل النظر ما دامت انطلاقاته مستوحاة من نصوص الفصحى .

لذلك جاءت هذه الدراســـة بفضل من الله وتوفيق شاملة لنواحى التثنية فى منهجها الوظيفى ، وقـــد استقصيت فيه أساليب

المثنى حقيقية كانت أو مجازية مؤملا أن يفيد بها أبناء العربية وطلابها من غير الناطقين بها ، وذلك فى تقـــويم ألسنتهم وتنويع بيانهم ؛ والله من وراء القصد ، وهو المستعان .!

**تعريف المثنى :**

المثنى لغة : أصله المعطوف ؛ من ثنيت العود : إذا عطفته[1] وفى الاصطلاح : لفظ دال على اثنين بزيادة فى آخره ، صالح للتجريد وعطف مثله عليه[2] .

ومن ذلك الحد يبدو لنا القصد من التثنية وهو الاقتصاد ، أو الإيجاز حيث قامت الزيادة ، وهى حرفان ( الألف والنون رفعا ) والياء والنون نصبا وجرا مقام العاطف والمعطوف ؛ نحو جـاء الشاهدان ورأيت الشاهدين ، ومررت بالشاهدين .

يقول عبد القاهر الجرجانى : اعلم أن التثنية والجمع يقصد بها الاختصار الإيجاز فكان الأصـــل أن يقال : جاءنى زيد وزيد إلا أنهم رأوا ذلك يطول ، إذا كان التثنية يتبعها الجمـــع ، فكان يجب أن يقال : زيد وزيد وزيد إلى ما يطول جدا فقالوا : الزيدان ، والزيدون ، فجعلوا الألف ( يعنى فى المثنى ) والواو ( يعنى فى جمع المذكر ) عوضا عن ضم الاسم إلى الاسم فحصل المعنى مع اختصـــار اللفظ .

وقريب من هذا ما حكى من أن عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه ؛ قيل له بعد وفاة أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — يا خليفة خليفة رسول الله ، فقال : هذا أمر يطول ، أنتم المؤمنون ، ونحن أمراؤكم ، فخوطب بأمـــير المؤمنين ، وإنما اختار ذلك كراهية التكرير ؛ إذ كان يجب أن يقال بعده : يا خليفة خليفة خليفة رسول الله ، إلى ما لا نهاية له ، كما كان يجب أن يقال : زيد وزيد ، فالمتجنب هو التكرير فى الموضعين ، وقد يجىء ذلك فى الشعر كقوله :

كأن بين فكّها والفـــكّ .
فارة مسك ذبحت فى سُك

كان الظاهر أن يقول : كأن بين فكيها إلا أنه عدل إلى التكرير لأجل الشعر ، وحسن ذلك أن أحدهما مضاف ، والثانى

---

(١) التصريح ١ / ٦٦ .
(٢) ابن عقيل بحاشية الخضرى ١ / ٣٦ .

فيه الألف واللام ، لو قال : كأن بين فكها وفكها كان أقبح [1] :

وقال ابن الشجرى : التثنية والجمع المستعملان بالحرف أصلهما التثنية والجمع بالعطف : فقولك : جاء الرجلان ، ومررت بالزيدين ، أصله : جاء الرجل والرجل ومررت بزيد وزيد ، فحذفوا العاطف والمعطوف : وأقاموا حرف التثنية مقامهما اختصارا : وصح ذلك لاتفاق الذاتين فى التسمية ، بلفظ واحد ، فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرير بالعاطف كقولك : جاء الرجل والفرس ، ومررت بزيد وبكر ، إذ كان ما فعلوه من الحذف فى المتفقين يستحيل فى المختلفين [2] .

ويفهم من كلام ابن الشجرى أن العطف بالواو نوع آخر من التثنية والجمع فى اللغة إلا أنه يتعين فيما اختلف لفظه من الأسماء المعطوفة .

**اقسام المثنى :**

تنقسم التثنية إلى ثلاثة أضرب :

( ا ) تثنية لفظية معنوية .

(ب) وتثنية معنوية وردت بلفظ الجمع .

(ج) وتثنية لفظية كان حقها التكرير بالعطف .

فالضرب الأول عليه معظم الكلام كقولك فى رجل : رجلان ، وفى زيد زيدان .

والضرب الثانى : تثنية آحاد ما فى الجسد كالأنف والوجه والبطن والظهر ؛ تقول : ضربت رؤوس الرجلين ، وشققت بطون الجملين ، ورأيت ظهوركما ، وحى الله وجوهكما ، فتجمع وأنت تريد رأسين وبطنين ووجهين ، ومن ذلك فى التنزيل قوله جل ثناؤه « فقد صغت قلوبكما »[3] وجروا على هذا السنن فى المنفصل عن الجسد ، فقالوا : مد الله فى أعماركما ، ونسأ الله فى آجالكما ، ومثله فى المنفصل فيما حكاه سيبويه : ضع رحالهما .

ومن العرب من يعطى هذا كله حقه من التثنية فيقولون : ضربت رأسيهما ، وشققت بطنيهما .... ومما ورد بهذه اللغة قول الفرزدق :

بما فى فؤادينا من الشوق والهوى

---

(١) انظر شرح المقتصد للجرجانى ١ / ١٨٣ — ١٨٤ ، وشرح المفصل ٥ / ٢ ، والخزانة ٣ / ٣٤٠ ، ٣٤٢ .

(٢) الأمالى الشجرية ١ / ١٠ .

(٣) التحريم / ٤

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ

كنوافذ العبط التي لا ترفع

والجمع في هذا ونحوه هو الوجه كما جاء في التنزيل« قالا ربنا ظلمنا أنفسنا »[1].

هذا وقد جمع حميان بن قحافة بين اللغتين في قوله :

ومهمهين قذفين مرتين

ظهراهما مثل ظهور الترسين

فقال : ظهراهما بالتثنية ثم أعقبه بالجمع في ( ظهور الترسين) وربما استغنوا في هذا النحو بواحد ؛ لأن إضافة العضو إلى اثنين تنبيء عن المراد كقولك: ضربت رأس الرجلين ، وشققت بطن الجملين ، ولا يكادون يستعملون ذلك إلا في الشعر وأنشدوا عليه قول الشاعر :

كأنه وجه تركيين قد غضبا

مستهدفين لطعن غير تذبيب

قال سيبويه : وسألته يعني الخليل عن قولهم : ما أحسن وجوههما فجمعوا وهم يريدون اثنين ، فقال : لأن الاثنين جمع وهذا بمنزلة قول الاثنين: نحن فعلنا ، ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون مفردا ؛ وبين ما يكون شيئا من شيء ، والقول في تفسير هذه الحكاية إنهم قالوا ما أحسن وجوه الرجلين ؛ فاستعملوا الجمع موضع الاثنين: كما قال الاثنان : نحن فعلنا[2]، ونحن هو ضمير موضوع للجماعة ؛ وإنما استحسنوا ذلك لما بين التثنية والجمع من التقارب من حيث كانت التثنية عددا تركب من ضم واحد إلى واحد ؛ وأول الجمع وهو الثلاثة تركب من ضم واحد إلى اثنين ؛ فلذلك قال الخليل : إن الاثنين جميع .

فأما ما في الجسد منه اثنان ، فتثنيته إذا ثنيت المضاف إليه واجبة ، تقول : فقأت عينيهما ، وقطعت أذنيهما ، لأنك لو قلت أعينهما وآذانهما لالتبس بأنك أوقعت الفعل بالأربع .

فإن قيل : فقد جاء في القرآن « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »[3] فجمع اليد وفي الجسد يدان ؛ فهذا يوجب بظاهر اللفظ إيقاع القطع بالأربع .

والجواب : أن المراد فاقطعوا أيمانهما وكذلك هي في مصحف عبد الله فلما علم بالدليل الشرعي أن القطع محله اليمين ،

---

(١) الأعراف / ٢٣ .

(٢) المائدة / ٣٨ .

وليس فى الجسد إلا يمين واحدة جرت مجرى آحاد الجسد فجمعت كما جمع الوجه والظهر والقلب .

والضرب الثالث من ضروب التثنية : تثنية التغليب . وذلك أنهم أجروا المختلفين مجرى المتفقين بتغليب أحدهما على الآخر لخفته أو مشهرته . جاء ذلك فى أسماء مسموعة صالحة كقولهم للأب والأم الأبوان ، وللشمس والقمر : القمران : ولأبى بكر وعمر العمران : غلبوا القمر على الشمس لخفة التذكير . وغلبوا عمر على أبى بكر ؛ لأن أيام عمر امتدت : وروى أنهم قالوا لعثمان — رضوان الله عليه — نسألك سيرة العمرين ؛ وقال الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم
لنا قمراها والنجوم الطوالع

أراد : شمسها وقمرها ، وعنى بالشمس إبراهيم عليه السلام ؛ وبالقمر محمدا — صلى الله عليه وسلم — وبالنجوم عشيرة النبى عليه السلام ، وكذلك أراد المتنبى بالقمرين : الشمس والقمر فى قوله :

واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتنى القمرين فى وقت معا

وقيل فى قوله : « يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين »[1] إن المراد المشرق والمغرب ؛ فغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين . وقالوا لمصعب بن عمير وابنه : المصعبان . وقالوا لعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب : الخبيبان ؛ وكان عبد الله يكنى أبا خبيب : قال أبو نخيلة يمدح الحجاج ويعرض بعبد الله بن الزبير :

قدنى من نصر الخبيبين قدى
ليس الإمام بالشحيح الملحد[2]

**شروط المثنى القياسى الذى طريقه الزيادة :**

يرى جمهور النحاة أن المثنى القياسى الذى طريقه زيادة الألف والنون رفعا ، والياء والنون نصبا وجرا أنه لا بد من أن تتوفر فيه شروط ثمانية جمعها بعضهم فى قوله :

شرط المثنى أن يكون معربا
ومفردا منكرا ما ركبا
موافقا فى اللفظ والمعنى له
مماثل لم يغن عنه غيره[3]

---

(١) الزخرف / ٣٨ .

(٢) انظر الأمالى الشجرية ١ / ١١ — ١٤ ، وإعراب القرآن للزجاج ٣ / ٧٨٧ — ٧٩٠ وكتاب ليس فى كلام العرب لابن خالويه / ٣٣٩ وما بعدها ، وشرح جمل الزجاجى لابن عصفور ١ / ١٣٧ ، الخزانة ٣ / ٣٦٩ وما بعدها . وشرح المفصل لابن يعيش ٤ / ١٥٥ وما بعدها .

(٣) حاشية الخضرى ١ / ٤٠ ، وانظر التصريح بحاشية يس ١ / ٦٧ .

ومن هذه الشروط يمكن بيان ما يثنى وما لا يثنى فى العربية :

**اولا : ما يثنى :**

( ا ) المفرد المذكر اسما نحو : الزيدان فى ( زيد ) ، أو صفة نحو : المسلمان فى ( مسلم ) :

والمفرد المؤنث اسما نحو : الهندان فى ( هند ) ، أو صفة نحو المسلمتان فى مسلمة .

أما الجمع المكسر الذى ليس على صيغة الجمع الأقصى فالقياس يأبى تثنيته وذلك أن الغرض من الجمع الدلالة على الكثرة ، والتثنية تدل على القلة ، فهما معنيان متدافعان ولا يجوز اجتماعهما فى كلمة واحدة ، وقد جاء شىء من ذلك عنهم على تأويل الإفراد ، قالوا : إبلان وغنمان وجمالان ، ذهبوا بذلك إلى القطيع الواحد ، وضموا إليه مثله فثنوه ، أنشد أبو زيد :

هما إبلان فيهما ما علمتم
فمن أيها ما شئتم فتنكبوا

وقالوا : لقاحان سوداوان ، حكاه سيبويه ، وإنما لقاح جمع لقحة ، وقالوا : جمالان على تأويل قطيعين قال عمرو ابن العداء الكلبي :

لأصبح الحى أوبادا ولم يجدوا
عند التفرق فى الهيجا جمالين

فالتثنية تدل على افتراقها قطيعين أو صنفين صنفا لترحلهم يحملون عليها أثقالهم وصنفا لحربهم يركبونه إذ جنبوا خيلهم ، ولو قال : لقاح أو جمال لفهم منه الكثرة إلا أنه لا يدل على أنها مفترقة قطيعين ، إلا أنه فى ( إبلان ) أسهل لأنه جنس فهو مفرد . وليس بتكسير كجمل وجمال ، ومن ذلك قول أبى النجم :

تبقلت فى أول التبقل
بين رماحى مالك ونهشل

فقد أفاد بتثنية ( رماح ) افتراق رماح بنى مالك من رماح بنى نهشل ؛ وأما قوله عليه السلام : « مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين » فإنه شبه المنافق ، وهو الذى يظهر أنه من قوم وليس منهم بالشاة العائرة ؛ وهى المترددة بين الغنمين أى بين القطيعين لا تعلم من أى القطيعين هى ؛ يقال سهم عائر ، وحجر عائر إذا لم يعلم من أين هو ؛ ولا من رماه[1].

هذا — وقد ورد فى فصيح الكلام — تثنية اسم الجمع مثل : ركب وركبان ، قال جل ثناؤه : « قد كان لكم آية فى فئتين »[2].

---

(١) انظر شرح المفصل ٤ / ١٥٣ وما بعدها ، والخزانة ٣ / ٣٨١ وما بعدها .
(٢) آل عمران / ١٣ .

وقال : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان »[1] .

(ب) المركب الإضافى يثنى صدره دون عجزه استغناء بتثنية المضاف عن تثنية المضاف إليه ؛ نحو هذان غلاما محمد ؛ وجاريتاه ؛ كما جاء جمعه فى قوله « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا »[2] فقد جمع المضاف وهو عبد ، دون المضاف إليه وهو الرحمن[3] .

**ثانيا : ما لا يثنى :**

قد يزعم البعض أنه لا بد لكل مفرد من مثنى ؛ أو بعبارة أخرى أنه لا بد لكل مثنى من مفرد ، لكن بإمعان النظر فى أساليب الفصحى يبدو عدم صحة هذا الزعم حيث يوجد فى العربية كلمات لم يرد عن الفصحاء تثنيتها أو جمعها ، وذلك لأسرار وأسباب نجملها فى الآتى :

الأول — إذا أفاد اللفظ العموم بأن كان يصلح للمثنى أو الجمع امتنعت العرب من تثنيته أو جمعه ؛ حيث لم تزد التثنية أو الجمعية شيئا على مفهومه الوضعى ؛ وهذا النوع يشمل الألفاظ او الأجناس التالية :

١ — لفظى كل وبعض ، فلا يقال : كلان وبعضان لعدم الفائدة من تثنيتهما لإفادتهما — وضعا — العموم ؛ حيث لا يعطيان بعد التثنية إلا ما يعطيان قبلها من الكلية والبعضية .

٢ — ما لزم النفى من الألفاظ المتوغلة فى التنكير ؛ لإفادة العموم ، إذ كل نكرة بعد النفى تصدق على كثيرين فلا فائدة من تثنيتها أو جمعها ؛ وينحصر هذا النوع فى إحدى وعشرين كلمة تذكر منها الآتى :

( عريب ) : أى ما بها معرب يبين كلامه ويعربه فلا يقال فيه : عريبان بل يلزم الإفراد .

( ديار ) : قال تعالى : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا »[4] وقد

---

(١) الأنفال / ٤١ .

(٢) الفرقان / ٦٣ .

(٣) انظر التصريح بحاشية يس ١ / ٦٦ ؛ وابن عقيل بحاشية الخضرى ١ / ٤٠ ؛ وكتاب ليس فى كلام العرب / ٣٤٠ ؛ والمقرب لابن عصفور ٢ / ٤٢ / ٤٣ ؛ وشرح جمل الزجاجى لابن عصفور ١ / ١٣٩ .

(٤) نوح / ٢٦ .

استعمله ذو الرمة فى الواجب فى قوله :

إلى كل ديار تعرفن شخصه
من القفر حتى تقشعر ذوائبه

فلا يقال فيه ديار ان .

( دارى ) : منسوب إلى الدار ؛ و( دُورى ) منسوب إلى الدُّور ؛ يقال ما بها دُورى أى أحد ؛ و( طُورى ) منسوب إلى جبل الطور ؛ يقال ما بها طورىّ : أى ما بها إنسى ولا وحشىّ ؛ و( طاوى ) يقال : ما بها طاوى ، وأرم وأريم وكتيع وكتّاب ودُعْمُوى ، وشُفْر يقال ما بها شُفر أى ما بها قليل ؛ ودُبّى ، وتامور : يقال : ما بها تامور : أى أحد ، ..[1] .

٣ ــ المصادر ؛ وذلك لصلاحيتها للمفرد وللمثنى وللجمع يقال : رجل عــدل ورجلان عدل ورجال عدل ؛ ومنه قوله : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب »[2] فقال خصم ولم يقل الخصوم ؛ لإفادة ( خصم ) معنى الجمع وصلاحيته له لذلك أعاد الضمير عليه جمعا فى قوله « تسوروا » حملا على المعنى .

ومنه لفظ ( كافة ) لأنه مصدر جاء على فاعلة مثل عامة ؛ قال عز وجل « ادخلوا فى السلم كافة »[3] وقال سبحانه : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة »[4] فهى مصدر منكر مؤنث مفرد . فلا تدخله الألف واللام . ولا تضاف إلى معرفة ؛ وأما قول الفقهاء : هذا مذهب الكافة ، وهو قول الكافة ؛ ويقولون : هذا مذهب كافة العلماء ؛ فيضيفون ( كافة ) ومرادهم بذلك الجميع ؛ فهذا غلط .

قال الفراء : ( كافة ) معناه : جميعا و( كافة ) لا تكون مذكرة ولا مجموعة ولا يقال : كافين ولا كافات ؛ لأنها وإن كانت على لفظ فاعلة ، فإنها فى تأويل المصدر مثل : العاقبة : ( العقاب ) والعافية : ( العفو ) والباقية : ( البقاء ) الخ .

ولذلك لم تدخل فيها العرب الألف واللام ؛ لأنها فى معنى قولك : قاموا معا ؛ وقاموا جميعا .

---

( ١ ) انظر الخزانة ٣ / ٢٩٥ وما بعدها .

( ٢ ) ص / ٢١ .

( ٣ ) البقرة / ٢٠٨ .

( ٤ ) التوبة / ٣٦ .

وقال الزجاج : (كافة ) منصوب على الحال ؛ وهو مصدر على فاعلة . . . ولا يجوز أن يثنى ولا يجمع ، كما إذا قلت قاتلوهم عامـة ؛ لم يثن ولم يجمع ؛ وكذلك خاصة[1] .

وكذلك لفظ ( نهيك ) فى قولهم : هذا رجل نهيك من رجل ؛ كما تقول هذا رجل حسبك من رجـل ، لم تثن ولم تجمع لأنه مصدر[2] .

من هنا يتجلى لنا أن المصدر لا يجوز تثنيته ولا جمعه إذا لم يرد به التنويع وذلك لإفادته الكثرة والجنسية ؛ وما شأنه كذلك لا فائدة من تثنيته أو جمعـه لأن عطاءه بعدهما كعطائه قبلهما ، فهو مما يصلح للواحد وغيره والمذكر وغيره ؛ فالعرب تقول : ماء غور ، وبئر غور ؛ وماءان غور ، لا يثنون ولا يجمعون ؛ لا يقولون : ماءان غوران ؛ ولا مياه أغوار ، فغور بمنزلة الزور يقال : هؤلاء زور فلان ؛ وهؤلاء ضيف فلان ؛ والمعنى : هؤلاء زواره وأضيافه ، وذلك لأنه مصدر أجرى مجرى : قوم عدل ، وقوم رضا . . . إلخ[3] .

وبعد : فالمصدر الذى يمتنع تثنيته أو جمعه مشروط بأمرين :

الأول : أن لا يراد به التنويع ، فإن أريد به ذلك جاز تثنيته وجمعه نحو : هذان تنوينان ، وهذه تنوينات . . إلخ فيراد بالمثنى نوعان من التنوين ، ويراد بالجمع أنواعه المختلفات .

الثانى : أن يكون مؤكداً لعامله ، فإن كان مبينا لنوعه أو عدده جاز تثنيته أو جمعه قال ابن مالك :

وما لتوكيد فوحـد أبـدا ... وثن واجمع غـيره وأفردا

ونعتوا بمصـدر كثـيرا ... فالتزموا الإفراد والتذكيرا

٤ — ما تضمن معنى الفعل أو المصدر نحو : ( أفعل من ) ؛ لأن معنى قولك : زيد أفضل من عمرو : زيد يزيد فضله على عمرو[4] .

---

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووى ٤ / ١١٧

(٢) المرجع السابق ٤ / ١٧٤ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ٣ / ١٧٢ ؛ أسرار ومفاهيم دقيقـة حول ظاهـرة التنوين للباحث ٢٢ — ٢٣ .

(٤) شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ١ / ١٣٨ .

لذا ترى ( أفعـــل من ) فى الاستعمال لايطابق موصوفه وهو المفضل : تقول : زيد أفضل من عمرو ؛ والزيدان أفضل من عمرو ، والزيدون أفضل من عمرو ، وهند أفضل من أختها ؛ والهندان أفضل من أختهما ، والهندات أفضل من أختهن فانظر كيف لزم ( أفعل من ) فى الأمثلة الإفراد والتذكير والتنكير ؟ ؛ لكونه متضمنا معنى الفعل والمصدر ؛ وكلاهما لا يثنى ولا يجمع مع المثنى والجمع . قال ابن مالك :

وإن لمنكور يضيف أو جردا
ألزم تذكيرا وأن يوحـــدا

— كذلك يلزم ضمير الغائب الإفراد والتذكير فى المواطن الآتية :

* إذا كان مجرور بـــ ( رب ) نحو قومهم ربه رجلا ورجلين ورجالا وربه امرأة وامرأتين ونساء ؛ بتوحيد الضمير فيها ؛ وإنما لزم الإفراد حيث عوضوا عن تثنيته وجمعه بتثنية وجمع التمييز وهم لايجمعون بين العوض والمعوض عنه ، ومنه قول الشاعر :

ربه فتيةً دعـــوت إلى ما
يورث المجد دائمـــا فأجابوا

فقد أفرد الضمير استغناء عن جمعه بجمع التمييز بعده .

ولزوم الضمير مع ( رب ) الإفراد والتذكير هو مذهب البصريين ، وحكى الكوفيون جواز مطابقته لفظا نحو : ربها امرأة ؛ وربهما رجلين وربهم رجالا ؛ وربهن نساء[1] .

* فاعل ( أفعل ) فى التعجب نحو : ما أحسن زيدا — والزيدين والزيدين . وما أجمل هندا — والهندين والهندات ، ففاعل (أحسن) فى الأمثلة مفرد مذكر مستتر وجوبا وإنما لزم الإفراد لأنه يعود على المبتدأ وهو مفرد ، وتقديره : شىء حسن زيدا ، أو الذى حسن زيدا شىء عظيم ؛ ولم يعد على المتعجب منه .

* اسم ليس ولا يكون فى الاستثناء نحو : قاموا وليس زيدا والزيدين والزيدين . ولايكون زيدا والزيدين والزيدين وكذلك فاعل ( عدا وخلا وحاشا ) فى الباب نفسه وإنما لم يجز تثنية اسم ليس ولا يكون هنا لإجرائه مجرى بعض أو الجنس وكلاهما لا يثنى ولا يجمع .

---

(١) انظر التصريح ٢ / ٤ .

(٢) انظر التصريح بحاشية يس ٢ / ٨٧ .

* فاعل ( نعم وبئس ) فى الذم إذا كان ضميرا مستترا فتفسر باسم نكرة منصوب على التمييز نحو : نعم — رجلا — زيد ؛ ونعم — رجلين — الزيدان ؛ ونعم — رجالا — الزيدون وذلك لأن المراد به الجنس فهو يفيد العموم[1] النوع الثانى : لا يثنى ولا يجمع ما استغنى عن تثنيته بتثنية غيره وينحصر فى الآتى :

* ألفاظ العدد — ما عدا مائة وألفا — لا تثنى ولا تجمع للاستغناء عن تثنيتها أو جمعها بضعفيها أو أضعافها ؛ فنحو ثلاثة يستغنى فيها عن ثلاثتين بلفظ ( ستة ) وعن جمعها بنحو : تسعة ؛ واثنى عشرة . . . إلخ أما ( مائة وألف ) فقد ثنتهما العرب تقول : هؤلاء مئتان أو ألفان ، وجمعتهما نحو : هؤلاء : مئات ومئون وهؤلاء آلاف وألوف قال تعالى : « . . فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ؛ وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله »[2] .

* ولفظ ( سواء ) لم تثنه العرب حيث استغنوا عن تثنيته بتثنية ( سيّ ) فقالوا : سيان زيد وعمرو ، ولم يقولوا : هما سواءان وعن جمعه بجمع ( سيّ ) فقالوا أسواء مثل نقض وأنقاض ؛ يقال : قوم أسواء ومستوون ؛ وأما قول الشاعر :

فيارب إن لم تجعـ ـل الحب بيننا
سواءين فاجعلنى على حبها جلدا

فشاذ

هذا — ولم ترد (سواء) فى كلام الفصحاء ولا فى القرآن الكريم إلا مفردة مع المثنى والجمع نحو قوله سبحانه : « سواء العاكف فيه والباد »[3] « وقول الشاعر :

سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم
فليس سـواء عـالم وجهول

فهى فى الآية والبيت لم تتجاوز الإفراد مع المثنى ؛ ومثالها مفردة مع الجمع قوله سبحانه : « ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء . .[4] » .

* ولفظا ( أجمع وجمعاء ) لم تثنهما العرب استغناء عنه بكلا وكلتا .

قال ابن مالك :

واغن بكلتـا فى مثنى وكلا
عن وزن فعـلاء ووزن أفعلا

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٩٥ .
(٢) الأنفال / ٦٦ .
(٣) الحج / ٢٥ .
(٤) النساء / ٨٩ .

النوع الثالث : ما كان متوغلا فى البناء ، فلا تثنى أسماء الأفعال والأصوات لإجرائها مجرى الأفعال أو المصادر ، يقال : صه يازيد وصه يا زيدان وصه يا زيدون ، وصه يا هند ويا هندان ، وياهندات . . إلخ . وذلك لأنه متضمن معنى سكوتا يا زيد ؛ ويا زيدان ويا زيدون . وسكوتا يا هند ؛ ويا هندان ، ويا هندات .

ولاتثنى أسماء الشرط والاستفهام لإفادتها العموم وتضمنهامعنى الحرف والحرف لايثنى ولايجمع ، يقال : من قام ، وقاما : وقامتا وقاموا ، وقمن ؛ بلزوم ( من ) صورة واحدة لم يلحقها تغيير ما .

أما أسماء الإشارة والموصولة ، والضمائر ؛ فتثنيتها وجمعها ليست قياسية وإنما هذان وهاتان : وهؤلاء من أسماء الإشارة واللذان واللتان والذين واللائى واللاتى من الأسماء الموصولة ، ونحن وأنتما وأنتم وأنتن ، وهما وهم وهن من الضمائر فصيغ وضعت للتثنية وللجمع ، وهكذا صنعت[1].

النوع الرابع : الأسماء المحكية نحو : تأبط شرا ، وبرق نحره ، وشاب قرناها فهذا النوع من المركب الإسنادى لاتجوز تثنيته ولا جمعه بحال من الأحوال ؛ لأنه منقول من الجملة ، والجمل لاتثنى ولاتجمع كذلك ما نقل منها إلى الاسمية لايثنى ولا يجمع ؛ على أنه يمكن الاستغناء عن تثنيتهما وجمعهما بتثنية وجمع ( ذو ) مضافين إلى المركب . فيقال : جاء ذوا تأبط شرا ، وذوو تأبط شرا ورأيت ذوَىْ تأبط شرا ، وذوِى تأبط شرا . . . إلخ . وعدم تثنية ذلك محل اتفاق من العلماء .

أما المركب المزجى فتثنيته وجمعه اختلف فيهما والأصح أن لا يثنى ولا يجمع على أن أهل اللغة يرون جواز تثنيته وجمعه ، تقول فى التثنية : هذان ساما أبرص[2].

وفى الجمع هؤلاء سوام أبرص ، وإن شئت قلت : هؤلاء السوام ، ولا تذكر أبرص . وإن شئت قلت هؤلاء البرصة والأبارص .

وإنما أجاز أهل اللغة تثنية المركب المزجى وجمعه حملا على أحد وجهيه فى الإعراب وهو إعراب الأول وإضافته إلى الثانى ، على أن يكون مفتوحا ؛ لأنه ممنوع من الصرف ، فيكون المركب المزجى فى ذلك قد أجزوه

---

(١) انظر التصريح بحاشية يس ١/٢٦٧ حاشية عبادة على الشذور ١/٦٩ ـ ٧٠ ، المغرب لابن عصفور ٢ / ٤٢ — ٤٣ ؛ الهمع ١ / ٤٢ — ٤٣ .

(٢) سام أبرص : كبار الوزغ .

مجرى المركب الإضافى حيث الاتفاق على تثنيته وجمعه وارد عند اللغويين والنحويين[1] الخامس : العلم الباقى على علميته لا يثنى ولا يجمع بل يتعين عند إرادة تثنيته أو جمعه تنكيره ، ثم يثنى بزيادة ألف ونون رفعا وياء ونون نصبا وجرا ؛ ثم يعوض عن علميته بأل فى التثنية والجمع فيقال : الزيدان والزيدين رفعا ونصبا أو جرا والزيدون والزيدين رفعا ونصبا أو جرا ؛ وأل فى الأمثلة عوض عن سلب العلمية من المفرد .

السادس : كنايات الأعلام نحو فلان وفلانة ؛ فلا يقال فيهما فلانان ولا فلانتان لأنها لا تقبل التنكير حيث وضعت موضع أسماء الإشارة وأسماء الإشارة لا تقبل التنكير وشرط المثنى أن يكون منكرا .

السادس : المثنى لا يثنى ، والجمع لا يثنى ولا يجمع ، فلا يقال : محمدانان ، ولا محمدونان ، لاجتماع إعرابين فيهما ؛ لا هنداتان ، لأن لا فائدة من تثنية المثنى ولا الجمع حيث لا يزيد المعنى بها عما كان عليه قبلها .

السابع : الاسمان المختلفان لفظا ومعنى نحو : أب وأم ؛ فهذا ما يتعين فيه العطف بالواو نحو : هذان أب وأم ، على أن العرب قد توسعوا فى مثلهما فغلبوا أحد اللفظين على الآخر مراعين فى ذلك الأشرف والأخف والمذكر . إلخ

كما سنعرض له بعد ؛ ثم ثنوهما فقالوا : الأبوان فى الأب والأم ؛ ومنه فى القرآن الكريم « وما يستوى البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » ( فاطر ١٢ ) .

الثامن : الاسمان المتحدان لفظا ، المختلفان معنى كالعين للباصرة والجارية ومنه الحقيقة والمجاز ؛ أما قولهم : القلم أحد اللسانين فشاذ .

هذا — وقد تردد ابن الحاجب فى تثنية المشترك وجمعه باعتبار معانيه المختلفة كقولك : القرءان للطهر والحيض ، والعيون لعين الماء وقرص الشمس وعين الذهب ؛ فقد منعه فى شرح الكافية ، لأنه لم يوجد مثله فى كلامهم مع الاستقراء ، وجوزه على الشذوذ فى شرح المفصل .

وذهب الجزولى والأندلسى وابن مالك إلى جواز مثله ، قال الأندلسى : يقال : العينان فى عين الشمس ؛ وعين الميزان ، فهم يعتبرون فى التثنية والجمع الاتفاق فى اللفظ دون المعنى ، وهذا قريب من مذهب الشافعى — رحمه الله — وهو أنه إذا وقعت الأسماء المشتركة بلفظ العموم نحو قولك

---

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووى ٣ / ١٥٥ ، وبغية الملتمس للضبى ١ / ٨٢ .

( الإقراء ) حكمها هكذا ؛ أو فى موضع العموم كالنكرة فى غير الموجب نحو : ما لنيت عينا ؛ فإنها تعم فى جميع مدلولاتها المختلفة كألفاظ العموم سواء[1] .

التاسع : ما لا ثانى له فى الوجود نحو : الشمس والقمر ؛ فلا يقال : شمسان ولا قمران ؛ إلا من باب التغليب ؛ وهو ضرب من المجاز أو التوسع فى لسان العرب .

العاشر : لفظ ( بشر ) ومعناه الخلق ؛ يقع على الأنثى والذكر والواحد والاثنين والجمع فلا يثنى ولا يجمع ؛ يقال : هو بشر ، وهى بشر ؛ وهما بشر ؛ وهم بشر كذا فى الصحاح .

وفى المحكم : البشر محركة ذكرا كان أو أنثى واحدا أو جمعا ؛ وقد يثنى وفى التنزيل : « أنؤمن لبشرين مثلنا »[2] قال بعضهم ؛ ولعل العرب حين ثنوه قصدوا به الواحد كما هو ظاهر[3].

وذلك المطلوب الإيمان بعيسى عليه السلام — وحده — لأنه هو هو الرسول الداعى إلى ربه ؛ وليست أمه كذلك . وعليه فبشرين من قبيل المثنى الذى وضع موضع المفرد .

**ما اختلف فى تثنيته وافراده :**

قال ابن خالويه مما جاء لفظه كلفظ التثنية لبيك ؛ وحنانيك وحواليك ؛ وكذا بين ظهرانيهم ، وظهريهم . وقد اختلف النحاة فيه : فمن يرى أنه مثنى[4] قال : أنا مقيم ملبب إلبابا وإجابة بعد إجابة ؛ وسعديك إسعادا بعد إسعاد .

وزعم يونس أنه غير مثنى[5] قال : إنما هو : لبيك ؛ فاستثقلوا ثلاث باءات فقلبوا آخراهن ياء[6].

إلا أن مذهب يونس إن استسيغ فى لبيك على أنه مفرد فلن يقبل فى سعديك وهذا ذيك لعدم تأتى نحو فعّل مضعف العين واللام ؛ إلا أن يقال زيدت الياء .

---

(١) انظر شرح الكافية للرضى ١٧٢/٢ .

(٢) المؤمنون / ٤٧ .

(٣) انظر التاج ( بشر ) .

(٤) هذا مذهب الجمهور .

(٥) هذا ما ذهب إليه يونس بن حبيب .

(٦) كتاب ليس فى كلام العرب لابن خالوية / ٣٤١ ؛ وآمالى الزجاج ٨٣ — ٨٤ .

فى سعديك وهذا ذيك للازدواج مع لبيك والعرب تزيد وتنقص للمشاكله بما لا يقبله نقل ولا عقل .

وفى التاج : مما لزم التثنية والنصب وحذف الناصب ( حنانيك ) وفى الحديث « حنانيك يارب » أى ارحمنى رحمة بعد رحمة ؛ وهو من المصادر ، المثناة التى لا يظهر فعلها كلبيك وسعديك . وقالوا حنانك بالإفراد ، وحنانيك بالتثنية ، أى تحنن علىّ مرة بعد مرة، وحنانا بعد حنان(١).

وخلاصة القول : أن هذه مصادر جئ بها ملحقة بالمثنى لفظا ، ومعناها التكرار والمبالغة فى الحديث ، ويرى الجمهور أنها منصوبة على أنها مفعول مطلق منصوب بالياء لأنها ملحقة بالمثنى ، والعامل فيها فعل محذوف وجوبا(٢).

**تقسيم المفرد بالنسبة للتثنية :**

ينقسم المفرد بالنسبة إلى المثنى إلى ضربين :

الأول : مفرد له مثنى قياسى ، وهو كثير وغالب فى العربية ولا سيما إذا كان مما تحققت فيه الشروط الثمانية التى عرضنا لها فى شروط المثنى القياسى ؛ من ذلك زيد والزيدان ، ورجل ورجلان ، وأرض وأرضان ، وسماء وسماوان . . الخ .

الثانى ليس له مثنى وهو نوعان :

أحدهما : مفرد لا مثنى له البتة مثل ألفاظ العدد المفردة ما عدا المائة والألف وأسماء الشرط والاستفهام ، وكافة وجميع المصادر مالم يرد بها التنويع ، لكون ألفاظ العدد يستغنى عن تثنيتها بمضاعفاتها وعمومية أسماء الشرط والاستفهام، وصلاحية المصادر للمفرد وغيره ، والمذكر وغيره لإفادتها الجنس ؛ ومثل المصدر مايفيد الاستغراق من الألفاظ نحو أحد وديار وعريب من كل ما لزم النفى ، وكل ما ذكرته آنفا من الأنواع والأجناس التى لا تثنى ولاتجمع .

الثانى : ما ليس له مثنى قياسى ، بل سماعى كوقوع (نحن) مثنى لـ (أنا) (وأنتما) مثنى ( أنتَ أو أنتِ ) وهما ، مثنى ( هو أو هى) إذ قياس مثنى ( أنا ) أنوان، وقياس مثنى ( أنتَ وأنتِ ) أنتان ، وقياس مثنى ( هو وهى) هوان وهيان ، وهذه المثنيات القياسية مرفوضة فى اللغة استعمالا .

---

(١) للتاج ٩ / ١٨٥ وانظر الجمل للزجاجى /ـ٣٠٦ والصحاح للجوهرى ( لب ) .

(٢) انظر المقنع فى الدراسات النحوية للباحث / ٣١ – ٣٣ ، والمخصص ١٣ / ٢٣٣

**تقسيم المثنى بالنسبة للمفرد :**

لم يكن لكل مثنى مفرد استعملته العرب وإن غلب ذلك فى كلامهم ؛ من هنا يمكن لنا تقسيم المثنى بالنسبة للمفرد إلى الأنواع الآتية :

الأول : مثنى له مفرد وهو الذى يجرى عليه سنن العربية ، وهو من الظهور والوضوح بمغنٍ عن القول فيه .

الثانى : مثنى ليس له مفرد مستعمل وهذا من النوادر فى العربية مثل : ( المذروان ) فودا الرأس ؛ يقال : شاب مذرواه ، وهما طرف الأليين كذلك »[1].

وكذلك : اثنان واثنتان فى لغة أهل الحجاز ؛ وثنتان فى لغة بنى تميم وكلا وكلتا ، حيث لم يستعمل لهما مفرد فى الأصح ؛ فلا يقال : ( اثن ولا اثنة ) ولا ( كيلٌ ولا كيلَة ) .

قال ثعلب فى أماليه : الاثنان لا واحد لهما والواحد لا تثنية له ، وفى موضع آخر قال : الواحد عدد لا يثنى .

وقال البطليوسى فى شرح الفصيح مما استعمل مثنى ولم يفرد ( الأنثيان ) وهما واقعان على خصيتى الإنسان . ولم يقولوا أنثى . على أن أبا الطيب اللغوى قال فى كتابه ( شجر الدر ) : والأنثى البيضة من الخصيتين ؛ ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، والمثبت مقدم على الناقى لزيادة علمه .

وقال الزجاجى فى أماليه : ( جاء يضرب أزدريه ) إذا جاء فارغا . وكذلك ( جاء يضرب أصدريه ) بإبدال الزاى صادا لتقاربهما مخرجا واتحادهما فى الصفير . وكذلك حواليك ولبيك وسعديك وهذا ذيك . . الخ على القول بأنها مثناة جئ بالتثنية لغرض المبالغة وقولهم : عقل بعيره بثنايين . غير مهموز لأنه ليس له واحد ؛ وفى الصحاح : لم يهمز لأنه لفظ جاء مثنى ؛ لا يفرد له واحد »[2].

الثالث : مثنى له أكثر من مفرد نحو : هاتان المرأتان ، فإذا أفردت قلت : هذى

---

(١) انظر كتاب ليس فى كلام العرب / ٣٣٤ ، وأمالى ابن الشجرى ١ / ١٩ ؛ والمخصص لابن سيده ١٥ / ١١٤ وجنى الجنتين لمحمد أمين الحبى / ١٠

(٢) انظر شرح الكفراوى على الأجرومية / ٢٦ ، وحاشية أبى النجا على الأزهرية / ٢٧ ومعانى القرآن للفراء ٢ / ١٤٢ — ١٤٣ ؛ والمخصص ١٤ / ٩٤ ؛ وجنى الجنتين / ١٠ — ١١

المرأة ، وذى المرأة ، وهذه : وهاتا ، وتا وذه ، وكل ذلك محكىّ ، ومنه قول الشاعر

فهذى سيوف ياصُدَىَّ بن مالك
كثير ولكن أين للسيف ضارب[1]

الرابع : مثنى لم تستعمل له العرب مفردا واستعمله العامة ، ويسمى مثنى لفظا فقط نحو : الحلمان ( ما يجزُّبه) ، والمقراضان ( ما يقطع به) ، والكلبتان ( ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى ) ، ذلك لأن الكلبة الواحدة ، والمقراض الواحد والحلم الواحد لا يقطع .

الخامس : مثنى مفرده إما جمع لفظا ومعنى نحو : إبلان وغنمان وجمالان قال عمرو ابن العداء الكلبي :

لأصبح القوم أو بادا ولم يجدوا
عند التفرق فى الهيجا جمالين

وإما جمع فى المعنى فقط نحو : فئتان ، وطائفتان وجمعان ومائتان وألفان .

**طرائق التثنية فى العربية :**

تعددت أساليب التثنية فى العربية إلى ألوان مختلفة وهذه يمكن حصرها فى الأنواع الآتية :

**أولا : التثنية بالزيادة :**

إن التثنية بزيادة ألف ونون رفعا ، وياء ونون نصبا وجرا هى ملاك كلام العرب وعليها قياس اللغة ، ويمثل هذا النوع الكثرة الكاثرة من المثنيات ، وهى المتبادرة إلى الأذهان ، والمطابقة لظاهر حال الأسلوب العربى ، كما أنها لا تحتاج إلى قرينة صارفة إليها بخلاف غيرها من الأنواع الأخرى التى سنعرض لها ، وذلك لكونها وفقا للأصول التى بنيت عليها هذه اللغة مع فهم المراد منها دون لبس أو خفاء نحو : حضر رجلان ، ورأيت رجلين ومررت برجلين فالألف والنون حال الرفع ؛ والياء والنون حالى النصب والجر زيدتا للإيجاز ، إذ استغنى بهما عن العاطف والمعطوف فى نحو جاء رجل ورجل ؛ وهذا هو أصل المثنى ؛ على أنه أصل مرفوض فى قياس النحويين ولن يعدل إليه إلا فى أمور سنعرض لها فى لون آخر من التثنية

**ثانيا : التثنية بالعطف وهى الأصل :**

(ا ) إذا اختلف اللفظان[3] ومعناهما نحو قول حسان :

إن شرخ الشباب والشعر الأسود
ما لم يعاص كان جنونا

---

(١) كتاب ليس فى كلام العرب / ٣٣٤ .
(٢) المرجع السابق / ٣٤٠ — ٣٤١ .
(٣) انظر شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ١ / ١٣٥ .

فقد ذكر اثنين : شرخ الشباب والشعر الأسود . وإنما جاء بالعطف لاختلافهما لفظا ومعنى ، وقد أعاد الضمير مفردا فى ( ما لم يعاص) وإن كانا لأثنين ؛ وذلك لأن كل واحد منهما بمنزلة الآخر ، فجريا مجرى الواحد ؛ ألا ترى أن شرخ الباب هو أسوداد الشعر ؛ ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد : كان حق الكلام أن يقال

( يعاصيا)وأشد من هذا قول القائل يصف رجلا مغتربا فى فلاة :

أخو الذئب يعوى والغراب ومن يكن
شريكيه يطمع نفسه شر مطمع

جعل الذئب والغراب بمنزلة الواحد . فأعاد إليهما ضميراً مفردا لأنهما كثيرا ما يصطحبان فى الوقوع على الجيف : ولولا ذلك كان حقه أن يقول ومن يكونا شريكيه ، فهذا أشد من الإفراد فى بيت حسان : لأنه أفرد المضمر ( يكن) وجاء بالخبر مثنى [1]

وكذلك إذا نعت غير الواحد وكان النعت مختلفا وجب التفريق بالعطف نحو : مررت بالزيدين : الكريم والبخيل . قال ابن مالك ونعت غير واحد إذا اختلف
فعاطفا فرقه... [2]

(ب)إذا أريد التكثير نحو قول الشاعر :

لو عد قبر وقبر كان أكرمهم
بيتا وأبعدهم عن منزل الذام

فقال : قبر وقبر ، ولم يقل : قبران لإفادة الكثرة .

(ج)إذا فصل بين الاسمين المتفقين لفظا بالنعت ، وهو إما مصرح به فى اللفظ نحو :مررت برجلين : رجل مسلم ورجل كافر .

وإما مقدر نحو : عندى من العبيد ألف وألف : أى ألف رجال وألف نساء .

(د)ضرورة الشعر نحو قول واثلة بن الأسقع الصحابى — رضى الله عنه .

ليث وليث فى مجال ضنك
كلاهما ذو أشر ومحك

وقول أبى نواس :

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا
ويوماله يوم الترحل خامس

وقول الآخر :

* أنجب عرس ولدا وعرس *

---

(١) انظر الأمالى للشجرية ١ / ٣٠٩ وما بعدها :

(٢) ابن عقيل بتحقيق محيى الدين عبد الحميد ٢ / ٢٠١ :

يقول البغدادى : على أن أصل المثنى العطف ، فلذلك يرجع إليه الشاعر فى الضرورة . . .

قال ابن الشجرى فى أماليه : التثنيه والجمع المستعملان أصلهما التثنية والجمع بالعطف فقولك : جاء الرجلان ومررت بالزيدين أصله جاء الرجل والرجل ، ومررت بزيد وزيد : فحذفوا العاطف والمعطوف ، وأقاموا حرف التثنية مقامهما اختصارا وصح ذلك لاتفاق الذاتين فى التسمية بلفظ واحد ، فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرير بالعطف ، كقولك : جاء الرجل والفرس .

(هـ) إذا كان الاسمان علمين باقيين على علميتهما نحو : زيد وزيد ، تزيد : زيد ابن فلان ، وزيد بن فلان ، ومنه قول الحجاج :

* إن لله محمدا ومحمدا فى يوم واحد *

يعنى ابنه محمدا ، وأخاه محمدا ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

إن الرزية لا رزية مثلها
فقدان مثل محمد ومحمد

(و) إذا اتفق الإسمان فى اللفظ ، ولم يتفقا فى المعنى ، ولا فى المعنى الموجب للتسمية نحو : رأيت المشترى والمشترى تعنى بأحدهما الكوكب ، وبالآخر قابل عقد البيع[1]

**ثالثا : التثنية بالنيابة :**

**( أ ) نيابة المفرد عن المثنى :**

الأصل أن يدل على الفردية بالمفرد وعلى التثنية بالمثنى إلا أن العرب قد تعدل عن ذلك لمعانٍ هى قائمة فى أنفسهم قد تدركها تارة وقد لا تدركها منها :

(أ) أن يكون الشيئان متلازمين فيذكر أحدهما اجتزاء به عن الآخر ، حيث يقوم أحد الشيئين مقام الاثنين معا ؛ من ذلك العينان والرجلان واليدان ، والأذنان . إلخ من الأعضاء المزدوجة .

يقول ابن الشجرى : يجوز أن تعبر عن العضوين ( أى المتماثلين ) بواحد وتفرد الخبر حملا على اللفظ تقول : عينى رأته وأذنى سمعته ، وقدمى سعت فيه ، وإنما استعملوا الإفراد فى هذا تخفيفا ، وللعلم بما يريدون فاللفظ على الإفراد والمعنى على التثنية .

---

(١) انظر المقرب لابن عصفور ٢ / ٤١ — ٤٢ ، وشرح جمل الزجاجى لابن عصفور ١ / ١٣٥ وما بعدها ، والخزانة ٣ / ٣٤٠ .

ويجوز مع الإفراد عود الضمير مثنى حملا على المعنى كما فى قول امرئ القيس:

وعين لها حدرة بدرة
شقت مآقيهما من أخر

وكان مقتضى الظاهر أن يقول : مؤقها أو مؤقاها إلا أنه عدل عن الإفراد إلى التثنية حملا على المعنى ، كما نلحظ أنه جمع ( مآق) فى مقام التثنية .

وقول الآخر :

إذا ذكرت عينى الزمان الذى مضى
بصحراء فلج ظلتا تكفان

فقال : ظلتا حملا على المعنى لأنه ذكر عينا وأراد عينين اجتزاء بأحداهما عن الأخرى[1] .

ومن المتلازمين وليسا بعضوين الإنسان الكافر وقرينه من الجن نحو قوله تعالى « حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين ... »[2] قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالإفراد ؛ يعنى الكافر يوم القيامة ، والباقون ( جاءانا) على التثنية يعنى الكافر وقرينه ، وقد جعلا فى سلسلة واحدة . . . وقراءة التوحيد — وإن كان ظاهرها الإفراد — فالمعنى لهما جميعا لأنه قد عرف ذلك بما بعده[3] .

ومثل ما تقدم قوله تعالى « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد»..[4] وإنما قال ( قعيد) ، ولم يقل ( قعيدان ) وهما اثنان ؛ لأن المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ؛ فحذف الأول لدلالة الثانى عليه قاله سيبويه ومنه قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما
عندك راض والرأى مختلف

وقال الفرزدق :

إنى ضمنت لمن أتانى ماجنى
وأبى فكان وكنتُ غير غدور

ولم يقل : راضيان ولاغدورين . ومذهب المبرد . أن الذى فى التلاوة أول آخر اتساعا وحذف الثانى لدلالة الأول عليه .

ومذهب الأخفش والفراء : أن الذى فى التلاوة يؤدى عن الاثنين والجمع ؛ ولا حذف فى الكلام ؛ . . وقال الجوهرى :

---

(١) انظر الأمالى ١ / ١٢١ـ١٢٢، وانظر الخزانة ٣/ ٣٦٩

(٢) الزخرف / ٣٨ .

(٣) القرطبى ١٦ / ٩٠

(٤) ق/ ١٧ .

فعيل وفعول مما يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع كقوله تعالى : « إنا رسول رب العالمين » الشعراء / ١٦ وقوله : « والملائكة بعد ذلك ظهير » التحريم / ٤ وقال الشاعر

ألكنى إليها وخير الرسو
ل أعلمهم بنواحى الخبر[1]

ومنه قوله تعالى : « كلا لينبذن فى الحطمة »[2] المراد لينبذن هو وماله ؛ فأفرد لكونهما كالشئ الواحد ، فقد قرأ بالإفراد وأراد الاثنين بدليل قراءة الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحميد وابن محيص « لينبذان » بالتثنية : أى هو وماله.[3]

(ب) صلاحية اللفظ للواحد والاثنين والجمع كما تقدم فى نحو : قعيد وظهير على مذهب الجوهرى ونحو ( ماء ) فى قوله تعالى « فالتقى الماء على أمر قد قدر »[4] أراد : الماءين : ماء الأرض وماء السماء ، ولا يجوز التقاء إلا لاسمين فما زاد ، وإنما جاز فى الماء ؛ لأن الماء يكون جمعا وواحدا[5]

(ج) الاستغناء بأحدهما عن الآخر نحو قوله تعالى : « سرابيل تقيكم الحر »[6] يريد والبرد فاجتزأ بأحدهما ، لأنه معلوم ، وهى تقى الحر والبرد ؛ ومثله كقول الشاعر :

ومـــا أدرى إذا يممت وجها
أريد الخير أيهمـــا يلينى

يريد : أى الخير والشر يلينى ؛ لأنه إذا أراد الخير ، فهو يتقى الشر ، وقد فسره بقوله :

أألخير الذى أنـــا أبتغيـــه
أم الشر الذى هـــو يبتغينى

أراد : لا يألو جهدا فى طلبى[7] .

---

(١) القرطبى ١٧ / ٩ — ١٠ ، ١٨ / ١٩١ ، ١٣ / ٩٣ ، وانظر التبيان لأبى البقاء العكبرى ١١٣٩ ، ١١٧٤ ، البحر ٨ / ١٢٣ .

(٢) الهمزة / ٤ .

(٣) القرطبى ٢٠/١٨٤ ، والتبيان لأبى البقاء العكبرى /١٣٠٣

(٤) القمر /١٢

(٥) معانى القرآن للفراء ٣/١٠٦

(٦) النحل / ٨١

(٧) معانى القرآن للفراء ٢/١١٢ ، والقرطبى . . —١٦٠

( د ) إفادة المفرد العموم نحو قول أبي ذؤيب الهذلي :

فآليت لا أنفك أحدو قصيدة

تكون وإياها مثلا بعسدى

الأصل : تكون القصيدة والمرأة مثلين فأوقع المفرد ( مثلا ) موقع المثنى كما يقع موقع الجمع لما فيه من العموم المقتضى للكثرة[1] ومنه قوله تعالى : «هل يستويان مثلا» ( الزمر ٢٩ ) ولم يقل مثلين لإفادة المثل العموم كما سبق ، فمثل يوصف به المفرد المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث: ولا يؤنث ، وقد يطابق تثنية وجمعا[2].

( ه ) كون الاثنين شأنهما واحد فينزلان منزلة المفرد نحو قوله تعالى: « وجعلناها وابنها آية للعالمين » الأنبياء / ٩١ ، وقوله تعالى: « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » المؤمنون / ٥٠ ، ولم يقل فيهما (آيتين ) كما قال في قوله« وجعلنا الليل والنهار آيتين» الإسراء / ١٢ .ذلك لأن شأن عيسى وأمه واحد ، بخلاف الليل والنهار فأمرهما مختلفان .

ويحتمل أن يكون المراد في جانب عيسى عليه السلام وأمه ( قصتهما ) ، وقال القرطبي : المعنى وجعلنا شأنهما وأمرهما وقصتهما آية للعالمين وقال الزجاج :

إن الآية فيهما واحدة ، لأنها ولدته من غير فحل ، وقدره سيبويه فقال : «وجعلناها آية للعالمين»، وجعلنا ابنها آية للعالمين ، ثم حذف ، وعلى مذهب سيبويه يكون قد اكتفى بإحدى الآيتين عن الأخرى ، وقال الفراء : وجعلناها آية للعالمين وابنها ، مثل قوله جل ثناؤه : « والله ورسوله أحق أن يرضوه »[3] فجعل الآية للأبعد دون الأقرب .

**(ب) نيابة الجمع عن المثنى :**

الأصل في البيان العربي استعمال المثنى في مقام التثنية ، والجمع فيما يقتضيه والمفرد فيما يدعو إليه المقام ، وهذا اللون من الاستعمال يدعونه بالاستعمال الحقيقي وقد تعدل العرب عنه إلى استعمال المفرد في مقام التثنية أو العكس والجمع في مقام التثنية أو العكس وهذا النوع من ألوان المجاز في الاستعمال العربي ، ومرده السماع .

---

(١) الخزانة ٣/٥٩٧ — ٥٩٩

(٢) انظر البحر ٦/٤٠٨

(٣) انظر القرطبي ١١/٣٣٨ ، والبحر ٦/٤٠٨ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ٤١٩ ، والتبيان لأبي البقاء العكبري / ٩٢٦

وإنما تعمد العرب إلى استعمال الجمع مع إرادة المثنى لما بينهما من التقارب من حيث كانت التثنية عددا تركب من ضم واحد إلى واحد ، وأول الجمع وهو الثلاثة تركب من ضم واحد إلى اثنين لذلك قال الخليل : إن الاثنين جمع[1] .

كما أن العدول عن التثنية إلى الجمع لا يخلو من نكتة تسوغ التعبير بالجمع دون المثنى كما فى قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » .[2]

فقد أعاد الضمير إلى السماء مفردا مؤنثا فى قوله « فقال لها » ثم ثنى الضمير فى قوله : « قالتا » باعتبار الجنسين : أى جنس السموات وجنس الأرض ؛ ثم جمع فى قوله : « طائعين » وذلك باعتبار أفراد الجنسين [3] .

وفى الآية شاهد على إجراء مالا يعقل إجراء من يعقل إذا نسب للأول مما هو للثانى إذ الطاعة لا تقع إلا من المكلفين العقلاء ، ولما استعير وصفهم للسماء والأرض بقيت الصفة على اختصاصها من صحة جمعها جمع مذكر سالما ، ومثل ذلك قوله تعالى : « إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين[4] ».

وقوله تعالى « إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين »[5] والأصل — والله أعلم — ساجدات وخاضعات ، أو ساجدة وخاضعة إلا أن الصفة لما كانت لمن يعقل بقيت محتفظة بخاصيتها وهى جمعها جمع مذكر سالما ولو كان موصوفها غير عاقل ، وقد وفيت القول فى ذلك فى مبحث جمع المذكر السالم .

كما أن ( طائعين ) فى مقابل ( طوعا أو كرها ) و( طائعين ) وقع حالا من أفراد السموات والأرض ، وهذا دليل على صحة وقوع المصدر حالا ، وحيث ثبت وقوع أحد المتقابلين حالا فيثبت

---

(١) ينظر الأمالى الشجرية ١ / ١٢ ، ١٣ ، والهمع ١ / ٥٠ والجمل للزجاجى ٣١٢ ؛ وشرح الجمل لابن عصفور ٢/٤٤٤

(٢) فصلت / ١١

(٣) انظر عبادة ١/٤٩ والأمالى الشجرية ١/٣١٢

(٤) يوسف / ٤

(٥) الشعراء / ٤

للآخر كذلك : وإذا ثبتت الحالية لـ ( طوعا أو كرها ) اللذين هما مصدران ثبتت الحالية لنظائرهما كذلك من المصادر نحو جاء زيد ركضا وقتلته صبرا[1] .

ومن وقوع الجمع مع إرادة التثنية قوله تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما »[2] ولم يقل : قلباكما ؛ إذ المعنى بالخطاب : عائشة وحفصة رضى الله عنهما[3] قال القرطبي : ومن شأن العرب إذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما ؛ لأنه لا يشكل وقيل كلما ثبتت الإضافة فيه مع التثنية فلفظ الجمع به أليق ؛ لأنه أمكن وأخف[4] وقال أبو البقاء العكبرى إنما جمع وهما اثنان ؛ لأن لكل إنسان قلبا ، وما ليس فى الإنسان منه إلا واحد جاز أن يجعل الاثنان فيه بلفظ الجمع ؛ وجاز أن يجعل بلفظ التثنية ، وقيل : وجهه أن التثنية جمع[5] .

وقال فى البحر : وأتى بالجمع فى ( قلوبكما ) وحسن ذلك إضافته إلى مثنى والجمع فى مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى والتثنية دون الجمع كما قال أبو ذؤيب :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ
كنوافذ العبط التى لا ترقع

وهذا كان القياس ؛ وذلك أن يعبر بالمثنى عن المثنى ؛ لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع لأن التثنية جمع فى المعنى[6] .

ومنه قوله تعالى « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا »[7] ولم يقل :

---

(١) انظر حاشية عباده على الشذور ١/٥٠

(٢) التحريم / ٤

(٣) كتاب ليس فى كلام العرب لابن خالوية / ٣٣٩ ؛ الجمل الزجاجى ١/٣١٢ وما بعدها وشرح لابن عصفور ٢/٤٤٥ / ٤٤٦

(٤) القرطبى ١٨/١٨٨

(٥) التبيان لأبى البقاء العكبرى ٣/١٢٢٩ ؛ وانظر شكل إعراب القرآن الكريم لمكى ٢/٧٤٢ والأحاجى للزمخشرى / ١٠١ ، وإعراب القرآن للزجاج ٣/٧٨٧ وما بعدها .

(٦) البحر ٨/ ٢٩٠ – ٢٩١ ؛ وانظر المزهر للسيوطى ١/١٩٣

(٧) الرحمن ٣٣

إن استطعتما... كما قال : يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ولم يقل عليكم فقد ثنى فى ( عليكما : وتنتصران ) حملا على اللفظ ، وجمع فى قوله إن « استطعتم » حملا على المعنى (١) .

وكذلك قوله « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا »(٢) فقال : اقتتلوا ولم يقل اقتتلتا مراعاة للظاهر ؛ لأن الطائفة مفرد لفظا جمع معنى مثل مائة وألف وعشرة(٣) .

وقال القرطبي : الطائفة تتناول الرجل الواحد والجمع والاثنين ، فهو مما حمل على المعنى دون اللفظ ؛ لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس ، وفى قراءة عبد الله حتى يفيئوا إلى أمر الله ، فإن فاءوا فخذوا بهم بالقسط » وقرأ ابن أبى عيلة ( اقتتلتا ) حملا على لفظ الطائفتين(٤) .

ومن وضع الجمع موضع المثنى ما أنشده ابن السكيت :

* والساق منى باديات الزير *

وكان الوجه أن يقول : بادية حملا على لفظ الساق ، أو باديتان ؛ لأن المراد بالساق الساقان ، ولكنه جمع فى موضع التثنية لقرب الجمع من التثنية (٥) .

وقالت امرأة من بنى الحارث بن كعب :

لـــو يشأ طار به ذو ميعة
لا حق الآطال نهد ذو خصل

أراد : الإطلين ؛ إذا لمعنى : قد لصقت إطله بأختها من الضمر ، وجمعت الإطل فى موضع التثنية ، وذلك أسهل من الجمع فى موضع الواحد ، كقولهم : شابت مفارقه ( وليس له أكثر من مفرق واحد ) وقولهم : بعير ذو عثانين . وليس له سوى عثنون واحد ؛ وهى شعيرات طوال تحت حنك البعير .

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣ /١٦ — ١١٧

(٢) الحجرات / ٩

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ٣/٣١ ، والأمالى الشجرية ١ / ١٨٨

(٤) انظر للقرطبى ٨/٢٩٤ ، ١٦/٣١٦ ، والبحر ١٨ / ١١١ ، وتأويل مشكل القرآن / ٢٨٢ وما بعدها

(٥) انظر الأمالى الشجرية ١/١٢٢

ولو قالت : لاحق الإطلين بسكون الطاء ، أعطت الوزن والمعنى حقهما[1] إلى غير ذلك من الأمثلة التى يطول بها القول .

وبعد : فوضع الجمع موضع المثنى يكون للنكت التالية :

(أ) الحمل على المعنى كما فى قوله « أتينا طائعين » .

(ب) إضافته إلى مثنى نحو قوله « فقد صغت قلوبكما — فاقطعوا أيديهما » .

(ج) كون المفرد صالحا للواحد والمثنى والجمع كما فى قوله « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا — هذان خصمان اختصموا » .

ومنه النفس والعين إذا أكد بهما المثنى نحو : جاء الزيدان أنفسهما والمحمدان أعينهما ، وذلك بجمعهما جمع قلة (أى على أفعل ) وهذه هى اللغة العالية ، ودونها الإفراد والتثنية نحو : جاء الزيدان نفسهما أو نفساهما وإلى اللغة العالية أشار ابن مالك بقوله :

واجمعهما بأفعل إن تبعا ... ما ليس واحدا تكن متبعا[2]

من هنا يتبين لنا أن جمع النفس والعين مراد به المثنى . أو أن المثنى قد ناب عنه الجمع فى هذا الموطن من كلام العرب .

(د) كون المثنى جمع أو قريب منه نحو قول امرأة من بنى الحارث بن كعب :

إن يشأ طار به ذو ميعة ... لا حق الآطال نهد ذو خصل

(هـ) وضوح المراد من الواقع نحو قولهم : هو رجل عظيم المناكب ، وإنما له منكبان ، ورجل ذو أليات ، وليس له سوى أليين ، وغليظ الحواجب والمرافق والوجنات ، وامرأة ذات أوراك إلخ ومن ذلك قول العجاج :

* على كراسيعى ومرفقيه *
وإنما له كرسوعان[3] .

**رابعا : التثنية بالتغليب والزيادة :**

وإنما يكون التغليب بإطلاق أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر . كأن يكون المفردان اختلفا لفظا ومعنى فيغلب المذكر على المؤنث ، والأخف على الأثقل ، والأشهر على من دونه ،

---

(١) انظر الأمالى الشجرية ١ / ١٨٧ — ١٨٨ ، وجنى الجنتين لمحمد أمين الحبى / ٨ وما بعدها

(٢) انظر للتصريح بحاشية يس ٢/ ١٢١

(٣) المخصص لابن سيدة ١٣/٢٣٤ .

والأفضل على غيره . والأسبق على من يليه إلخ ، وهذا اللون من التثنية ضرب من ضروب التوسع أو المجاز فى العربية .

هذا وللعرب طرق متعددة فى هذا اللون أذكر منها الآتى :

(أ) تغليب الأشهر على غير الأشهر نحو قول الشاعر :

ألا من مبلغ الحُرَّيْـن عنى
مغلغلة وخص بها أُبَيّـا

فالحرين : اسم أحدهما حرّ ، والآخر أُبَيّ فغلب الأول على الثانى لشهرته ومنه قول الآخر :

جزانى الزهـدمان جزاء سوء
وكنتُ المرء يجزى بالكرامة

فأحدهما : اسمه : زهدم ؛ والآخر اسمه : قيس فغلب الأشهر على غيره منهما .

(ب) تغليب الأخف على غيره فى اللفظ كأن يكون أحد الاسمين مركب والثانى بسيط نحو : أبو بكر وعمر : فيقال فيهما : العمران ، بتغليب عمر لخفة اللفظ على أبى بكر لتركيب لفظه ؛ ومنه قولهم : سيرة العمرين : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، ومنه : المصعبان : عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب بن الزبير .

(ج) تغليب المذكر على المؤنث لشرف الأول على الثانى نحو : أحمر وحمراء فيقال فيهما : أحمران ؛ بتغليب أحمر لتذكيره على حمراء لتأنيثه ومثله نحو : قائم وقائمة ؛ فيقال فيهما : قائمان بالتذكير دون التأنيث ؛ ومنه الأبوان الأب والأم .

(د) وقد تثنى العرب بغير لفظ المفردين كقولهم فى الطعام والنكاح : الأطيبان . وفى الليل والنهار : الملوان ؛ والجديدان والعصران كل ذلك فيهما .

(هـ) تثنية ما تجمعهما صفة واحدة مع اختلاف معناهما كقولهم فى الذهب والزعفران : الأصفران ؛ وفى البطن والفرج : الأجوفان ؛ وفى الفقر والعرى : الأمران ، دعا أعرابى فقال : أذاقك الله البَرْدَيْن وجنبك الأمرَّين وكفاك شر الأجوفين ، البردان : برد الغنى وبرد العافية ، والأمران : الفقر والعرى ، والأجوفان : البطن والفرج[1] .

---

(١) انظر المخصص ٢٢٣/١٣ وما بعدها .

**ما تغير بعض حروفه فى التثنية :**

نحن نعلم أن الجموع منها ما لا يتغير فيه صورة مفرده مثل جمع المذكر السالم نحو زيد وزيدون . وجمع المؤنث السالم نحو : هند وهندات . ومنها ما يتغير فيها صورة المفرد وهو جمع التكسير نحو : رجل ورجال ، وبطل وأبطال ، وأسد وأُسد ، وأسود ، وتاج وتيجان وحوت وحيتان ، وبرثن وبراثن إلخ .

أما المثنى فتارة لا يتغير فيه صورة مفردة ، وتارة تتغير :

فالأول : ما كان من الأسماء صحيح الآخر أو شبيها به نحو : رجل ورجلان وتمرة وتمرتان ، ودلو ودلوان ، وظبى وظبيان حيث جاء المفرد على هيئته بزيادة ألف ونون رفعا ، وياء ونون نصبا وجرا فيقال : هذان رجلان ورأيت رجلين ، ومررت برجلين إلخ .

ولم يشذ عن ذلك إلا لفظتان : خصية وإلية ، فقد ورد حذف التاء منهما عند التثنية نحو قول امرأة من هذيل :

كأن خصييه من التدلدل
ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

وقال آخر :

أخصيّ حماربات يكدم بجمة
أتوخذ جاراتى وجارك سالم

بحذف التاء من المثنى مع وجودها فى المفرد ، نقل الإمام المرزوقى عن الخليل أنه قال : الخصية تؤنث ما دامت مفردة ، فإذا ثنوها أنثوا وذكروا . ومثال تثنية ( ألية ) قول الراجز :

* يربح ألياه ارتجاج الوطب *

بحذف التاء ولعل ذلك جاء على لغة ثانية فى المفرد وهى « خصى وألى » بحذف التاء منهما ، فمن قال : خصى وألى قال فى التثنية خصيان وأليان ، ومن قال : خصية وألية قال : خصيتان وأليتان ، ودليل خصية قول الشاعر :

لست أبالى أن أكون مُحْمقة
إذا رأيت خصية معلقة

قال أبو العباس المبرد : يقال : ( خصية وخصى ) ، فمن قال : ( خصية ) قال خصيتان ، ومن قال ( خصى ) قال خصيان :

ومثله ألية وألى ، فمن قال : ( ألية ) قال : أليتان ، ومن قال ( ألى ) قال : أليان .

وقال أبو عمرو الشيبانى : الخصيتان : البيضتان ، والخصيان : الجلدتان اللتان فيهما البيضتان [1].

والثانى : وهو ما تتغير فيه بعض حروف المفرد ، وهوأنواع :

الأول : الاسم المقصور وحقيقته : كل اسم معرب آخره ألف لازمة قبلها فتحة ، نحو فتا وفتى ، فإذا ثنيناه فلابد من تحريك الألف ، فترد إلى ما يمكن تحريكه من ياء أو واو ، وإنما وجب تحريكه ، لأنا إذا أدخلنا ألف التثنية اجتمع ساكنان : الألف التى فى الاسم المفرد وألف التثنية ، فلو حذفنا إحدى الألفين لاجتماع الساكنين لوجب أن نقول فى تثنية عصا ورحا : عصان ورحان وكان يلزمنا إذا أضفنا أن نسقط النون للإضافة فيقال : أعجبنى رحاك وعصاك فيلتبس المفرد بالمثنى حيث تجمعهما هيئة واحدة ، فوجب التحريك ؛ ولم يمكن تحريك الألف ، فقلبت إلى أصلها الواو أو الياء ، وقد ثبت أن ماكان على ثلاثة أحرف ، والثالث منها ألف ، أن الألف منقلبة من ياء أو واو فترد فى التثنية إلى ما هى منقلبة منه ، فتقول فى قفا : قفوان ؛ لأنه من قفوت الرجل إذا تبعته من خلفه ، وفى عصا : عصوان ؛ لأنه عصوت الرجل : إذا ضربته بالعصا ؛ وتقول فى رجا : رجوان ، وهو ناحية البئر وغيرها قال الشاعر :

فلا يرمى بى الرجوان إنى
أقل القوم من يغنى مكانى

وتقول فى رضا : رضوان ؛ لأن رضا من الواو بدليل مرضو ورضوان .

هذا فيما ردت فيه الألف إلى أصلها الواو .

وترد الألف إلى أصلها الياء فى نحو رحى ورحيان ، وفتى وفتيان وندى وندیان ، وأما قوضم : الفتوة والندوة فإنما قلبت الياء فيها واوا للضمة قبلها وليس ذلك بقياس مطرد ، والدليل على أن الألف منقلبة عن ياء فى فتى قوضم فى الجمع فتيان وفتية ، والجمع والتثنية مما يرد الأشياء إلى أصولها .

فإذا كان المقصور على أربعة أحرف فصاعدا ثنى بالياء مطلقا سواء كان أصل

---

(١) انظر المنصف ١٣١/٢ – ١٣٢ ، ٣٨٤ ، المخصص ١٦ / ٩٨ ، الخزانة ٣ / ٣٥٩ – ٣٦٩ ، فصيح ثعلب / ٨٥ ، أدب الكاتب / ٣١٧ ، والأمالى الشجرية ١ / ٢٠ تهيشة – ٢ ؛ وشرح جمل للزجاجى لابن عصفور ١ / ١٤٠ .

ألفه ياء أو واوا ، فما كان من الواو نحو : مغزى ومغزيان وملهى وملهيان من الغزو واللهو . وماكان من الياء فنحو : مرمى ومجرى تقول فيها مرميان ومجريان من رميت وجريت . وماكان ألفا فى الألف نحو : حبلى وذكرى وما أشبه ذلك يقال فيها : حبليان وذكريان . . . : : وندر فى هـذا الباب قولهم : مذروان لطرفى الأليين ورأيت المذروين ، وكان القياس مذريان ومذريين ؛ لأن تقدير الواحد مذرى ، غير أنهم لم يستعملوا الواحد مفردا ، فيجب قلب آخره ياء . . . قال الشاعر :

أحولى تنفض استك مذرويها
لتقتلنى فهيا أنا ذا عُمارا

. . . . . وقال الكوفيون: بعض العرب تسقط الألف المقصورة فيما كثرت حروفه إذا ثنوا ، فيقولون فى خوزلى وقهقرى خوزلان وقهقران ، ولم يفرق البصريون بين ماقلت حروفه أو كثرت ، وقدورد فى شعر الفصحاء إثبات الألف ببدلها فى نحو : جماديان ؛ قال لبيد :

آويته حتى تكفت حامدا
وأهِلّ بعد جُمادين حرامُها

وأنشد أبو بكر بن دريد :

أصبح زيد خَمِيش العينين
علّته لا تنقض شهرين
شهرى ربيع وجمادين [1]

الثانى : المنقوص الآخر :

المنقوص الآخر على ضربين :

الأول مايرد محذوفه حال النصب : وهو كل اسم معرب آخره ياء لازمة قبلها كسرة نحو قاض وغازو داع، فإن الياء ترد إليه عند تثنيته وتلحقه ألف ونون فى الرفع ، وياء ونون فى النصب والجر ، نحو : هذان داعيان إلى الله ورأيت داعيين وسررت بداعيين .

الثانى منقوص على غير قياس وهو ماعدا ذلك نحو أب وأخ وحم وهن ، وفى تثنية هذا النوع لغتان :

الأولى : وهى اللغة العالية أن يرد المحذوف ، ثم يزاد عليه علامة التثنية الألف والنون رفعا ، والياء والنون نصبا وجرا ؛ نحو قوله « فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه » ( النساء ١١ ) وقوله : «يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة »

---

(١) انظر المخصص لابن سيده ١٥/١٠٢ ، ١١١ وما بعدها ، والتصريح بحاشية يس ١/٤٨ وانظر التاج ٣/٥١٣

( الأعراف ٢٧ ) . وقوله : « ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد » ( النساء ) ١١ :

وكذلك يقال فى أخ وحم وهن . [1]

الثانية : وهى قليلة عدم الرد وإيراد التثنية على اللفظ نحو : هما أبان ورأيت أبين ومررت بأبين ، قال الشاعر :

تزهى على تلك الظبا
ء فليت شعرى من أياها
وقف الهوى بى عندها
وسرت بقلبى مقلتاها

قال ابن الشجرى يحتمل قوله ( من أباها ) ثلاثة أوجه تكتفى بالأول منها وهو أن يكون بمعنى قولك ( أبواها ) فهو تثنية أب على لغة من قال :

هذان أبان ، ورأيت أبين ، ومررت بأبين فلم يرد له فى التثنية كما لم يرد اللام من قال يدان ودمان ، وأنشدوا على هذه اللغة قول الفرزدق :

يا خليلىّ اسقياتى
أربعا بعد اثنتين

واصرفا الكأس عن اخا
هل يحيى بن حصين
لايذوق اليوم كأسا
أو يغوى بالأبين

وعلى هذا المذهب ثناه المتنبى فى قوله :

تسل بفكر فى أبَيْكَ فإنما
بكيت فكان الضحك بعد قريب

فوزن ( أباها وأبيك ) فعاها وفعيك ، وحذفا منها النونين للإضافة [2] هـذا ولاترد اللام فى التثنية فى نحو يدودم إلا فى ضرورة الشعر نحو قوله :

فلو أنا على حجر ذُبحنا
جرى الدميان بالخبر اليقين

وقول الآخر :

يديان بيضاوان عند محلّم
قد تمنعانك أن تضام وتضهدا

والأفصح فيها دمان ويدان قال تعالى: « يوم ينظر المرء ماقدمت يداه » ( النبأ/٤٠) وقوله جل وعلا : « تبت يدا أبى لهب وتب » ( المسد / ١ ) ، وقـال : « ويوم يعض الظالم على يديه » ( الفرقان — ٢٧ ) .

---

(١) انظر المقرب لابن عصفور ٢/٢٣ — ٤٤، والتصريح بحاشية يس ١ / ٤٨

(٢) الأمالى الشجرية ١ /٣٠ — ٣١

ولم يقل : يدياه ولايديه [1] .

* * *

الثالث : الاسم الممدود : وهو كل اسم آخره همزة قبلها ألف زائدة نحو : سماء وصحراء وهو أربعة أضرب :

الأول : ماكانت همزته أصلية نحو : قُراء ووُضاء من قرأت ووضؤت والوضاء : الجميل من قولهم : وضؤ وجه الرجل إذا حسن وأشرق .

الثانى : ماكانت همزته منقلبة من حرف كقولهم : كساء ورداء . وأصله : كساو ورداى .

الثالث : ماكانت الهمزة فيه منقلبة من ياء زائدة كقولهم : حرباء وعلباء وفرشاء . . . وكان الأصل : علباى ، والياء زائدة ؛ لأنك تقول : سيف معلوب ومُعلّب : إذا كان مشدود المقبض بالعلباء .

الرابع : ماكانت همزته منقلبة من ألف تأنيث كقولك : حمراء وخنفساء .

فأما الوجوه الثلاثة الأول : فالباب فى تثنيتها الهمزة كقولك : قراءان ووضاءان وكساءان وعلباءان وحرباءان ، ويجوز فيهن الواو ، وإنما كان الهمز الوجه لأنها ليس قبلها ساكن ؛ فلم يحتج إلى تغييرها الظاهرة فى الكلام ، وهى أكثر فى كلام العرب .

وأما من جعلها بالواو فلا ستثقال الهمز بين الألفين ؛ لأن الهمزة من مخرج الألف فتصير كأنها ثلاث ألفات . وبعض هذه الثلاثة أقوى من بعض فى القلب : فأضعفها فى قلب الهمزة واوا ماكانت الهمزة فيه أصلية كقراء ووضاء . وبعده ماكانت الهمزة فيه منقلبة من حرف أصلى كرداء وكساء لمشاركته الأول فى أن الهمزة غير زائدة ولامنقلبة من زائد . وأما علياء فإن قلب الواو فيه أحسن وأكثر من الأولين ؛ لأن الهمزة فيه منقلبة من حرف زائد . فأشبهت ألف التأنيث فى حمراء وعُشراء .

والذى عند البصريين فى تثنية الممدود المؤنث قلبها واوا ، لم يحكوا غير ذلك كقولك : حمراوان وعُشراوان .

وذكر المبرد أنهم إنما قلبوها واوا ؛ لأن الهمزة لما ثقل وقوعها بين ألفين فى كلمة ثقيلة بالتأنيث ؛ وأرادوا قلبها كان الواو أولى بها من الياء لأن الهمزة فى الواحد منقلبة عن ألف التأنيث ؛ وليست الهمزة من علامة التأنيث ، وهى بمنزلة الألف فى غضبى وسكرى ، والألف فى غضبى

---

(١) انظر المقرب لابن عصفور ٢/٤٤ ، التبصرة والتذكرة للصيمرى ٢/ ٧٨٣

فإذا قالوا : حمراء ، أتوا فيها بألف المد لا للتأنيث ، وجعلوا بعدها ألف التأنيث ، ولا يمكن اللفظ بألفين ، ولا يجوز إسقاط إحداهما المقصور ، فقلبوا الألف الثانية إلى الهمزة لأنها من جنسها ، فصارت الهمزة فى الواحد ، وليست من علامات التأنيث ، فلما ثنوا جعلوا مكانها حرفا ليس من علامات التأنيث وهو الواو . . . . أو أنهم اختاروا الواو دون الياء التى هى من علامات التأنيث لأن الواو أبين فى الصوت من الياء . . .

وقد حكى الكسائى : أن من العرب من يقول : ردايان وكسايان ، فيجتمع فيه على قول الكسائى ثلاث لغات :

١ — رداءان وكساءان بإبقاء الهمزة وزيادة علامة التثنية .

٢ — رداوان وكساوان بإبدال الهمزة واوا مطلقا .

٣ — راديان وكسايان بإبدال الهمزة ياء مطلقا .

ويجيز الكسائى التثنية بالهمز فى حمراءان وبابه ، وأجاز أيضا حمل باب حمراء على جميع مايجوز فى باب رداء فيقال : حمراءان وحمراوان ، وحمرايان باللغات الثلاث .

وحكى الكوفيون أشياء لم يذكرها البصريون فقالوا : يجوز فيما طال من هذا الممدود حذف الحرفين الأخيرين ، فأجازوا فى قاصعاء وخنفساء وحائياء ونحو ذلك أن يقال : قاصعان وحائيان ، وقاصعاوان ، وحائياوان ، واستحسنوا فى الممدود إذا كان قبل الألف واوا أن يثنوا بالهمزة وبالواو فقالوا فى لأواء وخلواء : لأواءان ولأواوان وأجازوا فى سوءاء (المرأة القبيحة) : سوءا آن ، وسوءاوان[1] .

**نون المثنى**

هذه النون عوض عن التنوين ، لذلك حذفت للإضافة مثله ، وعن الإعراب بالحركات فلذا ثبت مع ال مثلها ، وقيل هى لدفع توهم الإضافة نحو : جاءنى خليلان : موسى وعيسى ، ومررت ببنين كرام . ولدفع توهم الإفراد فى نحو : جاءنى هذان ، ومررت بالمهتدين : أو أنها زيدت للدلالة على تمام الاسم[2]

**حـذفها :**

تحذف نون المثنى للإضافة نحو : هذان غلاما زيد ، وكتابا محمد قال ابن مالك :

---

(١) انظر المخصص لابن سيده ١١٤/١٥ وما بعده .

(٢) حاشية الخضرى ٤٥/١ ، وحاشية عبادة على الشذور ٦٩/١

نونا تلى الإعراب أو تنوينا
مما تضيف احذف كطور سينا[1]

هذا — وقد جاء حذفها لغير الإضافة لغة بنى الحارث بن كعب وبعض بنى ربيعة كقول الأخطل

أبنى كليب إن عمىّ اللذا
قتلا الملوك وفككا الأغلالا

يريد : اللذان ، ولعل ذلك مختص بصيغة التثنية من المبهمات كما حذفت نون الذين فى لغة هذيل فى قوله «وخضتم كالذى خاضوا»[2] أى كالذين ، وقوله جل وعلا « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون »[3] فقد أفرد فى ( جاء وصدق ) حملا على اللفظ ، وجمع فى ( أولئك ) حملا على المعنى .

ومن حذف نون المثنى على لغة بنى الحارث ابن كعب وبعض بنى ربيعة قول الأخطل أيضا

هما اللتا لو ولدت تميم
لقيل فخر لهم صميم

أراد : اللتان . فحذف النون ، ومنه قول الراجز يصف أفعى :

قد سالم الحيات منه القدما
الأفعوان والشجاع الشجعما

أصله القدمان ، فحذف النون ضرورة ، وفى هذا البيت شاهد رفع الفاعل والمفعول لأمن اللبس[4] .

**تشديدها :**

تشدد نون المثنى من المبهمات خاصة نحو : هذانّ وهاتانّ واللذانّ ، واللتانّ عوضا عن الألف المحذوفة من ( ذا وتا ) والياء المحذوفة من ( الذى والتى ) عند إرادة تثنيتها ، والتعويض بتضعيف نون المثنى عن المحذوف من المفرد هنا لغة تميم. وقيس ، وقيل إن تضعيف نون المثنى هنا تأكيد للفرق بين تثنية المبنى والمعرب الحاصل

---

(١) ابن عقيل بحاشية الخضرى ٢ / ٢

(٢) التوبة ٦٩

(٣) الزمر ٣٣

(٤) القرطبى ٢١٢/١ ، وضرائر الشعر للقزاز القيروانى / ١٥٨ ، وتاج العروس ٣٢٥/١٠ وما بعدها والخزانة ٥٠٧/٢ ؛ والدرر ٢٢/١ وما بعدها والخصائص ٢ / ٤٣٠ ، وابن يعيش ٣ / ١٥٤ وما بعدها الأمالى الشجرية ٢ / ٣٠٦ ؛ ٣٠٨ ، وشرح بانت سعاد لابن هشام / ٨٦ ؛ والصحاح ( التى والذى ) والخزانة ٣٩/٣

بحذف الألف والياء ، وإلى التشديد للعوض أشار ابن مالك بقوله :

* والنون إن تشدد فلا ملامه *

والنون من ذين وتين شددا
أيضا وتعويض بذاك قصدا

ولا تختص ذلك التشديد بحالة الرفع عند الكوفيين ؛ بل يكون فيها وفى حالتى النصب والجر خلافا للبصريين فى زعمهم أن التشديد مختص بحالة الرفع ؛ حيث قرئ به فى السبع قوله « ربنا أرنا اللذين » — «إحدى ابنتىّ هاتين » وذلك بنصب ( اللذين ) وجر ( هاتين ) كما قرىء فى حال الرفع به قوله : «واللذان يأتيانها منكم — فذانّك برهانان) . . . وتشديد النون حال الرفع قراءة ابن كثير وهى لغة قريش[1] .

**حركة النون :**

حركة نون المثنى الكسر ؛ لأنها فى الأصل تنوين ساكن ؛ والأصل فى تحريك الساكن إذا اضطر إليه أن يكسر قاله الرضى ؛ وإنما حركت خوف التقاء الساكنين ، وكانت كسرة لأنها الأصل فى التخلص من الساكنين ؛ ولخفة المثنى[2] وربما ضمت بعد هذه الألف نحو قوله :

يا أبتى أرقنى القِذّانُ
فالنوم لاتألفه العينانُ

بضم النون مثنىّ ( عين ) التى هى الباصرة ، والقِذّان بكسر القاف تثنية ( قذّ ) وهو البرغوث ؛ وقيل جمع ( قذّ ) وهو الزنبور[3] .

وعلى القول بالجمع فلا شاهد ؛ وحينئذ تكون ضمة نون ( العينان ) لمشاكلة نون الجمع .

وحكى الشيبانى : هما خليلانُ برفع النون ؛ ومنه قول فاطمة الزهراء — رضى الله عنها — ياحسنانُ ، ياحسينانُ برفع النون والتغليب[4] .

هذا — وقد جاء فتحها لغة ؛ زعم الكسائى أن فتح نون المثنى مع الياء لغة لبنى زياد بن فقعس ، وكان لا أحد يزيد عليهم فصاحة .

---

(١) انظر التصريح ١/ ١٣٢ ؛ والأشمونى ١ / ١٤٧ — ١٤٨ ، كتاب ليس فى كلام العرب / ٣٣٦ والأمالى الشجرية ٢/ ٣٠٦ . والصحاح للجوهرى ( لتى — لذى)

(٢) انظر شرح المفصل ١ / ١٩٢

(٣) عيادة على الشذور ١/ ٦٩

(٤) الدرر ١ / ٢٢ ؛ التاج ٩/ ١٧٧ ؛ والخزانة ٣ /٣٣٧ ، ٣٣٨

وقال الفراء : هى لغة لبعض بنى أسد أنشدنى بعضهم .

على أحوذيينَ استقلت عشية
فما هى إلا لمحة وتغيب

وشاهد فتحها مع الألف قول الشاعر :

أعرف منها الجيد والعينانا
ومنخرين أشبها ظبيانا[1]

وذلك بفتح النون لغة بنى أسد فى الأحوال الثلاث كما ذكره فى الدرر ، ولزوم المثنى الألف على لغة بنى الحارث بن كعب .

**الغرض من ألف المثنى وبائه :**

زادت العرب على المفرد عند إرادة تثنيته ألفا حال الرفع ؛ وياء حال النصب والجر عوضا عن العاطف والمعطوف فنحو الزيدان الألف فيه عوض عن حرف العطف والمعطوف فى أصله المرفوض وهو : زيد وزيد

وكذلك الياء حال النصب [2] . كما أن دخول ال على المثنى عوض عن سلب العلمية من مفرده ؛ إذ العلم لا يثنى إلا إذا سلب علميته فيصير نكرة ثم يثنى ، وبعد التثنية تدخل ( ال ) عوضا عنها .

**الفرق بين نون المثنى ونون الجمع والتنوين :**

يقول ابن الشجرى : إن النون التى تزاد فى التثنية والجمع — وإن كانت توافق التنوين فى أنها تحذف فى الإضافة ، فإنها تخالفه بثبوتها فى مواضع لا يثبت فيها التنوين ؛ فمن ذلك ثبوتها مع الألف واللام فى نحو : الزيدان والزيدون وفى النداء فى قولهم : يازيدان : ويازيدون ؛ وفى باب التبرئة ( لا النافية للجنس ) فى نحو لا زيدين عندى ؛ ولا زيدين . وإذا كانت النون مخالفة للتنوين فى هذه الأماكن فليس بمستنكر أن يجوز ثباتها مع الضمير فى نحو هذان مكرماك ؛ وهؤلاء مكرموك . . إلخ وإن لم يجز ثبات التنوين[3] .

**مذاهب العرب فى اعراب المثنى :**

تعددت مذاهب العرب فى إعراب المثنى إلى اللغات التالية :

الأولى : إعرابه بالحروف ؛ بالألف رفعا ؛ والياء نصبا وجرا نحو قوله تعالى: «قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما»[4] ؛ وقال : : واضرب لهم مثلا رجلين...»[5] ،

---

(١) الدرر ١/٢١ ؛ المساعد على تسهيل الفوائد ١/ ٣٩ . والخضرى على ابن عقيل ١ / ٤٥—٤٦ .

(٢) انظر شرح المفصل ١/ ١٨٣

(٣) الأمالى الشجرية ١/ ١٩٧ — ١٩٨

(٤) المائدة / ٢٣

(٥) الكهف / ٣٢

وقولنا : سلمت على الرجلين ، فانظر كيف رفع فى الآية الأولى بالألف ، وفى الثانية نصب وعلامته الياء ، وفى المثال جر والياء دليل عليه .

فهذى اللغة أشهر لغات المثنى وأعلاها ، وأكثرها دورانا على ألسنة الفصحاء ، ذلك لأن تغـير الإعراب يستلزم تغير المعانى ، ويرفع اللبس بينها ، حيث تدل الألف فى المثنى على أحد أحواله الإعرابية وهو الرفع والرفع فى اللغة علم الإسناد ، وتدل الياء حال النصب على الفضلة والياء حال الجر على معنى الإضافة ، وعلى هذه اللغة لا نحتاج فى إبراز المعانى إلى كثير من القرائن التى يستعان بها فى رفع اللبس فى الكلام وإيضاح معانيه ، وعليه تكون الألف قامت مقام الضمة فى الرفع والياء مقام الكسرة فى الجر ثم حمل النصب عليه[1].

الثانية : إلزامه الألف فى جميع أحواله ، وحينئذ يعرب إعراب المقصور بالحركات المقدرة على الألف فى جميع أحواله ، وهذه اللغة عزاها الإمام الكسائى إلى بنى الحرث ابن كعب وزبيد وخثعم وهمدان ، ونسبها أبو الخطاب عبد الحميد ابن عبد المجيد الأخفش الأكبر إلى كنانة . ونسبها بعضهم إلى بنى العنبر وبكر بن وائل ، وبنى الهجيم وبطون من ربيعة . وزاد السيوطى قبيلتى : مزادة وعذرة ، فهذه الأحياء من العرب قد عزى إليها هذه اللغة الخفيفة اللطيفة ، ورواها عنهم أئمة اللغة ، ومع ذلك أنكرها أبو العباس المبرد ، لكن إنكاره ليس بشىء ؛ حيث رواها الثقات مثل أبى زيد الأنصارى ، وأبى الخطاب الأخفش الأكبر ، والكسائى[2] ورواية الجمع آكد من رواية الآحاد ، ومن حفظ على من لم يحفظ ، ومن أثبت يقدم على النافى .

---

(١) انظر شرح المقتصد ١ / ١٨٥ وما بعدها ، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١ / ١١١ ، ١١٢ .

(٢) انظر فى ذلك المصادر الآتية : شواهد العينى على الخزانة ١/١٣٨ ، الخزانة ٣/ ٣٣٦ ، ٣٣٧ النوادر لأبى زيد ٥٨ ، ١٦٤ ، شرح كافية ابن الحاجب للجاربردى بحاشية ابن جماعة / ٢٧٧ ، وشرحها للرضى ١ / ٣٢ ، وشواهد الشافية — ٣٥٥ / ٣٥٦ ، المغنى ١/ ٣٧ ، الجمع للسيوطى ١/ ٤٠ ، التصريح بحاشية يس ١/٦٥، ٦٧ ، ٧٨، ١٢٣ ، ١٢٧ ٢/٣٩٩ ، شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٢٨ ، حاشية الخضرى ١/ ٤١ ، شذور الذهب بحاشية عبادة ١ / ٧٢ وما بعدها . الدرر ١ / ١٤ ، الضرائر للقيروانى ٢٣٧ ، القرطبى ١١/ ٢١٦ — ٢١٨ ، ١١٨/١٦ ، البحر ٦/٢٥٥ ، مشكل إعراب القرآن لمكى ٢/٤٥٨ ، المصباح ( إلى وعلى ولدى ) ، الجمهرة ٢/٣٢٣ ، الصحاح ( هذا ) ، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة / ٥٠

وشواهد هذه اللغة كثيرة فى كلامهم شعرا ونثرا ؛ قال أبو النجم العجلى أو رؤبة :

إن أباها وأبا أباها
قد بلغا فى المجد غايتاها

فقال : غايتاها ، وهو مفعول ( بلغا ) وقياسة على اللغة المشهورة غايتيها .

فقلب الياء ألفا بفتح ماقبلها .

وقال الآخر :

تزود منا بين أذناه طعنة
دعته إلى هابى التراب عقيم

أراد : أذنيه ، فقلب الياء ألفا[1]

وقال آخر :

أفد حبيبا منذ واجهته
عن وجه بدر التم أغنانى
فى خده خالان لولا هما
ماكنت مفتونا بعيّانِ

أراد : عميين ، فألزم المثنى الألف على هذه اللغة[2] .

وأنشد رجل من الأسد عن بنى الحرث :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى
مساغا لناباه الشجاع لصمما

وحكى عنهم أيضا : هذا خط يدا أخى بعينه . قال الفراء : وذلك — وإن كان قليلا — أقيس ؛ لأن العرب قالوا : مسلمون ، فجعلوا الواو تابعة للضمة ؛ لأن الواو لاتعرب ، ثم قالوا : رأيت المسلمين ، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم ، فلما رأوا أن الياء من الاثنين لايمكنهم كسر ماقبلها وثبت مفتوحا ، تركوا الألف تتبعه ، فقالوا : رجلان فى كل حال[3] .

وشواهدها من الحديث قول النبى — صلى الله عليه وسلم — « لاوتران فى ليلة » وقياسه لاوترين فى اللغة الجمهورية ؛ وقوله : « إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان . . . » الحديث : أى وهاتين عطفا على إياكم كما تقول : إياك والشر[4] .

---

(١) انظر الأشمونى بتحقيق محيى الدين عبد الحميد ١ / ٣٦ ؛ والدرر ١/١٤ ، إعراب الحديث للعكبرى / ١٢٥ ، وتأويل مشكل القرآن / ٥٠

(٢) يس على التصريح ١ /٦٧ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢ /١٤٨

(٤) إعراب الحديث للعكبرى / ١٢٤ — ١٢٥ ؛ وكتاب ليس فى كلام العرب / ٣٣٣ وما بعدها وحاشية يس على التصريح ١ / ٦٧

وقال الخليل : مررت بأخواك : وضربت أخواك : بإلزام المثنى الألف[1].

ومن القرآن قوله : إنّ هذان لساحران»[2]

قرأ أبو عمرو « إنّ هذين » بتشديد النون من ( إن ) وبالياء فى ( هذين ) لأن تثنية المنصوب والمجرور بالياء فى لغة فصحاء العرب . . . .

وقرأ الباقون « إنّ هذان لساحران » بتشديد نون ( إن ) وبالألف فى ( هذان ) وحجتهم أنها مكتوبة هكذا فى ( الإمام ) مصحف عثمان ؛ وهذا الحرف فى كتاب الله مشكل على أهل هذه اللغة ، وقد كثر اختلافهم فى تفسيره إلى الآتى :

(أ) حكى أبو عبيدة عن أبى الخطاب وهو رأس رؤساء الرواة أنها لغة كنانة ؛ يجعلون ألف الاثنين فى الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد ، يقولون : أتانى الزيدان ؛ ورأيت الزيدان ؛ ومررت بالزيدان .

(ب) قال الزجاج : وقال النحويون القدماء : هاهنا هاء مضمرة ؛ والمعنى : إنه هذان لساحران ؛ كما تقول : إنه زيد منطلق ، ثم تقول : إن زيداً منطلق .

(ج) وقال المبرد : أحسن ماقيل فى هذا أن يجعل ( إنّ ) بمعنى نعم ؛ والمعنى : ( نعم هذان لساحران ) فيكون ابتداء وخبرا . واستعمال ( إن ) بمعنى ( نعم ) لغة لكنانة ومن جاورهم فى مكة ونواحيها . وعليها جاء قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

بكر العواذل فى الصبو
ح يلمننى وألومهنه
ويقلن شيب قد علا
ك وقد كبرت فقلت إنّه

أى نعم .

فإن قيل : اللام لاتدخل بين المبتدأ وخبره ؛ لايقال : زيد لقائم فما وجه : ( هذان لساحران ) .

الجواب فى ذلك : أن من العرب من يدخل لام التوكيد فى خبر المبتدأ ؛ فيقول : زيد لأخوك . قال الشاعر :

خالى لأنت ومن جرير خاله
ينل العلاء ويكرم الأخوالا

---

(١) المنصف ٢٠٣/١ ؛ والخصائص ١٤/٢

(٢) طه / ٦٣

( د ) وقال الفراء فى (هذان) إنهم زادوا فيها النون فى التثنية ، وتركوها على حالها فى الرفع والنصب والجر . كما فعلوا فى (الذى) فقالوا : (الذين) فى الرفع والنصب والجر . يريد : أن الألف الموجودة فى المثنى هى ألف البناء فى المفرد .

وسمع أبو زيد أعرابيا فصيحا من بنى الحارث يقول : ضربت يداه : ووضعته علاه يريد : يديه وعليه ، ومثله أخذت الدرهمان : واشتريت ثوبان : والسلام علاكم وقال رؤبة أو بعض اليمن :

طاروا علين فشل علاها
وأشدو بمثنى حقب حقواها
ناجيـة وناجيا أباهـا[1]

من هنا يبدو جليا أن القبائل التى تلزم المثنى الألف يقلبون كل ياء مفتوح ماقبلها فى اسم كان أو حرف نحو : إلاك وعلاك فى إليك وعليك ، أو ظرف نحو : لداك فى لديك[2].

وقد بين ابن قيم الجوزية وجه إلزام المثنى الألف على هذه اللغة فقال : فحق علامة فى التثنية أن يكون على حدها فى علامة الإضمار (يعنى ضمير المثنى فى الفعل) — وأن تكون ألفا فى كل الأحوال . وكذلك فعلت طوائف من العرب وهم : خثعم وطيئ وبنو الحرث ابن كعب ، وعليه جاءت فى قول محققى النحاة « إنّ هذان لساحران » وأما أكثر العرب فإنهم كرهـوا أن يجعلوه كالاسم المبنى والمقصور من حيث كان الإعراب قد ثبت فى الواحد ، والتثنية طارئة على الإفراد وكرهوا زوال الألف لاستحقاق التثنية لها فتمسكوا بالأمرين فجعلوا الياء علامة الجر ، وشركوا النصب معه . . . فكان الرفع أجدر بالألف لاسيما وهى فى الأصل علامة إضمار الفاعل ، وهى فى الأسماء علامة رفع الفاعل أو ما قام مقامه[3].

اللغة الثالثة : إعرابه بالحركات على النون إعراب ما لاينصرف ، فيرفع بالضمة كما فى حديث أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : « كنا عند النبى ﷺ فى ليـلة

(١) انظر حجة القراءات لابى زرعة / ٤٥٤ وما بعدها . وحجة القراءات لابن خالوية / ٢٤٢ وما بعدها ، وكتاب ليس فى كلام العرب لابن خالوية / ٣٣٣ وما بعدها . والمقرب لابن عصفور ٢ / ٤٦ وما بعدهـا ، الخصائص ٣/٦٥ ، ٧٣ ، معانى القرآن للأخفش / ١١٣ . والنوادر / ٥٨ ، ١٦٤ وابن يعيش ٣ / ٣٤ ، ١٢٩ ، والخزانة ٣ / ١٩٩ ، شذور الذهب بتحقيق محيى الدين عبد الحميد / ٤٦ — ٤٧ والتاج ٩ / ١٢٨

(٢) انظر المصباح وغيره من معاجم اللغة فى ( إلى — على — لدى ) وشرح الكافية ١٢/٢

(٣) انظر بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ٨٢/١ : ١١١ — ١١٢

ظلماء حندس ، وعنده الحسن والحسين ، فسمع تَوَلْوُلَ فاطمة — رضى الله عنها — وهى تناديهما : ياحسنانُ — ياحسينانُ ( برفعهما بالضمة ) فقال : الحقا بأمكما ، . . . قال الأزهرى : هكذا روى سلمة عن الفراء بضم النون فيهما جميعا ، كأنه جعل الاسمين اسما واحدا ، فأعطاهما حظ الاسم الواحد من الإعراب[1] ومن ذلك قولهم : الحكمانُ والعلمانُ ؛ أعربوا النون كأنه اسم لشئ واحد تشبيها للتثنية بباب ( فعلان ) فقالوا اشترك باب فعلان كغضبان وسكران : وباب التثنية . . .[2]

وقال أبو عمر الزاهد :

يا أبتا أرقــنى القذّانُ
فالنــوم لا تطعمه العينانُ

قال ابن جنى : هو من الشذوذ بحيث لايقاس عليه ، وقال الشيبانى : هذه لغــة وحكى : هما خليلانُ ، وقيد بعضهم إعرابه بالحركات الظاهرة على النون بكون النون بعد الألف خاصة .

وشاهد فتح النون حال النصب قول رجل من ضبة

أعرف منها الجيــد والعينانا
ومنخــران أشبها طبيــانا

هذا — وقد قدمت أن فتح نون المثنى فى كل حال لغة لبنى أسد ؛ وعلى لغتهم هذى جاء قول حميد بن ثور الهلالى الصحابى :

على أحوذيين استقلت عشية
فما هى إلا لمحــة وتغيب

بفتح النون مع الياء ؛ وفى حاشية عبادة على الشذور : فى المثنى وما ألحق به لغة تعربه اعراب المقصور[3]

**ما يحمل على المثنى فى اعرابه :**

يحمل على المثنى فى إعرابه كل ما لم يستوف الشروط الثمانية ، وقد جاءت صورتة على التثنية ويتلخص فى الأنواع التالية :

الأول : اثنان واثنتان فى لغة أهل الحجاز وثنتان فى لغة التميميين مطلقا سواء أفردا

---

(١) التاج ١٧٧/٩ ، والتصريح بحاشية يس ٦٧/١ ، وعبادة على الشذور ٧٧/١

(٢) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ٢٤/١ ، وهمع الهوامع للسيوطى ٥٠/١

(٣) الدرر ١ / ٢١ ، الهمع ١ / ٤٩ ، ٥٠ النوادر لأبى زيد / ١٥ ، ابن عقيل ١ / ٦٩ — ٧١ شرح الفاكهى بحاشــية يس ١ / ٧٦ — ٧٧ ، التصريح ١ / ٦٨ ، اللغة والنحو لحسن عون / ٨٢ ، حاشية الخضرى ١ / ٤١ ، كتاب ليس فى كلام العرب لابن خالوية / ٣٣٣ وما بعدها : المقرب لابن عصفور ٢ / ٤٦ — ٤٧

نحو : هذان اثنان ، وهاتان اثنتان ، أو ركبا مع العشرة نحو قوله تعالى : «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا»[1] برفع اثنا بالألف خبرا لإن ، وقوله « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا »[2] برفع ( اثنتا ) على الفاعلية بالألف ، أو أضيفا إلى ظاهر أو مضمر وليس ضمير تثنية لئلا يكون من إضافة الشيء إلى نفسه ، يقال : هما اثنا محمد ، واثناهم[3] .

الثانى : كلا وكلتا ، بشرط أن يكونا مضافين إلى مضمر عند جمهور النحاة نحو قوله تعالى : «إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما»[4] برفع كلا بالألف عطفا على ( أحدهما ) الواقع فاعل ( يبلغن ) . . ويقال : جاء الرجلان كلاهما والمرأتان كلتاهما ورأيت الرجلين كليهما والمرأتين كلتيهما : . الخ .

فإذا أضيفا إلى الظاهر لزمهما الألف فى اللغة العربية فى الأحوال الثلاثة رفعا ونصبا وجرا ، نحو قوله تعالى : « كلتا الجنتين آتت أكلها[5] . . » ( فكلتا ) مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة على الألف : ويقال : جاءنى كلا الطالبين ، وكلتا الطالبتين ورأيت كلا الطالبين ، وكلتا الطالبتين ، ومررت بكلا الطالبين ، وكلتا الطالبتين والتفرقة بين الإضافة إلى المضمر بإعرابهما بالحروف والإضافة إلى الظاهر بإعرابهما إعراب المقصور هى اللغة المشهورة ، وهناك لغتان أخريان :

الأولى : إعرابهما بالحركات المقدرة مطلقا أضيفتا إلى مضمر أو ظاهر فى لغة بلحارث حكاها الفراء

يقال : رأيت الرجلين كلاهما ، ورأيت كلا الرجلين سواء ، ومررت بالرجلين كلاهما .

الثانية : إعرابهما بالحروف مطلقا أضيفتا إلى مضمر أو ظاهر وهى لغة كنانة ، يقال جاء الرجلان كلاهما ، وجاء كلا الرجلين فكلا فى المثالين مرفوع بالألف ، ويقال رأيت كليهما ، وكلى الرجلين ، ومررت بكليهما وكلى الرجلين[6] .

---

(١) التوبة ٣٦

(٢) البقرة ٦٠

(٣) ينظر المخصص لابن سيده ١٤ / ٩٤ ، ٩٥

(٤) الإسراء ٢٣

(٥) الكهف ٣٣

(٦) انظر التصريح بحاشية يس ١ / ٦٨ ، والشذور بحاشية عبادة ١ / ٧٦ — ٧٨ ، والمساعد على تسهيل الفوائد ١ / ٤٢ ، ومعانى القرآن للفراء ٢ / ١٨٤

وكلا وكلتا : لفظهما مفرد ، ومعناهما مثنى عند البصريين . ومن هنا يراعى لفظهما فيعود الضمير عليهما مفردا كما فى قوله تعالى : « كلتا الجنتين آتت أكلها » فقال آتت مراعاة للفظ ، ولم يقل آتتا . وكذلك يخبر عنهما بالمفرد نحو كلاهما قائم ، وكلتاهما قائمة ويراعى المعنى فيعود الضمير مثنى وهو قليل ، وقد اجتمعت اللغتان فى قوله الشاعر :

كلاهما حين جد الجرى بينهما
قد أقلعا ، وكلا أنفيهما رابى

قال ابن هشام فى نحو : كلاهما قائم أو كلاهما قائمان : إن قدر كلاهما توكيدا قيل : قائمان ، لأنه خبر عن زيد وعمرو . وإن قدر مبتدأ فالوجهان والمختار الإفراد .

وعلى هذا . فإن قيل : إن زيد وعمرا فإن قيل كليهما ، قيل قائمان ، أو كلاهما ، فالوجهان . ويتعين مراعاة اللفظ فى قول الشاعر :

كلانا غنى عن أخيه حياته
ونحن إذا متنا أشد تغانيا[1]

حيث راعى اللفظ فأخبر بالمفرد (غنى) عن كلا وهو مبتدأ .

* * *

**اعراب ما سمى به من المثنى :**

ما سمى به من المثنى ورد فى إعرابه لغتان :

الأولى : إعرابه إعراب المثنى قبل التسمية فيرفع بالألف وينصب ويجر بالياء يقال فمن سمى بالزيدان : جاء الزيدان ورأيت الزيدين ومررت بالزيدين .

الثانية : إعرابه إعراب مالا ينصرف فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة فيقال جاء الزيدان برفع النون ، ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان بفتح النون فيهما مالم يضف ، أو يقترن بالألف واللام . وذلك إجراء له مجرى (سلمان) فيمنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون ، فإذا أضيف أو دخلت عليه ال جُرَّ بالكسرة نحو قوله :

* ألا يادبار الحى بالسبعان[2] *

(١) المغنى ١/٢٠٣ — ٢٠٤ بتحقيق محيى الدين عبد الحميد ، الخصائص ٣/٣٣٥ وحاشية الخضرى ١/٤٠ — ٤١ ، والتصريح بحاشية يس ٢/٤٣

(٢) انظر التصريح بحاشية يس ١ / ٦٧ — ٦٨ ، وحاشية اسماعيل الحامدى على الكفراوى / ٢٥

**مذاهب العرب فى عود الضمير على المثنى :**

لقد اختلفت مذاهب العرب فى عود الضمير على المثنى إلى طرائق أربع :

الأولى : عود الضمير عليهما مثنى نحو قوله تعالى : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما »[1] فالضمير فى عليهما راجع إلى ( رجلان ) وهذا كثير فى اللغة .

الثانية عود الضمير على الأهم فقط نحو قوله تعالى : « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها »[2] فالضمير فى (إليها) راجع إلى التجارة لأنها كانت أحب شئ إليهم . وعليه فالضمير راجع إلى المتقدم من المتعاطفين .

الثالثة عودة على الأقرب نحو قوله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين »[3] فالضمير فى (إنها) عائد على الصلاة وهى أقرب مذكور . وقوله « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا »[4] ولم يقل بها .

الرابعة : عوده على الأشرف قرب أم بعد نحو قوله تعالى[5] « والله ورسوله أحق أن يرضوه » فالهاء فى (يرضوه) عائد على الله جل ثناؤه[6] .

**مذاهب العرب فى تثنية آحاد ما فى الجسد مضافا الى مثنى :**

إذا أريد تثنية أحد أعضاء الجسم المفردة مثل الوجه والبطن والظهر والرأس . . الخ ثم أضيف إلى مثنى ففيه اللغات التالية :

الأولى : اللغة العالية وهى لغة القرآن الكريم جمعه مع إرادة التثنية نحو قوله تعالى : « فقد صغت قلوبكما »[7] وكان من حق العربية أن يقول : قلبا كما . إلا أنه عدل عنه إلى الجمع لوجود ما يدل على المراد وهو إضافته إلى المثنى .

الثانية : من العرب من يعطى هذا حقه من التثنية فيقولون : ضربت رأسيهما وشققت بطنيهما . . وقد ورد على هذه اللغة قول الفرزدق :

« بما فى فؤادينا من الشوق والهوى *

(١) المائدة ٢٣

(٢) الجمعة ١١

(٣) البقرة ٤٥

(٤) النساء ١١٢

(٥) التوبة ٦٢

(٦) انظر كتاب ليس فى كلام العرب لابن خالويه / ٣٤٣ . معانى القرآن للفراء ١٥٧/٣

(٧) التحريم ٤

وقال أبو ذؤيب الهذلى :

فتخالسا نفسيهما بنوافــذ

كنوافذ العبط التى لاترقع

والوجه فى هذا ونحوه هو الجمع كما جاء فى التنزيل نحو قوله تعالى « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا »[1] ولم يقل ( نفسينا ) .

هذا — وقد جاءت اللغتان : الجمع والتثنية فى قول هميان بن قحافة :

ومهمهين قــذفين مرتين

ظهراهما مثل ظهور الترسين

فقد ثنى فى ( ظهراهما ) وجمع فى ( ظهور الترسين ) .

الثالثة : إفراده مع إرادة التثنية ، وفى هذه الحالة ينوب المفرد عن المثنى ، كما ناب الجمع فى اللغة الأولى عنه ، وذلك لأن إضافة العضوين إلى اثنين تنبىء عن المراد كقولك: ضربت رأس الرجلين وشققت بطن الجملين ؛ ولا يكادون يستعملون هذه اللغة إلا فى الشعر فهى لغة الشعراء مثل قوله :

كأنه وجه تركيين قد غضبا

مستهدفين لطعن غــير تذبيب

وعلى هذه اللغة يكون المضاف قد اكتسب التثنية من المضاف إليه .

ومنه قولهم : سمع صوت إنسانين وأكلت رأس شاتين ، قال ابن مالك : وجمعه أجود ( يعنى جمع المضاف كما فى اللغة الأولى ) ويجوز التثنية (كما فى اللغة الثانية) وكانت التثنية أقل من الإفراد والجمع ؛ لأن التثنية مع أصالتها قليلة الاستعمال[2].

**مذاهب العرب فى التعبير عن العضــوين المزدوجين فى الجسد :**

للعرب فى استعمال المثنى الذى يطلق على المماثلين من الأعضاء لغتان :

الأولى : التعبير عن العضوين بالتثنية نحو العينان تنظران ، والأذنان تسمعان ، واليدان تبطشان ، والرجلان تتحركان . . الخ قال المتنبى :

حشاى على جمر ذكى من الهوى

وعيناى فى روض من الحسن ترتع

---

(١) الأعراف ٢٣

(٢) انظر الأمالى الشجرية ١/١١ وما بعدها ، وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٣ / ٧٨٧ وما بعدها ، وشرح شواهد الشافية / ٩٤ ، والدرر ١ / ٢٦ — ٢٧ والبحر ٨ / ٢٩٠ — ٢٩١ ، وشواهد التوضيح لابن مالك / ٦٠ وما بعدها .

الثانية : التعبير عن العضوين بالمفرد منهما فيقال : عينى رأته والمقصود عيناى ؛ ومنه قول الشاعر :

أيهـا المبتغى فناء قريش
بيد الله عمـرها والفنـاء

قال الفراء : والواحد من هذا يكفى من الاثنين ، وكذلك العينان والرجلان واليدان تكتفى إحداهما من الأخرى ، لأن معناهما واحد وللعرب فى الإخبار عن المثنى من هذا النوع أربع لغات .

الأولى : استعمال الحقيقة فى الخبر فيتطابق المبتدأ والخبر نحو : عيناى رأتاه وأذناى سمعتاه ، وقدماى سعتا فيه .

الثانية : أن تثنى العضو وتفرد الخبر ؛ لأن حكم العينين أو الأذنين أو القدمين حكم واحدة لاشتراكهما فى الفعل فتقول : أذناى سمعته ، وعيناى رأته وقدماى سعت فيه كما قال المتنبى :

. . . وعيناى فى روض من الحسن ترتع

وقول سلمى بن ربيعة السيدى :

فكأن فى العينين حب قرنفـل
أو سنبلا كحلت به فانهلت

ومثله قول امرئ القيس :

لمـن زحلوفـة زل
بهـا العينـان تنهـل

وقال الفرزدق :

ولو بخلت يداى بها وضنت
لكان على للقـدر الخيـار

الثالثة : أن تعبر عن العضوين بواحد وتفرد الخبر حملا على اللفظ ، تقول : عينى رأته ، وأذنى سمعته ؛ وقدمى سعت فيه ؛ وإنما استعملوا الإفراد فى هذا تخفيفا ، وللعلم بما يريدون ، فاللفظ على الإفراد ، والمعنى على التثنية ، ومن ذلك أيضا قول أبى ذؤيب الهذلى .

فالعـين بعدهم كأن حداقها
سُلِمت بشوك فهى عور تدمع

أراد : العينين جميعا ، واستغنى عن تثنيتهما لتلازمهما ، تقول : كحلت عينى ، وعين مكحولة ؛ تريد : هما معا ، ومثل العينين المنخران والرجلان والخفان والنعلان.

الرابعة : أن تعبر عن العضوين بواحد وتثنى الخبر حملا على المعنى كقولك : أذنى سمعتاه ، وعينى رأتاه ؛ وهذا قليل ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وعينى لمـا حـدرة بدرة
شـقت مآقيهـا من أخـر

وقول الآخر :

إذا ذكرت عينى الزمان الذى مضى
بصحراء فلج ظلتا تكفان [1]

**دلالات المثنى فى استعمالاته :**

تتنوع دلالات المثنى فى العربية بتنوع الأساليب وإيماءات سياقات الكلام ، ويمكن لنا إيجازها فى الآتى :

(أ) الدلالة على التثنية حقيقة : وهذا النوع جد كثير ومعرفته تغنى عن القول فيه .

(ب) الدلالة على الإفراد : وذلك كأن يذكر فى الكلام علم التثنية ويراد به خلافها كقصد المفرد فى قوله تعالى : «ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة» (الشورى ٢٩)

أراد : وما بث فى الأرض دون السماء ؛ قال الفراء : بذلك جاء التفسير ومثله مما ثنى ومعناه واحد قوله تعالى «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» (الرحمن ٢٢) وإنما يخرج من الملح دون العذب» [2].

ومنه قولهم : ياغلام اضربا زيدا ، ويازيد اسقيا بيده ، وياحرسى اضربا عنقه [3].

فقد خاطب المفرد بلفظ الاثنين ؛ ويحتمل عندى أن تكون الألف فى كل من (اضربا — اسقيا) عوضاً من نون التوكيد الخفيفة على أن يكون وصل بنية الوقف . ومنه قوله تعالى « ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد» ق — ٢٤ . قال الخليل والأخفش هذا كلام العرب الفصيح أن تخاطب الواحد بلفظ الاثنين ؛ فتقول : ويلك ارحلاها وازجراها وخذاه وأطلقاه ، قال الفراء : تقول للواحد قوما عنا . وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل فى إبله وغنمه ورفقته فى سفره اثنان فجرى كلام الرجل على صاحبيه ؛ ومنه قولهم للواحد فى الشعر : خليلى ، ثم يقول : ياصاح ؛ قال امرؤ القيس :

خليلىّ مرا بى على أم جندب
نُقَضِّ لبانات الفؤاد المعذب

وقال أيضا :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

---

(١) انظر فى ذلك الأمالى الشجرية ١ / ١٢٠ وما بعدها ؛ ٣٠٩ ؛ ومعانى القرآن للفراء ٢ / ٤١٢ ، والمذكر للسجستانى ١/ ٢٤ وما بعدها .

(٢) معانى القرآن للفراء ٣ / ٢٤

(٣) كتاب ليس فى كلام العرب .

وقال آخر :

فإن تزجراني يابن عفان أنزجر
وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا

وقيل : جاء كذلك ؛ لأن القرين يقع للجماعة والاثنين ، وقال المازني : ألقيا يدل على ألق ألق ، وقال أبو البقاء بقول المازني إلا أن الألف في ( ألقيا ) عوض من تكرار الفعل عنده ، ومثلهما المبرد حيث قال : هي تثنية على التوكيد ، المعنى ألق ألق ، فناب ( ألقيا ) مناب التكرار[1].

ومنه أيضا قوله جل ثناؤه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » الرحمن ٤٦ فقال : ( جنتان ) ولم يقل ( جنة ) فقد ثنى مع قصد الإفراد وذلك لمشاكلة رؤوس الآيات :

قال الفراء : ذكر المفسرون : أنهما بستانان من بساتين الجنة ، ثم قال : وقد يكون في العربية جنة تثنيها العرب في أشعارها أنشدني بعضهم :

ومهمهين قذفين مرتين
قطعته بالأم لا بالسمتين

يريد : مهمها وسمتا واحدا . وأنشدني آخر :

يسعى بكيداء وخـدمين
قد جعل الأرطاة جنتين

أراد : جعل الأرطاة جنة .

قال الفراء : وذلك أن الشعر له قوافٍ تقيمها الزيادة والنقصان فيحتمل مالا يحتمله الكلام[2].

قال ابن قتيبة : ومنه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل ، فيجعل الفعل لهما ، كقوله سبحانه : « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما »[3] روى في التفسير أن الناسي كان يوشع بن نون . وبذلك قوله لموسى عليه السلام إني نسيت الحوت» . ومنه قوله «أنؤمن لبشرين مثلنا » المؤمنون ٤٧ . فقد ثنى مع إرادة الإفراد .

وقوله « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » ثم قال « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان[4]» واللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من الماء الملح لا من العذب[5] .

(١) انظر القرطبي ١٧ / ١٦ ، والتبيان للأبي البقاء / ١١٧٥ : ومشكل إعراب القرآن لمكي القيسي ٦٨٤ . والبحر ٨ / ١١٦ . وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة / ٢٩١

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣ / ١١٨ ، ١٥٧ ؛ والكتاب ١ / ٢٤١ ؛ والخزانة ١ / ٣٧٦ وشرح شواهد الشافية / ٦٠ : ٩٤ ؛ القرطبي ١٧ / ١٧٧ .

(٣) الكهف / ٦١

(٤) الرحمن ١٩ : ٢٠ : ٢٢

(٥) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة – ٢٨٦ – ٢٨٨ ؛ والتاج ( بشر ) .

**(ج) دلالة المثنى على الجمع :**

كأن يكون اللفظ مثنى والمراد به جمع نحو قوله تعالى : « ثم ارجع البصر كرتين » ( الملك ٤) فقد ذكر ( كرتين) وأراد كرات ؛ بدليل قوله بعد « ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » وذلك أن إعياء البصر وخسوئه لا يتأتى من مرتين بل من مرات [1] .

ومنه قوله « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » ( الحجرات ٩ )

فانظر كيف عاد الضمير جمعا فى ( اقتتلوا) على ( طائفتان) وذلك حملا على المعنى ، حيث تصلح الطائفة للمفرد والمثنى والجمع فمن مجئ الطائفة بمعنى المفرد قوله تعالى: « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة» ( التوبة ٦٦) قال قتادة : كان رجل من القوم لايمالئهم على أقاويلهم فى النبى ﷺ ويسير مجانبا لهم : فسماه الله طائفة وهو واحد[2] ومثال مجئ طائفة جمعا قوله: «ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ؛ وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون» (آل عمران ٦٩)

لهذا لما كانت بمعنى الجمع صلح عود الضمير جمعا فى قوله: « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » ، ولما كانت بمعنى المفرد صلح عود الضمير مثنى على ( طائفتان ) فى قوله ( بينهما) ؛ وذلك حملا على اللفظ

من هنا يظهر أن (طائفتين) مثنى يراد بهما الجمع مرة والتثنية أخرى ، فيعود الضمير مراعاة للفظ مثنى ، وجمعا مراعاة للمعنى ومثل طائفتان ( خصمان ) فى قوله « هذان خصمان اختصموا » ( الحج ١٩ ) ( خصمان ) مثنى قصد به الجميع بدليل عود الضمير جمعا فى قوله «اختصموا» وذلك لأن الخصم يصلح للمفرد فيقال: هذا خصمى ، وللمثنى فيقال : هما خصمى وللجمع نحو : هؤلاء خصمى مثل (هؤلاء ضيفى) ومنه قوله تعالى « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب » ( ص ٢١ ) فأعاد الضمير على الخصم جمعا مما يؤكد صلاحيته للمفرد وغيره[3]

ومنه قوله « ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون»[4] ، المعنى يتضح مما سبق .

---

(١) انظر القرطبى ٢١٠/١٨ ، البحر ٢٩٩/٨ ، والتاج ( مر) .

(٢) تأويل مشكل القرآن / ٢٨٣

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ٢١٩/٢ — ٢٢٠ ، والقرطبى ٢٦/١٨ ، والبحر ٦/ ٣٦٠ والأمالى الشجرية ١ / ٣١٢ ، والتبيان لأبى البقاء العكبرى / ٩٣٧ ، ١١٧١

(٤) النمل / ٤٥

**( د ) دلالته على المبالغة :**

الأصل أن يستعمل المثنى فى مقام التثنية لا يزيد عليه ولا ينقص نحو : جاء الزيدان ورأيت الزيدين ومررت بالزيدين وهكذا دواليك .

وقد يخرج عن حقيقته من خلال سياقات الكلام فيؤدى به غيرما يقتضيه ظاهر اللفظ من إفادته المبالغة والتعظيم .

وذلك نحو : لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك ؛ وهذاذيك وحجازيك وخياليك وحواليك .

يقول ابن سيده : يجوز فى المصدر المثنى المحمول على الفعل المتروك ( المحذوف) إظهاره إذا كانت الحال حال تعظيم فى خطاب رئيس ؛ وكان اللفظ ينبئ عن جنس الفعل . حمل المصدر على الفعل المتروك إظهاره للمبالغة فى التعظيم إلى أعلى منزلة على طريق المعنى النادر . فأجرى اللفظ على ما يقتضيه ذلك المعنى من ترك التصرف . والتثنية لتضعيف فعل التعظيم حالا بعد حال . كقولهم : لبيك وسعديك فنيه مبالغة تعظيم مما عومل به مما يقتضى ذلك . .

وإنما جازت التثنية للمبالغة ولم يجز الجمع لأن التثنية أوفى بالتفضيل شيئا بعد شئ من الجمع ؛ إذا كانت التثنية لا تكون إلا على الواحد . والجمع قد يكون على غير الواحد . نحو نفر ورهط . فهذه تقتضى تضعيف المعنى كما قال سيبويه فى (حنانيك) كأنه قال : تحننا بعد تحنن ؛ وحنانا بعد حنان . والتثنية أدل على هذا التفضيل من الجمع . . ، فكلما قل النظير فى معنى التعظيم كان أشد مبالغة . لأنه إذا قل النظير قل من يستغنى عنه : أى من يحتاج إليه ولا يستغنى بغيره عنه فهو أجل فى التعظيم مما ليس فوق تعظيمه تعظيم ؛ وهذه الصفة لا تكون إلا لله تعالى . . . ولا تجوز هذه المبالغة إلا بالإضافة لأمرين :

أحدهما : طلب الأعرف فى هذا المعنى النادر فيصير كالمثل .

والآخر : أن الإضافة إلى المعظم أخص بمعنى التعظيم من الانفصال ؛ فلهذا لم يجز حنانيك ولبيك وسعديك وما جرى مجراه إلا بالإضافة ؛ وعلة الإضافة فيه كعلة لزوم الإضافة فى ( سبحان الله ومعاذ الله). قال طرفة :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

كأنه قال : تحننا بعد تحنن ؛ ووضع حنانيك موضع تحنن ؛ وتقول : سبحان الله وحنانيه كأنك قلت : ورحمته ؛ على المبالغة فى طلب

الرحمة منه بعد الرحمة على ما تقتضيه التثنية . . وقال عبد بنى الحسحاس:

إذا شُقَّ بردٌ شُقَّ بالبرد مثله
دواليك حتى ليس للبرد لابس

فقال: دواليك، لأن المداولة على معنى المداومة موضع مبالغة وتعظيم: كأنه قال : مداولتك وجعل ( دواليك) فى موضعه . . وقال آخر :

* ضرباً هذاذَيْك وطعناً وخضا *

أى هذا بعد هذا ، فبالغ فى الكثرة ..[1]

وبعد :

فهذه ظاهرة التثنية بكل ما يحيط بها وهذا هو المنهج الوظيفى الذى أراه جديرا بالتناول فى مجال تعليم الناشئة ، وقد استوفيت كثيرا من جوانبه ولا أدعى الإتيان عليها كما قصدت فيه بيان ألوان التوسع فى الاستعمال العربى الذى هو بمنأى عن قواعد النحويين التى لم يك للمجاز أو التوسع خضوع لها ، أو بعبارة أخرى لم يعد لها سلطان عليه ؛ كما يتضح ذلك من هاته الدراسة ؛ ومهما يكن من عملى هذا فإنى أضرع به إلى إلهى صاحب العزة والجلال أن يتقبله خالصا لوجهه الكريم ، كما أرجوه فى كل مسعاى حسن الثواب وهو المرتجى وعليه التكلان ؛ وصلى الله وسلم على البشير النذير وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الرحمن محمد اسماعيل
جامعة أم القــرى
معهد اللغة العربية

---

(١) انظر المخصص ٢٣١/١٣ وما بعدها .

# الفهـــرس


— تمهيد

— تعريف المثنى والغرض منه

—أقسامه

— شروطه

— ما يثنى

— ما لا يثنى

— ما اختلف فى تثنيته

— تقسيم المفرد بالنسبة للمثنى

— تقسيم المثنى بالنسبة للمفرد

— طرائق العرب فى التثنية

(أ)التثنية بالعطف وهى الأصل

(ب)التثنية بالزيادة

(ج)التثنية بالنيابة

(د)التثنية بالتغليب والزيادة

— ما تغيرت حروفه فى المثنى

— قضايا نون المثنى

— مذاهب العرب فى إعراب المثنى

— مذاهب العرب فى عود الضمير على المثنى

— مذاهب العرب فى تثنية آحاد الجمع مضافة إلى المثنى

— مذاهب العرب فى التعبير عن العضوين المزدوجين

— دلالات المثنى :

(أ)الدلالة على التثنية لفظا ومعنى

(ب)دلالته على الإفراد معنى

(ج)دلالته على الجمع معنى

(د)دلالته على المبالغة .

دراسة

# فى حركية عين الكلمة الثلاثية فى العربية ولهجاتها

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقـــدمة :

توهم القدماء من علمائنا ضآلة قيمة الحركات ـ وأنها أمر ثانوى بالقياس على الحروف ، وفى هذا القول بعض المغالاة ، فللحركات خطورتها فى تنويع أصل كل معنى ، وعن طريقها يتحقق تغاير المعنى الصرفى ، والدور البنائى الوظيفى . وتاريخ الحركات ـ جزء هام من تاريخ الكتابة العربية فى عصورها الإسلامية ، غايتها تصوير كل صوت برمز كتابى يدل عليه . ولقد مرت العربية فى تاريخها الطويل بإصلاحات فى هذه الحركات متنقلة بين النقط[1] وغيره حتى استقرت على يد الخليل بن أحمد ـ رائد هذه المدرسة العلمية بإبدال طريقة النقط التى وضعها أبو الأسود الدؤلى للدلالة على الحركات الإعرابية بجرات علوية وسفلية للدلالة على الفتح والكسر ، وبرأس واو للدلالة على الضم[2] ، وما قام به الخليل فى هذا الشأن يومئ إلى العبقرية العربية ، وأيًّا ما كان فالكتابة وحركاتها ترتبط بالعقيدة الإسلامية حيث حملت الدين الجديد على جناحيها شرقا وغربا ، بل كانت له خيرا من صليل السيوف ومشرعات الرماح ، كما ترتبط بالفن الهندسى الجمالى تارة أخرى .

---

(١) ألف فى النقط كثيرون من العلماء منهم أبو عمرو الدانى صاحب كتاب : النقط والشكل : مكتب الدراسات الإسلامية فى دمشق ١٩٤٠ م . تحدث فيه عن نقط المصاحف وكيفية ضبطها على ألفاظ التلاوة ومذاهب القراءة ، كما ذكر مواضع الحركات من الحروف ، والتنوين وتتابعه ، وعلامة السكون والتشديد ، وتحدث كذلك عن أحكام نقط ما نقص من هجائه ومازيد فى هجائه بالنسبة للمصحف ...

(٢) وآخر هذه الإصلاحات فى الحركات حتى الآن ماقام به الدكتور خليل عساكر حيث أضاف خمس علامات مبتكرة وجعلها رموزا لخمس حركات ترد فى نطق اللهجات العربية الحديثة ، وقد راعى اتفاق هذه العلامات الجديدة وانسجامها مع طبيعة الكتابة العربية . انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ . وأرى أن هذا الإصلاح هو الرابع فى تاريخ إصلاح الكتابة .

وفى العربية نجد أنماطا من الحركات المختلفة من بسيطة ومزدوجة Diphthong وممطولة ومخطوفة أو مختلسة إلى آخر ما نراه فى كتب العربية وعلوم القرآن ، على أن الحركات يمكن أن ترتبط بنظرية نحويى العربية الذين يرون أن الحركات الأساسية هى التى بواسطتها تحرك نهاية الكلمة فى حالات الإعراب ، غير أنه يوجد إلى جانب هذه الحركات حركات أخرى نشأت بتأثير الحرف الصامت سابقا أو لاحقا ، مع بعض العوامل الأخرى .

والحركات قصيرة وطويلة وليس من فرق بينهما إلا فى الكمية ، والأولى قامت بدور المخالفة بين الصيغ التى لا تفترق إلا فى حركة محققة البناء الوظيفى فى الصيغة ، من ذلك :

| | |
|---|---|
| حفرت وسْط الدار بئرا<br>وحفرت وسَط الدار بئرا | بين الظرفية والإسمية . |
| قاتَل فلان فلانا<br>وقاتِلْ فلانا | بين المشاركة وبين الأمر |
| شاتَم فلان فلانا<br>وشَاتِمُ فلان | بين المشاركة واسم الفاعل |
| سقْف وسُقُف | بين المفرد والجمع |
| ضُحَكة وضُحْكة | بين الفاعلية والمفعولية |
| شَربة وشِربة | بين الوحدة والهيئة |

فما رأيت من تفاوت أو تغاير فى المعنى الوظيفى فمرجعه الاختلاف فى الحركات دون غيرها .

## حركية العين وتنويع المعنى :

قد تتوالى الحركات والسكنات على الصيغة ، وتتقاصف عليها فتألف نمطا منسجما يتواكب مع المعانى الوظيفية[1] ، ويمكن أن نرى نموذجا لما وقع فيه التخفيف بالإسكان فى عين الكلمة ، ونرصد دلالته فإذا نظرت إلى :

( ا ) ثبَت وثبْت ، فالدلالة فى الأول على المتثبت ، وفى الثانى على زيادة التمكن فى الوصف .

(ب ) النَّفْض والنَّفَض ، والخبْط والخبَط ، والطرْد والطرَد ، فقد كثر عنهم مجىء المصدر

---

(١) انظر : الوحدات الصرفية ص ٢٥٢ ( مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم ) الأستاذ أحمد عبد العظيم .

على فعل ساكن العين ، واسم المفعول منه على فعل مفتوحها [1]

كما يمكن أن تختلف دلالة الكلمة أيضا باختلاف أى حركة فيها ولو كانت الحركة غير السكون :

( ا ) فمن ذلك : قول ابن درستويه « وقد يلتزمون أحد الوجهين للفرق بين المعانى كقولهم : ينفر – بالضم من النفار والاشمئزاز ، وينفر – بالكسر من نفر الحجاج من عرفات [2] » إلا أن هذه المفاهيم الدقيقة قد تجمدت فيما بعد وزالت الحدود بينها رويدا رويدا ، خذ مثلا قول الله تعالى : « ويهلك الحرث والنَّسل » [3] فقد روى هارون عن الحسن وابن أبى إسحق وابن محيصن . « ويَهلَك » بفتح الياء واللام ورفع الكاف . الحرث والنسل :

رفع فيهما ، وابن مجاهد يغلط القراءة ، وابن جنى يتصدى للدفاع عنها معتمدا على دربته الذهنية وأقيسته الصناعية إذ يقول : لعمرى إن ذلك ترك لما عليه اللغة.... ثم ينقل ابن جنى عن أبى بكر ( أنه كان يذهب فى هذا إلى أنها لغات تداخلت [4] ) . وكان على اللغويين أن يبحثوا فى المعنى أولا بمعنى أن الفعل هلك – إذا جاء فى قبيلة من باب ضرب ، وفى أخرى من باب علم – هل يكون المعنى واحدا فيهما أم يختلف باختلاف الصيغة ؟ وكان عليهم أيضا أن يفتشوا عن الباب الأصلى لهذه المادة والفرعى منها ، وهل الأصلى يتساوى مع الفرعى فى المعنى أو يزيد أو ينقص أو ينحرف معناه قليلا أو كثيرا ؟ .

---

(١) المحتسب لابن جنى ٢ / ٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) المزهر للسيوطى ١ / ٢٠٨ (٣) سورة البقرة آية ٢٠٥

(٤) المحتسب ١ / ١٣١ خط بالتيمورية .

(ب ) وقد كان لدى الفراء شفافية فى لحظ هذه الظلال الدقيقة بين الضم والفتح ، وذلك فى كتابه « المذكر والمؤنث [1] » قال الفراء : أكثر القراء على فتح القاف فى قوله تعالى : « إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله » وقرأ أصحاب عبد الله : قرح – بالضم . وكأن القرح – بالضم ألم الجراحات وكأن القرح – بالفتح الجراحات باعيانها. على أن كثيرا من المتأخرين يمرون على مثل هذا ، ولا يكادون يقفون تلك الوقفة الرائعة التى وقفها الفراء حين نظر إلى الصيغة من الجانب الفنى الدلالى لا الجانب الميكانيكى الصناعى الذى ينحصر فى استبدال حركة بأخرى على حين تبقى الدلالة فى الصيغة راكدة هامدة .

## التفريخ والتفريع فى عين الكلمة :

معلوم أن الثلاثى المجرد له الأوزان الآتية : فعل ، فعل ، فعل بفتح العين وكسرها وضمها ولكن لوحظ أن الصيغتين الأخيرتين تعتورهما تغيرات عدة لا سيما فى الأوزان الصرفية ، والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذى تنزع إليه القبائل العربية فى أثناء كلامها ، وأمثال ذلك ما نجده فى :

١ – فعِل : بكسر العين سواء كانت اسما أو فعلا حيث ينطق بها ( فعْل ) بتسكين العين مثل : عَلِم تقول فيه : علْم ، وفى كتف : كتْف ، وفى فخذ : فخْذ ، ويظهر أن هذه التغيرات أو التفريعات تختص بلهجة تميم ، على حين لهجة الحجاز أبقتها على حالها بدون تفريع ، يقول الرضى « وجميع هذه التفريعات فى كلام بنى تميم ، وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون [2] » وعزاه سيبويه « إلى بكر بن وائل وأناس كثير من

(١) ٢٦ ، وانظر اللسان ٦ / ١٤٨
(٢) شرح الشافية : ابن الحاجب : ١ / ٤٠ ط حجازى .

تميم[1] » وبالاستقراء وجد أن صيغة : ( فعِل ) بكسر العين يتفرع عنها ما يلى :

( ا ) تسكين العين : مثل فعل .

(ب) تسكينها بعد نقل حركتها إلى الفاء فتصير ( فِعْل ) نحو : شهد ، فخذ ، فى حلقى العين ، وكتف ، وكبر ، فى غير الحلقى .

( ج ) التفريع الثالث : فِعِل : بكسرتين وهذا التفريع يختص بما كان حلقى العين نحوضِحِك. هذه هى تفريعات ( فعِل ) بكسر العين .

( ا ) فعِل : بكسر العين وتفريعها إلى فعْل بسكون العين .

ولما كانت النصوص القرآنية ، وغيرها هى سبيلنا فى إثبات كل قضية فإليك ما يلى :

١ – كلمة على وزن نبقة وهى الفصحى وهى لغة الحجاز ، وبها جاء التنزيل ، وكلمة على وزن ( سدرة ) ، وعلى وزن ( تمرة ) وهى لغتا تميم[2] . ويقول المصباح بأن « الكلمة » تخفف على لغة بنى تميم[3] . وفى قوله تعالى : « قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء[4] » قرئت كلمة – على وزن نمربة ، وكلمة على وزن ( سدرة )[5] .

٢ – وفى الآية « وكأين من نبىّ قاتل معه رِبّيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم »[6] . قرأ عكرمة وأبو السّمال : وهنوا بإسكان الهاء[7] .

٣ – يرى الأزهرى أن ( الوسمة ) بكسر السين وهو كلام العرب – وعزى كسر السين إلى لغة الحجاز[8] ، وقال الجوهرى تسكينها لغة[9] . ولا شك أن التسكين تفريع عن الكسر وأرجح أن التسكين لتميم .

---

( ١ ) سيبويه : ٢ – ٢٥٧

( ٢ ) ابن هشام : شذور الذهب : ١٣/١ ، وحاشية عبادة على الشذور : ١٣/١

( ٣ ) المصباح : ٨٣١/١ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ١٩/١ ، اللسان : ٤٢٨/١٥

( ٤ ) سورة آل عمران آية : ٦٤ (٥) البحر : ٤٤٧/٢ : ٤٨٢

( ٦ ) آل عمران آية : ١٤٦ (٢) البحر : ٧٤/٣

( ٨ ) المصباح : ١٠٢٤/٢ (٩) اللسان : ١٢٣/١٦

٤ ـ فى قوله تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة »[1] فقرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم بسكون الظاء ـ وهى لغة تميمية[2] ـ كما عزاها فى المحتسب إلى تميم[3] أيضا . ولا شك أن هذا التسكين فى الظاء للتخفيف من نظرة ـ بكسر الظاء .

٥ ـ وما رواه ابن السكيت من أنه سمع أعرابيا من بنى تميم يقول : « نَعْم »[4] وقرأ ابن وثاب قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »[5] بفتح النون وسكون العين ، قال أبو حيان وتخفيف فعل لغة تميمية »[6] .

ويظهر أن هذا التخفيف لم يكن خاصا بتميم بل شمل كثيرا من المناطق العربية ، فكانت بكر بن وائل تخفف مثل هذا فقد ذكر سيبويه فى كتابه « أن من العرب من يقول : نَعْم الرجل ـ فى نِعم ـ كأن أصله : نَعِم ثم خفف بإسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل[7] ، ومما يزيد هذا الدليل قوة ما روى عن أبى هريرة وعاصم الجحدرى فى قراءتهما « مَلْك يوم الدين »[8] فى « مالك يوم الدين »[9] على الصفة المشبهة . وقد قرأ بها أيضا عبد الوارث عن أبى عمرو[10] ، كما عزيت هذه القراءة فى مكان آخر لربيعة ، واستشهد لها بقول الأعشى :

فقال للمَلْك أطلق منهم مائة ... رَسلًا من القول مخفوضا[11] ومارفعا

وإذا كانت الظاهرة واحدة فى بكر بن وائل وربيعة ؛ فذلك لأن العلاقة النسبية بينهما قائمة ، إذ أن بكرا هذه ـ كما ترى كتب الأنساب ـ بطن من ربيعة[12] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٠

(٢) ٣٤٠/٢ من البحر المحيط ، ومختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ١٧

(٣) المحتسب : ابن جنى : ١٦٤/١ مخطوطة بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير تيمور .

(٤) إصلاح المنطق : ١٠٥

(٥) سورة الرعد آية : ٢٤

(٦) البحر المحيط : ٣٨٧/٥

(٧) اللسان : ٦٦/١٦

(٨) البحر : ٢٠/١

(٩) سورة الفاتحة آية : ٤

(١٠) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ١

(١١) الاشتقاق : ١٧ ط وستنفلد .

(١٢) نهاية الأرب : القلقشندى : ١٧٨

وإذا كان هذا التسكين جائزا فإننا نرى بعض المتزمتين يسمونه بعدم الصحة مستدلين بقول الشاعر :

وأحفظ من أخى ما حفْظ منى
ويكفينى البلاءُ إذا بـــلوت

فسكن حفظ ـ وهو غير سائغ على رأيهم ! ! والصحيح أنه جائز فى سعة الكلام وليس من الضرورة فى شىء .

والأمثلة السابقة فيها تفرعت الصيغة ( فَعِل ) إلى ( فَعْل ) بسكون العين .

وقد تتفرع صيغة ( فَعل ) بكسر العين إلى ( فِعْل ) بسكونها ، وذلك فى لهجة تميم ، ومن ذلك :

(ب) فَعِل : بكسر العين وتفريعها إلى فِعْل بكسر الفاء ، وسكون العين .

١ ـ وذلك قوله تعالى « بئسما اشتروا به أنفسهم »[1] فأصل بئس : بَئِس من البؤس ، سكنت همزتها ، ثم نقلت حركتها إلى الباء ، كما قيل : لكبد : كِبْد .

قال الطبرى فى تفسيره « وهى من لغة الذين ينقلون حركة العين من فَعِل إلى الفاء إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة ـ وذلك فيما يقال لغة فاشية فى تميم »[2] .

٢ ـ وقرأ الجمهور قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »[3] بكسر النون وسكون العين وهى أكثر استعمالا[4] ، وأصلها : نَعِم ، فسكنت العين ثم نقلت حركتها إلى النون قبلها فصارت ( نِعم ) .

٣ ـ وفى المخصص أنه سمع من العرب من يقول « وَرِكَ ، و ـ وِرْك ، وكَتِف وَكِتْف[5] ، ولَعِب ولِعْب[6] .

والغرض من هذا التفريع المعزو إلى تميم هو كراهة الانتقال من الأخف إلى الأثقل . ولهذا آثرت تميم تسكين العين فى هذا كله ، والسكون أخف من الحركة .

---

(١) سورة البقرة آية : ٩٠
(٢) تفسير الطبرى : ٢/٢٣٨ دار المعارف .
(٣) سورة الرعد آية : ٢٤
(٤) البحر : ٥/٣٨٧
(٥) المخصص : سفر ١٤ ص : ٢٢١
(٦) تفسير الطبرى : ٢/٣٣٨ دار المعارف

وقد تتفرع صيغة : فَعِل إلى فِعِل ، بكسر الفاء والعين وهذا التفريع لا يكون إلا فى الحلقى العين .

( ج ) فَعِل : بفتح الفاء وكسر العين وتفريعها إلى فِعِل : بكسر الفاء والعين .

وهذا التفريع لا يكون إلا فى الحلقى العين كنِعْم وبئْس : فتقول فيها على التفريع نعم وبئس ، بكسر الفاء والعين فى كل منهما والأصل فيهما ، نعم وبئس بفتح فكسر ، وقد عزا صاحب التوضيح الصيغتين نعم وبئس ، بكسر الحرفين الأولين إلى تميم حيث قال « وكسرهما عند بنى تميم ، ولا يجيز الحجازيون فيهما إلا الأصل »[1] ، وقد ساق سيبويه عدة صيغ على فعل : بكسر الفاء والعين منها : رجل لعب : بكسر الفاء والعين ، ورجل محك ، وهو ماضغ لهم : بكسر الفاء والعين ، وهذا رجل وِعِك[2] .

ولقد علل الرضى هذا التفريغ فى تلك الصيغة فقال « وإنما جعلوا ما قبل الحلقى تابعا له فى الحركة ، مع أن حق الحلقى أن يفتح نفسه أو ما قبله كما فى « يد مَع » لثقل الحلقى وخفة الفتحة ، فأتبع فاؤه لعينه فى الكسر[3] . وعلل سيبويه لهذا التفريع بأن حرف الحلق لا يناسبه إلا الفتح ، ولم تفتح العين الحلقية هنا خوفا من أن تلتبس صيغة ( فعل ) بفتح العين مع صيغة ( فعل ) بكسرها ، فلما لزمت العين الكسر ، وهى حرف حلق ، وفى ذلك شىء من الثقل ـ أتبعوا الفاء العين ليحدث نوع من التخفيف بالميل من كسرة إلى كسرة ، وذلك لأن اللسان يعمل فى جهة واحدة ، فيكون العمل من وجه واحد[4] .

٢ ـ فَعُل : بفتح الفاء وضم العين وتفريعها إلى فَعْل : بفتح الفاء وسكون العين . وقد جاء التفريع فيها بسكون العين تخفيفا ولا يكون ذلك إلا عند بنى تميم . وأمثلة ذلك : ما قرئ به فى قوله

---

(١) التصريح والتوضيح : ٢/٩٥

(٢) كتاب سيبويه : ٢/٢٥٥ ، شرح السيرافى على سيبويه : ٥ـ٣١٣ مخطوط بالتيمورية .

(٣) شرح الشافية : ١/٤٠

(٤) كتاب سيبويه : ٢/٢٥٥ ، وانظر : المخصص لابن سيده : سفر : ١٤ ص ٢١٣

تعالى : كبرت كلمة تخرج من أفواههم »[1] بسكون الباء فى ( كبر ) – وعزاها أبو حيان إلى تميم[2] . كما قرأ أبو السمال قوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقا »[3] بسكون السين – وعزاها أبو حيان إلى تميم كذلك[4] : ونسب ابن خالويه فى البديع هذه القراءة إلى قعنب[5] .

على حين لغة الحجاز لا تفرع فى تلك الصيغة ، فقد قرأ الجمهور الآية السابقة « وحسن » بفتح الفاء وضم العين وهى الأصل، قال أبوحيان : وهى لغة الحجاز[6] ، ويظهر أن التفريغ فى تلك الصيغة لم يكن خاصا بتميم وحدها – فقد شمل بقاعا أخرى من الجزيرة العربية ، ومما يؤيد هذا ما جاء عن سيبويه من أن التسكين فى العين لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير من تميم ، ومثل لذلك بقوله : « عَضْد فى عَضُد وفى كَرُم الرجل : كرم[7] بفتح فسكون ، وقد وجدنا صدى للهجة بكر بن وائل فى كتاب الله أذكر منها :

( ا ) قال تعالى : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت »[8]

قرأ زيد بن على « بما رحْبت » بسكون الحاء[9] .

(ب ) وقال تعالى : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم »[10] .

فقد قرئ ( كبْرت ) بسكون الباء – وهى لغة تميم[11] .

ويجوز فى هذا التفريع أى صيغة « فَعُل » أن تنقل ضمة عينه إلى فائه فيكون على وزن ( فُعْل ) بضم الفاء وتسكين العين –وعليها قرئ قوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقا »[12] « وحُسْن » بضم الحاء وسكون السين ، والذى حدث فى تلك الصيغة : أن حركة السين وهى الضمة ، نقلت إلى الحاء قبلها – وقد عزى هذه الصيغة المنقولة حركتها –

---

(١) سورة الكهف آية : ٥
(٢) البحر : ٩٧/٦
(٣) سورة النساء آية : ٦٩
(٤) البحر : ٢٨٩/٣
(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٧
(٦) البحر : ٢٨٩/٣ ، الدر اللقيط : ٢٩٠/٣
(٧) الكتاب : ٢٥٧/٢
( ٨ ) سورة التوبة آية : ١١٨
(٩) البحر : ٥ / ٢٤
(١٠) سورة الكهف آية : ٥
(١١) البحر : ٩٧/٦
(١٢) سورة النساء آية : ٦٩

أبو حيان « إلى لغة بعض قيس »[1] — ويظهر أن النقل فى الحركة هنا لا يصح إلاَّ إذا لمحنا معنى التعجب فيها ، لأن التغيير فى اللفظ بالنقل صحبه معنى آخر زائدا وهو التعجب ، وهذا معنى كلام الرضى «من أن فَعُل — الذى فيه معنى التعجب يقال فيه فعل[2] » بسكون العين وضم الفاء .

واستشهد لذلك بقول الأخطل :

« وحُبَّ بها مقتولة حين تُقتل »

ولعل ذلك دلالة على نقله إلى معنى التعجب[3] .

وأصل : حُبَّ : حَبَب — بفتح العين ، ثم حول إلى فَعُل : بضم العين لإرادة المدح والتعجب فصار « حبب » بضم العين ، ثم نقلت العين إلى الفاء بعد حذف حركتها فصار : حُبَّ بضم ففتح .

وفى نسبة البيت السابق إلى الأخطل دليل يفيدنا فى قضيتنا ، وهو أن هذا التفريع فى الصيغ لم يكن فى تميم فقط ، ولكنه شمل أجزاء كبرى من الجزيرة العربية — فالأخطل هذا من تغلب ، وتغلب وبكر ابنا وائل من ربيعة . وفى الكامل للمبرد نجد شيئا من التفريع فى صيغة فعُل بضم العين ، وتحويلها إلى فَعْل بسكونها .

من ذلك قول عمران بن حطّان :

من الأزد إن الأزد أكرم معشر
يمانية طابوا إذا نسب البشر[4]

ويعقب المبرد على البيت السابق بقوله: وينشد :

( يمانية قرْبوا إذا نسب البشر )

بسكون الراء .

يريد : قربرا — بضم الراء . قال المبرد : « وهذا جائز فى كل شىء مضموم أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب : تقول فى الأسماء : فى فَخِذ : فخْذ وفى عضُد : عضْد بسكون العين ، وتقول فى الأفعال : كرم عبد الله بسكون العين أى كرم »[5] ، وقول المبرد « وهذا جائز . . . » دليل على أن هذا ليس بابه الضرورة ، بل يكون فى سعة الكلام .

---

(١) البحر : ٢٨٩/٣
(٢) شرح الشافية لابن الحاجب : ٤٣/١
(٣) شرح الشافية : ٤٣/١
(٤) الكامل : ١١/١٢ ط حجازى ١٣٦٥
(٥) الكامل المبرد : ١١٤/٢

وإنما كان القصد من هذا التفريع ـ هو التخفيف ، لأن النطق بصيغة : فَعْل بسكون العين أخف من صيغة فعل : أى بضم العين ، ولا شك أن السكون أخف من الضم . ولو لم يسكنوا العين بل تركوها على الضم لترتب عليه أن اللسان ينتقل من الأخف وهى الفتحة ـ إلى الأثقل منه ـ وهى الضمة ، ولهذا سكنت الضمة فى تفريعه ، لأن السكون أخف . ويظهر أن التسكين كما كان فى الكلمة الواحدة عند تميم ، شمل الكلمتين أيضا ، ويظهر هذا فى غير المتصل بأن تكون الكسرة أو الضمة ليست فى وسط الكلمة ـ كما تقدم من الأمثلة ـ بل ينظر إليها بجانب كلمة أخرى ، ومن هذا أنهم يسكنون هاء ـ هو وهى ، إذا سبقهما واو ، أو فاء ، أو لام ، وقد وردت بعض القراءات على ذلك : منها قوله تعالى : «وهو بكل شىء عليم [1] » ، « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم [2] » ، « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان [3] »

فقد قرأ قراء عديدون بسكون الهاء من الآيات السابقة منهم أبو عمرو والكسائى وأبو جعفر [4] ، وعزا صاحب الإتحاف هذا التسكين إلى نجد ، كما نسب التحريك فيها إلى الحجاز [5] .

والسبب فى هذا التسكين عند نجد أو تميم أن ( فَهُوَ ) على وزن ( فعل ) فكما جاز أن نسكن عَضُدَ ـ فتكون ( عَضْد ) ، جاز تسكين الهاء من ( فهو ) التى برزن ( فَعُل ) بضم العين فتصير ( فهو ) ( وهو ) ، بسكونها وهذا إن دل فإنما يدل على أن التسكين كان كثيرا شاملا فى تميم فى الأسماء والأفعال .

ومما جاء من التفريع على تلك الصيغة قوله تعالى « فخر عليهم السقف [6] » بسكون القاف وهى قراءة الجمهور ، وقد عزاها أبو حيان إلى تميم [7] » ، وهى مخففة من « السقف » بضم العين ، كما عزا صاحب البحر صيغة « عَضْدا » فى قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين

(١) سورة البقرة آية : ٢٩
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧١
(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٤
(٤) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٢
(٥) المرجع السابق .
(٦) سورة النحل آية : ٢٦
(٧) البحر : ٥/٤٨٥

عضدا [1] » إلى تميم [2] ، وبهذه اللغة قرأ عيسى [3] ، وفى المصباح عزيت إلى تميم وبكر بن وائل [4] ، على حين عزا ابن منظور ناقلا عن أبى يزيد أن صيغة « العُضُد والعُجُز – بضمتين – فى لغة تهامة [5] » وفى المصباح أن تلك الصيغة السابقة معزوة إلى الحجاز [6] ، وهذا يشير إلى أن التفريع لم يكن فى الحجاز . ويشير إلى معنى آخر وهو أن اللهجات كان بعضها يحل مكان بعض فى نظر اللغويين والرواة ، فالصيغة عزيت فى كتاب إلى تهامة ، وفى كتاب آخر إلى الحجاز ولا شك أن الصيغة الأصلية هى : عضد – بفتح فضم – ثم حدث فيها التخفيف فسكنت الضاد ، فصارت : عضد : بسكون الضاد – وأما نطقها فى تهامة عضد : بضمتين فهى صورة متطورة عن الأصل ، ولأنها أخف من عَضُد – واللغة فى سيرها تميل إلى السهولة ، وقد سبق أن جاءت القراءات فى تلك الكلمة فى لهجة تميم وبكر بن وائل ، أما لهجة تهامة أو الحجاز فقد قرأ بها الحسن فى قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين عُضُدا » بضمتين [7] .

٣ – تفريع : « فُعل » بضم الفاء وكسر العين إلى « فُعْل » بسكون العين .

وهذا الضرب خاص بالفعل المبنى للمجهول ، ومن المعلوم أن الفعل فى الماضى يضم أوله ويكسر ما قبل آخره فى البناء للمجهول لكنه يحول إلى صيغة تفريعية أخرى عند تميم وبكر بن وائل وتغلب – وهى صيغة : « فعل » بضم الفاء وسكون العين ويمكن أن نورد الشواهد الآتية لهذه الظاهرة :

١ – عزى سيبويه إلى أبى النجم قوله : ( لو عُصْر منه البان والمسك انعصر [8] ) بضم العين وسكون الصاد – وأصلها : عصر – بالبناء للمجهول .

---

(١) الكهف آية : ٥١ (٢) البحر : ١٣٧/٦

(٣) مختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ٨٠ (٤) المصباح : ٦٣٥/٢

(٥) اللسان : ٢٨٣/٤ (٦) المصباح : ٦٣٥/٢

(٧) المصباح : ٦٣٥/٢

(٨) الكتاب لسيبويه : ٢٥٨/٢ ، شرح الشافية : ٤٣/١ ، التصريح على التوضيح : ١٩٤/١ ، المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠

٢ ـ ورد فى كتاب المخصص استشهاده بقول الشاعر : ( ونفْخوا فى مدائنهم فطاروا [١] ) بسكون الفاء ، ولم يعز البيت إلى قائل ، وفى نسخة السيرافى المخطوطة [٢] على سيبويه عزى هذا البيت إلى القطامى ، وكذلك فى اللسان مادة ( ن ف خ [٣] ) .

٣ ـ جاء فى كتاب « العققة والبررة » ما عزى إلى معبد بن قرط العبدى فى هجاء أمه من قوله :

تلتهم الوسقَ مشدودا أشظتـــه [٤]
كأنما وجهها قد سُفْعَ بالنَّار

بسكون الفاء ـ فى « سفع » .

وإذا بحثنا فى كتب الطبقات والأنساب وجدنا أن أبا النجم صاحب البيت الأول من بكر بن وائل [٥] من بنى عجل . وأن القطامى : هو عمير بن شيم من بنى تغلب [٦] فيكون هذا التفريع من « فُعِل » إلى « فُعْل » فى بكر بن وائل ، وفى « تغلب » الذى هو أخو بكر ، كما يطرد هذا التفريع عند تميم أيضا [٧] .

وعلى الرغم من أن التفريع هذا فى تميم إلا أن الرضى المحقق ـ أخطأ عندما نسب أبا النجم ـ إلى تميم [٨] فى بيته السالف ـ ولعل هذا النسب الخاطئ جاء له من شبهة مؤداها : أن هذا التفريع عند تميم أيضا .

ويمكن أن تعلل صيغة التفريع السابقة بأنهم كرهوا فى « فُعِل » الكسرة بعد الضمة . فسكنوا هذه الكسرة حتى لا ينتقل اللسان إلى الثقل ، وعلل صاحب المخصص هذا ناقلا عن سيبويه قوله : « كرهوا فى « عُصِر » الكسرة بعد الضمة ، كما يكرهون الواو مع الياء فى مواضع ، ومع هذا إنه بناءٌ ليس من كلامهم إلا فى هذا الموضع من الفعل فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال [٩] »

---

(١) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠ (٢) السيرافى على سيبويه : ٥ـ٣٢٤ تيمور خط .
(٣) وفى ديوان القطامى المطبوع سنة ١٩٦٠ ص : ١٤٣ « ونُحُوًّا » .
(٤) كتاب العققة والبررة : لأبى عبيد معمر بن المثنى : ٣٦٥ من نوادر المخطوطات رقم ٧ ط أولى ، لجنة التأليف والترجمة : ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤ تحقيق عبد السلام هارون .
(٥) الشعر والشعراء : ٢٣٢ ط المعاهد ، المخصص : س : ١٤ ص : ٢٢٠
(٦) الشعر والشعراء : ٢٧٧ ط المعاهد .
(٧) شرح السيرافى على سيبويه : ٥ـ٣٢٣ ، كتاب سيبويه : ٢ـ٢٥٧ ـ ٢٥٨
(٨) شرح الشافية : ١ـ٤٣ ، وانظر الهامش . (٩) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠

وإذا التفتنا إلى كتاب الله ـ التمسنا في قراءته شواهد لهذا التفريع الذى جاء على لهجة تميم ، وبكر ، وتغلب :

١ ـ قرأ أبو السمال قوله تعالى « ولعنوا بما قالوا[1] » بسكون العين، ولقد حسنت قراءة أبي السمال لأن الكسرة وقعت بين ضمتين[2] .

٢ ـ كما قرأ مسلمة بن محارب «جزاء لمن كان كفر[3] » بإسكان العين فى « كفر » .

٣ ـ وجاء فى شرح السيرافى مثل من أمثال العرب وهو : لم يحرم من فُصْد له[4] : بإسكان الصاد وأصلها : فصد ـ بالبناء للمجهول ، ولكن جاءت صورتها بالسكون فى المثل ـ وهى ولا شك صيغة تفريعية من المبنى للمجهول .

تلك هى أهم التفريعات وكلها فى تميم ومن لفّ لفهم من بكر بن وائل وتغلب وربيعة .

٤ ـ أما صيغة ( فَعَل ) بفتح الفاء والعين فلا تفريع فيها ؛ لأن الفتح خفيف فلا داعى للخروج عنه ، قال سيبويه : وأما ما توالت فيه الفتحتان ، فإنهم لا يسكنون منه ، فلا يقولون فى جمل (بفتح الميم) جمل (بسكونها[5] ) .

وفى ركاب سيبويه يسير السيرافى[6] وابن جنى حيث يقول فى محتسبه معلقا على قراءة أبى السّمال وأبى المتوكل وأبى الجوزاء ( حتى يلج الجمل[7] ) : وأما الجمل ـ بالسكون فبعيد أن يكون مخففا من المفتوح لخفة الفتحة[8] .

وأرى أن كلا من سيبويه ومن تبعه فى مذهبه من مثل السيرافى وابن جنى وكثرة كاثرة من النحاة غيرهم قد جانبهم الصواب أو جانبوه لورود ذلك فى القرآن المقدس وفى التراث العربى وأمثلة ذلك من القرآن :

( أ ) قراءة جحفلة من القراء ( حتى يلج الجمّل فى سم الخياط ) بسكون الميم ، وذلك تخفيف من الفتح.

---

(١) المائدة : ٦٤ (٢) البحر : ٣–٥٢٣

(٣) سورة القمر آية : ١٤ (٤) شرح السيرافى : ٥–٤٢٣ مخطوط .

(٥) شرح السيرافى على سيبويه : ٥–٤١٦ خط بالتيمورية ، الكتاب ٢–٢٥٨ ، ٢–٢٨١

(٦) شرح السيرافى على سيبويه ٥–٤١٦ (٧) الأعراف : ٤٠ وانظر المحتسب فى نفس السورة والآية .

(٨) وانظر كذلك شواهد الشافية : ١٨

(ب) وقرأ أبو عمرو بن العلاء البصرى التميمى وأحد القراء السبعة «ويدعوننا رغبا ورهبا[1]» بالإسكان ، ورواه عنه هارون عن أبى عمرو[2] ، وبهذا يكون قد خفف أبو عمرو المفتوح.

(ج) كما خففت الجماعة المفتوح فى « كانتا رتقا[3] » وقراءة الحسن وعيسى الثقفى وأبى حيوة ( رتَقا ) بالفتح[4] .

(د) وفى معانى القرآن للفراء عند قوله تعالى «سبع سنين دأبا[5]» يقول الفراء « قرأ بعض قرائنا ـ دأبا ـ فَعَلا . وكذلك كل حرف فتح أوله وسكن ثانيه فتثقيله جائز إذا كان ثانيه همزة أو غينا أو عينا أو حاء أو خاء أو هاء[6] » والنحاة يرون أن الفتح والسكون فى ذلك لغتان ، وكأنهم ينكرون أن التسكين فى ذلك تخفيف من التحريك .

(هـ) ومن تخفيف المفتوح ما فى البديع لابن خالويه فى رواية عن الكسائى أنه قرأ فى الآية ٩٢ من النساء « ومن يُقتل مؤمنا متعمدا » ساكنة التاء. وقد حكم النحاة على تلك القراءة بأنها فى غاية الشذوذ والوهن ، ثم يتراجعون قليلا عن صلفهم فيقولون : (وسهله مجاورة الفتحة للضمة ) وكأن القراءات القرآنية لا تُقبل إلا بمثل هذ التعليل .

ومن التراث :

(أ) وقد ورد تخفيف المفتوح فى قول الأخطل النصرانى :

وما كل مبتاع ولو سلف صفقةُ
براجع ما قد فاته بردادِ[7]

---

(١) الأنبياء : ٩٠
(٢) شواذ القرآن : ٩٢ لابن خالويه .
(٣) الأنبياء : ٣٠
(٤) المحتسب : ٢-٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٥) يوسف : ٤٧
(٦) معانى القرآن للفراء : ٢-٤٧
(٧) سلف صفقه : وجب بيعه . برداد : اسم من الاسترداد .

يقول البغدادى فى شرح شواهد الشافية[1] : أصله سلف بفتح اللام .

(ب ) وقول الراجز :

على محالات عُكسْنَ عكْساً
إذا تسدَّاها طلابـــــاً غلسْا

يريد غَلَسا بالفتح .

(ج) ونقل البغدادى عن كتاب الضرائر لابن عصفرر قول الشاعر :

وقالوا ترابىٌ فقلت صـــــدقتم
أبى من تراب خلْقـــــه الله آدم

يريد : خَلَقه

( د ) وقول أبى خراش :

ولحم امرىء لم تطعم الطيـــــر مثله
عشية أمسى لايُبين من البَكْم

يريد : من البَكَمَ .

وابن جنى فى شرح التصريف للمازنى[2] يرى أن تخفيف المفتوح ضرورة ، وعند أصحابه من الشاذ ، ثم يرى رأيا آخر فى توجيه : سلْف ـ فى قول الأخطل السابق : وهو أن يكون مخففا من فعل ـ مكسور العين ، ولكنه فِعْل غير مستعمل إلا أنه فى تقدير الاستعمال وإن لم ينطق به . وهذا تحل عجيب من جنىّ وابن جنىّ ثم ينقل عن سيبويه قوله ( وهذا التسكين لم نره فى المفتوح البتة )[3] وقد وضعت الحق فى نصابه فظهر تردِّيهم فى الخطإ ، ومجانبة الصواب .

## مواقف متشابهة :

وموقف النحاة السابق وتزمتهم حتى فى فهم كتاب الله يذكرنى بموقفهم فى إنكار بعضهم إسكان حركة الإعراب ، حيث يرى كثير منهم عدم حذفها مطلقا فى الشعر وغيره ، وهم محجوجون بقراءات القرآن الموثقة ، فقد حذفت الحركة فى الفعل المضارع وقرأ أبو عمرو بحذف الحركة الإعرابية فى « ينصركم » فى آل عمران والملك ، و « يأمركم » و « يأمرهم » و « تأمرهم » و « يشعركم » فى الأنعام ١٠٩ ، « ويعلمهم » فى البقرة ١٢٩ وقد عزى حذف الحركة الإعرابية

---

(١) ص ١٨ فما بعدها .
(٢) ١ ـ ٢١
(٣) شرح تصريف المازنى ١ / ٢٢ لابن جنى .

فى القراءات السالفة إلى بنى أسد وتميم وبعض نجد [1] ، كما حذفت الحركة الاعرابية فى الأسماء [2] ، وأيدتها القراءات القرآنية الموثقة الأمينة ، وكما جاء حذف الحركة الإعرابية فى النثر ورد كذلك فى الشعر [3] . وهذا يشير إلى أن المكان السامى الذى كان لحركات الإعراب قد هبط ، إذ الإسكان قد بدأ ينازعها فى مكانها ويستولى على أمكنتها ، وكيف لا يكون ذلك وقد صار الإسكان سمة لهجية لقبائل تميم وأسد وغيرها من قبائل نجد ، وقرأ على تلك الظاهرة أبو عمرو التميمى ، بل يظهر أن الإسكان قد زحف على الأماكن التى تسيطر عليها الحركة الإعرابية ، ومما يؤيد وجهة نظرى ما جاء فى النشر « وقد قرأ بإسكان لام الفعل ... محمد بن عبد الرحمن بن محيصن » وإذا أدرنا البحث فى كتب الطبقات لنعرف إلى أى بقعة ينتمى هذا الذى قرأ بالإسكان - أفادنا ابن الجزرى فى طبقاته « بأنه قرشى ، ومن قراء مكة [4] »

فكأن ظاهرة الإسكان قد زحفت من تميم حتى اقتحمت دوائر الحجاز ، فأصبح الإسكان لا يقل شأنا عن الحركة الإعرابية خذ مثلا - يؤكد ما سبق - على سبيل المثال لا الحصر ، قراءة نافع ( والأذن بالأذن ) ٤٥ من المائدة . بإسكان الذال . ونافع حجازى قرأ بالإسكان كما ترى ، مخالفا بيئته التى لا تسكن .

والغرض من ذهاب حركة الإعراب هو عامل الخفة والتيسير ، وقد فهمنا فيما تقدم أن تميما وجيرانها يخففون عين الكلمة بإسكانها ، فإذا حذفوا الحركة الإعرابية فإنهم يعملون ذلك تمشيا مع نظامهم فى التيسير والتخفيف ، ومع كل هذا نرى :

١ - أن المبرد يزعم بأن قراءة أبى عمرو لحن [5]

٢ - وسيبويه يحمل ظاهرة الإسكان فى قراءة أبى عمرو على الاختلاس .

---

(١) اتحاف فضلاء البشر : ١٣٦ وانظر إبراز المعانى . ٢٣١ والنشر ٢ - ٢١٢

(٢) النشر ٢ - ٢١٤ ، والبحر ٢ - ١٨٨ ومختصر شواذ القرآن ١٤

(٣) شرح السيرافى ١ - ٢٦٧ والخصائص ١ - ٧٤ دار الكتب ، وسيبويه ٢-٢٩٧

(٤) طبقات القراء ٢ - ١٦٧ (٥) البحر ١ - ٢٠٦

٣ـ وابن جنى يسير فى ركاب سيبويه بل ويشنع على القراء ويرى أن روايتهم بالإسكان جاءتهم « من ضعف دراية »[1] والحق أنه يجب ألا نلزم بقول النحاة وحدهم ، إذالقراءُ شركاء لهم فى نقل اللغة ، بل قد كان من القراء أكابر النحاة .

على أننى أرجح أن الإسكان لم ينتصر على الحركة الإعرابية وحدها ، بل سيطر على حركات البناء ، ففى الخصائص[2] ورد قول نهشل بن حرى :

فلما تبينْ غبّ أمرى وأمره
وولتْ بأعجاز الأمور صدورُ

وقول جرير :

هو الخليفة فارضوْا ما رضِى لكمو
ماضى العزيمة ما فى حكمه جَنَفُ

بتسكين الياء فى رضى .

وقد يستطيع النحاة أن يقولوا شيئا ؛ لأن الشواهد شعرية ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يقرلزا شيئا فى قراءة أبىّ « وذروا ما بقى من الربا[3] » بكسر القاف وسكون الياء[4] .

على أن السكون عنصر له قيمة يمكن أن تقارن بقيم الحركات فمثلا : هو يمثل الإمكانية الرابعة وهى الخلو من الحركة ، وله وظيفته وقيمته فى التركيب المقطعى ، وله سمة هامة موسيقية وذلك فى التفعيلات العروضية وله قيمة إيجابية كذلك فى النظام الفنولوجى ، وله مكانته فى الجانب النحوى إذ هو دليل الجزم ، كما أنه دليل إعرابى فى حالة الوقف وأخيرا هو إمكانية من إمكانات البناء[5] .

هذا ، ويظهر أن مشكلة السكون قد أثارت نوعا من القلق فى دوائر علمائنا الأقدمين ، استمع إلى ما جاء فى شواذ القرآن لابن خالويه[6] عند قوله تعالى « ويدعوننا رغبا ورهبا »[7] يقول ابن خالويه سمعت أبا بشر النحوى يقول :

---

(١) الخصائص ١ – ٧٥ ط الهلال .
(٢) ١ – ٧٤
(٣) البقرة ٢٧٨
(٤) شواذ القرآن لابن خالويه ١٧ وانظر البحر ٢ – ٣٣٧ فقد عزاها إلى الحسن .
(٥) السكون . دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤
(٦) ص ٩٢
(٧) الأنبياء ٩٠

قال الأصمعى قلت لأبى عمرو : لم لا تقرأ ـ رغْبا ورهْبا ـ بالسكون مع ميلك إلى إلى التخفيف فقال : ويلك ـ أحمْل أخف أم حمَل ـ يعنى أن المفتوح لايخفف ثم يقول ابن خالويه : وسمعت ابن مجاهد يقول : روى بالتخفيف فى قوله : رغبا ورهبا ـ هارون عن أبى عمرو . ويفهم من تلك المحاورة :

( أ ) أن العلاقة بين السكون والفتح كانت غير واضحة تماما عند الأقدمين .

(ب ) وأن أبا عمرو قال : بأن المفتوح لا يخفف ثم روى عنه من طريق آخر تخفيف المفتوح ، ولا تعارض ولا تناكر ؛ لأن الروايات موثقة وجاءت على هذا .

إلا أن النظرة اللغوية الحديثة وجدت حلاً لهذه المشكلة وذلك القلق حيث رأت أن السكون له من الناحية الصوتية جانبان .

١ ـ جانب النطق والتأثر السمعى .

٢ ـ جانب الوظيفة التى يقوم بها فى النظام الصوتى ، فهو من حيث الجانب الأول عدم أو لا شئ ، ومن حيث الجانب الثانى فهو عنصر له قيمة تقارن بقيم الحركات . . وقد أطلق عليه ( الحركة الصفر ) نظرا لسلبية السكون فى النطق ، وإن كانت له قيمة إيجابية فى النظام اللغوى ، وخلاصة ذلك :

١ ـ أنه يجوز أن نسمى السكون حركة إذا نظرنا إلى قيمته الوظيفية .

٢ ـ وهناك نظام وظيفى للحركات مكون من أربعة عناصر : ثلاثة منها لها تحقق صوتى مادى وهى : الفتحة والكسرة والضمة . وعنصر واحد وهو السكون ( لا شئ ) أو (عدم ) من هذه الناحية[1]

تعقيب :

١ ـ أرى مما سبق فى إسكان حركة البنية ، وحركة الإعراب ـ أنه من خصائص تميم ، ومن جاورها كبكر بن وائل ، وتغلب ومن لف لفهما .

٢ ـ وأن لهجات الحجاز تحتفظ بالصيغ دون حذف أو تغيير ، فالصيغ ثابتة .

(١) السكون : دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤

٣ـ أن هذا التفريع فى قبائل تميم وغيرها ـ تطور عن الصيغ الجازية الثابتة .

٤ـ أن ظاهرة حذف الحركات تتلاءم وتميم البدوية ، حيث أنهم يميلون إلى السرعة فى النطق الذى ينتهى إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى ، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد وهو ما يهدف إليه البدوى ـ بعكس الحجاز المتحضرة التى تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان .

ودليل ذلك ما جاء فى الخبر « نزل القرآن بالتفخيم » وقد اختلفت الأئمة فى معنى هذا الحديث ، فبعضهم يرى أنه نزل بذلك[1] ، ثم رخص فى الإمالة وبعضهم شرحه بأن المقصود : أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ، وآخرون بأن المقصود منه : أنه نزل بالشدة والغلظة على المشركين ، وبعضهم يرى أن المراد بالتفخيم : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إسكانها[2] ، وأرجح أن هذ المعنى الأخير هو المقصود دون غيره ، لأن من يرى أن معنى التفخيم نزوله بالشدة والغلظة على المشركين ـ مردود ، لأن القرآن الكريم كما نزل بالغلظة نزل كذلك بالرحمة والرأفة ، والذى يؤيد ما أرجحه ما ورد عن أبى عبيدة من قوله « أهل الحجاز يفخمون الكلام كله[3] » ، وكأن المقصود هو نطق الحركات كاملة دون الجرر عليها بالتسكين ، وتلك سمة حجازية .

وهناك استثناء من تلك القاعدة العامة وهو أن أهل الحجاز يسكنون الشين من ( عشرة ) فيقولون « إحدى عشرة » على حين تميم تقول ذلك بالكسر . وهذا عكس ما نعرفه عنهما ، لأن المعروف أن تميما تسكن العين من فَعِل وفَعَلة ، والحجاز يحركون ذلك ، ووردت نصوص تؤيد ذلك ، منها :

قوله تعالى : « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا[4] » فقد نسب أبو حيان إسكان الشين إلى الحجاز ، وكسرها إلى

---

(١) لعله يقصد « الفتحة الصريحة » .

(٢) الإتقان : للسيوطى : ١ ـ ٩٥

(٣) الإتقان : ١ ـ ٩٥

(٤) سورة البقرة آية : ٦٠

تميم[1] . وعن ابن خالويه ـ أن كسر الشين قراءة الأعمش[2] . كما قرأ ابن وثاب قوله تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما »[3] بكسر الشين وهى فى تميم ، والجمهور بالإسكان وهى لغة الحجاز[4] ، وفى نوادر يونس « أن تميما تثقل عشرة ، وتكسر الشين . وأهل الحجاز لا يحركون[4] .

وقد يعامل لكل من اللهجتين حيث خالفتا معتاد لغتها ، وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثانى من الثلاثى إذا كان مضموما أو مكسورا ـ وأما تميم فتسكن ذلك ـ وسبب المخالفة فى العدد [ أنه قد نقضتْ فى كثير منه العادات من ذلك قولهم فى الواحد : واحد وأحد ، فلما صاروا منه إلى العدد قالوا : إحدى عشرة ـ فبنوه على فعلى ، ومنه اقتصارهم من ثلثمائة إلى تسعمائة على أن أضافوه إلى الواحد ، ولم يقولوا ثلاث مئات ولا أربع مئين[5] . ويرى ابن جنى « أن العدد موضع يحدث معه ترك الأصول »[6]

ولهذا تركت كل من اللهجتين لهجتها إلى لهجة أخرى ، فأسكن من كان يحرك ، وحرك من كان يسكن . والمقارنة مع بقية اللغات السامية فى هذا اللفظ تثبت أن اللفظ فى السامية الأم لم يكن فيه حركة بعد العين ، ففى العبرية هو עֶשְׂרֵה ومعنى هذا أن لهجة الحجاز على الأصل ، على حين ( عشرة ) بالكسر فى تميم من قبيل اجتلاب الحركة ، وهو ما يسمى بالقلقلة[7] .

٥ ـ كما كانت كل قبيلة تسير فى لغتها على مقدار يكافئ طبيعتها ، فما رفضته القبيلة أو قبلته فإنما يخضع لعامل الثقل حينا والخفة أحيانا ، وهاتان الصفتان لا تجمع عليهما جميع القبائل ، لأن مراتب الثقل والخفة متفاوتة ، ولهذا قد يدعون البناء من الشىء وهم يتكلمون بمثله فى لفظ آخر ، كما يتركون صيغا سهلة لتوهمهم فيها سببا من أسباب الثقل .

---

(١) البحر : ١ / ٢١٨ (٢) مختصر شواذ القرآن : ٥ / ٦
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٠ (٤) البحر : ٤ / ٤٠٦
(٤) المزهر : ٢ / ٢٧٥ (٥) شرح المفصل لابن يعيش : ٦ / ٢٧
(٦) المحتسب : ابن جنى : ١ / ٣٢٥ / ٣٢٦ ، مخطوط بالتيمورية .
(٧) رابين : ٩٨

وقفـــة :

ولكن يظهر أن القبائل الشرقية ـ كتميم وبكر وربيعة وأسد وقيس وعقيل وغيرها من قبائل الشرق ـ لم تكن على درجة واحدة من الميل إلى تسكين البنية ، بل تتفاوت كل قبيلة عن الأخرى فى ميلها إلى تسكين وسط الكلمة ـ تفاوتا قليلا ـ أمكننى أن ألاحظه ، وأن أسجل تفاوته بين هذه القبائل الشرقية ، وإن كانت السمة الغالبة عليهم جميعا هى ميلهم إلى التسكين .

١ ـ فأسد وإن كانت تجنح إلى إسكان البنية ـ إلا أنها فى بعض الأحيان تخالف ذلك ، فمن ذلك ما جاء فى شرح السيرافى على سيبويه من أن « فعل » بضم الفاء وسكون العين تضم بنو أسد عينه اتباعا لأوله ، على حين « فعل » بضمتين فتسكنه تميم[1] . وفى قوله تعالى « ويأمرون الناس بالبخل »[2] فقد عزا الفراء : التثقيل فى « البخل » إلى أسد[3] ، ومراده التثقيل أى النطق بالحركات كاملة ، أى أن أسدا تنطق بالصيغة مكتملة ، على حين عزا التخفيف إلى تميم ، والمراد بالتخفيف التسكين ؛ لأن التسكين أخف على اللسان من غيره ، وقد نطقت الحجاز فى هذا كأسد[4] : أى باكتمال الحركات وأما بكر بن وائل فسارت سير تميم فى التسكين ، قال ابن خالويه : بالبخل ـ ( بفتح فسكون ) لغة بكر بن وائل[5] ، وعلى هذه اللغات جميعا قرأ القراء كما فى البحر[6] .

٢ ـ وفى كنز الحفاظ أن الفراء حكى عن بنى أسد قولهم : هل رأيت عينا؟[7] بفتح العين والياء فى معنى : أحدًا . وبعض العرب يقول : ما بها عيْن بسكون الياء .

٣ ـ وجاء فى اللسان أن بنى أسد تقول : فى أسنانه حفر[8] . بفتح العين ، والحفر ما يلزق بالأسنان ، وغيرهم يقول : حفر . بسكون العين .

---

(١) شرح السيرافى على سيبويه : ٥ / ٦
(٢) سورة النساء آية : ٣٧
(٣) البحر : ٣ / ٢٤٧
(٤) البحر : ٣ / ٢٤٧
(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٦
(٦) البحر : ٣ / ٢٤٦
(٧) كنز الحفاظ : ٢٧٣
(٨) اللسان : ٥ / ٢٨١

فالسمة الغالبة فى هذه النصوص لبنى أسد أنها آثرت الحركات على السكون ، وإنما قلت فى هذه النصوص فقط ؛ لأن المأثور عنها حذف الحركة مثل قراءة « نذرا » فى المرسلات ، « وعرفا » فيها أيضا ، « وخبرا » فى الكهف ، فالإسكان كما ذكر صاحب الإتحاف لغة تميم وأسد وعامة قيس ، والضم لغة الحجاز[1] ، وأرجح أن الأصل الضم فى هذه الأمثلة ، وأسكن تخفيفا . فمن النصوص نرى أن أسدا كانت تتردد فى حذف الحركات ، أى أنها كانت حينا تحذف ، وأحيانا لا تحذف ، وليس هذا اضطرابا فى الظاهرة - بل يسهل علينا تعليل ذلك : أن أسدا من القبائل الكبرى ذات البطون الكثيرة ، والعمائر المتعددة ، فيمكن أن نعزو صيغ حذف الحركات إلى قبائلها المتاخمة لتميم ، والصيغ المكتملة الحركات إلى قبائلها التى تنحدر إلى ما يقرب البيئات الحجازية ، تلك التى كانت تحرص على اكتمال الحركات . إلا أن حذف الحركات فى أسد أكثر من اكتمال الحركات ؛ لأن قبائلها كانت أكثرها فى المنطقة الشرقية والوسطى من الجزيرة العربية تلك كانت تؤثر حذف الحركات .

٢ - أما قيس فقد تقدم أنها أحيانا تسير فى ركاب تميم وبكر بن وائل فى حذف الحركات القصيرة ، ولكن لانعدم أن نرى بعض الروايات التى تنسب إليها اكتمال الحركات مثل ما جاء فى خزانة الأدب من أن قيسا تقول « الضَّبع »[2] بضم الباء ، وتميم تسكنها ، وورد نص مثله فى المصباح[3] . ويرى البغدادى أن التخفيف الواقع فى الكلمة نحو ( عضد ) بضم الضاد سائغ فى حال السعة ، لأنه لغة لقبائل ربيعة[4] ؛ وأرى أن قبائل قيس كانت تتردد بين حذف الحركة ، وبين عدم حذفها ؛ وليس معنى هذا اضطراب الظاهرة ؛ إذ أن قيسا كانت شعبا عظيما - تفرق إلى عدة قبائل ، وتوزعت قبائلها على محيط شاسع فى الجزيرة العربية ، وبعض قبائلها كانت فى وسط الجزيرة كعقيل وغنى وبعضها الآخر كان يسكن مناطق الحجاز لذلك أرجح أن قبائلها التى كانت تسكن

---

(١) الإتحاف : ١٤٣
(٢) الخزانة : ٢ / ٣٦٩
(٣) المصباح : ٢ / ٥٤٥
(٤) الخزانة : ٢ / ٣٦٩ ، ٣ / ٥٣١

شرق الجزيرة ووسطها كانت تحذف الحركة القصيرة كعقيل ـ فقد روى اللسان أن يوم ( الجمعة ) بسكون الميم لغة بنى عقيل ،وأهل الحجاز تقول :الجمعة ـ مثقلة [1] ـ أى مع عدم حذف الحركة والأصل فيها السكون ، فمن ثقل أتبع الضمة الضمة ، ومن خفف فعلى الأصل. وعلى لغة عقيل قرأ الأعمش [2] . ومما يؤيدنى فى هذا الرأى ما جاء فى الإتحاف من عزو تسكين الوسط فى « نذرا » بالمرسلات ، « وخبرا » فى الكهف إلى تميم ، وأسد ، وعامة قيس [3] . فقوله « وعامة قيس » دليل على أن قيسا لم تكن جميعها تحذف الحركة ، بل قبائلها الضاربة فى البادية كعقيل وغنىّ وغيرهما بدليل ما أوردته فى عقيل . وأما بقية قيس المتصلة بالحجاز كغطفان وغيرها ـ فإنها لم تكن تحذف الحركة وشأنها فى ذلك شأن الحجاز بدليل أن الحجاز كانت تقول « الجمعة » [4] بالحركات كاملة . وكلما اتجهنا إلى مناطق الحجاز وجدنا استكمال الحركات فى الكلمة والمحافظة عليها ، بدليل أن هذيلا وهى فى مناطق الحجاز أثر عنها كما جاء فى المخصص عن أبى عبيد أنها كانت تقول : « نجد » بضمتين فى ( نجد ) [5] بالسكون ، والدليل على ذلك ما قاله أبو ذؤيب

فى عانة بجنوب السِّىّ مشربُها
غور ومصدرها عن مائها نُجُد [6]

بضمتين ، وعزا الأصمعى هذه الصيغة إلى الحجاز وهذيل [7] ، وفى معجم البلدان أنها لغة هذيل خاصة [8] . وعلى أى حال فسواء كانت اللهجة هى لهجة الحجاز وهذيل ، أم هذيل وحدها فإنها تؤيد ما نذهب إليه من أن الحجاز وما جاورها من هذيل وبطون قيس ـ كانت لا تحذف الحركات القصيرة .

وأما تميم وبكر بن وائل وقبائل ربيعة . وأكثر قبائل أسد . وعامة قبائل قيس المتاخمة لتميم ـ فإنها كانت جميعا تجنح إلى حذف الحركات القصيرة ، ولعل هذا

---

(١) اللسان : ج ٩ مادة جمع .
(٢) المصباح ١ / ١٧٠ ـ ١٧١
(٣) الإتحاف : ١٤٣
(٤) اللسان : ج ٩ مادة جمع .
(٥) المخصص : س ١٢ ص : ٤٨
(٦) ديوان الهذليين : ١ / ٢٤ دار الكتب
(٧) اللسان : ٤ : ٤٢٥
(٨) معجم البلدان : ٨ / ٢٥٢ ياقوت .

يتفق مع طبيعة البدو فى السرعة فى نطق الكلمة ، ولهذا جانب الصواب الأُستاذ عبد الوهاب حمودة فى كتابه « القراءات واللهجات [1] » حيث ذكر أن تسكين العين فى « رسل » لغة أهل الحجاز والتحريك لغة بنى تميم ، ويبدو أن الدكتور شوقى ضيف مال إلى ما رآه الأُستاذ عبد الوهاب حمودة [2] أيضا .

وقد وقع أبو حيان نفسه فيما وقعا فيه عند تفسيره لقوله تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل » [3] حيث ذكر أن قراءة الجمهور – بالرسل – بضم السين ، كما قرأ الحسن ويحيى ابن يعمر بتسكينها [4] » ثم قال أبو حيان « وتسكين عينه لغة أهل الحجاز ، والتحريك لغة بنى تميم » [5] .

ومن مجانبة الصواب فى حركة العين من الفعل المعتل أن رجلا أخطأ بحضرة أبى عمرو بن العلاء حين أنشد قول المرقش الأصغر :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يَغْوَ لا يعدم على الغىّ لائما .

فقال له أبو عمرو أقومك أم أتركك تتسكّع فى ظمّتك ؟ فقال : بل قومنى . فقال : قل : ومن يغْو ( بكسر الواو [6] ) ألا ترى إلى قوله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى » [7] . وإنما أخطأ المنشد لأن الفعل من باب : قضى يقضى

وقد نرى حذف الحركات تارة واكتمالها تارة أُخرى فى اللغات السّامية أيضا كما رأينا فى لهجات القبائل ففى الأكدية 'Uznu وهى فى العبرية 'Ozen [8] باكتمال الحركة ، ونجدها فى العربية : أُذن – باكتمال الحركة تارة وبحذفها تارة أُخرى ، وذلك فى قراءة

---

(١) ص : ٣٧ ط أولى .
(٢) تاريخ الأدب العربى ١ – ١٢٦ د . شوقى ضيف
(٣) سورة البقرة آية : ٨٧
(٤) البحر المحيط ١ – ٢٩٩
(٥) البحر المحيط ١ – ٢٩٧
(٦) طبقات اللغويين ٢٩ للزبيدى .
(٧) سورةطه آية : ١٢١
(٨) التطور النحوى ٤٤ برجشتراسر .

نافع « والأُذْن بالأُذْن » ٤٥ من المائدة . ونافع بن أبي نعيم صاحب هذه القراءة مدنى حجازى ، ومع ذلك فقد خالف بيئته التى لا تسكن .

وقد تؤثر عين الكلمة حركة فى موضع ما ثم ترفض نفس الحركة من الكلمة نفسها فى موضع آخر ، وليس السبب فى ذلك عامل الثقل أو الخفة كما قد يتوهم ، وإنما يرجع إلى تحقيق الموسيقا الصوتية وانسجام النغم ، ففى قوله تعالى : « إلى شيء نكرُ » القمـــر : ٦ . حرك عين الكلمة ؛ لأن النظام العام للسورة آثر الحركة فى آياتهـــا ، على حين رفض الحركة فى الكلمة نفسها فى قوله تعالى : « وعذبناها عذابا نكْرا » الطلاق : ٨ . وذلك تحقيقا لموسيقا السورة التى آثرت سكون العين[1] فى آياتها .

وفى النهاية : نرى أن نظام العربية فى ضوء ما سبق من النصوص والشواهد قد حقق من خلال الحركات والسّكنات وتقاصفها على الصيغ ـ فيضاً غامرًا من كثرة الوجوه وحركية الانتقال ، ونظاما منتظمًا متواكبًا مع الدلالة فى نسق صوتى خاص ، وهذه المساوقة بين الصيغ اللفظية ومعانيها يشير إلى تمدن العرب فى لغتهم من جانب ، كما يعدُّ نمطًا فريدا لسياسة الحروف وحركاتها من جانب آخر .

**احمد علم الدين الجندى**

---

( ١ ) انظر أمثلة مختلفة للموسيقا وأثرها فى :

( أ ) أبو زكريا الفراء ٣٠٤ د . مكى الأنصارى .

(ب) التصوير الفنى فى القرآن .

( ج ) أثر القرآن فى تطور النقد العربى ٦٣ د . زغلول سلام .

# وزن فُعالة

## الدال على نفايات الأشياء ومتناثراتها وبقاياها

للدكتور احمد الحوفى

**وردت** فى المعاجم اللغوية كلمات كثيرة على وزن فُعالة ( بضم الفاء وفتح العين ) للدلالة على نفايات الاشياء وبقاياها ومتناثراتها .

ومن الميسور أن نقيس على هذه الكلمات كلمات أخرى كثيرة ، لم تنص المعاجم عليها .

وقد رأيت أن أمهد للموضوع بكلمة موجزة عن القياس فى النحو ، ثم أذكر الكلمات التى استخرجتها من المعاجم ، وبعدها الكلمات التى أقترح إقرارها بالقياس ، لبيان أن وزن فُعالة قياسى للدلالة على نفايات الأشياء ورديئها وما يتناثر منها ويتساقط ، وإن دلت كلمات قليلة جدا من هذا الوزن على معنى آخر هو الخلاصة .

### (١) القياس فى النحو

نقل السيوطى عن ابن الأنبارى أن القياس حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه ، وهو معظم أدلة النحو ، والمعوَّل عليه فى غالب مسائله . وقال إن إنكار القياس فى النحو لا يتحقق ، لأن النحو كله قياس ، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ، ولو لم يجز القياس ، واقتُصِر على ما ورد فى النقل من الاستعمال لبقى كثير من المعانى لا يمكن التعبير عنها ، لعدم النقل ، وذلك مناف لحكمة الوضع ، فوجب أن يوضع وضعا قياسيا عقليا لا نقليا ، بخلاف اللغة ، فإنها وضعت وضعا نقليا لا عقليا ، فلا يجوز القياس فيها ، ، بل يقتصر على ما ورد به النقل .

ثم ذكر السيوطى أن القياس أربعة أقسام . حمل فرع على أصل . وحمل أصل على فرع . وحمل نظير على نظير . وحمل ضد على ضد[1] .

وفى رأى المازنى وابن جنى أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول . وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره ! وقد اشتقت العرب من الأعجمى كما تشتق من أصول كلامهما ، نحو درهمت الخبازى ، أى صارت كالدراهم ، فاشتقت من الدرهم وهو اسم أعجمى .

ومنفعة الاشتقاق لصاحبه أن يسمع الرجل اللفظة ، فيشك فيها ، فإذا رأى الاشتقاق قابلالها أنس بها ، وزال استيحاشه منها ، فهل هذا إلا اعتماد فى تثبيت اللغة على القياس[2] ؟

ولقد عجب ابن جنى ممن يستبعدون الأخذ بالقياس ، وقال إنك لا تجد مختصرًا من العربية إلا وهذا المعنى فى عدة مواضع منه . ألا تراهم يقولون فى وصايا الجمع إن ماكان من الكلام على فَعْل ( على وزن نهر ) فتكسيره على أَفْعُل ( بضم العين ) مثل كلب وأكلب ، وكعب وأكعب وفرخ وأفرخ . وما كان على غير ذلك من أبنية الثلاثى فتكسيره فى القلة على أفعال نحو جَبَل وأجبال ، وعُنُق وأعناق وعَجْز وأعجاز وضِلَع وأضلاع وكبد وأكباد .

فليت شعرى هل قالوا ليُعْرف وحده ؟ أو ليعرف ويقاس عليه غيره ؟ ألا تراك لو لم تسمع تكسير واحد من هذه الأمثلة ، بل سمعته منفردًا أكنت تحتشم من تكسيره على ماكسِّر عليه نظيره ؟

لا ، بل كنت تحمله عليه للوصية التى تقدمت لك فى بابه ، وذلك كأن يحتاج إلى تكسير الرِّجْز الذى هو العذاب ، فكنت قائلا لا محالة : أرجاز ، قياسًا على أحمال وإن لم تسمع أرجازا فى هذا المعنى .

ثم اختتم رأيه بقوله : ومعاذ الله أن نَدَّعى أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة والقياس

---

(١) الاقتراح فى علم النحو للسيوطى ٤٥-٥٥

(٢) الخصائص لابن جنى ٣٦٢-٣٧٤ والاقتراح للسيوطى ٥٢

ولكن ما أمكن ذلك فيه قلنا به ، ونبهنا عليه ، كما فعله مَنْ قبلنا ، ممن نحن له متَّبعون ، وعلى مُثُله وأوضاعه حاذون[1] .

## ( ب ) كلمات على وزن فُعالة

رجعت إلى لسان العرب وأساس البلاغة والقاموس المحيط وتاج العروس ، فاستخرجت الكلمات الآتية :

١ ـ البُرادة :

(١) ما يسقط من الذهب والفضة عند بردهما ، وهى السُّحالة .

(٢) سِفْلة الناس .

(٣) قشر البرِّ والشعير ونحوهما .

٢ ـ البُراية :

(١) النُّخامة .

(٢) ما يسقط من الحديد عند برده .

٣ ـ البُضاضة :

الماءُ القليل .

٤ ـ البُقامة :

ما سقط من النادف مما لا يقدر على غزله ، وما يتطاير من النجاد .

٥ ـ التُلاوة : بقية الدين وغيره .

٦ ـ الثُّمالة :

البقية من الطعام والشراب فى البطن .

٧ ـ الجُذامة :

ما يلتقط من التمر بعد ما يصرم ، يلتقط من الكرب .

٨ ـ الجُفافة :

ما ينتثر من الحشيش والقت .

٩ ـ الحُتامة :

ما تبقى على المائدة من طعام أو ما سقط منه إذا أُكل .

١٠ ـ الحُثالة :

(١) ما يتبقى على المائدة من طعام .

(٢) ما لا خير فيه .

(٣) الردىءُ من كل شىء .

١١ ـ الحُسافة :

(١) ما تناثر من التمر الفاسد .

(٢) سُحالة الذهب والفضة .

١٢ ـ الحُشاشة :

بقية الروح فى المريض أو الجريح .

---

(١) الخصائص ٤٣٩/٤٤٢

١٣ ـ الحَفالة :

(١) الحثالة .

(٢) ما رمَّد من عكر الدهن .

(٣) رغوة اللبن .

١٤ ـ الحُكاكةُ :

ما يسقط من الشيءُ عند حكه .

١٥ ـ الحُلاءة :

(١) قشرة الجلد التى يقشرها الدباغ مما يلى اللحم .

(٢) ما يحك بين حجرين ليكتحل به.

١٦ ـ الحُلاتة : نُتافة الصوف .

١٧ ـ الخُثارة :

عكارة اللبن وبقيته ووسخه .

١٨ ـ الخُراشة :

ما يتساقط من الشيء إذا خرش بحديدة ونحوها .

١٩ ـ الخُراطة :

مايتساقط من خرط الحديد أو الخشب ، كالنُّحَاتَة

٢٠ ـ الخُساسة :

(١) القليل من المال .

(٢) عُلالة الفرس .

٢١ ـ الخُشارة :

(١) الرديءُ من كل شيءُ .

(٢) مايتبقى على المائدة .

(٣) سفلة الناس .

٢٢ ـ الخُصاصة :

[١] مايتبقى فى الكرم بعد قطافه .

[٢] الشيءُ القليل اليسير .

٢٣ ـ الخُلالة :

بقية الطعام بين الأسنان .

٢٤ ـ الخُمامة :

(١) الكناسة .

(٢) ماينتثر من الطعام .

٢٥ ـ الرُّذالة : الرديءُ من كل شيء .

٢٦ ـ السُّباطة :

الكناسة تطرح بأفنية البيوت .

٢٧ ـ السُّحالة :

مايسقط من الذهب والفضة عند بردهما .

٢٨ ـ السُّفالة : السِّفلة

٢٩ ـ الشُّفافة : بقية الماء فى الإناء .

٣٠ ـ الشُّوابة :

بقية قوم أو مال هلك .

٣١ ـ الصُّبابة : بقية الماء واللبن .

٣٢ ـ الصُّفارة : ماذوى من النبات .

٣٣ ـ الطُّفاوة :

ماطفا من زبد القِدْر .

٣٤ ـ العُصافة :

مايسقط من السنبل مثل التبن .

٣٥ ـ العُفافة :

بقية اللبن فى الضرع بعد أن امتص أكثره .

٣٦ ـ العُلالة :

(١) بقية اللبن وغيره .

(٢) مايتعلل به .

٣٧ ـ الغُدارة :

ماأهمل من الشىء وترك .

٣٨ ـ الغُسالة :

مايخرج من الثوب بغسله .

٣٩ ـ الفُسالة :

مايتناثر من الحديد عند ضربه وطبعه .

٤٠ ـ الفضالة :

الفضلة وهى البقية من الماء ونحوه .

٤١ ـ القُراضة :

(١) مايسقط بالقرض مثل قراضة الذهب والفضة

(٢) قراضة الثوب وهى مايقصه الخياط ويلقيه .

(٣) قراضة الفأر وهى فُضالة ماقرضه من خبز ونحوه .

(٤) قراضة المال وهى رديئه وخسيسه .

٤٢ ـ القُرامة :

مايلتزق من الخبز بالتنور .

٤٣ ـ القُشارة :

مايسقط من الشىء عند قشره .

٤٤ ـ القشامة :

مايبقى على المائدة ونحوها مما لاخير فيه .

٤٥ ـ القُطافة :

مايسقط من العنب عند قطفه .

٤٦ ـ القُلامة :

مايسقط من الأَظفار عند تقليمها .

٤٧ ـ القُمامة :

( ١ ) الكُناسة .

( ٢ ) وسخ البيت .

٤٨ ـ الكُدادة : مايبقى فى أسفل القدر .

٤٩ ـ الكُدامة : بقية الشىء المأكول .

٥٠ ـ الكُرابة : الجذامة .

٥١ ـ الكُسارة :

ماتكسر من الشىء .

٥٢ ـ الكُناسة :

القمامة .

٥٣ ـ المُراقة :

ماانتتف من الصوف أو من الكلأ القليل .

٥٤ ـ المُراطة :

مايسقط من الشعر عند التسريح .

٥٥ ـ المشاطة :

مايتساقط من الشعر عند الامتشاط .

٥٦ ـ المُشاقة :

مايتساقط أو يطير من الشعر أو الكتان عند مشطه .

٥٧ ـ المُصالة :

مايقطر من الحب أو مايسيل من الأقط .

٥٨ ـ المُضاغة :

مامضغ .

٥٩ ـ المُواصة :

غُسالة الثوب .

٦٠ ـ النُّتافة :

مايسقط من الشعر عند نتفه .

٦١ ـ النُّثارة :

مايتناثر من الشىء عند نتفه وتفريقه

٦٢ ـ النُّحاته :

( ١ ) البُداية .

( ٢ ) مايسقط من الخشب عندالنحت

٦٣ ـ النُّخاعة :

ايخرج من الصدر أو الخيشوم

٦٤ ـ النخامة :

النُّخاعة .

٦٥ ـ النُّسافة :

مايسقط من المِنْسف عند النَّسْف .

٦٦ ـ النُّسالة :

مايتساقط من الصوف والوبر والريش .

٦٧ــ النُّشارة :

مايسقط من الخشب عند نشره .

٦٨ــ النُّفارة :

(١) الرديء من الشيء .

(٢) بقيته .

٦٩ــ النُّفاضة :

(١) مايسقط من الشيء المنفوض.

(٢) نُفاضة السواك .

٧٠ــ النُّفاية : النفارة .

٧١ــ الهُتامة : مايتكسر من الشيء .

## (٣) اقتراح كلمات مقيسة لتأدية المعنى نفسه

أقترح إقرار الكلمات الآتية ، قياسا على نظائرها السابقة ، لتؤدى معانى جديدة تثرى اللغة وتسعف المعبر والمترجم .

وأقترح إصدار قرار بقياسية وزن فُعالة للدلالة على بقايا الأشياء ونفاياتها ورديئها ومايتساقط منها عند المزاولة والمعالجة وهذه الكلمات هى :

١ ــ الاكالة :

مايبقى على الخوان بعد الأكل .

٢ ــ البُناية :

مايتبقى من أدوات البناء بعد البناء كالطوب والرمل والجير .

٣ ــ الثُّمالة :

مايتبقى فى الكوب أو الكأس بعد الشراب .

وهذا لايتعارض وماجاء فى القاموس المحيط : الثمالة والثميلة البقية من الطعام والشراب فى البطن .

٤ ــ الجُرادة :

مايتساقط من العود عند قشره ، أو من الشعر عند نزعه .

٥ ــ الجُراشة :

(١) مايتساقط من الشيء حين حكه وقشره .

(٢) مايتساقط من الجلد حين دلكه.

٦ ــ الجُزارة :

مايتبقى بعد الذبح والسلخ والجَزْر .

٧ ــ الجُلادة :

مايتخلف من تجليد الكتب .

٨ ــ الحُدادة :

مايتبقى من الحداد بعد عمله .

٩ ـ الحُصادة :

مايتبقى فى الحقل بعد الحصد .

١٠ ـ الحُلاقة :

مايتناثر من الشعر عند حلاقته .

١١ ـ الخُبازة : مايتبقى بعد الخبز .

١٢ ـ الخُياطة :

( ١ ) مايتبقى بعد التفصيل والقص والخياطة .

( ٢ ) مايتساقط عند التفصيل .

١٣ ـ الدُّخانة : بقية دخان النار .

١٤ ـ الدُّرامة :

مايتناثر من الأظفار حين قصها وتسويتها .

١٥ ـ الدُّكاكة :

( ١ ) مايتبقى من الشىء بعد دقه وهدمه .

( ٢ ) مايتبقى من الأرض غير مستو بعد تسوية مرتفعها ومنخفضها .

١٦ ـ الدُّكالة :

مايبقى من الطين بعد جمعه باليد والتطيين به .

١٧ ـ الرُّصافة :

البقية بعد عملية الرصف .

١٨ ـ السُّحاقة :

مايبقى بعد السحق والدق .

١٩ ـ السُّلاقة :

( ١ ) مايبقى من اللحم على العظم بعد نزع اللحم .

( ٢ ) مايبقى من النبات الذى قضى عليه البرد .

( ٣ ) مايبقى من الشعر أو الوبر على شىء مسلوق بالماء الحار .

٢٠ ـ الصُّقالة :

مايتناثر من صقل الشىء وجلائه .

٢١ ـ الطُّباعة : بقية الورق والحبر بعد الطبع .

٢٢ ـ الطُّهاية :

( ١ ) البقية بعد طهو الطعام .

( ٢ ) مايرمى من الطعام فى أثناء الطهو .

٢٣ ـ العُجانة :

البقية بعد عجن العجين .

٢٤ ـ العُلافة :

مايتبقى فى المِذْود من علف الدابة

٢٥ ـ الفُتاتة :

مايتبقى من الشيء بعد دقه وكسره .

٢٦ ـ القُراشة :

مايتبقى بعد قطع الشيء وجمعه من هاهنا وهاهنا .

٢٧ ـ الكُسارة :

مايتبقى بعد كسر الشيء .

٢٨ ـ المُسَاحة :

(١) مايتناثر من الشيء حينما يمسح وينظف .

(٢) مايتبقى بعد المسح .

٢٩ ـ المُصاصة :

(١) فضلة الشراب بعد امتصاصه .

(٢) بقية أعواد القصب بعد مصها .

٣٠ ـ النُّجادة :

(١) مايتطاير من القطن أو الصوف عند التنجيد .

(٢) مايتبقى بعد التنجيد .

٣١ ـ النُّجارة :

(١) مايتناثر من النَّجْر .

(٢) مايتبقى بعد النجر من نُحاتة .

٣٢ ـ النُّدافة :

مايتطاير من القطن أو الصوف عند ضربه بالمندف .

٣٣ ـ النُّقالة :

مايتبقى من الأشياء بعد نقلها .

٣٤ ـ النُّكاتة :

مايتساقط من الأكسية البالية عند نقضها لتنزل ثانية .

٣٥ ـ الهُراسة :

مايتخلف من الشيء عند هرسه ودقه .

٣٦ ـ الوُساقة :

مايتبقى من الشيء بعد جمعه وحمله .

**أحمد الحوفى**

عضو المجمع

في القرآن والعربية :

# دراسة في صيغتي "فعل وأفعل"

للدكتور أحمد علم الدين الجندي

لم تتفق القبائل العربية على استعمال وزن « أفعل » بالهمزة ، فقد جاء في اللسان : أراقه وهراقه — على البدل عن اللحياني ، وعزاها إلى اليمن ، ثم فشت في مضر[1] . « ويفهم من رواية اللحياني أن صيغة (هفعل) كانت أصلا في اللغات العربية الجنوبية ، ولكنها ظهرت في مناطق جغرافية أخرى حيث ظهرت في اللحيانية القديمة[2] ، ثم في الكنعانية القديمة والمؤابية ، وبعض اللهجات الآرامية[3] .

كما ورد في العربية الفصحى أيضا وزن ( هفعل ) بدل ( أفعل ) فقد جاء عن الكسائي « أرحت دابتي ، وهرحتها[4] » ، كما حكى عنهم ( هرقت[5] ) والأصل : أرقت . وفي شعر امرئ القيس :

« وإن شفائي عبرة مُهَرَاقة[6] » .

كما ظهر قلب الهمزة هاء في طيء في « إن » الشرطية حيث يقولون : هن فعلت[7] . كما كانت طيء تقول أيضا « هزيد فعل ذلك » في : أزيد[8] . « وهذا التعاقب بين الهمزة والهاء يعلل لنا التعاقب بين وزني (أفعل وهفعل) لأن الهمزة والهاء حلقيتان : وهذا يؤكد أن العربية كغيرها من الساميات استخدمت الهمزة والهاء في هذا الوزن ، ثم فضلت العربية الهمزة بعد ذلك معرضة عن الهاء لأسباب تتفق وطبيعتها اللغوية[9] ، وكما

---

( ١ ) اللسان : ١١-٤٢٨

( ٢ ) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

( ٣ ) انظر : وزن أفعل : دكتور خليل يحيى نامي .

( ٤ ) إبدال أبي الطيب : ٢-٥٧٠

( ٥ ) ليس في كلام العرب : ٧٢ ، المفصل : ٣٦٩ ، الأمالي : ٢-٦٨ للقالي .

( ٦ ) شرح المعلقات السبع : ٨

( ٧ ) شرح الشافية : ٣-٢٢٣ ، اللسان : ١٦-١٧٨

( ٨ ) اللسان : ٢٠-٣٧٣

( ٩ ) وزن أفعل : دكتور خليل نامي .

فعلت العربية ، فعلت اللحياتية حيث أخذت صيغة ( أفعل ) بالهمزة تظهر فيها بعد أن أعرضت عن وزن ( هفعل[1] ) .

والآن نتوجه إلى بحث اختيار القبائل العربية لأحدهذين الوزنين (فعل وأفعل) :

١ – أورد صاحب المصباح أن « جزى » بجزى جزاء – من غير همز – لغة الحجاز كما نسب « أجزأ » بمعناه أيضا – إلى تميم[2] . وفى اللسان أن النبي (ص) قال لأبى بردة حين ضحى بالجذعة « تجزى عنك، ولا تجزى عن أحد بعدك» وهو كماقال الأصمعى « مأخوذ من قولك « قد جزى عنى هذا الأمر يجزى عنى[3] » وهذا يقوى أن الحجاز تقوله – مجردا ، لأن النبي ( ص) من تلك البيئة ، ونقل ابن منظور أنهم يقولون « جزت عنك شاة وأجزت – بمعنى[4] » .

٢ – كما ورد أن ( سحت ) مجردا لغة الحجاز ، وأسحت – لغة تميم ، وأورد أبوحيان شاهدا للهجة تميم من قول الفرزدق[5] وإذا التفتنا إلى كتاب الله وجدنا أن حمزة ، والكسائى وحفصا والأعمش يقرؤن – « فيسحتكم بعذاب » بضم الياء وكسر الحاء من أسحت – رباعيا ، على حين قرأ باقى السبعة . . . . بفتحها من ( سحت ) ثلاثيا[6] . والقراء السابقون يمثلون البيئة الكوفية تلك التى تأثرت بقبائل شرق الجزيرة كتميم. وقد وجه ابن خالويه فى مخطوطة الحجة القراءتين – ولم يعزهما[7] .

٣ – ورد فى المزهر نقلا عن يونس فى نوادره : أن الحجاز يقولون: لاته[8] عن وجهه – يلَيته ، وتميم: ألاته – يُليته[9] ، وقد وردت اللغتان فى قوله تعالى : (لايلتكم من أعمالكم شيئا[10]) ، وقرأ على اللهجتين الحجازية والتميمية كثير من القراء[11] .

٤ – كما نقل ابن منظور : مضّنى الجرح وأمضنى : آلمنى وأوجعنى ، كما نقل أبو عبيدة الصيغتين عن العرب : مضنى وأمضنى . وقال : « أمضنى كلام تميم[12] » وورد لها شاهد وهو قول سنان بن محرش :

( من الحلوء صادق الإمضاض[13])

---

( ١ ) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

( ٢ ) المصباح : ١-١٥٧

( ٣ ) اللسان : ١٨-١٥٩

( ٤ ) المرجع السابق .

( ٥ ) البحر : ٦-٢٤٤

( ٦ ) الإتحاف : ٣٠٤ ، البحر : ٦-٢٤٥

( ٧ ) الحجة لابن خالويه : ورقة ٩٦ مخطوطة بدار الكتب .

( ٨ ) لاته : نقصه .

( ٩ ) المزهر : ٢-٢٧٦

(١٠) سورة الحجرات آية : ١٤

(١١) الإتحاف : ٣٩٨

(١٢) اللسان : ٩-١٠١

(١٣) المرجع السابق .

٥ — كما عزا أبوحيان صيغة ( مرج ) بمعنى خلط إلى لهجة الحجاز ( وأمرج ) عزاها إلى[1] نجد ، وذلك بمناسبة تفسيره لقوله تعالى « وهو الذى مرج البحرين[2] » .

٦ — وعزا أبوحيان : فتن — إلى الحجاز بينما لغة تميم : أفتن[3] . كما قرأ عيسى بن عمر « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى[4] » بضم التاء الأولى من أفتن وعزاها أبوحاتم إلى تميم[5]. وقد جاء فى اللسان أن أعشى همدان جاء باللغتين فى قوله :

لئن فتنتنى لهيّى بالأمس أفتنت
سعيدا فأمسى قد قلا كلّ مسلم

وعلى الرغم من أن الأدلة شاهدة على صحة أفتن — المزيدة ، والمنسوبة إلى تميم بشهادة قول رؤبة :

( يُعرضن إعراضاً لدين المفتن ) وقوله :

( وإنى وبعض المفتنين . . . . )[6] .

الا أن الأصمعى قد أنكرها ، وقال عن بيت الشاهد فى شعر الأعشى « إنه مخنث » وأبو زيد قد أجازها[7] .

ولعل السبب فى إنكار الأصمعى لها أنه كان يتشدد فى اللغة وأنه كان يفرق بين الصحيح والأصح ، ويذهب فى معظم أمره مذهب الأفصح فى كلام العرب — أما أبوزيد فقد كان يقبل جميع ماجاء عن العرب ، ويذهب فيه مذهب الصحة والصواب . وهما نظرتان مختلفتان . ومهما كان فإن الأصمعى بتضييقه فى اللغة قد أنكر قراءة مروية وهى التى قرأ بها عيسى بن عمر فى الآية السابقة . ويظهر أن هذا كان من طبع الأصمعى ، ومما يؤيد ذلك أنه كان ينكر ما يأتى به الكميت ، حدث أبوحاتم قال « قلت للأصمعى أتجيز إنك لتُبرق لى وتُرعِد؟ فقال : لا ، إنما هو تَبرق وتَرعدُ ، فقلت له : فقد قال الكميت :

أبرق وأرعد يا يزيـ
ـد فما وعيدك لى بضائر

فقال : هذا جرمقانى[*] من أهل الموصل ، ولا آخذ بلغته ، فسألت عنها أبا زيد الأنصارى فأجازها » وهذا إن دل فإنما يدل على مذهب الأصمعى فى ولعه بأجود اللغات ورده ليس كذلك ، وما رده الأصمعى.

---

( ١ ) البحر : ٦-٤٧٨
( ٢ ) سورة الفرقان : آية : ٥٣
( ٣ ) البحر : ٣-٣٣٩ ، النهر الماد : ٣-٣٣٨
( ٤ ) سورة التوبة آية : ٤٩
( ٥ ) البحر : ٥-٥١
( ٦ ) اللسان : ١٧-١٩٤
( ٧ ) الخصائص : ٣-٣١٥ ، اللسان ١٧-١٩٤
( ٨ ) الخصائص : ٣-٢٩٣.
( * ) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، وهم السريانيون .

صحيح فى اللغة ، بدليل أنهم احتكموا إلى أعرابى فى ذلك حين سأله أبو زيد « كيف تقول إنك لتبرق لى وترعد ؟ فقال له الأعرابى : أفى الجخيف تعنى ؟ أى التهدد . فقال : نعم ، فقال الأعرابى : إنك لتبرق لى وتُرعد[1].

٧ — كما عزا يونس فى نوادره إلى الحجاز قولهم « هو الذى ينقُد الدراهم » وتميم تقول فى مثل ذلك : وهو الذى ينتقد[2]» أى يستعملونها مزيدة ، والحجاز تستعملها مجردة . كما نسب إلى الحجازيين « تخذت ووخذت ، وتميم تقول فى مثل هذا « اتخذ[3]» .

٨ — كما عزا أبوحيان صيغة ( أجنب ) إلى تميم ، وهى مزيدة ، وغيرهم من الحجازيين يستعمل ( جنب[4]) .

وإذا رجعنا إلى كتاب الله وجدنا أن الجحدرى وأبا الهجهاج يقرآن ( وأجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ) بهمزة القطع على لهجة تميم كما جاء فى المحتسب[5] . ولكن أباحيان عزاها إلى الجحدرى وعيسى الثقفى[6].

٩ — كما جاءت عدة روايات وكلها تعزو المزيد إلى تميم كقولهم « أوقعت بهم » بالألف وغيرهم يقول « وقعت[7] » مجردا ، كما عزا ابن القوطية إلى تميم قولهم « أوقفت الدار والدابة[8]» على حين غيرهم يقول «وقفت» مجردا ، ولكن الأصمعى أنكر « أوقفت » بالألف ، وقال : الكلام « وقفت » بغير ألف[9] . وعلى أى حال فعجبنا يشتد للأصمعى لأنه أنكر لهجة كلهجة تميم — تلك التى قال عنها ابن حزم « بأنها قاعدة من أكبر قواعد العرب[10]» ، وربما نلتمس العذر للأصمعى فى رفضه تلك الصيغة ، بأنها لم تبلغه — كما عزى صاحب الكامل إلى تميم صيغة مزيدة وهى « أهبطته[11]» وغيرهم يقول «هبطته».

١٠ — كما ذكر ابن منظور « ما فتئت وما فتأتُ أذكره — وماأفتأت » وعقب على هذا بأن الصيغة الأخيرة « تميمية[12]» أى أن تميما كانت تستعملها مزيدة ، كما عزاها السيوطى إلى تميم أيضا[13] .

فمن الشواهد السابقة نلمح أثرا واضحا وهو أن تميما تميل إلى استعمال صيغ الأفعال المزيدة . ولم تكن تميم وحدها فى هذا الميل بل شاركتها قبائل أخرى . :

١ — كقيس حيث روى اللحيانى أنهم يقولون « أخلى فلان على اللبن[14] واللحم »

( ١ ) الأخطاء اللغوية الشائعة : ١-٨ الشيخ محمد النجار ، الخصائص : ٣-٢٩٤
( ٢ ) المزهر : ٢-٢٧٦ ( ٣ ) المرجع السابق .
( ٤ ) البحر المحيط : ٥-٤٢٩ ( ٥ ) المحتسب : ٢-٢١ مخطوط .
( ٦ ) البحر : ٥-٤٢٩ ( ٧ ) المصباح : ٢-١٠٣٧
( ٨ ) الأفعال : ١٥٧ ابن القوطية . ( ٩ ) المصباح : ٢-١٠٣٨
(١٠) جمهرة أنساب العرب : ١٩٦ (١١) الكامل للمبرد : ١-٢٢٠
(١٢) اللسان : ١-١١٤ (١٣) الهمع : ١-١١٢ (١٤) اللسان : ١٨-٢٦١

كما عزا صاحب البحر لقيس صيغة (أفتن)[1] فى تفسيره قوله تعالى « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا[2] » كما عزى لقيس أيضا أنهم يقولون « أهديت العروس[3] » وغيرهم « هديت العروس » . والعجب من الكسائى حيث ذكر فى رسالته أن « أهديت العروس » لحن[4].

٢ — « ونجد » سارت على نهج تميم تقريبا ، فقد سمع أبوحاتم من أبى زيد أن أهل نجد يقولون : أكننت الجارية والدرة ، وقال أبوحاتم : يقول أكثر العرب كننت الدرة والجارية وكل شيء[5] » كما روى صاحب البحر أن نجدا تقول أجنب — وغيرهم جنب[6] ، وذكر صاحب الإتحاف أنهم يقولون : أسحت وغيرهم سحت »[7] وورد فى البحر مايؤيد هذا .[8]

٣ — كما سارت تقريبا لهجة أسد على هذا أيضا يؤيده ما رواه الفراء لبعض بنى دبير :

حتى إذا أعصفت ريح مزعزعة
فيها قطار ورعد صوتها[9] زجل

ودبير هذه بطن من أسد ، بل يصرح ابن منظور بأن لهجة أسد ( أعصفت ) وغيرهم ( عصفت )[10] .

٤ — كما روى « حدّت المرأة على زوجها . . . وأحدت[11] » . وقد حكى الكسائى عن عقيل « أحدّت » وقال الفراء : كان الأولون من النحويين يؤثرون « أحدت فهى محدّ » قال : والآخرى أكثر فى كلام العرب[12].

ولكن ما الصلة بين هذه القبائل وبين تميم حتى تتفق فى الظاهرة معها ؟ أرى أن القبائل التى اتفقت مع تميم فى الظاهرة تتفق أيضا معها فى البيئة الاجتماعية ، فتميم بيئتها بدوية ، وقيس وأسد وعقيل . ومنطقة نجد يغلب عليها طابع البداوة كذلك .

ولهذا رأينا المناطق المتحضرة[13] تجنح غالبا إلى الصيغة المجردة — فالحجاز قد آثرتها كما تشهد بذلك النصوص السابقة ، كما سارت سيرها بعض المناطق المجاورة لها كلهجة العالية : فقد جاء فى المصباح أنهم

---

(١) البحر : ٣-٣٣٩
(٢) سورة النساء آية : ١٠١
(٣) المصباح : ٩٨٤
(٤) ما تلحن فيه العوام : ٥٤ حاشية
(٥) المخصص : ١٤-٢٤٨
(٦) البحر : ٥-٤٢٩
(٧) الاتحاف : ٣٠٤
(٨) البحر : ٦-٢٤٤
(٩) معانى القرآن : ١-٤٦٠ دار الكتب
(١٠) اللسان : ١١-١٥٣
(١١) المصباح : ١-١٩٤
(١٢) ما تلحن فيه العامة : للكسائى : ٤٧ هامش
(١٣) انظر الفرق بين أثر البداوة والحضارة فى اللغة : فى اللهجات العربية . دكتور إبراهيم أنيس . فى أماكن متفرقة .

يقولون « ملح الماء ملوحة[1] »، كما نجد أن قريشا وهى حضرية قد آثرت الصيغة المجردة ، يدل لذلك ماجاء فى اللسان من قول الجوهرى : حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ،وقد قرئ بهما[2] » كما عزيت الصيغة المجردة أيضا فى كل من الخزانة[3] ، والبحر المحيط[4] ،والمصباح[5] إلى قريش. ولكن هل يمكن أن يكون ذلك قانونا تسير عليه اللهجات العربية ؟ أرى أننى لا أستطيع أن أبلغ به حد الحتم ؛ لأننى عثرت على شواهد تفيد العكس ، ولكنها مع ذلك شواهد قليلة منها :

١ — ماعزاه اللحيانى فى اللسان[6] من أن تميما تقول « خلا فلان على اللبن وعلى اللحم إذا لم يأكل منه شيئا ولا خلطه به ، وغيرهم يقول « أخلى » .

٢ — نسب ابن القطاع « جبرت » إلى تميم مجردة ، وعامة العرب يقولون : « أجبرته[7] » مزيدة، وقال الأزهرى ، « جبرته وأجبرته لغتان جيدتان » ، كما ذكر ابن دريد الصيغتين المزيدة والمجردة . ولم يعزهما[8] ،وذكر الأزهرى فى اللسان أن « جبرته على الأمر » لغة معروفة[9] .

٣ — أن تميما كانت تستعمل الفعل « هلك » فيقولون « هلكته » ، وغيرهم يقول أهلكته » بالهمزة[10] .

كما وجدت صيغا أخرى تعزو الأفعال المزيدة إلى الحجاز — ومنها :

١ — عزا الفراء إلى الحجاز ( أو فى ) ، كما نسب إلى نجد ( وفى ) بغير ألف[11] وقال ابن قتيبة : وفيت بالعهد ، وأوفيت به . وساق الزجاج قول الشاعر مستشهدا على اللهجتين :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته
كما وفى بقلاص النجم حاديها[12]

وقال ابن جنى عن هاتين الصغتين ( أوفى ) و ( وفى ) لغتان قويتان[13] .

---

(١) المصباح : ٨٩٣
(٢) اللسان : ١٦-٢٦٦
(٣) الخزانة : ١-٥٧٩
(٤) البحر : ٦-٣٤٢
(٥) المصباح : ١-٢٠٨
(٦) اللسان : ١٨-٢٦١
(٧) المصباح : ١-١٤١
(٨) المرجع السابق .
(٩) اللسان : ٥-١٨٥
(١٠) المخصص س ٦ ص : ١٢٧
(١١) البحر المحيط : ١-١٧٢
(١٢) الخصائص : ٣-٣١٦ ، البحر المحيط : ١-١٧٢
(١٣) الخصائص : ٣-٣١٦

٢ — كما عزا اللسان « أسرى » بالألف إلى الحجاز[١] . وسرى — لغة غيرهم ، كما جاءت رواية أخرى مماثلة فى المصباح[٢] ، وإذا التفتنا إلى كتاب الله نجد أنه قرئ باللهجتين فى قوله تعالى « أسرى بعبده »[٣] وقوله « والليل إذا يسر » ، فهو من سرى — ولو كان من : أسرى — لكان : يُسرى.

وعلى كل فالقوانين التى تخضع لها اللهجات واللغات ، ليست لها صفة الحتم كقوانين الطبيعة والرياضة ، بل نكتفى بالحكم على الكثرة الغالبة ، ولا يضيرنا بعض الظواهر التى تبدو شاذة أو غريبة حول القاعدة .

والآن أريد أن أناقش الرواة فى فهمهم لصيغتى ( فعل وأفعل ) مثل : سرى وأسرى وسقى ، وأسقى ، وفتن وأفتن — فهم على أن معنى الصيغتين واحد ، المجردة والمزيدة ، ويستدل لذلك بما جاء فى اللسان من قولهم سريت ، وأسريت بمعنى — إذا سرت ليلا[٤]

ومثل هذا جاء فى الصحاح أيضا[٥] ، وكما جاء أن « وفى الكيل وأوفيته[٦] » بمعنى . والحق أن كلام اللغويين فيه تسامح ظاهر ، فصيغة ( فعل ) — لابد وأن يختلف معناها عن صيغة ( أفعل ) ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فلا بد أن صيغة « أفعل » تدل على معنى زائد عن صيغة ( فعل ) فاذا قلت : أقاله أو أسقاه كان أبلغ فى الدلالة من « قاله وسقاه » أو أن نقول : إن كل صيغة منهما تعيش فى بيئة خاصة. كما سبق ، فصيغة (فتن) تعيش فى بيئة الحجاز ، وصيغة أفتن — تعيش فى بيئة تميم[٧] . ولا يعقل أن الرجل فى البيئة الواحدة كان له من الاختيار والحرية بحيث ينطق الصيغة مرة مجردة ، وأخرى مزيدة ، كما لايعقل أن بعض الأفراد فى البيئة الواحدة يؤثرون صيغة فعل ، وبعضهم يؤثر صيغة أفعل ، فإما أن نفرق بين الصيغتين فنقول مثلا فى صيغة « وقف » بأن « ما يمسك باليد يقال فيه « أوقفته » بالألف ، ومالا يمسك باليد يقال فيه : وقفته — بغير ألف[٨] » أو أن يقال « جبرت » لجبر العظم بعد كسره ، وأن يكون (أجبر) مقصودا به الإكراه[٩] ، وهذا معنى قول الخليل « من قال : عقب : لايقول : «أعقب[١٠]» ، ومما لاشك فيه أن صيغة « أفعل » تدل على معان عدة : كالتعدية ، والتعريض ، والسلب والإزالة والتمكين[١١] ، تختلف فيها عن (فعل).

---

(١) اللسان : ١٩-١٠٣

(٢) المصباح : ١-٤٢٠

(٣) سورة الإسراء آية : ١

(٤) اللسان : ١٩-١٠٣

(٥) خزانة الأدب : ١-١-٥٥١

(٦) البحر المحيط : ١-١٧٢

(٧) البحر : ٣-٣٣٩ ، النهر الماد : ٣-٣٣٨

(٨) المصباح : ٢-١٠٣٨

(٩) اللسان : ٥-١٨٥

(١٠) العين : ٩٥ ط بغداد

(١١) شذا العرف : ٢١

ويظهر أن ابن درستويه قد لحظ هذا فهو يقول فى شرح الفصيح « لايكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجئ ذلك فى لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان ، والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ماجرت به عاداتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون العلة فيه ، والفروق ، فظنوا أنها بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل ، فإن كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب ، فقد أخطأوا عليهم فى تأويلهم مالا يجوز فى الحكمة ، وليس يجئ شئ من ذلك الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا — أو أن يكون على معنيين مختلفين[1] » .

## تصوير القرآن الكريم للظاهرة :

ولقد لمحت موقف القرآن الكريم من هذه الظاهرة فيما يأتى :

١ — قراءة الحجدرى وعيسى الثقفى « واجنبنى وبنىَّ أن نعبد الأصنام[2] »من «أجنب » وهى لهجة نجد[3] ، وقرأها الآخرون من ( جنب[4] ) .

٢ — وقرأ عيسى بن عمر « ولا تفتنى[5] » بضم التاء الأولى من أفتن — وهى لهجة تميم[6] ، وقرأ الآخرون : تفتنى — بفتح التاء الأولى من فتن .

٣ — وقوله تعالى « لايحزنهم الفزع الأكبر[7] » قرأ أبوجعفر بضم الياء من أحزن وهى فى تميم ، وبعضهم من حزن[8] ، كما أورد ابن خالويه فى الحجة عدة[9] قراءات قرآنية جاء الفعل فيها مرة من فعل ، وأخرى من أفعل .

---

(١) المزهر : ٣٨٤-٣٨٥

(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٥

(٣) البحر : ٥-٤٢٩ — ٤٣١ ، مختصر شواذ القرآن : ٦٨ ابن خالويه .

(٤) المحتسب : ٢-٢١ مخطوط

(٥) سورة التوبة : آية : ٤٩

(٦) البحر : ٥-٥١

(٧) سورة الأنبياء آية : ١٠٣

(٨) البحر : ٦-٣٤٢

(٩) الحجة لابن خالويه : ورقة : ٢٨ ، ٨٥ ، ٢٧ مخطوط بدار الكتب .

وكذلك عثرت على عدة قراءات قرآنية فى كتاب شواذ القرآن جاءت كل قراءة على أحد هذين الوزنين[1]. وقد نسمع بعض الأحكام التى تصدر على أحد الوزنين السابقين كقول ابن منظور : اللغة العالية حزنه يحزنه ، وأكثر القراء قرءوابها[2]، كما أن الأصمعى كان لايحب أن يبدى رأيا فى فعل وأفعل ، لاسيما إذا كانت الكلمة قد وردت فى القرآن ، فلم يتكلم فى عصفت وأعصفت ، لأن فى القرآن « ريح عاصفة» ولا فى سحته وأسحته لأن فى القرآن: «فيسحتكم[3]». وربما ذلك يرجع إلى خوفه من الخوض فى القرآن توورعا ، أو لأن هاتين الصيغتين تدور حول الأفعال التى ترتبط بالجبر والقدر كما تقدم فى الأمثلة السابقة من مثل قولهم : جبر وأجبر — وهو لايريد أن يزج بنفسه فى هذا المهيع الخطير ، أو ربما أنه كان لايجيز إلا أفصح اللغات ويلغى ماسواها ، ويبدو هذا فيما رواه ابن دريد قال : « سألت أبا حاتم عن باع وأباع ، فقال: سألت الأصمعى عن هذا فقال: لايقال: أباع ، فقلت : قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمدانى :

ورضيت آلاء الكميت فمن يبع
فرسا فليس جوادنا بمباع

قال الأصمعى : لعلها لغة لهم يعنى أهل اليمن — ثم عقب ابن دريد على إنكار الأصمعى لها بقوله : وقد سمعت جماعة من جرم فصحاء يقولون : أبعت الشئ — فعلمت أنها لغة لهم[4].

ونستنبط من هذا العرض أن القرآن الكريم قد راود بين هاتين الصيغتين فى قراءاته ، وكأنه بذلك يوثق هذه اللهجات العربية بالقراءة المروية أولا ، ثم ليجد كل قبيل من العرب ضالته اللغوية فى هذا الكتاب ، فيكون القرآن قد قصد بذلك إلى هدف آخر سياسى بجانب الهدف اللغوى — وهو جمع العرب فى طريق واحد إلى هدف واحد.

**احمد علم الدين الجندى**

---

(١) شواذ القرآن : ١١٤ ، ٢٦ ، ٦٨ ، ٢٢ ، ٢٦ لابن خالويه .
(٢) اللسان : ١٦-٢٦٧
(٣) المزهر : ٢-٣٢٦
(٤) الجمهرة : ٣-٤٣٦

# أصحيح اطراد فُعُول مصدرًا لفَعَل اللازم ؟

## دراسة لغوية بالإحصاء الرياضى

للدكتور جميل الملائكة

هذه دراسة لموضوع لغوى على هَدْى نظرية الاحتمال الإحصائى . وقد تناقل النحاة منذ ظهور علم النحو أن ( فُعُول ) يطّرد مصدرًا لِـ ( فَعَلَ ) اللازم ، مع استثناءات معينة . وكانت ملاحظة كثرة مايشذُّ عن هذه القاعدة هى التى دعت الباحث إلى تناول الموضوع بطريقة علمية للتوصل إلى قول قاطع فيه . وهو يبدأ بعرض لأقوال النحاة المتواترة فى هذا الاطراد ، واستعراض لما قيل فى معنى المطّرد والغالب والقليل والنادر ، ثم يتخذ عيّنة عشوائية من هذه الأفعال بحجم كاف لجعلها ذات دلالة إحصائية مقبولة ، فيُحصى فيها نسبة ما جاء له مصدر على ( فُعُول ) وما جاء له مصدر على ( فَعْل ) . وبعد إجراء تخمين للمجموع التقديرى لمثل هذه الأفعال فى المعجم يُجرى تخمينًا للمصادر من كلا النوعين فيه ، وكذلك حسابًا للخطإ المحتمل فى هذا التخمين بحدّ من الثقة مقداره ٩٩ ٪ بحسب نظرية الاحتمالات . ولقد ظهر أن ٩٣ ٪ من هذه الأفعال جاء له مصدر إما على ( فَعْل ) أو ( فُعُول ) أو كليهما ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٥٪ ، أى أن ماليس له مصدر على أى منهما نادر (باستثناء ما اقتُصِرت مصادره على أوزان بعينها لامتناع أوتقلب أو أداء أو صوت أو سير وهو قليل ) . وكذلك أثبتت الدراسة أن ( فَعْل ) هو الغالب فى مصادر ( فَعَلَ ) اللازم فى المعجم ، وأن نسبة ترددِه هى ٧٦ ٪ ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٨٪ ، بالمقارنة إلى نسبة تردد ( فُعُول ) البالغة ٣٥٪ فقط ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٩٪ .

١ ـ فى الكلام على أبنية المصادر يقول ابن مالك[١] فى مصدر الفعل الثلاثى اللازم المفتوح العين :

( وفَعَلَ اللازم مثل قَعَدا
له فُعُولٌ باطِّرادٍ كغدا )

ويستثنى من ذلك ما جاء على فِعال لامتناع ، كالإباءِ ، وفَعَلان لتقلُّب كالغليان وفُعال لداءٍ أو لصوت، كالزُّكام ، والصُّراخ وفَعِيل لسير أو لصوت ، كالرَّحِيل ، والصَّهِيل .

فالفُعُول عند ابن مالك مطَّرد فى مصدر فَعَلَ اللازم . وابن مالك لايخالف فى هذا ما عليه جمهور النحاة :

فهذا سيبويه يبدأ كلامه على بناء الأفعال الثلاثية ومصادرها بالمتعدى[٢] ، وبعد أن يستوفيه ينتقل إلى اللازم ـ فيقول[٣] : « وأما كل عمل لم يتعدّ إلى منصوب فإنه يكون فعله على ما ذكرنا. . . والمصدر يكون فُعُولًا . . . نحو قعد قعودًا وجلس جلوسًا وسكت سكوتًا » ثم يقول مستدركًا[٤] : « وقد قالوا فى بعض مصادر هذا فجاءُوا به على فَعْل كما جاءوا ببعض مصادر الأول على فُعُول . . . نحو سَكَتَ سَكْتًا وعَجَزَ عجْزًا » ، ويقول فى الآخر[٥] : « ... وهذه الأشياءُ لاتضبط بقياس ولا بأمر أحكم من هذا » .

فالفُعُول إذن عند سيبويه هو القياس الأحكم ، على الرغم من وجود بعض الشواذ.

وفى الكلام على أبنية مصادر الثلاثى يقول ابن هشام فى مصدر اللازم[٦] :

« وأما فَعَلَ القاصر فقياس مصدره الفُعُول كالقعود والجلوس . . .إلا إن دلّ على امتناع . . .إلخ » . ثم يقول : « وماجاء

---

(١) ألفية ابن مالك فى النحو والصرف ، دار الكتب المصرية ، ط ٣ ، ١٩٣٢م ، ص ٤٠
(٢) الكتاب ، لسيبويه ، طبعة بولاق ، ١٣١٧هـ ، جـ ٢ ، ص ٢١٤
(٣) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٦
(٤) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٦
(٥) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٨
(٦) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، لابن هشام طبعة دار الفكر ، بلا تاريخ ، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .
(٧) أوضح المسالك ، ص ٤٣٧

مخالفًا لما ذكرناه فبابه النقل ، كقولهم... فى فَعَل القاصر : مات موتًا . . . » .

فالفُعُول عند ابن هشام أَيضًا هو قياس لمصدر فَعَلَ اللازم .

ويقول ابن عقيل[1] : « يأْتى مصدر فَعَلَ اللازم على فُعول قياسًا فتقول قعد قُعُودًا وغدا غُدُوًّا » . ثم يقول فى شرح ( وما أَتى مخالفًا . . .[2] ) : « يعنى أَن ما سبق ذكره فى هذا الباب هوالقياس الثابت فى مصدر الفعل الثلاثى ، وما ورد على خلاف ذلك فليس بمقيس بل يقتصر فيه على السماع » .

فالفُعول عند ابن عقيل هو القياس الثابت فى مصدر فَعَلَ اللازم .

ويشرح الأَشمونى ضوابط ابن مالك ، إلى أَن يأْتى إلىما يخالفها فيقول شارحًا[3] : « ( وما أَتى ) من أَبنية مصادر الثلاثى ( مخالفًا لما مضى – فبابه النقل ) لا القياس ( كسخط ورضى ) . . . « وكموت وفوز ... فما قياسه فُعول »

فالفُعُول عنده أَيضًا القياس فى مصدر فَعَل اللازم .

ويقول السيوطى[4] : « ( و )يطَّرد . . . لفَعَل بالفتح (لازمًافُعول )بضم الفاءسواء كان صحيحًا كركع ركوعا . . . أَو معتلا . . . كدنا دنوّا . . . أَم مضاعفًا كمرّ مرورًا » .

فالفُعُول عند السيوطى مطَّرد أَيضًا فى مصدر فَعَلَ اللازم .

ومن المتأَخرين :يقول الأَساتذة حفنى ناصف وجماعته[5] فى الكلام على المصدر : « أَما الثلاثى فلمصدره أَوزان كثيرة ، المدار فى معرفتها على السماع ، غير أَن – الغالب . . . إلخ » وبعد ذلك[6] : « فإن لم يدل على شىء من ذلك فالغالب . . . فى فَعَل اللازم أَن يكون مصدره على فُعُول كقعود وخروج ونهوض » .

---

( ١ ) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

( ٢ ) شرح ابن عقيل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨

( ٣ ) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٥٥م ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨ .

( ٤ ) همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧هـ ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

( ٥ ) كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ، تأليف حفنى ناصف ومحمد دياب والشيخ مصطفى طموم ومحمود عمر وسلطان محمد ، القاهرة ١٩٠٥م ، ص ٢٨

( ٦ ) كتاب قواعد اللغة العربية ، ص ٢٩

فالفُعُول عندهم هو الغالب فى مصدر فَعَلَ اللازم .

وهو أيضًا قياسى عند الشيخ مصطفى الغلاييني [1] .

وهو غالب عند السيد أحمد الهاشمى [2] .

فما هو هذا الاطراد الذى يقاس عليه ؟ وهل يغلب بل هل يطَّرد حقًّا فُعُول مصدرًا لفَعل اللازم المفتوح عين الماضى ؟

٢ ــ الاطراد لغة : التتابع ، والجرى ، والسرعة ، والاستقامة . وفى لسان العرب لابن منظور : ( اطَّرد الشىءُ : تبع بعضه بعضا وجرى ، واطرد الأمر : استقام ، واطردت الأشياءُ ؛ إذا تبع بعضها بعضا ، واطرد الكلام ؛ إذا تتابع ، واطرد الماءُ ؛ إذا تتابع سيلانه . . . وجدول مطَّرد : سريع الجرية ، والأنهار تطَّرد أى تجرى . . . وأمر مطرد : مستقيم على جهته ) .

والاطراد اصطلاحا : تماثل الأحكام واستمرارها واتساق مجراها وعدم تخلفها ومنه قولهم : القاعدة المطَّردة ، والقياس المطَّرد .

والمطَّرد عند سيبويه هو الذى (لا ينكسر) [3] ، وهو ما ( اجتمعوا عليه ) [4] وهو الذى يجرى ( أبدا ) [5] .

والاطراد عند السيوطى [6] هو ( التتابع والاستمرار ) وعنده أن ( المستمر الذى لا يتخلف مطرد ) .

وينقل السيوطى [7] عن ابن هشام تقسيمه لدرجات تكرر المسموعات إلى : النادر ، فالقليل ، فالكثير ، فالغالب ، فالمطرد . وأن المطردَ لا يتخلف ، وأن الغالب أكثر من الكثير ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والنادرَ أقل من القليل . ويمثل لذلك بمثال من أعداد متدرجة :

---

( ١ ) جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني ، المطبعة العصرية صيدا ، ط ١١ ، ١٩٧١م ، جـ ١ ، ص١٦٧ ــ ١٦٨ .

( ٢ ) القواعد الأساسية للغة العربية للسيد أحمد الهاشمى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٥٤هـ ، ص ٣٠٣

( ٣ ) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥

( ٤ ) الكتاب ، جـ٢ ، ص ٣٣٠

( ٥ ) الكتاب ، جـ ١ ، ص ٣٠٣

( ٦ ) الاقتراح ، للسيوطى ، طبعة الهند ، ص ٢٠ ــ ٢١

( ٧ ) الاقتراح ، ص ٢١

فإذا كان المطرد ثلاثة وعشرين ( يريد ١٠٠ ٪ ) ، فالعشرون بالنسبة إليها غالب ( ٨٧ ٪ ) ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير ( ٦٥ ٪ ) ، والثلاثة قليل ( ١٣ ٪ ) ، والواحد نادر ( ٤ ٪ )[1].

يظهر من كل هذا أن المطّرد فى المسموعات الذى هو أكثر حدوثًا من الغالب ، وهو الذى لايتخلف ، ولاينكسر وهو ما اجتمعوا عليه ، وهو أكثر من الغالب ومن الكثير .

٣ ــ فلنعد إذن إلى كلام محمد بن مالك فى اطراد فُعُول ، ولنتناول القضية بطريقة إحصائية كأى مسألة فى علم الاحصاء الرياضى .

لابدّ أولًا من اختيار عَيِّنَة Sample بحجم مناسب n ، وليكن حجمها من الكبر بحيث تكون ذات دلالة إحصائية مقبولة . وقد اخترنا لهذا الغرض مجموع الأفعال الثلاثية اللازمة المفتوحة العين التى تبدأ بحرف الباء ، واعتمدنا فى ذلك معجمى :المنجد[2] للأب لويس معلوف ، والوسيط[3] لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ؛ لأن كليهما يذكر الفعل والمصدر ، خلافًا للمعجمات القديمة التى قد تورد المصدر دون الفعل ، أو الفعل دون المصدر ، فى كثير من الحالات . فإن وجد اختلاف عدنا إلى القاموس المحيط[4] للفيروزبادى أو لسان العرب[5] لابن منظور .

٤ ــ بلغ مجموع الأفعال n فى هذه العينة مائة وستة وستين ( ١٦٦ ) فعلاً ثلاثيًا لازماً مفتوح عين الماضى . ولعدم اعتماد أىّ منها على غيره فى العينة وفى المعجم فإن العيّنة تُعدّ عشوائيّة random فى العرف الإحصائى . وقد تمّ تخمين النسبة بين حجم المجموعة universe ، التى تمثل مجموع عدد الأفعا N من هذا القبيل فى المعجم ، وبين حجم العينة n من النسبة بين مجموع عدد صفحا

---

( ١ ) وانظر تعليق الأستاذ أمين الخولى على بحث الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور : «تحرير أفعل من قياس نحوى فاسد» ، ورد بالدورة ٣٢ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، البحوث والمحاضرات ، بغداد ١٩٦٦م ، ص ١٠١ .

( ٢ ) المنجد فى اللغة ، للأب لويس معلوف اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ط ١٥ ، ١٩٥٦م .

( ٣ ) المعجم الوسيط ، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد على النجار ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م ، جـ١ ، ٢ .

( ٤ ) القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزبادى ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٩١٣م ، جـ١ ــ ٤ .

( ٥ ) لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور الأنصارى ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٨٩١م ، جـ١ ــ ٢٠ .

المعجم وبين عدد الصفحات التى تضم حرف الباء فقط فى المعجم ، ومن مقدار هذه النسبة ومجموع أفعال العينة n ، الذى هو ١٦٦ ، أمكن الحصول على تخمين تقريبى لمجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين N فى المعجم ، وذلك بضرب هذه النسبة فى ١٦٦ .

وقد حُسِبَتْ هذه النسبة ، وأجرى هذا التخمين فى عدد من المعجمات المرتبة مداخلها على الحروف الأُولى — وهى المنجد للأب لويس معلوف ، والمعجم الوسيط لمجمع القاهرة ، وأساس البلاغة للزمخشرى (١) ، ومختار الصحاح (٢) للرازى — فكانت كالآتى :

وهكذا يظهر أن تخمين N لمجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم يتراوح بين ٣٦٠٠ و ٥٠٠٠ وأن معدله التقريبى هو ٤١٠٠ للمعجمات الأربعة ، وأن معدل نسبة العينة إلى المجموعة هو زهاء ١ / ٢٥ ، متراوحا تخمينه بين ١/٢١ و ١/٣٠ ، وهذا الانحراف عن المعدل ، كما يبدو ، قليل . فلو أخذنا معجمى المنجد والوسيط فقط لغرض هذا التخمين لوجدنا أن معدل النسبة هو زهاء ١/٢٧ ، وأن N هو نحو ٤٥٠٠ . ولعل هذا أقرب إلى الحقيقة لكون معجمى

| المعجم | ب<br>عدد صفحات المعجم | ج<br>عدد صفحات حرف الباء | د ( = ب/ج )<br>النسبة بين صفحات المعجم وصفحات الباء | N ( ≃ ١٦٦ د )<br>تخمين اللازم المفتوح العين فى المعجم |
|---|---|---|---|---|
| المنجد | ١٠٣١ | ٣٤ | ١ / ٣٠,٤ | ٥٠٠٠ |
| الوسيط | ١٠٨١ | ٤٥ | ١ / ٢٤,٠ | ٤٠٠٠ |
| الأساس | ١٠٧٨ | ٤٦ | ١ / ٢٣,٤ | ٣٩٠٠ |
| مختار الصحاح | ٦٤١ | ٣٠ | ١ / ٢١,٤ | ٣٦٠٠ |
| | | المعدل التقريبى | ١ / ٢٥ | ٤١٠٠ |

( ١ ) أساس البلاغة ، بجار الله الزمخشرى ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٠م .

( ٢ ) مختار الصحاح ، لأبى بكر الرازى ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٣٨م .

المنجد والوسيط أوسع وأشمل من المعجمين الآخرين .

ومهما يكن من أمر فإن من المعروف فى علم الإحصاء على أية حال أن الحجم المطلق للعينة n ، وهو هنا ١٦٦ وليس بالقليل ، هو أهم كثيراً فى الدلالة الإحصائية من نسبتها إلى حجم المجموعة [1] .

وكذلك تجدر الإشارة فى هذه الحالة من جودة حجم العينة ، إلى أنه لكون النسبة بين حجمى المجموعة والعينة كبيرة نسبياً ، وهى هنا زهاء ٢٧ ، فسواء أكان مجموع هذه الأفعال فى المعجم ٣٠٠٠ أم ٦٠٠٠ ، أم حتى لا نهائياً ، فلن يكون كبير فرق فى الدلالة الإحصائية التى يمكن الحصول عليها من العينة الجيّدة المستعملة [2] ، يظهر مما يأتى :

٥ ـ تخمين الخطأ المحتمل فى تقدير عدد المصادر من نوع معين فى المعجم من عددها فى العيّنة :

المطلوب فى هذه الدراسة تقدير نسبة المصادر من نوع معين ، مثل فُعُول ، أو فَعْل ، لجميع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم ، من إحصاء نسبتها فى العيّنة ، وكذلك تخمين أقصى خطأ محتمل فى هذا التقدير ، بحدّ من الثقة Confidence limit لا يقل عن نسبة مئوية معينة ، وتأخذ هذه ٩٥ ٪ عادة [3] ويمكن تخمين هذا الخطأ المحتمل [4] من الصيغة $\pm Z S$ ، أى من :

$$\pm Z \sqrt{\frac{p(1-p)}{n}\left(\frac{N-n}{N-1}\right)} \quad [1]$$

---

(١) انظر مثلا Statisttcal Quality Control. by E. L. Grant, Mc Graw — Hill, N. Y., P. 344

(٢) Statistical Quality Control, P. 345 .

(٣) انظر مثلا Statstics Made Simble, by H. T. Hayslett ; published by W. H. Allen, London, 1968, P. 105 and P. 158 .

(٤) انظر مثلا Tables for staticians, by H. Arkin and R. R. Colton, Barnes & Noble, Inc., N.Y., 1950, P. 20 .

حيث يرمز p إلى نسبة المصادر من نوع معين فى العينة ، ولعدم معرفتنا بها بادئ ذى بدء فيمكن افتراض نسبة ٥٠٪ أى ٥و٠ لأغراض تخمين الخطأ المحتمل فى هذا التقدير فقط. ( فإن كانت النسبة الحقيقية أقل أو أكثر من ذلك فسيكون الخطأ المحتمل أقل من المخمن) .

ويشير N إلى حجم المجموعة ، وهو هنا مقدّر بـ ٤٥٠٠ كما سبق ذكره .

ويرمز n إلى عدد الأفعال فى العينة وهو ١٦٦

ويمثل S مقدار الانحراف القياسى المخمن فى المجموعة .

أما Z فهو معامل يحدّده حدّ الثقة المختار ، فلو كان هذا ٩٥٪ ، كما مرّ ذكره ، لكانت[1] قيمة المعامل ١و٩٦ ، ولو كان حدّ الثقة المطلوب ٩٠٪ مثلاً لكان المعامل ١و٦٥ ، ولو كان ٩٩ ٪ لكان ٢و٥٨ ( وهذا المعامل ، مضروبا فى الانحراف القياسى ، يمثل عند الإحصائيين مسافة المسقط الأفقى للمساحة التى تمثل حدّ الثقة فى منحنى التوزيع الطبيعى nrmal curve distribution فى حساب الاحتمالات )[2]

وبالتعويض فى الصيغة [ ١ ] يكون أقصى خطأ محتمل بحدّ من الثقة مقداره ٩٥٪ هو :

$$\text{١و٩٦} + \sqrt{\frac{(\text{٥و٠})\ (\text{٥و٠})\ (\text{٤٥٠٠}-\text{١٦٦})}{\text{١٦٦}\ (\ \text{٤٥٠٠}-\text{١}\ )}}$$

$$= \text{٠و٠٧٤٧}$$

$$\approx \text{٥و٧}\ \%\ \text{( مقربًا لمرتبة عشرية )}$$

أى يمكن القول بحدّ ثقة مقداره ٩٥و٠ بأن الخطأ فى تقدير نسبة مصادر اللازم من أى وزن فى المعجم ، باعتبار أن فيه ٤٥٠٠ ثلاثى لازم مفتوح العين ، من حساب نسبتها فى عينة مقدارها ١٦٦ ، لن يتجاوز ± ٥و٧٪ .

بل يمكن القول :استنادًا إلى حساب مشابه ، بثقة مقدارها ٩٩٪ ( وهوشبه تأكيد مطلق ) بأن الخطأ لن يتجاوز ± ٨و٩٪ بحال ( وذلك بتعويض ٢و٥٨ بدلا من ١و٩٦ فى الصيغة [١] ) .

---

(١) انظر Tables fot statisticism, p. 114

(٢) انظر مثلا Tables for statisticism, p. 12

٦ ـ ونمة نقطتان تجدر ملاحظتهما تعقيباً على أمرين سلف الكلام عليهما :

(ا) يلاحظ من التعويض فى الصيغة (١) انه لو كان مجموع اللازم المفتوح العين فى المعجم ٣٠٠٠ بدلاً من ٤٥٠٠ فان أقصى خطأ محتمل سيكون ، بموجب الصيغة ذاتها ، ± ٧ر٤ ٪ بحد ثقة مقداره ٩٥ ٪ ، وهو لا يختلف إلا بقدر تافه عن الـ ± ٧ر٥ ٪ المحسوبة للمجموع ٤٥٠٠ .

ومثله يقال فى حال كون المجموع الحقيقى لهذه الأفعال ٦٠٠٠ إذ سيكون أقصى خطإ محتمل هو ± ٧ر٥ ٪ أيضا ـ مقربا إلى مرتبة عشرية واحدة ـ من دون اختلاف عما هو عليه فى حال كون المجموع ٤٥٠٠ .

وحتى لو اعتبر مجموع الأفعال فى المعجم لانهائيا فإن أقصى خطإ محتمل مخمن من العينة لن يتجاوز ∓ ٧ر٥ ٪ أيضا ـ لمرتبة عشرية واحدة ـ فى حد الثقة ذاته .

(ب) ويلاحظ أيضا أن تخمين أقصى خطإ محتمل قد أجرى بافتراض أن p ، وهى نسبة المصادر من أى نوع فى العينة ، تساوى ٥ر٠ . ولما كان الاحتمال الأرجح أنها لا تساوى ذلك ، لأنها قد تساوى أى كسر بين الصفر والواحد ، فإن أقصى خطأ محتمل سيكون حتماً أقل من الذى سلف تخمينه . وسيمكن تخمينه على وجه الدقة بعد معرفة الحقيقة لكل نوع من المصادر ، كما سيأتى . وعليه فيمكن اعتماد العينة .

فلننتقل إذن إلى حصر المصادر فيها وتصنيفها وإحصائها .

٧ ـ روعى فى اختيار أفعال العينة وفرزها وتصنيفها بحسب مصادرها ما يأتى :

(ا) من هذه الأفعال ما جاء لازما ومتعديا ، مثل ( بدأ بالشىء وبدأه ) ، وطبيعى أنه لم يُنْظَر بعين الاعتبار إلى غير اللازم فى هذه الدراسة .

(ب) أن عدداً كبيراً من الأفعال ورد مصدره على أكثر من وزن فى معنى واحد بعينه ، مثال ذلك أنه يقال ( بَرَق بَرْقاً وبُرُوقاً وبريقاً ، أى لمع ) ، ففى هذه الحالة يُعَدّ الفعل واحداً فى حساب مجموع العيّنة .

أما إذا اختلف معنى الفعل باختلاف مصدره فإنه يصنَّف فى أكثر من موضع . مثال ذلك أنه يقال : ( بَسَق الرجل بسْقاً ، أى بصق ) فهذا يصنَّف مع ماجاء مصدره على فَعْل ، أما ( بَسَقَ النخل بُسُوقاً ، أى ارتفعت أغصانه وطال ) فيصنَّف مع ماجاء مصدره على فُعُول ، وكلٌّ يُعَدّ مادّة فى العيّنة .

(ج) لقد انصبّ الاهتمام بالدرجة الأولى فى هذه الدراسة على مصدرين هما : فُعُول وفَعْل ، وذلك لكثرة ترددهما وغلبتهما على سواهما فى عيّنة الثلاثى اللازم المفتوح العين ، أمّا ما لم يجئْ له مصدر على أى من هذين الوزنين فهو نادر فى العينة ولا يكاد يُعتَدُّ به ، كما سيأتى . ولهذا فقد صُنِّفت المجموعة إلى ماجاء له مصدر على فُعُول ولم يجئ له مصدر على فَعْل (أى فى نفس المعنى ) ، وماجاء له مصدر على فَعْل ولم يجئْ له مصدر على فُعُول ، وما جاء له مصدران على فُعُول وعلى فَعْل كليهما ، وما لم يجئْ له مصدر على فُعُول ولا على فَعْل . وللسبب عينه لم تكن ثمّة ضرورة لسرد جميع مصادر الفعل من غير فُعُول وفَعْل ، فإن ذُكِر بعضها فعلى التمثيل لا غير ، مثال ذلك أنه يقال : ( بَنَىَ بأهله وعليها بَنْياً وبِناءً وبُنياناً وبنية وبناية أى دخل عليها ) فالذى يهمنا فى هذا المثال وجود المصدر الأول الذى هو على فَعْل ، فأوردناه واكتفينا بذكر بعض المصادر الأخرى معه .

(د) حُذِف من أفعال العيّنة ما اقتُصر مصدره على فِعال لامتناع ، وفَعلان لتقلُّب ، وفُعال داء أو صوت ، وفَعِيل لسير أو صوت ، وكل ذلك قليل .

٨ – فيما يأتى التصنيف الذى أُجرى لهذه الأفعال بحسب أوزان مصادرها ومعانيها لمعرفة التردد الصنفى Class freuency لكل منها :

(١) ماجاء له مصدر على فُعُول ولم يجئْ على فَعْل :

- بَتَّ الشئُ بُتوتاً انقطع . واليمينُ وجبت .
- بَتَع فى الأرض بُتوعاً تباعد .
- بَثَق الماءُ بُثوقاً اندفع فجأةً .

- بَجَد بالمكان بُجوداً أقام .
- بدَر إلى الشيء بُدُوراً أسرع .
- بدَا بُدُوّاً وبَداءاً ظهر .
- برَأ من المرض بُرْءاً وبُرُوءاً شُفِيَ .
- بَرَج الشيءُ بُروجاً ظهر وارتفع .
- بَرَح الصَّيْدُ بُروحاً مرّ عن يمينك .
- بَرَّ في قوله بُروراً وبِرّاً وبَرارة صدق
- برَز بُرُوزا خرج إلى البَرَاز أى الفضاء
- برَض النباتُ بُرُوضاً خرج بَارِضُه وهو أول مايطلُع منه .
- بَرَع بُرُوعاً وبَراعةً فاق علماً أو فضلاً أو جمالاً .
- برَك البعيرُ بُرُوكاً وتبراكاً استناخ .
- بسَق النخلُ بُسُوقاً ارتفعت أغصانه وطال .
- بَسَل الرجلُ بُسُولاً عَبَس من الغضب أو الشجاعة .
- بضَعَ الكلامُ بُضُوعاً تَبين ، ومن فلانٍ سَئِم .
- بَطَل بُطلاً وبُطولاً وبُطلاناً فَسَد .
- بَغَرت السماءُ بُغُوراً أمطرت
- بَغَمت الظبيةُ بُغوماً وبُغاماً صوتت بصوت مرخيم .
- بَكَر إليه بُكوراً تقدّم .
- بَلَج الصبح بُلوجاً أسفر .
- بَلَح بُلوحاً أعيا وعجز .
- بَلَد بالمكان بُلوداً أقام به .
- بلغ الثمر بُلوغاً نَضِج ، والغلام أدرك .
- بَلَق بُلوقاً أسرع .
- بَلّت الريح بُلولاً هبّت بَلِيلاً .

وهذه عددها سبعة وعشرون (٢٧) كلها جاء مصدره على فُعُول ولم يجيء على فعْل .

(ب) ما جاء له مصدر على فَعَل وفُعُول كليهما :

- بَتَأ بالمكان بَتْأً وبتوءًا أقام .
- بَثَر وجهَه بثْراً وبثوراً خرج منه بثر .
- بَجَس الماء بَجْساً وبُجُوساً تفجّر وانفجر .
- بَجَل بَجلاً وبُجولاً فرح .
- بَجَم بَجماً وبُجوماً سكت عن فزع أو عجز .
- بح بَحّاً وبُحوحاً وبَحَحاً وبَحاحةً وبُحاحاً أخذته بحة .
- بَخَتَت عينه بَخْقاً وبُخوقاً انفقأت .
- بَدَن بَدْناً وبُدونا عظم بدنه .

ـ بَدا بَدواً وبُدوّاً وبداءًا وبَداءة. ظهر .
ـ بَذَخ بَذْخاً وبُذوخاً علا وارتفع .
ـ بَرَد بَرْداً وبُروداً هبطت حرارته .
ـ بَرَق بَرْقاً وبُروقاً وبريقا لمع .
ـ بَزَغ بَزْغاً وبُزُوغاً ظهر.
ـ بَزَل النابُ بَزْلاً وبُزُولاًطلع .
ـ بَسَأً وبُسُوءاً أَنِس .
ـ بَسَر الرجل بَسْراً وبُسُوراً قطّب وجهه ، عَجِل .
ـ بضّ الماءُ بَضْاً وبُضوضاً وبضيضاً سال قليلاً قليلاً .
ـ بَطَن بَطنا وبُطوناً خفى .
ـ بقّ النَّبتُ بَقّاً وبُقوقاً طلع .
ـ بَقَل بَقْلا وبُقولاً ظهر .
ـ بَكَأَت الناقة بَكْأً وبُكوءً وبُكاءًا قلّ لبنُها .
ـ بلّ من مرضه بَلاًّ وبُلولاً وبَلَلاً برى .
ـ بَهَأَ به بَهْأً وبُهُوءًا وبَهاءً أَنِس .
ـ بَهَرَت الشمسُ بَهْراً وبُهُوراً أَضاءت .
ـ باح بَوْحاً وبُؤوحاً ظهر .
ـ باخ بَوْخاً وبُؤوخاً سكن وفتر ، أعيا.

ـ باق بَوْقاً وبُؤوقاً جاء بالشرّ والخصومة
ـ باك بَوكاً وبؤوكاً سَمِن ، والأَمرُ اختلط .
ـ باد بَيْداً وبُيُوداً هَلَك .
ـ باز بَيْزاً وبُيوزاً هَلَك .
ـ بان عنه بَيْناً وبُيُونُاً وبينونةً انقطع .

فهذه مجموعها واحد وثلاثون ( ٣١ ) كلها جاء مصدره على فَعْل وعلى فُعُول كليهما

(ج ) ما جاء له مصدر على فَعُل ولم يجىء على فُعُول :

ـ بَأَج بَأْجاً صرخ .
ـ بَأَر بَأْراً حفر بؤرة .
ـ بأَه للأَمر بَأْهاً فطَن .
ـ بَأَى عليهم بَأْواً تكبرّ ، والدابة جهدت فى عَدْوها .
ـ بأَى بأْياً تعاظم وفخر .
ـ بَجَح به بَجحاً فرح .
ـ بَحَث فى الأَرض بَحْثاً حفر
ـ بَخّ فى النوم بَخّاً غطّ .
ـ بَخَا غضبُه بَخْواً سكن وفتر .

- بَخَرَت لقِدْرُ بَخْراً وبُخاراً ظهر بُخارُها .
- بَدَأَ بالشيء بَدْأً افتتحه .
- بَدَحَ بالسِّرِّ بُدْحاً باح به .
- بَدَّ بفلان عن الشيء بَدًّا أبعده عنه .
- بَدَرَ القَمَرُ بَدْراً اكتمل .
- بَدَا فلانٌ بَدْواً وبَدَاوةً خرج إلى البادية ، أقام بها .
- بَذَأَ بَذْأً وبذَاءً فحش فى قوله .
- بَذَحَ بالرأى بَذْحاً قطع به .
- بَذَرَت لأَرضُ بَذْراً أخرجت نباتها .
- بَذَعَ الاناءُ بَذْعاً قطر ماؤه .
- بَذَمَ بَذْماً وبَذامةً قوى ومتُن ، حزُم وجاد رأيُه .
- بَذَا بَذْواً ساء منطقُهُ ، وعليه تكلمّ بالفحش .
- بَرَحَ الرجلُ بَرْحاً غَضِب .
- بَرَضَ الماءُ من العين بَرْضاً خرج قليلاً .
- برقت المرأة بَرْقاً تزينت .
- بَرَى لفلان بَرْياً عرض له .
- بَزَجَ الرجلُ بَزْجاً تفاخر .
- بَزَقَ بَزْقاً بصق ، والشمس برغت .
- بَزَمَ القولُ بَزْماً غلُظ ، وعليه عضه ، وعلى الأَمر عزم .
- بَزَا بَزْواً تطاول
- بَسَّ بسًّا طلب وجَهَد .
- بَسَطَ من فلانٍ بَسْطاً أزال احتشامه .
- بَسَقَ بَسْقاً بصق .
- بَسَمَ بَسْماً ضَحِك قليلاً .
- بَشَرَ به بَشْراً وبشراً وبشراً فرح .
- بشْ بَشًّا وبَشاشة كان طلق الوجه .
- بَشَقَ بَشْقاً أحدّ النظ .
- بَشَكَ الرجلُ بَشْكاً أسرع .
- بَصَّ لماءُ بَصًّا وبَصيصاً شح ، والنجمُ تلألأ .
- بصَع الماءِ بَصْعاً سال ، رشح .
- بَصَقَ بَصْقاً لفظ ما فى فمه .
- بَصَا بَصْواً استقصى ما عند غريمه .
- بَضَّ لجلدُ بَضّاً وبَضاضة وبُضوضة كان رقيقاً ناعماً فى سِمَن .
- بَضَعَ الدمع بَضْعاً جال فى العين ولم يَفضْ ، ومن الماء روى .
- بَضَمَ الزرع بَضْماً اشتدّ .

- بَطَش به بَطْشاً فتك .
- بَعث بالكتاب بَعْثا أرسله .
- بَعَص الشيءُ بَعْصاً ضطرب .
- بعط فى الجهل بَعْطاً بالغ وأفرط .
- بَعَّ المطرُ بَعًّا نزل ماوه غزيراً .
- بَعَق الوابل بَعْقاً انفتح فجأة .
- بعل بَعْلا وبُعولة تزوج .
- بعَا بَعْواً أجرم وجنى .
- بَعَى بَعْياً أجرم وجى .
- بَغَزت الدابّةُ بَغْزاً ضربت الأرض برجلها .
- بَغَشت السماءُ بَغْشاً أمطرت .
- بَغّ الدَّمُ بَغًّا هاج .
- بَغَا عليه بَغْواً تعدّى .
- بَغَى الرجل بَغْياً وبُغاءا عدل عن الحقّ ، وعليه ظلمه ، والسماءُ اشتد مطرها
- بَقَرَ فى بنى فلانٍ بَقْرًا فتّش أمرهم .
- بَقَع بَقْعاً ذهب .
- بقّ بَقًّا وبَقَاقاً على القوم كثُر كلامُه .
- بَقَى بقْياً دام ، ثبت .
- بَكَّ الرجلُ بَكاًّ افتقر .

- بَكَل الرجلُ بَكْلاً اتخذ البَكالة وهى طعام من السَّويق والزيت .
- بَلَتَ الشيءُ بَلْتاً انقطع .
- بَلَح الثرىَ بَلْحاً يَبِس .
- بَلَخ الرجلُ بَلْخاً تكبرّ وحمُق .
- بلّ فى الأَرض بَلاًّ ذهب .
- بنج بنْجاً رَجَع إلى بِنْجِه أى أصله .
- بنَق إليه بَنْقاً وصل .
- بَنَّ بنًّا تراكم شحمُه ،وبالمكان أقام .
- بَنَى بأَهله وعليها بنْياً وبناءًا وبُنياناً دخل عليها .
- بَهَر الرجلُ بَهْراً فاق أقرانه .
- بَهَش إليه بَهْشاً أقبل عليه مسروراً .
- باءَ إليه بَوْءاً رَجَع .
- بابَ له بوْباً لازمه .
- باثَ عن الشيء بوْثاً بَحَث
- باج عليه الشَّرُّ بوْجاً حلّ به ، والبرقُ لمع .
- باذ بَوْذاً افتقر ، تواضع .
- بار بَوْراً وبَوَاراً هلك .
- باز بَوْزاً انتقل من مكان لآخر .
- باش القوم بَوْشاً اختلطوا وضَجُّوا .

- باص منه بَوْصاً هَرب واستتر .

- باص بَوْصاً حسُن وجهُه بعد كَلَف .

- باطَ بَوْطاً افتقر بعد غنى .

- باعَ بَوْعاً بسط يده بالعطاءِ .

- بال بَوْلا أخرج ماء مثانته .

- باه له بَوْهاً فطن

- بات ن المكان بَيْتاً وبيتوتَةً وبَيَاتاً أقام فيه الليل ، والرجلُ بيتاً تزوج.

- بوى بَيًّا حاكى غيره فى فعله .

- باسَ بَيْساً مات وتبختر .

- باض الطير بَيْضاً ألقى بيضَه .

- باظَ بَيْظاً سمن بعد هُزال .

- باع على بيع أخيه بَيْعاً تدخَّل بين المتبايعين لإفساد العقد للحصول على الصفقة له .

- باغ الدَّمُ بَيْغاً هاج .

- باه له بَيْهاً تنبَّه .

وهذه مجموعها ستة وتسعون (٩٦) لازماً مفتوح العين كلها جاء مصدره على فَعْل ولم يجئ على فُعُول

(د) ما لم يجئ له مصدر على فُعُول ولا على فَعْل :

- بَدَخ بَدَخاً وبَداخةً كان عظيم الشأْن

- بَدَّ الرجلُ بَدَداً عَظُم خلْقُه ، تباعد ما بين فخذيه من كثرة لحمهما .

- بذَّ الرجلُ بَذَذاً وبَذَاذاً رثَّت هيئته ، ساءت حالته .

- برَز بَرَزاً ظهر بعد خمول أو خفاء.

- بَرَز برَازة فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة.

- بَضَّ بَضاضةً وبُضوضةً كان رقيق الجلد ناعِمَه فى سِمَن .

- بَغَضَ بَغَاضةً صار بغيضاً .

- بَكَى بُكاءا وبُكىً سال دمعُهُ حزناً .

- بلّ بكذا بللاً وبَلَالة ظَفِرَ به وأدركه .

- بَهَا بهاءا وبَهَاءة حَسُن وظَرُف .

- بان بَيَاناً وتِبْياناً اتَّضح وظهر .

- بَاه بَوَاهاً ضجّ ، والحيوان هزل .

فهذه مجموعها اثنى عشر (١٢) كلها لم يجئ مصدره على فعول ولا على فعل .

٩ - ويبين الجدول التالى خلاصة المترددات الصنفية لمصادر العَيِّنة .

كما جاءت فى الفقرة السابقة :

| | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| (ا) ماجاء له مصدر على فُعول ولم يجئ على فَعْل | ٢٧ | ١٦ر٣ ٪ |
| (ب) ماجاء له مصدر على فَعْل وفُعُول كليهما | ٣١ | ١٨ر٧ ٪ |
| (جـ) ماجاء له مصدر على فَعْل ولم يجئ على فُعول | ٩٦ | ٥٧ر٨ ٪ |
| (د) ما لم يجئ له مصدر على فعُول ولا على فَعْل | ١٢ | ٧ر٢ ٪ |
| | ١٦٦ | ١٠٠ ٪ |

الجدول ١ : خلاصة الترددات الصنفية لمصادر العينة :

١٠ ـ يتضح من الجدول ١ أن أكثر مصادر هذه الأفعال جاء على فَعْل أو فعول أو كليهما ، وأن قلة منهما فقط لم يجئ له صدر على أى من هذين.

ويتضح أيضا بوجهٍ قاطع ان المصدر بزنة فَعْل أكثر ترددًا منه بزنة فعُول فى العينة .

ولتداخل المصدرين فى بعض أفعال لعينة فقد فصِّل التصنيف على الأوجه لتالية لأغراض المقارنة الإحصائية :

| | | |
|---|---|---|
| (أ) ماجاءله مصدر على فُعول | ٢٧+٣١=٥٨ | ٣٤ر٩ ٪ |
| (ب) ما لم يجئ له مصدر على فُعول | ٩٦+١٢=١٠٨ | ٦٥ر١ ٪ |
| | ١٦٦ | ١٠٠ ٪ |

الجدول ٢ ا : تصنيف لدراسة تردد فُعول (٣٤٩ر٠ )

| | | |
|---|---|---|
| (ا) اجاء له مصدر على فَعْل | ٩٦+٣١=١٢٧ | ٧٦ر٥ ٪ |
| (ب) ما لم يجئ له مصدر على فَعْل | ٢٧+١٢=٣٩ | ٢٣ر٥ ٪ |
| | ١٦٦ | ١٠٠ ٪ |

لجدول ٢ ب : تصنيف لدراسة تردُّد فَعْل (٧٦٥ر٠ )

| | | |
|---|---|---|
| (ا)ماجاء له مصدر على فَعْل أو فُعول أو كليهما | ٩٦+٢٧+٣١=١٥٤ | ٩٢ر٨٪ |
| (ب)ما لم يجىء له مصدر على فُعول ولا على فَعْل | ١٢ | ٧ر٢٪ |
| | ١٦٦ | ١٠٠٪ |

لجدول ٢ جـ : تصنيف لدراسة تردُّد فعْل أو فُعول أو كليهما (٩٢٨ر٠ )

وقد رسم الشكل ١ لتوضيح ماجاء فى لجدول ١ ، وتوضح الأشكال ٢ آ إلى ٢ جـ الجداول ٢ آ إلى ٢ جـ.

١١ ــ يبدو جلياً من الأشكال ٢ آ إلى ٢ جـ ــ وكذلك من الجداول ٢ آ ــ إلى ٢ ما يأتى :

(ا) أن ماجاء له مصدر على فُعول من هذه الافعال الثلاثية اللازمة المفتوحة العين الى تؤلف العينة لم يتجاوز ٩ر٣٤٪ (الشكل ٢آ ) من مجموع فعال العينة ، أى انه زهاء ثلث لعينة فقط ، وهو قليل ،ولا يمكن له بحال أن يُعَدَّ مطَّرداً ولا غالباً ولا كثيراً.

(ب) ان ماجاء له مصدر على فَعْل من أفعال هذه لعينة هو ٥ر٧٦٪ (التشكل ٢ ب ) ، أى أنه أكثر من ثلاثة أرباع العينة فهو إذن الغالب فى مصادرها ، فضلا عن أنه أكثر من ضعفى ماجاء له مصدر على فُعُول .

(جـ) أن ٨ر٩٢٪ من أفعال العينة (الشكل ٢ جـ ) جاءَ له مصدر إمَّا على فَعْل أو على فُعول أو كليهما ، فهو الغالب ، أما ما لم يجىء له مصدر على أىٍّ من هذين الوزنين فهو ٢ر٧٪ فقط وهو قليل جداً أو نادر .

فلو صح انطباق هذه النسب أو شىءٌ قريب منها على مجموع ما فى المعجم من هذه الأفعال لأمكن القول بغلبة فَعْل على فُعول فى مصادر فَعَلَ اللازم المفتوح العين ، خلافاً لما أشار إليه ابن مالك . فلننتقل إذن إلى مدى الخطإ المحتمل فى انطباقها على المعجم .

١٢ ــ استناداً إلى ما جاء فى الفقرة ٦ والصيغة (١ )، يمكن التعبير عن نسبة

أىٍّ من هذه المصادر فى مجموع الثلاثى للازم المفتوح العين فى المعجم بالعلاقة:

$$P = P \pm Z\,S$$

أى :

$$P = P \pm Z \sqrt{\frac{P(1-P)}{n}\left(\frac{N-n}{N-1}\right)} \quad (٢)$$

حيث ترمز P إلى نسبة الأفعال الثلاثية اللازمة المفتوحة عين الماضى التى لها مصدر من وزن معين فى المعجم إلى مجموع هذه الأفعال فى المعجم .

وللحصول على تقدير معتمد لأىٍّ من هذه النسب سنختار حداً من الثقة مقداره ٩٩ ٪ بدلاً من حدّ الثقة ٩٥ ٪ الذى كثيراً ما يُؤخذ به فى مثل هذه الحالات ، وعليه فان قيمته ستساوى ٢ر٥٨ كما سلف ذكره .

وبتعويض قيم P كما وردت فى الجداول ٢ آ إلى ٢ جـ ، وقيمتى N و n المعلومتين ، فى الصيغة (٢) ، يمكن الحصول على النتائج التالية :

( ا ) نسبة ما جاء له مصدر على فُعُول من هذه الأفعال فى المعجم .

= ٣٤٩ر٠ ± ٠٩٤ر٠

= ٣٤ر٩ ٪ ± ٤ر٩ ٪

= من ٢٥ر٥ ٪ إلى ٤٤ر٣ ٪

معنى هذا أن النسبة المقدرة لما جاء له مصدر على فعول من مجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم هى على وجه التقريب ٩ر٣٤ ٪ وأنه فى ٩٩ احتمالاً من ١٠٠ لن يمكن لهذه النسبة أن تزيد على ٣ر٤٤ ٪ ( أو أن تقلّ عن ٥ر٢٥ ) ، وهذا جزم أكيد بأن هذا المصدر ليس مطرداً ، ولا غالباً ، ولا كثيراً ، بل أنه أقل كثيرا من النصف فى أحسن الاحتمالات ، فهو إذن قليل فى مجموعة هذه الأفعال فى المعجم ( الشكل ٣ آ ) .

(ب) نسبة ما جاء له مصدر على فعْل من هذه الأفعال فى المعجم :

= ٥ر٧٦ر٠ ± ٠ر٠٨٣

= ٥ر٧٦ ٪ ± ٨ر٣ ٪

= من ٢ر٦٨ ٪ إلى ٨ر٨٤ ٪

أى أن ما جاء مصدره على فَعْل من هذه الأفعال فى المعجم هو على وجه التقريب ٥ر٧٦ ، وهو فى ٩٩ احتمالاً من ١٠٠ لايمكن أن يقل عن ٢ر٦٨ ( ولا أن يزيد على ٨ر٨٤ ٪ ) ، وهذا يؤكّد أن هذا المصدر هو الغالب لمجموعة هذه الأفعال فى المعجم ( الشكل ٣ ب ) .

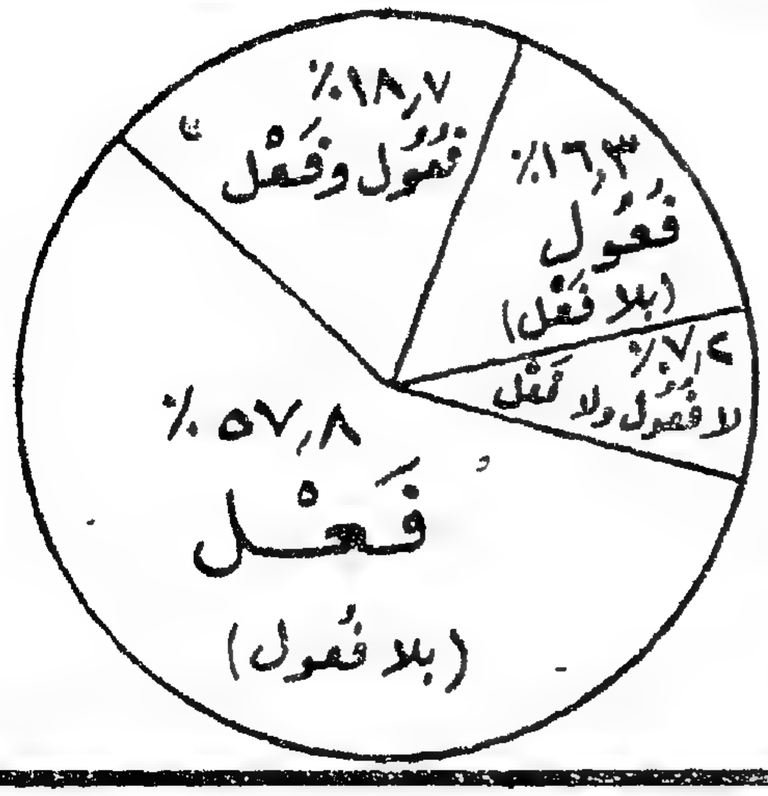


الشكل ١ : النتيجة الاحصائية لصادر فَعَلَ اللازم في العينة

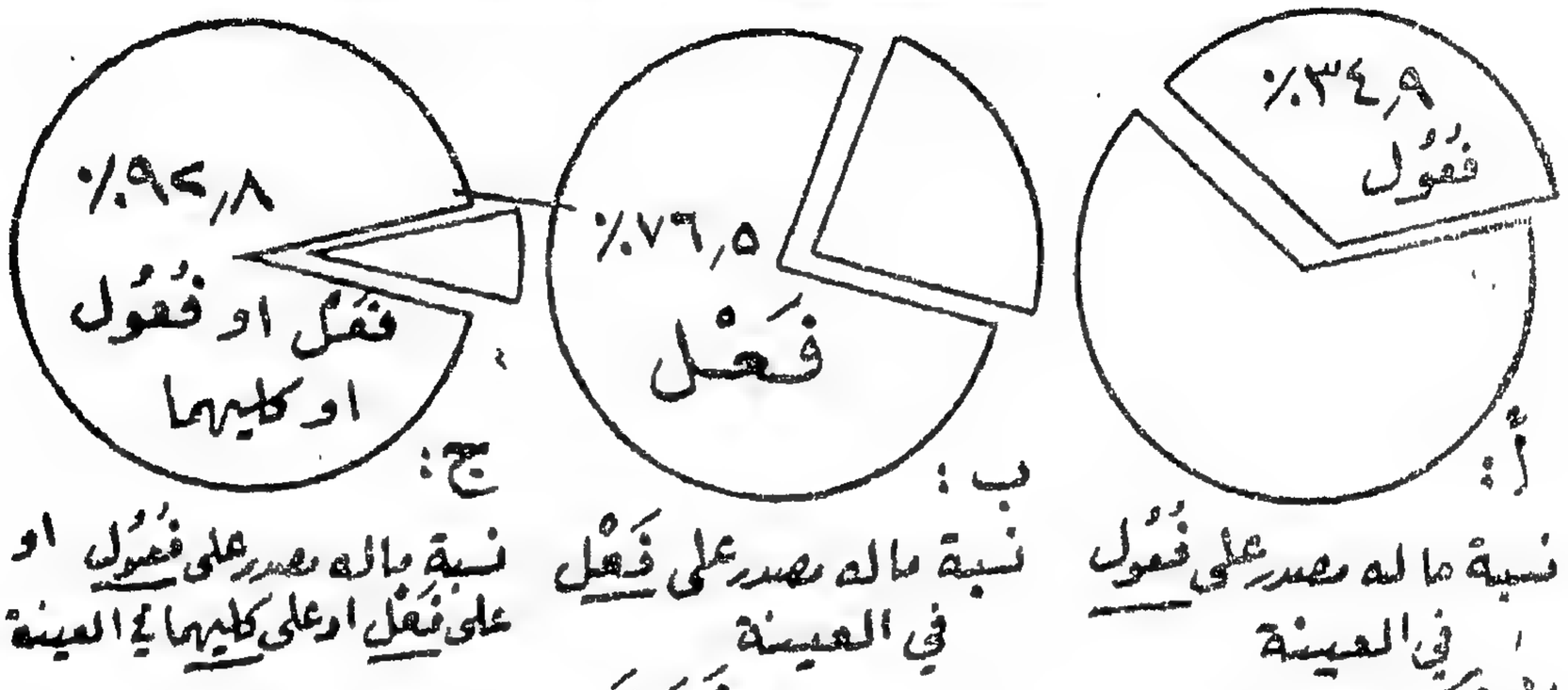


الشكل ٢ : تفصيل تردد مصادر فَعَلَ اللازم في العينة

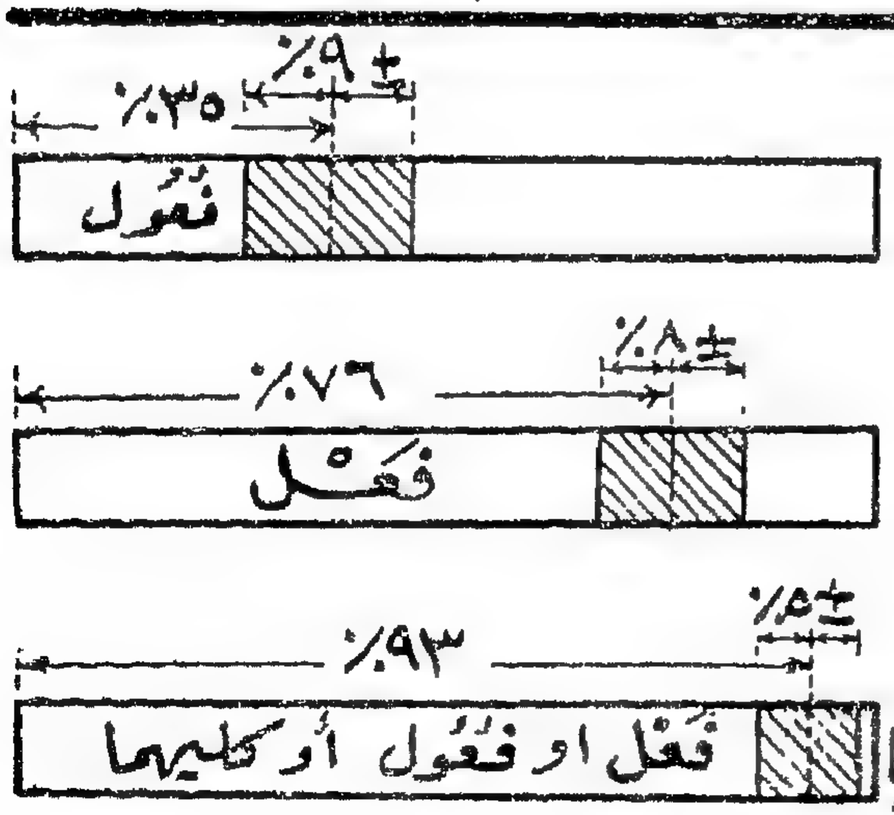


الشكل ٣ : تقدير مصادر فَعَلَ اللازم في المعجم بـ ٩٩ احتمالاً من ١٠٠

(ج) نسبة ما جاء له مصدر أما على فَعْل أو على فعُول أو كليهما فى المعجم :

= ٩٢٨ر٠ ± ٠٥١ر٠

= ٨ر٩٢٪ ± ١ر٥٪

= من ٧ر٨٧٪ إلى ٩ر٩٧٪

أى أن ما جاء له مصدر على واحد من هذين الوزنين على الأقل من هذه الأفعال فى المعجم هو فى حدود ٨ر٩٢٪، وهو فى ١٩٩ احتمالاً من ١٠٠ لن يقل عن ٧ر٨٧٪ (ولن يزيد على ٩ر٩٧)، فهو غالب جدًّا، وأغلبيته ساحقة، وما سواه يكاد يكون نادراً (الشكل ٣ آ).

١٣ ـ الخلاصة :

من هذه الدراسة لعيّنة عشوائية مولفة من ١٦٦ ثلاثيًّا لازمًا مفتوح عين الماضى فى مجموعة أفعال المعجم المشابهة لها والمقدرة بما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠، ظهر أنه فى تسعة وتسعين احتمالاً من مائة ستكون نسب مصادر هذه الأفعال فى المعجم كالآتى:

(ا) تقع نسبة ماله مصدر على فَعْل أو على فُعول أو كليهما بين ٨٨٪ و٩٨٪ مقربة لأقرب عدد صحيح (الشكل ٣ آ)، أى أن ما ليس له مصدر على أىٍّ منهما يمكن عدّه نادراً (فيما عدا ما اقتصرت مصادره على أوزان بعينها لامتناع، أو تقلُّب، أو داء، أو صوت، أو سير، وقد لوحظ أنه قليل جداً).

(ب) تقع نسبة ماجاء له مصدر على فُعول بين ٢٦٪ و٤٤٪ (الشكل ٣ ب)، أى أنه لايمكن أن يُعدّ مطرداً ولا غالباً ولا كثيراً كما هو عليه سائر النُّحاة، بل هو أقل من النصف وأقرب إلى الثلث، وهو قليل.

(ج) تقع نسبة ما جاء له مصدر على فَعل بين ٦٨٪ و٨٥٪ (الشكل ٣ ج)، أى أنه الغالب، وهو أدعى للقياس عليه.

وبعد فهذا جزم أكيد بأن ما زِنةُ مصدره فَعْلٌ من هذه الأفعال أغلب مما زنة مصدره فعُول، بل هو فى حدود ما يربو على ضِعْفَيه (فضلاً عما يكون بعض اللغويين المتأخرين قد زادوه من مصادر على فُعول من عندهم ـ على

القياس – ) ، فإن لم يكن أىٌّ منهما مطرداً فإن فعْل بلا شك هو الغالب بين مصادر فَعَلَ اللازم فى المعجم ، وهو أجدر بقياس مصدر ما لم يُسمع له مصدر عليه ؛ والآن فماذا بشأن قول ابن مالك :

( وفعَل اللازم مثل قعَدا
له فُعُولٌ باطِّراد كغَدا ) ؟

أما كان الأصوب أن يقال مثلًا :

( وفعَل اللازم مثل عَتَبا
فَعْلٌ له كالمتعدِّى غَلَبَا

( ما لم يكن مستوجباً فِعالا
. . . . إلخ ) ؟؟

أو :

( وفَعَلَ اللازمُ كالمعدّى
قياسُه فَعْل ككَدَّ كَدّا ) . . إلخ ؟؟

أو ما أشبه ذلك .

سؤال بين أيدى السادة الأعلام أهل اللغة والنحو .

---

## الملحق (١)

### الرموز

| | |
|---|---|
| عدد مواد العينة ( أى من الثلاثى اللازم المفتوح العين ) | الانحراف القياسى المخمَّن لكل مواد المجموعة ( فى المعجم ) |
| العدد المقدَّر لموادّ المجموعة ( أى فى المعجم ) المشابهة لمواد العينة. | معامل يُضرب فى تخمين الخطإ |
| نسبة تردُّد حدث معين ( هنا تكرّر مصدر من وزن معيّن ) فى مواد العينة . | المحتمل فى تقدير نسبة حدث معيّن فى المجموعة من حسابه فى عينة . وتتحدَّد قيمة هذا |
| النسبة المقدّرة لتردد حدث معيّن فى موادّ المجموعة ( أى فى المعجم ) . | المعامل بمعرفة حد الثقة المطلوب فى التخمين . |

# الملحق (٢)

## المراجع


- ألفية ابن مالك فى النحو والصرف ، الغلاييني ، المطبعة العصرية ، صيدا ، دار الكتب المصرية ، ط ٣ ، ١٩٣٢م . ط ١١ ، ٩٧١ «م ، ج ١
- الكتاب ، لسيبويه ، طبعة بولاق ، ١٣١٧ هـ ، ج ١ - ٢
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ؛ مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ج٢
- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العربى ، بيروت ١٩٥٥م ، ج٢
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٧ هـ ، ج ٢
- كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ، تأليف حفنى ناصف ومحمد دياب والشيخ مصطفى طموم ومحمود عمر وسلطان محمد ، القاهرة، ١٩٠٥م .
- جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى
- القواعد الأساسية للغة العربية للسيد أحمد الهاشمى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٤ هـ .
- الاقتراح ، للسيوطى، طبعة الهند .
- تحرير افعل من قياس نحوى فاسد تعليق للأستاذ أمين الخولى على بحث للأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور ، مؤتمر الدورة ٣٢ لدورة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، البحوث والمحاضرات بغداد ، ١٩٦٦م .

المنجد فى اللغة ، للأب لويس معلوف اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ط ١٥ ، ١٩٥٦م .

المعجم الوسيط ، إخراج الأساتذة إبراهيم مصطفى وأحمدحسن الزيات وحامد عبد القادر ، ومحمد على النجار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م ، ج ١ ، ٢

- القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزبادى المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٩١٣ م ، ج ١ - ٤

- لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور الأنصارى ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٩١م ، ج ١ - ٢٠

- أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشرى دار ومطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٠م

- مختار الصحاح ، لأبى بكر الرازى ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٣٨ م

— Statistical Quality Control, by E. L. Grant, Mcbraw-Hill Bock Company, New york, 1946

— Statistics Made Simple, by H. T. Hayslett, W. H. Allen (Publishers), London, 1968

— Tables for Statisticians, by H. Arkin and R. R. Colton Barnes and Nobie, Inc., New york, 1950

جميل الملائكة

# وحى الأصوات فى اللغة

للأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس
الأستاذ بكلية دار العلوم

---

يستطيع كل منا أن يرتجل كلمة من الكلمات وأن يخلع عليها من الدلالة ما يشاء ، ولكن مثل هذه الكلمة لا تصبح جزءا من اللغة إلا بعد أن يتاح لهـــا الشيوع والذيوع بين أفراد البيئة ، بحيث يستعملها كثير من الناس فى خطابهم وحديثهم .

فهب مثلا أنك ارتجلت كلمة مثل « تزلمع » ، وطلبت إلى صـــديق لك أن يخمن لها دلالة ، فستراه يضع لها دلالة مّا ، يستخرجها من تلك الذخيرة اللفظية التى يختزنها فى ذهنه ، والتى اكتسبها فى مراحل تعلمه للغة قومـــه . فإذا عرضت نفس الكلمة على صديق آخر يشبه الأول فى وسطه الاجتماعى وفى ثقافته فقد يستخرج لك نفس الدلالة ، أو شيئا شبيها بها أو قريبا منها . وهنا ندهش لمثل هذه الظاهرة ، وقد ننسبها مرة لسبب سحرى غامض ، وأخرى لأمر روحانى نعجز عن إدراكه . وقد يراها اللغوى المحافظ مظهرا من مظاهر السليقة اللغوية التى تتصل بالوراثة ، والتى فطر عليها أفراد كل بيئة من البيئات اللغوية .

غير أن اللغوى الحديث لا يرى فيما يسمى بالسليقة اللغوية إلا المران الكافى ، ولا يفسرها إلا على أنها ملكة مكتسبة وليس للوراثة أو الجنس أثر فيها .

لهذا يلتمس تفسيرا آخر لتلك الظاهرة ، وينسبها إلى ما نسميه هنا بوحى الأصوات . فالمرء يتعلم لغة أبويه ، ويربط منذ طفولته بين ألفاظ قومه ودلالاتها ربطا وثيقا ، وتختزن فى ذهنه تلك الألفاظ مع دلالاتها فى شىء من التنظيم والترتيب يساعد على أن يدعو بعضها بعضا ، ويذكر بعضها ببعض .

ويقضى المرء فى اكتساب تلك الملكة اللغوية زمنا طويلا من حياته أو طفولته ، حتى يسيطر على قدر كبير من الألفاظ ودلالاتها ، وتتألف فى ذهنه تلك الذخـــيرة اللفظية الدلالية ، وعلى أساس ما اكتسب من ألفاظ ودلالاتها يستطيع استنباط مدلول اللفظ الجديد على سمعه .

ومع أن الناس يختلفون فى تجـــاربهم مع الألفاظ والدلالات ، تتكون لديهم تلك القدرة على استيحاء الدلالة المجهولة ، أو طرف منها من لفظ معلوم ، وذلك لأنهم لا يزالون يشتركون فى الدلالات المركزية ، ويشتركون فى اختزان ألفاظ معينة هى ألفاظ لغة بيئتهم .

وعلى قـدر اشـتراك الناس فى الوسـط الاجتماعى والثقافة العامة يكون اشتراكهم أو تقاربهم فى استيحاء تلك الدلالات المجهولة .

فإذا عرضت تلك الكلمة المرتجلة على جماعة من وسط واحد وثقافة متقاربة رأينا تشابها

عجيبا فى استنباطهم لدلالتها . فعرض هذه الكلمة على مجموعة من طلبة الجامعة ينتج غير ما ينتج عرضها على مجموعة من القرويين مثلا .

وعلينا أن نتذكر مع ما تقدم أن لكل لغة نظاما خاصا فى تأليف ألفاظها ، فما يشيع فى إحداها قد يندر فى الأخرى . فألفاظ اللغة العربية تتألف من تلك الحروف الهجائية المألوفة لنا ، ويتكون لتلك الألفاظ العربية نسج خاص ، إذا حاد عنه اللفظ قيل إنه غير عربى . وكان القدماء يشعرون بشىء من هذا حين أكدوا لنا بعضهم أنه لا تجتمع الجيم مع القاف فى كلمة عربية مثل « المنجنيق » ، ولا تجتمع الصاد والجيم فى كلمات العرب . فكلمة مثل « صولجان » غريبة عن النسج العربى ، ولا تكون النون قبل راء إلا فى الكلمات الأعجمية مثل « نرجس » ، ولا تكون الزاى بعد دال كما فى كلمة « مهندز » الأجنبية التى صارت فى لهجاتنا الآن « مهندس » . ولا تكون الشين بعد لام ، ولا تجتمع الباء والسين والذال فى كلمة عربية ، ولا الطاء والجيم . ولا تعرف لغتنا العربية الزاى والذال مع السين إلا فى تلك الكلمة المعربة التى ننطق بها على صورة « ساذج » ، ولا تجتمع الصاد والطاء ، وندر اجتماع الراء مع اللام ، ولابد من وجود حرف من حروف الذلاقة « م ن ر ل ب ف » فى الرباعى والخماسى (١) .

نقرأ مثل هذه الملاحظات السريعة فى كتب القدماء ، ولكن الأمر أعمق من مثل تلك الملاحظات القليلة ، ويحتاج إلى استقراء أوفى وأتم ، حتى نستطيع الوقوف على نسج الكلمة العربية . فما يمكن أن يتألف من حروفنا الهجائية يجاوز ١٢ مليونا من الكلمات ، قرر هذا الخليل من قبل ، وتقر صنعه الآن العمليات الحسابية الحديثة . ولكن المستعمل من الألفاظ لا يكاد يجاوز ثمانين ألفا ، فيها يشيع حرف أكثر من حرف ، بل قد تختلف فيها نسبة شيوع الحروف على حسب موضعها من الكلمة . فلو أن اللغة كانت تسمح باستعمال كل تلك الملايين من الألفاظ لأشبهت الحروف بعضها بعضا فى شيوعها ، ولا يتكون للغة حينئذ نسج خاص تتميز به . ولكن اللغة قد تخيرت مجموعات صوتية معينة هى التى اختصتها بالدلالة ، وأهملت الكثرة الغالبة .

ونكتسب نحن ألفاظ اللغة كما وردت إلينا ، ونختزن قدرا كبيراً منها يتألف على نظام معين ، ويمكن أن نقرر بعد دراسة واستقراء أن نسبة شيوع « السين » مثلا فى كلام فلان هى كذا ، ونسبة الميم فى كلامه هى كيت ، وتوالى الفاء والدال فى ألفاظه أقل من توالى الفاء والجيم مثلا ، واجتماع اللام والعين والباء أكثر من اجتماع اللام والعين والقاف ،

(١) شفاء الغليل للخفاجى صفحة ٧

وغير ذلك من نسب كثيرة قد هدينا إليها الاستقراء . فالمرء إذن يخضع لما يكتسبه من ألفاظ ، ويتأثر بنظام تلك الألفاظ ونسجها وتركيبها . ومع هذا فأفراد البيئة قد يشتركون فى شىء من هذا ، ويتأثرون جميعا بمجموعة كبيرة جداً من الألفاظ المشتركة بينهم .

غير أن هذا الاشتراك يكثر أو يعظم فى الأوساط المتشابهة ، ولدى أصحاب الثقافات المتقاربة .

وعلى هذا فمجرد النطق بتلك الكلمة المرتجلة يدعو إلى الذهن لفظا آخر معروفا يشترك معها فى بعض حروفها أو صفات تلك الحروف ، ويفد ذلك اللفظ المعروف ومعه دلالته فيوحى بشىء من دلالة ذلك اللفظ المرتجل .

ويغالى بعض اللغويين فيتصورون ـ من أجل هذه الظاهرة ـ أن هناك ربطا طبيعيا بين الألفاظ ودلالاتها ، ولا يخطر ببالهم أن القدرة على استيحاء الدلالات مرجعها إلى ما يكتسبه المرء من ألفاظ معينة ، ومن ربطه بين تلك الألفاظ ودلالاتها ربطا وثيقا . فالعملية كلها مكتسبة ، لا سحر فيها ولا غموض ، ويمكن أن يستدل على صحتها بالتجربة كما سنرى .

ويرى « فندريس » أنه من الحق الحكم بوجود علاقة ضرورية بين أصوات الكلمة ودلالتها . وقد سخر من أولئك الذين نادوا بهذا الرأى أمثال « سان توماس الاكوينى » ، غير أنه اعترف بأن بعض الألفاظ أقدر على التعبير من البعض الآخر . ولكن المرء فى رأيه حين يقيم ائتلافا بين اللفظ ومدلوله إنما يسير على نهج عادة قديمة جداً حين كانت الألفاظ تعد جزءاً لا يتجزأ عن الأشياء ، وحين كان الاسم له منزلة الجسد والروح كما هو الحال الآن عند بعض الأمم البدائية الذين يعتقدون أن الإنسان يتكون من الروح والجسد والاسم .

ويختتم « فندريس » كلامه بما ترجمته :

« كل كلمة ـ أيا كانت ـ توقظ دائما فى الذهن صورة ما : بهيجة أو حزينة ، رضية أو كريهة ، كبيرة أو صغيرة ، معجبة أو مضحكة ، تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذى تعبر عنه ، وقبل أن يعرف هذا المعنى فى غالب الأحيان .

اذكر اسم إنسان ما أمام شخص لم يره قط ، فإنه يكون عنه فكرة فى الحال ، فكرة زائفة على وجه العموم .

فإذا قدمت له هذا المجهول أجابك على الفور : « أهو هذا ؟ ما كنت أظنه هكذا ! »

ومثل هذا الشىء نفسه يحصل بالنسبة لكلمات اللغة ، فإدراكنا للأشياء خاضع لانطباعات فجائية منبعثة من الاسم الذى يدل عليها (١) .

---

(1) Language P. 237

ويبدو من هذا النص أن « فندريس » يرى أن تلك الصورة التى تنطبع فى الأذهان لدى سماع الكلمة المجهولة لا تكاد تمت إلى الدلالة الحقيقية بأية صلة . وهو بهذا يتجاهل أثر التجارب السابقة فى ذهن كل منا ، وما تخضع له كل لغة من نظام فى مجموعاتها الصوتية ، ترتبط كل مجموعة منها بدلالة معينة . فمجرد النطق باللفظ يستدعى إلى الذهن أمثاله من الألفاظ ، ويستدعى معها دلالاتها ، ويستوحى المرء من كل هذا دلالة لذلك اللفظ المجهول على أساس ما اختزنه فى حافظته . وقد يوفق فى هذا الاستيحاء كل التوفيق أو بعضه ، ولكنه على كل حال يجد نفسه قريبا من الدلالة الحقيقية فى نسبة غير قليلة من الحالات ، وهو ما برهنت عليه تجاربنا مع بعض طلاب الكليات والمدارس

سجل أبو حيان التوحيدى (١) فى رسالة له كتبها فى الانتقاص من الصاحب ابن عباد لموقف له مع أحد الشعراء ، حين أنكر على هذا الشاعر أن يتجرأ على قول الشعر وهو يجهل كثيراً من الغريب . ثم سرد « الصاحب » على مسمع الشاعر طائفة كبيرة من الكلمات النادرة المهجورة التى كان يفخر بمعرفتها والإحاطة بدلالاتها منها :

الهبلع ، الجرفاس ، الخيتعور ، النعثل ، القهبلس ، القذعملة ، الطربال ، الشنعوف ، العشاط ، القفندر .

وقد عرضنا هذه الألفاظ على مجموعة من طلبة الليسانس بكلية دار العلوم عددهم أربعة وعشرون ، ثم عرضناها مرة أخرى على طلبة السنة التوجيهية فى إحدى المدارس الثانوية وعددهم ثلاثة وعشرون ، وطلبنا من كل طالب أن يسجل ما توحيه كل لفظة من دلالة فى ذهنه .

ولكن رغبة فى ألا نترك الطالب فى ظلام دامس ، رأينا أن نلمح له بما يحصر تخمينه فى نطاق محدود ، فقلنا له إن « الهبلع والجرفاس والخيتعور والنعثل » صفات للرجل ، وإن « القهبلس والقذعملة » من صفات المرأة ، وإن « الطربال » صفة للبناء ، وإن « الشنعوف » جزء من الجبل ، وإن « العشاط » صفة للبن ، وإن « القفندر » لواحد من الجمال أو القبح فأيهما تختار ؟

ويلاحظ فى التجربة أن بعض طلبة دار العلوم لم يجيبوا بشىء عن بعض الكلمات ، وذلك لأننا طلبنا منهم عدم الإجابة حين يكون

---

(١) « العربية » تأليف المستشرق يوهان فك ترجمة عبد الحليم النجار صفحة ١٦٢

أحدهم على علم بمدلول الكلمة من قبل .

وها هى إجابات طلبة كلية دار العلوم :

١ — الهبلع :

فسرها تسعة من الطلبة على أنها « الأبله العبيط » . وفسرها أربعة منهم على أنها « الأكول النهم » ، وهو المعنى المعجمى الصحيح . وفسرها أربعة على أنها « الضخم المهول » . وفسرها ثلاثة من الطلبة على أنها « القصير » .

أما باقى الطلبة فتباينت إجاباتهم .

وهكذا ترى أن مجموعة كبيرة من هؤلاء الطلبة تشترك فى الدلالة ، ونسبتهم ٣٧ ٪ أى ٩ من ٢٤

٢ — الجرفاس :

أجاب نحو ١٤ طالبا مفسراً الكلمة على أنها « القوى الضخم والشجاع الخشن » .

وتلك هى دلالات متقاربة بنسبة ٥٨ ٪ .

أما باقى الإجابات فتباينة . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الضخم » .

٣ — الخيتعور :

أجاب ثمانية من الطلبة مفسراً الكلمة على أنها « الذليل الضعيف الجبان الكسلان » . ولم يجب بشىء ستة من الطلبة . أما الباقى فإجاباتهم متباينة : أى أن نسبة الاشتراك فى الإجابة ٤٤ ٪ . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الخداع المخاتل » ، فليس منهم من استطاع تخمين المعنى الصحيح .

٤ — النعثل :

لم يجب عن هذه الكلمة غير ١٣ طالبا منهم ثمانية فسروها على أنها « الهادئ الناعم الوديع » : أى أن نسبة الاشتراك فى الاجابة ٦١ ٪ . والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « الشيخ الأحمق » .

٥ — القهبلس :

لم يجب غير عشرين من الطلبة ، منهم عشرة فسروها على أنها « المرأة الضخمة البدينة » : أى أن نسبة الاشتراك فى الإجابة ٥٠ ٪ .

والمعنى المعجمى هو « المرأة الضخمة » .

٦ — القذعملة :

أجاب ١٧ طالبا منهم ١٤ فسروها على أنها القصيرة القميئة . وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة ؛ فتكون نسبة الاشتراك هنا ٨٢ ٪ .

٧ — الطربال :

أجاب ١٧ طالبا منهم ٩ فسروها على أنها « البناء الضخم العالى الشامخ » . وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة . فتكون نسبة الاشتراك ٥٣ ٪ وأجاب ثلاثة فقط فوصفوا البناء بأنه

« المتهدم المنهار » . أما الباقى فإجاباتهم متباينة .

٨ ــ الشنعوف :

أجاب عشرون طالبا ، منهم ١١ فسروها بأنها «قمة الجبل» . أى أن نسبة الاشتراك ٥٥ ٪ فى حين أن ثلاثة فقط قالوا عنها إنها « أسفل الجبل » ، وأربعة من الطلبة وصفوها بأنها «طرف بارز رفيع» .

والمعنى المعجمى لهذه الكلمة هو « القمة » .

٩ ــ العثلط :

أجاب عنها ٢١ طالبا ، منهم ١٧ وصفوها بأنها « اللبن المتجمد المتخمر » ، وتلك هى الدلالة المعجمية، أى أن نسبة الاشتراك ٨٠ ٪

١٠ ــ القفندر :

أجاب عنها ٢٠ طالبا ، منهم ١٢ قالوا عنها إنها صفة للجميل ، ٨ من الطلبة قالوا عنها إنها صفة للقبيح . أما المعنى المعجمى للكلمة فهو : « القبيح المنظر » .

وهكذا نرى أن مجموعة من الطلبة الذين ينتمون إلى وسط اجتماعى واحد ، ويشتركون فى الثقافة والبيئة التعليمية قد استنبطوا دلالات مشتركة بينهم بنسبة ٦٠ ٪ فى المتوسط .

ولم يبق سوى النسبة القليلة التى يمكن إرجاعها إلى التجارب الخاصة والأمزجة المختلفة .

كذلك نرى أن الدلالات المشتركة لم تكن دائما الدلالة المعجمية الصحيحة ، فلا تكاد تجاوز الإجابة الصحيحة نسبة ٤٢ ٪. أى أن استنباط الدلالة الصحيحة من اللفظ أمر عسير حتى على أبناء دار العلوم الذين قطعوا شوطا بعيداً من الثقافة اللغوية .

أما إجابات طلبة التوجيهى فى المدرسة الثانوية ، فكانت نسبة الاشتراك فى المتوسط نحو ٦٠ ٪ أيضا ؛ ولكن الإجابة المطابقة للدلالات المعجمية لم تجاوز نسبتها ٣٠ ٪ لأنهم أقل اتصالا بالثقافة اللغوية العربية من أبناء دار العلوم .

فهم ـ لأنهم من وسط واحد ، وعلى قدر واحد من الثقافة العامة ـ اشتركوا فى استنباط الدلالات بنسبة كبيرة، ولكن إجاباتهم كانت مختلفة عن إجابات أبناء دار العلوم بشكل ملحوظ .

١ ــ المبلع :

هنا رأينا ١٦ طالبا تحوم إجاباتهم حول جو واحد من الدلالة ، فمعظمهم وصف الكلمة بأنها « الأبله العبيط » وبعض هؤلاء قالوا عنها إنها « الطويل » ، ومن السهل علينا الربط بين الدلالتين : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ ( ١٦ من ٢٣ ) .

٢ ــ الجرفاس :

أجاب عنها ١٢ طالبا بدلالات متقاربة تتلخص

فى القوة وما يصحبها من شر أو شجاعة : أى أن نسبة الاشتراك ٥٢ ٪ .

٣ — النعثل :

أجاب عنها ١٥ طالبا بدلالات متقاربة هى « النعسان النائم الهادئ » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٥ ٪ .

٤ — القهبلس :

أجاب ١٢ طالبا بقولهم إنها « الغانيـــة غير الشريفة » : أى أن الدلالة فى أذهانهم حامت حول الجاذبية الجنسية ، فكانت نسبة الاشتراك ٥٢ ٪ .

٥ — القذعملة :

أجاب ١٦ طالبا فأصابوا فى استنبـــاط المعنى المعجمى الصحيح ، وقالوا إنها « القصيرة » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ .

٦ — الشنعوف :

أجاب ١٣ طالبا فقالوا عنها « القمة » ، وتلك هى الدلالة المعجمية الصحيحة : أى أن نسبة الاشتراك ٥٦ ٪ .

٧ — الطربال :

أجاب ١٦ طالبا فوصفوا البناء بدلالات متقاربة مثل « العالى الشاهق الضخم » : أى أن نسبة الاشتراك ٦٩ ٪ .

٨ — العثلط :

وصفه ١١ طالبا بأنه « الجـــامد الراتب المقطع » : أى أن نسبة الاشتراك ٤٨ ٪ .

٩ — القفندر :

وصف ١٤ طالبا هذه الكلمة بأنها تعبر عن الجمال : أى أن نسبة الاشتراك ٦٠ ٪ .

ولسنا نزعم أن مثل هذه النسب تطرد فى كل تجربة من هذا النوع ؛ فقد تكون بعض الكلمات أكثر إيحاء من البعض الآخر ، وقد تختلف ظروف التجربة فلا تؤدى إلى نفس النتيجة فى كل مرة .

ولكن الذى نؤكده هو أن نسبة كبيرة من الاشتراك فى استيحاء الدلالات تتم فى الوسط الموحد الثقافة والمتقارب فى التجارب . وتأيد هذا لدينا من تجارب أخرى متعددة أسست على كلمات أخرى مجهولة الدلالة .

ننتهى من هذه التجارب إلى أن ألفـاظ اللغة تخضع لنظام خاص فى تركيبها من الحروف الهجائية ، وأن بعض هذه الألفاظ يختزنهـا المرء فى حافظته ، وهى وإن خضعت للنظام العام للغة تتميز بصفات معينة ، وتترك أثراً قويا فى ذهن من يعيها ويحفظها . فإذا دل استقراء

المستعمل من ألفاظ اللغة ، على أن نسبة توالى الفاء والجيم مثلا أكثر من توالى الفاء والصاد ، فقد يتصادف أن ما يحفظه المرء من ألفاظ يعطى نسبة أخرى قد تكون عكسية ، فيها توالى الفاء والصاد أكثر من توالى الفاء والجيم.

ويقال حينئذ إن توالى الفاء والصاد فى ذهن شخص معين أوضح وأكثر شيوعا منه فى ذهن آخر ؛ ولكن الشخصين يخضعان معا للنظام العام الذى تجرى عليه ألفاظ اللغة .

تلك هى الصفة التى تميز شخصا من شخص ، وتجعل استيحاء الدلالة من اللفظ تختلف فى بعض الأحيان بين شخصين من وسط اجتماعى واحد وثقافة واحدة .

وتختلف نسبة شيوع المجاميع الصوتية فى ذهن كل منا ، فبعضها أوضح من الآخر وأقرب إلى التذكر ، فمجموعة مثل « ملع » تدعو إلى ذهن بعض الناس مجموعة مثل « دلع » وفى ذهن الآخرين مجموعة أخرى مثل « لمع » . ولذا ترى لفظ « ملع » قد يوحى إلى الفريق الأول دلالة « الدلع والميوعة والتخنث » . وقد يدعو إلى ذهن الفريق الآخر دلالة « اللمعان والبريق والضوء » .

هذا هو وحى الأصوات أو استيحاء الدلالات من الألفاظ . وقد أطلقنا عليه الوحى لأنه لطيف لايدرك إلا بعد التجارب والدراسة المستفيضة ، ولأنه عمل من أعمال العقل الباطن أو اللاشعور ، يحس به المرء دون أن يدرى كيف أحس به .

وللأدباء بصدد هذا الاستيحاء قدرة أخرى فوق ما للمرء العادى ، يستمدونها من خيالهم وتبنيهم للألفاظ . وتمدهم هذه القدرة بظلال من الدلالات لا تكاد تخطر فى ذهن الآخرين ، وليس من مجال هذا البحث التعرض لما يخطر فى ذهن الأدباء والشعراء ، ولذا نؤثر الابتعاد عنه ، تاركين تلك الظلال الدلالية الخاصة بهم لدارسى النقد الأدبى .

وكما توحى الألفاظ بالدلالات ، قد توحى الأشكال والمناظر بشىء من الدلالات أيضا . وذلك لأن المرء يعى فى ذهنه تلك الأشكال كما يعى الألفاظ ، ويربطها ربطا وثيقا بالألفاظ الدالة على مناظر أو أشكال شبيهة بها .

فصغر الشكل يدعو إلى الذهن الألفاظ التى تدل على صغر الحجم ، وتركب الشكل أو تعقده يوحى بالألفاظ الدالة على الجمع أو الكثرة .

وللغات فى هذه الظاهرة حال تبعث على العجب والدهشة . فإذا تصادف أن ألفاظ اللغة التى تدل على صغر الحجم تشتمل فى مجموعها على صوت معين ، نرى أن المرء قد يستوحى لدى رؤية شكل صغير لفظا مشابها لتلك الألفاظ ، ومشتملا أيضا على ذلك الصوت المعين .

وقد دلت الملاحظة على أن « الكسرة » وما يتفرع منها كـ « ياء المد » تكون عنصراً أساسيا فى كل الألفاظ الدالة على صغر الحجم .

ولا تقتصر هذه الملاحظة على اللغة العربية ، بل لوحظت أيضا فى بعض اللغات الأخرى . ولا غرابة إذن أن يقال : إن الأشكال توحى

بألفاظ معينة ، أو تجعل الرائى يؤثر لفظا على لفظ ، ويستتبع هذا أنها تدخل فى استيحاء الدلالات .

وقد قمنا بعدة تجارب اتضح لنا منها أن الكسرة أو ياء المد توحى بصغر الحجم ، وأن حروف التفخيم توحى بضخامة الحجم ، وأن الشكل المتعدد الأطراف أو الأجزاء قد يوحى بفكرة الجمع ، وهكذا

وبدأنا تلك التجارب بعرض شكلين خياليين لا يمثلان فى الحقيقة شيئا ، ولا فرق بينهما سوى أن أحدهما كبير الحجم والآخر صغيره مثل :

ثم طلبنا من مجموعة كبيرة من الطلبة أن يتخيروا أحد اللفظين المرتجلين ( زليع ، زلوع) للشكل الأول ، وأن يتخيروا اللفظ الآخر للشكل الثانى . ووجدنا أن نحو ٩٠ ٪ من الطلبة اختاروا لفظ « زليع » للشكل الصغير ، ولا تختلف هذه اللفظة عن الأخرى إلا فى أنها تشتمل على « ياء المد » ، فى حين أن الأخرى تشتمل على « واو المد » ، مما يؤكد تلك الملاحظات التى أبداها بعض العلماء من ارتباط الكسرة وياء المد بصغر الحجم وضيق الوقت فى بعض اللغات (١) .

شكل " ١ "

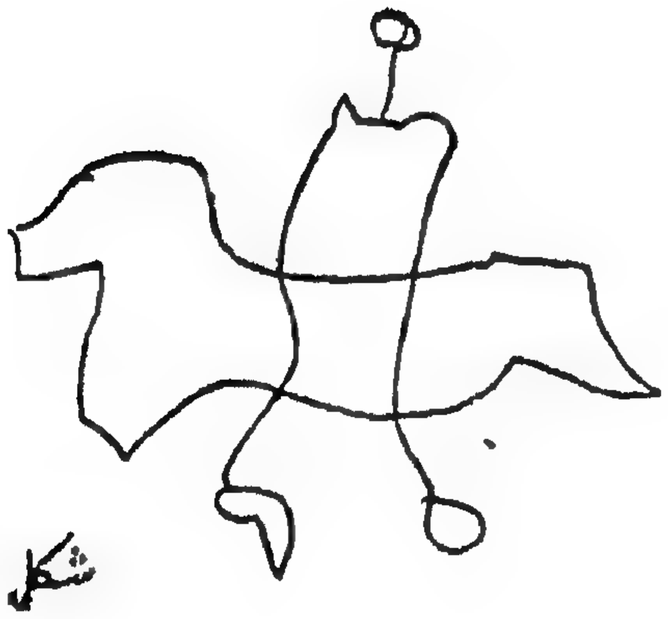

شكل " ٢ "

( ١ ) جسبرسن صفحة ٤٠٢

Language, its nature, development origin.

ثم عرضنا شكلين آخرين يختلفان فقط فى الحجم ، وطلبنا اختيار أحد اللفظين المرتجلين ( ستين ، سلينة ) للشكل الأول ، واللفظ الآخر للشكل الثانى ، فوجدنا أن الكثرة الغالبة قد اختارت لفظ « سلينة » للحجم الصغير .

وهذا اللفظ يوحى بفكرة التأنيث . وترتبط هـــذه الفكرة بصغر الحجم والرقة وضعف الأنوثة . والشكلان هما :

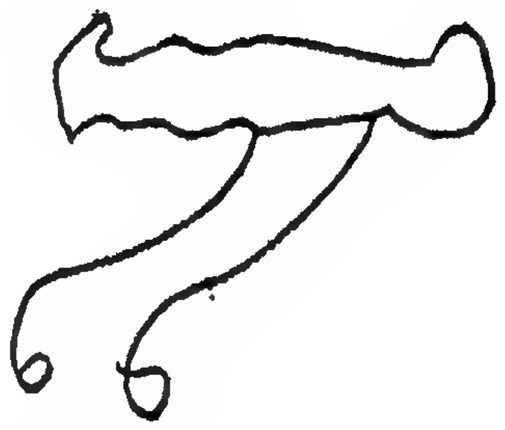

شكل " ٣ "

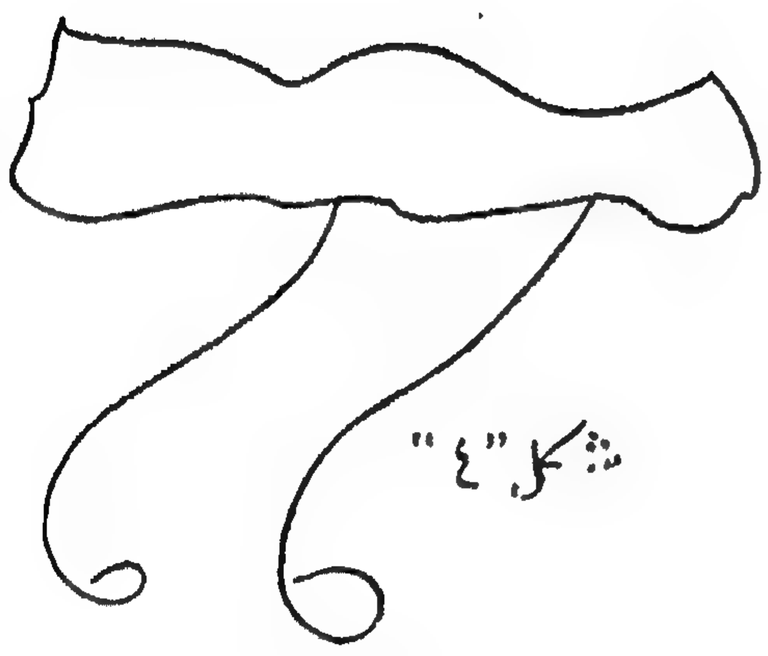

شكل " ٤ "

ثم عرضنا أشكالا أخرى لا تختلف إلا فى الحجم وعرضنا معها ألفاظا مرتجلة مثـــل ( الظاقع ، السالع ) ، ( الستيم ، الطقيخ ) فوجدنا أن الكثرة الغالبة كانوا يختارون

اللفظ المشتمل على حروف التفخيم كالقاف والطاء والظاء والخاء للشكل كبير الحجم .

ويقرر بعض الباحثين فى اللغات الحامية أنها - بوجه عام - تميز بين المذكر والمؤنث بإضافة حرف « الكاف » فى آخر المذكر ، وإضافة حرف « التاء » فى آخر المؤنث (١) .

وبالمقارنة بين الحرفين نرى أن « الكاف » حرف تفخيم نظيره المرقق هو « التاء » . أى أن فكرة ارتباط حروف التفخيم بالرجولة والقوة والضخامة ، وارتباط حروف الترقيق

(١) The Language families of Africa P. 91 by Werner.

بالأنوثة والضعف وصغر الحجم أمر غير مقصور على ألفاظنا العربية .

وعرضنا أشكالا أخرى مثل :

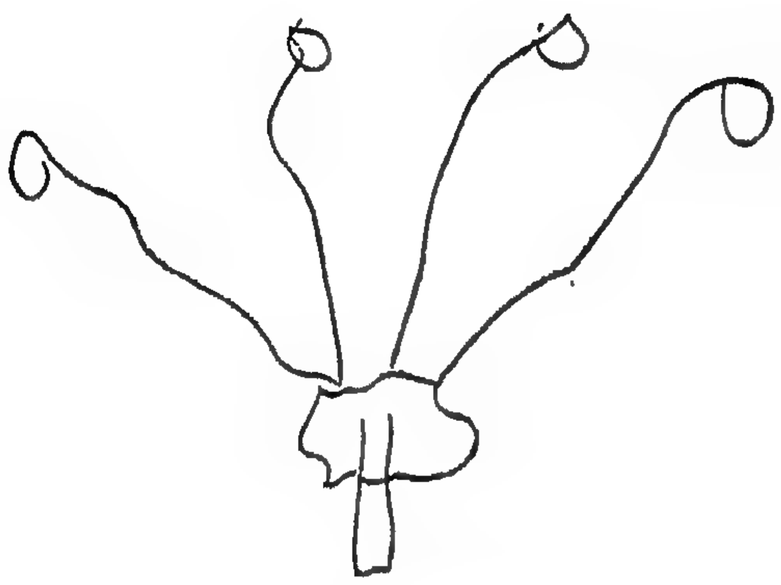

شكل "٥"

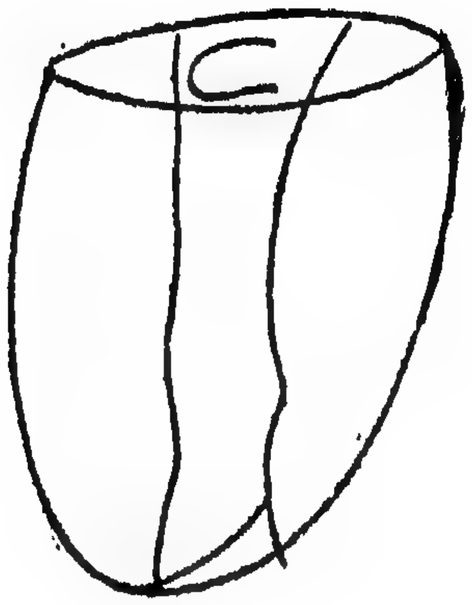

شكل « ٦ »

ومعها ألفاظ مرتجلة مثل ( السفآن ، الأفناس ) ، (الشواجن ، الشنغاف) ، ووجدنا أن الكثرة الغالبة كانوا يستوحون من الشكل الثانى فكرة الجمع أو الكثرة ويربطونه بما يوحى بتلك الفكرة من الألفاظ السابقة مثل ( أفناس ، شواجن ) ؛ فصيغة كل منهما تمثل صيغة مشهورة من صيغ جمع التكسير .

ومع اعترافنا بأن التجارب السابقة قد تمت فى نطاق ضيق نستطيع أن نتنبأ ـ ونحن مطمئنون ـ إلى أن إجراءها فى نطاق أوسع سيؤدى إلى نفس النتيجة أو ما يشبهها شبها كبيرا .

ونختتم هذا المقال بأن نشير إلى أن استيحاء الدلالة غير مقصور على حروف اللفظ وأصواته ، بل قد تتدخل الصيغة أو بنية اللفظ فى هذا الاستيحاء . فمجرد النطق بألفاظ مرتجلة مثل : « ستيم ، مطافع ، عفول » يوحى إلى الذهن أنها أوصاف أو أسماء ، فى حين أن صيغا أخرى مثل : « ملع ، بلهط ، يسافع ، انشكح » توحى إلى الذهن أنها أفعال ؟

# كلمة "إلا" فى القرآن الكريم

للأستاذ سعيد الأفغانى

بدأ الالتفات إلى الكلام على معانى الحروف فى المئة الثانيه للهجره ، ثم تلاه كتب فى اللامات ، أقدمها وما أقدر ( كتاب اللامات ) لأبى زيد الأنصارى المتوفى سنه ( ٢١٥ هـ ) وكتب فى الألف واللام وغيرها . وكلها رسائل فى أوراق ، ثم جاء الرجاجى فى المئه الرابعة ( ٣٤٠هـ ) فألف رسالته فى الحروف ، وتتابع التأليف وتنامى مع الزمن حتى إذا وصلنا إلى المئه الثامنة ، طالعنا علماء ثلاثة طبعت مؤلفاتهم فرأينا كيف اتسع الكلام على الحروف ، أولها ( رصف المبانى فى حروف المعانى ) للمالقى المتوفى سنه ( ٧٠٢ هـ ) ، وثانيهما ( الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى المتوفى سنة ( ٧٤٩ هـ ) ، ثم جاء الثالث فأنسى — فى رأيى — ماقباله ومابعده ، ذلك هو ابن هشام الأنصارى المتوفى سنة ( ٧٦١ هـ ) فأخرج مؤلفه الممتع ( مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ) لم يقتصر فيه على معانى الأدوات التى استنبطها من الشواهد فى القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب ، نثره وشعره ، بل بسط معظم مسائل النحو وهو يناقش الشاهد ، وإن كان فى كثير مما ذهب إليه نظر .

وبعد ، فحدانى على بحث معانى « إلا » فى القرآن الكريم ، عقدة فى نفسى وأنا تلميذ فى الصفوف الإعدادية فى ( مكتب عنبر بدمشق ) ، حين أسمعنا المدرس لأول مرة مصطلح ( الاستثناء المنقطع ) ومثل له بالمثال الشائع فى كتب المتأخرين كشرح ابن عقيل مثلا ( قام القوم إلا حماراً ) ، فلم يسغ لذهنى الناشئ فهم المثال وإن شرح بأن المستثنى فيه ليس من جنس المستثنى منه ، وقلت فى نفسى كيف أخرجه من شئ لم يدخل فيه من الأصل ؟ ! ثم مضت سنون ، وشرعت فى التدريس الابتدائى فالثانوى فالجامعى إلى اليوم ، خمس وخمسون سنة ، حبب إلى فيها ابتكار

---

( * ) ألقى البحث فى الجلسة التاسعة ٧ / ٣ / ١٩٨٥ م .

ما أقرب به لطلابى النحو ، وأعرض بأسلوبى المادة الدسمة للعلم فى مطولاته شروحا وحواشى وتعليقات وتقارير فى القديم والحديث آخذاً نفسى بأصول أيقنت بسلامتها وبما تعود به على العلم من خير وضبط وإقناع ، مستفيدا من أساليب حديثة فى التربية وأصول التدريس ومن مناهج فى تقرير مسائل العلم ، تستند إلى منطق علمى واضح الصواب ، وانتهيت إلى أن النحو فى حقيقته هو ما استند إلى الموثوق به علمياً من كلام العرب ، بتنحية الضرورات الشعرية عن طريق القواعد ، ورجوت للنحو زياده فى الوضوح ، حتى أزيل مابنى على غير ذلك ، ونقى من جدل لفظى كثير ومماحكات وتريف شواهد أفسدت العلم وأضعف ملكات وأضاعت أوقاتاً لو أنفق بعضها على تذوق اللغة وأدبها لعاد على الملكات بأعظم الخير .

* * *

أحصيت المواضع التى وردت فيها كلمة ( إلا ) من القرآن الكريم فبلغت ( ٦٤٣ ) ، كثرتها الغالبة طابقت معانيها أعاريها وكانت من الاستثناء حقا ، و ( ٣٤ ) منها لها معنى آخر لايذكر فى كتب النحو المدرسية كشرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، وشرح شذور الذهب لابن هشام

الأنصارى ، لكنك حين تقرأ شرح هذه الآيات فى التفاسير تجد ذكراً لمعناها الصحيح ، فيقول المفسرون . ( إلا ) هنا معناها ( لكن ) وبذلك تنقطع هذه الأداة عن معنى الاستثناء لتؤدى معنى الاستدراك ، ويكون مابعدها جملة جديدة تدفع ماقد ينشأ من توهم فى ذهن السامع ، وهذا هو معنى الاستدراك

وكالمفسرين فى تحديد هذا المعنى الصحيح لـ ( الا ) المعجميون ، فترى الجوهرى ينص على أنها تكون فى ( الاستثناء المنقطع بمعنى ( لكن ) ، وينقل قوله هذا ابن منظور فى معجمه ( لسان العرب ) وأيده

فلننظر فى ثلاث من هذه الآيات محكمين المعنى المقصود الآية الأولى قوله تعالى :

١ — « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر[1] » .

وضعنا ( لكن ) مكان ( إلا ) يحصل فى يدنا معنيـــان : الأول ( لك التذكير لا السيطرة ) والثانى ( من تولى وكفر يعذبه الله العذاب الأكبر ) . وبذلك ترد سؤالا قد ينشأ عن الجملتين الأوليين وهو ( إذا لم يستجيبوا ولاسيطرة لى عليهم فهل يتركون وشأنهم ؟ ) فكان مافى الآيتين الأخريين الجواب الشافى . ( من تولى عذبه الله ) ، وهذا هو المعنى المتبادر إلى ذهن العربى السليق .

---

( ١ ) سورة الغاشية ٨٨ الآيات ٢٢ – ٢٤

لكن موقف الصناعيين يختلف ، فليس فيه هذا اليسر والوضوح فى الوصول إلى المعنى ، ولأقتصر على اثنين منهم ألفّا فى النحو وفى التفسير ، وهما الزمخشرى ( — ٥٣٤ هـ ) وأبو حيان الغرناطى فى المئة الثامنة (— ٧٥٤ هـ) وكل منهما متأثر — شعر أم لم يشعر — بتقاليد صناعته وقيودها

قال الزمخشرى فى تفسيره ( الكشاف ) :

« إلا من تولى » استثناء منقطع ، أى لست بمستول عليهم . ا هـ

وهذا سهو منه رحمه الله ، إذ لو كان استثناء لأصبح المعنى كما هو واضح من السياق . أنت تستولى على من تولى وكفر لا على من ذكرته ( لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فأنت مسيطر عليه ) وهو — كما لا يخفى — عكس المقصود

ثم قال ( ولكن من تولى وكفر فإن لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الأكبر الذى هو جهنم ) .

وليته اكتفى بحمالة ( لكن ) التى فرضها عليه المعنى وأسقط ماقبلها ومابعدها ، لكنه كر عليها بما يضعفها فزاد . ( وقيل استثناء من قوله « فذكر » أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر ، وما بينهما اعتراض ) يريد قوله تعالى : « إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وبذلك عاد على قوله ( ولكن من تولى . . . ) بالإلغاء ، وأتى بإثباته هذا القول الضعيف بمعنى غريب هو : ( فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه ) ، ولم يتساءل غفر الله له - : كيف يعرف ذلك منه قبل تذكيره ؟ وما الفائدة من تذكيره إذاً ؟ كان التالى لهذه الآيات أقرب إلى فهمها الصحيح قبل أن يفرع إلى هذه البلبلة فى تفسير ( الكشاف ) .

ويأتى بعده الزمخشرى بمئتى سنة أبو حيان النحوى المفسر ( ٦٥٤ — ٧٥٤ هـ ) فيقرر فى تفسيره ( البحر المحيط ) مايأتى :

( إلا ) حرف استثناء ، فقيل متصل أى : فأنت مسيطر عليه ( يريد قوله : إلا من تولى وكفر ) ، وقيل متصل من ( فذكر ) أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر ، وما بينهما اعتراض ، لم يزد على عبارة الزمخشرى الآنفة شيئا ، ثم قال . ( وقيل منقطع ، وهى آية موادعة نسخت بآية السيف ) ا هـ ولم يذكر معنى الاستدراك البته .

وكذلك فعل مختصر البحر فى كتابه ( النهر ) .

والطريف أن أبا حيان أورد بعد ذلك قراءة ابن عباس وزيد بن على وقتادة وزيد بن أسلم ( ألا من تولى وكفر : . ) و ( ألا ) فيها حرف تنبيه واستفتاح ، وهى

قراءة تؤيد أن جملة « إلا من تولى » كلام جديد لا استثناء فيه ، لكن أبا حيان غفل عن فقهها الذى يؤيد استدراكيه ( إلا ) كل التأييد .

وبعد مئة سنة شفى النفس جلال الدين المحلى ( — ٨٦٤ هـ ) فى تفسيره المختصر ( تفسير الجلالين ) ، فأخذ من كل الأقوال السابقة معنى الاستدراك فقط بوضعه إلى جانب ( إلا ) كلمة ( لكن ) ليصح الكلام . لكن من تولى وكفر فيعذبه الله . . إلخ فقد كان محقاً كل الحق فى هذا ، وأعرض عن كل ماسبق من أقوال فأحسن ثم أكمل السيوطى تفسير المحلى الذى فسر النصف الثانى من المصحف فقط ، واجتهد فى اتباع منهج المحلى . فكان هذا التفسير المسمى بتفسير الجلالين إشاره إلى الجلال السيوطى ، التفسير الذى — لولا مافيه من إسرائيليات — لكان أجود مختصر وأسرع مسعف فى بيان المعنى للعجلان .

٢ — والآية الثانية قوله تعالى فى اليهود : « ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانى وأن هم إلا يظنون »[1] .

لم يعرض الزمخشرى فى تفسيره لمعنى ( إلا ) فى هذه الآيه لكنه قال « إلا أمانى » . إلا ماهم عليه من أمانيهم ، وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم ، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ، وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لاتمسهم إلا أياما معدودة ، وقيل : إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد . ثم قال : « إلا أمانى من الاستثناء المنقطع » اهـ

أقوال مختلفة ، ولو عرض أولا لمعنى ( إلا ) فقال . لكن يعلمون أمانى لقنوها وأكاذيب ) لتمكن المعنى فى نفس القارئ منذ البدء .

وقريبا من ذلك فعل أبو حيان فى تفسيره ( البحر المحيط ١ — ٢٧٥ ) ، عنى بالصياغة قبل تعرضه لشرح المعنى ، قال :

« إلا أمانى » ليست من جنس الكتاب ولا مندرجة تحت مدلوله ، وهو أحد قسمى الاستثناء المنقطع ، وهو الذى يتوجه عليه العامل ، ألا ترى أنه لو قيل ( لايعلمون إلا أمانى ) لكان مستقيما وهذا النوع من الاستثناء يجوز فيه وجهان : أحدهما النصب على الاستثناء وهى لغة أهل الحجاز ، والوجه الثانى الإتباع على البدل بشرط التأخر ، وهى لغة تميم ، فنصب أمانى من الوجهين ) اهـ

لم أدر ما علاقة هذا كله بمفهم الآية ؟ لكن أبا حيان بعد هذا باشر الموضوع فقال :

( والمعنى : إلا ماهم عليه من أمانيهم ،

---

( ١ ) سورة البقرة ٢ / ٧٨

وأمانيهم أن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم . . . أو لايعلمون إلا أكاذيب مختلفه سمعوها من علمائهم تلاوها على التقليد . (وهذه عبارة الزمخشرى نفسها) وقيل معناه (إلا تلاوة) أى لايعلمون فقه الكتاب ، إنما يقتصرون على مايسمعونه يتلى عليهم .) اهـ

فى هذا المثال أيضاً كان تفسير الجلالين الموجز خيراً منهما فى جلاء المعنى . فقد حط عليه مباشرة واكتفى بقوله .

(ومن اليهود عوام لا يعلمون التوراه إلا أمانى) لكن أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها)

وبتفسير (إلا) بـ (لكن) وضع المعنى على طرف الثمام ، وأضرب عن ذكر الاستثناء المنقطع ، وتقسيمه ، وعلى اللغات فيه بين النصب والرفع وتوجيه كل منها .

٣ — وتأتى إلى الآيه الثالثة . « فلولا كانت قرية آمنت وصعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين »[1]

فى كشاف الزمخشرى . « إلا قوم يونس » استثناء من القرى ، لأن المراد أهاليها ، وهو استثناء منقطع بمعنى (لكن) متصلا والجملة فى معنى النفى ، كأنه قيل . ما آمنت قريه من القرى الهالكة إلا قوم يونس ، وانتصابه على أصل الاستثناء . وقرئ بالرفع (إلا قوم يونس) على البدل ، هكذا روى عن الجرمى وسيبويه . اهـ

لقد حملت الزمخشرى هنا تصريحه بأن معنى إلا هو (لكن) وإنما تمام هذا التصريح فى كلامه على الاستثناء المنقطع ، وحوار المتصل هنا إلى آخر ماقال . أما أبو حيان فاشتغل عن التفسير بمقالات نحويين فى الاستثناء متصلا ومنقطعا ، ولم يعرض لمعنى (إلا) فى الآيه البتة ، إذ قال : « إلا قوم يونس » . و (قوم) منصوب على الاستثناء المنقطع ، وهو قول سيبويه والكسائى والفراء والأخفش ، إذ لسوا (يرتاء قوم يونس) مندرجين تحت لفظ (قريه) ونقل قول الزمخشرى السابق ، ثم عقب بقول ابن عطيه . (هو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه المحويون ، وهو بحسب المعنى متصل ، لأن تقديره : ما آمن أهل قريه إلا قوم يونس . والنصب هو الوجه ، لذلك أدخله سيبويه فى باب مالا يكون فيه إلا النصب ، وذلك مع انقطاع الاستثناء . وقالت فرقه : يجوز فيه الرفع ، وهذا مع اتصال الاستثناء. وقال المهدوى : والرفع على البدل من قرية . وقال الزمخشرى . وقرئ بالرفع على البدل ، عن الجرمى والكسائى .اهـ

---

(١) سورة يونس ١٠ / ٩٨

سقت هذا والكتب الثلاثه كتب تفاسير وشرح معنى ، لاكتب فى النحو الصناعى . أما تفسير الجلالين ، فقد قال كلمة واحدة أغنت وألغت كل ماتقدم ، وتكفلت بإصابة الهدف ، قال : « إلا قوم يونس » : لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم .

ومن المفيد الإشارة إلى أن من العلماء قبل أبى حيان من هدى إلى المعنى الصحيح لـ ( إلا ) فقرره لها محتجاً بآيات كريمة وإن لم يكن كتابه كتاب تفسير ، بل كتاب نحو ، عنيت الذى طرى النحو بأسلوبه العذب ، أبا البركات ابن الانبارى ( = ٥٧٧ هـ ) فى كتابه المستساغ ( الإنصاف فى مسائل الخلاف ) لقد أقر الاستثناء المنقطع كما فعل غيره قبله وبعده ، لكنه كان محسناً كل الإحسان حين قال فى المسألة ٣٥ (١)

( إلا ) فى قوله تعالى (٢) « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى » . استثناء منقطع ، والمعنى : لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة ثم استشهد على هذا المعنى بقوله تعالى : « مالهم به من علم إلا اتباع الظن »(٣) قال : معناه : لكن يتبعون الظن )

وبقوله تعالى . « وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » (٤) معناه لكن وبقوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » (٥) معناه : لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون . لقد فطن إلى تمام الجماة بعد ( إلا ) كما فطن إلى أن المعنى هنا هو الاستدراك فحسب

* * *

ونتساءل : هل تتابع النحاة بعد أبى حيان على إهمال معنى الاستدراك لـ ( إلا ) فى كتبهم ؟ . المؤسف أن ذلك استمر ، ولقد كان من المتوقع أن ينتهى الإهمال ويتلافى بالمشروع الجليل النفع الذى تصدى له ابن هشام الأنصارى ( = ٧٦١ هـ ) صاحب ( مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ) أوسع كتاب ألف فى معانى الأدوات فى اللغة العربية . لقد اجتهد فى تصيد معانى كل أداة من قريب ومن بعيد ، فجمع مافى محموطه ومصادره من شواهد كل

---

( ١ ) ص ٢٦٩ من الجزء الأول
( ٢ ) سورة البقرة ٢ / ١٥٠
( ٣ ) سورة النساء ٤ / ١٥٧
( ٤ ) سورة الأعلى ٩٢ / ١٩ ، ٢٠
( ٥ ) سورة التين ٩٥ / ٥ و ٦

أداه من القرآن الكريم، بقراءاته المتعددة ، ومن الحديث الشريف ، ومن كلام العرب نثرة وشعره ، حتى إذا أرضاه الجمع كر على شواهده يستقصى فيها معانى كل أداة على حدة ، فصبر وصابر ، بل بالغ فى إضافة معانٍ لاتحتملها الأداة مفردة ، فحملها ما أوحى به سياقٌ مافى نظره . . ، فلما وصـــل إلى الأداة ( إلا ) والكمال لله — حملها معنيين لا أصل لهما ، وفاتته معنى أصيل مستفيض، وهو الاستدراك حعل ابن هشام لـ ( إلا ) أربعة معان[1] .

١ — الاستثناء ٢ — مرادفة ( غير )

٣ — العطف . ٤ — الزيادة

والمعنيان الأخيران لايصحان .

أما العطف فتبع فيه ابن هشام كوفيين عفلوا عن المعنى الحق للآيات الكريمة ، وقـد مَرّ بعضها ، وأما الزيادة فقد عزره فيها شاهدان أحدهما لا دليل فيه لاحتماله وجها آخر صحيحاً يسقط الاستدلال به على الزيادة ، وأما الآخر فمجهول لايعرف قائله أو صانعه الذى اضطره الوزن إلى اسقاط حرف نفى فى أوله ليستقيم له الوزن ، وقد عزاه إلى أحد بنى سعد وهو

أرى الدهر إلا منجونا بأهله
وما صاحب الحاجات إلا معذبا

وتمام الكلام ( ما أرى الدهر إلا منجونا بأهله وما أرى صاحب الحاجات إلا معذبا) والمنجون هو الدولاب .

وأنشأ ابن هشام رحمه الله قسما خاصا بسبب هذا البيت هو مجئ (إلا) زائدة فجعل الأصل ( أرى منجونا ) وما هى بالزائدة ، ولم فى كلام العرب ( إلا ) زائدة .

لم يسعنا إلا التحسر لهذه الثغرة الواضحة فى كتابه العظيم ( مغنى اللبيب ) فقد أراده هو للتفسير أكثر منه للنحو ، وألفه على المعانى أول شىء ، ولما سئل : ( لم لا تؤلف تفسيراً للقرآن الكريم ؟ ) أجاب ( ألفت المغنى )

كان بين أيدى الدين أنوا بعد ابن هشام مادة غزيرة جدا فى النحو والتفسير حوتها المجلدات التى سلمت مما حاق بالتراث العربى من نكبات ، ومع سقم أساليب التأليف ومع الركاكة عند كثير من المتأخرين ، حتى المئة الثالثة عشرة للهجرة ، لم يخل بعضهم حواشيه المطولة فى النحو من الالتفات إلى هذا المعنى ، معنى الاستدراك فى ( إلا ) ولو عرضاً ، جاء فى حاشية الشيخ محمد الخضرى المتوفى فى المئة الثالثة عشرة ، التى حعلها على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك

---

( ١ ) معنى اللبيب ص ١٠٢ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م

ومتى كان ما بعد ( إلا ) جملة فهى بمعنى لكن ْ ) ولو كان ( الاستثناء ) متصلا ، لكن إن نُصِبَ تالى ( إلا ) و ( لكنّ ) المشددة كما سيأتى ، أورُفع فكالمهملة ( لكن ْ ) أفاده الصبان عن الدماميى . ثم يعلل النصب ( إلا ) بكونها فيه بمعنى ( لكنّ ) وعملت عملها ، وخبرها محذوف عالما نحو . ( جاء القوم إلا حمارا ) أى لكن حمارا لم يجىء ، وقد يذكر الخبر نحو « إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم .. « اهـ[1]

ومع صرف النظر عن ضعف تمثيله بجملة لاتصح عربيا وهى ( جاء القوم إلا حماراً )[2]

حمدنا الله على ذكره المغنى وعلى جملة الإعراب على المغنى وتعويله عليه ، ولوفى حاشيةٍ على شرحٍ على متن .

أعود من هذا العرض الملخص بنتائج أربع هى .

١ — إلغاء ما سموه ( الاستثناء المنقطع ) من بحث الاستثناء ، لأنه لااستثناء فيه ، لأنه لامعنى لأن تخرج شيئا لم تدخله قط

٢ — لكلمة إلا أربعه معان ، ثلاثة منها تكثر فى الكلام وهى .

( ا ) الاستثناء حين يكون فى الجملة مستثنى منه .

( ب ) الحصر ( وهو ماسموه بالاستثناء المفرغ ، والخير أن يحذف أيضا من باب الاستثناء )

( ح ) الاستدراك

( د ) والمعنى الرابع قليل الاستعمال وهو الوصفية أو مرادفة ( غير )

٣ — إن المعانى الثلاثة الأولى لـ ( إلا ) الاستثناء والحصر والاستدراك مما يسعى بيانه للمبتدئين قبل إنهاء دراستهم الابتدائية وتدرج أمثلتها من القرآن الكريم وغيره فى الكتب المدرسية ( لمنطقيتها ) ولسهولة فهمها .

٤ — يلى ( إلا ) الاستدراكية جملة تامة ، وقد يحذف خبرها أحيانا ويكون مفهوما من السياق ، أما الأصل الذى صدرت عنه فى كل ما تقدم فهو النظر فى سياق المشاهد بعد الوثوق من صحته ، ومراعاة معناه ، بل تحكيم المعنى فى كل قول يعرض فما اطرد معه كان هو المقبول ، وما خالفه وجب الإغضاء عنه مهما يُحطْ به من تعليلات صناعية غير مقنعة ، ولو تواردت عليه كتب قديمة وحديثة ، ونحن نعرف أن انحرافا

---

( ١ ) حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ١ / ٢٥٤

( ٢ ) الصواب أن يقال ( جاء القوم إلا حمارهم ) أو ( ( إلا حماراً لهم ) ، لأن المستثنى يجب أن يكون معرفة أو نكره مختصة على الأقل .

خصيفا لمؤلف قديم ، ينقله خالف عن سالف من دون تبصر عامل فى بلبلة العلم وإفساد الملكة ، والمخلص فى مثل هذا تحكيم المعنى ، ومع أننا نتناقل ما انعقد عليه الإجماع فى القول السليم المشهور ( الاعراب فرع المعنى ) ، مع ذلك فقليلا ما نراعيه

إن أربعة وثلاثين شاهدا من القرآن الكريم وحده ، تفهم بيسر ، ويصح معناها وضعنا فيها ( لكنْ ) أو ( لكنَّ ) موضع ( إلا ) ، كافية لاعتماد قاعدتها بل فوق الكافية بينما وضع ابن هشام قاعدة لا يسندها إلا بيت شعر تطرق إليه الاحتمال ، وبيت آخر اضطر الشاعر فيه إلى إسقاط حرف نفى فى أوله اعتمادا على قرينة ( إلا ) فيه وعلى شطره الثانى منه ، بله جهالة المؤلف اسم صاحب المشاهد .

واللافت للنظر أن معنى الاستدراك فى ( إلا ) أصيل باق إلى اليوم حتى فى لهجاتنا المحلية الدارجة ، فكثيرا ما يسمع فى الشام ومصر وشمال أفريقيا مستمع حديثك ، يعقب بقوله مثلا ( هذا صحيح إلا أنه كذا . . . ) أو ( هذا صحيح لكن كذا . . . ) لقد بقى هذا المعنى لـ ( إلا ) حيا طول هذه الأعصار ما نال من حياته إغفال المؤلفين له إن الاستئناس بما فى اللهجات الدارجة من فصاحة فى المفردات والأساليب خليق بنظر الباحثين .

مع هذه الكلمة ملحق فيه الآيات الكريمة الأربع والثلاثون التى يتضح فيها معنى الاستدراك لـ ( إلا ) وبالله التوفيق .

**سعيد الأفغانى**
عضو المجمع المراسل من سورية

# ملحق

## بالآيات التى فيها ( إلّا ) للاستدراك بمعنى ( لكن )وعملها

| | السورة | رقمها | الاية |
|---|---|---|---|
| ١ – « وَمِنْهُمْ أُمِيُّونَ لَايعْلَمُونَ الْكِتَاب إلّا أَمانِيَّ وإنْ هُمْ إلّا يظُنُّونَ » ( لَكنْ أكاديب تلقوها) | البقرة | ٢ | ٧٨ |
| ٢ – « لِئَلّا يكُونَ لِلنّاسِ علَيْكُمْ حُجَّةٌ إلّا الّذِين ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ واخْشَوْنِى » .. ( لَكنْ الّذِينَ ظَلَمُوا لايحْتَجُّونَ بغَيْرِحُجَّة ) | البقرة | ٢ | ١٥٠ |
| ٣– « إنَّ الّذِينَ يكْتُمُونَ ما أنْزَلْنَا مِن الْبيِّنَاتِ وَالْهُدى مِن بعْدِ ما بيَّنَاهُ لِلنّاسِ فِى الْكِتَاب أُولَئِكَ يلْعنُهُمُ اللهُ ويُلْعنُهُمُ اللّاعِنُونَ . إلّا الّذِينَ تَابُوا وأَصْلَحُوا وبيّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ علَيْهِمْ وأَنَا التَّوّابُ الرَّحِيمُ » ... .. . ( لَكِنْ الّذِينَ تَابُوا. . فَأولَئِكَ أَتُوبُ علَيْهِمْ) | البقرة | ٢ | ١٥٩–١٦٠ |
| ٤ – « ولَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ. . إلّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حاضِرةً تُدِيرُونَها بيْنَكُمْ فَلَيْس علَيْكُمْ حُنَاحٌ أَلّا تَكْتُبُوها » . .... . . ( لَكِنْ أَن تَكُونَ تِجَارَةً ... فَلَيْس علَيْكُمْ ) | البقرة | ٢ | ٣٨٢ |
| ٥ – « لَا يُخَفَّفُ عنْهُمْ الْعذَابُ ولَا هُمْ يُنْظَرُونَ . إلّا الّذِينَ تَابُوا مِن بعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » . .. . . .. ( لَكنْ الّذِينَتَابُوا . . فَإِنَ الله غفُورٌ رحيمٌ ) | آل‌عمران | ٣ | ٨٩ |

| | السورة | رقمها | الاية |
|---|---|---|---|
| ٦ – « ولَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا ولَا نَصِيرًا . إلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ » ( لَكِنْ الَّذِينَ يَصِلُونَ . . . ) | النساء | ٤ | ٩٠ |
| ٧ – « إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأُولَئِكَ مأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ . . » ... ... ... .. .. ( لَكِنْ المُسْتَضْعَفِين . . فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ ) | ٤ | | ٩٨ |
| ٨ – « ولَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا . إلَّا الَّذِينَ تَابُوا وأَصْلَحُوا فَأُولَئِكَ مع الْمُؤْمِنِينَ » .. . ( لَكِنْ الَّذِينَ تَابُوا . . فَأُولَئِكَ مَعَ المُؤْمِنِينَ ) | ٤ | | ١٤٦ |
| ٩ – « مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلَّا اتِّبَاع الظَّنِّ . . » . ( لَكِن يتَبعُونَ الظَّن ) | ٤ | | ١٥٧ |
| ١٠ – « إنَّمَا جزَاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورسُولَهُ وَيسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا إلَّا الَّذِين تَابُوا مِن قَبْل أَن تَقْدِرُوا علَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » ... . ( لَكِن الَّذِينَ تَابُوا . . . يغْفِر لَهُمْ ) | المائدة | ٥ | ٣٣ – ٣٤ |
| ١١ – « فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمنَتْ فَنَفَعَهَا إيمانُهَا إلَّا قَوْمَ يُونُس لَمَّا آمنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ .. » . ( لَكِّن قَوْمُ يُونُس لَما آمنُوا كَشَفْنَاعنْهُمْ ) | يونس | ١٠ | ٩٨ |

| | السورة | رقمها | الاية |
|---|---|---|---|
| ١٢ ـ « وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بعذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّن الْمُشْرِكِين . . فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عهْدَهُمْ . . . » ... ... . . ... ... | التوبة | ٩ | ٤ |
| ( لَكِنْ الَّذِينَ عاهدتُمْ فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدهم ) | | | |
| ١٣ ـ « كَيْف يكُونُ لِلْمُشْرِكِين عهْد عِنْد اللهِ وعِند رسُولِه إِلَّا الَّذِينَ عاهدتُمْ . . . فما اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ . . . »... . | | ٩ | ٧ |
| ( لَكِنْ الَّذِينَ عاهدتُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ) | | | |
| ١٤ ـ « ... إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ . إِلَّا ( لَكِن ) الَّذِينَ صبرُوا وعمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ » ... .. ... .. ... | هود | ١١ | ١٢ |
| ١٥ ـ « فَسوْفَ يلْقَوْنَ غَيًّا . إِلَّا ( لَكِن ) منْ تَاب وآمنَ وعمِل صالِحًا فَأُولَئِكَ يدْخُلُونَ الْجنَّةَ » | مريم | ١٩ | ٦١ |
| ١٦ ـ « لا يسْمعُونَ فِيها لَغْوًا إِلَّا ( لَكِن ) سلَاماً » | | ١٩ | ٦٣ |
| ١٧ ـ « مآ أَنْزَلْنَا علَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا (لَكِن أَنزَلْنَاهُ ) تَذْكِرةً لِمن يَخْشَى » ... ... | طه | ٢٠ | ٣ |
| ١٨ ـ « وأُلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ . إِلَّا ( لَكِن )الَّذِينَ تَابُوا مِن بعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا فَإِنَ الله غَفُورٌ رحِيمٌ . . » ... ... ... ... ... ... | | ٢٠ | ٥ |
| ١٩ ـ « ويخْلُدْ فِيهِ مُهانًا ، إِلَّا ( لَكِن ) منْ تَاب وآمن وعمِلَ عَمَلًا صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ » ... ..... ... ... | الفرقان | ٢٥ | ٧٠ |

| | السورة | رقمها | الاية |
|---|---|---|---|
| ٢٠ – « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا ( لَكِن ) مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . . » ( فَإِنَّهُ يَنْفَعُه) | الشعراء | ٢٦ | ٨٩ |
| ٢١ – « إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ إِلَّا (لَكِن) مَنْ بَدَّلَ حُسنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ».. | النمل | ٢٧ | ١٢ |
| ٢٢ – « وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَابُ إِلَّا ( لَكِن أُلْقِىَ ) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلكَافِرِينَ . . . » .. .. . . .. .. | القصص | ٢٨ | ٨٧ |
| ٢٣ – « وَأُوْلُوا الأَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فى كِتَاب اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا (لَكِنْ ) أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ مَّعْرُوفاً » ( بِوَصِيةٍ فَجَائز ) ..... ... .. ... .. | الأَحزاب | ٢٣ | ٦ |
| ٢٤ – « وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا ( لَكِن ) فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ( لَمْ يَتَّبِعُوهُ ) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا ( لَكِن ) لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمن هُوَ مِنْهَا فى شَكٍ » . . ... . . .. ... | سبأ | ٣٤ | ٢١ |
| ٢٥ – « وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا ( لَكِن ) مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِعْفِ بِمَاعَمِلُوا. » | سبأ | ٣٤ | ٣٧ |
| ٢٦ – « الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا (لَكِن ) اللَّمَمَ » ... . . .. ... ... ... ( يُغْفَرُ باجْتِنَاب الكَبَائِر – الجلاليين ) | النجم | ٥٢ | ٣٢ |

| | السورة | رقمها | الآية |
|---|---|---|---|
| ٢٧ – « وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَةً ابْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ، إلا ( لَكِن فَعَلُوهَا ) ابتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ . . » . . . . . | الحديد | ٥٧ | ٢٧ |
| ٢٨ – « وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا . إلَّا ( لَكِنّ أُبَلِّغُكَ ) بَلَاغاً مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ . . » . . . | الجن | ٧٢ | ٢٢ |
| ٢٩ – « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إلَّا ( لَكِن ) أَصْحَابَ اليَمِين فى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ » . | المدثر | ٧٤ | ٣٨ – ٤٠ |
| ٣٠ – « لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَاباً إلَّا ( لَكِن ) حَمِيماً وَغَسَّاقاً . » . . . . . | النبأ | ٧٨ | ٢٤ |
| ٣١ – « فَبَشرهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إلَّا ( لَكِن ) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون » | الانشقاق | ٨٤ | ٢٥ |
| ٣٢ – « لسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إلَّا ( لَكِن ) مَن تَوَلَى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ » | العاشية | ٨٨ | ٢٤ |
| ٣٣ – « وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَة تُجْزَى . إلَّا ( لَكِنّ فِعْلُهُ ) ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى » | اللَّيْل | ٩٢ | ١٩ – ٢٠ |
| ٣٤ – « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إلَّا ( لَكِن ) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » . . . . . | التِّين | ٩٥ | ٥ – ٦ |

# الإعراب ظاهرة جمالية

للدكتور عبد الحميد إبراهيم

**يورد** ابن فارس أمثلة ، تكشف عن أن عامة الأعراب لم يعرفوا نحوا ولا إعرابا . فقد سئل أحدهم : أتهمز إسرائيل : فقال إنى إذن لرجل سوء . وقيل لآخر : أتجر فلسطين ؟ فقال : إنى إذن لقوى . وسمع بعض فصحاء العرب ينشد :

نحن بنى علقمة الأخيارا .

فقيل له : لم نصبت بنى ؟ فقال : ما نصبته .

فالأعرابى لم يعرف من هذه المصطلحات إلا معناها اللغوى ، الذى يعنى الضغط والعصر فى حالة الهمز ، والشد فى حالة الجر والإقامة فى حالة النصب ، ووقف مستغربا أمام المصطلحات النحوية .

وقد تبدو على هذه الأمثله مسحة التندر وقد لا يوافق عليها ابن فارس ، ولكنه مع ذلك يرى أن علم النحو ، وإن كان قديما ، فإنه قد درس وأتت عليه الأيام ، « قل فى أيدى الناس تداوله ، حتى جاء أبو الأسود الدؤلى فجدده [1] .

فالإعراب ليس سليقة تجرى على ألسنة الأعراب كما تدعى النبرات الحماسية ، وليس هو شيئا شائعا بين الناس لا يحتاج إلى تعليم ومهارة ، بل هو صناعة اكتشفها أبو الأسود الدؤلى أو غيره . ثم شاعت بين الناس ، حتى أصبحت دلالة الذكاء .

فلو تجرأ أحد وخرج على هذا النسق لتعرض للتندر من النحاة ، والسخرية من النقاد ودنت مرتبته فى كتب الطبقات ، حتى لو كان مجيدا فى جوانب الخيال والتفنن البلاغى وبذلك تحول النحو إلى قيمة شرفية ، تقاس به أقدار المثقفين ، ويحرص على التحلى بها جمهرة الأدباء والبلاغيين .

---

( ١ ) المزهر ٢ / ٣٤٥ وقد ولد أبو الأسود الدؤلى بمكة ثم رحل إلى المدينة ، فروى عن عمر وقرأ على عثمان وعلى ، ثم توفى بالبصرة سنة ٦٩ هـ .

وحين تحدثت كتب النحاة عن وظيفة الإعراب ذكرت أنه يؤدى إلى فهم المعنى ، فهى من حيث تشعر أو لا تشعر ، تجعل الإعراب هو اللغة ، فتخلط بين وظيفة اللغة كوسيلة للفهم ووظيفة الإعراب ، الذى استبد وسيطر حتى أصبح هو اللغة نفسها ، وإن اشتقاقه يدل على هذه الوظيفة ، فهو من أعرب الرجل عما بنفسه إذا أبان وعبر عن داخله ؛ وذلك لأن بالإعراب تتميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين ، وذلك أن قائلا لو قال « ما أحسن زيد» غير معرب لم يوقف على مراده ، فإذا قال: ما أحسن زيداً! وما أحسن زيد ؟ أو ما أحسن زيد ؟ أبان الإعراب عن المعنى الذى أراده » [1] ويمضى السيوطى فى نبرة افتخار لم يعترض عليها النحاة قبله أو بعده ، فيذكر أن للعرب فى ذلك ما ليس لغيرهم ، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعانى .

إنها القيمة الشرفية إذن التى تميز العنصر العربى ، ويسوق السيوطى الأمثلة التى تدل على تلك الوظيفة ، فهم يقولون : هذا غلاما أحسن منه رجلا ، يريدون بذلك الحال فى شخص واحد ويقولون : هذا غلام أحسن منه رجل ، فهما إذن شخصان . ويقولون : كم رجلا رأيت ؟ فى الاستخبار ، وكم رجل رأيت ، فى الخبر يراد به التكثير ويقولون جاء الشتاء والحطبَ إذا لم يرد ان الحطب قد جاء ، وإنما أريد الحاجة إليه ، فان أريد مجيئهما قال : والحطبُ .

حقا . . . هذا صحيح . ولكن السامع لا يستطيع أن يدرك هذه الفروق الدقيقة إلا إذا عرف الفرق بين ما التعجبية والاستفهامية والنافية ، والفرق بين معنى الحال ومعنى الخبر ، والفرق بين كم الاستفهامية والخبرية والفرق بين واو المعية وواو العطف ، إنه سامع من نوع خاص قد تعلم هذه الرموز وأدرك ما وراء هذه المصطلحات وهى رموز خاصة تحتاج إلى تعلم ، وتساعد على التكثيف والاختصار ، بل وتحولت إلى مهارة ذهنية تقتدر ، وبصورة تجريدية ، على تقليب كافة الاحتمالات العقلية ، مثلما كان يفعل أرسطو مع أشكاله الصورية ، وهى مهارة لا يستطيعها رجل من عامة الناس لم يخالط نحوا أو يتلق إعرابا .

يبقى للاعراب إذن خصيصته ، وهو أنه شئ صناعى ، وراء العبارة فى مدلولها الأول ، ويبقى أن الرجل من عامة الناس يستطيع أن يفهم (الأسم) دون حاجة إلى العلامات التى اخترعها النحاة من جر وتنوين ونداء وال فالاسم هو ما يدل على مسمى ، صديقه أو شارعه ، حتى ولو كان فى الأصل فعلا مثل تأبط شرا ، وهو ليس

---

(١) المزهر ١ــ ٣٢٩ وما الأولى تعجبية ، والثانية استفهام ، والأخيرة نفى .

فى حاجة إلى أن يعرف المدلول الزمنى للفعل فى المضارع وعن طريق لم أو السين أو أنه يفهم كل ذلك لأنه يتعامل به مع الناس، يفهم منهم ويفهمون منه ، ولا يتوقفون ليبحثوا عن علامات أو ليسألوا النحاة عن المصطلحات.

والسيوطى يرد على هؤلاء الذين يزعمون أن ألفاظ الأضداد تؤدى إلى الالتباس فى المعانى ، فيرى أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه(١) .

وهذا حق ، فاللغة العربية مثل أية لغة فى العالم ، إنما تفهم بسياق الكلام دون حاجة إلى إعراب أو منطق ، هاجم أبو سعيد السيرافى منطق أرسطو ورأى أن الناس كانوا يفكرون قبل منطق أرسطو وبعده ، وقياساً على هذا فالناس كانوا يفكرون أيضا قبل الإعراب وبعده ، لأن الإعراب فى ظنى قد لعب فى الحضارة العربية الدور نفسه الذى لعبه المنطق فى الحضارة الإغريقية ، إنه بناء ذهنى ، أو قل هو ميزان صورى ألقى على الفكر العربى ، فحوله إلى قضايا شغل الناس بتشقيقها ، والكشف عن احتمالاتها ، مثل المنطق الأرسطى الذى جمد الفكر الإغريقى فى أشكاله الصورية .

ولكن هناك فارقا هاما بين الإعراب والمنطق ، فالمنطق اختراع فلسفى قصد به صاحبه وزن ، الفكر ، وصدق الناس هذه النية فأخذوا يتعلمونه لكى يقيموا أفكارهم اما الإعراب فهو موجود فى بنية اللغة قبل أبى الأسود الدؤلى بعده . إنه ليس اختراعا بل هو خاصية لغوية ، فهم الناس خطأ وظيفتها فى أنها تفيد المعنى ، وإذا كنا هنا نرفض هذا الفهم، فلا يعنى هذا على الإطلاق ، أننا نرفض الإعراب أو ننقص منه ، على العكس نحن نعلى من قدره ، ونبحث له عن وظيفة أخرى لا تقف عند المفهوم المباشر العملى للعبارة ، والتى تجرى فى الأسواق وبين الجماهير ، بل نبحث له عن وظيفه خاصة وراء العبارة يتفهمها علية القوم .

ليكن مفهوم الإعراب هو الإبانة كما يدل الاشتقاق ، ولكن الإبانة فى ظنى ليست فى الكشف عن المعنى اللغوى كما فهم النحاة ، بل هى شئ يتجاوز الوضع اللغوى إلى الإبانه بمعناها الجمالى ، تستخدم (لا) فى حالة النفى فنقول «لا تلعبُ» ونستخدمها فى حالة النهى فنقول (لا تلعبْ) فإن الإعراب هنا لا يكشف عن المعنى المراد من الجملة ، لأن السامع لا يتوقف عند الضمة فيعرف

---

(١) المزهر ١ / ٣٦٧ .

أن المراد النفى ، أو عند السكون فيعرف أن المتكلم ينهاه عن فعلهما. إن المراد يفهم من السياق ، وفهم السياق هو الذى يحدد فى خطوة تالية ، فيما إذا كان يجب على المتكلم أن يستخدم الضمة أو السكون ، إن المتكلم استخدم السكون فى ظنى لأنه علامة الجزم ، والجزم فى اللغة هو القطع والحسم والبت ، فناسب أن يأتى فى حالات مثل النهى والأمر والشرط ، أما النفى فهو حالة خبرية لاتحتاج إلى حسم : بل هى تحتمل الصدق والكذب ، فناسب أن تأتى بلا جزم . أما لماذا أتى النفى مع لم بالجزم ( لم يلعبْ ) ومع لا بالرفع (لا يلعبُ ) ومع لن بالنصب ( لن يلعبَ ) فلعل الإجابة تتضح بعد دراسة العلاقة الصوتية بين حرف النفى وعلامة الإعراب ، فقد تكتشف صلة ما بين لم التى تنتهى بحرف ساكن وبين سكون الفعل ، أو بين لا التى تنتهى بالمد وبين ضمة الفعل ، أو بين لن التى تنتهى بحرف النون وبين فتحة الفعل .

إن الناظر فى فواصل القرآن يدرك أن حركة الإعراب قد تلعب دورا جماليا ، فى الربط بين آيات القرآن . وفى إضفاء روح الانسجام على السورة ، فمثلا سورة الفرقان تتنوع فواصلها بين الراء واللام والميم والنون والباء، وسورة الفتح أيضا تتنوع فواصلها بين النون والميم والزاى والراء واللام والياء والدال ، وهى حروف تختلف فى مخارجها ، ولكن الفاصلة فى الصورتين تأتى دائماً بالفتح فتضفى على السورة جوا من الوحدة والانسجام ، يعوض عن اختلاف الحروف فى الفواصل ، بينما نجد سورة محمد مثلا تحتفظ بالفاصلة وهى حرف الميم فى أولها وفى آخرها ، لأنها دائما تأتى ساكنة ، فلزم أن تحتفظ بحرف واحد ومخرج واحد ، حتى لا تفقد السورة جو الوحدة والانسجام .

إن الحس الجمالى تحرص عليه اللغة العربية فى بنيتها وتراكيبها ، وقد تضحى بالقواعد الإعرابية المتعارف عليها ، إذا تخاصمت هذه القواعد مع فكرة الحس الجمالى ، فمن أجل تقريب الصوت من نظير قرأ بعضهم قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » بكسر الدال مع أنه مبتدأ ، وروى بعضهم قول الشاعر :

وقال اضرب الساقين امك هابل.

بكسر الميم فى « أمك» مع أنه مبتدأ ، وقد سوغت الكسرة هنا وهناك لكى تتناسب مع نظيرتها التى وردت قبلها أو بعدها .

وفكرة تقريب صوت من صوت ، لكى تكون الكلمة موسيقية ، يسهل على الأذن التقاطها ، أو بعبارة أخرى فكرة الحس الجمالى فى اللغة العربية ، تكمن وراء كثير من آراء سيبويه ، ففى أكثر من موضع فى كتابه ، يتحدث عن تحريك الساكن إذا التقى بساكن آخر ، وأن هذا التحريك واجب ، ويمكن أن يطيح

بالقواعد المتعارف عليها ، فنحت عنوان « باب تحرك أواخر الكلمة الساكنة »[1] . يذكر أن التحريك قد يكون بالكسر كما فى قوله تعالى « قل هو الله أحد الله »[2] ، وقد يكون بالضم نحو « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »[3] وقد يكون بالفتح نحو « الم . الله »[4] .

والتحريك لا يقتصر على آخر الكلمة . بل يمتد إلى ما قبل الآخر ، فنحت عنوان « باب الساكن الذى يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين »[5] يذكر سيبويه أمثلة يتحرك فيها ما قبل الآخر فيقولون فى حالة الوقف هذا بُكُرْ ، ويقولون هذا عِدِلْ بكسر عين الكلمة لكى تتناسب مع كسر فائها ويقولون فى البُسُر بضم العين لكى تتناسب مع الفاء .

وتحت عنوان « الساكن الذى تحركه فى الوقف إذا كان بعده هاء المد »[6] يضرب سيبويه أمثلة على ذلك فيقول « اضربه ومنه ، وعنه » وقال أبو النجم الراجز :

فقرين هذا . وهذا أزحلهْ .

إن فكرة الحس الجمالى تكمن وراء كثير من المشكلات التى وقف عندها النحاة وجادلوا حولها ، لأنهم وجدوها تخالف القواعد النحوية التى تعارفوا عليها ، ففكرة الجر بالمجاورة فى المثال المعروف « رب جحر ضب خرب » وفى غيره ، لا تحتاج إلى تأويلات كثيرة إذا أدركنا أن الصفة قد خالفت موصوفها فى الإعراب من أجل أن تتناسب مع إعراب الكلمة التى تجاورها . وحتى يمكن أن يكون ذلك سهلا على الأذن وكثير من الحروف التى يعربونها زائدة لا محل لها من الإعراب ، وهى أحرف تتكرر كثيراً فى الكلمات العربية . يمكن أن تجد مبررها فى أنها زيادات لراحة الأذن ، كتلك الزخارف التى ترد فى الألحان العربية ، لتزيد من إيقاعها وتسهل للأذن التقاطها . إن الذين اهتموا بإعراب القرآن من النحاة القدامى ، لم يعربوا تلك الحروف التى لا تفيد شيئاً فى المعنى . على أنها زائدة . إذ أن القرآن الكريم يتنزه عن الزيادة ؛ وإنما أعربوها على أساس أنها قد اجتلبت لتأكيد المعنى فيما يظنون . أو على أساس أنها قد اجتلبت لغرض إيقاعى فيما نعتقد .

* * *

---

( ١ ) الكتاب ٤/١٥٢ ( ٢ ) ١١٢/الإخلاص

( ٣ ) ١٠١ — يونس ( ٤ ) ١ ، ٢ / آل عمران

( ٥ ) الكتاب ٤ — ١٧٣ ( ٦ ) الكتاب ٤ — ١٧٩ .

( ٧ ) أزحله إزحالا : أبعده ، ومنه سمى زحل لبعده .

وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى هذه الوظيفة الجمالية وذكر أن الذى يحدد الحركة الإعرابية ، ليس هو موقع الكلمة فى الجملة بل هو طبيعة الصوت وإيثاره حركة معينة ، أو انسجام تلك الحركة مع ما يجاورها من حركات أخر[1] . إنه باختصار يتحدث عن صفة جمالية للإعراب هى صفة الانسجام ، سواء أكان الانسجام بين حرف وحركة أو بين حركة وأخرى .

ولكن الدكتور إبراهيم أنيس اكتفى بالإشارة السريعة ، ولم يتابع تطبيقات ظاهرة الانسجام ، فيكشف عن كيفية العلاقة بين الحرف والحركة ، أو بين الحركة والأخرى إنه اكتفى بالقول بأن الواو تنفر من الضم والكسر ، وأن الياء تنفر من الكسر .

وأن اللام والعين والنون تؤثر الفتح ، إن ملاحظته صادقة فى دلالتها دون تفصيلاتها ، هى صادقة فى أن للإعراب دلالة جمالية ، ولكن الحرف مهما كانت طبقته الصوتية لا يكتفى بحركة واحدة ، وأن اللام أو العين أو النون قد تكون مرة مضمومة وثانية منصوبة وثالثة مكسورة ، وظاهرة الانسجام وحدها لا تستطيع أن تفسر هذا الاختلاف وربما كان من الأفضل أن تضاف إليها ظواهر أخر ، أشير الآن إلى ظاهرتين منها ، وهما ظاهرتا الرنين والتنوع .

أما ظاهرة الرنين فهى ترتبط بالتنوين وهو فى أشهر أنواعه — أعنى تنوين التمكين — نون ساكنة تلحق آخر الأسماء المعربة دلالة الخفة والتمكن فى باب الاسمية ، كما يقول النحاة ، فالمدخل للإعراب إذن هو التنوين .

والتنوين حرف رنان موسيقى ، وقد تنبه الفارابى إلى خاصيته الموسيقية ، فجعله مثيلا للنقرة القوية . إنه يقسم النقرات إلى ثلاث : قوية ، ومتوسطة ، وخفيفة ؛ والقوية « تشبه التنوين فى إعراب اللسان العربى ، والمتوسطة تشبه حركة الحرف فى لسانهم ، واللينة تشبه إشمام الحركة فى الحركة أو روم الحركة »[2] .

وإذا تجاهلنا بعض أنواع التنوين ، فإننا لا نستطيع هنا أن نتجاهل نوعا من التنوين يدل اسمه على طبيعته الغنائية ، وهو تنوين الترنم ، وقد سمى بذلك لأنهم يترنمون به فى الشعر ، والترنم فى اللغة وهو ترجيع الصوت كما يترنم الحمام والقوس والجندب وكل ما يستلذ صوته[3] .

إن الأذن العربية تستريح للتنغيم الذى يحدثه التنوين ، وقد استثمر القرآن الكريم فى آياته تلك الخاصية ؛ فخلق جواً من الرنين نجد أمثلة له فى الآيات الآتية :

---

( ١ ) من أسرار اللغة ص ٢٤١ .
( ٢ ) الموسيقى الكبير ص ٩٨٦ .
( ٣ ) المعجم الوسيط مادة ( رنم ) .

« الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون»(١) «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان»(٢)

وإذا كانت التنوينات هنا تتوالى متماثلة ، والحركة الإعرابية التى قبلها حركة واحدة؛ وهى النصب فى الاثنين السابقين ، فإن آية مثل قوله تعالى « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا »(٣) تختلف فيها الحركة الإعرابية من جر ( شىء ) فرفع ( فاعل ) فنصب ( غدا ) ، فتكسب الإيقاع تنوعا ، وتجعلنا نفترض أن الرفع والنصب والجر قبل التنوين ، إنما هو حالات للتنوين أو أقل بلغة موسيقية لأنه تنويعات على اللحن الرئيسى ، تقول « جاء محمد ، رأيت محمدا مررت بمحمد » ، فتحس أن التنوين يكتسب مع الحركة التى قبله حالة خاصة ، تختلف إيقاعها فى الرفع عنها فى النصب وفى الجر ، ولكن متى تؤثر الرفع ومتى تؤثر النصب ومتى تؤثر الجر ؟ نعود مرة أخرى إلى خاصية الانسجام وخاصة بين الحركات التى أشار إليها الدكتور إبراهيم أنس ، والتى تحتاج إلى إحصائيات صوتية ربما تقلب النحو رأسا على عقب .

والأسماء المبنية لا تقبل التنوين ، ومن ثم فهى تلزم حالة واحدة لا تتغير أيا كان موقعها فى الكلام ، أما الأسماء المعربة فهى تقبل التنوين ، لأنها علامة الإعراب كما تقول كتب النحاة . ومن ثم فهى لا تلزم حالة واحدة ، إنها تتغير فى الرفع والنصب والجر . نحن هنا وفى وقت واحد إزاء خصيصتين جماليتين ، خصيصة الرنين الموسيقى الذى يجلبه نون التنوين ، وهو حرف رنان يخرج من الخياشيم ، وخصيصة التنويع التى تعطى النون شكلا موسيقيا ، أو حالة إعرابية ، تختلف فى الرفع ، عنها فى النصب ، أو فى الجر . إن هاتين الخصيصتين تؤخذان معاً لا تنفصلان ، وتكسبان معاً الفصحى رنيناً وتنوعا ، ولأمر ما وضع النحاة ضمتين فى حالة الرفع على آخر الاسم المعرب ، فنقول ، جاء محمدٌ . فترمز إحدى الضمتين إلى التنوين وترمز الأخرى إلى حالة الرفع ، وهى حالة من حالات التنوين ، قد تتغير فيتغير معها الرمز ، فيصبح فتحتين أو كسرتين .

* * *

إن الإعراب فى ظنى يلعب دوراً كبيراً فى إكساب الفصحى جمالية ، تسهل من وقعها على الأذن ، إنه شىء صناعى قد اجتلب

---

( ١ ) ٢٢ ــ البقرة .
( ٢ ) ١١٢ ــ النحل .
( ٣ ) ٢٣ ــ الكهف .

ليكسب الكلام رنيناً وتنوعاً ، ويكسب الحروف انسجاماً . إنه لا يمكن أن يكون سايقة ، فهو يحتاج إلى تفكير ووعى ، وهو لا يأتى لمجرد إفادة المعنى ، فالمعنى يفهم فى سياق الكلام ، والعامية لا تحتاج إلى إعراب ، لكى يتبادل الناس به معانى الكلام . إنهم يفهمون على الرغم من أن أواخر الكلمات ساكنة ، وقد تخلصت من التنوين ومن حالات الإعراب . .

فالإعراب إذن خصيصة من خصائص الفصحى ، يحتاج إلى تعلم ، ولا يقدر عليه إلا الخاصة ، ومن هنا نظروا إليه بتقدير ، واعتبروه « قيمة شرفية » وتحول إلى قالب قاسوا به أقدار الرجال ، كما كان الحال على المنطق الأرسطى ، الذى تحول إلى قالب صورى ، يقاس به الفكر ، وتمتحن به صحته ، وأصبح مقياسا شرفيا ؛ بغض النظر عن قيمته الحقيقية فالفكر موجود قبل المنطق وبعده ، وليس المعيار بالوزن ولكن بقيمة الموزون . هل هو ذهب أو فضة أو نحاس ، كما يقول أبو سعيد السيرافى وهو يعترض على منطق أرسطو .

إن الإعراب شىء خارجى وصناعى ، هو مستوى ثان للغة ، لا يعرفه العامة ، ولا يستطيعونه حتى لو أرادوه . جاء فى الصاحبى « إن الناس لم يزالوا يلحنون ويتلاحنون ، فيما يخاطب به بعضهم بعضا اتقاء الخروج عن عادة العامة ، فلا يعيب ذلك من ينصفهم من الخاصة[1] . لقد ورد هذا النص فى معرض الدفاع عن مالك ابن أنس ، فقد قيل إنه كان يلحن مع العامة . إن هذا النص يشير صراحة إلى مستويين : مستوى العامة ، الذى لا يحرصون على الإعراب فيه ، ومستوى الخاصة الذين يحرصون على الإعراب ، وعلى الظواهر الجمالية .

والعلماء يترخصون فى اللحن متى استعملوا لغتهم اليومية ، وتخاطبوا مع الصغار والتجار والموالى وسائر العوام ، ولكنهم حين ينشدون الشعر ، ويتعاملون على المستوى الخاص ، فإنهم يستخدمون الفصحى ، ويحرصون على خصائصها ، ويعتبرون اللحن ضلالا وكفراً[2] أو على الأقل يعتبرونه جهلا ، يزرى بصاحبه ، إنهم حينئذ يحتكمون إلى « القيمة الشرفية » التى أضفوها على الإعراب .

إن هذا البحث يرتفع بالإعراب إلى كونه قيمة ثقافية ، وينظر إليه كمستوى ثان فى الأداء اللغوى ، يكسب الكلام رنينا وتنوعا ، ويضفى على الحروف انسجاما ، إنه ينفى عنه المستوى الدلالى

---

( ١ ) الصاحبى ص ٣١ .

( ٢ ) المرجع السابق ص ٣٢ .

الأول للغة، فالناس يتفاهمون ولو لم يستخدموا الإعراب ، كما كانوا يفكرون قبل منطق أرسطو .

ومن ثم فلا ينبغى أن نتزعج حين نلاحظ فى حياتنا المعاصرة مستويين ، مستوى قد تخلص من الإعراب ، واستراح إلى تسكين أواخر الكلمات ، عملا بقاعدة « سكن تسترح » وهو مانشاهده فى تمثيليات التليفزيون» وعلى خشبات المسارح، إنه مستوى يلجأ إلى هدفه بأقصر الطرق ، لا ينفى عنه الجمال اللفظى ، ورنين الحروف بقدر ما يهتم بنقل تجربته إلى المخاطب .

أما المستوى الآخر ، فهو الذى يختص باللفظ ، وهو ما نشاهده فى ندوات الشعر ، وفى المسرحيات الكلاسيكية، وخاصة المترجمة . إن المبدع هنا يحرص على الإعراب ، لأنه يدرك بحاسته الفنية أن الإعراب قادر على خلق الجو الموسيقى ، وعلى اختفاء الرنين والإيقاع والانسجام وعلى الإيهام بجو كلاسيكى ينعش الخيال .

إن هذين المستويين هما امتداد لما لاحظه القدماء ، من أن هناك لغة للحياة اليومية ، يتندر بها الناس ويتفاكهون، ويخاطب بعضهم بعضا ، وهى لغة قد تخلصت من الإعراب ، ولا يجد العلماء حرجا حين يلحنون بها ويتلاحنون ، لأنهم يريدون أن يفهمهم الناس.

وهناك أيضاً لغة الخاصة التى يتعلمون فيها النحو ، ويحرصون عليه ، حتى يبدو متميزين عن سائر الناس وهى لغة نموذجية « فصحى» ، قد تعرضت للانتقاء والتهذيب .

* * *

إن الإعراب قد تحول إلى نسق رياضى ، مثلما حدث لمنطق أرسطو ، أخذ الناس يميلون فيه إلى التشقيق والمعادلات والأقسام العقلية ، والافتراضات الذهنية والاستمتاع بالحركة الذهنية الصورية ، دون نظر إلى الرصيد العملى الذى ينجم عن كل ذلك .

إن الاهتمام بالنتيجة العملية ، سيجعلنا نواجه هذا البناء الصورى الرهيب ، الذى تحول إلى سيف مصلت على رقاب المثقفين والعلماء والأدباء ، وسيمنحنا هذا مواجهة جديدة للإعراب ، وسنجد فى النهاية ، وبعيدا عن التشقيقات غير العملية أن الإعراب ليس شيئاً رهيبا ، يخيف الأطفال فى مدارسنا ، ويشيب من أجله العلماء ، فمن الممكن حصره فى دائرة ضيقة فالأدوات المبنية التى تلزم حالة واحدة أكثر إحصائيا من الأدوات المعربة ؛ فى الأسماء نجد أسماء الإشارة والموصول والضمائر وأدوات الشرط والاستفهام وغير ذلك مبنية ، حتى فى الأعلام نجد الاسم المقصور والمنقوص يلزم فى أغلب أحواله حالة واحدة . حتى وإن أعربه النحاة بحركة مقدرة وفى الأفعال نجد الماضى وفعل الأمر مبنيين

أما المضارع فهو معرب ، ولكنه غالبا ما يميل إلى الرفع ، ما لم تسبقه أدوات محددة ومعروفة ، قد تجعله منصوبا أو مجزوما ، أما الحروف — وهى أكثر أدوات الكلام انتشارا — فهى كلها مبنية .

إن قضية الإعراب قد تضخمت ، لأنها قد تحولت إلى بناء ذهنى ، وإلى قيمة شرفية ، ووجد فيها العقل العربى ما وجده العقل الإغريقى فى المنطق ، فأخذ يستعرض قدراته الذهنية ، فتضخمت القواعد واكتظت كتب النحاة ، ومالت إلى الافتراضات والتفريعات ، وتقبل الناس كل ذلك لأنها تحولت إلى « لعبة عقلية » يستمتع بها العلماء ، ويمارسون من خلالها سطوتهم على الأدباء .

ولاحل لهذه القضية إلا بالنظر إلى كل ما جاء فى كتب النحاة ، نظرة عملية ، تتخلص من الافتراضات الذهنية ، والقياسات العقلية ، وحينئذ سنجد أنفسنا فى حاجة إلى خطوة أبعد مما يسمونه تيسير النحو أو تجديده ؛ خطوة لا تكتفى بعمليات الترقيع وإنما تهدف إلى ثورة جذرية .

**عبد الحميد ابراهيم**
رئيس قسم اللغة العربية
كلية الآداب بجامعة المنيا

# حركة المعنى فى شعر المتنبى
## بين السلب والإيجاب

للدكتور عزالدين إسماعيل

« ما كلُّ قولىَ مشروحاً لكم فخذوا
ما تعرفون ، وما لم تعرفوا فَدَعوا
حتى يصيرَ إلى القوم الذين غُذُوا
بما غذيت به ، والقولُ يجتمع »

عمار الكلابى

— ١ —

**فكرة** فى أن أبدأ حديثى هذا بتقرير أن المتنبى من أسعد شعراء العربية حظا — إن لم يكن أسعدهم — من حيث سيرورة شعره بين الناس على مدى يقرب من عشرة قرون ونصف قرن ، ولكننى ما لبثت أن أحجمت عن هذا التقرير حين أيقنت أن سعادته لم تتحقق فى يوم من الأيام ، وأن مأساته ، أو بالأحرى شعره ، هو الذى أسعد قراءه طوال هذه الحقبة جيلا بعد جيل حتى يومنا هذا .

الحقيقة أن الشعر العربى لم يظفر بشاعر يملأ الدنيا ويشغل الناس على مدى هذا الزمن الطويل مثل أبى الطيب . والغريب فى أمره أن الناس لايقرأونه مرة ويفرغون بذلك منه ؛ فما أكثر مايعاودون قراءته المرة بعد المرة ، وإذا هم ابتعدوا عنه بعض الوقت عادوا — بحنين غريب وجاذبية قاهرة — إلى قراءته مرة أخرى .

هل مرجع هذا إلى شخصه ؟ أم إلى مأساة حياته؟ أم إلى شيء غريب ومتفرد فى شعره ؟

ومع أن هذه العناصر الثلاثة لا يقوم كل منها مستقلا عن غيره ، بل تتداخل جميعا فى نظام موحد ، فإن شخص المتنبى فى ذاته ، أو مأساة حياته فى ذاتها ، أو هما معا ، لا يكفيان لصنع تلك الجاذبية ، أو إثارة ذلك الحنين ؛ فليس شخصه نمطا لا نظير له بين الناس ، وليست مأساة حياته مأساة متفردة فى تاريخ البشرية ، لكن الشيء الذى يبدو متفردا بحق هو شعره . فقارئ الشعر العربى لا يخطئ فى تمييز صوت المتنبى من بين كل الأصوات الشعرية التى سبقته أو عاصرته أو لحقت به .

وكل المهتمين بالشعر العربى قد قرأوا المتنبى — فى اعتقادى — أكثر من مرة . وفى اعتقادى أيضا أنهم أدركوا فى كل مرة أنهم يقرأون شعرا له تفرده ، بل ربما كان هذا التفرد ، أو كانت معرفتهم به ، أحد الدوافع التى دفعتهم إلى معاودة قراءته.

هذا التفرد الشعرى إذن لدى المتنبى حقيقة ملموسة إجمالا لدى المهتمين بالشعر العربى ، لا يمارى فيها أحد . على أن الإحساس بهذه الحقيقة — فى إجمالها — ليس شيئا جديدا يختص به أبناء عصرنا هذا ، فقد خامر نفوس الناس منذ البداية : منذ أن كان المتنبى نفسه مازال يضرب فى الحياة وينشد الأشعار . فقد أدرك معاصروه ومن جاءوا من بعده تفرد شعره وسط خضم الشعر العربى ، سواء من أحبه منهم ومن أبغضه.

ويمكننا أن نستشف هذا من قول العكبرى : « أجمع الحُذَّاقُ بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبى الطيب نوادر لم تأت فى شعر غيره ، وهى مما تخرق العقول [1] » . ومن تعليق ابن جنى على بيت المتنبى الذى يقول فيه :

أرانبٌ غير أنهمُ ملوكٌ
مُفتَّحةٌ عيونهمُ نِيامُ

حيث يقول : « المعهود فى مثل هذا أن يقال : هم ملوك إلا أنهم فى صورة الأرانب ، فتزايد وعكس الكلام مبالغة ،

(١) التبيان فى شرح الديوان ١ — ٦١

فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعارا فيهم . وهذا عادة له يختص بها [1] .

ومدلول كلمة « نوادر » فى عبارة العكبرى واسع ، ولكن يكفينا على كل حال تقرير النقاد والحُذّاق بمعرفة الشعر القدامى : أن شعر المتنبى ينفرد بها . أما وصفهم لهذه النوادر بأنها «تخرق العقول» فوصف لا أظنه أُطلق على غير أشعار المتنبى . وهو وصف عظيم الدلالة بالنسبة لما نتحرك نحوه فى هذه الدراسة .

أما تعليق ابن جنى – بغض النظر عن تحليله البلاغى للبيت – فإنه يمس – جزئيا – ظاهرة عامة فى شعر المتنبى ، هى أنه شعره له خصوصياته ، وأن تكرار هذه الخصوصيات إنما يمثل « عادة » شعرية لدى المتنبى ، ينفرد بها بين الشعراء . ولا شك أن ابن جنى وغيره من الحذاق بمعرفة الشعر قد سجلوا – فى مواطن متفرقة – كثيرا من هذه « العادات الشعرية الخصوصية » لدى المتنبى .

ويكفى أن أذكر الآن – على سبيل المثال – تلك الواقعة التى يحكيها ابن جنى نفسه فيقول : « قلت لأبى الطيب فى بعض ما كان يجرى بينى وبينه : إنك تستعمل لفظ « ذا » و « ذى » فى شعرك كثيرا . فأمسك عن ذلك ولم يجب » [2].

وهذه الواقعة تروى فى سياق الحديث عن نقد ابن جنى لصديقه المتنبى . على أن قليلا من التأمل فيها يدلنا على أن ابن جنى لم يكن فى موقف نقد بقدر ما كان ملاحظا لخصوصية من خصوصيات شعر المتنبى ، أو عادة من عادات المتنبى الشعرية .

ومن هذه الواقعة ، ومن الشاهدين السابقين ، نستطيع أن ندرك أن القدامى قد أحسوا بتفرد شعر المتنبى ، وأنهم حاولوا – بطرقهم الخاصة – رصد مظاهر هذا التفرد . ومن استقراء شواهدهم يتضح لنا أنهم اتجهوا فى هذه المحاولة ( وفقا لمنهجهم فى التحليل ) مرة نحو نوادر معانيه ومرة نحو خصائصه الأسلوبية . لكن هذه المحاولة كانت محكومة منذ

---

(١) المصدر نفسه ٤ – ٧٠

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمى : تنبيه الأديب ، على مافى شعر أبى الطيب من الحسن والمعيب ، ص ٦٤

البداية وحتى العصور المتأخرة بمنهج بلاغى بقوم على مجموعة من القواعد الشكلية الثابتة ، التى يتخذ منها الناقد أساسا عاما للنظر والوصف والتقدير . ومن ثم تصبح ظاهرة تفرد شعر المتنبى ، التى أحس بها نقاد الشعر قديما كما نحس بها اليوم ، تصبح على أيديهم بالضرورة موضوعا لهذا المنهج الشكلى ، الذى يقدم التفسير لها وفقا لمعطياته الثابتة . وعلى نحو آخر نقول : إنهم حاولوا فحص ظاهرة تفرد شعر المتنبى فى ضوء مجموعة من الاعتبارات البلاغية المقررة الثابتة ، أى أرادوا فهم « التفرد » فى إطار « المألوف ». وهم بذلك قد أحالوا المتفرد إلى المعروف ؛ بدلا من أن يحاولوا فهم المتفرد من داخله ، أى بدلا من الكشف عن قوانينه الخاصة .

وعلى سبيل المثال نشير إلى ما علق به الثعالبى صاحب « يتيمة الدهر » على البيت الذى يقول فيه المتنبى :

أزورهمْ وسوادُ الليل يَشفَعُ لى
وأَنْثَنى وبَياضُ الصبح يُغرى بى

حيث يقول : « هذا البيت أمير شعره ، وفيه تطبيق بديع ،ولفظ حسن ، ومعنى بديع جيد . وهذا البيت قد جمع بين الزيارة والانثناء والانصراف ، وبين السواد والبياض .والليل والصبح .والشفاعة والإغراء، وبين « لى » و « بى ». ومعنى المطابقة أن تجمع بين متضادين كهذا » .

وفى وصف الثعالبى هذا البيت فى مستهل كلامه بأنه أمير شعر المتنبى ما يدل على أن الرجل قد أحس أنه بإزاء كلام غير مألوف . وأنه يتفرد حتى بالنسبة لسائر شعر الشاعر . وهو إحساس صادق من غير شك ، لا نملك إلا أن نقره عليه ، ولكنه عندما راح يفحص وجه التفرد فى هذا البيت لم يجد من الوسائل ما يسعفه سوى المعطى البلاغى المسمى بالمطابقة ، فوجد تقابلا ، أو تضادا - كما يقول - بين كل لفظ فى الشطر الأول وموازيه فى الشطر الثانى . وبتحقق هذا التطابق التام بين شطرى البيت تحققت جودته ، وكأنه هو سر تفرده . والواقع أن هذه المطابقة لا تصنع لبيت المتنبى أى تفرد ، بل تجعله واحدا من أبيات

---

(١) التبيان ١ — ١٦١

لا حصر لها من شعر الشاعر نفسه وأشعار غيره ، يتحقق فيها هذا التطابق الشكلى على هذا النحو . ومع أن التطابق يلحظ ما بين معنى الكلمة ومعنى مقابلتها من تضاد فإن علاقة التضاد هنا كما رصدها الثعالبى علاقة شكلية ، مثلما يستدعى النقيض نقيضه فى أى تداع حر .

وهكذا استحال البيت ، الذى هو « أمير شعر » الشاعر ، إلى مجموعتين من الألفاظ المتضادة المعا . ولكن هل كان كل هم المتنبى هو أن يحشد بيته هذه الألفاظ المتضادة فى المعنى ؟ وهل هذا — لو صح — يكون مصدر براعة منه ، فضلا عن أن يكون علامة تميز وتفرد ؟

الواقع أننا لو تعاملنا مع هذا البيت على هذا المستوى لما استحق أن يكون شعرا أصلا ؛ لأنه لا يمثل عندئذ إلا ضربا من المهارة اللغوية ، ومعرفة واسعة بمفردات اللغة .ولم يكن المتنبى تنقصه المهارة اللغوية ، والخبرة الواسعة باللغة ، ولكن الدلالة عليهما أو الإدلال بهما لم يكن منتهى غايته من الشعر . فقد كان الشعر بالنسبة إليه — أو هكذا هو كما يبدو لنا — أداة للكشف عن الأبنية الجوهرية للحياة من خلال ما بتراكم من تفصيلاتها وجزئياتها . وعلى هذا الأساس يصبح التقابل الحقيقى الذى أقام عليه بناة ذلك البيت هو التقابل بين عنصرى القوة والضعف حين يتمثلان فى حياة الإنسان. فسواد الليل عنده تجسيم مألوف لمرحلة الشباب فى حياة الإنسان وبياض الصبح تجسيم مألوف لديه كذلك لمرحلة الشيخوخة . فالسواد والبياض هنا هما سواد الشعر وبياضه . وهذه الدلالة مألوفة بلاشك فى تراث اللغة الشعرى ، ولكن المتنبى جاوزها هنا مرتين : مره حين انتقل من سواد الشعر وبياضه إلى الشباب والشيخوخة ، ثم مرة أخرى — وهى الأهم — عندما انتقل من الشباب والشيخوخة إلى القوة والضعف . ومع القوة الشجاعة التى قد تصل أحيانا إلى المغامرة التى لا تؤمن عقباها ،ومع الضعف التخاذل والانطواء وقبول المهانة .

ولا نريد أن نمضى الآن إلى أبعد من هذا فى الحديث عن البناء المعنوى لهذا البيت ونحن لم نشرح بعد وجهة نظرنا فى منهج المتنبى فى بناء المعنى . وكل ما قصدنا إليه هنا هو الدلالة على أن المنهج الذى عالج به القدامى ما أحسوه من تفرد

شعر المتنبي كان بطبيعته قاصرا ، فلم يتجاوز ملاحظة الظواهر الشكلية التى لا تمثل بحال من الأحوال الهدف النهائى لشعر الشاعر .

ثم نعود الآن فنتساءل : هل كان المتنبي نفسه مدركا لتفرده فى الشعر ؟وعلى أى نحو ؟ وبعبارة أخرى نقول : هل كان يعرف موطن تفرده فى هذا الضرب من النشاط الإنسانى ؟

ولا أحسبنا فى حاجة إلى التوقف عند الشواهد الكثيرة من شعره ، التى يعلن فيها فى صراحة مشوبة بكثير من الاعتزاز بالنفس ، تفرده فى عالم الشعر . ونكتفى الآن بالوقوف عند شاهدين له : الأول قوله :

أَبِيتُ ملءَ جفونِى عن شَوارِدِها
ويسْهَرُ الخلقُ جرَّاهَا ويختصمُ

فهذا القول صريح فى دلالته على إدراكه لكون ما يقول من شعر غير مألوف لدى الناس صدوره عن غيره من الشعراء؛ فلو أنه كان من المألو لما احتاج الناس إلى سهر الليالى وكد الأذهان فى سبر أغواره واستخراج مراميه ، دون أن ينتهوا بعد كل هذا العناء إلى الإدراك السليم لهذه المرامى ، أو الاتفاق على فهم موحد لأهدافه . أما اعتزازه بنفسه فتدل عليه كذلك لا مبالاته بمآزقهم التى وضعهم فيها ، وتنعمه بالنوم العميق فى حين هم ساهرون مؤرقون. والشاهد الثانى قوله :

أُراقِبُ مُعْوِصَاتِ الشِّعرِ قسْرا
فأَقتلُها ، وغيرى فى الطِّرادِ

والعنصر المشترك بين هذين الشاهدين ، والماثل فى سائر الشواهد ، هو أن المتنبي لاينظر إلى نفسه وقدراته بمعزل عن الآخرين ، بل هم دائما حاضرون فى إطار الصورة ، يكونون شطراً كاملا منها . وهو لايصنع هذا دائما ( فقد صار هذا « عادة » من عاداته الشعرية — كما سيتضح فيما بعد ) إلا لكى يبرز تميزه وتفرده بالقياس إلى الآخرين .

وفى هذا الشاهد الثانى يحدد المتنبى موطن تفرده فإذا هو فى مجال العويص من معانى الشعر . فهو يظل بهذه المعانى العويصة النافرة حتى يخضعها ويمسك بأزمتها ، فى حين يلهث وراءها الآخرون دون جدوى . وهو لايبذل فى تحقيق هذا

جهدا كبيراً ؛ لأنه ألف هذا العمل .

أما قوله : قسرا ، فيدل على اقتداره ، وعلى إدراكه لهذا الاقتدار .

المتنبي إذن يعى جيدا مجال تفرده بين غيره من الشعراء ، وهو المعانى — الرسالات ؛ التى لايقدر على الغوص إليها واستخراجها وتجليتها أحد من الشعراء بمثل قدرته . وبقدر ما يسهل عليه القيام بهذه المهمة ، حيث صارت معتادة له . تقف هذه المعانى أمام الآخرين « خارقة لعقولهم » ، لا لشىء إلا لأنها خارقة لعاداتهم فى التفكير ، محملة برؤى لم تخطر لهم ، لأنها تتجاوز قدراتهم . ومن أجل هذا أحسوا إحساسا عاما بتميزه وتفرده ، ولكنهم لم يستطيعوا الوقوف على أسرار هذا التميز أو التفرد .

وقد قيل قديما إن الشاعر أعرف بالشاعر. وسواء صح هذا القول على إطلاقه أم لم يصح فإن أحداً ممن تحدثوا قديما عن موطن تميز الشعر لدى المتنبي لم يقرر الحقيقة بالوضوح أو الحسم الذى قررها به المظفر الطبسى حين عرف بمقتل المتنبي فرثاه بأبيات جاء فيها :

من رأى الناسُ ثانىَ المتنبِّى
أىُّ ثانٍ يُرى لِبِكْر الزمان
كان من نفسه الكبيرة فى جيش —
وفى كبرياءِ ذى سلطان
هو فى شعره نَبىٌّ ولكن
ظهرت معجزاته فى المعانى

فالطبسى هنا إذ يقرر تفرد المتنبى يعلن أنه شاعر النبوءة ، ويحدد تحديداً قاطعا أن مجال المعانى هو موطن إعجازه وتفرده . ونبوءة الشعر التزام ورسالة بقدر ما هى مجاوزة للمألوف ، وكشف للحقائق الجوهرية ، وصياغتها فى نسق أو نظام متكامل .

— ٢ —

هكذا تقودنا كل الشواهد إلى القول بأن حقيقة ما يجذبنا فى شعر المتنبى ويأسرنا إليه هو عالم المعنى عنده أولا وقبل كل شىء . وكما أكدنا من قبل أننا لا ننفى الترابط الوثيق بين شعر المتنبي وشخصه ومأساة حياته ، وأننا — على العكس — نرى فى هذه العناصر الثلاثة تلازما وترابطا وثيقا فى نظام أو بنية موحدة ، فإننا نؤكد هنا كذلك أن عالم

المعنى الذى دلتنا الشواهد على أنه موطن التميز والتفرد فى شعر المتنبى لا ينفصل بحال عن طريقة أداء هذا الشعر ، وعن الوسائل المختلفة التى استخدمت فى هذا الأداء . فعالم المعنى ، وطريقة الأداء ، ووسائل هذا الأداء ، تترابط كذلك ترابطا وثيقا فى نظام أو بنية موحدة هى الشعر .

فإذا نحن قصرنا النظر هنا على عالم المعنى عند المتنبى فلأنه موضع التميز والتفرد أولا ، ولأننا نريد أن نستكشف أسرار هذا العالم ثانيا . وليس أشق من أن يتعامل المرء مع المعانى ، حيث تتراجع وظائف الحواس وتصبح مجرد وسائل تقريبية . ولكن ييسر علينا هذه المشقة ما نهدف إلى تحقيقه ونراه قد صار ضرورة ملحة ، وهو فهم المنطق الذى يتحرك به عقل المتنبى فى عالم المعنى ، والقوانين الأساسية التى رآها تحكم تركيب الحياة والوجود الإنسانى على السواء .

ولنبدأ الآن فى تحديد السمة العامة التى تميز عالم المعنى عند المتنبى عنه عند غيره من الشعراء .

والحق أن النقاد منذ القدم قد عرفوا أن من الشعراء طرازا يتميز بالاهتمام فى الشعر بالمعانى فى المحل الأول ، ومن ثم أطلقوا عليهم صفة « شعراء المعانى » وربما كان أبو تمام والمتنبى أبرز شاعرين من هذا الطراز . وقد كان لهؤلاء الشعراء الفضل فى أنهم أثبتوا فساد نظرية المعنى التى روجها الجاحظ فى أن المعانى ملقاة فى الطريق ، يعرفها العربى والعجمى ، وأن المعول فى الشعر على حسن السبك وإتقان اللفظ . لقد دلل هؤلاء الشعراء على أن عالم المعنى لا نهائى ، وأن الكشف عنه لا ينتهى .

والذى يعنينا هنا أن نتبين ما يخالف به المتنبى غيره من الشعراء فى منهج بنائه للمعنى وفقا لمنهج رؤيته للحياة والأشياء .

وقد اجتهد نقاد المتنبى وشراح ديوانه فى تسجيل المعانى التى وقع عليها وكان قد سبقه إليها بعض الشعراء. وفى تقديرنا أن هذه المواطن هى أصلح النماذج التى يمكن أن تكون موضوع الموازنة المطلوبة . على أن هذا الباب لاينتهى ، وإنما يغنى قليله عن كثيره .

لقد لاحظ شراح المتنبي – على سبيل المثال – أن بيت المتنبي الذى يقول فيه :

وأسرعُ مفعولٍ فعلت تَغَيُّراً
تَكلُّفُ شيءٍ فى طباعِكَ ضِدُّهُ

هو كقول الأعور :

ومن يقترفْ خُلقا سوى خلق نفسه
يدَعْهُ وتغْلِبْهُ عليه الطبائعُ

وقد يكون بين البيتين – فى النظرة العامة – تشابه ، ولكن الحقيقة أن الفرق بينهما يتضح فى أكثر من موطن . فالأعور يحدد العلاقة بين الطبعين الأصلى والمتكلف بالمغايرة ، فى حين يحددها المتنبي بالتضاد . فمجرد مغايرة الطبع المكتسب للطبع الأصلى لا تحتم ترك الطبع المكتسب؛ إذ يمكن أن يتعايش المتغايران ويتكيفا مع الوقت فى وحدة منسجمة آخر الأمر . ولكن علاقة التضاد بين الطبعين تفترض بينهما اصطداما عنيفا . وهو اصطدام لا يحسم منذ اللحظة الأولى ، بل يستمر الضدان فى تنازع بعض الوقت ، يتسلط فيه الطبع الأصلى شيئا فشيئا حتى يتم العدول عن الطبع المتكلف .

وترتيبا على هذا يبدو وجه آخر للاختلاف بين المعنيين هو أن الطبع المكتسب – عند المتنبي – يتغير من مغالبة الطبع الأصلى له . وهو تغير يتم بطريقة سرية فى نفس الشخص ، دالا بهذا على الصراع الخفى الذى يدور بين الطبعين ، فى حين يبدو أمامنا الشخص الذى اقترف خلقا غير خلقه عند الشاعر الآخر وقد عدل عن هذا الخلق ( يدعه ) بوعى منه .

والخلاصة أن المتنبي يقفنا على طبيعة العملية التى تتم فى داخل نفس الشخص حين يصطنع طبعا مضادا لطبعه ، فى حين يصور لنا زميله الأمر كما لو كان تصورا أو فرضا ذهنيا صرفا . وبعبارة أخرى نقول إن المتنبي يقتنص المعنى بوصفه نتيجة لعدد من الفعاليات المتعارضة والمتصارعة ، ويبصر به متغلغلا فى نسيج الحياة وممثلا لبعض قوانينها ، فى حين يراه زميله مجرد تركيبة تصورية ، أو بالأحرى « صورية » ، لها إقناع المنطق وليس لها بالضرورة صدق الواقع .

وأيضا فقد قال أبو تمام :

هو الصُّنْعُ إنْ يَعْجلْ فخيرٌ وإن يرثْ
فللرَّيْثُ بعض المواضع أَنْفَعُ

أخذه أبو الطيب[1] ـ كما يقال ـ فقال :

ومن الخير بطءُ سَيْبِكَ عنى
أَسْرعُ السُّحْبِ فى المسير الجهامُ

فأبو تمام يرى أن الصنع خير إن تحقق له وشيكا ، وأنه خير كذلك إن تأخر ؛ لأن التريث بعض الحالات يكون أجدى من الإسراع .

والمتنبي لم يتحدث إلا عن قضية التريث ، فرأى أن إبطاء الممدوح فى تقديم عطاياه إليه من الخير . وإلى هنا يبدو متفقا كل الاتفاق مع أبي تمام . وفى حين يتقرر هذا المعنى فى ذهن أبي تمام على نحو تجريدى ، تقف الظاهرة الطبيعية ماثلة لعينى المتنبي أو لنفسه لكى تؤكد القضية عن طريق معكوسها . فإذا كان القانون الطبيعى يقول إن أسرع السحب فى المسير هو قليل المطر أو الذى لامطر فيه ، فإن البطىء منها هو الكثير العطاء . فإذا نقلنا هذا القانون لكى نطبقه فى حالة الممدوح أصبح الإبطاء قرين العطاء الوفير ، وهو بذلك فى صالح الشاعر .

أبو تمام يصوغ الحقيقة مجردة بمعزل عن الوجود الحى المعاين ، والمتنبى يستنبطها من ملاحظة الظاهرة الطبيعية بطريقة معكوسة . فإذا كانت الظاهرة تقول إنه لا خير فى السرعة فإن معكوسها يقول إن الخير فى البطء ، وهو المراد . والمتنبي لم يقرر صراحة أن الخير فى البطء بل قرر أن لا خير فى السرعة . وهو ما تنطق به الظاهرة الطبيعية التى سجلها فى الشطر الثانى من البيت . على أنه لم يقرر أنه لا خير فى السرعة لأن هذه هى على التحديد القضية المطروحة ، وإلا فإن القضية المعلنة ابتداء فى صدر البيت هى أنه من الخير البطء والتريث . فكيف إذن تلتقى القضيتان فى رأس المتنبي ؟ إنهما تلتقيان على مستوى درامى من الطراز الأول ، وكأن هناك حوارا خفيا بين

(١) تنبيه الأديب — ٣١٠

الشاعر وممدوحه ، أو – فى الحقيقة – بين الشاعر ونفسه . فنحن نستمع فى البيت إلى صوتين : صوت يقول للشاعر : ماذا لو تأخر عنك الممدوح فى العطاء ؟ فيجيبه الثانى مهونا من هذا الخاطر المزعج : من يدرى ، ربما كان تأخره أفضل ! فيعود الصوت الأول ليسأل : ألم يكن الأفضل لو أنه بادر بعطائه ؟ فيجيبه الصوت الثانى قائلا : فى هذا الطر ، فإنه لو بادر لما أعطى شيئا يستحق الذكر ، فلم التعجل إذن إذا كان التريث أفضل ؟

وهكذا تصبح القضيتان وجهين لعملة واحدة ، يختلفان ظاهراً ولكنهما يتكاملان فلا يقوم أحدهما إلا مرتبطا بالآخر .

والخلاصة أن المتنبى إنما يدرك المعنى مرتبطا بالفعاليات المختلفة فى تلاقيها أو فى اصطدام بعضها مع بعض أو فى تنافرها وانسلاخ بعضها من بعض . وهذا الأسلوب فى الإدراك قد يتمثل أحيانا لدى شعراء آخرين من شعراء المعانى كأبى تمام وابن الرومى وغيرهما ، ولكنه نادر ، فى حين أنه يمثل الطراز الفكرى المألوف للمتنبى .

ويترتب على هذه الحقيقة أمران يزيدانها وضوحا بقدر ما يؤكدانها :

الأمر الأول هو أنه ليست هناك معان مجردة أو مطلقة عند المتنبى . ومن ثم فليس هناك – من منظوره – معنى واحد ثابت للشىء ، بل يخضع هذا المعنى المتغير مع تغير العلاقات بين الأبنية الظاهرية للأشياء .

والأمر الثانى أنه لا يمكن إدراك معنى لشىء مفرد قائم بذاته ، بل يتحدد المعنى دائما فى حضور المعنى الآخر . فالجميل – مثلا – لا يتحدد فيه معنى الجمال إلا من خلال رؤية القبيح . ومن ثم يمكن أن تنسلخ الأشياء من معانيها المألوفة لها إذا هى وضعت فى مقابل أشياء أخرى يكتمل فيها تحقق هذه المعانى . فإنسان ما كريم يصبح بخيلا بالقياس إلى آخر يتحقق فيه النمط الأعلى من الكرم . فالكرم والبخل إذن ليسا معنيين متقابلين ومنفصلين تقوم بينهما هوة من الفراغ

بل هما خطان متوازيان فى اتجاه متعاكس، يتصاعد فيهما كل منهما فى اتجاهه الخاص . والشكل التالى يوضح المقصود :

فأى خط يقطع هذين المتوازيين بمر بنقطتين متقابلتين من الكرم والبخل ، تتناسب فيهما كمية الكرم والبخل عكسيا ، فكلما زاد الكرم قل البخل ، إلى أن تصبح نهاية الكرم لا شىء من البخل ( صفرا ) ، أو تصبح نهاية البخل لا شىء من الكرم ( صفرا ) . فإذا كان التقاطع عند خط ١٠ أ مع خط ٣٠ ب فقد كان من الواضح أن نسبة $\frac{١٠\ أ}{٣٠\ ب}$ هى المعكوس الكمى لنسبة $\frac{١٠\ ب}{٣٠\ أ}$ ومن ثم يبدو الكرم والبخل نسبيين . وكذلك الأمر فى سائر المعانى أو القيم .

— ٣ —

وإذا كانت المغايرة بين وضعية المعنى لدى المتنبي ووضعيته لدى غيره من الشعراء قد أصبحت شيئا محققا فإن هذا يدعونا إلى تمثل السمات المميزة لعقليته ولمنهجه فى التفكير : قبل أن نرى الأشكال المختلفة التى يتحرك بها المعنى فى رأسه أو فى شعره .

وبعد كثير من التأمل والمراجعة تحقق لدينا أن عقلية المتنبى عقلية جدلية بأدق المعنى ، فضلا عن كونها قلقة إلى حد التمزق ، متوترة على الدوام .

وفى وسعنا أن نوجز المظاهر السلوكية لهذه السمات العقلية عنده فيما يلى :

أول شىء أن المتنبى لا يفكر — بعامة — فى معزل عن الأشياء . ومن ثم فإن المعانى التى ينتهى إليها هى وليده جدل مباشر بينه وبين هذه الأشياء ، أو نتيجة إدراك منه لهذا الجدل بين بعضها وبعض. وحرصه الشديد على حضوره الشخصى فى قلب المعنى يؤكد هذه الحقيقة بقدر مايفسرها ، ولذلك يندر لديه الفكر التجريدى الصرف .

والشى الثانى أنه لا يفكر فى الأشياء فى اتجاه واحد ، لأنه لا يعترف بأن للشىء وجها واحدا . وأيضاً فإن قابلية الأشياء فى منظوره للتغير المستمر ، وإدراكه الواعى لما يكون هنالك من جدل

حاد بين ظاهرها وباطنها ، يجعله حريصا على تقليب النظر ومراجعة النفس بين آونة وأخرى .

والشيء الثالث ، وهو متصل بسابقه ، أن البنية الجدلية للحياة وللوجود قد انعكست على عقليته ؛ فإن منهجه فى التعامل مع الأشياء لم يتبلور إلا من خلال استخدامه العنيف بالسياف ، وكما كشفته له التجربة العريضة الدائرة . وإذا كانت الأشياء — كما دلته التجربة — قد اختلت وفقدت توازنها ، فلا أقل من أن يحاول إعادة التوازن إليها فى عقله .

وينتهى بنا هذا إلى العنصر الأخير وهو أن ارتباطه بالشعر كان أمرا طبيعيا بل ضروريا له ، لأنه عن طريقه يستطيع أن يعيد تركيب الأشياء فى بنية متوازنة ، حيث يستمتع الشعر — أكثر من أى نوع آخر من أنواع الأدب — بالحرية الكاملة فى التعامل مع الأشياء ، وفى تفتيت علاقاتها الشكلية الموجودة ، وسلكها فى علاقات جديدة .

— ٤ —

ولننظر الآن — ونحن نقترب من التشخيص النهائى لحركة المعنى عند المتنبى — فى بعض مواقفه من الحياة ، لننظر ماذا رسبته التجربة فى ذهنه من القوانين التى تحكمها .

ففى قصيدة له يعزى بها سيف الدولة فى صبى تركى له يقول :

سُبِقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلُها
مُنِعْنا بها من جيئةٍ وذهابِ
تَعلَّلُنا الآتى تعلُّلَ والهٍ
وفارقها الماضى فراقَ مُصابِ

فهو يرى أن الآتى إلى الحياة سالبا لها من غيره ، والفارق لها إنما يفارقها لأنها سلبت منه . هناك إذن صراع خفى بين قوتين تحكمان الوجود الإنسانى فى الحياة ، إحداهما إيجابية والأخرى سلبية ، الأولى تمثل القوة والتغلب والتملك ، والأخرى تمثل التخاذل والعجز والانسحاب . ومع أن حياة الإنسان التى تبدأ بالقوة والعنفوان والشباب تنتهى بالتخاذل والعجز والانسحاب أمام القوة الفتية الجديدة ، فإن مبدأ السالب والموجب يظل هو القانون القائم على الدوام ، الذى يحكم هذا النظام .

العنفوان والتملك إيجاب ، والتخلخل والانسحاب سلب . وحياة الإنسان هى حركة من الإيجاب إلى السلب ، ولكن هذه الحركة تجمع فى مراحل الطريق المختلفة بالنسبة للإنسان بين نسب متعاكسة كميا من الإيجاب والسلب ، يبدأ الصراع بينها منذالبداية ، ويستمر حتى النهاية .

وفى قصيدة أخرى يقول أبو الطيب :

أبداً تستردُّ ماتهبُ الدنيا —
فياليت جودَها كان بخلاً

وهنا يختلف المنظور . ففى الشاهد السابق هناك عملية أخذ وعملية تخلٍّ تمثلان الإيجاب والسلب ، وهنا تتمثل عملية إعطاء وعملية استرداد تمثلان كذلك الإيجاب والسلب .

لقد نظر المتنبي فى هذين الشاهدين المتباعدين فى شعره إلى الحقيقة من وجهيها : مرة من جهة الإنسان فرآه آخذًا وتاركا ، ومرة من جهة الحياة نفسها فرآها مانحة للإنسان ومستردة منه ماسنحت . والدورة فى الحالين مستمرة . الحياة مرة هى صاحبة الفعل ، والإنسان مرة هو صاحب الفعل ، فى الإيجاب والسلب على السواء . والإنسان والحياة معا وجهان متقابلان لحقيقة واحدة ، هى التنازع المستمر بين الإيجاب والسلب .

ويقول المتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة :

ومن صَحِبَ الدنيا طويلاً تَقَلَّبَتْ
عَلَى عَيْنِهِ حتى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا

وهو هنا يعنى أن طول التمرس بالحياة يقف الإنسان منها على وجوهها المختلفة التى تبدو فيها بين الحين والحين . وهنالك يدرك أن ما كان يخيل إليه أنه فضيلة فيها يمكن أن يكون رذيلة ، وأن حقيقة ظاهرها تخالف حقيقة جوهرها. والمهم أن تكون عينه مفتحة ونفسه يقظة لإدراك ذلك منها ، وإلا فإن أكاذيبها قادرة على خداعه . وليس له أن يطمئن إلى نفسه قبل أن يكشف هذه الأكاذيب . وهنا لك يدرك — كما أدرك المتنبي — أن ما هو إيجاب فيها يمكن — من منظور آخر — أن يكون سلبا ، وأن ظاهر أمرها لايمكن أن يمثل حقيقة جوهرية ثابتة .

ويقول المتنبي من قصيدة له فى سيف الدولة :

ويختلف الرِّزْقانِ والفِعْلُ واحدٌ
إلى أنْ يُرى إحسانُ هذا لِذَا ذَنْبَا

وهو فى هذا البيت يقرر حقيقة رياضية من الطراز الأول . ويمكن التعبير عن معنى البيت بمعادلة تمثل العلاقة بين الفعل والرزق . وإذا رمزنا إلى الفعل بالرمز «ف» والرزق بالرمز «ر» فإن العلاقة تكون : ر ٢ = ف (حيث «ف» تمثل الفعل و«ر» تمثل الرزق) ، ذلك أن لكل قيمة من قيم ف حلين ، أحدهما موجب والآخر سالب ، كما يبدو من الشكل التالى :

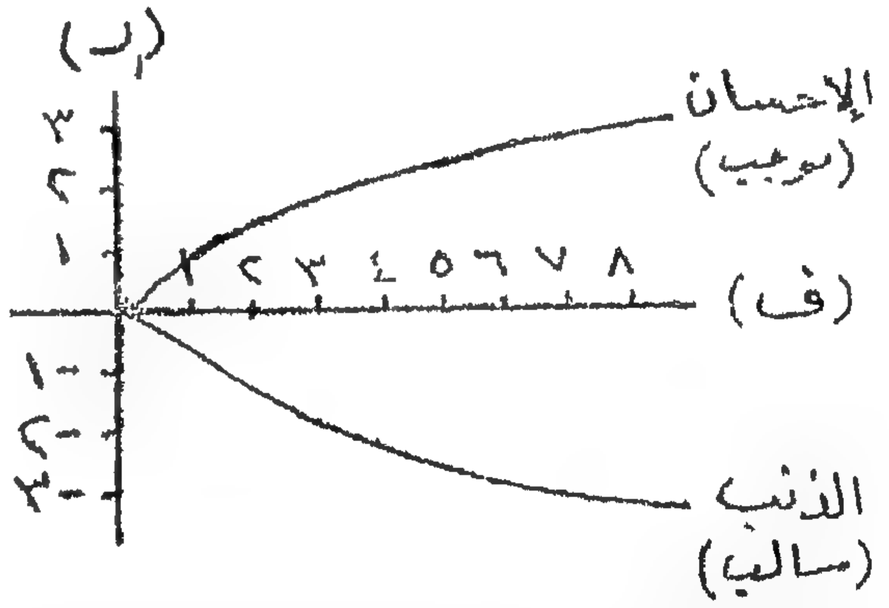


| ف | ١ | | ٤ | | ٩ | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ر٢ | ١ | ١- | ٢ | ٢- | ٣ | ٣- |

فإذا أخذنا قيما مختلفة من ف وحسبنا القيم التى تحقق المعادلة من ر وجدنا أن لكل قيمة من «ف» قيمتين تقابلانها من «ر» وتحققان المعادلة ، تكون إحداهما موجبة والأخرى سالبة . فمثلا لو كانت ف = ٤ تكون هناك قيمتان لـ«ر» تحققان المعادلة وهما ٢ ، و ( ـ ٢ ) ؛ لأن مربع كليهما يساوى ٤ . ( (٢ × ٢ ) = ٤ ، ( ـ ٢ × ـ ٢ ) = ٤ )

فإذا كان «فعل» ما قيمته ٤ كانت له من حيث «الرزق» قيمتان إحداهما موجبة وهى ٢ ـ (الإحسان) ، والأخرى سالبة ( ـ ٢ ) (الذنب) .

وهكذا يكون الشيء واحدا وتختلف نتيجتاه . وأيضا فهناك الحالة الأخرى التى يكون فيها الشيئان متباعدين وإن اتفقا فى الصفة ـ كما سنرى فيما بعد .

ولننظر الآن كيف تتحول المعانى ـ القيم إلى ما يعاكسها عندما تسلك فى علاقات جديدة غير التى ارتبطت بها من قبل .

قال المتنبي يمدح على بن منصور :

فإذا أخذنا قيما مختلفة من ف وحسبنا القيم التى تحقق المعادلة من ر

شَادُوا مناقبهُمْ وشدْت مناقِبا
وُجدتْ مناقبهم بهنَّ مثاليا

فلهؤلاء مناقبهم التى يحق لهم أن يعتزوا بها ويفخروا . وتظل هذه المناقب محتفظة بقيمتها ما دامت تنسب إليهم . ولكنها لو أُدخلت فى علاقة جديدة مع مناقب الممدوح تغير الأمر . وكذلك الحال إذا هى نظر إليها من خلال مناقب هذا الممدوح ؛ فسواء دخلت هذه القيم فى علاقات جديدة أو أُدخلت فيها فإن النتيجة واحدة ، هى أنها تتغير إلى حد أنها تنقلب إلى ضدها ، فما كان يعد من قبل منقبة يصبح نقيصة ، وما كان مزية يصبح عيبا .

وفى هذا الاتجاه يمكننا أن نفهم قول المتنبى فى قصيدته التى يمدح بها أبا أحمد عبيد الله البحترى المنبجى :

أَرَاهُ صغيراً قَدْرُهَا عُظْمُ نفسها
فما لعَظيم قَدْرُهُ عِنْدَهُ قدْرُ

فالأشياء العظيمة إذا قيست بعظمته بدت صغيرة ؛ أى أنها تنقلب من خلال هذه العلاقة الجديدة إلى ضدها .

وكذلك قوله يمدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكى :

وأَسْتكْبِرُ الأَخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغَّر الخبر الخَبْرُ

فالأخبار كانت قد رسمت لذلك الرجل فى نفس المتنبى صورة يعدها عظيمة بل مبالغا فى تهويلها ( أستكبر — أراه أكبر من المألوف ) ، ولكنه عندما التقى به ، وأصبح فى مقدوره أن يعاين صورة ذلك الرجل بنفسه ، رأى تلك الصورة القديمة تتراجع وتضؤل أمام الصورة العيانية .

وخلاصة هذا أن الشىء فى ذاته قد تكون له قيمة إيجابية إذا نظر إليه مستقلا عن غيره من الأشياء ، لكن المتنبى لايقنع حتى يدخله فى علاقة مع غيره ، ويتمثله فى ظرف غير الظرف الذى كان فيه ، وعند ذاك يتراءى له أن تلك القيمة الإيجابية فيه لم تكن إلا شيئا نسبيا ، حتى إنها ليمكن أن تعد عند مرحلة من مراحل التدرج النسبى لسلّم القيم قيمة سلبية . وهذا منطق خاص بالمتنبى ؛ إذ يرى دائما أن أى قيمة (موجبة ) تتراجع أمام قيمة أخرى فإنها تدخل فى منطقة (السلبى ) .

— ٥ —

والان نستطيع أن نقول إن الأشياء تتحرك دائما أمام عينى المتنبى بين

السلب والإيجاب ، فتتحدد قيمتها من خلال هذه الحركة . وهذه الحركة التى تتم فى الواقع المعاين تنعكس على عقله ، فتصبح أساس منهجه فى التفكير وفى بناء المعنى على السواء . وإذا كانت الأشياء لاتكف عن الحركة بين السلب والإيجاب فإن عقل المتنبى يبدو لنا دائم الحركة بينهما ، ومن ثم معانيه .

وقد رأينا وشيكا كيف يتحول (الموجب) أمام عينيه وفى عقله إلى (سالب) ، بما يدل على عدم استقرار القيم فى منظوره . والآن نقول إن هذا الذى رأيناه ليس إلا شكلا واحدا من أشكال حركة المتنبى بين السلب والإيجاب ؛ وإلا فإنه قد استوعب كل الأشكال الممكنة للعلاقة بين السلب والإيجاب كما يدلنا على هذا شعره .

ولنحاول الآن أن نقف على ما هيأته له هذه الأشكال من قدرة على استنبات المعانى التى وصفت ذات يوم بأنها «تخرق العقول» .

لننظر أولا كيف ينقلب السالب إلى موجب فى عقل المتنبى أو فى رؤيته .

يقول فى رثاء جدته :

منافعها ـ ماضرّ ـ فى نفع غيرها
تغذى وتروى أن تجوع وأن تظما

إن ماهو ضار بجدته كان نافعا لغيرها ، فقد كانت تحرم نفسها وتؤثر بما لديها غيرها . هناك إذن ضرر واضح يلحق بها نتيجة هذا الحرمان ، ولكنه يصبح نفعا يفيد منه الآخرون . فضرر الجدة (السالب) يؤدى إلى نفع غيرها (الموجب) .

ومرة أخرى يعود السلب فينقلب إيجابا حين نرى أن جوع الجدة وظمأها قد انقلبا غذاء وريًّا لها . ذلك أن جوعها وظمأها ، اللذين يضران بها فى الواقع الحسى ، يتحولان ـ من خلال ما تحقق عن طريقهما من نفع للآخرين ـ إلى غذاء وريٍّ ينعشان روحها . وهكذا كان انتفاع الجدة بما هو فى ظاهر الأمر ضار ، أو هكذا انقلب السالب إلى موجب .

وفى هذا الاتجاه يمكننا فهم بيته الذى يقول :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد

فالمصائب – وهى تمثل السالب فى هذا السياق – تنقلب إلى فوائد ، أى إلى عنصر موجب .

هذا شكل من أشكال تطاحن السالب والموجب فى عقل المتنبى وفى رؤيته .

والشكل الثانى يتمثل لديه فى حركة الموجب نحو السالب ، حتى لينقلب الإيجاب سلبا . ومن هذا قول المتنبى من قصيدته فى رثاء أخت سيف الدولة :

وإن سَرَرْن بِمَحْبُوبٍ فجَعْن بِهِ
وقدْ أَتَيْنَكَ فى الحالين بالعَجب

والكلام عن الأيام وطبيعتها ، وعن القانون الماثل فيها أو الذى يحكمها . فهى قد تسر الإنسان أحيانا بشىء ، ولكنها تعود فتجعل هذا الشىء نفسه سبباً للفجيعة والأسى . وهكذا ينقلب الفرح إلى حزن ، فيتحول الإيجاب (الذى هو السرور فى هذا السياق ) إلى سلب ، وهو الفجيعة .

ويلحق بهذا الشكل أن يصطدم السلب بالإيجاب فينشأ عن ذلك سلب بالضرورة . وتتمثل لنا هذه الحقيقة فى مثل قوله :

إذا قَلَّ عَزْمى عن مَدًى خوْفَ بُعْدِهِ
فَأَبْعدُ شىءٍ ممكنٌ لم يجدْ عزما

فالإمكان إيجاب ، وقلة العزم سلب ، فإذا التقى الممكن بقلة العزم أصبح غير ممكن ، ومسار أبعد شىء عن التحقيق . والمتنبى فى هذا يلتقى التقاء عجيبا مع القاعدة الرياضية المعروفة ، التى لا يجادل أحد فى صحتها ، والتى تكتب صيغتها على هذا النحو :

( – = – × + )

على أن عملية انقلاب الإيجاب إلى السلب فى منظور المتنبى لا تتم نتيجة لعملية تجريد ، ولا تتحقق كذلك بصورة آلية ؛ فقد كان على وعى كامل بالعمليات الدينامية التى تصحب هذا الانقلاب . وقد عبرنا عن هذه الظاهرة فى منطق تفكيره من قبل بكلمة ( التحول ) . فالأشياء تتحول نتيجة للفعاليات أو المؤثرات الحيوية المختلفة فيتحول المعنى . فإذا قلنا إن الإيجاب عنده ينقلب سلبا فإننا نأخذ فى الاعتبار هذه العمليات الحيوية . وقد كان المتنبى نفسه على وعى بهذه الحقيقة ، ودلنا عليها عندما قال من قصيدة له فى سيف الدولة :

وكم ذنبٍ مُوَلِّدُه دَلال
وكم بُعْد مُولده اقترابَ

فإذا كان الدلال إيجابا والذنب سلبا، وكان الاقتراب إيجابا والبعد سلبا. فإن الإيجاب فى كلتا الحالين لا يصبح سلبًا بطريقة آلية أو مفاجئة . بل يتولد السلب من الإيجاب شيئًا فشيئا ، حتى إذا صار سلبًا كاملا اختفى الإيجاب نهائيا . فالاقتراب — مثلا — لا يولد البعد فى لحظة ، بل على مدى من الزمن ، تتم خلاله عمليات تشكل الوليد ( البعد ) حتى يكتمل ، وعند ذاك يحل البعد محل القرب ، أى يتحقق السلب نهائيا لتلاشى الإيجاب نهائيا .

أما الشكل الثالث من حركة المتنبى بين السلب والإيجاب فهو الذى يجمع فيه بين الشكلين السابقين ، أى أنه يستخرج الإيجاب من السلب ، والسلب من الإيجاب معًا . وليس غريبًا وقد تمرس المتنبى بكل من هذين الشكلين على حدة ، أن يجمع بينهما فى مركب واحد.

لقد كان هذا الضرب من التفكير فى الأشياء قد صار عادة لديه فلا يجد فى استنباطه أدنى صعوبة ، فى حين يتعب الآخرون فى فهمه .

ولنضرب لهذا الشكل مثالا من مدح المتنبى لأبى علىٍّ الأوارجى الكاتب ، حيث يقول :

مَنْ نفْعُهُ فى أن يُهَاج ، وضرُّهُ
فى تَرْكِهِ . لو تَفْطِنْ الأعداءُ

فأمامنا فى هذا البيت حالتان للرجل ، حالة نفع ( إيجاب ) وحالة ضر ( سلب ). فإذا نظرنا فى الحالة الأولى كيف يتم له النفع وجدنا هذا رهنا بأن يهيجه أعداؤه إلى الحرب . والحرب بطبيعتها غير مأمونة العواقب ، ولكنها بالنسبة إلى رجل تمرس بها مثله تصبح مثار لذته واستمتاعه . إنه فى خلالها وعن طريقها يجد نفسه . فإذا كان وجدانه لنفسه ولذته واستمتاعه تمثل مجتمعة قيمة إيجابية فإن هذا الإيجاب لا يتحقق — كما رأينا — إلا من خلال الحرب ( السلب ) .

أما فى الحالة الثانية فإن الضر ( وهو قيمة سلبية ) يتحقق له إذا ما تركه أعداؤه فى راحة ودعة . فحالة المسالمة

أو السلام إذن ( وهى تمثل القيمة الإيجابية ) هى التى تقتل نفسه أو تلحق بها الأذى[1] .

وهكذا يتولد الإيجاب فى الحالة الأولى من السلب ، ويتولد السلب فى الحالة الثانية من الإيجاب . والحالتان معا ترتبطان بشخص واحد .

وسوف يجد المتأمل فى شعر المتنبى أنه يتقن استخدام هذا الشكل المركب من موجبين وسالبين وينوع عليه تنويعات مثيرة . ومثال هذا قوله من قصيدة يمدح بها أبا العشائر الحمدانى :

فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وأَصْغَرَهُ
( أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الذى فعلهُ

فهناك فعل لأبى العشائر ، يراه الآخرون كبيراً ( قيمة إيجابية ) ويراه هو نفسه صغيرا ( قيمة سلبية ). ثم هناك فعله الذى رآه الناس كبيرا واستصغاره إياه وتهوينه من شأنه . هذا الفعل الكبير ينقلب صغيرا بالقياس إلى فعل الاستصغار نفسه ، الذى صدر عنه . ومن ثم يصبح الفعل الكبير قيمة سلبية بعد أن كان قيمة إيجابية ، وذلك بالقياس إلى فعل الاستصغار الذى يحمل قيمة إيجابية أعلى ، تأسيسا على نظرة المتنبى العامة التى سبق شرحها ، وهى أنه إذا تفوق إيجاب على إيجاب فإن الإيجاب المتراجع يصبح فى منطقة السلب بالنسبة للإيجاب المتفوق .

( على سبيل المثال ، يصبح سيف الدولة ولو إلى حين – فى منطقة السلب بعد أن كان إيجابا ، وذلك عندما يرى المتنبى فى كافور – إلى حين أيضا – إيجابا يفوقه ) .

ومن هذا الباب أيضاً أن المتنبى قد ألف أن يستخدم صيغ اللغة المثبتة ( أى الموجبة ) ليدل بها على معنى سلبى ، والصيغ المنفية ( السالبة ) ليدل بها على معنى إيجابى ، ومن هذا قوله :

حُسْنُ الحضارة مجْلوبٌ بِتَطْرِيَة
وفى البداوة حُسْنٌ غيرُ مجلوبِ

---

(١) ربما كان هذا المعنى نفسه قد صيغ بصورة أوضح فى قول المتنبى فى سيف الدولة :

وأنت المرء تمرضه الحشايا  لهمته ، وتشفيه الحروب

فالراحة ( الإيجاب ) تجلب المرض ( السلب ) ، والحرب ( السلب ) تجلب الشفاء ( الإيجاب ) .

فصيغة مجاوب بتطارية إيجابية ، وصيغة غير مجاوب سلبية ، وهى سلب للإيجاب الأول نفسه . لكن المعنى المقصود من هذا الإيجاب معنى سلبى ، لأن المتنبي يرى فى الحسن المصنوع نقصا وعيبا . والمقصود من هذا السلب معنى إيجابى ؛ لأن الحسن غير المجاوب هو الحسن الذى انتفى منه النقص والعيب ، فهو الحسن الحقيقى ( الإيجابى ) :

ومن هذا الباب أيضا أن يستخرج المتنبي من الموجب سالبا ، ثم يعود فيستخرج من هذا السالب نفسه موجبا. ولنمثل لهذا بقوله فى سيف الدولة :

فوْتُ العدُوِّ الذى يمَّمْتهُ ظفَرٌ
فى طيِّهِ أسفٌ ، فى طيِّهِ نِعَم

فهروب الأعداء دون حرب أمام جيش سيف الدولة هو فى دلالته الأخيرة انتصار له عليهم . وهذا الانتصار قيمة إيجابية بلا شك . ولكن هذا الانتصار الذى تحقق بلا حرب كان سببا فى أن ولد الحزن والأسى فى نفس سيف الدولة ، لأنه لم ينتصر عن حرب حقيقية. والحزن أو الأسى هنا قيمة سلبية . وعلى الرغم من هذا فقد كانت نتيجته نعمة على المحاربين من جيش سيف الدولة ، لأنهم غنموا أنفسهم ولم يتكبدوا أهوال الحرب . وهذا الغنم قيمة إيجابية .

ونحسب الآن أن هذا الشكل من أشكال حركة المتنبي بين السلب والإيجاب وما يرد عليه من تنويعات قد صار على قدر كاف من الوضوح .

وننتقل الآن إلى الشكل الرابع من أشكال الحركة بين السلب والإيجاب فى عقل المتنبي ، وهو شكل أسرف فى استخدامه ولكنه أتقنه على نحو يجعله متفردا فيه .

ويتمثل هذا الشكل فى أن المتنبي يستخرج القيمة الموجبة عن طريق ضرب السلب بالسلب .

ولنوضح هذا من خلال بعض الأمثلة . ولنبدأ بالأوضح المشهور .

يقول المتنبي :

وإذا أتتك مَذمَّتِى من ناقص
فهى الشهادةُ لى بأنِّىَ كاملُ

فالمَذَمة سلب ، تصدر عن الناقص ( وهو أيضا فى موقع السلب ) ، ونتيجة التقاء هذين السلبين هو الدلالة على الكمال ( وهو القيمة الموجبة ) . وهذه الصيغة هى التى يعبر عنها رياضيا على هذا النحو (— × — = +)

وقس على هذا قول المتنبى فى بدر ابن عمار :

أميرٌ أميرٌ عليه النَّدَى
جَوادٌ بخيلٌ بأَلاَّ يجُودا

فقوله : بخيل ، سلب ، وقوله بألا يجودا ، سلب آخر ، أدخل أحدهما على الآخر فانتفيا معا لكى يبرز الجود ، وهو القيمة المقابلة الإيجابية .

وقس عليه كذلك قوله فى صباه :

عهْدِى بمعركةِ الأَمبرِ وخيْلِهِ
فى النَّقْع مُحْجِمَةً عن الإحْجام

فالمعادلة هنا يمكن أن تكتب هكذا :

الاحجام عن الإحجام = (— × —) = + = الإقدام

وقس عليه كذلك قوله فى بدر بن عمار :

لايَسْتكِنُّ الرعب بين ضلوعه
يوماً ولا الإحسانُ ألاَّ يُحْسِنَا

فهو كما يقول الواحدىُّ فى شرحه : لا يحسن ألا يحسن . ومعادلتها هى نفس المعادلة : سالبان يتسلط أحدهما على الآخر فينتج عنهما موجب ( لا إحسان × إحسان = — × — = + = إحسان ) .

وهذا هو الشكل فى صورته البسيطة . ولكن المتنبى — وقد أتقنه — يستطيع فى بعض الأحيان أن يصنع منه بناءً أكثر تركيبا .

ومثال هذا قوله :

قد كان يَمْنعُنِى الحياءُ مِن البُكَا
فاليومَ يَمْنعُهُ البُكا أن يمنعا

فهنا يرتبط الحياء بالبكاء بعلاقتين جزئيتين فى زمنين مختلفين هما الأمس واليوم . وتجتمع هاتان العلاقتان الجزئيتان فى علاقة واحدة يمكن التعبير عنها رياضيا على النحو التالى : ح × ب = صفرا ، حيث ح هو الحياء و ب هو البكاء . وهذه العلاقة هى علاقة خطين

متعاملين ، وجود أحدهما يلغى الاخر .

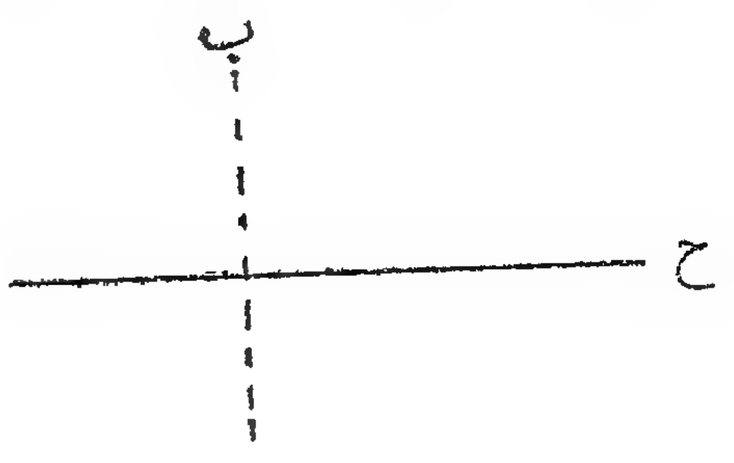


فأى نقطة على الخط ح يقابلها فى الخط ب صفر ، وأى نقطة على الخط ب يقابلها فى الخط ح صفر . أى أنه إذا وجدت أى قيمة ل ح فإن المعادلة لاتصح إلا بأن تكون قيمة ب صفراً وإذا وجدت أى قيمة ل ب فإن المعادلة لاتصح إلا بأن تكون قيمة ح صفرا .

يؤكد هذا فى البيت أن ح ( الحياء ) فى الماضى كان ينفى ب ( البكاء ) نفيا كليا ، وأن ظهور ب (البكاء) فى الحاضر قد نفى ح ( الحياء ) ، الذى كان فى الماضى نفيا ل ب ، أى نَفى النفْى . وظهور ب ( البكاء) فى الحاضر على هذا النحو جعل ح (الحياء ) صفرا .

وقد نتساءل الآن بعد أن سجلنا الظاهرة المميزة لعقلية المتنبى ولحركة المعانى عنده فنقول : وماذا بعد ؟

والواقع أن الظاهرة العقلية لايمكن أن تنفصل فى هذه الحالة عن منهج السلوك العملى . فهذه القيم التى تتراءى للشاعر غير مستقرة ، حيث يتحول الموجب إلى سالب والسالب إلى موجب ، وحيث يتولد من اصطدامها نتائج مختلفة ـ هذه القيم تشكل سلوك المرء وتؤثر فى موقفه من الناس والأشياء والحياة بعامة . ونزعم الآن أنه فى ضوء الظاهرة التى شرحناها يمكن تفسير سلوك المتنبى فى حياته ومع الناس .

ومع أن هذا التفسير ليس أساسا من هدف هذه الدراسة ،إذ هدفها الأساسى هو تبين السر فى تفرد شعر المتنبي فى خضم الشعر العربى ، فإننا مع هذا نشير إلى حقبة مهمة من حياة المتنبي ، هى الحقبة التى ارتبط فيها بكافور . فقد توزع شعره فى كافور بين المدح والهجاء ، وهذا فى جملته لا يبدو غريبا من رجل عرف جيدا أن الإيجاب يمكن أن ينقلب إلى سلب ، وأن الشىء الواحد يمكن أن يقبل الوصفين فى ظرفين مختلفين ، أو عند دخوله فى علاقتين مختلفتين . هذا :

وقد يَتقَارَبُ الوصْفَانِ جدًّا
ومَوْصُوفَاهما مُتَباعِدانِ

كما يقول فى مدح عضد الدولة :

لابأس إذن فى أن يقول فى مدح كافور :

فجاءتْ به إنسان عيْن زمَانِهِ
وخَلّتْ بياضًا خَلْفَها وما قِيَا

فلا يكون هناك مدح لأسود أحسن من هذا . كما يقرر ابن الشجرى . وذلك أن المتنبي رأى فى السواد الذى يمثله كافور أعلى قيمة تتحقق لإنسان . وعندئذ لك يتراجع البياض ويفقد قيمته .

لكنه من منظور آخر يعود فيدخل السواد فى علاقة جديدة مع البياض حين يتذكر أن البيض (ولعل صورة سيف الدولة كانت ماثلة له عند ذاك) عجزوا من قبل عن الصنيع فكيف له أن يتوقع الخير من الخصية السود (الذين يمثلهم فى تلك اللحظة كافور) .

وقد حاول نقاد المتنبي القدامى وشراح شعره أن يتلقطوا المواطن التى كان فيها مادحا ولكنه أخفى الهجاء فى باطن المدح . وما أحسبهم كانوا فى حاجة إلى هذا التفتيش والعناء والمتنبى نفسه يصرح بأنه يصنع المدح الذى هو فى حقيقته هجاء .

يقول عن مدحه لكافور :

فما كان ذاك مدْحاً لَهُ
ولكنه كانَ هجْوَ الْورَى

أى أنه إذا كان هناك من يعتقد أن هذا كان مدحا لشخص كافور فهو مخطئ ؛ فقد كان هذا المدح فى حقيقته هجاء لكل الناس الذين سمحوا لإنسان فى حقارة كافور أن يكون سلطانا عليهم .

إنه إذن يستخدم فى هذا المدح القيم الإيجابية ليدل بها أو يستخرج منها القيم السلبية .

وبعد ، فإنَّ إنسانًا هذا منطق تفكيره ، وهذه نظرته إلى القيم الموزعة بين السلب والإيجاب ، والمتحولة دائما من النقيض إلى النقيض ، ما كان له أن يقرَّ له قرار ، أو يذوق طعم الراحة فى حياته ، بل كان طبيعيا أن يعيش قلقا معذبا بنفسه وبالآخرين ، وأن يلاحقه الإحباط حتى آخر لحظة من حياته . والشىء الوحيد الذى نجح فيه هو أنه ترك للاخرين مصدر قلق وتعذيب دائم ، وإن كان ينطوى فى الوقت نفسه على متعة لاتنتهى ، ألا وهو شعره .

**عز الدين اسماعيل**

# اللغة والنحو فى فكر الفارابى الفيلسوف

للدكتور عبد الكريم خليفة

أبو نصر هو محمد بن محمد بن طَرْخَان الفارابى الفيلسوف ؛ وسمى الفارابى نسبة إلى مدينة فاراب من حواضر مدن الترك وراء نهر سيحون قريبة من كاشغر إحدى المدن العظام فى تخوم الصين [1] . وكان مولده فى فاراب حوالى سنة ٢٥٩ هـ ونشأ وترعرع وقضى وقتا غير قصير فيها .

وتشير الروايات التى بين أيدينا إلى أن الحياة العلمية كانت مزدهرة فى هذه المدينة ، شأنها فى ذلك شأن بقية مراكز الإشعاع الثقافى والعلمى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وعلى امتداد دار الإسلام من أواسط آسيا شرقاً إلى الأندلس وحاضرتها قرطبة فى أطراف أوربا غربا .

وتحدثنا الروايات أن أبا نصر قد عاصر فى فاراب هذه لغويين مشهورين هما : إسحاق بن إبراهيم الفارابى ( ت . ٣٥٠ هـ ) صاحب ديوان الأدب والجوهرى ( ت ٣٨٦ هـ ) صاحب الصحاح . ويولى الأستاذ الجليل ، إبراهيم مدكور فى بحثه القيم « الفارابى والمصطلح الفلسفى ( ٢ ) أهمية خاصة لهذه البيئة الأولى فى التكوين اللغوى للفارابى الفيلسوف . وعندما رحل إلى بغداد كان فى حوالى الخمسين عاماً من عمره ، وكانت بغداد إذ ذاك حاضرة الدنيا ومركز العلم والحضارة ولا شك أن أبا نصر كان له حظ وافر فى هذه الأوساط العلمية . . . . وإنَّ عنايته بالعربية وعلومها قادته ولا شك إلى الاتصال بأوساط النحاة واللغويين .

---

(*) ألقى البحث فى الجلسة الخامسة ليوم السبت ٢٧ / ٢ / ١٩٨٨ م .

(١) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ – ١٥٧ .

(٢) انظر : الفارابى فى الذكرى الألفية ، ص ٢٢ .

ويحدثنا ابن أبى أصيبعة ، أن الفارابى قد اتصل بابن السراج ( ت ٣١٦ هـ ) وأنه كان يقرأ عليه النحو ويقرئه المنطق . وتشير المعلومات التى بين أيدينا إلى أن وصوله إلى بغداد كان ما بين عامى ٣٠٦ هـ و ٣٠٨ هـ . . . . ثم رحل إلى حلب والتقى بالأمير سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٣٤ هـ ، وكان بلاطه موئل كبار العلماء والأدباء والشعراء . . . وتنبئنا الأخبار بأنه رحل معه إلى دمشق . وتوفى أبو نصر ، رحمه الله ، فى رجب سنة ٣٣٩ هـ كما تشير معظم الروايات[1] .

ونحن نشارك الأستاذ مدكور بأن أبا نصر الفارابى لم يلق ما يستحقه من البحث والدراسة فى جوانب فكره الخصب ، وأن ابن سينا وابن رشد قد طغيا عليه وحجبا توجيه الاهتمام إلى دراسة فكره وفلسفته ، والآثار التى تركها فى الفكر الإسلامى بخاصة والفكر العالمى بعامة ، ونود أن نضيف إلى ذلك بأن حيفاً قد لحقه أيضاً فى العصر الحديث حيث قاد الوهم بعض الباحثين إلى الوقوع فى اللبس بين أبى نصر الفارابى الفيلسوف وبين إسحاق بن إبراهيم الفارابى اللغوى صاحب ديوان الأدب الذى أشرنا إليه سابقاً . . . . . وربما كانت المعاصرة والعلاقة العلمية بينهما فى فاراب ، والانتساب إلى المدينة ذاتها ، سبب هذا اللبس .

وكان للتكوين اللغوى أثر مهم فى حياة الفارابى العلمية والفكرية وإنّ تمكنه من العربية[2] لغةً ونحواً واهتمامه الواضح فى دراسة النحو على شيوخ النحاة سواءٌ أكان ذلك فى فاراب أم فى بغداد ، فضلا عن مجالس سيف الدولة الحمدانى فى حلب ، قد أدى به فى كل ذلك إلى صياغة ما نستطيع أن نسميه نظرية متكاملة تتناول اللغة من حيث هى لغة بجوانبها المختلفة ، فمنها ما يمسّ الألفاظ وأحوالها التى

---

(١) انظر : ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٠٣ – ٦٠٩ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ – ١٥٧ .

تشترك فيها جميع الأُمم ومنها مايمسّ النحو من حيث قواعده وقوانينه التى تنظم الألفاظ والتراكيب ومنا ما يمسّ الأصوات والحروف . . . وينتقل منها إلى صياغة نظرية كلية فى تحديد علاقة اللغة بالفكر .

ونحن لا نهدف فى هذا البحث المتواضع أن ندرس أُصول هذه النظرية عند الفارابى والمصادر التى إستلهما فى تحديد نظرية اللغوية ، ولكننا نريد أن نوجّه الاهتمام إلى أهمية دراسة الجانب اللغوى بعامة والنحوى بخاصة فى فكر الفارابى الفيلسوف . فقد شهدت الدراسات اللغوية والنحوية ازدهارا بلغ الذروة ، بل وحد النضوج فى القرنين الرابع والخامس الهجريين . فالحديث عن « علم اللغة » وعن « علم النحو » وعن الأصوات والتجويد فى نطقها ، قد سبق الفارابى الفيلسوف بمدة طويلة . . . وكان الخليل بن أحمد فيما أثبته تلميذه سيبويه فى « الكتاب » باع طويل فى تحديد هذه العلوم ووضع أصولها فى العربية .

وكما شغل اللغويون والنحاة فى القرن الرابع الهجرى فى دراسة اللغة بألفاظها ونحوها وصرفها وشواهدها على مختلف المستويات العلمية والتعليمية ، فقد شغل أيضاً الفلاسفة والمفكرون بالقضية اللغوية من حيث مفهومها العام الذى يتجاوز لسانا ما يعنيه إلى ما هو مشترك فى ألسنة جميع الأُمم . وهذا ما نجده منذ وقت مبكر عند فيلسوفنا الفارابى وكذلك عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء فى رسائلهم فضلا عن مفكرى وفلاسفة القرنين الخامس والسادس الهجريين أمثال ابن سينا وابن حزم وابن طفيل وابن رشد وابن ماجه والشهرستانى وغيرهم .

وقد احتلت القضية اللغة المكانة الأُولى فى تقسيم العلوم عند الفارابى . وهذا ما نجده مثلا فى كتابه الذى سمّاه . « إحصاء العلوم » . فجعل هذا الكتاب فى خمسه فصول ، وكان الفصل الأول فى علم اللسان وأجزائه ويليه فى الأهمية الفصل الثانى فى « علم المنطق » وهو ما اشتهر به وكان من شيوخه الأوائل .

وقد حدّد الفارابى قصده فقال : « قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علما علما ، ونعرّف جمل ما يشتمل كل واحد منها ، وأجزاء كل ما له منها أجزاء ، وجمل ما فى كل واحد من أجزائه ، ونجعله فى خمسة فصول. . . . »[1]

فمن الواضح أنه يهدف إلى إحصاء من ناحية ومن ناحية أخرى إلى تبيان مراتبها وفق منهج معين ، ولا أدلّ على ذلك من تأكيده المستمر فى بحوثه عن العلاقة العضوية بين علم اللسان من جهة وعلم المنطق من جهة أخرى وعلاقتهما المتسلسلة بالعلوم الأخرى وفق مراتبها .

ونلاحظ أن الفارابى قد تجاوز فى مفهومه « علم اللسان » اللغات الخاصة بكل أمة على حده ، إلى الحديث عن علم شامل تشترك فى أصوله جميع اللغات إذ يقول : « وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى : علم الألفاظ المفردة ، وعلم الألفاظ المركبة ، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة ، وعلم قوانين تصحيح الكتابة ، وعلم قوانين تصحيح القراءة وعلم قوانين الأشعار[2] ويرى الفارابى أن علم اللسان هذا يكون فى جملة على ضربين : أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما ، وعلم ما يدّل عليه شىءٌ منها ، والثانى علم قوانين تلك الألفاظ[3] .

ثم يقف الفارابى عند تحديد مفهوم مصطلح « القوانين » فيضع له تعريفاً شاملا ، يفسح فيه المجال كى « تأتى أى القوانين ، على جميع الأشياء التى هى موضوعة للصناعة أو على أكثرها . . . وفى قوله : « أو على أكثرها ... »[4]

---

(١) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٩ .

(١) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٧ .

(٢) انظر : المصدر ذاته .

(٣) انظر : المصدر ذاته .

يحتاط فيه لتفسير الشاذ عن القواعد اللغوية . . فالقوانين فى كل صناعة ، على حد تعبير الفارابى هى أقاويل كلية أى جامعة ينحصر فى كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه تلك الصناعة وحدها حتى تأتى على جميع الأشياء التى هى موضوعة للصناعة أو على أكثرها [1] .

ويحرص الفارابى على تحديد مصطلحاته العلمية ، فنجده يحدد مفهوم « القوانين » بأنها « الأقاويل الكلية » . . . . وذلك من أجل أن ينبه إلى تطور معنى مفهوم « القوانين » . . . فقد كان القدماء يسمون كلّ آلة عملت لامتحان ما عسى أن يكون الحسّ قد غلط فيه – من كمية جسم أو كيفيته أو غير ذلك مثل الشاقول والبركار والمسطرة والموازين ، قوانين . ويسمون أيضا جوامع الحساب وجداول النجوم قوانين ، والكتب المختصرة التى جعلت تذاكير الكتب الطويلة ، قوانين... [2]

ونجد الفارابى ، بعد أن يحدد مفهوم « القوانين » بمعناه الإصطلاحى الذى يستخدمه هو ، نجده ينتقل إلى تحديد الغايات النفعية من استخلاص هذه القوانين أو الأقاويل العامة ، فهى على حدّ تعبيره معدّة إما ليحاط بها ما هو من تلك الصناعة لئلا يدخل فيها ما ليس منها أو يشذ عنها ما هو منها ، وإما ليمتحن بها مـا لا يؤمَن أن يكون قد غلط فيها غالط ، وإما ليسهل بها تعلم ماتحتوى عليه الصناعة وحفظها [3] .

وبعد هذه التحديدات الضرورية ، نستطيع أن نتحرّى الملامح العامة لِبُنْيَةِ ما يمكن أن نسميه نظرية الفارابى فى اللغة والنحو وعلاقة اللغة بالفكر ...

يرى الفارابى أن الألفاظ الدالة فى لسان كل أمة ضربان : مفرد ومركب . فالمفرد كالبياض والسواد والإنسان والحيوان .

---

(١) انظر : المصدر ذاته .

(٢) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٨ .

(٣) انظر : إحصاء العلوم ص ٥٧ .

(٤) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٨ – ٥٩ .

والمركب كقولنا : الإنسان حيوان ، وعمر أبيض ... والمفردة منها ما هى ألقاب أعيان ، مثل : زيد وعمرو ، ومنها ما يدل على أجناس الأشياء وأنواعها مثل : الإنسان والفرس والحيوان والبياض والسواد . والمفردة الدالة على الأجناس والأنواع ، منها أسماء ، ومنها كلم ، ومنها أدوات . ويلحق الأسماء والكلم التذكير والتأنيث والتوحيد والتثنية والجمع ويلحق الكلم الأزمان وهى الماضى والحاضر والمستقبل[1] ولاشك أن المنهج الذى اتبعه الفارابى ، منهج سليم ، فهو إذ يتحدث عن نظرية عامة بعلم اللسان ، فإنه يأتى بأمثلته وشواهده من اللغة العربية ، النظرية العامة لعلم اللسان . هذا وتدل الروايات التى بين أيدينا أن أبا نصر كان يحسن عدداً من اللغات[2] .

يقوم الفارابى الفيلسوف بتحديد الأجزاء العظمى التى ينقسم إليها علم اللسان عند كلّ أمة من الأمم . وأول هذه الأجزاء هو « علم الألفاظ المفردة الدالة » ويحتوى على علم ما تدل عليه لفظة من الألفاظ المفردة الدالة على أجناس الأشياء وأنواعها وحفظها وروايتها كلها ، الخاص بذلك اللسان والدخيل فيه ، والغريب عنه والمشهور عند جميعهم[3] .

وثانى هذه الأجزاء ، علم الألفاظ المركبة وهو علم الأقاويل التى تصادف مركبة عند تلك الأمة ، وهى التى صنفها خطباؤها وشعراؤها ، ونطق بها بلغاؤها وفصحاؤها المشهورون ، وروايتها وحفظها ، طِوالًا كانت أو قصاراً موزونة كانت أو غير موزونة[4] .

وثالث هذه الأجزاء علم قوانين الألفاظ المفردة . ومما تجدر ملاحظته هو أن الفارابى يضع فى بحثه هذا أصول ما نسميه بعلم الصوتيات إذ يقول : « وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولا فى الحروف المعجمة ، عن عددها ، ومن أين يخرج

---

( ١ ) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ .

( ٢ ) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٩ .

( ٣ ) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٦٠ .

( ٤ ) انظر : إحصاء العلوم ص ٦٠

كل واحـد منها فى آلات التصويت ، وعن المصوّت منها ، وعما يتركب منها فى ذلك اللسان وعما لايتركب ، وعن أقل ما يتركب منها حتى يحدث عنها لفظة دالة ، أكثرما يتركب وعن الحروف الثابتة التى لا تتبدل فى بنية اللفظ عند لواحق الألفاظ من تثنية وجمع وتذكير وتأنيث واشتقاق وغير ذلك ، وعن الحروف التى بها يكون تغاير الألفاظ عند اللواحق ، وعن الحروف التى تندغم عندما تتلاقى ...(١)

وهكذا يستمر الفارابى الفيلسوف فى استقصائه الأجزاء التى أشار إليها ،ويتوقف عند « علم قوانين الألفاظ عندما تركب » فيأتى هذا العـلم أولاً على إحصـاء حالٍ من أحوال الأسماء الموحدة المتصرفة التى يلحقها فى كل حالٍ طرفٌ ما من أطراف الأسماء ، ثم يعطى مثل ذلك فى الأسماء المثناة والمجموعة إلى أن يستوعب الأحوال التى يتبدل فيها على الكلم أطرافها التى جعلت لها ، ثم يعرف الأسماء التى تتصرف فى بعض الأطراف ، وفى أيّها تتصرف وفى أيها لا تتصرف ، ثم يعرف الأسماء التى كل واحد منها مبنى على طرف واحد فقط. وأيها مبنى على أى طرف ...(٢)

ثم يتحدث عن « الأدوات » فى هذا الباب وعن الألفاظ التى يشك فى أمرها ، هل هى أدوات أو أسماء أو كلم ..

وفى حديثه عما يسميه علم قوانين الألفاظ عندما تركب ، يبدأ الفارابى الفيلسوف بصياغة نظرة متكاملة لما يمكن أن نطلق عليه « علم النحو العام » ؛ أنه لايتحدث عن نحو لغة معينة ولكنه يتحدث عن علم عام يشمل جميع الألسنة. ولذا نراه يقول : « وعلم قوانين الألفاظ عندما تركب ضربان : أحدهما يعطى قوانين أطراف الأسماء والكلم عندما تركب أو ترتب ، والثانى يعطى قوانين فى أحوال

---

(١) انظر : المصدر ذاته ، ص ٦٠ .

(٢) انظر : المصدر ذاته ، ص ٦٣ .

التركيب والترتيب نفسه ، كيف هى فى ذلك اللسان[1] » . ومن الواضح أن الفارابى هنا يشير إلى الأُصول العامة لعلم النحو وكذلك إلى أُصول علم البلاغة والفصاحة . وفى هذا العلم الأَخير يحدد أُصوله بقوله : « وأَما الضرب الذى يعطى قوانين التركيب نفسه ، فإنه يبين أولاً كيف تتركب الأَلفاظ وتترتب فى ذلك اللسان ، وعلى كم ضرب حتى تصير أقاويل ، ثم يبين أيها هو التركيب والترتيب الأَفصح فى ذلك اللسان[2] .

ويشغل « علم النحو » مكانة بارزة فى نظرة الفارابى إلى اللغة ، ولاشك أنه عنى بالنحو عناية شديدة . ويؤكد فى أماكن متعددة من أحاديثه على أهمية قوانين النحو من أجل تقويم اللسان وتجنب اللحن وفى حديثه عن علم النحو يقول :

« وعلم قوانين الأَطراف المخصوص بعلم النحو ، فهو يعرف أن الأَطراف إنَّما تكون أولًا للأَسماء ثم للكلم ، وأن أطراف الأَسماء منها ما يكون فى أوائلها مثل ألف لام التعريف العربية ، أو ما قام مقامها فى سائر الألسنة ، ومنها ما يكون فى نهاياتها وهى الأَطراف الأَخيرة وتلك التى تسمى حروف الإعراب . وإن الكلم ليس لها أطراف أول وإنما لها أطراف أخيرة . والأَطراف الأَخيرة للأَسماء والكلم هى فى العربية مثل التنوينات الثلاثة والحركات الثلاثة والجزم وشىء آخر إن كان يستعمل فى اللسان العربى طرفاً ...[3] وهكذا يستمر الفارابى فى حديثه عن المبنى والمعرب ، وما يَنْصرف وما لا يَنْصَرف ، وذلك فى إطار قوانين كلية تشمل علم اللسان من حيث هو علم عام ، وإن كان يبحث عن أمثلته فى اللغة العربية ، كما هو شأنه دائماً .

وتحتل القوانين والقواعد العامة مكانة أساسية فى فلسفة الفارابى وتفكيره ، سواء أكان ذلك فى العلوم أم فى اللغات . ولاشك أن المنهج المنطقى يشكل الركيزة الأَساسية فى منهجه اللغوى والنحوى والعلمى ... وهو لايفتأ يردد هذه المقولة ، فلنستمع

---

(١) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦١ .

(٢) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦٤ .

(٣) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦١ – ٦٢ .

إليه فى حديثه عن أهمية « علم قوانين المنطق » إذ يقول :

« وأما من زعم أن الدربة بالأقاويل والمخاطبات الجدلية أو الدربة بالتعاليم . مثل الهندسة والعدد تغنى عن علم قوانين المنطق أو تقوم مقامه وتفعل فعله ، وتعطى الإنسان القوة على امتحان كلّ قول ، وكلّ حجّة وكلّ رأى ، وتسدِّد الإنسان إلى الحق واليقين حتى لايغلط فى شىء من سائر العلوم أصلاً ، فهو مثل من زعم أن الدربة والإرتياض بحفظ الاشعار والخطب والاستكثار من روايتها يغنى فى تقويم اللسان وفى أن لايلحن الإنسان ، عن قوانين النحو ، ويقوم مقامها ويفعل فعلها وأنه يعطى الإنسان قوة يمتحن بها إعراب كل قول ، هل أصيب فيه أو لُحن فيه ، فالذى يليق أن يجاب به فى أمر النحو ها هنا هو الذى يجاب به فى أمر المنطق هناك »[1] .

فمن الواضح أن الفارابى يعتبر وجود قواعد النحو ضرورة للتعليم واجتناب اللحن وذلك إلى جانب الدربة بحفظ الأشعار والخطب والاستكثار من روايتها ... ولاشك أن الفارابى قد استطاع أن ينفذ إلى العلاقة الجوهرية التى تربط النحو باللغة ... وينبه الفارابى إلى أن وجود من لا يلحن أصلاً من بين أبناء هذا اللسان أو ذاك من غير أن يكون قد علم شيئًا من قوانين النحو ، لا يقلل من أهمية قوانين النحو للعالم والمتعلم ..... إذ يقول :

« وكذلك قول من زعم أن المنطق فضل لا يُحتاج إليه ، إذ كان يمكن أن يوجد فى وقت ما إنسان كامل القريحة ، لا يخطىء الحق أصلاً من غير أن يكون قد علم شيئًا من قوانين المنطق ، كقول من زعم أن النحو فضل ، إذ قد يوجد فى الناس من لا يلحن أصلاً من غير أن يكون قد علم شيئاً من قوانين النحو : فإنّ الجواب عن القولين جميعاً جواب واحد »[2] .

وبعد أن يضع الفارابى أصول علم النحو العام ، يتجه إلى ما يخصّ لسان كلّ أمة من الأمم ، فيقول :

---

(١) انظر : احصاء العلوم ص ٧٣ – ٧٤ .

(٢) انظر : احصاء العلوم ص ٧٤ .

« فعلم النحو فى كل لسان إنَّمَا ينظر فيما يخصّ لسان تلك الأُمة ، وفيما هو مشترك له ولغيره ، لامن حيث هو مشترك ،ولكن من حيث هو موجود فى لسانهم خاصة » . فهذا هو الفرق بين نظر أَهل النحو فى الأَلفاظ وبين نظر أَهل المنطق فيها : وهو أَن النحو يعطى قوانين تخصّ ألفاظ أُمة ما ، ويأْخذ ما هو مشترك لها ولغيرها ، لا من حيث هو مشترك ، بل من حيث هو موجود فى اللسان الذى عمل ذلك النحو له .

والمنطق فيما يعطى من قوانين الأَلفاظ ، إنَّما يعطى قوانين تشترك فيها ألفاظ الأُمم ويأْخذها من حيث هى مشتركة ، ولاينظر فى شىء مما يخصُّ ألفاظ أُمة ما ، بل يوصى أَن يؤخذ ما يحتاج إليه ذلك عن أهل العلم بذلك اللسان [1] .

ويتحدث الفارابى عن الخصوصيات النحوية التى ينفرد بها لسان دون آخر ، ولكن ضمن الصورة الكلية الشاملة لمفهوم النحو فى جميع الأَلسنة إذ يقول : « وهاهنا أَحوال تخصُّ لساناً دون لسان . مثل أَن الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب ، والمضاف لا يدخل فيه ألف ولام التعريف . فإنَّ هذه وكثيراً غيرها تخصُّ لسان العرب . وكذلك فى لسان كل أُمة أَحوال تخصّه » [2]

ولكن الفارابى ينظر إلى هذا التعدد فى خصوصيات كل لسان ضمن إطار الوحدة الكلية لعلم النحو الذى يشمل جميع الأَلسنة ، إذ يقول :

« وما وقع فى علم النحو من أَشياء مشتركة لألفاظ الأُمم كلها فإنَّما أخذه أَهل النحو من حيث هو موجود فى ذلك اللسان الذى عمل النحو له ، كقول النحويين من العرب : إنَّ أَقسام الكلام فى العربية اسم وفعل وحرف . وكقول نحوى اليونانيين : أَجزاء القول فى اليونانية اسم وكلم وأَداة . وهــذه القسمة ليست توجد فى العربية فقط ، أو فى اليونانية فقط ، بل فى جميع الأَلسنة . وقد أَخذها نحويو العرب

---

(١) انظر : احصاء العلوم ص ٧٦ .

(٢) انظر : احصاء العلوم ص ٧٦ .

على أنها فى العربية ، ونحويو اليونانيين على أنها فى اليونانية »[1].

وإنَّ نظرة الفارابى الفلسفية لأُصول علم النحو ، تثبت أن نحو العربية هو علم عربى أصيل ، قد انبثق بصورة أصيلة من اللغة العربية ذاتها ، « وإنما أخذه أهل النحو على حد تعبير الفارابى من حيث هو موجود فى ذلك اللسان الذى عمل النحوله» وبذلك يضع الفارابى الفليسوف حدّا لتلك الأقاويل التى تحاول أن تبحث عن الآثار اليونانية أو الهندية أو غيرها من اللغات فى نحو العربية ومن هنا تتضح لنا الصورة التى طالما اكتنفها الغموض والإبهام فى كثير من الأحيان حول أصالة النشأة العلمية للنحو فى العربية . فقد اكتمل هذا العلم على أيدى الخليل ابن أحمد وتلميذه سيبويه فى « الكتاب . » . وترجع جذور نشأته . كما تقول الروايات التى بين أيدينا إلى أبى الأسود الدؤلى وإلى ، الإمام على رضى الله عنه بل وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من ذلك .

وإنَّ نظرية الفارابى هذه فى أصالة علم العربية ،فى ألفاظها ونحوها وصرفها ونشرها وموزونها لا تنفى مطلقاً استخدام اللغويين والنحاة علم المنطق من حيث هو أداة التفكير الصحيح شأنهم فى ذلك شأن العلماء الآخرين فى شتى مجالات المعرفة . فقد استخدم النحاة المتأخرون المنطق كما استخدمه الفقهاء والمتكلمون والعلماء الأخرون فى بحوثهم العلمية والجدلية ... دون أن يعنى ذلك موضوع أصالة تلك العلوم .

وقد أرسى الفارابى الفيلسوف دعامة العلاقة العضوية بين الفكر واللغة ، وجعل منها جزءا أساسيًا من نظرته الكلية لعلم اللسان . فالنطق على حدّ تعبيره « مشتق من النطق . وهذه اللفظة تقال عند القدماء على ثلاثة معان : أحدها القول الخارج بالصوت ، وهو الذى به تكون عبارة اللسان عما فى الضمير . والثانى : القول المركوز فى النفس ، وهو المعقولات التى تدل عليها الألفاظ . والثالث القوة النفسانية المفطورة فى الإنسان ، التى بها

---

(١) انظر : احصاء العلوم ، ص ٧٧ .

يميز التميز الخاص بالإنسان دون ما سواه من الحيوان . وهى التى بها يَحْصَل للإنسان المعقولات والعلوم والصنائع ، وبها تكون الروية ، وبها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال . وهى توجد لكل إنسان حتى فى الأطفال ، لكنها نزرة لم تبلغ بعد أن تفعل فعلها ...»[1] .

ومن هنا نجد أن الفارابى ما فتىء يؤكد العلاقة الحميمة بين المنطق بمفهومه العقلى وبين النطق والقول ، ويذهب فى ذلك إلى البحث فى الجذور التاريخية لمعانى هذه المصطلحات. ويعود إلى هذه الفكرة فى أماكن متعددة من مؤلفاته فى إحصاء العلوم وفى رسالته التنبيه على سبيل السعادة وغيرها .

ونحن نستطيع أن نستبين معالم فلسفته العقلية فى نظرته إلى علم اللسان ، لاسيما فى مجال المنطق الذى اشتهر به ، إذ يقول :

« وأما موضوعات المنطق ، وهى التى فيها تُعطى القوانين ، فهى المعقولات من حيث تدل عليها الألفاظ ، والألفاظ من حيث هى دالة على المعقولات . وذلك أن الرأى إنّما نصححه عند أنفسنا بأن نفكر ونروّى ونقيمّ فى أنفسنا أموراً ومعقولات شأنها أن تصحح ذلك الرأى » .

ثم يواصل حديثه حيث يقول : « ... بل نحتاج فى كلّ رأى نلتمس تصحيحه إلى أمور ومعقولات محدودة ، وإلى أن تكون بعددٍ ما معلوم ، وعلى أحوال وتركيب وترتيب معلوم . وتلك ينبغى أن تكون حالها وألفاظها التى بها تكون العبارة عنها ، عند تصحيحها لدى غيرنا . فلذلك نضطر إلى قوانين تحوطنا فى المعقولات وفى العبارة عنها ، وتحرسنا من الغلط فيها . وكلتا هاتين أعنى المعقولات والأقاويل التى بها تكون العبارة عنها يسميها القدماء « النطق والقول » . فيسمون المعقولات القول ، والنطق الداخل المركوز فى النفس والذى يعبّر به عنها القول ... »[3] .

---

(١) انظر : احصاء العلوم ، ص ٧٨ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٧٤ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٧٤ .

ويعود الفارابى إلى هذه الفكرة الأساس فى نظريته اللغوية فيقول فى رسالته التنبيه على سبيل السعادة : « فاسم العقل قد يقع على إدراك الإنسان الشىء بذهنه ، وقد يقع على الشىء الذى به يكون إدراك الإنسان . وهذه الصناعة تفيد الخير والسعادة بهذين الأمرين جميعاً ، وبها يتقومان . والأمر الذى به يكون إدراك الإنسان ـ وهو أحد الأمرين اللذين يقع عليهما اسم العقل ـ قد جرت العادة من القدماء أن يسموه النطق . واسم النطق قد يقع أيضاً على التكلم والعبارة باللسان. وعلى هذا المعنى يدل اسم « النطق » عند الجمهور وهو المشهور من معنى الاسم .

وأما القدماء من أهل هذا العلم ، فإنَّ هذا الاسم يقع عندهم على المعنيين جميعاً . والإنسان قد يصدق عليه أنه ناطق بالمعنيين جميعاً ، أعنى من طريق أنه مُعبِّر ، وأن له الشىء الذى به يدرك ، غير أن القدماء يعنون بقولهم فى الإنسان إنَّه ناطق أنَّ له الشىء الذى به يدرك ما قصد تعرفه »[٢]

ويعزو الفارابى اللبس فى فهم العلاقة بين المنطق وعلم اللسان بعامة وعلم النحو بخاصة ، إلى عدم تحديد مفهوم هذه المصطلحات فى مسيرتها التاريخية ، وأن مفاهيمها قد اختلفت ، لاسيما فيما يتعلق بدلالات « النطق » « والمنطق » « والقول » « والأقاويل »... إذ يقول :

« ولما كان اسم النطق والمنطق ، قد يقع على العبارة باللسان ، ظن كثير من الناس أن هذه الصناعة قصدها أن تفيد الإنسان المعرفة بصواب العبارة عن الشىء والقوة على صواب العبارة . وليس ذلك كذلك . بل الصناعة التى تفيد العلم بصواب العبارة والقدرة عليه هى صناعة النحو . وسبب الغلط فى ذلك هو مشاركة المقصود بصناعة النحو المقصود بهذه الصناعة فى الاسم فقط . فإنَّ كليهما يسمى باسم المنطق غير أن المقصود فى هذه الصناعة من المعنيين اللذين يدل عليهما اسم المنطق هو أحدهما دون الآخر » .

---

(١) رسالة التنبية على سبيل السعادة ، ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٣٠ .

ثم يعود الفارابى إلى توضيح العلاقة بين النحو والمنطق بمفهومه العقلى الذى وضع تعاليمه ونهّج مسالكه وقرّب موارده إلى المتعلمين . وهو فى ذلك لا يخرج عن القواعد التى أصّلها فى فهم علم النحو . يقول أبو نصر الفيلسوف :

« ... لكن بين صناعة النحو وبين صناعة المنطق تشابه ما ، وهو أن صناعة النحو تفيد العلم بصواب ما ننطق به ، والقوة على الصواب منه بحسب عادة أهل لسان ما ، وصناعة المنطق تفيد العلم بصواب ما يُعْقَل والقدرة على اقتناء الصواب فيما يعقل . وكما أنَّ صناعة النحو تقوّم اللسان حتى لا يلفظ إلّا بصواب ما جرت به عادة أهل لسان ما ، كذلك* صناعة المنطق ، تقوّم الذهن حتى لا يعقل إلّا الصواب من كلّ شىء . وبالجملة فإن نسبة صناعة النحو إلى الألفاظ هى كنسبة صناعة المنطق إلى المعقولات »[1] .

ويخلص الفارابى الفيلسوف من هذا العرض إلى تأكيد التشابه بين المنطق والنحو ، ولكنهما مختلفان ولا يدخل أحدهما فى الآخر . يقول أبو نصر : « فهذا تشابه ما بينهما فإمّا أن تكون أحداهما هى الأُخرى ، أو تكون أحداهما داخلة فى الأُخرى ، فلا »[2] .

وتتميز نظرة الفارابى الفليسوف إلى اللغة ، بالشمول والوحدة الكلية من خلال الأجزاء السبعة العظمى التى رأى أن علم اللسان عند كلّ أُمة من الأُمم ينقسم إليها. أنه ينظر إلى اللغة باعتبارها وحدة متكاملة. ويستكمل هذه الوحدة بحديثه عن علم قوانين تصحيح الكتابة وعلم قوانين تصحيح القراءة وعلم قوانين الأشعار . فى نظره أن علم قوانين الكتابة يميز أولا ما لا يكتسب فى السطور من حروفهم وما يكتب ، ثم يبين فيما يكتب فى السطور كيف سبيله أن يكتب . وكذلك فإن علم قوانين تصحيح القراءة يعرف مواضع النقط والعلامات التى تُجْعل عندهم ، لما

---

(*) انظر : التنبية على سبيل السعادة ، ص ٢٣٠.

(١) المصدر ذاته .

لا يكتب فى السطور من حروفهم ومايكتب والعلامات التى تميز بين الحروف المشتركة ، والعلامات التى تُجْعَل للحروف التى إذا تلاقت اندغم بعضها فى بعض .. الخ .

وأخيرًا يتحدث الفارابى الفيلسوف عن « علم الأشعار » وبعبارة أخرى عن الموزون فى اللغة ، فيقول :

« وعلم الأشعار على الجهة التى تشاكل علم اللسان ثلاثة أجزاء : أحدها إحصاء الأوزان المستعملة فى أشعارهم ، بسيطة كانت الأوزان أو مركبة ، ثم إحصاء تركيبات الحروف المعجمة التى تحصل عن صنفٍ صنفٍ منها ، ووزنٍ وزنٍ من أوزانهم . وهى التى تعرف عند العرب بالأسباب والأوتاد ، وعند اليونانيين بالمقاطع والأرجل .... الخ والجزء الثانى النظر فى نهايات الأبيات فى وزنٍ وزنٍ ، أيما منها عندهم على وجه واحد ، وأيما منها على وجوه كثيرة . ومن هذه أيها التام وأيها الزائد وأيها الناقص ... إلخ والجزء الثالث يفحص عما يصح أن يستعمل فى الأشعار من الألفاظ عندهم ، مما ليس يصح أن يستعمل فى القول الذى ليس بشعر ... »[1] .

والخلاصة ، فإننا نجد أنفسنا أمام نظرية لغوية متكاملة وضع الفارابى الفيلسوف الخطوط الرئيسية لبنيتها الأساسية . فقد تحدث عن « علم اللسان » العام وعن أصوله العملية التى تشترك فيه ألسنة الأمم المختلفة . ونظر إلى اللغة نظرة كلية ومتكاملة . وإن هذه العمومية التى رأها فى بنية علم اللسان العام قد وجدت طريقها فى منهجه العلمى عندما تحدث عن الأجزاء السبعة العظمى التى رأى أن علم اللسان ينقسم إليها . وتوقف وقفة متأنية وعميقة عند « علم النحو » سواء ما كان منه عاما ومشتركا بين ألسنة الأمم المختلفة أم ما كان نحو لسان من الألسنة لأمة من الأمم . وكان تأكيده العلاقة العضوية بين اللغة والفكر وبين الألفاظ ومدلولاتها سمة مميزة لنظريته اللغوية ، وربما

---

(١) انظر احياء العلوم ، ص ٦٤ – ٦٥ .

لا تعدو الصواب إذا قلنا ، إننا نلمس عنده أصول النظرية الحديثة التي دؤداها أن الإنسان يفكر من خلال اللغة ، وأن وضوح اللغة دليل على وضوح الفكرة وبالتالي فإن سلامة اللغة ودقة التعبير ترتبطان ارتباطا وثيقاً بسلامة التفكير .

وكان الفـارابي في كل ذلك يبحث عن أمثـلته في اللغة العربية ، ويشير أيضاً إلى نظائرها في اللغة اليونانية من أجل توضيح الفكرة وتقريبها إلى أذهان المتعلمين .

**عبد الكريم خليفة**
عضـو المجمع من الأردن

# سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس

للأستاذ الشيخ حسين والى عضو مجمع اللغة العربية الملكى .

كان للعرب فى الجاهلية كلام كثير وشعر كثير، لم يكن لهم علم أصح منه . ولم ينته إلينا جميع ما قالوا . لأن اعتمادهم كان على الرواية ، لا على دواوين مدوّنة ، فانهم كانوا أميين لا يعلمون الكتاب ، ومن علمه منهم فهو قليل .

ولما جاء الإسلام لفت العرب عما كانوا عليه ، وبهرهم القرآن بأساليبه، وشغلهم بأحكامه وتكاليفه ، وغادر القادرون منهم الأرض الجُرُز إلى غيرها ، فى شؤون ساقتهم ، فشرّقوا وغرّبوا إلى أن هلك منهم من لا يُحْصَوْن موتا وقتلا . بيد أنه كان لمن بقى فى بلاد العرب ومن خرج فترات أو فرص حصل فيها إثبات طَرَف من الرواية ، وطرف من الكلام والشعر ، عليه من الرونق ما لم يكن من قبل .

هذا ماصارت إليه لغة العرب بعد الكثرة، فلم نرثها من العرب إلا كما يرث الرجل من أبيه نحو الكَفاف من الرزق .

ثم حدثت أطوار عبثت فيها يد الحِدْثان بطائفة من هذا، فبعضها أصابه الفناء، وبعضها أصابه التفريق . ولولا حسن التصرف وسعة الحيلة ، لكشفت الحاجة عن وجهها العابس .

إننا نجد مواطن غير تامة الإفادة أو البيان فى أمهات كتب اللغة التى بين أيدينا، وقد حشدت مأُرى كثيرا، وهو قليل من الكثير الذى ذهب . ولو وصلت إلينا اللغة وافرة ، لوجدنا طلبتنا فيما نحسب ، ومن هذه المواطن ما انساقت إليه الفِكْرَى الان .

قد يذكر اللغوى الكلمة التى من شأنها أن تُشْتَق أو يُشْتَق منها، ولا يذكر الأصل أو الفرع ، أو يقول مثلا كلمة كذا لافعل لها ، أو المصدر مات، أولا تقل كذا . والفَطِن المستنبط لا يقف عنـد ذلك . بل ينبعث للاحاطة بأسبابه ، وتوسيع البحث عنه ، والنظر فى الاشتقاق وأصول العربية . فإذا سلك هذا المنهج رأى أن بعض المحظور ، يصير غير محظور ، وأن الشيء قد يمنع من جهة ولا يمنع من جهة أخرى ، وأن هناك مايقدَّر على القياس، ولا يتكلم به ، لوجود مانع ، وأن هناك مايؤتى به على القياس ويُتكلم به وإن لم تتكلم به العرب : لأنه لا مانع. وما قيس على كلام العرب وسلم من موانع الاستعمال ، فهو من كلام العرب . وعلماء العربية لم يضعوا أصولهم لما سمع من العرب ، وإنما وضعوها لما لم يسمع .

وقد كتبت فى هـذا وذريعته شيئا ، إذ نظر مجمع اللغة العربية الملكى فى أمر ما جاء فى كتب اللغة من مشتقات لم تذكر أصولها ، وأصول لم تذكر مشتقاتها، وما يتصل بذلك من منع وغيره ،ليعلم طريق الرأى إلى سدّ الثُّلْمة . ويعلم موضع الحُجّـة .

## الاشتقاق

الاشتقاق متشعب الطـرق ، وحاجة العمـل تدعو إلى بيـان الجادّة ، وما توصل إليه من مكان الحجة ، وتمييزها مما يحادّها .

الاشتقاق : نزع لفظ من لفظ "ولو مجازا" إذا اتفقا فى المعنى والحروف الأصليـة وترتيبها ، ليدل بالفرع على معنى أصله ، بزيادة مفيدة غالبا ، لأجلها اختلفا فى غير الحروف الأصلية، أو فى شكل الأصلية، على التحقيق أو التقدير[1].

---

(١) الكلام على طريقة أهل البصرة .

والمنزوع منـه كالأشَر ، نُزع منه الأشِر ، وكالنطق بمعنى التكلم ، نُزع منه الناطق بمعنى المتكلم ، على الحقيقة . وكالنطق بمعنى الدلالة ، نُزع منـه الناطق بمعنى الدال ، على المجاز . كما يقال : الحال ناطقة بكذا : أى دالة عليـه ، من قبيل المجاز المرسل ، أو المجاز بالاستعارة المكنية .

والمنزوع منه يشمل المقدّر، فالفعل الذى لامصدر له "كعسى وليس" مشتق . وإن وصفه النحويون بالجمود، لأن الجمود معناه عدم التصرف لا عدم الاشتقاق .

والأتفاق فى المعنى واللفظ يمنع مثلا أن يكون قعد مشتقا من الجلوس ، وإن كان الاتفاق فى المعنى موجودا ، لأن الاتفاق فى اللفظ غير موجود . ويمنع مثلا أن يكون ضرب بمعنى دق مشتقا من الضرب بمعنى الذهاب ، وإن كان الاتفاق فى اللفظ موجودا . لأن الاتفاق فى المعنى غير موجود .

وقد يحذف بعض الحروف الأصليـة من المشتق لعلة صرفية ، والمحذوف لعلة صرفية كالثابت ، مثل خف من الخوف، فان الأصل (آخْوفْ) نقلت حركة الواو الى الساكن قبلها، فاستغنى عن همزة الوصل ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين، فلا يتوهم أن خفْ والخوف لم يتحقا فى الحروف الأصلية .

ومعنى المشتق قد يكون معنى المشتق منـه دون زيادة عليه ، كالمقتل من القتل وبمعناه . إلا أن فى هـذا فائدة من جهة أخرى هى التوسع فى اللغة . والاشتقاق مما تتسع به اللغة فى ألفاظها ومعانيها .

والاختلاف بين الأصل والفرع فى غير الحروف الأصلية، أو فى شكل الأصلية، إمّا على التحقيق ، كما فى الفاهم من الفهم ، والحِذر من الحـذَر ؛ وإما على التقدير، كما فى طلَبَ من طلَب، فيقدر أن فتحة اللام فى الفعل غيرها فى المصدر، ولو لم يكن اختلاف لكان اللفظ عين اللفظ .

## فى الاشتقاق حجة لغوية

إذا قلت : فلان العالم مثلا ، فمدلول العالم ذات قام بها العلم ، فالمشتق يدل على المشتق منه ، لأن العلم وهو المشتق منه جزء من مجموع معنى العالم ، أى المشتق . فلا يوجد المشتق دون المشتق منه ، وإلا لزم وجود كل الشىء دون جزئه ، وهذا مستحيل .

ولا ينقض هذا أنه يصح إطلاق اسم كل الشىء على جزئه ، لأن ذلك مجاز ، والكلام فى صحة الإطلاق على الحقيقة .

وقد احتج أهل السنّة بمثل هذا على بعض المعتزلة الذين أطلقوا نحو العالم من المشتقات على الله تعالى ، وأنكروا وجود المشتق منه . ولم ينكروا مثل ذلك فى المخلوقين .

ولكن أهل السنة جعلوا العلة فى صحة إطلاق العالم مثلا على الله وعلى عباده وجود المشتق منه .

وقد أخذ أهل الفقه بدلالة المصدر على فعله المشتق . فاذا قال قائل : لى عليك حق ، فقلت : حقا كان ذلك إقرارا : لأن التقدير حققت فيما قلته حقا . وسأذكر ما يرتبط بهذا .

ومرجع الفريقين إلى اللغة .

* * *

ومن المشتق ما هو مطرد كاسم الفاعل واسم المفعول مثل الناصر لكل من وقع منه النصر ، والمحمود لكل من وقع عليه الحمد . ومنه ما هو مختص ببعض الأشياء ، كالقارورة من القرار للزجاجة المعروفة دون غيرها مما هو مقر للمائع كالكوز (على طريقة) والمطرد لا يتوقف على السماع . والمختص يتوقف عليه .

* * *

الاشتقاق أخص من الصرف : لأن الاشتقاق لا يكون إلا فيما بنت العرب، والصرف أعم منه ، لأنه يكون فيما بنت العرب ، وفيما لم تبن ، كضرب من ضرب .

ذلك هو الاشتقاق الأصغر، الذى ينصرف إليه اسم الاشتقاق عند الإطلاق، ويحتج به فى اللغة .

أما الاشتقاق الأكبر فهو أن يؤخذ أصل ثلاثى ، ويتلمس له ولتقاليبه الستة — إن كانت — وما يتصرف من كل واحد منها ، معنى مشترك ، وإن نأى شى من ذلك ردّ إليه بتلطف .

ومن ذلك (ن ج د) فأنه فى تقاليبه كما ذكر يفيد القوة، فهى المعنى المشترك .

( النجد ) : الإعانة، وكذلك الإنجاد . والنجد : الشجاع الماضى فيما يعجز غيره . وفى كل هذا قوة . والنجد : ما أشرف من الأرض وارتفع . وفى ارتفاعه قوة ولو لمن عليه . والنجدة : القتال ، وفيه قوة . والنجدة : الفزع ، والفزع يغلب عنده المرء ، ففيه قوة .

و ( ن د ج ) ذكر بعض اللغويين ( أُندوج ) السرج بمعنى لبده . ولكنه ليس بالنون. بل بالباء (أُبدوج) وهو معرب. هذا ما فى (ن د ج)، فسقط .

و ( الجند ) العسكر والأعوان . وفيهم قوة ، وبهم تكون القوة .

و ( الجَدَن ) حسن الصوت . وهو مما يفتخر به ويؤثر فى النفس ، وفى هذا قوة . و (أجدن) استغنى بعد فقر . وفى الاستغناء قوة .

و ( الدِّناج ) إحكام الأمر . وإحكام الأمر يقوى به صاحبه . وتراب دانج : تثيره الرياح ، وإذا أثارته أثر فيها وغبَّرها ، وفى ذلك قوة .

و ( الدَّجْن ) المطر الكثير . وفيه قوة . والدجنّة : الظلمة . والظلمة ترهب ، ففيها قوة .

*
* *

الاشتقاق الأكبر هـذا ابتدعه ابن جنى ، وبين به حذقه . بجعـل المعنى المتطلب الذى لا يأتى كثيرا بسهولة معنى للكلمة فى تقاليبها ، ولو بَعُد عما وضعت له الكلمات فى اللغة ، كما يرى فى المثال السابق فلا يحتج به فى اللغة لعدم اطراده . وكان لأبى على الفارسى شيخ ابن جنى بعض أنس به .

والأصغر والأكبر يسميان الصغير والكبير .

*
* *

وعندهم تقسيم آخر للاشتقاق : إذ يجعل ثلاثة أنواع . فيقال : هـو ردّ لفظ إلى آخر — ولو مجازاً — لمناسبة بينهما فى المعنى واللفظ .

فإن اتفقا فى الحروف الأصول وترتيبها ، فالاشتقاق الصغير . وهـو الأصغر المتقدم .

و إن اختلفا فى ترتيبها ، فالاشـتقاق الكبير . كجبذ وجذب . وهو يرجع إلى الأكبر السابق .

و إن اختلفا فى بعض الحروف الأصول ، وكان هناك تقارب ، فالاشتقاق الأكبر ، كنعق ونهق .

يكون كل من اللفظين فى الكبير والأكبر أصـلا إذا استويا مثلا فى كثرة التصرف والاستعمال .

وبعض الأولين كان يقول بهـذا الأكبر . وبعضهم كان يسـتروح إليه ولكن الصحيح أنه يتخلف [١] .

أهل اللغة يثبتون الاشـتقاق الأصغر . إلا أن فريقا منهم يرى أن بعض الكلم مشتق ، وبعضه ليس بمشتق . وفريقا منهم يرى أن كل الكلم مشتق .

ويرى بعض أهل النظر أن الكلم كله أصل [٢] .

والرأى الثانى غير صحيح : لأنه يلزم عليه أن تكون كل كلمة فرعا ، ولا بد أن يكون بعض الفروع أصلا ؛ وكيف يكون الشىء الواحد أصلا وفرعا ؟ وقد جعل الفرع دالا على ما فى الأصل وزيادة ؟

لقد ذهب بعض البصريين [٣] إلى أن الوصف الدال على الحدث والموصوف كاسمى الفاعل والمفعول ، مشتق من الفعل الدال على الحـدث والزمان المعين . والفعل مشتق من المصـدر الدال على الحدث ؛ فالفعل أصل الوصف ، وفرع المصدر . ولكن الوصف الدال على الحدث والموصوف لا يدل على الزمان المعين الذى فى الفعل ، فليس الفعل أصلا للوصف ، وليس الوصف فرعا من الفعل ، دالا على ما فيه وزيادة . وإنما هو فرع من المصدر كالفعل .

والرأى الثالث ( وهـو رأى بعض أهل النظر ) غير صحيح كذلك : لأنه ينكر الصـلة المُحَسَّة فى اللفظ والمعنى بين الكلمات ، فى مثل علم ، ويعـلم ، واعلم ، والعالم ، والمعلوم ، والعلم .

---

(١) يرجع إلى ابن جنى والسيوطى والعطار .

(٢) المزهر وغيره . وعلى الرأى الأول سيبويه والخليل وغيرهما . وعلى الرأى الثانى لغويون متأخرون ، وكذلك سيبويه فيما يحكى .

(٣) كالسيرافى ، أبى على الفارسى .

## الاختلاف فيما يشتق منه

اختلف الرأى فيما يكون منه الاشتقاق . وقد يتوهم من يريد الاشتقاق أنه إذا جرى على طريقة وقف فى وجهه غيرها عند العمل؛ وهذا وجيز من البيان يعلم منه ما هنالك :

يرى أهل البصرة أن المصدر هو الأصل الذى يكون منــه الاشتقاق ، فيشتق منه الفعل وغيره : لأن شأن الفرع أن يكون فيه مافى الأصل وزيادة (هى الغرض من الاشتقاق ) ، والفعل وغيره فيهما مافى الأصل وزيادة ، فإن المصدر يدل على الحدث ، والفعل يدل على الحــدث وزيادة ، هى الزمان المعين ، وغير الفعل يدل على الحدث وزيادة توافق وضعه .

و يرى أهل الكوفة أن الفعل هو الأصل الذى يكون منه الاشتقاق ، فيشتق منه المصدر وغيره ، وهذا الفعل هو المضارع على الراجح لا المــاضى .

ومما يركن إليه أهل الكوفة أن المصدر يصح بصحة الفعل ، و يعتل باعتلاله ، كقاوم قواما ، وقام قياما ، وشأن الفرع أن يحمل على أصله .

ونقد هذا بأنه لايدل على أصالة الفعل وتفرع المصدر عنه ، وانما هو للمشاكلة ، كيعِد ، أصله يوْعِد ، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم قيــل : أعِد ، وتعِد ، ونعــِد . فحذفت الواو من الثلاثة حملا على يعــد ، ولا يدل ذلك على أنها فروع من يعد ، ومشتقة منه .

*
* *

ر بحوا ما رأى أهل البصرة من أن المصدر هو الأصل ، بحجة أن شأن الفرع أن يكون فيــه مافى الأصل وزيادة ، وهى أقوى ما عندهم من الحجج ، مع أنه لا يقــوم برهان يؤيدها ، ولو قام برهان كذلك لأكره عقول أهل الكوفة على

قبولها ، حتى يرجعوا عن جعلهم المصدر ، الذى لا يدل إلا على الحدث فرعا من الفعل ، الذى يدل على الحدث والزمان المعين. فان فى ذلك زيادة الأصل على الفرع .

فالمسألة ظن واجتهاد . وبعض الظن والاجتهاد أولى من بعض .

## هل يظهر للاختلاف فيما يشتق منه أثر فى العمل

إن أهل البصرة إذا وجدوا المصدر اشتقوا منه الفعل على القياس للاستعمال ، ما لم يكن مانع .

فإذا وجدوا الفعل دون المصدر أتوا بالمصدر على القياس للاستعمال ، ما لم يكن مانع .

وأهل الكوفة إذا وجدوا الفعل دون المصدر اشتقوا منه المصدر على القياس للاستعمال ، ما لم يكن مانع .

فإذا وجدوا المصدر كان ذلك دليلا على وجود الفعل ، ما لم يكن مانع . ففى كلامهم أنه يستحيل وجود الفرع من غير أصل .

وبعض من يجرى على الطريقة البصرية والكوفية يرى أن مصادر الثلاثى المجرد لا قياس فيها .

فهل ترى ثمرة الاختلاف عظيمة ؟ وهل ترى شيئا يقف فى وجه من يريد الاشتقاق عند العمل ؟

*
* *

يذكر بعضهم أن مصدر غير الثلاثى مشتق من الماضى باتفاق الفريقين ، ولكن هذا مخالف لإطلاق أن المصدر أصل عند أهل البصرة مع حجته ، ولما كان من تصريح . ومخالف لترجيح أن الاشتقاق من المضارع مطلقا عند أهل الكوفة .

إن لهم مصادر مشتقة من الأسماء الجامدة ، كالتحجر من الحجر ، ومعانى المصادر مشتملة على معانى الأسماء الجامدة .

المصدر المجرد أصل للمزيد .

المصدر المعلوم أصل للفعل المعلوم ، والمصدر المجهول أصل للفعل المجهول .

الأصالة التى اختلف فيها أهل البصرة والكوفة، إنما هى من ناحية الاشتقاق. وأما من ناحية العمل فالفعل أصل بالاتفاق .

لا اشتقاق بين لغة العجم ولغة العرب . وما رآه بعضهم من أن إبليس مأخوذ من الإبلاس ، وما أشبه ذلك فهو خطأ . وفى القاموس ( وأبلس : يئس وتحيّر ، ومنه إبليس ، أو هو أعجمى ) .

والكلمة غير العربية لا توزن ، لأنه لا يعرف الأصل والزائد من حروفها . أما ما ألحق بالأبنية العربية فيوزن، لبيان ماهو فى حكم الأصل والزائد من الحروف .

وفى كتب اللغة ألفاظ معربة ملحقة بالأبنية العربية ذكر وزنها ، وحصل منها اشتقاق كما يحصل فى الألفاظ العربية .

## مصدر الثلاثى المجرد وغيره من ناحية القياس

هـذا مبحث لا يستغنى عنه من يريد الاشتقاق ، لما فيه من بيان اختلاف النظر فى القياس والطريق الذى يسلك .

إن مصدر الثلاثى المزيد والرباعى المجرد والمزيد قياس مضبوط . والاشتقاق فى ذلك أصدق منه فى غيره .

أما مصدر الثلاثى المجرد فيرى سيبويه أنه قياس وأنه إذا سمع عن العرب غير القياس لم يكن القياس جائزا . وجرى الجمهور على هذا .

ويرى الفراء أن القياس جائز فى هـذه الحال . لأن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

إن فى رأى الفراء سـعة . ولكنه يزيد فى أوضاع المصادر الآتية عن العرب بلا حاجة .

ويرى أن ما كان متعديا من الأفعال الثلاثية يجوز فى مصدره الفَعْل والفعول فيقال مثلا ضرب يضرب ضربا وضروبا . وهـذا يجرى فيما سمع له مصدر وفيما لم يسمع له مصدر .

ويرى أن باب فَعَل (بالفتح) يفعل (بالضم أو الكسر) إذا لم يسمع له مصدر جعل مصدره على الفَعْل أو الفعول . الفَعْل لأهل الحجاز . والفعول لأهل نجد .

وهذا يعم المتعدى واللازم . ففعل متعديا أو لازما مصدره عند أهل الحجـاز الفَعْل ، وعند أهل نجد الفعول .

ولكن القياس عند غيره أن يكون الفَعْل للمتعدى والفعول للّازم (على شرائط) وقد يشتركان مثل عبرت النهر عبرا وعبورا . وسكتّ سكتا وسكوتا .

وما رأى الفراء فى باب فعل خير ممـا رأى قبل . فإن كلامه هنا فى غير ماسمع من العرب .

فلا يبنى عليه زيادة على أوضاع عرفت. وإنمـا هو مخالف لقياس الجماعة فيما لم يسمع .

وجعل بعضهم مصدر الثلاثى المجرد غالبا ، ولكن يرى بعضهم أن الغلبة علامة القياس أو مجوزة للقياس . فإذا لم يكن هذا غرضه فله طريقته التى تنشئ منزلة بين القياس والسماع .

ورأت طائفة أن مصادر الأفعال الثلاثية لا تدرك إلا بالسماع ، فلا يكون فيها قياس . وهؤلاء ضيقوا الأمر مع أن العرب تركوا لهم عوامل السعة .

فإن رأيت من الثلاثى المجرد فعلا متعـديا أو لازما لا تدرى كيف تكلم العرب بمصدره جاز أن تتكلم بمصدره على القياس عند من يراه ، ولا يجوز ذلك عند من لا يراه .

## يلزم عند الاشتقاق تمييز المصدر من اسمه

اسم المصدر مشتق من المصدر على ماسبق . فلا يشتق منه شئ ، إلا إذا كان مصدرا من جهة أخرى . وهذا بيان أمرهما :

المصدر اسم الحدث الذى يجرى على الفعل ويجمع حروفه وليس علما .

فمدلول المصدر الحدث ، وهو المعنى القائم بغيره . وقد سمى سيبويه المصدر فعلا وحدثا .

وهذه التسمية لها أثر فى كتب اللغة .

ويقع فى بعض الكلام إطلاق المصدر على نحو الضاربية والمضروبية : أى الكون ضاربا ، والكون مضروبا . ويسمى نحو الضاربية بالمصدر المبنى للفاعل ونحو المضروبية بالمصدر المبنى للمفعول ، وإن كان الذى يحصل منه الاشتقاق هو الضرب الجارى على ضَرب المبنى للفاعل ، وضُرب المبنى للمفعول .

واسم المصدر اسم لفظ المصدر الذى لا يجرى على الفعل ويجمع حروفه غالبا . فمدلوله لفظ المصدر ، ويرى بعضهم أن مدلوله الحدث ، ولكن ذلك بالنيابة عن المصدر فيكون المصدر دالا على الحدث بالأصالة . وسبيل الأول أقرب .

إذا قيل أعطى إعطاء ، فاعطاء مصـدر جرى على الفعل وجمع حروفه دون نقص .

وإذا قيل أعطى عطاء فعطاء اسم مصدر لم يجر على الفعل ويجمع حروفه ، ولكنه أقيم مقام المصدر .

فالإعطاء أخذ منه أعطى ، والعطاء لم يؤخذ منه أعطى ، لأن حروفه لم تبلغ حروف أعطى .

ومن أسماء المصادر اسم مصدر عَلَم ، كما فى قولهم (فَجَرَ فَجَارِ) جُعل فجارِ علما على الفَجْرة ، بمعنى الفجور ،[1] ولكن فجارِ جمع حروف الفعل (فجر) دون نقص وهذا شأن المصدر . ولا يكون ذلك فى اسم المصدر إلا على خلاف الغالب ، وقد بنى الكلام على الغالب . ولكن لم يجعل مثل هذا مصدرا لما فيه من معنى العلم ، حتى إنه لا يكون مؤكدا لعامله لأن معنى العلم زائد على معنى العامل .

إذا قيل مثلا : اغتسل غُسلا . فغسلا ( بالضم ) على المختار ، و ( الفتح ) على غيره اسم مصدر من الاغتسال .

و إذا قيل غسل الشيء يغسله غَسلا وغُسلا ، فالغسل بالفتح والضم مصدر غسل .

وذهب بعضهم إلى أنه بالفتح مصدر غسل ، و بالضم اسم مصدر غسل .

وذهب بعضهم إلى أنه بالضم مصدر غسل ، و بالفتح اسم مصدر غسل .

فالغسل بالضم والفتح اسم مصدر اغتسل ، و بالضم والفتح مصدر غسل ، واسم مصدر غسل .

فالغسل يشتق منه من جهة أنه مصدر ، و إن وقع فى الكلام على أنه اسم مصدر .

و إذا كان الغسل بالضم أو الفتح اسم مصدر من الاغتسال ؛ فهو جارٍ على الغالب .

---

(١) فعال للمؤنث ، والتاء فى الفجرة لتأنيث الحقيقة لا للوحدة . وبعض اللغويين يقول بجار اسم للفجرة والفجور ، وهو معرفة .

وإذا كان الغسل ( بالضم ) اسم مصدر من الغسل ( بالفتح ) فهو جارٍ على غير الغالب .

و إذا كان ( بالفتح ) اسم مصدر من الغسل (بالضم ) فهو جارٍ على غير الغالب كذلك .

## حكم صوغ التصاريف من المصدر

إن صوغ التصاريف على القياس ثابت فى كل مصدر نقل بالاتفاق ، وهو فى حكم المنقول[1] عن العرب .

فإذا وجدت فى اللغة مصدرا دون تصاريفه ، فلك أن تصوغ منه تصاريفه على القياس . ولا نزاع فى ذلك ، كأن العرب قالوه . وليس لك هذا للاستعمال إذا كان هناك مانع . ويجوز أن تأخذ بقول مثبت المصدر دون نافيه إذا لم تبطل قول مثبته الحجة .

وليست هذه المسألة من مسائل الخلاف فى ثبوت اللغة قياسا .

## محل الخلاف فى ثبوت اللغة بالقياس[2]

إن محل الخلاف فى ذلك أن يكون هناك شىء وضع له اسم لمناسبة . فهل يثبت هذا الاسم لغيره بالقياس عند وجود تلك المناسبة فيه ؟

لقد رأى بعض الأئمة هنا أن اللغة لا تثبت بالقياس ، وهو المختار . ورأى بعضهم أنها تثبت بالقياس .

---

(١) المزهر عن الغزالى فى المنخول . والكلام على طريقة أهل البصرة . وقد اتبعها أهل الأصول وأهل الكلام . والمصدر عند أهل الكوفة فرع يدل على أصله ، وهو الفعل .

(٢) كما فى علم الأصول .

ذلك أن الخمر مثلا — وهى المتخذة من ماء العنب — سميت خمرا لأنها تخمر العقـل وتغطيه ، فإذا وجد ذلك الوصف — وهو التخمير — المناسب للتسمية فى النبيذ، ثبت له اسم الخمر لغة عند من يرى ثبوت اللغة بالقياس . فيجب اجتنابه بآية (إنمـا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)، ووجوب اجتناب النبيذ بالآية هو فائدة ثبوت اللغـة بالقياس . فيستغنى فى النبيذ مثلا عن قياسه على الخمر شرعا .

أما من لا يرى ثبوت اللغـة بالقياس فيحتاج إلى دليل من السـنة ، أو إلى القياس الشرعى، لأن المناسبة الموجودة ليست علة لصحة إطلاق الاسم، بل لأن التسمية بهذا الاسم أولى .

ومثـل الخمر والنبيذ فى ذلك السارق والنبّاش . سمى السارق سارقا لأنه أخذ مال غيره خفية . وهذا موجود فى النباش ، فهل يثبت له اسم السارق بالقياس، حتى يدخل فى عموم آية ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ) ؟

*
* *

إنمـا كانت اللغة على المختار لا تثبت قياسا فى مثل هذا ، لأنا علمنا العرب يضعون الأسماء لمعان ، ويخصصونها بالمحالّ . كما يسمون الفرس أدهم لسواده ، وكميتا لحمرته ، ولا يسمون الثوب الذى لونه السواد أو الحمرة أدهم أو كميتا . لأنهم ما وضعوا الأدهم والكميت للأسود والأحمر مطلقا . بل لفرس أسـود ، وفرس أحمر . وكما يسمون الزجاجة التى تقرّ فيهـا المـائعات قارورة : أخذا من القرار ، ولا يسمون الكوز أو الحوض قارورة ، وإن قرّ المـاء فيه ( على طريقة ) .

فكل ما ليس على قياس التصريف الذى عرف منهم بالتوقيف فلا سبيل إلى إثباته ووضعه بالقياس .

ليس من محل الخلاف الصفات المشتقة ، كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، فقد ثبت بالنقل أن القياس مطرد فيها .

بل الواضع إذا وضع لفظا يعم ؛ بنقل من اللغة أو استقراء ، كصيغة المشتق والمصغر والمنسوب وغيرها ، مما هو من الوضع النوعى ، كفى سماعه منه ، والاستعمال مفوض إلى المتكلم وفق الأصل الكلى. وليس المتكلم فى حاجة إلى سماع الأفراد من الواضع .

وليس من محل الخلاف الأعلام ، فانها خارجة بمراعاة المعنى العلمى ، وإن اشتمل بعضها على مناسبة كالأعلام المنقولة. إن الأعلام غير معقولة المعنى، والقياس فرع المعنى ، فلا يجرى القياس فيها ، فإنها ليست لوصف المسمى ، بل لتعيينه وتعريفه .

## الاحترام ومشتقاته

الاحترام مصدر نادر ، لا يكفى الاشتقاق وحده فى التكلم بفعل منه أو اسم فاعل أو اسم مفعول . ولم يُثبت الاحترامَ من أصحاب الكتب اللغوية المشهورة التى بين أيدينا إلا صاحب المصباح . لقد أثبته ولم يذكر له فعلا ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول ، ولم يذكر غيره من أصحاب هذه الكتب شيئا من ذلك فى (ح ر م) كما يذكر المنقول عن العرب . مع أن لهذا المصدر ومشتقاته دورانا على ألسنة أهل اللغة والعلم والأدب : قديما وحديثا .

ما الذى جاء فى المصباح . جاء فيه (والحُرْمة : المهابة . وهذه اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق ) .

ولم يأت فى المصباح أن هذا المصدر لا يبنى منه فعل مثلا ، حتى يكون فى الامر نظر من هذه الناحية . إذاً يجوز أن يشتق منه الفعل (احترم) ولكن احترم على وزن

افتعل ، وهـذا الوزن مشترك بين المتعدى واللازم ، كتفعّل وتفاعل واستفعل . ولا يفصل فى التعدى واللزوم إلا النقل عن العرب ، وإن لم يذكر أهل اللغة شاهدا لأنهم أمناء .

هل يفهم من كلام المصباح فصل فى هذا الأمر ؟ يفهم منه أن الحرمة اسم مصدر من الاحترام واسم المصدر يقوم مقام المصدر ، ويشتمل على معنى المصدر بحكم الاشتقاق . وقـد فسرت الحرمة بالمهابة ، فيفسر الاحترام بالمهابة ، والمهابة مصـدر المتعدى ( هابه يهابه ) بمعنى خافه وأجلّه . والأصل فى التفسير أن يوافق المفسّر . فإذا كان التفسير هنا آتيا على الأصـل ، كانت الحرمة اسم مصـدر المتعـدى . فيقال احترمته حرمة : بمعنى هبته مهابة ، وكذلك احترمته احتراما ، ولكن التفسير فى بعض الأحيان لا يأتى على الأصل .

ما الذى هنا فى اللسان والقاموس ؟ الذى فيهما أن الحرمة المهابة ، وليس فيهما أن الحرمة اسم من الاحترام . لقد قوى كلام المصباح بعض القوة ، ولكن بقى فى النفس شىء ، لأن شبح الشك ماثل ولا تصريح ، والمسألة نادرة ، وقد أحاطت بها أمور تلحقها بالمتشابه .

من ذلك أنا نرى الزبيدى الذى يقرب زمانه من زماننا ( على كثرة ما جمع ) يفر من ذكر الاحترام ومشتقاته . ومن عرف الزبيدى عرف أنه ينقل من المصباح وغيره ، ويستدرك ما فات القاموس .

ونرى النووى إذا كتب فى اللغة فـر من ذكر الاحترام ومشـتقاته ، وإذا كتب فى الفقه لم يفر .

ونرى الزمخشرى صاحب الأساس يفر من ذكر الاحترام ومشتقاته فى (ح ر م) ويقول فى (م ل ح) وفلان ملحه موضوع على ركبتيه : أى هو كثير الخصومات ، كأن طول مجاثاته ومصاكّته الركب قرّح ركبتيه ، فهو يضع الملح عليهما يداويهما به

وقيل الملح : الحرمـة ، وإن معناه أنه يحترمك مادام جالسا معك ، فاذا قام عنك رفض الحرمة .

ونرى الزبيدى يرجع إلى الأساس فى (م ل ح) وينقل ما ينقل . ويفرّ من كلمة (وإن معناه أنه يحترمك) ، كأنه يرى أنها من تفسير اللغة لا من اللغة ، وكلمة يحترمك من مثل الزمخشرى لا يستشهد بها .

ونعلم أن الفيومى وضع المصباح فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، وقد أتى الرافعى بكلمـة (محترم) اسم مفعول فى مواضع ، ولم يأت بها الفيومى فى المصباح . ولو أتى بها دون لفظ الاحترام لعلم أن الفعل متعد ، وأن مصدره الاحترام . أيريد مثلا أن يبين أن للمصدر واسمـه مسموعان دون غيرهما بحسب علمه ؟ أم يريد أن يؤخذ المصدر واسمه من كتابه ، ويؤخذ اسم المفعول الدال على تعدى الفعـل من الشرح الكبير .

وفى معيار اللغة (والحرمة : اسم من الاحترام ، كالفرقة من الافتراق) من احترَم الرجلُ (على افتعل) إذا صار ذا حرمة ، أو من احترمه : إذا جعل له حرمة .

وهذا كتاب حديث جاء من بلاد العجم منذ سنوات ، ولم يشمله نظر الناقدين مثل الكتب المشهورة .

وقد ذكر صاحب الكتاب الكتب التى أخذ منهـا كتابه . وهى المصباح ، والصحاح ، والنهاية لابن الأثير ، والقاموس ، وشرحه للزبيدى ، والمغنى لابن هشام . ومجمع البحرين لفخر الدين الطّريحى النجفى ، وصراح اللغة لأبى الفضل محمد بن عمر بن خالد ، والتبصرة فى كليات الصرف . وهل نقد مجمع البحرين هذا وصراح اللغة والتبصرة ؟

لقد أتى معيار اللغة بكلام المصباح هنا ، ثم أتى باحترم لازما ومتعديا . وهذا يحتاج فيه إلى أصل ينقطع عنده النزاع .

نولى وجوهنا شطر بعض النحويين الكبار ، لعلنا نجد الضالة ، فانهم متصلون بأهل اللغة اتصالا شديدا .

ذكر أبو عبد الله بن مرزوق [١] أن لفظ محترم اسم مفعول من احترمه ، وهو من الحرمة ، وهى مالا يحل انتهاكه [٢] وصاحب القاموس سمع كلمة (محترم) بفتح الراء ، ولم يمنع ذلك وابن مرزوق حاضر .

وذكر العلامة خالد بن عبدالله الخزرجى [٣] صاحب التصريح أن كلمة محترم بفتح التاء والراء ، وأن المحترم : الموقّر .

وذكر أبو البقاء صاحب الكليات أن المحترم : المكرَّم .

نقصد بعد هؤلاء النحويين للعلماء الموثوق بهم ، لعل لهم كلاما فى ذلك .

جاء فى كلام فخر الدين الشيرازى [٤] أن المحترم بالفتح المعزّز المكرم . وهو يروى هذا الضبط عن صاحب القاموس عن ابن جماعة .

وجاء فى كلام شهاب الدين بن العماد [٥] أن المحترم من (احترمت زيدا : عظمته) .

وذكر العلامة البساطى [٦] أن المحترم (بالفتح) الموقر .

لقد ساق هؤلاء وهؤلاء كلامهم وعليه طابع اليقين ، يتكلمون كما يتكلم أهل اللغة ، ويضبطون كما يضبطون . أفيؤخذ عنهم هـذا ولا ضير إذا كان الكتاب اللغوى الذى رجعوا إليه أو رجع إليه من نقلوا عنه قد صار إلى العدم ، أو سار إلى أرض بعيدة أو مجهولة .

---

(١) توفى سـنة ٧٨١ (٢) هذا معنى آخر للحرمة وباب الأخذ واسع (٣) توفى سـنة ٩٠٥ كما فى الكشف (٤) كان فى القرن الثامن والتاسع (٥) توفى سنة ٨٠٨ (٦) يوسف البساطى من علماء القرن التاسع .

ولكن ما بال صاحب القاموس يفر من الاحترام ومشتقاته فى القاموس ، ولا يفر من ( محتَرم ) بالفتح فى غير القاموس ؟ إن هـذا منه يحدث شبهة قوية فى المسألة . ولكن يجوز أن يكون هنـاك كتاب لغوى فيه مثلا ( محتَرم ) اسم مفعول ، وقد تيسر لغيره ولم يتيسر له ، واللغوى لا ينقل إلا من أصل ثابت .

وقع فى كلام الطبرى ( يحترم ذلك ) ولم أعثر على مثل هذا لأحد قبله . أتى بذلك فى تفسيره [1] ، وقد أملاه من سنة ٢٨٣ إلى سـنة ٢٩٠ ، وهو إمام فى العربية والدين ، وتوفى سنة ٣١٠

ووقع فى تفسير الزمخشرى ( محترم عظيم الحرمة ) [2] .

وجاء فى تفسير أبى حيان ( لكونه محترما ) [3] .

وذكر البنجديهى أن الحرم أقوام ( محترمون ) [4] .

وجاء فى كلام الشهاب الخفاجى ( جعله الله محترما ) [5] .

أليكلام هؤلاء الأعلام فى العربية أصل فى اللغة لم نجده نحن ؟ إنه لا يستشهد بكلام أمثالهم ، وإنما يستشهد بكلام العرب .

إن حبيب بن أوس راوى " ديوان الحماسة " من المحدثين الذين نشئوا بعد الصدر الأول ، والمحدثون لا يستشهد بكلامهم ، ولكن الزمخشرى استشهد بكلامه من جهة أنه عالم بالعربية ، وجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، وقد وثق العلماء بروايته وإتقانه ، فهو استشهاد خاص ، وكيف يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، وإتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية .

---

(١) فى آية ( جعل الله الكعبة البيت الحرام ) سورة المائدة (٢) فى آية ( ربنا إنى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ) . سورة إبراهيم (٣) مثل الزمخشرى (٤) فى شرح المقامة ٣٨ للحريرى وتوفى البنجديهى سنة ٥٨٤ (٥) فى شرح الشفا .

وقد استشهد أبو على الفارسى بكلامه كذلك ، فلامه لائمون ، وقالوا كيف يستشهد بكلام مولد ؟ وقد صنف الناس فيما وقع له من اللحن فى شعره .

وإنا لنرى مع هذا بعض النحويين يأتون بشعر مثله للاستئناس به .

بعد هذا كله وجدت فى كتاب الأفعال من مقدمة الأدب للزمخشرى (احترمه ، وهى الحرمة . واحتشمه ، واحتشم منه ، وهى الحشمة) ووجدت فى نسخة أخرى ( احترمة حرمة ) وفى ذلك الحجة على تعدى الفعل .

## مصادر دون أفعالها وأفعال دون مصادرها

أثبت أهل اللغة مصادر دون أفعالها ، وأفعالا دون مصادرها ، وتكلم النحويون فى طائفة من ذلك ، ورأوا أن ما لم يوضع يقدر وفق أصولهم ، ولكن لا يلزم من التقدير جواز الاستعمال ؛ ويعرف المانع من كتب اللغة والنحو .

## بعض المصادر التى لا أفعال لها

من المصادر التى لا أفعال لها ويْسَ وويْبَ . وبعض النحويين يذكرها فى المصادر التى لم تستعمل أفعالها . يقال : ويْسَ فلان : أى رحمة له ، ورفقا به . وويْبا لهذا الأمر : أى عَجبا له .

ولم تنطق العرب بفعل من الويس والويب ، وما أشبههما ، كراهة اجتماع إعلالين فيه : إعلال فائه كوعد ، وإعلال عينه كباع ، فإن اجتماعهما ثقيل فى تصريفه . فلا يقال واس يويس ، وواب يويب ، إلا فى التقدير .

لقد قام بالكلمة هذا الاعتلال الصرفى ، وهو عيب فى جوهر الكلمة ، يمنعنا من التكلم بها كما منع العرب .

يرى ابن جنى أن العرب لم يتكلموا بفعـل من (الفوظ) ، والفوظ : الموت وخروج النفس .

ويرى أنهم لم يتكلموا بفعل من ( الأين ) كذلك . والأين : الإعياء .

ولكنه جوّز التكلم بالأفعال التى وردت مصادرها دونها قياسا ، أى ما لم يكن مانع . وليس هنا مانع صرفى أو غيره كالإماتة . فيقال : فاظ الميت يفوظ ، وآن الرجل يئين ، فيشتق الفعل غير الوارد من المصدر الوارد .

ولكن ثبت أن العرب قالوا فاظ الميت يفوظ فوظا . وآن الرجل يئين أينـا من الإعياء . فالفعل عند ابن جنى قياس ، وعند غيره سماع .

وفى كثير من الأحوال نرى الكلمة التى نفاها لغوى وأثبتها آخر قليلة الاستعمال .

وإذا رأيت فى القاموس مثلا ( اللَّمْط : الاضطراب والطعن ) بلا زيادة على هذا ، ففعل هذا المصدر كاصطلاح القاموس على مثال كتب ، فى لزومه المفهوم من الاضطراب ، وتعديه المفهوم من الطعن . ولا يقول صاحب القاموس على مثال كتب إلا إذا كان مسموعا .

## المصدر الممـات وغيره

العرب قد يحيون الكلمة ثم يميتونهـا ، ويستغنون باللفظ عن اللفظ ، حتى يصير المستغنى عنه كأنه لم يكن . يأتون بالكلمة فإذا لم تنقد لطباعهم نبذوها ، كالمرء يتذوق الشىء فإذا لم يعجبه طعمه طرحه .

فى اللسان أن الهَكَف السرعة فى العدْو وغيره ، وهو فعل ممات . وسيبويه يسمى المصدر فعلا . إن العرب أماتوه ، وانصرفوا عنه إلى مايؤدى معناه كالهطهطة[1] ، على سبيل البدل والخيرة فى لغة العرب للعرب لا لغيرهم .

---

(١) ابن سيده

فإذا لم يثبت أن هناك فعلا مثلا مستعملا من الهكف ، فليس عندنا مصدر نشتق منه فعلا . فإن الميت لا يلد .

ولكن فى القاموس : ( الهكَف : السرعة فى العدْو والمشى ) ، وليس فيه أن المصدر مات . وعلى هذا يكون المصدر حيا على مثال الفرح . فلك أن تتكلم به وبفعله من باب فرح .

ويذكر بعض اللغويين أن العرب أماتوا مصدر يذر وماضيه واسم فاعله ، واستغنوا عن ذلك بِتَرْكٍ وتَرَكَ وتارك ، حتى إنهم يقولون ذره تركا ، وهو يذره تركا ، ولا يقولون ذره وذرا ، ولا يذره وذرا ، ويقولون تركه ، وهو تارك ، ولا يقولون وذره ، وهو واذر .

وبعضهم يحكى المصدر والماضى على قلة . وإذًا يكون المصدر والماضى مريضين لا ميتين .

ويزعم النحويون أن العرب أماتوا مصدر يدع وماضيه واسم فاعله ، وتحولوا عن ذلك إلى ترك ؛ وترك ، وتارك ، كالذى قبله .

ولكن حكى المصدر والماضى واسم الفاعل . يقال ودع الشىء يدعه ودْعا : اذا تركه . وقرأ جماعة ( ماودعك ربك ) بتخفيف الدال ، وقال أبو الأسود الدؤلى :

ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله فى الحب حتى ودَعه ؟

وأنشد الفارسى :

فأيهما ما أتبعن فإننى * حزين على ترك الذى أنا وادع

فالإماتة هنا ليست على معناها ، وإنما هى على معنى إهمال العرب استعمال ذلك فى الأكثر ، فالاستعمال قليل أو شاذ ، والقلة أرجح . والقلة أو الشذوذ من ناحية السماع ، وأما من ناحية القياس فالقياس صحيح مطرد ، فلنا أن نتكلم بهذا سماعا وقياسا [1] .

يزعم بعضهم أن العرب انحرفت عن وذر وودع ذلك الانحراف لأن فى أولها واوا ، والواو حرف ثقيل ، ولكن هنا لك أفعالا أخرى مبدوءة بالواو ، ولم تنحرف العرب عنها ، إلا أن يدعى أن العرب تحب تقليل هذا النوع .

## بعض الأفعال التى لا مصادر لها

هاك مثالين من الأفعال التى لا مصادر لها ، لتعلم المانع من مجئ مصدريهما وغير ذلك .

( الأول ) دام الناسخة . يرى جمع أنها لا تتصرف [2] ووجه ذلك أنها لا بد أن تكون صلة لما المصدرية الظرفية ، وما وقع صلة لها كان مضيه ملتزما عند العرب ، فيجرى عندهم مجرى المثل ، والأمثال لا تغير .

فإن كانت ما مصدرية غير ظرفية لم يكن المنصوب بعد دام خبرا ، بل حالا ، كيعجبنى ما دمت سليما : أى دوامك سليما .

فدام الناسخة لا مضارع لها ، ولا أمر ، ولا اسم فاعل ، ولا مصدر .

وأما يدوم ، ودم ، ودائم ، ودوام ، فمن تصرفات دام التامة .

---

(١) ابن درستويه .

(٢) هذا الرأى للفراء وكثير من المتأخرين .

ويرى جمع أن لها مضارعا هو (يدوم) فهى عندهم متصرفة تصرفا ناقصا [1].
ولو ثبتت صحة مجيئه لكان استعماله فى حد الندور أو القلة .

فأصحاب الرأى الأول وأصحاب الرأى الثانى متفقون على أنه لا مصدر لدام الناسخة .

وادعى بعض الكاتبين فى النحو بعد استقرار أمره أن لها عنده مصدرا : لأن شرطها أن تسبقها ما المصدرية الظرفية ، وما المصدرية تؤول مع مابعدها بمصدر، وهذا المصدر مصدرها . فلا يقال إنها مع ما بعدها فى تأويل مصدر مقدر لا موجود. والحكم بأن ذلك اختراع لما لم يرد عن العرب جور . فإذا قلت أحبك مدة دوامك صالحا كان ( دوام ) مصدر الناسخة وصالحا خبره ، مثل أحبك ما دمت صالحا ، والفرق تحكم .

ولكن إذا قلت أحبك مدة دوامك صالحا ، فكلمة مدة ليست كلمة ( ما ) التى بشرطوا دخولها على دام حتى تنسخ ويكون لها خبر ، وللألفاظ فى النحو حكمها .

فتأويل أعطيك ما دمت مستقيما مثلا بأعطيك مدة دوامك مستقيما : تقريب إلى الفهم ، كأنك قلت ذلك على أن مستقيما خبر ، وهو فى الواقع غير خبر ، وإنما هو حال، فكلمة دوام مصدر دام التامة ،وليس لدام الناسخة مصدر إلا فى التقدير.

( والثانى ) كذب . إذ يكون الكلام فى الإغراء ، مثل كذب عليك كذا ، وكذبك كذا أى عليك به . فإن المعنى على الإغراء والمطالبة بلزوم الشىء .

وفى حديث عمر رضى الله عنه ( كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العُمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم ) أى عليكم بهذه الأشياء .

---

(١) هذا الرأى لجمهور المتقدمين وبعض المتأخرين .

وقال لمن شكا اليه النِّقرس : ( كذب عليك الظواهر ) جمع ظاهرة ، وهى ما ظهر من الأرض وارتفع ، أى عليك بالمشى فيها ، وفى رواية ( كذبتك الظهائر) جمع ظهيرة ، وهى شدة الحر .

وقال عنترة فى خطاب زوجه ( كذب العتيق ) وهو التمر اليابس ، أى عليك بأكله .

وهذا الفعل جرى عند العرب مجرى المثل ، فلزم طريقة المضىّ ، فليس له مصدر ولا مضارع ولا غيرهما .

وهو مما اختلف اللغويون فى معناه اختلافا عظيما ، كأنه من الكلام الذى درج ودرج أهله ، ومن كان يعلمه ، فان ظاهره بعيد من الإغراء ، ولو جاءت اللغة وافرة لما كانت حقيقته مسجّاة ، ولما اجتهد اللغويون فى تجربة الأفهام ، كما ترى فى اللسان والتاج وغيرهما ..

## قول بعض اللغويين لاتقل كذا ، أولا يقال كذا

إن قول بعض اللغويين لاتقل كذا ، أولا يقال كذا ، قد ينقض أو يخرَّج على الأكثر ، كقولهم لافعل لكذا مثلا .

فى الصحاح (قَمَص الفرس وغيره يقمُص ويقمِص قمصا وقِماصا : أى استن[1] يقال هذه دابة فيها قماص ولا تقل قُماص ، فاثبت الكسر ، ومنع الضم[2] ولكن فى اللسان أن الضم أفصح .

وفى القاموس ( ائتزر به أى بالإزار ، ولا تقل أتّزر ، وقد جاء فى بعض الأحاديث ، ولعله من تحريف الرواة ) .

---

(١) أى رفع يديه وطرحهما معا وبجن برجليه .

(٢) هذا يوافق ضبط الزبيدى .

وذكر ابن الأثير أنه جاء فى بعض الروايات ( وهى متّزرة ) ، وهو خطأ ، لأن الهمزة لاتدغم فى التاء . وذكر المطرزى أنها لغة عامية .

ولكن الرواة لم يحرفوا الرواية ، فقد صححها الكرمانى وغيره ، وأثبت ذلك الصاغانى فى مجمع البحرين .

وذكر فى التكملة أنه يجوز اتّزر بالمئزر ، فيمن يدغم الهمزة فى التاء ، كما يقال اتّمنه ، والأصل ائتمنه [1] وهو فى اللسان كذلك . وفى المصباح واتّزرت : لبست الإزار ، وأصله بهمزتين ، الأولى همزة وصل ، والثانية فاء افتعلت .

وذكر ابن السكيت أنه يقال فَقَأتُ عينه ، ولا تقل فَقَيْت .

ولكن حكى أبو زيد أن من العرب من يخفف مثل هذه الهمزة فيقول قريت ونشيت ، وبديت ، ومليت الإناء ، وخبيت المتاع ، وما أشبه ذلك . أصله قرأت ونشأت ، وبدأت وملأت وخبأت .

وتكلم اللغويون فى نَضْح المـاء ونَضْخه ، فرأى الأصمعى أنه لايقال من الخاء فعلت ، إنما يقال أصابه نضـخ من كذا ، وما كان من فعَل الرجلُ فهو بالخـاء ( غير معجمة ) .

وذكر أبو عبيد أنه يقال : أصابنى نضخ من كذا ، ولا يقال مـنه فعَل ولا يفعل .

ولكن أبا زيد ذكر أن النضخ : الرش كالنضح ، وأنهما سواء ، تقول نضخت أنضخ .

وفى اللسان وخاصمت فلانا فخصمته أخصِمه بالكسر ، ولا يقال بالضم .

---

(١) الزبيدى .

ولكن حكى أبو حيان وابن سيده الضم . فالنقل الأول على الشذوذ ، والثانى على القياس .

وذكر ابن قتيبة فى المصادر التى لا أفعال لها قولهم : رجلٌ غَمر ، أى غير مجرّب بيّن الغَمارة .

ولكن هذا المصدر له فعل مستعمل ، يقال غمر الرجل غمارة .

وذكر كذلك قولهم امرأة حصان بينة الحصانة ، ولكن الحصانة لها فعل مستعمل ، حصُنت المرأة وأحصنت .

## دلالة اسم المفعول على الفعل

حكى أبو زيد أن العرب قالوا ( رجل مُدَرْهَم ) : أى كثير الدراهم ، ولم يقولوا منه دُرهم .

وقد جاء عن العرب دَرْهمت الخُبّازَى : على معنى استدارت ، فصارت على أشكال الدراهم ، فهذا غير الأول .

ولكن إذا جاء اسم المفعول من معنى ، فالفعل حاصل من هذا المعنى [1] فلك أن تقول دُرهم الرجل على القياس ، لا على أن العرب قالته . وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

والدرهم أعجمى معرب ، ألحق ببناء عربى هو الهِجْرَع ، ويطلق الهِجْرع على الأحمق وغيره . وعومل الدرهم معاملة اللفظ العربى ، فاشتق منه .

وإنما يدل اسم المفعول على الفعل إذا ورد عن العرب على القياس ، فأما إذا كان شاذا فإنه لا يدل على الفعل ، كمبروز : بمعنى منشور أو مظهر ، فإنهم لم يقولوا برزته بغير ألف [2] وإنما قالوا أبرزته ، فاسم المفعول القياسى مُبْرَز .

ومثل هذا يعلم من كلام أهل اللغة ، كما يعلم منه أن مثل الميسور على رأى من المصادر .

---

(١) ابن جنى وصاحب القاموس (٢) السرقسطى .

## القاموس ومذهب أبي زيد فى المضارع

ذكر صاحب القاموس أنه إذا أتى بالماضى ومضارعه دون تقييد كان الماضى ومضارعه بوزن ضرب يضرب . على أنه يَذْهَب إلى ما قال أبو زيد إذا جاوزت المشاهير [1] من الأفعال ، التى يأتى ماضيها على فعَل، فأنت فى المستقبل بالخيار : إن شئت قلت يفعُل (بضم العين) و إن شئت قلت يفعِل (بكسرها) .

و إنما يكون الضبطان إذا لم يكن مانع ، كما هو بيّن فى الصرف .

وقد أورد على مثال ضرب يضرب كثيرا دون تقييد بوزن . و إنما علمنا ذلك مضبوطا بالشكل . ومنه هَذَبه يهذبه هذبا ، قطعه ونقّاه وأخلصه وأصلحه . ورمطه يرمطه : عابه وطعن عليه . وقبن يقبن قبونا : ذهب فى الأرض .

ونُقد كلامه بأن أهل اللغة لم يأتوا بفعل خيروا المتكلم فيه، و إنما قيدوه بالضم، أو بالكسر، أو بهما، أو بالتثليث كينبع ، ويصبغ ، ولم يكن التخيير إلا فى الصدر الأول ، وتكلم المخير بما اختاره ، فاقتفى المتأخر آثاره ، وصار عليه المعوّل [2]

ولكن إذا كان التخيير فى الصدر الأول ، فهو تخيير تجيزه اللغة ، فتكلُّم المخير بما اختاره لا يمنع من التخيير بعد . وما عذر أهل اللغة فى اختيار ضبط دون ضبط ؟

هل يجوز أن يلتمس أنهم دوّنوا ما اشتهر بعد التخيير . وهل يحسن الرجوع إلى التخيير بعد التدوين واشتهار مادُوّن ؟

يذكر أبو عمرو بن العلاء أنه سمع الضم والكسر فى عامة هذا الباب وأنه ربما اقتصر فيه على وجه واحد ، لابد فيه من السماع .

ويذهب محمد بن يزيد ، وأحمد بن يحيى ، إلى أنه يجوز الوجهان فى مستقبل فَعَل فى جميع الباب .

---

(١) وقع فى نقل غيره عن أبى زيد ( اذا جاوزت المشهور) (٢) حاشية القاموس .

ويرى أبو على أن هذين المثالين يعنى يفعِل ويفعُل جاريان على السواء فى الغلبة والكثرة : أى فى جميع الباب . .

أفبعد هـذا يزعم بعضهم أن أبا زيد تعدى ، فرأى أن كلا من الضم والكسر قياس ؟ غير أنه ربما يكثر أحدهما فى إعادة ألفاظ الناس ، حتى يطرح الآخر ، ويقبح استعماله فإن عرف الاستعمال فذاك ، وإلا استعملا معا .

إن أبا زيد توسط فى الأمر ، ومثله فى ذلك قوم . فجعلوا التخيير فيما جاوز المشهور ، لا فى الباب كله .

ويرى بعضهم أن غير المشهور هو ما بحثت عنه فى مظانه فلم تجده . إذًا يكون ما فى المظان من كتب اللغة مشهورا . وإذا كانت المسألة هكذا ، فلاىّ شىء ذهب صاحب القاموس إلى ما قال أبو زيد ؟

ويرى الفراء أنه إذا أشكل أمر يفعل ويفعل فليبتّ على يفعِل ( بالكسر ) فإنه الباب عندهم .

ويرى أبو الحسن أن يفعِل ( بالكسر ) أغلب من يفعل (بالضم ) . ويمكن رجع هذا إلى ما ذهب إليه الفراء .

ولكن جرى أبو على على أن الكسر أفصح لا أغلب ، لما فيه من الخفة ، نحفق الفؤاد يخفِق ، ويخُفق . وبرد الماء يبرِد ، ويبرُد ، وسمط الجدى يسمِطه ، ويسمُطه .

وماذكر من الآراء والمذاهب يجرى فى اللازم والمتعدى .

وقرأ بعضهم فى الفرقان ( ويوم يحشِرهم ) بكسر الشين ، فذكر ابن عطية أن ذلك قليل فى الاستعمال ، قوى فى القياس ، لأن يفعِل بكسر العين فى المتعدى أقيس من يفعل بضم العين .

فردّ أبو حيان بأن فعل المتعدى الصحيح جميع حروفه إذا لم يكن للمبالغة ولاحلقى عين ولا لام ، فأنه جاء على يفعل ويفعل كثيرا . فإن شهر أحد الاستعمالين اتبع ، وإلا فالخيار . حتى إن بعض أصحابنا خير فيهما ، سمعا للكلمة أو لم يسمعا .

يجوز أن يكون قد ذكر هذا الحكم للمتعدى وحده ، من أجل الفعل الذى فى الآية ، فيوافق غيره فى التعميم .

والمتعدى يصير لازما إذا حول من وزنه إلى فعل ( بضم العين ) لغرض المبالغة والتعجب ، مثل ضرب الرجل وفهم ، أى ما أضربه وأفهمه .

## المغالبة ورأى الكسائى فى المضارع الحلقى العين أو اللام

تبنى المغالبة على فعلته أفعُله ( بضم عين المضارع ) إلا فى نحو وعدت وبعت ورميت ، فعلى أفعِله ( بكسر عينه ) .

يقال واعدته فوعدته أعِده ، وبايعته فبعته أبيعه ، وراميته فرميته أرميه . ( بكسر عين المضارع ) ، وكارمنى فكرمته أكرُمه ( بضم عينه ) .

وجاء المضارع فى خاصمنى فخصمته أخصمه ( بالضم ) على هذا الأصل ، و ( بالكسر ) على الشذوذ .

وجاء المضارع فى نحو شاعرنى فشعرته أشعره ( بالضم ) على هذا الأصل ، كما نقل أبو زيد عن العرب . وسمع بالفتح ، كما نقل الجوهرى ، من أجل حرف الحلق .

وحكى عن الكسائى فى المغالبة أن المضارع إذا كانت عينه حرف حلق ، كما فى هذا ( ومثل ذلك ما لامه حرف حلق ) لزم فتح عينه ، لاستثقال ضم العين مع حرف الحلق . وهذا قياس ذلك المضارع فى غير المغالبة .

ونقد كلامه بأن طريقة نقل المضارع إلى الضم فى المغالبة أولى ، لأنها تثبت ، وحرف الحلق لا يوجب فتح العين ، وإلا أوجبه فى مثل يدخُل ويرجع .

الكسائى لم يكترث للأصل فى المغالبة ، وما وافقه من السماع . والتزم فى المغالبة قياس ذلك المضارع فى غير المغالبة ، وقد عضده فيها سماع .

وفى الصحاح ما كان من قولك فاعلته ففعلته ، فإن يفعل منه يردّ إلى الضم ، إذا لم يكن فيه حرف من حروف الحلق ، من أى باب كان من الصحيح . تقول عالمته فعلمته أعلمه ( بالضم ) . وفاخرته ففخرته أفخره ( بالفتح لأجل حرف الحلق ) ونحو ذلك فى اللسان .

وفى القاموس : فاعلته ففعلته ، يردّ يفعل منه إلى الضم ، إن لم تكن عينه حرف حلق . فإنه بالفتح ، كفاخره ففخره يفخره ، ومثل ذلك المضارع الذى لامه حرف حلق . وهذا يوافق رأى الكسائى .

ذهب بعضهم إلى أن باب المغالبة ليس قياسا ، وإنما هو مسموع كثير .

وذهب بعضهم إلى أنه مطرد فى كل ثلاثى متصرف تام ، خال من ملزم الكسر.

## أمثلة ما يكمل بالاشتقاق والقياس

### الثلاثى المجرد

فى اللسان : ( بَخَن فهو باخن : طال ) .

فإذا قدرنا أنك بحثت فى كتب اللغة عن ضبط عين المضارع وعن المصدر فلم تجد . فيؤخذ من تفسير الفعل أنه لازم . ويؤخذ من فتح عينه أن مصدره على مثال الفُعول قياسا ، ويؤخذ من كون عينه حرف حلق أنها تفتح فى المضارع قياسا ، كدأب يدأب دُءوبا ، وأهل الحجاز يجعلون مصدر مثله على الفَعْل ، كفخر يفخَر فخرا . وتقدم الكلام فى القياس مع السماع .

وفى اللسان والقاموس : ( الخافل : الهارب ) .

فإذا قدرنا أنك بحثت فى كتب اللغة عن ماضى الخافل ومضارعه ومصدره فلم تجد . فيفهم من تفسير الخافل أنه من اللازم ؛ ويفهم من اللزوم ووزن فاعل

أن الفعل ليس مكسور العين ، ولا مضمومها وفقا للقياس . ووزن فاعل فى اللازم الذى كسرت عينه أوضمت ، سماع لا يحمل الكلام عليه . فلم يبق إلا أن : خفل مفتوح العين . وإذا كان مفتوحها فمصدره القياسى على مثال الفِعال ( بكسر الفاء ) لأن خفل بمعنى هرب ، وهرب معناه فرّ. فهو من قبيل الامتناع . ومضارعه بكسر العين وضمها ، على أن الضبطين سواء ، أو بكسر العين ، على أن ذلك هو الأفصح أو الأغلب أو الباب إذا أشكل الأمر. وهناك مذهب الفراء الذى يجيز القياس مع السماع.

وفى اللسان : ( المَلَخ التثنى والتكسر ) وهو بفتحتين .

ويؤخذ من تفسير المَلَخ أنه مصدر اللازم . ويؤخذ من ضبط المَلَخ بفتحتين أن فعله كفرح .

غير الثلاثى المجرد

فى اللسان : ( أبلحت النخلة اذا صار ما عليها بلحا ) . وفى القاموس : ( أبلح النخل ) .

فيقال : أبلحت تبلح إبلاحا .

وفى اللسان : ( تفخل الرجل أظهر الوقار والحلم ) وفى القاموس نحو ذلك .

فيقال تفخل يتفخل تفخلا .

وفى اللسان : ( حدرجه ، أى فتله وأحكمه ) . وفى القاموس نحو ذلك .

فيقال : حدرجه يحدرجه حدرجة .

وفى اللسان : ( البهكثة السرعة فيما أخذ فيه من عمل ) وفى القاموس نحو ذلك .

فيقال : بهكث يبهكث بهكثة .

وفى القاموس : ( التبلصق : التقرب من الناس ) .

فيقال : تبلصق يتبلصق تبلصقا .

وفى اللسان : ( آبلندح المكان عرض واتسع ) وفى القاموس نحو ذلك .

فيقال ابلندح يبلندح ابلنداحا .

# الأضـــداد

للأستاذ الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع

---

١ — المصادر — ٢ — تعريف الأضـداد واختلاف الآراء فى وقوعها فى اللغة العربية — ٣ — تقدير هذه الآراء — ٤ — الأصل الطبيعى للأضداد ونشأتها : آراء علماء العرب وآراء المستشرقين — ٥ — مصير الأضداد .

## ١ — مصادر البحث

ألف كثير من أئمة اللغة فى الأضداد . وقد ذكر جلال الدين السيوطى منهم فى كتابه "المزهر فى علوم اللغة" قطربا ، والتوّزى ، وأبا بكر بن الأنبارى ، وأبا البركات بن الأنبارى ، وابن الدهان ، والصغانى ، وذكر أن لابن دَرَسْتَوَيه[1] تأليفا فى ذلك[2].

ويذكر بروكلمان Brockelmann فى المجلد الأول من كتابه Geschichte der Arab : Litteratur كتبا تتعلق بهذا الموضوع نفسه ففى ( ص ١٠٣ ) يذكر كتاب الأضـداد لقطرب ( مخطوطات ، مكتبة برلين ، رقم ٧٠٩١ من فهـرس أهلوارت Ahlwardt وفى ( ص ١٠٥ ) كتاب الأضـــداد للأصمعى ( مخطوطات ، فينا ، فهرس فلوجل Kat. Hof-Bibl. Wien رقم ٦/٣٥٥ )

---

(١) ضبط فى ابن خلكان بضم الدال والراء والتاء وسكون الواو عن السمعانى ، كما ضبط بفتح الدال والراء والواو عن ابن ماكولا .

(٢) السيوطى فى المزهر ، طبعة الرافعى ج ١ ص ٢٣٤ — ٢٣٥

وفى ( ص ١١٧ ) الأضداد لابن السكيت ( نفس الفهرس المتقدم والرقم )
وفى ( ص ٣٦١ ) الأضداد للحسن بن محمد بن الحسن الصغانى ( برلين، رقم ٧٠٩٢ من فهرس أهلوارت ) وفى (ص ٥١٤) ذكر بروكلمان ما ذكره المبرد لعبد الله بن محمد ابن هارون التَّوَّزى .

وقد ورد فى بعض كتب اللغة المطبوعة فصول فى الأضداد ، نذكر من أهمها المخصص لابن سيده ، والمزهر للسيوطى ، وفقه اللغة للثعالبى . كما ورد فى كتب الفقه والأصول أبواب عن المشترك ، وما يتصل به من الأضداد . الا أن أنفس ما وصل الينا من تصانيف العرب فى هذا الموضوع : كتاب الأضداد لأبى بكر بن الأنبارىّ .

ونجد لبعض علماء العرب المحدثين بحوثا فى هذا الموضوع ، من أهمها ما أثبته الشيخ محمد الخضرى بك فى كتاب " الأصول " عن المشترك ، وما ألقاه العلامة المحقق السيد محمد طاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكى بالديار التونسية ، فى مؤتمر اللغة والآداب العربية ، الذى انعقد فى تونس عام ١٣٥٠ هـ[1]

أما أشهر من كتب فى هذا الموضوع من المستشرقين ، فهم العلامة الألمانى ( ت . م . رد سلوب ) Th.M. Redslob إذ ألف رسالة نشرها عام ١٨٧٣ فى جوتنجن بعنوان :

(Die arabischen Wörer mit en tgegengesetzten Bedeutungen)

---

(١) نشرت محاضرته فى مجلة الهداية الإسلامية ، التى تصدر فى القاهرة ( أنظر المجلد السادس ج ٦ و ٧ عام ١٣٥٢ — ١٣٥٣ هـ )

والعلامة فردريك جيزF. Giese الذى كتب بحثا فى الأضداد ، جمع فيه ما ورد من ألفاظ الأضداد فى الشعر الجاهلى ، وعنوانه :

(Untersuchungen über die Addâd auf Grund von Stellen in Altarabischen Dichtern)

ونشره فى برلين عام ١٨٩٤ ، ومنهم كذلك العلامة "ج" فيل G. Weil الذى كتب فصلا جامعا فى دائرة المعارف الإسلامية (انظر مادة أضداد Addâd) .

وكتب آخرون فصولا تتصل بهذا الموضوع منهم ( بلجست Leguest ) الذي نشرفى باريس عام١٨٥٨ بحثا بعنوان: ( Etude sur les formations des racines semitiques

وهناك مناقشات تتصل بالأضدادظهرت فى مجلة Journ. Roy. As. Soc. عام ١٨٩٥ ؛ ص ٢٢٣ وما بعدها ، وفى مجله Asiatic Quarterly Rev. المجموعة الجديدة ، ج ٩، ١٨٩٥، ص٢٤٢

ويمكن الانتفاع فى الجملة بما كتبه علماء الأفرنج فى طبائع الشعوب المتأخرة، ونخص بالذكر كتب العلامة الفرنسى ليفى برول الأستاذ بجامعة باريس ، وكذلك كتب علم النفس المطولة ، إذ تتعرض بعض فصولها لما يفيد فى هذا الموضوع .

هذه أهم المصادر التى أتيح لنا ذكرها لمن يريد معالجة موضوع الأضداد .

## ٢ — تعريف الأضداد

### واختلاف الآراء فى وقوعها فى اللغة العربية

الأضداد اصطلاح أطلقه فقهاء اللغة العربية على الألفاظ التى يدل كل منها على معنيين متقابلين "متضادين" . وقد جرى العلماء على التعبير بصيغة الجمع فى أكثر الأحيان ، فهم يقولون عادة عرف كذا "من الأضداد" على أنهم

استعملوا كذلك صيغة المفرد ، فقالوا مثلا : " البســل : الحرام والحلال ، ضد " (١) وكلمة " ضد " نفسها — على ما ورد فى الكتب — من الأضداد : لأن معناها المثل والمخـالف (٢) ، قال ابن الأنبارى : " وهذا عندى قول شاذ لا يعوّل عليه "(٣) ، فاذا لم يصح قول ابن الأنبارى — وهو صحيح فيما نعتقد — فيجب أن نأخذ هنا لفظ " الضد " بالمعنى الذى يفيد المخالفة ؛ لأن الاصطلاح العلمى إنما ينصرف لهذا المعنى وحده .

والأضداد نوع من " المشترك " واللفظ المشترك هو الذى يشترك فيه معنيان أو أكثر ، كالعين مثلا ، فهو يطلق على البـاصرة ، وعلى الجاسوس ، وعلى نبع المـاء . قال إلكيا : "المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين كالجون والجلل ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين"(٤)

ويجعل المبرد الأضداد نوعا من المشترك حين يقول فى كتاب ( ما اتفق لفظه واختلف معنـاه ) : " من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ..... فأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، فكقولك وجدت شيئا : إذا أردت وِجدان الضالة ، ووجدت على الرجل : من الموجدة ، ووجدت زيدا كريمـا : أى علمت ..... وهذا الضرب كثير جدا ؛ ومنه ما يقع على شئين متضادين كقولهم ( جَلَل ) : للكبير والصغير . . . و (الجون) : للأسود والأبيض . . . و (الرجاء) : للرغبة والخوف . وهو أيضا كثير" (٥)

---

(١) الفيروز ابادى فى القاموس ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ ، مادة بسل .

(٢) ابن الأنبارى فى الأضداد ، ص ١٦

(٣) المصدر المتقدم ، ص ١٦ س ١٨

(٤) السيوطى فى المزهر ، ج ١ ص ٢٢٨ طبعة الرافعى .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٩

نخلص من هذا بأن الكلام على المشترك يشمل الكلام على الأضداد . وقد اختلف علماء اللغة فى وقوع المشترك فى لغة العرب ، فذهب قوم إلى وقوعه كأنه فى مألوف القوانين اللغوية ، وذلك لأن المعانى عندهم غير متناهية ، والألفاظ متناهية ، فإذا وزِّع لزم الاشتراك . وذهب بعضهم إلى أن الاشتراك أغلب ، قال : "لأن الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة ، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء ، والمضارع كذلك ، وهو أيضا مشترك بين الحال والاستقبال ، والأسماء كثير فيها الاشتراك ، فاذا ضممناها الى قسمى الحروف والأفعال ، كان الاشتراك أغلب" (١)

ويثبت ابن فارس وقوع الأضداد فى اللغة العربية حين يقول : " من سنن العرب فى الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو الجون للأسود، والجون للأبيض" (٢)

ويثبتها كذلك ابن سيده عند ما يناقش شيخا له أنكرها ، فيقول : " هل يجوز عندك أن تجئ لفظتان فى اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين ؟ (يشير إلى المشترك) فلا يخلو فى ذلك أن يجوِّزه أو يمنعه ، فان منعه ورده ، صار إلى رد ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ماثبت جوازه وشُبِّهت عليه الألفاظ، فانها أكثر من أن تحصى وتحصر، نحو (وجدت) الذى يراد به العلم ، والوجدان ، والغضب ؛ " وجلست " الذى هو خلاف قمت ، " وجلست " الذى هو بمعنى أتيت نجدا (ونجد يقال لها جَلس) . فاذا لم يكن سبيل الى المنع من هذا، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشئ وخلافه. وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشىء وخلافه، جاز وقوعها الشئ وضده ؛ إذ الضد ضرب من الخلاف وإن لم يكن كل خلاف ضدا" (٣)

---

(١) السيوطى فى المزهر ج ١ ، ص ٢١٧

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٨

(٣) ابن سيده : المخصص ، ج ١٣ ، ص ٢٥٩

ومن الأئمة الذين أثبتوا الأضداد باثباتهم المشترك غير من ذكرنا طرفا من آرائه : ابن الأعرابى وأبو عبيد وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصارى والخليل بن أحمد وسيبويه وابن الأنبارى وابن دريد [١] والسيوطى . والمؤلفات التى بقيت لبعض هؤلاء العلماء تدلنا على أنهم جمعوا من الأضداد عددا كبيرا ، فقد أحصى كل من السيوطى وابن سيده من الأضداد ما نيّف على المئة ، وأحصى ابن الأنبارى ما زاد على الأربع مئة .

وكما أننا نجد من أثبت الأضداد و بلغ بها إلى هذا العدد الكبير، نجد من الأئمة من أنكر وجودها ، وأبطلها إبطالا تاما . وأظهر هؤلاء ابن دَرَسْتَويه [٢] ، فقد ذهب الى جحد الأضداد جميعها ، وكتب فى ذلك تأليفا خاصا أسماه " إبطال الأضداد " وإنا لنأسف لضياع ذلك المؤلف ، ولعدم وقوفنا على الطريقة التى سلكها هذا العالم اللغوى الكبير فى نقض الأضداد و إبطالها .

ورُوى ابن سيده الأندلسى أن أحد شيوخه كان كذلك " ينكر الأضداد التى حكاها أهل اللغة ، وأن تكون لفظة واحدة لشئ وضده " [٣]

## ٣ — تقدير هذه الآراء

ويخيل إلينا أن الفريقين أسرفا فيما ذهبا اليه من المبالغة فى إثبات الأضداد أو فى إنكارها إنكارا تاما . فأما الذين أبطلوا الأضداد ، فعندنا أنهم غلوا فيما ذهبوا إليه ، لوجود بعض ألفاظ تشهد على التضاد ، فيما بين أيدينا من كتب اللغة، حتى إن ابن درستويه نفسه — وهو من المنكرين — قرر وجود النادر من تلك الألفاظ، واعتذر عن ذلك بقوله : "اللغة موضوعة للإبانة ، والمشترك تعمية ،

---

(١) ابن عاشور : الألفاظ المشتركة، مجلة الهداية الإسلامية ، المجلد السادس ج ٦ ص ٣٠٣

(٢) السيوطى : المزهر، ج ١ ، ص ١٩١ ، س ١٦

(٣) ابن سيده : المخصص، ج ١٣ ، ص ٢٥٩ ، س ٨

ولكن قد جاء منه النادر لعال، فيتوهم من لا يعرف العِلل أن اللفظ وضع لمعنيين، والسماع فى ذلك صحيح عن العرب ، وإنما يجئ ذلك من لغتين ، أو لحذف واختصار وقع فى الكلام ، حتى اشتبه اللفظان ، وخفى ذلك على السامع ، فتأول فيه الخطأ "(١) .

وأما الذين أثبتوا الأضداد وبالغوا فى عددها على نحو ما بينا ، فقد أنحرفوا عن جادة الصواب . ذلك لأن هناك كثيرا جدا من الألفاظ حُشرت حشرا بين الأضداد ، بعد أن زيد فى معناها زيادة لم تكن فى أصل الوضع إن كان اللفظ مشتقا ، ولا استعماله المألوف المأخوذ به إن كان غير مشتق ، أو لغير ذلك من الأسباب. ومن الممكن — على رأى المستشرق ( رد سلوب Redslob ) — إسقاط كثير من الألفاظ التى حشرها أولئك العلماء فى زمرة الأضداد ، فهو يرى :

( ١ ) أن ما ذكر من الأضداد يعوز أكثره الشواهد القوية .

( ٢ ) أنه لا يجوز الاعتماد فى إثبات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الأصل اللغوى لهذا اللفظ ، ومثال ذلك : قول العرب « لم أضرب عبد الله ، ولم يضربنى زيد» ، يحتمل معنيين متضادين : أحدهما أن يكون ضربى عبد الله مجحودا ؛ وكذلك ضرب زيد إياى ، يراد به ما كان ذا وما كان ذا . والوجه الآخر أن يكون الفعل الأول والثانى صحيحين مثبتين ، والتقدير لم أضرب عبد الله حتى ضربنى زيد ، فوقع ضربى لعبد الله لما وقع بى ضرب زيد (٢) .

---

(١) ابن عاشور : الألفاظ المشتركة ، مجلة الهداية الإسلامية ، المجلد السادس ، ج ٦ ص ٣٠٤ .

(٢) السيوطى فى المزهر جـ ١ ، ص ٢١٧ .

( ٣ ) يرى ( رد سلوب ) أن يخرج الحروف من الأضداد ، وأن يخرج كذلك الصيغ الفعلية المختلفة للفعل الواحد ، إذا دلت كل صيغة منها على زمانين مختلفين مثل " كان " التى تدل على الماضى ، وكذلك على المستقبل، كما فى قول الشاعر :

فأدركت من قد كان قبلى ولم أدع  لمن كان بعدى فى القصائد مصنعا

وأن يخرج كذلك أسماء الأعلام مثل إسحق و يعقوب وأيوب التى أعتبرها علماء اللغة من الأضداد ، لوجود معان أخرى لها .

( ٤ ) ويخرج عددا كبيرا من الألفاظ التى تضاف الى الأضداد لاشتراك الحالية والمحلية فيها ، مثل " كأس" التى تدل على الإناء المعروف وعلى ما يملؤه .

وكذلك يخرج كل الصيغ التى على وزن فاعل وتدل أحيانا على المفعول مثل آمن وراض وواسق ، وأيضا مايدل على المفعول والفاعل مثل أمين .

وكذلك الأفعال التى تشعر صيغتها المجردة بمعنى من معانى التعدية ، مثل زال التى تكون بمعنى ذهب وأذهب .

( ٥ ) ويخرج كذلك من الأضداد ألفاظ التهكم والاستهزاء مثل " ياعاقل" التى تقال للمعتوه ،وأيضا ألفاظ التفاؤل مثل " ياسالم " التى تقال تفاؤلا للمريض.

( ٦ ) و يقول ( رد سلوب ) إن أبلغ ما وصل إليه التكلف فى استنباط الأضداد ذهاب بعض العلماء إلى أن ( التاعة ) مثلا — وهى ما جرى من الماء وما ارتفع من الوادى — من الأضداد ، ومعتمد ذلك أن الماء يجرى من عل ، وأن المرتفع من الوادى يصعد من أسفل إلى أعلى . ومثل هذا يمكن أن يقال فى بعض الأفعال مثل حَلَّقَ ماءُ الركية : إذا تسفل ونزل ، وحلق الطائر : إذا علا .

ذلك مجمل آراء ( رد سلوب ) التى دعته إلى إخراج عدد كبير جدا من الألفاظ المحمولة على التضاد حملا ، وقد يصح أن نضيف إليها :

١ — أن بعض علماء اللغة والنحو تساهل فى تكثير معانى اللفظ الواحد ، بحسب اختلاف مؤدى المعنى باختلاف المواقع مثل " فوق " . قال فى أدب الكاتب : (" فوق" تكون بمعنى دون، وذلك كقوله تعالى : " إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها " . أى فما دونها ، مع ظهور أن معنى (الدون) هنا نشأ من كون الفوقية على البعوضة لا تعقل إلا فى تفاوت فى الحقارة ) .

والحق أن ( فوق ) هذه لا تدل إلا على معنى ( فوق ) لولا أن بعض المفسرين أراد أن يتأول تأولا ، فيخرجها لمناسبة ورودها فى الآية الكريمة إلى معنى "دون" وعندنا أنه إذا ظلت على معناها المعروف فان تفسير الآية يظل مستقيما ، والمعنى: ما يفوق الذبابة حقارة . ومثل هـذا قوله تعالى : ( وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ) : فسروا ( وراء ) بمعنى أمام، ولو فسرت وراء بمعناها الأصلى كان معنى الآية : كان من خلفهم ملك يتعقب أصحاب السفن فيغتصب سفنهم .

٢ — ويصح أن نخرج من الأضداد كذلك ما حرص على ذكره بعض علماء اللغة كابن الأنبارى وغيره، من غير أن يدققوا فى تطوراته الصرفية: فقد يأتى بعض المشتركات و بعض الأضداد من عوارض تصريفية بحتة ، وذلك بأن تؤدى القواعد الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان فى صيغة صرفية واحدة ، فينشأ عن ذلك لبس فى معنى هذه الصيغة المشتركة، يؤدى الى إضافتها إلى باب الأضداد، وهو غير صحيح .

من أمثلة ذلك لفظ ( فُـلْك ) الذى يستعمل للمفرد والجمع ، معا ، بضم اللام للمفرد، وسكونها للجمع، ثم إن العرب يتبعون حركة العين لحركة اللام، وقد يخففون العين بالسكون فيهما ، فاستويا عند الاستعمال فى التقادير كلها .

ومنها لفظة "مرتد" التى تقال للذى يرتد الشىء ... وللشىء يُرتد، ومثل هذا اللفظ يجب أن يخرج من عداد الأضـداد : لاختلاف الأصل الذى اشتق منه ، قال ابن الأنبارى : " إذا كان للفاعل فأصله مُرْتَدِد ، فاستثقلوا الجمع بين حرفين

متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الدال الأولى ، وادغموها فى التى بعدها ، وإذا كان للفعول فأصله (مُرْتَدَد) ففعلوا مثل مافعلوا فى الباب الأول ، واستوى اللفظان من أجل الإدغام "(١) .

ومن هذا القبيل لفظ " المِرْداد "(٢) وغيرها ، من نحو مختار وممتار ومشتار ومبتاع ومصطاد .

٣ — هناك من الألفاظ ما نقل عن معناه الأصلى إلى معنى آخر مجازى، لضرورة البلاغة أو التأدب أو غيرذلك ، فاعتبروها لذلك من الأضداد، وهى ليست منها ، كما فى قوله تعالى " نسو الله فنسيهم " . يقول المفسرون : إن معناه ليس أن الله تعالى غفل عنهم سهوا وهو المعنى الأصلى للنسيان ، وإنما تركهم عامدا ، لأن الله لايجوز عليه السهو .

٤ — إذا أنعمنا النظر فيما أوردوه من ألفاظ الأضداد ، فاننا نجد كثيرا منها من المشترك، وليس من الأضداد، وهذه — كما تبينا من قبل — نوع من المشترك أخص منه . ومثالها : المعصر والحَزَوَّر والروح والقلب ، وأفاد يفيد ، وزنا ، ونسل ... الخ .

فاذا نحن حذفنا من قائمة الأضداد التى ذكرها ابن الأنبارى وأضرابه — ممن بالغوا فى إثبات التضاد — ما يمكن أن يحذف فى ضوء هذه الملاحظات التى روينا بعضها عن المستشرق رد سلوب ، فربما لايبقى من ألفاظ الأضداد إلا نحو العشرين لفظا يصح أن تكون قد نشأت نشأة طبيعية ( كما ذهب إلى ذلك المستشرق جيز (Giese) بعد دراسته للشعر الجاهلى ) لسبب من الأسباب التى سنأتى على ذكرها فيما بعد .

---

(١) ابن الانبارى : الأضداد ، ص ٢٦٣

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦٤

ولا يستغرب في لغة من اللغات أن نجد قليلا من الألفاظ التى تقبل معنى التضاد ، ولكن ليس من المقبول عندنا أن يذهب علماء اللغة إلى مثل ما ذهبوا اليه من جمع المئين منها .

## ٤ — الأصل الطبيعى للأضداد ونشأتها

### آراء علماء العرب وآراء المستشرقين

كيف نشأت الأضداد ؟ وما الأسباب التى أدت اليها ؟

لقد حاول بعض علماء العرب تفسير أصل هذه الظاهرة اللغوية ، فاختلفوا فيها إلى جملة مذاهب :

فمنهم ابن فارس الذى يرى أن أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى ، وضعها العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين. قال السيوطى : قال ابن فارس فى فقه اللغة : من سنن العرب فى الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو الجون للأسود ، والجون للأبيض "(١) .

ومنهم من يرى أن ألفاظ الأضداد لم يضعها العرب للمعانى المتضادة بالوضع الأول ، وإنما استعملتها بعض القبائل فى معنى من معانيها ، واستعملتها قبائل أخرى فى المعنى المضاد له ، ثم امتزجت اللهجات ، فظهرت الأضداد فى اللغة(٢) .

وذكر أبو على الفارسى أن "الاستعارة" كان لها شأن فى نشأة الأضداد . روى عنه ابن سيده أنه قال : "اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغى ألّا يكون قصدا فى الوضع ولا أصلا ، ولكنه من لغات تداخلت ، أو تكون كل لفظة تستعمل لمعنى ، ثم تستعار لشىء ، فتكثر وتغلب وتصير بمنزلة الأصل "(٣) .

---

(١) السيوطى : المزهر ج ١ ، ص ٢٢٨ ، س ٩

(٢) ابن الأنبارى : الأضداد ، ص ٧ ، والسيوطى : المزهر ج ١ ص ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣٤ ؛ وانظر كذلك ابن سيده .

(٣) ابن سيده ، المخصص ج ١٣ ص ٢٥٩

. وذهب ابن دَرَسْتَوَيه — عند ما أراد أن يعتذر للقليل النادر من ألفاظ الأضداد — إلى أن الحذف والاختصار قد يقعان فى لفظ من الألفاظ ، حتى يشبه لفظا آخر ، فيتأول فيه التضاد لذلك .

وقد حاول المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك أن يعلل نشأة الأضداد ، ومن أهم ما ذكره من الأسباب فى ذلك قوله :

١ — أن يكون بين المعنيين معنى يجمعهما ، فتصلح الكلمة لكل منهما ، لذلك المعنى الجامع ، وهذا ما يسمونه الاشتراك المعنوى ، وقد يغفل الناس عن ذلك المعنى الجامع ، فيظنون الكلمة من قبيل المشترك اللفظى ، ومثال ذلك : القرء ، فإنه فى لغة العرب الوقت المعتاد ، فيقولون للحمى قرء : أى دور معتاد . تكون فيه ، وللثريا قرء : أى وقت معتاد تمطر فيه ، وللمرأة قرء : أى وقت تحيض فيه ، ووقت تطهر فيه (١) .

٢ — أن يضع الواضع الكلمة لمسمى ، وعند الإشارة إليه يكون مع المسمى غيره ، فيتلقاهما عنه السامع من غير أن يتبين حقيقة ما وضعت له الكلمة ، فتستعمل فى الشىء ، وفيما كان معه ، وفيهما جميعا ، وربما ينفصلان بعد . وقد يكونان ضدين كما فى نحو جون ، فإنه وضع فى الأول للسحاب ، وفيه الأبيض والأسود ، حتى إذا كان أبيض صرفا أو أسود صرفا فهو " جون "(٢) .

تلك مذاهب علماء العرب فى أصل الأضداد ونشأتها . ونحن عندما ننظر فيها على الترتيب نظرة الفاحص المدقق نجد أن بعضها مما يسهل رده ، كما أننا نجد الاقتصار على مذهب واحد — من بعضها الآخر الذى نسلم به — فى تفسير أصل الأضداد كلها : أمر يبعد احتماله .

---

(١) الخضرى فى الأصول ص ١٧٤

(٢) الخضرى فى الأصول ، ص ١٧٤ — ١٧٥

فنحن نرد مذهب ابن فارس فى قوله : إن من طبيعة العرب أن يطلقوا لفظا واحدا على المعنيين المتضادين ؛ لأن الأصل أن كل لفظ إنما يعبر عن معنى بعينه ، ولا يجوز أن نأخذ بمذهب ابن فارس الإ إذا أخذنا بمذهب بعض علماء الاجتماع الذين يذهبون إلى أن الشعوب فى أول نشأتها تبدو كأنها فى دور طفولة ، فكما أن الطفل قد يعبر بحرف واحد عن عدة معان، فكذلك الأمم فى طور سذاجتها ، ولكننا لا نذهب هذا المذهب .

أما المذهب الثانى الذى يرد الأضداد إلى لغات مختلفة، فمذهب تؤيده الشواهد الكثيرة . " قال أبو عبيدة فى باب الأضداد من كتاب الغريب المصنف : سمعت أبا زيد بن أوس الأنصارى يقول ... السدفة ( فى لغة تميم ) : الظلمة ، والسدفة (فى لغة قيس) : الضوء ... وقال : لمقت الشيء ألمقه لمقا . إذا كتبته ( فى لغة بنى عقيل ) وسائر قيس يقولون : " لمقته : محوته " (١) .

و " قال الأزدى ... خرج رجل من بنى كلاب أو من سائر بنى عامر بن صعصعة إلى ذى جدن، فاطلع إلى سطح والملك عليه ، فلما رآه الملك اختبره ، فقال له : ثب : أى اقعد، فقال : ليعلم الملك أنى سامع مطيع، ثم وثب من السطح : قال الملك . ماشأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ، إن الوثب فى كلام نزار : الطفر ، فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم " (٢) .

وقد نجد فى لغتين من أصل واحد ما يكون سببا للاختلاف الذى قد يتضمن من بعض الوجوه نوعا من التضاد ، مثل " لحم " فتطلق بالعبرية على الخبز من مادة نباتية ، وفى العربية على مادة حيوانية . وتأويل ذلك أن غذاء القبائل الأولى : قبائل العبرانيين (وهم من أهل الزراعة) غلب عليه النبات ، على حين غلب الحيوان فى غذاء العرب ، وهم أهل بادية رحل، ورعاة أنعام .

---

(١) السيوطى فى المزهر ١ ص ٢٣٠

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٤

ونقبل كذلك مذهب أبى على الفارسى الذى يرد الأضداد فى نشأتهـا إلى "الاستعارة"؛ لأن الاستعارة قد اعتمدت عليها كل اللغات فى تطورها ونمو ألفاظها ومعانيها: علمية وغير علمية. فكثيرا ما يستعار لفظ — كان يدل على معنى — لمعنى آخر، وقد يكون هذا المعنى الآخر يخالف أو يضاد، وشواهـد الاستعارة كثيرة فى مختلف اللغات، فلا حاجة بنا إلى ذكرها.

ونرجح كذلك رأى ابن درستوريه، فكثيرا ما يكون الحذف والاختصـار والقلب والنحت سببا فى إيجاد بعض ألفاظ من العسير أن نوفق إلى أصلها، وقد يكون من هذه الألفاظ بعض الأضداد.

وممن حاول تعليل نشأة الأضداد من المستشرقين: العلامة جيز (Giese) فذهب إلى أنها قد تعلل بأمور أهمها:

(١) أن يكون أحد المعنيين نتيجة الآخر، كما إذا استعمل "خنى" البرق بمعنى ظهر لحظـة، وبمعنى استتر. فالبرق حين يظهر يخفى، وحين يخفى يظهر. ومثل "ناء" ومعناها ينهض بالحمل بمشقة، ويحمل الحمل

(٢) وأن يرجع أحد المعنيين لمعنى ثالث فى لغة نسيبة، كلفظ "جلل" للشىء العظيم، والشىء الصغير الهين، قال امرؤ القيس:

أرقت لبرق بليل أهلّ  يضيء سناه بأعلى الجبـــل

بقتل بنى أســـد ربهم  ألا كل شىء سواه (جَلَل)

(جلل) أى هين يسـير. ويرجع المعنيان إلى المعنى الأصلى للفعل (جلل) فى اللغة العبرية، وهو بمعنى دحج: ولا يخفى أن الشىء المدحرج قد يكون ثقيلا عظيما، كحجر من الأحجار، أو خفيفا صغيرا، كالغبار الذى تثيره الريح.

(٣) ويؤول "جيز" الأضداد كذلك بعدم قابلية التأثرات والانفعالات للضبط المحدود، فقد تؤثر الرائحة فى النفوس تأثيرا مختلفا لا يبعد أن يشعر هذا الخلاف

بالتضـاد أحيانا ، كما لو قيـل " ذفر " للرائحة الطيبة ، والرائحـة المنتنة ، وكما لو قيل " راع " وكان هذا الانفعال الذى عبر عنه بهذا اللفظ يشعر باحترام يمت الى الفزع والخوف .

( ٤ ) وقد تتداخل الأحداث ، فما كان آخراً لأمر قد يكون أولا لغيره ، وما يكون أولا لأمر قد يكون آخرا لغيره ، مثال ذلك : "سُرُر" الشهر : أوائله ، أو أواخره ، والأصل فى السِّرار : ما يصل بين الشهر السابق والشهر اللاحق . و " السّدفة " حالة بين النور والظلمة ، فقد تقال للظلمة ، وقد تقال للنور ، وقد تحد ما بينهما ، ومن ثم يحدث التضاد ، وتختلف القبائل فى تحديد معنى هذا اللفظ .

( ٥ ) التباس نسبة فعل من الأفعال إلى فاعله أو قائله ، مثل باع واشترى فمعناهما فى الأصل واحد ، وهو المبادلة المجردة ، وقد كان البيع والشراء فيما قبل بتبادل الأشـياء ، فالبائع شار ، والشارى بائع ، وكلاهمـا بائع وشار ، لتلازم الأمرين فى التبادل .

وإنى أضيف إلى ذلك أمثلة مما يستخدم فى حياتنا اليومية قـد تزيد وضوحا على ما قيل فى الأضداد ، فقد نستخدم لفظا واحدا لشىء يؤدى معنيين متضادين فنقول صعدنا " بالمصعد " لندل على الآلة المعروفة نصعد بها إلى طبقات الدور ، ونقول هبطنا بالمصعد ، فهو إذا آلة تفيد الهبوط .

ومثال آخر يجرى فى لغتنا الحالية بالنسـبة لفتح القناطر وإقفالهـا ، فيقال " فتحت القنطرة " فيفهم أنهـا أقفلت فى وجه المـارة ، وفتحت للمراكب التى تجتاز ناحية من المـاء إلى ناحية أخرى . وحين يقال " أقفلت القنطرة " قد يفهم أنها فتحت لمن يجتازها من الناس ، وأقفلت بالنسبة للسفن ، أو عكس ذلك . وهذا مثال فى اللبس قد يتأول به حدوث الأضداد .

فاذا أضفنا أيضا ما يستخدمه الذوق فى التفاؤل كقولهم " فلان فى عافية " ويُقصد بذلك أنه مريض ، وكقولهم "المفازة" : للمكان الذى تغلب فيه الهلكة ،

وقولنا "خذ الملآن" تعبيرا عن الإناء الفارغ ، بعـــدا عما فى الفارغ من لفظة يا باها الظرف عند بعض الناس ، وكذلك ما نقوله فى التهكم ، وهو نزعة طبيعية فى النفس ، كما يطلق لفظ "العاقل" على الأحمق ، فقد نجد من هذه المجموعة ما يعلل لنا وجود ألفاظ الأضداد فى لغة من اللغات وجودا تدعو إليه طبيعة الأشياء .

فيمثل ما تقدم من القواعد يعلل وجود القليل من الألفاظ ، ونعتبره طبيعيا للأسباب التى دعت إلى ظهوره فى اللغة .

و يصح ألا ننسى كذلك بعض القوانين النفسية فى تداعى المعانى ، وبخاصة قانون التضاد ، حين تمثل صـورة ذهنية مضادة لصورة ذهنية أخرى ، عند ذكر لفظ معبر عن الصورة الأولى . فاذا قدرنا هـذه القوانين ، وقدرنا كذلك بداوة الشعوب فى نشأتها ، وقلة محصولها ، وعدم وفرة الحروف عندها فى بدايات النشأة الاجتماعية ، فقد نجد فى قوانين المعانى ما قد يعلل نشأة بعض الأضداد .

و تكرر القول بأن القواعد التى ذكرناها فى تعليل الأضداد ، لاتصلح إلا لتأويل قليل من الألفاظ لامحيص من الاعتراف بالتضاد فيه . فأما ما عداه فقد اعتبر من الأضداد بكثير من التعسف والتمحل .

## ٥ — مصير الأضداد

لقد تنبه علماء الفقه إلى باب المشترك وأهميته فى أحكامهم الشرعية. وعندهم أن التشريع هو "العمل بما يدل عليه اللفظ" . والمشترك لايدل على أحد معنييه بعينه ما لم يكن مصحوبا بقرينة تبينه ، فاذا جاء غير مبين مع أن المراد به أحد معانيه ، كان مجملا بالضرورة . إذ يستحيل العمل بمقتضاه ، لعدم العلم به [1] .

---

(١) الخضرى . الأصول ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .

فكأن وقوع المشترك فى لسان الشارع يستوجب القرينة ، التى تفيد معنى من المعانى ، أو بعبارة أخرى : لما كان الشارع يحرص على الإبانة ، فهو لا يحرص على المشترك إلا ومعه ما يبينه ، أو بعبارة أخرى لا يحرص على وقوع المشترك فى أحكامه ما دام هذا المشترك يؤدى إلى الإبهام ، وما دام غير المشترك يؤدى إلى الإبانة .

ولقد منع جمهور الأصوليين عموم المشترك : أى " أن يطلق ويراد منه جميع معانيه ، وهذا منعه جمهور الأصوليين ، وأجازهُ فريق منهم ، واختار آخرون جوازه فى النفى دون الإثبات ، وآخرون جوازه فيما عدا المفرد منه . والمجوِّزون اختلفوا فيه إذا استعمل فى جميع معانيه : أحقيقة أم مجاز[1] ؟

فما تقدم نستخلص أنه لا يحمد وقوع المشترك إلا مع الإبانة ، فاذا كان الأمر كذلك ، كان المعقول فى ألفاظ الأضداد ألا نحرص على استعمالها ، فمصيرها إذاً — على قلتها — أن نخلص منها باتباع ما يأتى :

١ — يجب أن يبحث بدقة عن كل الكلمات التى قيل فيها بالتضاد .

٢ — الكلمات المتضادة تضادا حقيقيا يجب أن تخصص كل كلمة منها بمعنى ، وهو الذى كثر استعمالها فيه ، مثل التلعة للمكان المرتفع ليس غير . وكالجَون فإن استعماله فى الأسود غالب . ويقال فى معنى السَّدفة : هى ما بين النور والظلمة ( كما جاء فى ابن سيده ) ولا يقال : السدفة للنور والظلمة .

٣ — أما الكلمات التى جرى التعسف فى عدها من الأضداد ، فيجب على اللغويين أن يمحصوها ، ويميزوا ما بينها من فروق ، وأن يرجعوا كل لفظ منها إلى معناه الأصلى فى اللغة .

---

(١) الخضرى . الأصول ، ص ١٧٦

# فى الاشتقاق الكبير

للاستاذ الشيخ ابراهيم حمروش عضو مجمع اللغة العربية الملكى

النظر فى اللغة قد يكون لمعرفة المعانى الحقيقية والمجازية للألفاظ ، ولا يتجاوز ذلك إلى معرفة ما بين المعانى المتعددة من جهات جامعة، ومعان عامة مشتركة . وهذا النظر لا يؤدى إلى استنباط القواعد ، واستخراج الضوابط ؛ وغايته معرفة معان متفرقة لا يهتدى إلى صلة بينها ، ولا يعرف ما فيها من معان مشتركة تجمع متعددها . وقد يكون النظر فى اللغة لمعرفة الجهات الجامعة ، والمعانى العامة ، التى تظهر بها المعانى المتعددة فصائل مختلفة ، وفرقا كثيرة ، يجمع كل فرقة معنى عام ، ترجع أفرادها إليه ، وتشترك فيه ، وبه تمتاز الفرقة عن غيرها .

وهذا نظر الاشتقاقيين الذى مكنهم من رد الكلمات التى اشتركت فى معنى واحد بعضها إلى بعض ، بالقلب والإبدال ، وأطلعهم على سر تولد اللغة ونموها .

وقد وضعوا قاعدة يعرف بها اتصال معانى الكلمات ، فقالوا " إن كل كلمتين اتفقتا فى الفاء والعين كان بين معنييهما اتصال" .

ولم تكن قاعدتهم هذه مبتناة على أن الفاء أو العين مَقْطَعٌ حُكى به بعض الأصوات الطبيعية للأجسام والحيوان ، كهبوب الريح ، وخرير الماء ، ومُواء الهر ، وصهيل الخيل ، وغير ذلك .

يدل على ذلك أنهم أطلقوا القاعدة ولم يقيدوها بشئ ، وأنْ ليس فى كلامهم إشارة إلى حكاية الأصوات . وقد ذكروا لقاعدتهم أمثلة كثيرة ، نذكر منها مثالا واحدا :

قالوا : إن الهمزة والباء مدلولها النفور والبعد والانفصال بين الشيئين . انظر : أَبَّ وأَبَتَ وأَبَدَ وأَبَرَ وأَبَزَ وأَبَقَ وأَبَلَ وأَبَنَ وأَبَهَ وأَبَى . يقال : أبّ للسير : تهيأ له . وأَبَتَ اليوم : اشتد حره، فقطع الناس عن أعمالهم . وأَبَدَ الوحشُ: نفر .

وأبر النخل قطع شيئا منه . وأبز الظبي : وثب وانطلق . وأبق العبد : نفر عن مولاه . وأبل : توحش . وأَبَن زيد عمرا : ذكره بسوء ، ففصله بذلك الذكر عن الخير والصلاح . وأبه عن الشئ : تنزه عنه . وأبى عن الضيم : فرّ عنه ، وهكذا سائر تراكيب الهمزة مع الباء الموحدة ، فإنك تجد بكل واحد منها شيئا من ذلك إذا أمعنت فى النظر ، انتهى كلامهم .

ونحن نذكر لك باقى الأبنية ، فمن ذلك يقال : أَبَثَ على الرجل يأبِث أَبْثا : سبه عند السلطان خاصة . وقال أبو عمرو : وأَبِثَ الرجل ( بالكسر ) يأبَثُ : وهو أن يشرب اللبن حتى ينتفخ ويأخذه كهيئة السُّكر ، وفى كلا المعنيين فصل عن الإكرام ، وبعد له عن الحالة الطبيعية .

وأبَس — يقال : أَبَسه يأبِسه أَبْسا : حقَره وصغّره ، وعن ابن الأعرابى : أبَسه وأبّسه : غاظه وروّعه ، وفى هذين المعنيين فصل له عن التعظيم ، وبعد له عن حالة الأمن .

وأبش — يقال أبش لأهله يأبِش أبْشا : كسب . ورجل أَبّاش : مكتسب . والكسب يكون عادة مع البعد عن الديار والسير فى الأسواق .

وأبص — يقال : أبِص يأبَص أبصا : أَرِنَ ونَشِط ، وفى الأرَن والنشاط مفارقة المكان ، وفصل عن حالة السكون .

وأبض — يقال : أبض البعيرَ يأبِضه ويأبُضه : شد رسغ يده إلى ذراعه لئلا يَجْرَد . وفى شد رسغه فصل له عن الأرض .

وأبَطَ — قال ابن الأعرابى : أبطه الله وهبطه بمعنى ، وفى الهبوط بعد عن الحالة التى كان عليها الهابط قبل الهبوط .

وأبك — الجوهرى أهْمَل هذا البناء ، وقال صاحب لسان العرب : ورأيت فى نسخة من حواشى الصحاح ما صورته " فى الأفعال لابن القطاع : أبِك الرجل أبَكا وأبُكا : كثر لحمه" .

وربما يقال : إن المعنى العام موجود فى هذا البناء ، لأن فى السَّمَن بعدا عن النحافة وفصلا عنها .

و إن كان لا يروقك هذا ؛ لأنك ترى فى النحافة بعدا عن السمن ، بل ترى فى تحقق معنى كل فعل فصلا عن ضده و بعـدا عنه ، فيمكن أن يقال إن اتصال معانى الأبنية التى اتفقت فى الفاء والعين إنما يتحقق إذا كان اتفاق الأبنية فى العين والفاء أصليا ؛ لم ينشأ عن قلب أو إبدال ، ويُدّعى أن أبك مقلوب باك ، يقال : باكت الناقة : سمنت .

ثم لا يخفى أن بعض الأبنية المتقدمة قد استعملت فى معان غير المعانى التى ذكرت ، فمن ذلك أب ، يقال : أبَّت أبابةُ الشئ : استقامت طريقته .

وأبد — يقال : أبَد الرجل بالمكان يأبِد : أقام .

وأبل — يقال : أبل الرجل : كثرت إبله ، وأبَلَتْ الإبل بالمكان أبولا : اقامت به .

وبالنظر فيما تقدم نعرف :

أولا — أن الاتصال بين معانى الأبنية التى اتحدت فاؤها وعينها ، تارة يكون بسبب اندراج معانيها تحت المعنى العام ، كما فى أبق العبد ، وأبز الظبى ، وأبر النخل . فإن فى كل من هذه الأبنية بعداً وانفصالا خاصين ؛ يندرجان تحت البعـد والانفصال العامين . وتارة يكون بسبب تحقق المعنى العام ووجوده عند وجود معنى البناء الثلاثى ، فيكون المعنى العـام لازما لوجود معنى الكلمة الثلاثية ، كما فى أبت اليوم ، فان معناه : اشتد حره ، وعند وجود اشتداد الحر يوجد انفصال الناس عن أعمالهم . وليس هناك اندراج أحدهما تحت الآخر ، فإن اشتداد الحر شئ ، وفصل الناس عن أعمالهم شئ آخر . ومثل ذلك أبث ، وأبن زيد عمرا ، فإن السب عند السلطان يوجد معه الفصل عن التعظيم ، والبعد عن الإجلال . وكذا

يوجد ذكر الإنسان بسوء ، فيوجد فصله عن الخير والصلاح ، وليس هناك اندراج أحدهما تحت الآخر . وتارة يكون الاتصال بسبب أن معنى البناء الثلاثى لا يوجد إلا بعد تحقق المعنى العام ، كما فى أبش ؛ فإن الكسب لا يوجد عادة إلا بعد البعد عن الرحل ، والسير فى الأسواق ، وليس أحدهما مندرجا تحت الآخر فإن الكسب شئ ، والمعنى العام شئ آخر .

ثانيا — أن الاتصال بين معانى الأبنية الثلاثية إنما يتحقّق بين بعض معانى الأبنية المذكورة لا كلها ، فقد عرفت أن بعض الأبنية استعمل فى معان أخر ؛ لا يتحقق فيها الاتصال بباقى معانى الأبنية . فان ( أبد ) استعمل فى ضد المعنى العام ، وهو أقام . وكذا ( أبل ) .

ويمكن أن يقال: إنهم ينظرون فى قاعدتهم السابقة إلى المعانى الأصلية ، دون المعانى التى استعملت فيها الأبنية بطريق التوسع الذى جرى فيه العرب إلى غايته ، حتى استعملوا اللفظ فى ضد معناه .

ونرى أن هـذه القاعدة عرض لها التخلف فى بعض المواد ، إذ تحقق فيها اتفاق الكلمتين فى الفاء والعين ، مع أن المعانى متفرقة ، لا يجمعها معنى ، ولا يوجد فيها جهة جامعة . ومن المواد ما تجرى هذه القاعدة فى أكثر ابنيتها ، ولا تجرى فى كلها . ونذكر ثلاثة أمثلة : مثالا جرت القاعدة فى جميع أبنيته ، ومثالا جرت فى أكثر أبنيته ولم تجر فى الجميع ، ومثالا تخلفت القاعدة فى جميع أبنيته .

## المثال الأول :

الراء والخاء مدلولها اللين والسهولة ، وقد جاء من الثلاثى :

رَخَّ — يقال : رخَخْت الشراب : مزجته . ورخ العجين يرخ : كثر ماؤه — والرَخُخ : السهولة واللين . والرخاخ : الرخو من الأرض . قال ابن الأعرابى : أرض رخّاء : رخوة لينة واسعة ، وأرض رَخاخ : لينة واسعة ، ورخاخ العيش : خفضه ورغده .

ولم يجئ فعل من رخد ، وإنما جاء رَخود ، ومع هـذا قد وجد فيه المعنى المتقـدم ، فان الرَّخود من الرجال : اللين العظام ، الرخوها . ويقال : رجل رَخود الشباب : أى ناعمه ، وامرأة رَخودة : ناعمة .

رخص — يقال : رَخُص رَخاصـة ورُخوصة ، فهو رَخْص ورَخيص ، والرَّخص والرخيص : الناعم . والرّخص : ضد الغلاء ، يقال : رخُص السعر يرخص رخصا ، فهو رخيص . ورخص له فى الأمر : أذن له فيه بعد النهى ، والاسم الرُّخصة ، وهى خلاف التشديد ، ومن ذلك رُخَص الشارع التى رفَّه بها عن عباده ، وسهل عليهم الخروج بها من عهدة التكليف .

رخف — يقال : رخِف العجين ( بالكسر ) رَخَفا (مثل تعب تعبا) ورَخُف يرخُف رخفا ورخوفة ورخافة : كثر ماؤه حتى يسترخى . ويقال لذلك العجين الرخْف . ويقال : ثريدة رخفة : أى مسترخية ، والرخفة : الزبدة المسترخيـة الرقيقة ، والطين الرقيق ، يقال : صار المـاء رخفة ورخيفة : أى طينا رقيقا .

رخل — لم يجئ من هذه المـادة فعل ، والرَّخْل والرِّخْل : الأنثى من الضأن ، والجمع أرخل ، وهى ألين جانبا من الذكر ، لمـا فيها من الأنوثة .

رخم — يقال : رخم الكلام والمنطق رخامة فهو رخيم : لان وسهل ، ويقال كلام رخيم : أى رقيق ، ورخمت الجارية رخامة فهى رخيمة الصوت ، ورخيم : إذا كانت سهلة المنطق . والترخيم : التليين . ومنه الترخيم فى الأسماء ، وهو أن تحذف من أواخرها حرفا أو أكثر ، ليسهل النطق بها .

رخى — يقال : رخى ورخو رخاء ورخاوة ، والرخو مثلثة الراء : الهش من كل شىء يكون فيه رخاوة ، ويقال : فرس رخوة سهلة مسترسلة ، والرَّخاء : سعة العيش . والريح الرُّخاء . اللينة السريعة . ويقال : فلان رخىّ البال : إذا كان فى نعمة واسع الحال .

قال لقيط بن زُرارة :

أُمَشِّي فى بنى عُدُس بن زيد ... رَخِىَّ البال منطلق اللسان

وإذا نظرت فى جميع الأبنية المتقدمة وجدت أن المعنى العام — وهو اللين والسهولة — يوجد فى جميعها ، وبذلك تتصل معانى الأبنية بعضها ببعض .

المثال الثانى :

السين واللام — يدلان على خروج شىء من آخر ، وقد جاء من هذا سلا — يقال : سلأ السمسم : عصره فاستخرج دهنه ، ويقال سلأ الجذع والعسيب : نزع شوكهما .

سلب — يقال : سلب الذبيحة : إهابها وكراعها وبطنها ، وسلب الرجل : ثيابه ، ويقال : سلبته أسلُبه سلبا وسلَبا : إذا أخذت ثيابه ، والسلب : مايسلب . وكل شىء على الإنسان من اللباس فهو سلَب ، ويقال : ناقة سالب وسلوب : مات ولدها أو ألقته لغير تمام . وسلب القصبة والشجرة : قشرها .

سلت — يقال : سلت المنىَ يسلِته سلتا : أخرجه بيده . وسلتت المرأة الخضاب عن يدها : إذا مسحته وألقته . وسلت القصعة من الثريد : إذا تتبع ما فيها وأخذه بأصبعه . ويقال : سلت أنفه بالسيف : جدعه .

سلج — يقال سلجت الإبل تسلُج سلوجا : أكلت السَّلَّجَ فانطلقت بطونها . وعن بعض أعراب قيس : سلج البعيرُ الناقةَ : إذا رضعها .

سلح — يقال : سلح الطائر سلحا من باب نفع ، وهو منه كالتغوُّط من الإنسان ، وهو سلحة ، تسمية بالمصدر .

سلخ — يقال : سلخ الإهاب يسلَخه سلخا : كشطه فأخرج ما حـواه ، وسلخت المرأة عنها الدرع : نزعته .

ويقال : انسلخ الليل من النهار : خرج منه خروجا لا يبقى معه شيء من ضوئه ، لأن النهار مكوَّر على الليل ، فإذا زال الضوء بقى الليل غاسقا قد غشى الناس ، ويقال : انسلخ الرجل من ثيابه ، والحية من قشرها .

سلس — يقال سلِس بول الرجل : إذا كان يخرج ولا يقدر على استمساكه . وللان سلس البول : إذا كان لا يستمسكه ، يقال رجل مسلوس : ذاهب العقل .

سلط — يقال : سلُط فهو سليط ، أى فصيح حديد اللسان بيِّن السلاطة أو السلوطة ، ويقال : امرأة سليطة أى حديدة اللسان وطويلته .

سلع — يقال: سلِـع جلدُه بالنار سلعا، وتسلع : تشقق . والسلْع : الشق يكون فى الجلد والعقب .

سلغ — يقال : سلَغت البقرة والشاة ، تسلَغ سلوغا : إذا أسقطت السن الذى خلف السَّديس ، فهى سالغ . ويقال : سلغت الشاة إذا طلع نابها .

سلف — يقال: سلَف يسلُف سلفا مضى، والقوم السُّلاَّف المتقدمون . وسلفُ الرجل : آباؤه المتقدمون ، ويقال سلفت الناقة سلوفا : تقدمت فى أول الورد .

سلق — يقال : سلَقه بالسوط نزع جلده . ويقال : سلقت اللحم عن العظم إذا نحيته عنه .

سلك — يقال : سلكه فى الشيء أدخله فيه . قال تعالى : "مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ" أى ما أدخلكم فيها ، ويقال : سلك الخيط فى الإبرة ، وسلك السنان فى المطعون ، بمعنى أدخل .

سل — والسل : انتزاعك الشيء وإخراجه فى رفق . يقال : سل الشعرة من العجين أخرجها ، وسل سيفه : أخرجه من غمده ، وهو سليل ومسلول .

وقد توسعوا فى ذلك فقالوا : سل السخيمة من قلبه ، قال الشاعر :

وما زالت رُقاك تسُل ضِغْنى وتخرج من مكامنها ضِبابى

سلم — يقال سلم من المرض : برئ منه ، وسلم من المكروه والآفات : نجا .

سلا — يقال سَلَيْتُ الناقة : أخذت سلاها ، وسَلِيَتْ الشاة : تدلى ذلك منها . والسلا : الجلدة الرقيقة يكون فيها الولد للناس والخيل والإبل ، والجمع أسلاء ، وقال أبو زيد : السلا : لفافة الولد من الدواب والإبل ، وهو من الناس : المَشِيمة .

و بالنظر فى الأبنية المتقدمة نرى أن المعنى العام محقق فى جميع الأبنية ، عدا سلك ، فان معناه الدخول ، وهو ضد الخروج .

المثال الثالث :

الطاء والنون ، وقد جاء من الأبنية الثلاثية :

طنأ — يقال : طنأ يطنأ إذا استحيا و يقال : طَنِيء البعير يَطْنَأُ إذا لزق طحاله بجنبه ، وكذا الرَّجُل . ويقال أيضا . طنى يطنى من غير همز ، ويقال : طَنِي الرجل فى الفجور : مضى فيه .

وطنب — يقال : طنِب الفرس طَنَبًا : طال ظهره .

وطنح — يقال : طنِحت الإبل : سمنت .

وطنخ — يقال : طنِخت الابل : بشمت .

وطنف — يقال : طنِف الرجل يطنف : فسدت دخلته .

وطن — يقال : طن الذباب يطن : صوّت .

وإذا نظرت فى معانى هذه الأبنية وجدتها متفرقة لا يجمعها معنى، ولا يتصل بعضها ببعض ؛ فإن طول ظهر الفرس لا يتصل بتصويت الذباب ، وسمن الإبل لا يرتبط بمض الرجل فى الفجور ، وهكذا باقى المعانى — ومن هنا نعرف أن القاعدة المذكورة ليست مطردة فى جميع المواد .

والقائلون إن اللغة نشأت من حكاية الأصوات الطبيعية للأجسام والحيوانات ؛ يقولون : إن الأبنية الثلاثية التى تتفق فى الفاء والعين يجب اتصال معانيها إذا كان البناء الثنائى حكاية بعض الأصوات . أما إذا لم يكن حكاية ؛ بأن كانت الأبنية الثلاثية من الألفاظ التى تفرعت بوسائط متعددة عن الأبنية التى حصلت بها الحكاية فلا يجب تحقق الاتصال .

وذلك لأنهم يقولون : إن الأصوات الطبيعية هجاء واحد — إما ساكن لا يمكن النطق به ابتداء ، فيجلب له حرف متحرك توصلا للنطق به ، فيصير بناء ثنائيا كما فى "رن" فإن الهجاء الأصلى النون الساكنة التى تحكى صوت الرنين ، ولما كانت ساكنة جلب لها حرف الراء فوجد بناء "رن" .

وإما متحرك بحركة ممتدة يتولد عنها حرف لين، إما واو أو ألف أو ياء، كما فى مواء الهر ، فإن الهجاء الأصلى الميم المتحركة بحركة ممتدة تولد عنها الواو ، فوجد البناء "مو" .

ولما كانت الأبنية الثنائية قليلة جدا لا تنهض بالدلالة على المعانى الكثيرة التى تتطلبها حياة الإنسان الاجتماعية ، قضت الضرورة بزيادة الحرف الثالث فزيد ، لكن بملاحظة وجود معنى البناء الثنائى فى جميع الأبنية الثلاثية ، كما فى "صخ" فإنه حكاية صوت ضرب الحديد بالحديد، أو إلقاء العصا الصلبة على شىء مصمت . والهجاء الأصلى الخاء الساكنة ، وقد جلب لها حرف الصاد المتحرك توصلا للنطق بها .

وقد جاء من الثلاثى :

صخ — وهو البنـاء الثنائى بزيادة مجانس العين، لتقوية المعنى ، لأن زيادة المجانس تفيد ذلك .

وصخب — يقال : صخب الرجل يصخب، والصخب : الصياخ والجلبة .

وصخد — يقال صَخَد الصرد ، والصخد صوت الصرد .

ومعنى البناء الثنائى — وهو الصوت — متحقق فى جميع الأبنية الثلاثيـة المذكورة .

ومن هذا البيان يعلم أن قاعدة الاتصال عند هؤلاء أخص من قاعدة السابقين وأنها جزء متمم لمذهب القائلين بأن اللغة نشأت من حكاية الأصوات على حسب ما شرح به مذهبهم سابقا، وأن صحة المذهب المذكور متوقفة على اطراد هذه القاعدة وعدم تخلفها فى مادة من المواد، إلا إذا شرح مذهبهم على وجه آخر لا تكون قاعدة الاتصال جزءا منه .

وتتبع المواد يحقق عدم اطراد هذه القاعدة .

انظر مادة "سل" تجدها حكاية صوت خروج السيف الصقيل من غمده ، وفيها اعتبار أنها صوت ، واعتبار منشأ الصوت وهو الخروج ، وقد جاءت الأبنية الثلاثية باعتبار الخروج ، فان سلأ ، وسلب ، وسلت ، وسلج ، وسلح وسلخ ، وسلع ، وسلغ ، وسلف ، وسلم ، تدل على الخروج ، ولم يوجد معنى البناء الثنائى فى "سلك" .

و "ثر" فانها حكاية صوت يسمع عنـد فوران المـاء وثورانه وثرثرته ، وفيه اعتبار أنه صوت ، واعتبار الكثرة التى نشأ عنها الصوت .

وجاء من الثلاثى :

ثرّ — يقال : ثرّت العين تثر . وعين ثَرَّةٌ وثَرّارة وثرثارة : غزيرة الماء . وسحاب ثَرٌّ : كثير الماء . وعين ثرة : كثيرة الدموع . ورجل ثر وثرثار : متشدِّق كثير الكلام ، والأنثى : ثرة وثرثارة . والثرثار : نهر بعينه ؛ قال الأخطل :

لعمرى لقد لاقت سُلَيْمٌ وعامر  على جانب الثَّرْثار راغيةَ البكر

ومعنى الكثرة موجود فى هذا البناء .

ثرب — يقال : ثرب به : عذله ولامه .

وثرط — يقال : ثرطه ثرطا : زرَى عليه وعابه .

ثرع — عن ابن الأعرابى : ثرِع الرجل : إذا طفَّل على قوم .

ثرم — يقال : ثرِم يثرم سقطت ثنيته : وثرَمه يثرمه : ضربه فسقطت ثنيته .

وثرى — يقال ثرى القوم ثراء : كثروا ونموا ، وثرى الرجل وأثرى : كثر ماله وثرى المالُ نفسه يثرو إذا كثر .

وقد وجد معنى البناء الثنائى فى بعضها باعتبار أنه صوت ، وفى بعضها باعتبار الكثرة ، ولم يوجد فى ثرع لا بالاعتبار الأول ، ولا بالاعتبار الثانى .

وطن — فانها حكاية صوت وقوع الذراع المقطوعة على الأرض ، وفيه اعتبار الصوت ، واعتبار منشأ الصوت وهو القطع .

وجاء من الثلاثى :

طنأ ، وطنب ، وطنح ، وطنف ، وطنى ، وليس فى معانيها صوت ولا قطع إلا فى مادة طن ، فإن معناها الصوت . فلم يكن معنى البناء الثنائى موجودا فى أكثر الأبنية الثلاثية فى هذه المادة ، مع وجود اتحاد الأبنية الثلاثية فى الفاء والعين ، ووجود حكاية صوت الطنين فى البناء الثنائى .